دعوة المقاومة الإسلامية العالمية



المجلد الثاني

الفصل الرابع
الصــراع مــع الــروم
ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ

- عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ثم يوشك الأمـم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومـن قلـة نحـن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينـزعن اللـه من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلـوبكم الـوهن فقـال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت**).

- وعن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أنـه قـال : (**ثـم فـارس نطحـة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا ، والروم ذات القـرون كلـما هلـك قـرن خلف مكانـه قـرن . أهـل صخر وأهـل بحـر هيهـات لآخـر الـدهر هـم أصحابكم ما كان في العيش خير**).

الفصل الرابع:

﴿ الصراع مع الروم ومعادلات القوى فيه عبر التاريخ ﴾

كما تبين لنا من الفصل السابق فقد استمر صراع المسلمين مع الروم منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم وإلى يومنا هذا وما زال. وقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض الآثار التي تعتبر من معجزات نبوته صلى الله عليه وسلم عن أن قتالنا معهم قتال أزلي مستمر إلى قيام الساعة ومن تلك الآثار:

جاء في مسند الحارث و زوائد الهيثمي ج2 / ص 713 :

باب قتال فارس والروم: حدثنا معاوية بن عمرو ثنا أبو إسحاق عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي عمرو عن بن محيريز قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**ثم فارس نطحة أو نطحتان ثم لا فارس بعدها أبدا والروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن أهل صخر وأهل بحر هيهات لآخر الدهر هم أصحابكم ما كان في العيش خير**) وقد أورده ابن حماد في كتاب الفتن ج2/ ص 479 .

جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله. الحديث رقم 17335:

حَدَّثَنَا حَسَنُ بْنُ مُوسَى حَدَّثَنَا ابْنُ لَهِيعَةَ حَدَّثَنَا الْحَارِثُ بْنُ يَزِيدَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ جُبَيْرٍ أَنَّ الْمُسْتَوْرِدَ قَالَ بَيْنَا أَنَا عِنْدَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقُلْتُ لَهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ:(**أَشَدُّ النَّاسِ عَلَيْكُمْ الرُّومُ وَإِنَّمَا هَلَكَتُهُمْ مَعَ السَّاعَةِ**) فَقَالَ لَهُ عمرو أَلَمْ أَزْجُرْكَ عَنْ مِثْلِ هَذَا).

وفعلا فقد صدّقت أحداث التاريخ ما كان قد أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم. فما أن قامت دولة الإسلام على عهد النبي صلى الله عليه وسلم حتى بدأ اشتباك المسلمين مع الروم وتتابع ذلك كما أوجزنا سابقا بلا توقف حتى يومنا هذا. فقد قرأت في إحدى الصحف أيام حرب الخليج الثانية.(عاصفة الصحراء وتحرير الكويت) أن بعض المؤرخين قد أحصى الحروب التي قامت بين المسلمين والروم. فبلغت أكثر من 3600 حرب بين مختلف دول الإسلام ودول الروم! خلال 1410 سنين.

فقد قاتل المسلمون أمما كثيرة، من الفرس والترك والسند والهند والمغول والصين.. وغيرهم وقد كانت جميعها حروبا وصدامات محدودة بتاريخها وزمانها. ولكن التاريخ أثبت أنها الروم ذات القرون كلما هلك قرن خلف مكانه قرن وكلما تلاشت دولة منهم آلت القيادة إلى أخرى، فهم أهل جيوش البر والبحر. وما زلنا وإياهم في قتال وسيبقى ذلك إلى قيام الساعة . فحتى اليهود سينتهي

القتال معهم بإبادتهم في معركة الحجر والشجر. وحتى يأجوج ومأجوج سينتهي القتال معهم حيث يهلكهم الله تعالى. ولكنهم الروم ودولهم وممالكهم والقتال معهم إلى قيام الساعة كما جاء في الحديث وهم أشد الناس على المسلمين. بل تقوم الساعة والروم أكثر الناس كما في الحديث الصحيح رغم أنها لا تقوم إلا على شرار الخلق وهم غالبيتهم وما ذاك إلا لأنهم حازوا من الخصال – بقدر الله - ما مكنهم من البقاء.

فقد جاء في مسند الإمام أحمد: (**عن المستورد الفهري أنه قال لعمرو بن العاص تقوم الساعة والروم أكثر الناس فقال له عمرو بن العاص أبصر ما تقول قال أقول لك ما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمرو بن العاص إن تكن قلت ذاك إن فيهم لخصالا أربعا إنهم لأسرع الناس كرة بعد فرة وإنهم لخير الناس لمسكين وفقير وضعيف وإنهم لأحلم الناس عند فتنة والرابعة حسنة جميلة وإنهم لأمنع الناس من ظلم الملوك**) (مسند أحمد 17334).

ومن المفيد ونحن نتصدى في البحث للإجابة على السؤال الهام، الذي كتب الكتاب من أجله وهو: <u>(كيف نواجه أعداءنا في عالم ما بعد سبتمبر بقيادة أمريكا ؟)</u> أي كيف نتصدى للحملات الصليبية اليهودية الثالثة بنجاح إن شاء الله. من المفيد أن نعرض للمحطات الرئيسية في صدامنا مع الحملات الصليبية السابقة، لنتلمس مفاتيح النصر والهزيمة فيها، عبر دراسة تحليلية هادفة. وهي مادة هذا الفصل إن شاء الله.

كيف سارت تلك الحملات الأولى والثانية وهذه الثالثة الأخيرة؟ من كان أطرافها من جانب الروم؟ من قام بالمواجهة والدفع والمقاومة من جانب المسلمين؟ من كان معنا ومن كان علينا من داخلنا ومن خارجنا خلالها؟

ولن أقف هنا مع تفاصيل أحداث التاريخ، فهو مسجل معروف في مراجعه، ولا سيما تاريخ الحروب الصليبية الأولى وكذلك الثانية التي تمثل تاريخ العرب الحديث. وقد مر نبذة عن ذلك في الفصل السابق. ولكني سأكتفي هنا بالتحليل واستقصاء العبر واستخلاص الدروس.

<u>فهذا الفصل من أهم مرتكزات دعوة المقاومة في مجال فقه الواقع واستكشاف أسباب النصر والهزيمة..</u>

وسنأخذ من التاريخ المحطات الرئيسية الثلاثة لحملات الروم على المسلمين. ونعتبر لها تقسيما تاريخيا نظريا، حيث نلاحظ أنها كانت على الشكل التالي:

- **الحملات الصليبية الأولى** (من منتصف القرن الحادي عشر وإلى نهاية القرن الثالث عشر الميلادي تقريبا)، على سواحل بلاد الشام ومصر وكان فيها احتلال بيت المقدس

.

- **الحمـلات الصـليبية الثانيـة** (1800-1970) تقريبـا. عـلى مكونـات الدولـة العثمانيـة والعالم الإسلامي ولاسيما العـالم العـربي بعـد معاهـدة (سـيكس-بيكـو1919) ووعـد بلفور (1917).
- **الحمـلات الصـليبية الثالثـة** (1990- 2004 ومـا زالـت) عـلى العـالم الإسـلامي عامـة والشرق الأوسط خاصة.

وهناك ملاحظة واضحة وهي أن مركز الصراع كان في الحملات الصليبية الثلاثـة يـدور في بـلاد الشام وما جاورها من بلاد العراق ومصر وجزيرة العرب بشكل رئيسي . وهناك كانت مفاتيح النصر والهزيمة لكلا الطرفين.

ولا ننسى أن سـاحة الصراع الحـديث (منـذ ا القـرن السـادس عشر وإلى اليـوم) مـع الـروم المعاصرين عموما، قد امتدت على طول رقعة العالم الإسلامي وعرضـه واسـتهدفت كافـة بـلاده مـن أقصى جزر الفلبـين في المحـيط الهـادي شرقـا وإلى أقصى سـواحل مـراكش وموريتانيـا عـلى ضـفاف الأطلسي غربا. ومن وسط آسيا والقرم والبلقان وشمال أفريقيا شمالا، وإلى أواسـط أفريقيـا وجنـوب شرق آسيا وإندونيسيا جنوبا.

• المرجعيات عند المسلمين

وقبيل أن ندخل إلى دراسة الحملات الصليبية الثلاثـة ومعـادلات القـوى فيهـا. مـن المفيـد أن نلفت النظر إلى مفهوم المرجعية والقيادة لدى المسلمين عبر التاريخ الإسلامي لأن ذلك يسـاعد كـما سنرى على فهم إدارة ذلك الصراع.

فبحسب المفهوم المتفق عليه فإن (أولي الأمر) كمصطلح سـياسي شرعـي لـدى المسـلمين، هـم العلماء والأمراء. وبحكم النصوص الشرعية وما دأب عليه الحال فقد شكل رؤوس النـاس وقيـاداتهم ولاسيما زعماء القبائل والعشائر الكبرى وأصحاب الرأي وذوي الأحلام والنهى منهم، القطب الثالـث في المرجعية لدى المسلمين إلى جانب الأمراء والعلماء. وهكذا يمكن تحديد المرجعية لـدى المسـلمين عبر تاريخهم . بثلاثة مرجعيات. هي بحسب أهميتها كما يلي:

المرجعية السياسية: وتتكـون مـن الخليفـة الشرعـي حـال وجـوده أو مـن السـلاطين والملـوك والأمراء من أصحاب الحكم والسلطان حال تعدد الممالك التي غلبت على معظم التاريخ الإسلامي.

المرجعية الدينية: وتتكون من علماء الدين الإسلامي حيث آلت هذه المرجعية إلى علماء وأئمة المذاهب الأربعة وكبـار علمائهـم وفقهـائهم المتبـوعين عـبر التـاريخ الإسـلامي. ثـم ظهـرت القيـادة

الروحية للطرق الصوفية ومشايخها ذوي الأتباع والنفوذ.وكثيرا ما كان أئمة المذاهب أنفسهم أئمة للطرق الصوفية المتبوعة في أغلب رقعة العالم الإسلامي.

المرجعية الاجتماعية: وتكونت في الغالب من رؤساء القبائل والعشائر التي تكون البنية الأساسية للمجتمعات العربية والإسلامية.

وهكذا كان عبر التاريخ الإسلامي في حالات الوحدة السياسية تحت خليفة واحد أو خلال فرقتها تحت سلطان ملوك وأمراء متعددين.

فإن الناس رجعوا في قيادتهم وإتباعهم دائما ولاسيما عند الملمات الكبرى إلى هذه المرجعيات.

ولست هنا بصدد الاستطراد في تحليل ذلك ودوره في التاريخ الإسلامي وآثاره السياسية والاجتماعية إلا بالقدر اللازم لفهم بنية المقاومة في المجتمعات الإسلامية ضد الحملات الصليبية، و دور هذه المرجعيات في ذلك.

كما أن من الضروري أن أوضح أن هذا التقييم الدراسي القائم على الملاحظة والاستنتاجات، ليس تقييما للصواب والخطأ في مناهج تلك التجمعات لا من الناحية العقلية ولا من وجهة النظر الشرعية. فقد يفيد البحث أن شريحة معينة أو مذهبا معينا كان له دور في المقاومة نذكره بحسب أهميته، من دون أن يكون ذلك- كما يفترض أن ذلك مفهوم- تزكية لتفاصيل معتقدات ونهج وطريقة تفكير أصحاب تلك الظاهرة. فهو تقييم وتصنيف دراسي وليس تقييم ترجيح وتصويب للمناهج والمعتقدات على سبيل تحديد الصواب من عدمه. وفق موازين السياسة الشرعية.

وأعتقد أنه في حين يجهل أكثر المسلمين اليوم دور هذه المرجعيات وتماسكها وأثر ذلك على تماسك الأمة وقدرتها على المقاومة، فإن العدو قد أدرك ذلك وعمل على تحطيم هذه المرجعيات الثلاثة ما وسعه ذلك. واخترع بدائل لها أو أفسدها وجعلها تخدم أغراضه كما سنرى بالسير مع تلك الحملات في الدراسة التحليلية التالية.

● الحملات الصليبية الأولى (1050-1291)

المستخلص على سبيل النبذة من المراجع التاريخية، أنه لما ضعفت خلافة بني العباس وصار النفوذ من حول الخليفة العباسي للقادة والجند الذين كان معظمهم خلال النصف الثاني من تاريخها من الأتراك الذين نصبوا سلطانا منهم كان الحاكم الفعلي لمركز الخلافة وما حولها. وانحصر نفوذ الخليفة في الغالب في قصره أو في بغداد وما حولها.. ومع الوقت استقل الأمراء الذين يتبعون للخليفة نظريا في أطراف دولة الخلافة بدول وممالك متعددة، كثيرا ما تصارعت فيما بينها أو تصارع كبراؤها على الملك والسلطان فيها. وتقسمت تلك الممالك في كثير من الأحيان لتشتمل على مجرد مدن صغيرة أو حتى قلاع وحصون. فمملكة في الموصل، وأخرى في بيروت، وثالثة في طرابلس، ورابعة في حلب، وأخرى في دمشق وهكذا. وسيطرت الشيعة على بلاط الخليفة ببغداد، وانتشر

القرامطة في الخليج العربي، وسيطر الإسماعيلية والنصيرية من غلاة الشيعة على سواحل الشام وقامت الدولة العبيدية التي نسبت نفسها للفاطمية وأقامت خلافة مستقلة لها في مصر- استمرت ما يقرب من قرنين.

خلال ذلك الوقت مطلع القرن الحادي عشر الميلادي أطلق بابا الفاتيكان نداءه إلى ملوك أوروبا بضرورة تخليص بيت المقدس وصليب الصلبوت - الذي يزعمون كذبا أن المسيح صلب عليه- من أيدي (الكفار) – يقصد المسلمين- وسرعان ما استجاب الملوك من مختلف أوروبا ولاسيما إنجلترا وفرنسا وألمانيا للنداء لمصالح سياسية واقتصادية كما يذهب كثير من المؤرخين ولم تكن الروح الصليبية غائبة عن دوافعهم أيضا. وتعاون قيصر القسطنطينية مع تلك الحملات بتزويدها بالمؤن عند مرورها من أراضيه في شرق أوربا وآسيا الصغرى وكذلك بوضع الأسطول الروماني في خدمتهم.

وهكذا تتالت الحملات الصليبية التي يؤرخ لها المؤرخون بسبع حملات رئيسية على سواحل الشام وجنوب غرب الأنضول(في منطقة الرها وهي ما بين أدنه ولواء اسكندرون في تركيا اليوم) ومصر أخيرا عبر مائتي سنة. وتمكن الصليبيون خلالها من احتلال بيت المقدس وإقامة إمارة مركزية فيه، وتمكنوا من إقامة العديد من الإمارات الصليبية المستقلة عن بعضها بحسب ارتباطها بملوك أوروبا المتعاونين على المسلمين المتصارعين فيما بينهم في كثير من الأحيان.

كانت الإمارات الإسلامية المحاذية للإمارات الصليبية ضعيفة مفككة متصارعة فيما بينها، كإمارات حلب وحماة ودمشق وحمص والموصل. وقد شهدت الكثير من الانقلابات و التصارع الداخلي. وأذاق الأمراء والسلاطين فيها شعوبهم ويلات المكوس وأنواع المظالم. وهكذا احتل الصليبيون المناطق الواقعة بحسب مصطلحات الجغرافيا المعاصرة منطقة لواء الاسكندرون و الساحل السوري غرب الشام من الجبل إلى البحر المتوسط ومنطقة لبنان وفلسطين بالكامل. ولم يستطع الخليفة العباسي الضعيف في بغداد أن يفعل شيئا. ولم يحرك الخليفة الفاطمي في القاهرة ساكنا، بل شهد تاريخ الفاطميين تعاونا مع الصليبيين . كما سجل التاريخ تعاون النصيرية الذين يسكنون الجبال الغربية في محاذات الساحل في سوريا مع الصليبيين أيضا حيث قاتلوا إلى جانبهم. وشهد العالم الإسلامي خاصة والمشرق العربي عامة حالة شديدة الاضطراب والضعف في تلك الفترة.

ولكن الوثائق التاريخية التي تثبت هذا الحال المتدهور على صعيد المرجعية السياسية تثبت في الوقت ذاته أن تلك الفترة كانت تشهد ازدهارا علميا برز فيه الكثير من العلماء الكبار والأئمة والخطباء ، وحملت المساجد مسؤولية المرجعية الدينية ومسؤولية سياسة الناس إلى جانب المرجعية الاجتماعية بعيدا عن مفاسد القصور وصراع الأمراء...

حيث كانت البنية الاجتماعية القبلية متماسكة سليمة البنيان، وهكذا رجع الناس إلى رؤوسهم من العلماء ورؤوس القبائل وصدروا عن رأيهم.

ومع قدوم الصليبيين هب العلماء والخطباء يحثون الناس على الجهاد ويطرقون أبواب الأمراء يحرضونهم على القتال، بدءا من باب الخليفة في بغداد وصولا إلى أبواب أمراء الشام... ولكن المراجع التاريخية تروي قصصا مؤسفة من حالة التفكك وفساد أنواع الأمراء وحكام المدن والحصون.. وقد ذكر بعض المؤرخين من قصص تلك المرحلة، أن العلماء جالوا المساجد واستحثوا الناس وجمعوا أموالا من أجل بناء جيش للجهاد، و طرقوا أبواب الأمراء بحثا عن أهل لهذه المهمة، فلم يرحب بهم أحد من الأمراء حتى سمعوا بأحدهم على أنه مظنة خير ونخوة، فذهبوا إليه ودفعوا إليه المال بعد أن وعدهم خيرا، ثم رجعوا إليه ولم يعثروا عليه فبحثوا عنه شهرا في بادية الشام فوجدوه قد خرج للصيد وبنى بأموالهم التي جمعت لجهاد الصليبيين قصرا في البادية ليأوي إليه مع ندمائه وحاشيته في ليالي الصيد والقنص!!

وروى المؤرخون أن حال أكثر الأمة آنذاك كان انصرافا إلى الدنيا وزخرفها ورووا كيف أن الخطباء والوعاظ كانوا يلهبون حماس الناس في المساجد التي كانت تضج بالبكاء والعويل، حتى ما إذا خرج الرجال من المسجد عاد كل إلى دنياه لا يلوي على شيء... وكأنما يعيد التاريخ نفسه اليوم!!

وسرعان ما أفاقت الأمة من الصدمة وعملت المرجعية الدينية عملها في الأمة، حيث تروي الكتب التي أرخت لتلك المرحلة كيف قامت هذه المرجعية الدينية بشحذ همة رجال الأمة وكيف تجاوبت المرجعية الاجتماعية ورؤوس القبائل والعشائر في الشام وما حولها مع نداءات الجهاد، وباشرت نخب الأمة آنذاك بالاشتباك مع الصليبيين منذ اليوم الأول .. إلى أن تصاعدت المقاومة.

واستردت الأمة مرجعيتها السياسية بسرعة بقيام أحد أمراء شمال الشام وهو الأتابك الأمير المجاهد (عماد الدين زنكي) الذي تصدى للصليبيين شمال غرب الشام واستطاع إسقاط إمارة الرها الصليبية.فلمع نجمه والتف المجاهدون وبعض الأمراء حوله وبدأت تتكون نواة الدولة الزنكية التي كانت عاصمتها في البداية الموصل (شمال غرب العراق على حدود الشام) ثم انتقلت إلى حلب (شمال غرب الشام) في عهد ابنه الملك (نور الدين محمود زنكي) رحمه الله . الذي تولى بعد أن اغتال الحشاشون الباطنية من نصيرية الشام أباه، فتولى الإمارة وامتد سلطانه ليشمل شمال العراق وسوريا و الأردن ولتقوم الدولة الزنكية وليحمل نور الدين على عاتقه مهمة بناء القاعدة الأساسية للجهاد ضد الصليبيين في المشرق، حيث يعود الفضل إليه رحمه الله في كل الأمجاد التي حصلت فيما بعد على يد صلاح الدين . وتاريخ هذه الفترة مشهور جدا. قد تناولته الكتب ووسائل الإعلام والأفلام والمسلسلات التلفزيونية بما يغني عن الترديد والاستطراد.

فقد قضى الملك الزاهد نور الدين حياته مجاهدا للصليبيين في الشام، محققا الانتصار تلو الآخر وامتد سلطان الزنكيين إلى دمشق التي صارت عاصمتهم بعد حلب في الجهاد.

واهتم الصليبيون بالاستحواذ على مصر لما لها من أثر في دعم من يستحوذ عليها في الصراع على الشام. حيث أغراهم ضعف الفاطميين ومكاتبة بعض كبار وزرائهم للصليبيين في بيت المقدس يستقدمونهم إلى مصر ويعدونهم بتسليمها. وأدرك نور الدين أهمية السباق إلى مصر فأرسل جيشه إليها بقيادة القائد الكردي (أسد الدين شيركوه) ليدعم جيش الخليفة الفاطمي ضد الحملة الصليبية المرتقبة على مصر. واصطحب أسد الدين معه ابن أخيه القائد الناشئ (صلاح الدين الأيوبي) رغم كراهته لمغادرة الشام. ولكن أقدار المجد كانت بانتظاره في مصر.

توفي أسد الدين شيركوه الذي كان الخليفة الفاطمي يستقوي به على وزرائه المتصارعين على السلطان والمتآمرين مع الصليبيين. فاختار الخليفة الفاطمي صلاح الدين لمنصب الحاجب الذي يرأس الوزراء ظنا منه أنه يستطيع السيطرة عليه لصغر سنه ولكونه غريبا عن مصر، وليستقوي بجيشه على أمراء الفاطميين. وحصلت الحملة الصليبية على مصر واستبسل صلاح الدين وجيش الشام ومصر، وأمدهم نور الدين بالمدد فتمكنوا من صد الحملة الصليبية التي هاجمتهم برا وبحرا بمساعدة أسطول الروم القادم من القسطنطينية. وبعيد النصر بقليل توفي آخر الخلفاء الفاطميين حيث أعلن صلاح الدين نهاية الخلافة الفاطمية، وخطب الجمعة باسم الخليفة العباسي وأعاد المذهب السني الشافعي إلى مصر، وتوطد ملكه فيها. حتى خشي نور الدين ومعاونوه في دمشق من استقلال صلاح الدين بملك مصر، فأرسل إليه مرات يستقدمه، فأبطأ صلاح الدين عليه، حتى هم نور الدين بالخروج إلى مصر بجيشه ليضمن ضمها إلى مملكته من أجل توحيد مصر والشام في الجهاد ضد الصليبيين.

وكان من قدر الله ولطفه أن توفي نور الدين الملك الزاهد المجاهد. فأعلنت أسرته ولده اسماعيل ولي عهد له، وكان طفلا في الحادية عشر من عمره. فنزل صلاح الدين إلى دمشق معترفا بإسماعيل ومن أجل مناقشة مواجهة الصليبيين واجتمع أهل الحل والعقد من علماء وقادة مصر والشام على بيعة صلاح الدين الأيوبي سلطانا على بر مصر والشام، حيث اقتنعوا بعدم صلاحية أن يؤول الأمر إلى طفل في ظروف مواجهة الصليبيين، وضرورة قيام سلطان قوي لولاية أمر المسلمين وقيادة الجهاد. وبذلك قامت الدولة الأيوبية.

وعمد صلاح الدين إلى مكاتبة الأمراء في الحجاز واليمن وشمال إفريقيا وكذلك ملوك السلاجقة في الري شمال العراق ، وكذلك توطدت علاقته بالخليفة العباسي في بغداد محاولا رص صفوف الأمة في المواجهة المقبلة. حيث كان صلاح الدين قد عقد هدنة مؤقتة مع الصليبيين حتى يفرغ من القضاء على فتن صغار الأمراء من الفاطميين في مصر والمتناحرين على الإقطاعيات والحصون في الشام. ثم نقض الصليبيون الهدنة بإغارة قائدهم (أرناط) على قافلة للحجاج جنوب الأردن فنقضت الهدنة واشتعل القتال و تتالت انتصارات صلاح الدين وتتوجت بمعركة حطين ثم

بفتح بيت المقدس لينصب صلاح الدين منبر الجمعة الرائع الذي كان نور الدين زنكي رحمه الله قد أمر بصناعته ليضعه في المسجد الأقصى لأول خطبة جمعة بعد الفتح. وكان القدر أن ينصب في عهد صلاح الدين ويخطب عليه إمام مسجد الجمعة في حلب الذي كان قد بشر بالفتح الذي تم سنة 583 هجرية. في نفس الموعد الذي بشربه الشيخ!!

ولما أدركت الوفاة صلاح الدين، قسم المملكة بين أبنائه الذين سرعان ما اختلفوا فيما بينهم ليؤول الملك إلى أخيه الملك العادل الذي تولى ملك مصر والشام وحصلت في عهده آخر الحملات الصليبية التي كانت على مصر، والتي قادها ملك فرنسا (لويس التاسع) الذي أسره الملك العادل وأودعه السجن في المنصورة . ثم أطلق سراحه. وهناك كتب بعد تفكر وتأمل في تاريخ قرنين من الحملات الصليبية العسكرية كتب ملاحظاته في فشل الغزو العسكري للشرق الإسلامي وضرورة العمل على الغزو الفكري حيث شكلت ملاحظاته الأرضية الأولى للحملات الصليبية المعاصرة التي قامت على التبشير والتغريب ثم الإستعمار بعد ذلك بخمسة قرون.

ثم توفي الملك العادل بعد أن حمل مهمة جهاد الصليبيين، ثم لما آل الأمر إلى الملك الصالح اسماعيل الذي صار سلطانا على الشام، وإلى عمه الملك نجم الدين أيوب الذي صار ملكا على مصر. وتواطأ اسماعيل مع الصليبيين واستعان بهم ضد نجم الدين في مصر وأعطاهم عددا من القلاع والحصون، وسمح لهم بشراء السلاح من أسواق دمشق. فوقف له بالمرصاد سلطان العلماء في زمانه (العز بن عبد السلام) عالم دمشق، فسجنه ثم أطلق سراحه فارتحل إلى مصر ليتابع سيرة الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على سلطان مصر الذي آواه وأكرمه.

واستكثر الأيوبيون في مصر من العبيد والمماليك فحشدوا منهم المئات والآلاف، واتخذوا منهم الجند والقواد. وصارت قوة كل أمير من أمراء مصر والشام من الأيوبيين بعدد عبيده ومماليكه الذين كان كثير منهم من وسط آسيا وبلاد التركستان. وأغرى قادة المماليك ما هم عليه من القوة وما عليه حال ملوكهم وأمرائهم الأيوبيين من التفسخ والضعف فانقلبوا عليهم واستلموا الحكم في مصر والشام تبعا لذلك،بعد وفاة نجم الدين أيوب أثناء معركة المنصورة (1250م) . حيث تزوجت زوجته (شجرة الدر) بكبير قواده من المماليك ثم تنازلت له عن الملك . لتقوم بذلك الدولة المملوكية. وكان لسلطان العلماء العز بن عبد السلام رحمه الله القصة التاريخية المشهورة، حيث لم يفت بصحة ولايتهم لأنهم عبيد غير أحرار. واضطروا للنزول على فتواه بضرورة بيعهم ورد ثمنهم لبيت مال المسلمين حتى صاروا أحرارا وصحت ولايتهم!!

وحملت دولة المماليك راية الجهاد ضد التتار الذين كانوا قد اجتاحوا المشرق وأسقطوا بغداد واستباحوا مدن الشام ... وقرعوا أبواب مصر، فنهض لهم سلطانها المملوكي المجاهد (قطز) الذي لم يفت له سلطان العلماء بالأخذ من أموال العامة لشراء السلاح، إلا بعد أن وضع ماله وأخذ مال

أمراء المماليك لذلك الغرض. فأفتاه وحرض المسلمين على الجهاد في مصر والشام وكانت موقعة عين جالوت أول هزيمة استراتيجية للتتار.. أدت إلى بداية تراجعهم.

وخلف الملك الظاهر بيبرس قطز على السلطان بعد أن اغتاله وهم عائدون من عين جالوت ليظفر بالملك وبهجة النصر! ومع ذلك حمل بيبرس مسؤولية جهاد الصليبيين في الشام زهاء 27 ، إلى أن أجلاهم عن آخر حصونهم . حيث تم الجلاء الكامل في عهد السلطان خليل بن قلاوون وانتهت بذلك الحملات الصليبية الأولى (1291).

والمستخلص من مسار هذه الحملات دروس وعبر كثيرة وما يخصنا لهذا البحث هو معرفة ما كان من أمر المرجعيات التي تولت إدارة المواجهة في الطرف الإسلامي:

1- **المرجعية السياسية:** كانت غائبة ابتداء . ثم تكونت عبر الزنكيين ثم الأيوبيين ثم المماليك.

2- **المرجعية الدينية:** تولت المواجهة إلى أن قامت المرجعية السياسية. ثم وقفت ردءا لها إلى نهاية المواجهة.

3- **المرجعية الاجتماعية:** وقفت إلى جانب المرجعيتان. واكتمل النصاب، فواجهت الأمة الإسلامية أمة الصليبيين.

و كانت معادلة المواجهة في الحملات الصليبية الأولى باختصار:

أمة الإسلام × أمة الصليب ← انتصرت أمة الإسلام

لم تواجه أمة الإسلام بشرائح قليلة، ولا بعصابات صغيرة، ولا بتنظيمات محدودة لا سرية ولا علنية... لقد وقفت الأمة بكاملها للحملات الصليبية وهزمتها. ولم يعطل صراع الأمراء والسلاطين على الملك ولا خور عامة الأمة وقعودها عن الجهاد.

الحملات الصليبية الثانية (1798-1970)

أقامت الحملات الصليبية الأولى في المشرق العربي زهاء مائتي سنة. مكنتهم من الاحتكاك عن قرب بالحضارة الإسلامية. ليس عسكريا فحسب. فقد كان هناك كثير من فترات الهدنة، كما قامت كثير من العلاقات التجارية بين الإمارات الصليبية والإسلامية من حولها. وتمكن كثير من الرحالة ورجال الدين الأوربيين أن يزوروا بلاد المسلمين ويطلعوا على البون الشاسع في التفكير والتطور والنظام السياسي والإقتصادي والحياة الاجتماعية والثقافية. كما تمكنوا من نقل كثير من المخطوطات والكتب حتى عد المؤرخون الأوربيون الحملات الصليبية من أسباب عصر النهضة في أوروبا ونهاية العصور الوسطى.

وفي أواخر أيام الحملات أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقة غزوا المسلمين والتعامل معهم.

وفي الحملات الأخيرة على مصر(1249ميلادية)، وقع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا مع آلاف من جنوده الصليبيين بيد المماليك ، وأودع السجن. وهناك كان لديه فسحة من التأمل ليضع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفية غزو المسلمين. وكتب توجيهاته الهامة تلك والتي كان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقيدتهم قائمة ويجب أن تبدأ الحرب على المسلمين بحرب الكلمة)

ثم ما لبثت الحملات الصليبية الأولى أن انتهت كليا بسقوط عكا سنة (640هجرية - 1291ميلادية).

وهكذا أدرك الغرب الصليبي أنه لا يمكن التغلب على المسلمين بالقهر والقوة العسكرية لأن ذلك يستفز لديهم بسبب المشاعر الدينية وطبيعة عقيدتهم كل أسباب المقاومة والقتال. وأن السبيل إلى ذلك هو غزوهم فكريا وتغيير طريقتهم في الاعتقاد والتفكير لتجفيف جذور قوتهم وقدرتهم على المقاومة ومن ثم يسهل الاستيلاء عليهم عسكريا.

الغزو الفكري للمسلمين ونتائجه العملية في الميدان السياسي :

انتهت الحملات الصليبية الأولى نهاية القرن الثالث عشر، وابتدأت الثانية مطلع الثامن عشر. فكيف استفاد الصليبيون من مدة 500 سنة للإعداد و التخطيط للعودة على خبرة و معرفة ؟!

منذ عادت بقايا الحملات الصليبية مدحورة إلى أوربا انكب العلماء والمفكرون الأوربيون على دراسة خلاصة حضارتنا العربية و الإسلامية ونشطت حركة الترجمة وقامت مراكز وجامعات الإستشراق وهو التخصص في الدراسة الشرقية. ومع انهيار الحكم الإسلامي للأندلس 1492 م . حصل

مثل ذلك وخلال القرون السادس عشر و السابع والثامن عشر نشطت حركة الرحالة والكشافة والمستشرقين . ثم نشأت حركات التبشير برعاية البابا ودعم وتسابق ملوك أوربا على دعم المهام المقدسة للبحارة والمكتشفين .. وعلى مدى هذه القرون الطويلة توغل هؤلاء البحاثة والبعثات الإستشراقية والاستكشافية في كافة أرجاء العالم العربي والإسلامي وقدموا الدراسات والأبحاث ونقلوا الكتب والمخطوطات التي تجمعت في جامعات ومراكز دراسات استشراقية عملاقة تخصصت في دراستنا ...

وأذكر على سبيل المثال من ذلك أني دخلت مكتبة جامعة الدراسات الشرقية في لندن للبحث عن كتب في التاريخ السياسي المعاصر للجزائر، فلما دخلنا إلى دليل كمبيوتر المكتبة علمت أن المكتبة تحوي على ما طوله 114 كم من الرفوف المرصوصة بالكتب من مختلف الدراسات واللغات من العربية وسواها ! ولما طلبت منه كتب عن الجزائر ...علمت بوجود (30000) كتاب عن الجزائر بمختلف اللغات. فلما حددنا اللغة العربية أذكر أنها كانت ما يربوا عن 5000 كتاب فلما حددنا المطلوب باللغة العربية عن التاريخ السياسي المعاصر للجزائر عثرت على 263 كتاب. ووجدت ضالتي من وثائق مرحلة الاستقلال في عشرات الكتب منها !! فتأمل ... وقد عرفت بالصدفة أن المكتبة تحوي 6000 مخطوطة بلغة البشتون تعود لتواريخ مختلفة ولك أن تتساءل . كم من البشتون يعرف قراءة لغتهم المكتوبة ؟! فيما درسها علماء أوربا وقرؤوا مخطوطاتها !

ولقد رأيت مثل ذلك في مركز(جورج بومبيدو) في باريس وهو مكتبة مقروءة مسموعة مرئية تحتوي مئات آلاف الكتب والأبحاث والدراسات ...، وسعت عن مثل ذلك عن جامعات هولندا وألمانيا ويرها . ورأيت في أسبانيا مكتبة (الأوسكوريال) قرب مدريد حيث تحتوي زهاء خمسين ألف مخطوطة عربية، عدا ما تحتويه مكتبة الفاتيكان وسواها من مراكز التبشير والتنصير ..

باختصار.. لقد توغل الإستعمار الحديث في بلادنا بعد أن امتلك معلومات في كافة المناحي وقرأنا وفهمنا كما يقرأ خطوط كفه .. لقد تحركوا بعلمية وعملية ..إنهم الروم وخصالهم . هؤلاء الذين لا يعرف أكثرنا عنهم إلا ظاهر قشرتهم الحضارية حاليا من الانحلال والفجور والمجون .. ولكن القاعدة الحضارية لهذه الأمم الرومية أعقد من ذلك بكثير. ولا بد من أن نعرفهم كما عرفونا ونقاومهم على بصيرة كما غزونا على بصيرة ومعرفة ...

وقد كتب بعض المؤرخين والبحاثة العرب والمسلمين عددا من الكتب حول الإستشراق وعلاقته بالاستعمار وحركات التبشير وعلاقتها بالاستعمار، مما يندهش له المرء من ترابط هذه المواضيع الثلاثة ... وهكذا بدأ الغزو الفكري لبلادنا مع قدوم حملة نابليون (1789م). وبدأ تغلغل الماسون في البلاد العربية والخلافة العثمانية. وبدأت رياح التغريب و الإستعمار الفكري تهب على بلادنا قبل

الإستعمار الذي أتى بزخمه أواسط القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين ..وكان قد بدأ منذ القرن السادس عشر يقضم أطراف العالم الإسلامي .

وعلى منحى مواز للغزو الفكري دأبت طلائع الإستعمار على صناعة الصنائع الاستعمارية وإقامة علاقاتها بمختلف شرائح المجتمع ولاسيما قطاع أمرائه وعلمائه وهكذا تسللوا إلى الجملة العصبية للجسد الإسلامي الذي كان يرتمي مريضا يحتضر مع الخلافة العثمانية. فلما نضجت الطبخة الاستعمارية الكبرى. أعان الإستعمار على غزواته ما حققته أوربا مما أسلفنا من النهضة العلمية والثورة الصناعية والتطور في مجال السلاح ووسائل النقل السريعة .. وهكذا دهمنا الإستعمار وقد توفر له كل شيء وتساقطت بلاد المسلمين بأسهل مما تسقط العاصفة أوراقا صفرا لشجرة مريضة قد نخر السوس ساقها وتآكلت جذورها ودب العطب في كل مناحي حضارتها دينيا وفكريا وسياسيا وعلى كل صعيد ..

لقد أوصلتها السنن لأن يتحقق لنا ما أخبر به بن خلدون من قيام الممالك وزوالها واندثارها.. وهكذا شهدت الحضارة نقلتها الرابعة بحسب توينبي كما أسلفنا في الفصل السابق من الشرق الإسلامي إلى أوربا الغربية الصليبية ووريثتها أمريكا.

بداية الحملات الصليبية الثانية :

ويمكن التأريخ للحملات الصليبية الثانية ودفعتها الرئيسية بمطلع القرن التاسع عشر حيث انطلقت حملة نابليون إلى مصر سنة 1789. مع أن انطلاقهم نحو أطراف العالم الإسلامي وتمكنهم من إنشاء رؤوس جسور وقواعد بحرية على شواطئ بلاد المسلمين واحتلال الجزر البعيدة في أطراف العالم الإسلامي يرجع إلى أواسط القرن السادس عشر حيث وصلت بهم الجرأة أن ينشئوا مستعمرات لهم على شواطئ جزيرة العرب وحتى على التفكير في غزو الحرمين كما حاول الأسطول البرتغالي ذلك . ولكن العثمانيين وقوتهم البحرية المسيطرة أفشلت المحاولة. وما لبث العثمانيون أن سيطروا على البحر المتوسط والبحر الأحمر وبحر العرب. وبعد أن سيطر الإنجليز على مستعمرات البرتغال على سواحل إفريقيا والهند والجزر الواصلة إلى الفلبين، وبعد احتلالهم لشبه القارة الهندية، تمكنوا من احتلال السواحل الجنوبية للجزيرة العربية وسواحل الخليج العربي – الفارسي- وأقاموا بالتعاون مع مشيحات الخليج محميات لهم تتبع عمليا التاج البريطاني. ولم يتجرؤوا - لفهمهم الحضاري واستيعابهم- على التفكير في احتلال قلب الجزيرة العربية ولاسيما الحجاز، لوجود المقدسات فيها وخشية وجود الخلافة المركزية(العثمانية) ولو شكليا، وخشية أن يستفز إعلان الجهاد العام من قبلها دفاعا عن الحرمين المسلمين ضد بريطانيا في مناطق هي في غنى عن الصدام معهم فيها.

ثم بدأ التسابق الفرنسي - البريطاني بشكل سافر على قلب العالم الإسلامي جنوب المتوسط في بلاد الشام ومصر وشمال أفريقيا والجزيرة العربية فاحتل نابليون مصر مطلع القرن التاسع عشر وزحف إلى جنوب فلسطين كما احتلت فرنسا تونس والجزائر وأجزاء من شمال مراكش ما بين 1830- 1844م. كما دخلت أسبانيا الصحراء المغربية و منطقة الريف سنة 1860م .

وبلغت الحملات الصليبية الثانية نقطة الذروة بعيد الحرب العالمية الأولى وخسارة الدولة العثمانية للحرب إلى جانب ألمانيا بعد سيطرت الماسون على إدارتها. والحجر على آخر خلفائها السلطان عبد الحميد. فأبرمت معاهدة أو مؤامرة سيكس بيكو سنة 1917 وفي نفس السنة صدر وعد بلفور عن وزارة المستعمرات البريطانية بإعطاء فلسطين وطنا قوميا لليهود بعد أن تسيطر عليها بريطانيا بحسب الاتفاقية التي جعلت فلسطين في حصتها.

وهكذا سقط المشرق العربي كله تحت احتلال جيوش الحملات الصليبية الثانية تحت مسمى الاستعمار الحديث. فدخل الجنرال الفرنسي (غورو) دمشق سنة 1920 واحتلت فرنسا سوريا وكان لبنان ضمنها، ودخل الجنرال الإنجليزي (اللنبي) القدس سنة 1921، واحتل الجيش البريطاني فلسطين وشرقي الأردن والعراق بعد أن غدرت بريطانيا بالشريف حسين ونكثت بوعودها التي كان قد أبرمها معه وزيرها (مكماهون) من أجل كسب معاونته وجر العرب للانقلاب على الأتراك العثمانيين. حيث خدع الشريف حسين وظن أن بريطانيا سوف تعاونه على إقامة خلافة عربية على أنقاض العثمانية تشمل جزيرة العرب والعراق والشام فقاد ما عرف باسم الثورة العربية الكبرى حيث قاتل العرب في الحجاز والشام إخوانهم الأتراك من جنود الخلافة بدعم وتعاون من الإنجليز. وكانت بريطانيا قد احتلت مصر والسودان قبل ذلك فيما آلت ليبيا إلى إيطاليا(1904م).

هذا عن العالم العربي، أما في العالم الإسلامي فقد تقاسمته أوربا الاستعمارية كذلك. فصارت الهند وبلاد السند (باكستان) وإيران تحت الاحتلال البريطاني، ووُضعت تركيا باسم الاستقلال والجمهورية تحت حكم يهود الدونمة بإشراف اليهودي (مصطفى كمال أتاتورك) الذي أقام الجمهورية التركية وأعلن إسقاط الخلافة، وتخلت بذلك تركيا عن إرثها في الدول العربية والإسلامية للعالم الصليبي، فيما تقاسمت فرنسا وبريطانيا الدول الإسلامية في وسط إفريقيا..

أما روسيا فقد انطلق قياصرتها منذ أواسط القرن السادس عشر في حركة استعمارية التهمت الممالك الإسلامية واحدة تلو الأخرى فاحتلت روسيا بلاد القرم والبشكير و تتارستان وبلاد القفقاس؛ الشيشان وداغستان وجورجيا وأذربيجان وانطلقت شرقا لتبتلع تركمانستان و أوزبكستان و طاجيكستان و قيرغيزستان وكازاخستان وكانت قد استولت على سيبيريا بالكامل وحطت جيوش القياصرة رحالها على ضفاف نهر جيحون على حدود أفغانستان سنة 1904 بعد أن كانت قد أسقطت عواصم الإسلام الكبرى؛ مثل مرو و بخارى و ترمذ و سمرقند و طشقند.... ثم ورثت روسيا

الشيوعية بعد الثورة البلشفية 1917 تلك المستعمرات بعد أن قضت على الأسرة القيصرية وكان لليهود الروس دور رئيسي في الثورة الشيوعية فكرا وتنفيذا.

أما بلاد نجد والحجاز فقد استولت عليها بريطانيا بطريقة ذكية تتناسب مع قدسية الحرم. فقد تبنت بريطانيا أميرا شابا من أسرة آل سعود التي كانت قد لجأت إلى الكويت بعد سقوط الدولة السعودية الثانية، حيث تعرفت وزارة المستعمرات على عبد الرحمن آل سعود عن طريق عميلهم الأكبر في الكويت (مبارك الصباح) الذي يدعوه قادة التنصير في جزيرة العرب بـ (مبارك العظيم) جراء ما قدم لهم من خدمات وتسهيلات للتنصير في جزيرة العرب .[1] وهكذا عرضت بريطانيا على عبد الرحمن آل سعود معاونتها لاستعادة ملك أجداده في نجد، فقدم لهم بسبب كبر سنه ولده عبد العزيز سنة 1898، فمولت بريطانيا حملته الأولى على نجد سنة 1901 ثم ونتيجة ما لاقاه من الصعوبات تبنى عبد العزيز فكرة إحياء الدعوة الوهابية وعاود الكرة في السنة التالية. وتمكن بمساعدة بريطانيا التي أمدته بالمال والخبراء والضباط الإنجليز وبسبب زعمه حمل راية الدعوة الوهابية حصل عبد العزيز على مساعدة جماعات (الإخوان) حملة الدعوة الوهابية الذين ساعدوه فتمكن من دخول نجد والاستيلاء عليها. وبعد تفكير عميق تخلت بريطانيا عن (الأشراف) في الحجاز لصالحه لتضع كامل بلاد نجد والحجاز ومعظم جزيرة العرب تحت سلطة عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذي أعلنته بريطانيا سلطانا على نجد والحجاز سنة 1935 لتقوم (الدولة السعودية الثالثة). وأبرم التاج البريطاني مع عبد العزيز اتفاقية تبعية يلتزم فيها بان لا يخرج عن مشورتهم وأوامرهم وأن لا يبرم معاهدة ولا اتفاقا إلا بإذنهم مقابل كفالة التاج البريطاني لعرشه مدة حياته ولأبنائه وراثيا من بعده. ثم أمدت بريطانيا عبد العزيز ليحارب الإخوان وساعدته بالطائرات فقضى على بقيتهم في معركة(السبيلة) الشهيرة، ليخلوا له الجو ويدخل من تبقى من حملة الدعوة الوهابية تحت عباءة سلطانه وملكه.

وبعد أن سيطرت بريطانيا على فلسطين تعاونت بشكل كثيف مع الوكالة اليهودية للهجرة التي أقامتها الحركة الصهيونية. وضخت في فلسطين مئات آلاف اليهود الذين شحنتهم السفن من مختلف الدول الأوربية ولم يكن عدد اليهود الأصليين في فلسطين يجاوز 15000 نسمة عندما احتلتها بريطانيا. وشعر المسلمون بالخطر الداهم وقامت الثورة التي قادها الشيخ عز الدين القسام رحمه الله الذي قدم من الساحل السوري لإحياء الجهاد في فلسطين سنة 1936. واشتعلت المعارك بين المسلمين واليهود، فاستنجدت بريطانيا بعبد العزيز آل سعود لإخماد الثورة. فأرسل ابنه ووزير خارجيته فيصل من أجل إقناع الفلسطينيين بوقف الثورة وإعلان الهدنة. فاقنع فيصل زعمائها بالوثوق بوعود(صديقتنا بريطانيا) على حد زعمه. وهكذا أجهضت الثورة الرئيسية التي

---

[1] أنظر محاضرة (صانعوا الخيام) للشيخ سلمان – رزقه الله – العودة .

وقفت في وجه حملات التهجير والتهويد في فلسطين. ثم تتابعت جهود مختلف الدول الأوربية في دعم وكالة الهجرة اليهودية وإمداد اليهود بالمال والسلاح حتى وصل عددهم سنة 1947 إلى 650 ألف نسمة. وتمت مسرحية دخول الجيوش العربية وهزيمتها في فلسطين سنة 1947 فأعلن اليهود ميلاد دولة إسرائيل لتسارع الجمعية العامة للأمم المتحدة وبمباركة من دول أوروبا وأمريكا وروسيا للاعتراف بها .

وهكذا زرعت الحملات الصليبية الثانية الكيان السرطاني اليهودي في أقدس مقدسات المسلمين واحتل اليهود نصف مدينة القدس بعد أن استولت بريطانيا الصليبية على بلاد نجد والحجاز بصورة غير مباشرة عبر صك الملك الوراثي في عبد العزيز وأبنائه.

إذن ...

لقد سقط العالم العربي والإسلامي برمته تحت الإحتلال الغربي الذي لم يخف هويته الصليبية. فقد صاح الجنرال اللنبي وهو يركز علم بريطانيا ذي الصليبين على قمة جبل الزيتون في بيت المقدس قائلا :(**الآن انتهت الحروب الصليبية**). وكذلك ذهب الجنرال غورو الفرنسي- إلى ضريح صلاح الدين وضرب قبره بالسيف وكسر قطعة منه وقال له :(**ها قد عدنا يا صلاح الدين**). وصرح موسوليني حاكم إيطاليا الاستعمارية بأنه يحمل أمجاد الرومان إلى جنوب المتوسط.. وهكذا كان سلوك باقي الدول الأوربية حيث ذهبت.

واستمرت هذه الحملات في احتلالها المباشر العلني طيلة ما سمي بمرحلة الإستعمار القديم. إلى أن أدت الثورات الجهادية، والحركات التحررية إلى إجبار الدول المستعمرة على تغيير أسلوبها إلى مرحلة الإستعمار الحديث. لتتابع الحملات فتكها بكافة بلاد العالم الإسلامي بشكل أذكى وأدهى. فبدأ إعلان استقلال الدول العربية والإسلامية منذ مطلع الأربعينات وكان آخرها دولة الإمارات العربية المتحدة، التي أعلن (استقلالها!!) سنة 1973. أما الممالك الإسلامية التي احتلها الروس فلم ينفك عن الإحتلال المباشر إلا بعضها عند تفكك الاتحاد السوفييتي سنة 1990.

وكما أسلفت فإن استقلال تلك البلاد كان شكليا. وأدى قيام روسيا وأمريكا كدولتين عظميين إلى أن ترث كل منهما القيام بمهام الإستعمار الحديث في معظم تلك الدول ولم يبق لفرنسا وبريطانيا إلا بعض الفتات الاستعماري هنا وهناك.

وقد سجل التاريخ الحديث أن الثورات الجهادية التي قارعت الاستعمار وواجهت الحملات الصليبية الثانية قد اشتعلت في كافة بلاد العالم الإسلامي، ولم تترك الاستعمار ينعم بالهدوء . فكانت الثورات ما تلبث أن تهدأ لتندلع من جديد. فقد أجبرت ثورات العلماء بريطانيا على الرحيل مبكرا عن أفغانستان ، ثم جلت عن الهند وباكستان بعد احتلال دام قرابة قرنين ، وكذلك أجبرتها ثورات العراق ومصر والسودان وعدن على الرحيل بعد خسائر كبيرة، وكذلك خرجت فرنسا من الجزائر

وتونس والمغرب وسوريا بعد خسائر فادحة . وبـنفس الطريقـة خرجـت إيطاليـا مـن ليبيـا وكـذلك أسبانيا من المغرب... وهلم جرا.

والدارس لمسار الحمـلات الصـليبية الثانيـة يجـد بعـض النقـاط الهامـة في الإخـتلاف وتطـوير الصليبيين لأساليبهم بين الحملتين الأولى والثانية، ومن أهم ذلك:

أن الحملات الصليبية الأولى كانت ذات بعد ديني أساسا ممتزج ببعد اقتصادي ثانوي. في حين كانت الحملات الثانية ذات بعد ديني صليبي واقتصادي استعماري وسياسي من أجـل الصراع عـلى النفـوذ. وكـذلك ذات بعـد حضـاري يقصـد إلى نشر ثقافـة المسـتعمر ونظمـه العلمانيـة في الـبلاد المستعمَرة.

أن الحملات الصليبية الأولى تركزت على سواحل المشرق والشام فقط، في بيت المقدس وأكنافه وسـواحل سـوريا ولبنـان. في حـين اسـتهدفت الحمـلات الصـليبية الثانيـة كامـل بـلاد العـالم العـربي والإسلامي، وتركزت في الشرق الاوسط وفي دعم إسرائيل في بيت المقدس.

أن الحملات الصليبية الأولى استهدفت الأرض باحتلالهـا، في حـين اسـتهدفت الحمـلات الثانيـة احتلال الأرض والإنسان المسلم الذي قصدته بالمسخ والتغيير في كافة أبعاد مكوناته الحضارية.

وهــذه أهــم الملاحظــات؛ وهــي أن الحمــلات الأولى تمــت في حالــة جهالــة تامــة مــن قبــل المستعمرين الصليبيين بالأرض الإسلامية وسكانها وكامل مكوناتهم الحضارية والدينيـة والثقافيـة. في حين تمت الحملات الثانية بناء على معرفة تفصيلية ودراسات متعمقـة مكنـتهم مـن الـدخول عـلى بصيرة توغلوا فيهـا وفـق خـرائط واضـحة المعـالم لـلأرض والشـعوب و تركيبتهـا النفسـية والعرقيـة والدينية وكامل مواصفاتها. وهذه نقطة تحتاج الوقفة التالية:

فماذا كان من شأن المرجعيات الثلاثة في قيادة المجتمعات العربية والإسلامية؟؟

حالة المرجعيات الإسلامية خلال الحملات الصليبية الثانية :

على صعيد المرجعيات السياسية:

كانت قد سقطت تماما بسقوط الخلافة العثمانية عمليا (منذ نهايات القرن الثامن عشر) ثم رسميا (1924م) وكان حال القيادة السياسية لا يقل إن لم يزد سوءا في الغالب عن أحوال أمراء المشرق المتنازعين أيام غزو الصليبيين و التتار. و بالإمكان القول أن المسلمين كانوا بلا مرجعية سياسية عمليا .

على صعيد المرجعية الدينية:

فقد كانت المرجعية ما تزال حية. وتمثلت في تلك المرحلة بأئمة المذاهب الفقهية ، ومراكز الإشعاع الديني ككبريات المساجد في كل بلاد المسلمين. وبرزت في هذه المرحلة الطرق الصوفية كمرجعية دينية في أكثر بلاد المسلمين. حيث كانت الصوفية قد ازدهرت خلال المرحلة العثمانية وما سبقها. وهكذا قام العلماء وأئمة الصوفية بدعوة العامة للجهاد والمقاومة وقادوا تلك الانتفاضات الجهادية بأنفسهم.

على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد كان النظام القبلي العشائري مازال متماسكا في معظم العالم العربي والإسلامي وكان متداخلا جدا مع المرجعية الدينية مما وفر القاعدة الشعبية لوقود الثورة.

وهكذا عمت الثورات على الإستعمار العالم الإسلامي بأكمله. مثل ثورة الإمام شامل في القفقاس على الروس والتي استمرت زهاء أربعين سنة وكذلك ثورات الأوزبك وغيرهم في وسط آسيا والتي أخمدها الروس بكل قسوة ، فتحول المسلمون في جهادهم إلى الحفاظ على دينهم وقومياتهم سرا . وما زالت الثورات تندلع ضد الروس طوال تاريخهم. وكذلك قامت ثورات ضد الإنجليز قادها (علماء الديوبند) وأئمة المذهب الحنفي والطرق الصوفية في شبه القارة الهندية وبلاد السند وأفغانستان التي انتهت بجلائهم . وكذلك واجه الإنجليز ثورات العراق والثورة المهدية في السودان والانتفاضات التي قادها علماء الأزهر في مصر. وكذلك ثورة علماء اليمن على الإنجليز. كما واجهت فرنسا ثورة ضارية في الجزائر وكذلك اعمال مقاومة كثيرة في المغرب وسوريا وبعض البلاد الإفريقية كما قام عبد الكريم الخطابي بجهاد الإسبان وتحالف جيوش أوربا في الريف المغربي وهزم في معركة أنوال الشهيرة جيوش خمس دول أوربية مجتمعة أسر فيها آلاف الجنود وأكثر من مئة جنرال. وكذلك قاد عمر المختار و السنوسيين الجهاد ضد إيطاليا في ليبيا لأكثر من أربعين سنة. .. وكذلك كان الأمر في مختلف بلدان العالم الإسلامي.

وهكذا ورغم غياب المرجعية السياسية، تمكنت المرجعيتان الدينية و الاجتماعية من لم شمل الأمة ، وإطلاق المقاومة عبر حروب العصابات الجهادية وأنواع المقاومة المدنية والعصيان وأعمال

التظاهر والكفاح السياسي . مما أدى في نهاية المطاف إلى إجبار المستعمرين على الرحيل وإعطاء تلك البلاد استقلالها. ولكن بعد أن تمكن الاستعمار من وضع أسس المرحلة التالية من الحملة الصليبية الثانية بأسلوب ماكر خبيث.وهو ما عرف باسم الاستعمار الحديث.

وكانت معادلة القوى في صراع المسلمين مع الحملات الصليبية الثانية خلال مرحلة الاستعمار العسكري إلى الاستقلال بعد أن دخل اليهود فيها بشكل أساسي منذ الحرب العالمية الأولى فصارت المعادلة على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ⟵ انتصرت أمة الإسلام

ومرة أخرى يمكننا القول هنا أن المقاومة والمواجهة لم تكن من فعل عصابات محدودة ولا تنظيمات سرية ولا نخب عقدية فقط وإنما شملت أمة الاسلام في كل قطر حيث التفت حول زعماء الجهاد والثورة. فلما كانت قضية الصراع قضية أمة في مواجهة أمم تأهلت الأمة للانتصار ورحل الاستعمار.

وهنا ينتقل الحديث إلى مرحلة الاستعمار الحديث ما بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة والتي تناولتها في المحاضرات السابقة التي غطت هذا البحث تحت عنوان المرحلة الثانية من الحملات الصليبية، ثم أجد الآن أنها مرحلة مستقلة مهدت للحملات الثالثة ولذلك سأتناولها هنا بعنوان مستقل هو ما يلي.

● مرحلة الاستقلال السياسي (الشكلي) وقيام الاستعمار الحديث :

خلال المرحلة الممتدة ما بين حصول الاستقلال في البلاد العربية والإسلامية، وقيام النظام العالمي الجديد (1990) أي منذ الأربعينات إلى السبعينات بحسب استقلال الدول وإلى سقوط الاتحاد السوفيتي وتفرد أمريكا بإدارة العالم وقيادة الروم المعاصرين. تحولت الدول الأوربية وروسيا وأمريكا اللتان دخلتا على خط الاستعمار تحولت إلى مرحلة عرفت بمصطلح الإستعمار الحديث. والذي لم تنفك منه بلاد العرب والمسلمين إلى يومنا هذا. حيث ورثت أمريكا وإدارتها الصهيونية مهمة قيادة الحملات الصليبية الثالثة كما سنبين لاحقا إنشاء الله.

أما عن هذه المرحلة ، فاستكمالا لما كان المستعمرون الأوربيون قد قرروه من الغزو الفكري للمسلمين من أجل إحكام السيطرة عليهم. لم يضيع المستعمرون الوقت واستفادوا من تجربهم السابقة وما أسسوه من مشاريع التبشير والاستشراف والاستعمار. فقد قدمت مع جحافل الاحتلال الأولى وسائل الغزو الفكري والثقافي . فافتتحت المدارس التبشيرية والجامعات الغربية وأنشئت

المطابع والأندية الاجتماعية والثقافية ، والصحف ودور النشر ونشر الاستعمار أفكار التغريب والعلمانية وأنشأ الأحزاب الوطنية على أساسها ليؤهلها لمرحلة الاستقلال. وشجع الاستعمار عبر النشاطات الأدبية والفكرية والثقافية عمليات التغريب، كما فتح الباب على مصراعيه لخروج الشباب المثقف إلى الدول المستعمِرة من أجل إكمال دراساتهم الجامعية والعليا. ليعودوا محملين بأفكاره وثقافته وقد بهرتهم حضارته وملئت قلوبهم وعقولهم ولم يبق لهم من النسبة إلى أمتهم إلا لون البشرة ولغة اللسان !! وقد أسفرت هذه الجهود عبر مرحلة الإستعمار التي استغرقت عقودا في بعض البلاد ، وجاوزت القرن في بلاد أخرى كما في الجزائر وشبه القارة الهندية، بل أكثر من ذلك في مناطق أخرى كوسط وأطراف آسيا وبعض بلاد أفريقيا. وأثمرت هذه الجهود الاستعمارية بالغة الذكاء عن نتائج غاية في الأهمية كونت مقومات الاستعمار الحديث ومهدت للحملات الصليبية الثالثة. ومن تلك النتائج:

أنشأ المستعمر على عينه نخبا سياسية في بلادنا وأهلها لتحل محله و تسهر على حراسة مصالحه وتقوم بأعبائه بأبنائنا، فتحقق له المكاسب ولا يتحمل خسائر المواجهة مع المقاومة. لأن هذه النخبة الوطنية تبدو أمام شعوبها راعية الاستقلال.

إختار الإستعمار بحسب أحوال كل بلد شكل السلطة؛ إما أسرا حاكمة تتوارث الملك كما في بلاد جزيرة العرب والأردن والمغرب بكفالته وإشرافه. وإما أحزابا سياسية تتدوال السلطة عبر حياة نيابية مسرحية كما في الهند وباكستان وبعض الدول العربية. في حين اختار طريقة الانقلابات والدكتاتوريات العسكرية لبلاد أخرى،كما مصر وسوريا والعراق. كما أوجد نوعا من الدكتاتوريات المدنية في صنف ثالث. لتتولى تلك السلطات الحكم من بعد رحيله فيما عرف بمرحلة الإستقلال.

أشرف المستعمر عبر تسليط الضوء الإعلامي والمسرحيات السياسية والعسكرية أحيانا على صناعة هذه النخب التي قرر الاعتماد عليها لتبدو أمام شعوبها وكأنها صانعة الإستقلال. وتمت سرقة الجهود الجهادية التي قام بها العلماء والمرجعيات الدينية والشعوب التي جاهدت تحت شعار الإسلام من أجل تحقيق الاستقلال. وهكذا سارت المظاهرات المصفقة من قطعان البشر التي مسخها الاستعمار مع الوقت لتحمل أفكار القومية والوطنية وتنتمي إلى تيارات الفكر السياسي الغربي من اشتراكية وديمقراطية وشيوعية ولبرالية رأسمالية وسواها . وهكذا أعلن الإستقلال الشكلي في بلادنا وطبّلت الشعوب وزمّرت للأصنام المصطنعة التي حملت على عاتقها مهمة استمرار المرحلة الثانية من الحملات الصليبية الثانية وسيطر الاستعمار الحديث على بلادنا بشكل كامل.

ربط المستعمر هذه الأنظمة التي صممها ورسم حدود بلادها وشكل بنيتها به عبر أساليب عديدة من أهمها إقامة القواعد العسكرية لجيوشه في أكثر تلك البلاد بحيث يستطيع نشرها وإعادة السيطرة متى شاء ومن أجل استخدامها في صراعاته الدولية. كما ربط تلك الأنظمة والبلاد

(المستقلة!) بالمعاهدات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية والأمنية بطريقة تضمن له تبعيتها أكثر من فترة الاستعمار العسكري.

أقام المستعمر عبر شركاته الاحتكارية الكبرى، وما قيدنا به من الاتفاقيات الإقتصادية وما وضعنا به تحت الإشراف القسري بمؤسسات النقد الدولي، ما شكل عمليا إخطبوطا أمسك بكافة مقدرات بلادنا وضمن له نهب ثرواتنا ولاسيما النفطية والغازية والثروات المعدنية. و أنشا مع عملائه وشركائه من أبناء وطننا الذين تكونوا من رجال السلطة وكبار التجار. وبهذا قام الإستعمار الاقتصادي بامتصاص دماء شعوبنا وقوت أبنائنا. ليحصل على ما جاء من أجله بجيوشه الجرارة ولكن دونما خسائر ولا عساكر في هذه المرحلة.

نشر المستعمر مؤسسات التنصير وحماها. فتعرضت بلاد العالم الإسلامي لحملات كثيفة من التنصير لم تثمر في قلب العالم الإسلامي والعربي إلا عن تشكيك بعض المسلمين بدينهم وإضعاف ارتباطهم به ولكنها نجحت في أطراف العالم الإسلامي كأواسط إفريقيا وجنوب شرق آسيا كالفلبين وإندونيسيا وبنغلادش وبورما حيث تنصر عشرات الملايين من المسلمين!.

عمل الإستعمار الحديث عبر نوابه الأشاوس هؤلاء! على استبعاد الشريعة الإسلامية والحكم بما أنزال الله في بلاد المسلمين. وقام أبناؤنا الذين تخرجوا من كليات الحقوق والقانون في جامعات الغرب، بوضع دساتير وتشريعات و قوانين مبنية على أصول القانون الغربي والحضارة الرومانية ودساتيرها الوثنية. وقام هؤلاء (المشرّعون) الذين اغتصبوا (حق الألوهية والتشريع) بسن القوانين وصياغة الدساتير التي استمدت من القانون الفرنسي والبريطاني وصارت أساس بنية السلطات والهيكل السياسي في بلاد المسلمين.

عمل المستعمر نتيجة دراسة متعمقة لشعوبنا ومكوناتها الدينية والاجتماعية والحضارية عموما على تحطيم المرجعيات الثلاثة التي تحدثنا عنها والتي تولت هزيمته في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية:

فأما المرجعية السياسية:

فقد أسقطت الخلافة ثم تولى المستعمر بنفسه المرجعية السياسية . ثم تولى تسليمها إلى من نصبهم من الملوك والرؤساء والأمراء والسلاطين ليتبعوه في كل شيء فيحكمون بقوانينه ، ويقيمون نظامهم السياسي على أصوله ، ويبنون أفكارهم وأحزابهم على أفكاره المستوردة ، ويرتبطون به بكل أواصر الولاء والمودة. وهكذا دمرت المرجعية السياسية للمسلمين وغابت نهائيا منذ سقوط الخلافة حتى بشكلها الرمزي 1924 م.

وأما المرجعية الدينية :

فقد ركز المستعمر حربه على المساجد والعلماء والهيئات الدينية المستقلة عند الحكومات كالأزهر في مصر، وجمعيات علماء الإسلام ومؤسساتهم المختلفة ... فاستمال نوابه عبر سيف المعز وذهبه كثيرا من أقطاب الوسط الديني ورجالاته وعلمائه. واستحوذت حكومات الإستقلال بعد الإستعمار على المؤسسات الدينية ودمجتها في وزارة سميت وزارة الأوقاف أو الشؤون الدينية أو ما شابهه..

وأنشأت أكثر الحكومات مرجعيات دينية منافقة تعمل بأمر السلطان وتصدر الفتاوى المفضلة بحسب الإرادات الملكية والرئاسية كما حصل لإدارة الأزهر في مصر والزيتونة في تونس وهيئة كبار العلماء والأمر بالمعروف والقضاء الأعلى والدعوة والإرشاد في السعودية وقس عليها ما جرى في سواها.

وعمدت أجهزة الإعلام وسياسات الدولة إلى تشويه كل من أبى من العلماء المخلصين وأئمة المساجد المستقلين والعلماء وطلاب العلوم الشرعية فقطعت أرزاقهم وحاصرتهم ماديا ومعنويا ، ومع الوقت حولتهم في نظر المجتمع (المتحضر) كما يسمونه ويروجون في الإعلام إلى نموذج مضحك من التخلف والنفعية والبعد عن الواقع .... وهكذا راقبت الحكومات المساجد وفرضت خطب الجمعة واستوعبت بشكل أو بآخر هذه المرجعية الدينية التي كانت الملاذ الأخير للأمة. ونجحت هذه الخطة الاستعمارية بشكل متفاوت بحسب بلاد المسلمين فقد كان نجاحها باهرا في العالم العربي ولاسيما الشام ومصر وشمال أفريقيا وبلاد الجزيرة. وكان تاما كاملا كما في تركيا في . حين كان أقل من ذلك في بعض البلاد ، ومحدودا كما في أفغانستان و الباكستان وما شابهها من الظروف... ولكن بالإجمال .. تم تدمير أو شل المرجعية الدينية الكلاسيكية التي حفظت للمسلمين المحرك الوجداني للمقاومة عبر التاريخ.

ومن الإنصاف أن نقول ونذكر أنه رغم الدور البارز الذي لعبته المرجعيات الدينية في مقارعة الإحتلال إلا أنها كانت ومنذ المرحلة العثمانية تسير نحو التخلف وتعتريها الأمراض و العلل على صعيد انتشار البدع والطرق الصوفية الغالية والمتحللة والداعية إلى الخنوع. كما أصاب المرجعية الدينية عموما البعد عن المنهج العلمي الشرعي والتخلف في مجالات الإبداع و الاجتهاد. مما سهل على المستعمر والحكومات عزلها وتفكيكها مع الوقت. بل استطاع المستعمر أيام الاستعمار أن يستميل كثيرا منها إلى صفه ويكون طبقة من علماء الاستعمار تضاهي طبقة علماء السلطان وتجاوزها في الاثر والضرر على الأمة وبدا أن هذه المرجعية الدينية ذاتها بحاجة إلى ثورة تجديد تعيدها لأصولها الصحيحة ونضارتها وجدارتها التاريخية.

أما على صعيد المرجعية الاجتماعية:

فقد تم تفكيكها مع قيام الدول الحديثة والمدن الكبرى وهجرة العمال والطلاب والموظفين من الأرياف إلى المدن بسبب طبيعة المجتمع المدني المعاصر، مما أدى لتحلل القبائل وضعفت الروابط العشائرية وتهلهلت وعجزت عن أن تكون رابطة عصبية تمكن زعماءها ورؤوسها من لعب دور مركز ثقل في الأحداث والتغيرات السياسية . وقد تفاوت هذا التحلل من بلد لآخر. ففي حين ما تزال القبلية مسيطرة قوية في بعض البلدان مثل أفغانستان واليمن وبعض أطراف جزيرة العرب وإفريقيا .. تفككت هذه الروابط بشكل شبه كامل ، وغاب أثر هذه المرجعية تماما وزال في معظم باقي الدول نتيجة التحولات الاجتماعية والاقتصادية المعاصرة .

وهكذا قامت أنظمة الردة في العالم العربي والإسلامي لتتولى حكم شعوبها بالحديد والنار وتقوم بكافة مهام الإستعمار لصالحه من أجل الحفاظ على عروشها.

فمن الذي واجه مصائب هذه المرحلة الماكرة من الحملات الصليبية الثانية بإدارة نوابها من الحكام المرتدين ؟ لاسيما بعد تحطم الهياكل الأساسية لمرجعيات الأمة وانهيار مقومات الصمود والمقاومة فيها؟!

لقد قامت بعض الأحزاب المعارضة لأنظمة الحكم هذه. بمناوأة الإستعمار في أهدافه السياسية والاقتصادية. ولكن معظم تلك الأحزاب قامت أيضا على نفس الأفكار الوافدة من الغرب. وتبنى معظمها في العالم العربي والإسلامي الإيديولوجيات القومية اليسارية أو الليبرالية الديمقراطية.. ولأن هذه المعارضات هي أيضا صنائع إستعمارية من الناحية الفكرية، أمكن للمستعمر أن يستعملها ويوظفها أو يقضي عليها، أو يعطيها فرصة استلام السلطة للانقلاب على الحكم القائم واستبداله بحكم جديد من تلك الأحزاب العلمانية والمعارضات السياسية. كما حصل في سلسلة الانقلابات العسكرية في سوريا ومصر و الباكستان والجزائر والعراق واليمن وليبيا، وفي كثير من البلاد الإفريقية أو في جنوب شرق آسيا.. وفسح الاستعمار المجال لشيء من التبادل الديمقراطي للسلطة في بعض البلاد. فحلت أحزاب المعارضات محل أحزاب الحكومات بالتداول، ولكن الحال العام ومقومات الارتباط بالاستعمار لم تختلف في شيء يذكر. في حين حافظ الإستعمار الحديث على قبضته بالاستغلال الاقتصادي وامتصاص الثروات وعلى سيطرته على مركز الإشعاع الصليبي والفكري الغربي عبر حكومات بالية حفظ لها شكلها الخارجي وحكم كل شيء من خلالها، ولم يسمح لأي شكل من أشكال التداول الحقيقي للديمقراطية التي طبقت في بلاده.

لقد شهد العالم العربي والإسلامي خلال مرحلة الخمسينيات والستينيات والسبعينيات تنامي المد القومي واليساري إلى أقصى حالاته، حيث وصل للسلطة في العديد من البلدان ، فأدخل البلاد حيث وصل في حالة من التبعية للاتحاد السوفييتي مع شيء من الموازنة مع المصالح والارتباطات مع

الغرب كما حصل في مصر والجزائر وسوريا واليمن الجنوبي والصومال وغيرها. وشهدت مرحلة الحرب الباردة والصراع بين القطبين حالة انعكست على بلادنا بالاضطراب السياسي نتيجة تبعية الأحزاب القومية والوطنية واليسارية وكذلك الليبرالية بحسب تبعيتها للشرق أو للغرب. بحسب صراع تلك البيادق على السلطة والنفوذ والعمالة للجهات الخارجية التي تمدها بالدعم المادي أو المعنوي والسياسي من أجل الوصول لسلطة.

وهكذا عانت الشعوب الإسلامية من كافة تلك الخيارات التي سمح لها الشرق أو الغرب الصليبي بالتنافس. في حين حكمت جميعها بأمر من أسيادها على التوجهات الإسلامية بالإقصاء ومنعتها من أن تشكل مرجعية دينية تنهض بالأمة إلى مستوى مواجهة الانهيار الذي غدا شاملا في كل منحي الحياة ...

وخلال هذه الفترة تمددت إسرائيل لتلتهم باقي فلسطين والشطر المتبقي من القدس بل ولتحتل أجزاء من الدول العربية المجاورة تزيد مساحتها على ستة أضعاف مساحة فلسطين عبر حروب مسرحية كان أهمها نكسة (5 يونيو حزيران 1967) . حيث أصبحت إسرائيل بعدها واقعا مريرا يستنزف مقدرات الأمة ويمرغ كبرياءها ويرهق واقعها السياسي ويوفر لفراعنتها مادة المزايدات على شعوبها.

ولأن الله تعالى قد قضى بحفظ دينه وكتابه وببقاء طائفة ظاهرة على الحق في هذه الأمة تقاتل على هذا الدين لا يضرها من خذلها ولا من خالفها وهم على ذلك، نشأ في هذه الأمة ومنذ الأيام الأولى لسقوط الخلافة، بذور الصحوة الإسلامية والنهضة المباركة في هذه الأمة على شكل مدارس متنوعة المناهج والمشارب. ولكنها تسعى لهدف واحد هو إعادة الأمة إلى دينها وشريعتها وحكم ربها. وسأترك التفصيل في ظاهرة الصحوة للفصلين القادمين. ولكن أكتفي هنا بذكر معادلة المواجهة وأطراف الصراع في تلك الفترة بين الصليبيين وقوى المقاومة في هذه الأمة.

فقد انتشرت ظاهرت الصحوة الإسلامية بأشكال شتى، فكان أبرزها ما قام على شكل أحزاب سياسية دخلت المعترك السياسي سعيا إلى السلطة من أجل تطبيق الشريعة. وقام بعضها على شكل مدارس فكرية عقدية أو شكل جمعيات أو جماعات إصلاحية تهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع كي يتأهل لحكم الشريعة، في حين قامت في أماكن أخرى على شكل أئمة وخطباء شعبيين وعلماء عامة ودعاة إصلاح.. ووصلت في بعض الأحيان لتأخذ شكل المواجهات المسلحة مع الحكومات المرتدة . وكان لهذه الظاهرة إنتاجها الأدبي وكتابها ومفكروها ورموزها، وانعكس الصراع الحضاري على كثير من شرائح المجتمع بالرغبة بالتدين وانتشرت مظاهر الحجاب واللحى وانتشر الكتاب الإسلامي وبعض العادات والأعراف الدينية التي بدأت تغزو كافة المجتمعات العربية والإسلامية.

وأحس الغرب الصليبي والشرق الملحد الداعم لأنظمة الحكم المختلفة بالخطر، ودق ناقوسه وأوعز للحكومات بدء حملات المواجهة والتصفية لهذه البذرة الحية الناشئة، لقطع جذورها قبل أن يسمق جذعها وتورق أغصانها وتوتي أكلها... وهكذا تحول الصدام في الأمة من كونه مع الإستعمار مباشرة ليصبح صداما بين أفراد وجماعات الصحوة وبين الحكومات المرتدة صنيعة الاستعمار واتخذ هذا الصدام أشكالا عديدة من القمع والسجون وحل الأحزاب وإغلاق الصحف والجمعيات .... ووصل في بعض الأحيان إلى مواجهات مسلحة عنيفة.

وخلال الفترة الممتدة من بدايات الاستقلال وإلى قيام النظام العالمي الجديد وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا.كانت بلاد العالم الإسلامي جميعها تقريبا ميدانا مختلف السخونة والغليان لهذا الصراع الذي صارت معادلته بعد دخول طرف جديد فيها على الشكل التالي:

أمة الصليب + أمة اليهود + طائفة(حكام) الردة × الصحوة الإسلامية ⟵ هزمت الصحوة

والملاحظ على هذه المعادلة أمور في غاية الأهمية،غيرت طبيعة قوى الصراع ونتيجته عما حصل في الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية ومن ذلك:

أولا: اختفاء دور الصليبيين واليهود في المواجهة المعلنة ليصبح إدارة ودعما من وراء الستار وتصدرت طائفة الردة بقيادة الحكام من أوليائهم لمهمة المواجهة.

ثانيا: خروج الأمة وشعوبها من المواجهة لعدم ظهور العدو الحقيقي ، وأخذ الصراع شكلا من أشكال الفتنة والاقتتال بين الحاكم وبعض طبقات المحكومين.

ثالثا: وقوع مهمة المواجهة مع هذه القوى الجبارة على عاتق الصحوة الإسلامية التي لم تكن تشكل إلى قوى جزئية تعد بالعشرات أو المئات أو الآلاف على أحسن الأحوال بحسب كل بلد مما أدى إلى سحقها أو إخراجها عن مسارها وإفشالها في تحقيق أهدافها.

رابعا: برز الدور الهام في هذه المرحلة من الصراع للمؤسسة الدينية الرسمية وكتيبة علماء السلطان لتؤكد وتساعد على خروج الأمة من المعركة وانحصارها في الفئات القليلة للظاهرين على الحق. حيث قامت هذه المؤسسة بإصباغ صفة الشرعية والشهادة بالإسلام والإيمان على الحكام المرتدين وأضفت عليهم لقب (أولياء أمور شرعيين) وبالتالي أكدت القناعة لدى العامة بأن الخروج عليهم حرام وأن مواجهتهم فتنة وأن علاقتهم بالغرب وما يبرمون من المعاهدات الاستعمارية هي ضمن صلاحياتهم بصفتهم أئمة شرعيون. وهذا ما باركه الغرب وسعى إلى تحقيقه.

وهكذا تصاعدت وتيرة الصدام بين تلك الحكومات والصحوة الإسلامية بمختلف مدارسها ولاسيما المدرسة الجهادية المسلحة منذ أواسط الستينات. ولكن الذي حصل في نهاية هذا الصراع أنه

لم يأتي عام 1990 إلا وقد دحر نواب الإستعمار وطلائع الصليبيين من حكامنا المرتدين قوى الصحوة بمساعدة أسيادهم المستعمرين وبدعم استراتيجي من أجهزتهم الدينية المنافقة وآلاتهم الإعلامية الرهيبة، حيث استطاعوا دحر مختلف مدارس الصحوة الإسلامية وإيصالها إلى الفشل عمليا ومنعها من تحقيق أهدافها وحشرها في عنق زجاجة الأزمة. في حين وقفت شرائح الأمة من هذه المعركة المصيرية موقف المتفرج بكل بلادة تتجرع القهر وتتقلب في ألوان الاضطهاد وتعيش نكد العيش.

ومن المفيد جدا أن نعرض لخلاصة البرنامج الاستعماري في الغزو الفكري منذ بداية الحملات الصليبية الثانية بقيادة أوربا ،وإلى قيام الحملات الصليبية الثالثة الأخيرة بقيادة أمريكا .

- **مسار المأساة وأسبابها بين الحملتين الصليبيتين الثانية والثالثة (1798 م - 1990م)**

سأعتمد في بناء هذه الفقرة على بعض الكتب البالغة الأهمية التي لخص فيها شيخنا الشهيد عبد الله عزام رحمه الله خلاصة أسباب وطبيعة الإنقلاب الشامل الذي حصل في أحوال العرب والمسلمين خلال هذه الفترة . وهي كتاب (**خط التحول التاريخي**) ، وكتاب (**أضواء على القومية العربية**) وكتاب (**السرطان الأحمر**) . حيث تشكل مادة هذه الكتب أساسا في فهم أسباب ما نحن فيه مما نعيشه اليوم ، وفهم برامج الحملات الأمريكية الحالية ، التي سرعان ما يكتشف المرء بقراءته لهذه الكتب :

أن برنامج الأمريكان اليوم مطلع القرن الحادي والعشرين ، حول الشرق الأوسط الكبير ، وبرامج تغيير المناهج التعليمية والدينية ، وبرامج رامسفيلد) (لحرب الأفكار) .. ما هي إلا عبارة عن تطبيق مكرر- ولكن بحماقة – لبرنامج الإستعمار الأوربي خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر من قبل .

حيث سأنقل مقاطع واسعة منها باختصار وتصرف طفيف، وأضع تلك النقول بين قوسين [..] مشيرا إلى مكانها في المصدر وهو: (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن عبد الله عزام) ، وأضع تعليقاتي وإضافاتي في ثناياها بين قوسين {..}. وقد كفتني كتبه الثلاثة هذه – رحمه الله رحمة واسعة - عن العودة اللازمة لعشرات المراجع التي تغطي تاريخ وأحداث تلك الفترة ، وهو أمر غير متيسر لي الآن ونحن نعيش مرحلة المخابئ والمطاردات الأمريكية - أخزاهم الله - .. وأعيد التنويه

إلى أن تراث الشيخ عبد الله يحتوي من الكنوز السياسية والفكرية والشرعية ما يجعله ركنا أساسيا للتربية الفكرية والمنهجية للمجاهدين في هذا الزمان . فجزاه الله ما هو أهله .

قال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله :

لقد شهدت المنطقة الإسلامية خلال القرون الثلاثة الماضية ، تغيرا بدأ بطيئا ثم أخذ يشتد تدرجيا حتى إذا بدأ النصف الأول من القرن العشرين بلغ التغيير قمته ، وأصبح سبيل التقليد للغرب عارما . حتى أصبح الناظر لأول وهلة يحسب أن هذا السيل الجارف لا يمكن الوقوف في وجهه ، وأن محاولة التصدي له هو ضرب من العبث الضائع أو الانتحار الواضح . وكانت معركة التغيير على ثلاثة أطوار:

الطور الأول: اللقاء بين الغرب والشرق في ميدان القتال.

الطور الثاني: المعركة بين الغرب والشرق في ميدان الفكر و الثقافة والدين.

الطور الثالث: المعركة بين أبناء الشرق أنفسهم في ميادين الفكر والدين و السياسة.

(1) - أما الطور الأول:

فكان للغرب صولات وجولات إبان الحروب الصليبية ، ثم انتهت بهزيمته نهائيا وخروجه مهزوما مدحورا .

(2) - أما الطور الثاني:

فقد اتبع الغرب أساليب عديدة ، واستعمل وسائل كثيرة لإماتة المسلمين موتا بطيئا ، وكان هدفه في هذا الطور غسل أدمغة المسلمين من إسلامهم وإخراجهم بهدوء من دين الله إلى دين الطاغوت ، دون إثارة ضجة ولا صخب.

وتولت الأجهزة الغربية تربية طبقة بديلة لهم في جميع المجالات ، وسلمت مقاليد الأمور لهم ، وأبعدت الصادقين عن أجهزة التوجيه والبناء وأصبحت دوائر التعليم والإعلام – الصحافة والراديو ومن ثم التلفزيون – بأيدي الطبقة المنسلخة عن الشرق (المسلم) المعلنة لولائها للغرب (الصليبي الملحد).

ويمكن أن تتخلص مهمة هذه الفترة بكلمة جب – المستشرق الإنجليزي –:

(هذا – التعليم – هو السبيل الوحيد لفرنجة البلاد الإسلامية وتغريبها ، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها ، وحينئذ يمكن الجلاء عن أرضها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل).

وكذلك تمثلها كلمة (لورد ميكالي) رئيس اللجنة التعليمية في الهند –:

(يجب أن ننشيء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين الملايين من رعيتنا وستكون هـذه الجماعـة هندية اللون والدم إنجليزية الذوق والرأي واللغة والتفكير).

وهي نفس كلمة (اللورد ليد) – المعتمد البريطاني عن كلية فيكتوريا سنة (1936م):

(ومتى تسنى للجمهور بأن يعرف هذه الكلية يتنبه الآباء أن تعليم أولادهم فيها ينمي فيهم من الشعور الإنجليزي ما يكون كافيا لجعلهم صلة للتفاهم بين الشرقي والغربي).

(3) – أما الطور الثالث:

(طور الإستقلال الوطني) كما يحلو لهم أن يسـموه ، ومجـيء الأنظمـة المحليـة ، والعسـكرية بالذات ، فقد كان هذا الطور أشد الأطوار تأثيرا ، وفرضت الحضارة الغربية بـالقوة العسـكرية التـي تسمى بالوطنية والتقدمية والشعبية ، وهذه الأنظمة التي جاءت بضـجة الزفـاف الـوطني ، والتـي قدمت إلى الأمة بأهـازيج شـعبية حماسـية ، وتحـت هـذا الضـجيج والصـخب قـام أبنـاء الـوطن – المسـتغربين – الحـاكمين بنصـب المشـانق وسـحق المبـادىء و اجتثـاث القـيم ، و إبـادة العلـماء والمخلصين.

ولقد لقي الصادقون من أبناء جلدتهم الحاكمين – من العذاب والاضطهاد – أضعاف أضـعاف ما رأوه أيام الإنجليز والفرنسيين ، ويكفي أن نضرب أمثلة لهذا:

ما لقيه الباتان على يد أمان الله خان في أفغانستان .

ما لقيه الأكراد على يد مصطفى كما أتاتورك في تركيا.

ما عاناه الإخوان المسلمون على يد عبد الناصر وزبانيته في مصر.

وما يواجهه الصادقون على أيدي الأنظمة العسكرية المنبثة في أرجاء العـالم العـربي والإسـلامي فهي نسق واحد و نموذج واحد في محاربة الحق وأهله ينسـجون عـلى منـوال سـابقيهم ويسـيرون على نهجهم.

وإن صورة القسوة والوحشية التي عامل بها الغرب أبناء المسلمين لتبدو هزيلة صغيرة بجانب الصورة التي عاملهم بها الحكام المحليون (الإنجليز السمر).

خطوط التغيير:

هذا وقد سار التغيير في العالم الإسلامي في خطوط ثلاثة متوازنة:

<u>1- الخط الأول: خط الإفساد الأخلاقي.</u>

<u>2- الخط الثاني: خط محاربة مصادر التشريع الإسلامي وتمييع النصوص.</u>

<u>3- الخط الثالث: خط التمزيق الأمة الإسلامية.</u>

أما الخط الأول: الإفساد الخلقي:

فيتخلص في كلمة زويمر – رئيس المبشرين – في مؤتمر القدس سنة (1934م):

(... نريد أن نخرج جيلا لا صلة له بالله ، ولا صلة له بالأخلاق التي تقوم عليها الأمم).

فكان التركيز على المرأة وإخراجها ، وعمل الإتحادات النسائية والمسرح والغناء والتمثيل ومعاهد الفنون الجميلة ، والمعاهد الرياضية للبنات ، ونشر العري والمسا بح ودور الأزياء ، والصورة العارية ، ودكاكين التجميل . حتى أصبحت المرأة كما قال (موروبيرجر) في كتابه – العالم العربي اليوم: (**إن المرأة المسلمة المتعلمة هي أبعد أفراد المجتمع عن تعاليم الدين وأقدر أفراد المجتمع على جر المجتمع كله بعيدا عن الدين).**

وقد بدأت ثورة المرأة على الإسلام بوضوح في مصر إبتداءا من منيرة ثابت :(أول صحفية مصرية) والتي يسمونها (الفتاة الثائرة) وكانت صديقة لسعد زغلول وتستطيع أن تتدخل في توجيه دفة الحكم.

ثم جاءت هدى شعراوي وقامت في ثورة سنة (1919) بمظاهرة نسائية ، وأحرقن الحجاب في الشوارع العامة . وكانت (صفية زغلول) زوجة سعد زغلول أول زوجة زعيم تظهر سافرة في المحافل العامة وسمت نفسها على الطريقة الإنجليزية باسم زوجها وأطلقت على نفسها لقب (أم المصريين).

ولقد كان زوجها سعد زغلول زعيما من زعماء الحركة النسائية ويقول: (لقد شاركت صديقي قاسم أمين في أفكاره التي ضمنها كتابه (المرأة الجديدة).

وصدرت الصحف تدافع عن حقوق المرأة منها (فتاة الشرق) ومجلات (الهلال) و(المقتطف) و(المصور).

ونادى (لطفي السيد) بالتعليم المختلط وفرضه على الجامعة المصرية . ولذا فقد أشادت (هدى شعراوي) بهذا الفعل ، ثم أ يده طه حسين وسمير القلماوي .. وغيرهم .

وفي تركيا سنة (1929) صدر قرار حرَّم تعدد الزوجات وقضى على الحجاب ، ونظام الحريم ، وقانون الطلاق وخرجت المرأة في مدن تركيا باللباس العاري.

وفي سنة (1965) أصدر الحبيب بورقيبة قرارات مشابهة في تونس.. وهكذا في باقي البلاد .

أما الخط الثاني: (التشكيك في مصادر التشريع الإسلامي وتمييع نصوصها)

فقد تمثل في الهجوم على:

القرآن نفسه: وتميز القرآن المكي ، والتشكيك بالمدني وسلخ القرآن عن الوحي ، واعتبار الوحي انفعالا نفسيا وحالات عصبية.

وكان أول من جاهر من ذراري المسلمين بإنكار ربانية القرآن ورفع عقرته بجحود المصدر الإلهي للقرآن هو(طه حسين) في كتابه (الشعر الجاهلي) الذي اتبع فيه مصدر التشكيك الذي ورثه عن ديكارت.

السنة المشرفة: وقد كان التركيز في عدائها لتحطيمها كمصدر أساسي لشرح القرآن وبيان مجمله وتقييد مطلقه وتخصيص عمومه.

وقد جاء الهجوم على السنة من نواح كثيرة أهمها:

التعرض لشخصية الرسول صلى الله عليه وسلم والنيل منها.

التركيز على صحيح البخاري باعتباره أصح كتاب بعد كتاب الله والتشكيك فيه: وقد كتب (أبو ريا – أضواء على السنة المحمدية –) (وصالح أبو بكر – الإسرائيليات في البخاري –) وكتبت مجلة العربي (راجعوا البخاري فليس كل ما فيه صحيح).

التركيز على النيل من شخصية أبي هريرة كأكثر روا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم – رواية - . والطعن بشخصية السيدة عائشة كمصدر غني من مصادر نقل هذا الدين.

والآن هناك دعوة عريضة تتبناها بعض الأنظمة مثل (القذافي) في ليبيا لنبذ السنة نهائيا.

اللغة العربية: باعتبارها لغة القرآن فنادوا:

نبذ قواعد اللغة (النحو والصرف) وقد نادى بهذا سلامه موسى ، وطه حسين ، وتوفيق الحكيم صاحب قاعدة (سكِّن تسلم).

العامية بدل الفصحى: ابتداء من (ونلهلم سبيتا) (الألماني: مدير دار الكتب المصرية) ، ثم (ويلمور) القاضي الإنجليزي ، و(نليكوكس) – المهندس الزراعي الإنجليزي – وأخيرا جاء سلامة موسى ، و قاسم أمين ، ثم كتب بالعامية المصرية كل من يوسف السباعي وإحسان عبد القدوس.

اتخاذ الأحرف اللاتينية بدل العربية: ونادى بهذا عبد العزيز فهمي – مصر – وسعيد عقل – لبنان –.

وأما مصطفى كمال أتاتورك فقد نفذ هذا الأمر بالحديد والنار.

د- (الدعاية) للشعر المنثور بد الشعر الموزون. {لكون الشعر العمودي أحد أهم أوعية اللغة العربية}.

التاريخ الإسلامي: والتركيز على الشبهات فيه وتضخيم مساحة الإختلاف بين الصحابة رضي الله عنهم. والتركيز على أن الدولة العباسية هي دولة الإماء والخمور والغلمان خاصة في عهد الرشيد {كما روج لذلك} – كتاب الأغاني للأصفهاني – ثم تشويه تاريخ الدولة العثمانية الإسلامية واعتباره نوعا من الإستعمار.

استبدال الثقافة الغربية بالثقافة الإسلامية :

ففي مصر – قائدة العالم العربي – أوصى المؤتمر التبشيري المنعقد سنة (1906) بإنشاء جامعة علمانية تناهض الأزهر الذي (يهدد الكنيسة بالخطر) ولتكن هذه الجامعة على غرار الجامعات الفرنسية . فقامت الجامعة المصرية (1908م) واستلم رئاستها بعد فترة لطفي السيد.

وقد ظهرت كتابات تنادي بالذوبان بالغرب مثل كتابات طه حسين في كتابه (مستقبل الثقافة في مصر) حيث يقول: **(علينا أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا ولنكون لهم شركاء في الحضارة ، خيرها وشرها ، حلوها ومرها ، ما يُحب منها وما يُكره ، وما يُحمد منها وما يُعاب).**

وقد بدأ هذا الخط أيام (محمد علي باشا) من خلال كتابة رفاعة الطهطاوي في (تخليص الإبريز بتلخيص باريز) واشتدت الدعوة إليه أيام الخديوي إسماعيل وظهر خط إسماعيل في كتابات (محمد عثمان جلال) خليفة الطهطاوي . ووضع إسماعيل نظاما للأزهر سنة (1872م) وجاء دنلوب واستلم التوجيه في وزارة المعارف وأقصى الإسلام نهائيا عن المدارس وازدرى الأزهر وحاول الحط من مكانته فكان حامل شهادة اللغة الإنجليزية يأخذ شهريا (12) جنيه وحامل شهادة اللغة العربية يأخذ (4) جنيهات ، وأما الأزهري يأخذا (112) قرشا مصريا.

ثم ظهرت مدارس كثيرة في هذا الشأن:

المدرسة الأولى (مدرسة الذوبان في الغرب نهائيا) وقطع الصلة بالإسلام ومن أبرز الأسماء في هذا الشأن: طه حسين ، سلامه موسى ، لطفي السيد وصهره إسماعيل مظهر ، وعبد العزيز فهمي...

مدرسة الخلط والترقيع (بين الإسلام والثقافة الغربية) ويتزعمها (الشيخ جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده).

وارتفعت في هذا المجال دعوات وعلت أصوات بشعارات كبيرة منها:

التطوير: ومعناه تمييع النصوص الإسلامية ، وإدخال الإلحاد والعلمانية الغربية بالثوب المقنع البراق ، ومن هذا القانون تطوير الأزهر الذي صدر أيام عبد الناصر فكان ضربة قاصمة له.

ومعنى التطوير كذلك بناء قنطرة فوق الهوة التي صنعها الإسلام بين الشرق والغرب من أجل الوصول إلى التفاهم والتواصل وبالتالي تؤدي إلى تمزيق العالم الإسلامي كما يقول جب: (لعل الآراء الجديدة وحاجات الحياة ستنجح أخيرا في تشتيت المجتمع الإسلامي وتمزيق وحدته).

الإتصال بالثقافة اليونانية كأساس من أسس التطوير.

رفع شعار الحرية: وقد قامت الحكومات العلمانية في العالم الإسلامي بتوفير الحرية الفكرية إذا استعملها الناس ضد الدين.

الدعوة إلى دين عالمي: كما نادى به : (كالغرلي) : ومعنى الدين العالمي إنهاء الإسلام نهائيا وذوبانه في بوتقة اليهودية العالمية.

التقارب بين الأديان: كما نادى بذلك (آصف على قبطي الإسماعيلي) وأصبحت المؤتمر تعقد من أجل هذا الشأن.

الدعوة إلى أنواع للإسلام: كالإسلام الكلاسيكي. والإسلام الحديث كما قال فضل الرحمن الهندي ، وبه قال أحمد خان مؤسس الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية (نشر الإسلام الحديث المتأثر بالمذاهب الغربية) وكذلك تكرار أسماء الإسلام الهندي والإسلام الباكستاني والإسلام التركي.

العلمانية (secularism) (اللادينية) وذلك ليصبح الإسلام كالمسيحية تماما لا صلة له بالحياة كما جاء في كتاب (الإسلام وأصول الحكم) علي عبد الرازق.

الإصلاح الديني: كما يسمونه ، كما حصل في برنامج (التحطيم الكمالي للإسلام) باسم الإصلاح الديني كما يسميه (سميث) و(بروكلمان) وغيرهم من المستشرقين ، ومعنى الإصلاح الديني تغيير نصوص الإسلام نصوص جديدة ويبقى عليه اسم الإسلام.

وقد كان الإستعمار والإستشراق والتبشير هذه الأصابع الثلاثة للأخطبوط المعادي للإسلام تسير جنبا إلى جنب.

وقد عقدت الجامعات الأمريكية بالذات عدة مؤتمرات لمحاربة الإسلام على رأسها المؤتمرات التي عقدت في جامعة (برنستون) في أمريكا.

مؤتمر جامعة بن ستون سنة (1947م) واسمه (الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته).

مؤتمر جامعة برنستون سنة (1953م) واسمه (الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة)

مؤتمر لاهور الذي عقد سنة (1955م) بترتيب المستشرقين الغربيين وفشل تماما.

الخط الثالث: خط التمزيق للأمة المسلمة:

ومن وسائله:

القومية: العربية والكردية والهندية.

الدعوات العالمية: كالشيوعية.

الدعوات الإنسانية الماسونية – اليهودية – وفروعها مثل نوادي الليونز ، و الروتاري ، شهود يهوه ، بني برث ، (أبناء العهد).

الفرق (الكافرة) المنسوبة للإسلام: مثل :

القاديانية – البابية - البهائية – النصيرية- الدروز...] .أهـ .

● **خط التحول التاريخي:**

[إن أخطر ما تعرضت له الأمة الإسلامية هو عملية التحول الداخلي أي الهزيمة الروحية والنفسية والعقلية أمام أعدائها ، فاستخذت أمام الأصنام ، وركعت على أقدام الطغاة ، وأصابها الوهن الذي عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه (**حب الدنيا وكراهية الموت**). ففي الحديث الصحيح :الذي رواه أحمد : (**يوشك ـن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها . قال قائل : من قلة نحن يومئذ؟ قال : بل أنتم يومئذ كثير. ولكنكم غثاء كغثاء السيل.ز ولينـزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن في قلوبكم الوهن ، قيل : وما الوهن يا رسول الله ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت**).

- فكيف أصبحت (خير أمة أخرجت للناس) غثاءا..؟
- وكيف أصبح الخير النافع زبدا و جفاءا..؟
- وكيف خلفت الأسود قرودا..؟
- وكيف ولدت ليوث الغاب خنازيرا..؟

إن أخطر ما يمكن أن تصاب به الأمم هو هزيمتها في أعماقها . فهذا هو الداء القاتل ، إن أشد رمية أصابت الأمة في مقتلها هي فقدان الثقة بنفسها. فالشعوب إنما تنتصر يوم أن تتفاعل بمبادئها و تحيا بعقائدها وتستعلي بدينها . ولن تهزم أمة تلتف على عقيدة صحيحة تعيش من أجلها وتجاهد لإحيائها مهما كان أعداؤها، ومهما تألبت عليها القوى.،، وهذا المبدأ هو الذي سطره رب العزة في سبب النصر والهزيمة إذ يقول سبحانه :

﴿ **أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**﴾ (آل عمران:165) . فالهزيمة تبدأ داخلية ثم تنعكس على ساح المعركة . والخلل يبدأ في أعماق النفس ثم نرى آثاره اندحارا في ميادين الحياة، سلوكا وأخلاقا ومعاملة . فكيف تمت عملية التحويل **؟!**

● أوربا وحرب الكلمة بدل حرب السيف :

في الحملات الأخيرة على مصر(1249ميلادية)، آخر أيـام الأيـوبيين وأول أيـام المماليـك ، وقـع (لويس التاسع) ملك فرنسا أسيرا وأودع سجن القلعة. وهناك كان لديـه فسحة مـن التأمـل ليضـع أسس هامة لتفكير الصليبيين في كيفيـة غـزو المسـلمين . وكتـب توجيهاتـه الهامـة تلـك والتـي كـان خلاصتها:

(إن المسلمين لا يهزمون ما دامت عقسدتهم قائمة ويجـب أن تبـدأ الحـرب عـلى المسـلمين بحرب الكلمة) .

وهكذا أدرك ملوك النصارى ألا سبيل لهم إلى البقاء. وبدؤوا يعيدون التفكير في طريقـة غـزوا المسلمين والتعامل معهم.

و كانت حملة نابليون على مصر نقطة بارزة في تحول المعركـة وأسـاليبها ، فلقـد غـزا نـابليون مصر (1798م) مدججا بأحدث الأسـلحة الفرنسـية ومـدافعها ورشاشـاتها . ودخلـت الخيـل الأزهـر وداست سنابكها الحصير الذي خرج عشرات الألوف من علماء الأمة ، فانتفض الأزهـر وهـب دفاعـا عن كرامة هذا الدين وأقض مضجع نابليون وأرق أجفانه ولم يستطع الاستقرار رغم العمـلاء الـذين وقفوا بجانبه كيعقوب القبطي ومن وقف معـه الأروام ونصـارى الشـام وغـيرهم . وأخـيرا انقـض (سليمان الحلبي) على (كليبر) نائب نابليون الذي خلفه في مصر وقتله.

وكان خروج الفرنسيين من مصر من أبرز المعالم في أوروبا الحديثة ، إذ أدت إلى تصميم أوروبـا على خوض معركة اللسان بدل معركة السنان . واتجهت إلى نزع هذا الدين من أعـماق هـذه الأمـة ليغرسوا بدله القومية والعصبية وغيرها من الشعارات لمحاولة لملأ الفراغ.

فقد جاء في مؤتمر (الشرق الأدنى وثقافته) الذي أقامه مجموعـة مـن المستشرقين في جامعـة أمريكية جاء في:

(أننا في كل بلد إسلامي دخلناه نبشنا الأرض حتى نخرج أثار ما قبل الإسلام ونحن لا نطمع أن يرتد المسلم عن عقيدة الإسلام إلى عقيدة ما قبل الإسلام ولكن يكفي تشتيت ولائه).

وجاء في تقرير أحد معاهد الإرساليات بقلم نبيه أمين فارس :

(بينما كان الشرق الأدنى مطمحا لأفكار بناء الإمبراطوريات كان أيضا مطمـح جماعـة أخـرى من الناس تنشد أن تنجز عن طريق الكلمة ما عجز أجدادهم الصليبيون عـن تحقيقـه عـن طـرق السـيف) .

ٍ{ولنضرب مثالا عن ذلك بما بدأ في عقر دار لإسلام ن الإفساد، في مصر والشام}

محمد علي باشا (وريث نابليون) (1904-1949):

وجاء محمد علي باشا ليعمل ما عجز عن عمله نابليون ، وأراد أن يحول مصر قطعة من فرنسا ، وبدأ بإرسال البعثات إلى فرنسا لتغسل أدمغة المبعوثين ، ومن بين الذين ذهبوا هناك (رفاعة الطهطاوي) الذي عاد داعية للثقافة الغربي وكتب (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) ونقل القانون الفرنسي . واتخذ محمد علي باشا رجلا فرنسيا – وهو طبيب – مستشارا له وكان اسم هذا الرجل (كلوت بك) وكان لهذا الفرنسي تأثيرا كبيرا في تغريب مصر. وفي عهد محمد علي أدخلت القوانين الفرنسية لتحل تدريجيا محل الشريعة الإسلامية . وكان جلساءه الخاصين من السياح والقناصل والمبشرين . ومن أعمق الآثار السيئة التي حلت أيام محمد علي باشا أنه فتح أبواب مصر والشام – عندما خضعت له – للمبشرين النصارى ، فقد كانت موصدة دون هؤلاء بسبب صرامة الدولة العثمانية وحزمها في هذا الموضوع ومنعها للمبشرين.

وكان نتيجة دخول المبشرين للشام أن أنشأوا جامعتين في لبنان:

الأولى: الكلية السورية الإنجيلية التي أنشأها البروتستانت ثم أصبح اسمها (الجامعة الأمريكية) – بيروت.

الثانية: كلية العزير التي أنشأها الكاثوليك ثم أصبح أسمها (الجامعة اليسوعية.

ولقد كانت الجامعة الأمريكية نقطة الانطلاق لكثير من الآراء والاتجاهات المنحرفة التي تركت أثارا عميقة في عملية تحويل العالم العربي ، ومن هذه الاتجاهات الإتجاه القومي الذي كان يراد له أن يحل محل عقيدة الإسلام في القلوب لملء الفراغ الذي خلفه الإسلام بعد أن انحسر في جميع مناحي الحياة .

جاء في كتاب المجتمع العربي / جامعة بيروت / كلية الآداب:

(إن أول جمعية بدأت تدعو إلى القومية العربية هي جمعية مسيحية أوحى بفكرة تأسيسها رجل يسمى (الياس حبالين) من بلدة ذوق مكايل . وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف، فيهم إبراهيم اليازخي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية) .

وأصبحت القومية العربية بفضل قادتها ودعاتها ومعظمهم من النصارى دينا جديدا حل محل الإسلام كما قال علي ناصر الدين في مقدمة كتبه قصة العرب ، هامش ص :38 **(العروبة نفسها دين عندنا نحن القوميين العرب المؤمنين العريقين من مسلمين ومسيحيين ، لأن كان لكل عصر نبوته المقدسة ، فالقومية العربية هي نبوة هذا العصر).**

وقدمت لنا الجامعة الأمريكية ومدارسها في المنطقة قادة الأحزاب القومية في المنطقة: فأسس حزب القوميين السوريين: أنطون سعادة ومن بعده أسد أشقر ثم جورج عبد المسيح.

وأسس حزب البعث: ميشيل عفلق النصراني ، زكي الأرسوزي النصيري ، ورئس حزب القوميين العرب: جورج حبش بتوجيه من أستاذه قسطنطين زريق – الأستاذ في الجامعة الأمريكية.

جاء في البروتوكول الخامس من بروتوكولات حكماء صهيون: (لقد بذرنا الخلاف بين كل واحد وغيره في جميع أغراض الأمميين الشخصية والقومية خلال عشرين قرنا) .

وقد نجحت الدول الغربية في توجيه محمد على باشا لتأدية أكبر خدمة للغرب ومنها:

ب- زلزلة سلطة الدولة العثمانية الإسلامية على الشرق ومحاربة تركيا في موطن كثيرة.

ج- تنشيط حركة التبشير النصراني في المنطقة.

د- تحويل مصر وسوريا إلى دول متغربة بتفكيرها وحياتها.

ه- ضرب الحركة الإسلامية التي ظهرت في الجزيرة العربية (الحركة الوهابية).

و- إدخال القوانين الغربية لتطبيق على المسلمين .

وكل القضايا التي فعلها (الخمسة المتقدمة) خطيرة وأحدثت أثرا كبيرا في حياة المسلمين خاصة فيما يتعلق بإدخال الدين الجديد (دين نابليون) أي القوانين الفرنسية وخلطها بالقانون الإلهي فأنشأ دينا جديد خليطا من (الدين الفرنسي والدين الإسلامي) وكان ساعده الأيمن في تبديل دين الله هو رفاعة الطهطاوي . وأما أستاذه الكبير فهو الدكتور (كلوت) الذي وجه الحياة المصرية في أكثر مناحيها . وأما بالنسبة لضرب الحركة والوهابية (دعوة التوحيد) في الجزيرة العربية فأرسل محمد علي ابنه إبراهيم باشا سنة (1231هـ) (سنة 1815م) إلى جزيرة وفي سنة (233هـ) (1817م) فدخل إبراهيم باشا (الدرعية) عاصمة الدعوة. وقضى على الحركة الوهابية.

وقبل أن نطوي صفحة محمد علي باشا لا بد من وقفة عند رفاعة الطهطاوي الذي كان له اكبر الأثر في عملية التحويل.

لقد أقام الطهطاوي (أحد أعضاء بعثات محمد على إلى باريس) في باريس من (1826-1831) فرجع وكتب كتابه (تخليص الإبريز في تلخيص باريز) الذي كتبه أثناء إقامته في فرنسا وعرضه على أستاذه (جومار) . وأبدى إعجابه الشديد بفرنسا ، وقد قام في تخليص الإبريز بترجمة الدستور الفرنسي وبتمجيد الثورة الفرنسية التي حطمت الكنيسة وأحالتها إلى ركام من مخلفات التاريخ.

وفي زمن الخديوي إسماعيل كان الطهطاوي عضده الأيمن في الإفساد والتغريب وكتب زمنه كتابيه (منهاج الألباب المصرية في مناهج الآداب العصرية) و (المرشد الأمين للبنات و البنين) وهو يبدي اهتماما ظاهرا بالتاريخ الفرعوني ويسمى رمسيس الثاني (فرعون سيدنا موسى) : (فخر الدولة المصرية في الأزمان الجاهلية ومصباح تاريخها) . ولا ينقضي عجب المسلم وهو يرى

الطهطاوي يعرض نظام الشركات والمصاريف الربوية دون تعليق . ويرى أن الرقص الفرنسي نوع من الشلبنة (الأناقة والفتوة والرياضة ويعجب بالمرح ويشجع الطهطاوي على اختلاط الجنسين ، وتعليم الفتيات دون قيود ولا التزام بحدود شرعية ومنع تعدد الزوجات وتحديد الطلاق وأصبح يردد شعارا جديدا (أخوة الوطن) .هذا الشعار الذي أصبح دينا لدعاة القومية والعنصرية فيما بعد.

والطهطاوي شأنه شأن معاصره (خير الدين التونسي) الذي ألف كتاب (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) هما أول رسل الحضارة الغربية في بلادنا اللذين عملا كطلائع لهدم صرح الإسلام العظيم في نفوس أبنائه.

- **صالون الأميرة نازلي فاضل:**

كانت نازلي ابنة مصطفى فاضل – أخ إسماعيل باشا – وكان مصطفى وليا للعهد ثم أقصاه إسماعيل فسافر إلى تركيا ثم إلى أوروبا وهناك تربت ابنته نازلي وأتقنت عدة لغات وتزوجت أحد وزراء تونس ثم عادت إلى مصر لتعمل بها من التخريب ما عجزت عنه الدوائر الغربية . ففتحت صالونها ملتقى هواة السلطة ومحط أنظار الذين يحلمون بالعلو في الأرض ، لأن الصالون أصبح يحظى برعاية (كرومر) - المعتمد البريطاني في مصر- وكان الرواد الدائمون لهذا الصالون ممن يتطلعون إلى الانتفاع بجاه الأميرة ومالها.

من بين هؤلاء الذي يعتبرون علية مجلسها:

- **سعد زغلول:** الذي جاء من الشارع – دون جاه ولا علم ولا مال – وتولى رئاسة مكتبها وبقي حتى سن السادسة والثلاثين لم يتزوج ثم تزوج (صفية ابنة مصطفى فهمي) رئيس وزراء الإحتلال البريطاني لبضعة عشرة عاما ، والغريب أن هذا الزواج من ابنة رئيس الوزراء التي لا تتجاوز الخامسة عشرة من عمرها . وأصبحت (صفية) فيما بعد تحمل اسم (**صفية زغلول**) وتكنى **(بأم المصريين**).

ومن رواد الصالون: الشيخ **جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده** ولقد اطلعت على رسالة بين الشيخين عن الأميرة مما يدمي القلب عن حالة قادة الفكر الإسلامي!! في ذلك الوقت.

ومن رواد الصالون كذلك:

لطفي الخولي . ثم جيء **بقاسم أمين** الذي رد مرة على أحد الفرنسيين (دار كور) ، وقد نال هذا الفرنسي من مكانة المرأة في الإسلام . فقام أمين ورد عليه وبين أن الإسلام أعطى المرأة مكانتها اللائقة وحفظ وظيفتها الأساسية واحتشامها بلباسها . وبسبب هذه المقالة أوغر سعد زغلول ومحمد عبده صدر الأميرة نازلي على قاسم أمين لأن كلامه ينال من مقام الأميرة لأنها تدعو إلى

العري والتهتك . ثم اقترحوا حلا لرضا الأميرة عليه بأن يكتب كتابا عن المرأة فخرج سنة (1900م) بكتاب (تحرير المرأة) الذي اشترك في كتابته قاسم أمين والشيخ محمد عبده . وقبل سنوات اكتشف هذا السر فقد أعلن حفيد محمد عبده أن جده هو كاتب كتاب (تحرير المرأة) ومعنى تحرير المرأة : تحريرها من القيم والمبادئ والحياء والخلق.

وبقيت بريطانيا ترعى هذا الصالون ورواده حتى أوصلوهم إلى سدة الحكم:

فقد أصبح محمد عبده مفتيا للديار المصرية ، وأصبح سعد زغلول وزيرا للمعارف ثم رئيسا للوزراء وأضحى لطفي السيد (أستاذ الجيل) رئيسا للجامعة المصرية وفرض الاختلاط بين الجنسين في الجامعة.

ولطفي سيد : هذا هوا الذي سخر صحيفته المسماة (بالجريدة) لتكريس آراء كرومر والدفاع عنها ، والدعوة إلى الفرعونية وصياغة شخصية مصرية ذات طابع مميز.

وقد كان صنائع صالون نازلي فاضل يتبنون هذا بفصل مصر عن العالم العربي الإسلامي.

فمثلا سعد زغلول أجاب عن سؤال حول الوحدة العربية قائلا:(إنها وحدة بين أصفار).

وسار في هذا الخط طه حسين الذي قال : (**إن الدين واللغة لا يصلحان أساسا للوحدة السياسية ، وإن المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا**) ، وقد نشر هذا الحديث (سلامة موسى) في صحيفته (المجلة جديدة) (1928م) لأنه كان يسير في نفس الخط.

وقال طه حسين (**لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي**) .

وفي سنة (1927م) مات زغلول ليأتي النحاس رئيسا للوفد ، حيث فرضته الدبابات البريطانية في 4 فبراير سنة 1942 رئيسا للوزراء رغم أنف الملك فؤاد.

- **صفية زغلول (أم المصريين) وهدى الشعراوي .** ولقد كان لصفية وهدى أثر كبير في إفساد فطرة المصرية الطيبة . أما صفية فكانت تدير عجلة الفساد من فوق سدة الحكم بسبب كون زوجها رئيسا للوزراء، وهي كما ذكرنا ابنة مصطفى فهمي رئيس الوزراء من قبل.

أما هدى شعراوي فهي ابنة سلطان باشا الذي وقف بجانب الإنجليز ضد الثورة العرابية وقد استلم من الإنجليز مبلغا ضخما لقاء عمالته ثم أصابه السرطان وقبل أن يموت زوج ابنته من رجل ثري اسمه (علي شعراوي) في الخمسينات من عمره فأصبح اسمها (هدى شعراوي) وكان علي شعراوي من عملاء الإنجليز وقد أُخذت هدى إلى أوربا و لدى عودتها من رحلتها ، وعلى سلم الباخرة نزعت خمارها (منديل الرأس) ووضعته تحت قدميها وقالت: انتهى عصر الظلام إلى الأبد ، وشكلت (جمعية السيدات المصريات).

كرومر حاكم مصر البريطاني والقس دنلوب:

أما كرومر فهو المعتمد البريطاني الذي يدير مصر منذ الاحتلال سنة 1882 إلى 1906 ، وقال الدكتور النشار (أعلن كرومر منذ مجيئه إلى مصر أنه سيهدم القرآن والكعبة والأسرة الإسلامية والأزهر)[(1)].

ركز كرومر في هجومه على الدولة العثمانية وحمل على الإسلام من خلال تركيا التي تمثله ،و نشر الإنجليزية ، وحارب العربية ، ونادى بفكرة مصر للمصريين ، وحط من قيمة الأزهر ورجاله رقى طبقة المتفرنجين ، وكان يقول:

" **سوف يجد محبو الوطنية أحسن أمل لهم في ترقي أتباع محمد عبده للحصول على مصر مستقلة بالتدرج** "[(2)]

ألف كرومر كتاب (مصر الحديثة New Egypt) وادعى أن الإسلام مناف للحضارة ويعلم أتباعه الحقد على مخالفيهم !! وهو ينافي العمران ويبيح الطلاق ويحرم الربا والخمر.

كان لطفي السيد أحد الذين حملوا لواء الدفاع عن كرومر وسياسته في صحيفته (الجريدة) ، وصحيفة المقطم .

أما دوجلاس دنلوب:

فهو أحد سيئات كرومر الكبرى . فلقد شجع كرومر المبشرين في مصر والسودان إلا أنه عندما رأى طريقتهم الساذجة في التعرض للناس في الشوارع خشي أن يؤدي عملهم هذا إلى يقظة الناس ومن ثم تتفجر ثورة وطنية بحمية إسلامية . فحد من نشاطهم ، فرفع المبشرون تقرير إلى الحكومة البريطانية فأرسلت بريطانيا عتابا إلى كرومر فرد على المبشرين بأني سأعمل عن طريق راهب واحد أضعاف عملكم ، وأحضر دنلوب سنة (1889) وهو راهب تخرج من كلية لاهوت بريطانية وعينه كرومر (1897) سكرتيرا للمعارف . ثم سنة (1906) عين مستشارا لوزارة المعارف ، وقد كان دنلوب هو الوزير الفعلي.

وكان ينفذ سياسة كرومر (**عقل بريطاني وأيدي مصرية**)[1] ويرفع شعار سيده :

---

(1) لاحظ قوله وتفاصيل ما سيأتي من برامج الأوربيين في ما أسموه (**حرب الكلمة**) منذ القرن التاسع عشر . وقارن برنامج (**كرومر**) الحاكم البريطاني لمصر منذ (1882) ، مع برنامج (**بريمر**) الحاكم الأمريكي للعراق منذ (2003) . واستراتيجية (رامسفيلد) و (رايس) **لـ** (**حرب الأفكار**) و (**تطوير المجتمعات**) العربية والإسلامية دينيا وثقافيا وسياسيا واجتماعيا ! لتكتشف أن ما يجري الآن هو مجرد فصل لاحق لفصل سابق ..ولم يختلف إلا الغباء في التطبيق الأمريكي الذي يقوم على **الحمق والجهل والبطش وهمجية الكاوبوي** الذي حرم **ثقافة الأوربيين ومكرهم** !

(2) الآن (عراق) مستقلة بالتدرج !!

1 – الآن (عقل أمريكي يهودي بريطاني) .. وأيدي عراقية وأردنية وسعودية وباكستانية ومصرية ....إلى آخر قافلة السوائم !!

(متى تواري القرآن ومكة من بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة) [2].

وقد حارب دنلوب اللغة العربية والأزهر ، وشجع الإنجليزية وأصبح تدريس العلوم والرياضيات والكيمياء والجغرافيا بالإنجليزية وحارب التعليم العالي بحجة أن المصريين لا يصلحون للتعليم العالي وحارب الكتب الإسلامية أو التي فيها عاطفة إسلامية مثل كتب علي مبارك و عبد العزيز جاويش.

وأخطر ما عمله دنلوب ، أنه رسم المناهج التي أصبحت مثلا يحتذى للدول العربية وقسم التعليم إلى قسمين :

- ديني : وجعله خاصا بالأزهر ومعاهده .

ومدني: حارب فيه كل كلمة دينية ، ومنع من توظيف خريجي الأزهر – أهل العلم الحقيقي – وإذا احتاج إلى بعضهم كان يدفع للواحد 112 قرشا مصريا في الشهر ، هكذا كانت الحال في مصر – رائدة العالم العربي – أواخر القرن التاسع العشر وأوائل القرن العشرين.

ففي السياسة: يرجع الأمر إلى الإنجليز فمعتمدهم هو الحاكم الفعلي للبلد وأما الخديوي فلا يملك من أمره شيئا.

وفي الاقتصاد: خيرات مصر تصب في جيوب الإنجليز.

والأزهر: مقصى عن توجيه دفة الحياة.

الإعلام: الإذاعة مديرها لطفي السيد وأمثاله كما أنه مدير الجامعة ، والصحف اليومية والدورية . والمجلات معظمها بي النصارى كالأهرام ، والمقطم ، والمقتطف ، الهلال ، ما ينوف على عشرين منها بأيدي النصارى ، ووزارة المعارف والمناهج: بيد دنلوب.

والجامعة : بيد لطفي السيد. ثم جاء طه حسين ليواصل الدور من خلال كتبه (الشعر الجاهلي) و (الأدب الجاهلي) لينكر ربانية القرآن وأطلق كلمته.

(للتوراة أن تحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل وللقرآن أن يحدثنا عن إبراهيم وإسماعيل ولكنا لا نرى هذين مصدرا تاريخيا موثوقا) ثم استلم الجامعة ، ثم المعارف قال بعضهم " انتهى عهد دنلوب وابتدأ عهد طه حسين " .

وفي أواخر القرن التاسع عشر حصل أخطر حدث في العصر الحديث وهو مؤتمر بال (1897م) الذي عقده هرتزل في سويرا.

---

[2] – الآن تطالب أمريكا بحذف ما تسميه آيات وسور الجهاد والتحريض على الكراهية من مناهج التعليم . وتروج لمصحف مختصر تريد نشره أسموه (فرقان الحق) !!يحرض على التسامح بين الذئاب والنعاج ! وتدخل الحكومات الأئمة في دورات تأهيلية لتجنب التطرف !

● مؤتمر بال في سويسرا /1897/ :

يكاد كثير من مفسري التاريخ يجمعون أن مؤتمر بال يعتبر أخطر حادث في العصر الحديث ، وهو نقطة التحول بالنسبة للعالم الإسلامي ، إذ دأبت بعده اليهودية العالمية على تنظيم الخطط وإحكام الأحابيل والشباك التي تصطاد بها المسلمين للوصول إلى أرض الميعاد .

وأما هرتزل فهو صحفي يهودي نمساوي ولد سنة (1860) وفي سنة (1894) حضر محاكمة الضابط اليهودي (دريفوس) الذي يحمل الجنسية الفرنسية حيث اتهم هذا الضابط بالتعامل مع ألمانيا وحكمت عليه بجريمة الخيانة عشر سنوات مع تجريده من مناصبه العسكرية ، ولقد أثرت المحاكمة في نفس هرتزل . إذ ظن أن دريفوس حكم ظلما بسبب دينه اليهودي وقال – من شاء أن يُنصف في هذا المجتمع فلينتصر – وصمم أن يعمل من أجل إنشاء وطن لليهود ، وبعد هذا الحدث بسنة أي سنة (1895م) أصدر كتابه (الدولة اليهودية) وهو شبيه بالكتاب الذي أصدره موسى هيس (من روما إلى القدس).

وفي سنة (1897) استطاع أن يجمع المنظمات الصهيونية في مؤتمر صهيوني عالمي في بال ، وأعلن هرتزل في نهاية المؤتمر أن الدولة اليهودية قامت وحدد لذلك زمنا لا يتعدى خمسين سنة.

وانبثقت عن هذا المؤتمر (بروتوكولات حكماء صهيون) التي تعتبر أخطر الوثائق في العصر الحديث ، ومعظم التدمير الذي حل بالبشرية في القرن العشرين كانت بسببها.

من نصوص من البرتوكولات:

البرتوكولات الثاني (لا تحسبوا أن تصريحاتنا كلمات جوفاء . نحن الذين رتبنا نجاح دارون – من قبل – وإن فرويد منا ، وإن ماركس و نيتشة منا ، وسنبقى ننشر آراءهم لما لها من أثر هدام على الفكر الأممي) . (الفكر الأممي) يعني فكر الأمم غير اليهودية، وقد أشار القرآن إلى طبيعة اليهود هذه فقال تعالى :

(ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ) (آل عمران: 75) .

ليس من حرج ولا إثم علينا – اليهود – إذا أسأنا إلى الأمم الأخرى غير اليهودية .

البرتوكول الثالث: (سننشر بين الشعوب أدبا قذرا مريضا يهدم الأسرة . وسنستمر بالترويج لهذا الأدب ، يجب أن نعمل – لتنهار – الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا.

إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس ويصبح همه ارواء غريزته الجنسية وعندئذ تنهار الأخلاق في كل مكان ونستولي على العالم وهو مخدر).

البرتوكول الرابع: (سننزع فكرة الله من أذهان المسيحيين ونضع بدلها أرقاما حسابية وضرورات مادية) .

وخلاصة البرتوكولات تتخلص في كلمة (أوسكار ليفي) التي قالها بتبجح وصلف:

(نحن اليهود سادة العالم ومفسدوه ومحركو الفتن فيه وجلادوه) .

وكانت طريقة اكتشاف البرتوكولات أن روسيا علمت أن اليهود يخططون ضدها فأرسلت لاقتحام مقر حكماء صهيون وبالفعل وبخطة محكمة أوقدوا النيران حول العمارة فهرب اليهود من العمارة فاقتحموها وأخرجوا ما استطاعوا أن يخرجوه من الأوراق ثم أحضرتها روسيا . وقام الدكتور (نيلوس) بتحليلها وتوقع نيلوس سقوط القيصرية في روسيا ، وسقوط الدولة العثمانية .

وقد كان البرتوكول الرابع عشر يقول :(يجب علينا أن نحطم كل عقائد الأديان)

● السلطان عبد الحميد يعرقل على اليهود الطريق إلى فلسطين:

إن معظم الأحداث الكبرى التي جرت في المنطقة الإسلامية – العربية خاصة – كانت ترمي إلى الهدف الكبير الذي وضعه هرتزل ومن ورائه اليهود نصب أعينهم وهو الوصول إلى أرض الميعاد كان أمام اليهود عقبة كأداء لا يمكن تجاوزها وهي الدولة العثمانية وعلى رأسها السلطان عبد الحميد الثاني الذي حكم بين (1876-1909)

حاول اليهود أولا إغراء السلطان الصالح عبد الحميد ، فالسلطان عبد الحميد وصل إلى الخلافة في وقت كادت الماسونية تأخذ بخناق الدولة .

ولنرجع إلى هرتزل الذي توجه إثر انتهاء مؤتمر بال سنة (1897) لمقابلة السلطان عبد الحميد وأخذ معه حاخام القسطنطينية (موسى ليفي) وعرضوا على السلطان عروضا منها:

1- إنشاء أسطول عثماني.
2- دعم سياسة العثمانيين في العالم الخارجي.
3- مساعدة اليهود للسلطان في تحسين أوضاعه المالية.
4- إنشاء جامعة عثمانية في القدس.

قال هرتزل " مثلا لو رضي مولانا وباع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره" فغضب السلطان وقال:

(إن أراضي الوطن لا تباع ، إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بالثمن نفسه)

ولم ييأس هرتزل وقابل السلطان مرة ثانية (1901) وفي هذه المرة عرضوا على السلطان نفسه (150) مائة وخمسين مليونا من الجنيهات الذهبية الإنجليزية فقال (إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهبا – فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي ، لقد خدمت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة ، فلن أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين).

ولقد كانت المقابلة هذه المرة مع (قره صو) المحامي اليهودي الماسوني الذي أشرف على محفل سالونيك.

ولقد نقلت بعض المصادر أن السلطان صاح في وجه هرتزل (أخرج من وجهي يا سافل) وصاح بالحاجب الذي أدخله قائلا (أما كنت تعلم ما يريده هذا الخنزير مني)

فطار هرتزل مع قره صو إلى إيطاليا وأرسل (قرة صو) برقية إلى السلطان.

(ستدفع الثمن هذه المقابلة من نفسك وعرشك).

يقول هرتزل في مذكراته : (ونصحني السلطان عبد الحميد بأن لا أتخذ أية خطوة أخرى في هذا السبيل لأنه لا يستطيع أن يتخلى عن أي شبر واحد من أرض فلسطين إذ هي ليست ملكا له ، بل هي لأمته الإسلامية التي قاتلت من أجلها وروت التربة بدماء أبنائها .... وقال عبد الحميد: إن عمل المبضع في بدني لأهون علي من أن أرى فلسطين تقتطع من إمبراطوريتي. ثم قال: وفر نقودك يا هرتزل فعندما يذهب عبد الحميد ستأخذون فلسطين مجانا).

وبعد هذا صمم اليهود على الإطاحة بعبد الحميد وفي سنة (1904) فجروا عربة أمام المسجد الذي يصلي فيه السلطان صلاة الجمعة ونجاه الله من الموت وقتل كثير من الناس .

وتكالب الماسون على إقصائه ، ودفعت الماسونية بعملائها إلى أن تصدروا المناصب العليا في الدولة أمثال طلعت باشا ، أنور باشا – وزير الحربية – أرستيدي باشا – رومي أصبح وزيرا للنافعة ، جمال باشا – حاكم الشام – مصطفى كما باشا قائد جبهة الشرق العربي في الحرب العالمية الأولى جاويد باشا (دافيد باشا) – وزير المالية.

(حسين جاهد يالشين) أحد أعضاء لجنة التوفيق الثلاثة (أمريكي وفرنسي وتركي) بين العرب واليهود وأصبح السلطان يجد نفسه يوما بعد يوم محاطا برجال اشترتهم الماسونية من خلال جمعية (الإتحاد والترقي) وأصبحت قبضته تخف تدريجيا حتى استطاعوا أن يجبروه على إعلان الدستور .

فأنشأ مجلس المبعوثان (مجلس النواب) الذي دخله اليهودي والنصراني والمسلم وجاء (قره صو) إلى مجلس المبعوثان.

وكان إعلان الدستور نصرا للنصارى واليهود في كل الأرض حتى أهدى جورجي زيدان النصراني – دار الهلال – كتابه الإنقلاب العثماني إلى الأبطال !!؟ أعلنوا الدستور سنة (1908) ثم استطاع الماسون أن يحركوا الجيش بقيادة محمود شوكت – العربي واجتمع مجلس النواب لينتزعوا قرارا بالإطاحة بالسلطان . ولقد كانت أصابع ناحوم حاييم (حاخام القسطنطينية) بارزة في الأمر ، وقدم كتاب الخلع إلى السلطان عبد الحميد ثلاثة.

1- قره صو .2-أستيدي باشا.3- عارف حكمت الذي كانت أمه خادمة في قصر السلطان فأخذ السلطان ابنها هذا – عارف – وأدخله في البحرية حتى أصبح ياورا في البحرية .

كان إقصاء السلطان عبد الحميد عن الخلافة في نيسان سنة (1909) وكانت هذه أكبر طعنة وجهت للإسلام ، وفي تلك الليلة التي نزل فيها السلطان عبد الحميد عن سدة الحكم نستطيع القول بأن: الإسلام الفعلي أزيل من الوجود والشهود وسقطت فلسطين - حقيقية - في يد اليهود.

يقول أنور باشا – أحد أقطاب الماسونية و الإنقلاب على السلطان عبد الحميد مخاطبا جمال باشا أتعرف يا جمال ما هو ذنبنا؟

نحن لم نعرف السلطان عبد الحميد فأصبحنا آله في يد الصهيونية واشترتنا الماسونية العالمية ، نحن بذلنا جهودنا للصهيونية فهذا ذنبنا الحقيقي.

ويقول برنارد لويس: (لقد تعاون الإخوة الماسون واليهود سرا على إزالة السلطان عبد الحميد لأنه كان معارضا قويا لليهود. إذا رفض بشدة إعطاء أي شبر أرض لليهود في فلسطين.

تركيا بعد السلطان عبد الحميد:

سقط السلطان الصالح عبد الحميد بفعل الماسونية اليهودية وأصبحت تركيا تسير من قبل (جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقي) التي أضحت لعبة بيد الماسونية ، فقد كانت القومية التركية التي يدعو إليها حزب الإتحاد والترقي بيد اليهود

وهكذا توالت النكبات على تركيا ، الخلافة ضعيفة تلعب بها جمعية الاتحاد والترقي – الدعاة القوميون – هؤلاء علمانيون لا متدينون ،المحافل الماسونية تنتشر انتشار النار في الهشيم ، الديون تتراكم ، ومن وراء ذلك كله الأصابع اليهودية التي صممت الإطاحة بتركيا لتصل إلى أرض الميعاد.

- **مصطفى كمال يحطم تركيا ويلغي الخلافة :**

وخرجت تركيا محطمة من الحرب العالمية الأولى و تقاسمت الدول الكبرى ورثة الرجل المريض! كما كانوا يطلقون على تركيا ، واستراحت أوروبا من هذا الغول الرهيب الذي كان يقض مضاجعها لقرون طويلة.

وجاء مصطفى كمال بعد هزيمته في جبهته في الشرق العربي وبرزت شخصيته كقائد عسكري من خلال بعض الإشتباكات العسكرية مع اليونان . وانطلقت الأقلام لتبرز مصطفى كمال . وهناك بعض المحللين التاريخيين والسياسيين يرون أن سكوت دول الحلفاء الثلاث التي كانت تعسكر قواتها على مقربة من أرض المعركة كان لخطة وهي إبراز مصطفى كمال من أجل دور الذي ينتظره وهو محاربة الإسلام وإسقاط الخلافة.

وانسحبت دول الحلفاء من تركيا وعندما وقف مجلس العموم البريطاني في وجه كرزون الذي وافق على سحب جيوش الحلفاء من تركيا قائلين ستعود تركيا مرة أخرى لاحتلال أوروبا فقال: اطمئنوا.

(لن تقوم لتركيا قائمة بعد أن جردناها من الإسلام والخلافة).

حالة العالم الإسـلامي بعـد منتصـف القـرن التاسـع عشرـ(إلى منتصـف القـرن العشرين).

كان العالم الإسلامي في النصف الأول من القرن العشرين نائما في سبات عميق مستسـلما للـذل قد استمرأ السياط التي بيد جلاديه تلهب ظهره .

وقد اتفق الغرب الذي يقبض بخناق العالم الإسلامي على أمرين:

أن لا تقوم للإسلام قائمة.

أن تقوم الدولة اليهودية في فلسطين.

والعالم الإسلامي قسمان: العالم الإسلامي العربي. و العالم الإسلام غير العربي.

أحوال العالم الإسلام العربي:

أما العالم الإسلامي العربي: فقلبه النابض مصر وهي في قبضة بريطانيا وقد رأينا كيف عاثوا بها فسادا عن طرق أسرة محمد علي وعن طريـق صـنائعهم فيهـا ، وكانـت الأردن والعـراق وفلسـطين تحت وطأة الإحتلال البريطاني كذلك ، ولم يكن حالها أحسن من حال سابقتها مصر.

وأما فرنسا: فكانت تتحكم بسوريا ولبنان والشمال الأفريقي ، حيث صممت أن تحول الشمال الأفريقي إلى ماخور كبير من مـواخير بـاريس مـن تـونس حتـى طنجـة . وفرضـت اللغـة الفرنسـية وأخرجت الظهير البربري (القانون البربري) في 16 مايو سنة 1930 الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانون الأحوال الشخصية البربرية بـدل الشرـيعة الإسـلامية . وذلـك للتفريـق بـين العـرب والبربرية . وتحويل البلد إلى ساحة نزاع عرقي وسلخ المسلمين عن دينهم.

وفي نفس الوقت أثار سعيد عقل ، ويوسف السودا ، و فيكتو ر خلاط ، شبح الفنيقية ، وإحياء أسماء هاينبال ، وصناعة حزب القوميين السوريين ، وإعلان أن لبنان لا ينتمي إلى العرب بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط .

وفي مصر: يثير سلامة موسى وطه حسين الفرعونية . وأعلن طه حسين في مستقبل الحضارة في مصر: أن مصر جزء من حضارة المتوسط (الأوروبية) وليست عربية فهي أقرب إلى حضارة إيطاليا وفرنسا واليونان منها إلى جزيرة العرب . ويجب تقليد الأوربيين في مأكلهم ومشروبهم وملبسهم وحياتهم .

وأما فلسطين: فهي تحت إدارة المندوب السامي البريطاني- اليهـودي (هـر بـرت صـموئيل) . الذي يمهد لإقامة دولة اليهود فيها . ولذا فإنه يغرق المدن الكبرى بالمسارح والسينما والأندية الليلية بالإضافة إلى التحكم بالمناهج المدرسة العلمانيـة وإقصـاء التربيـة الإسـلامية والتـاريخ الإسـلامي عـن الحياة المدرسية . وكانت الإذاعة بأيديهم.

وأما النصيريون في سوريا: فكانت فرنسا بالإضافة إلى ما تقدم من وسائل بريطانيا في عملية التغيير ، كانت ترعى طائفة النصيريين الذين سمتهم العلويين ليختلط أمرهم لدى المسلمين . وهذه الطائفة الذين كانوا قد اتخذوا من بينهم إلها وهو (سليمان المرشد) وقد كان راعيا للبقر واتخذ رسولا اسمه (سليمان الميدة) كان يعمل راعيا للجمال ، وسليمان المرشد هذا من قرية (جوبا يرغال) شرقي اللاذقية ، وكان المستشار الفرنسي يسجد له مع الساجدين ليزيد أتباعه غيا . وقد صنع له جلبابا فيه مصابيح كهربائية تضيء فيسجد له الأتباع !.

● أحوال بقية المسلمين في العالم الإسلامي:

أما عن المسلمين في بقية العالم الإسلامي فحدث عنهم ولا حرج ، فزيادة عن الجهل المطبق الذي يتضور فيه غالبية المسلمين ، شجعت الدول الاستعمارية وعلى رأسها بريطانيا الطرق الصوفية المنحرفة التي لا تفهم من الإسلام إلا العزلة السلبية والصبر على الإتسعمار ، لأنه ابتلاء من الله . و التمسح بالقبور وإقامة الأضرحة ورفع الرايات فوقها من أجل التبريكات ، و إشغال الشعب بعيد ميلاد المشايخ وتتويجهم ثم الدعوات حول قبورهم والحلف بأسمائهم وإهداء الزهور على أنصابهم.

وزيادة على هذا فقد ابتدعت نبوات جديدة وظيفتها إلغاء الجهاد ، وترسيخ الولاء لبريطانيا.

1- ففي الهند: أبرزت (ميرزا غلام أحمد) القادياني. وهذا المتنبىء ولد سنة (1840) في قاديان / وأصيب في شبابه بالهستيريا.. وفي سنة (1884) أعلن حرمة الجهاد ضد الإنجليز في كتابه (براهين أحمدية) .

وفي المرحلة الثانية: أعلن تشبهه بالمسيح سنة (1891) وأصدر ثلاثة كتب (فتح الإسلام توضيح مرام، إزالة أوهام).

وقال: أنه المسيح الموعود.

وفي المرحلة الثالثة أعلن أنه نبي سنة 1900، وقد ادعى أن الله جمع جميع الأنبياء في شخصه.

قال بشير محمود (أحد الدعاة القاديانيين): (غلام احمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل) !!.

ولقد تبعه الكثيرون ليبايعوه على الولاء لبريطانيا. يقول محمود أحمد (خليفة ميرزا غلام احمد في رسالته : (هدية لسمو الأمير ويلز نجل جورج الخامس سنة 1931) :

(أنا أرحب بك وأؤكد لك أن الجماعة الأحمدية وفية لبريطانيا وستبقى وفية – إن شاء الله – وإن منهج هذه الجماعة منذ تأسيسها أن تطيع الحكومة القائمة بريطانيا وهذا شرط البيعة فيها) .

جاء في كتاب (ترياق القلوب) لميرزا غلام أحمد : (لقد قضيت عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية و نصرتها، وألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات

ما لو جمع لملأ خمسين خزانة . وقد نشرت جميع هـذه الكتـب في الـبلاد العربيـة ومصرـ والشـام وكابل) .

2- البابية والبهائية في إيران :

وهذا دين آخر رعته بريطانيا وحرصت على نشره روسيا من أجل تمييع العقيـدة الإسـلامية. و البابية مؤسسها شيعي يدعى (ميرزا علي محمد الشيرازي) تلقب بالباب واشتق اسمه من الحديث الموضوع (أنا مدينة العلم وعلي بابها) . وادعى النبوة أولا ، ثم ادعى أنـه المظهـر للـه ، ثـم أسـس تلميذه (البهاء) دين البهائية .

وفي سنة 1848 عقد البهائية مؤتمر بدشت ، وأعلنت البابية نسخ الشريعة الإسلامية بالبابيـة . ثم أعدم البهاء ، وتفرقت جماعته إلى فرق (في نواحي إيران) .

ولا يفوتنا أن ننبه إلى أن النواة الأولى لأتباع الباب كان لليهود فيها عدد كبير منهم ... وقد كان قسم من أعمال السفارة الروسية في طهران منحصرا في تهيئة الألواح و تنظيم أعمال البابية .

وقد مرت دعوة البهاء بثلاثة أطوار، الأول ادعى فيه أنه عيسى عليه السلام ، ثم ادعـى النبـوة ثم ادعى الألوهية...

● مدرسة مد الجسور نحو الغرب:

لقد اشرنا أكثر من مرة إلى أن الغرب آثر أن لا يستعمل القوة إلا في حالات الضرـورة القصـوى لأنه أدرك أن بإمكانه أن يصنع من خلال ربائبه من أبناء البلد أضعاف ما تحققـه جنـده وأسـاطيله الجوية والبحرية.

ولقد رأى الإنكليز- بالذات – أن مـن أفضـل الطـرق لضرـب جـذورهم في أرض المسـلمين هـو إقامة مدارس تقوم بردم الهوة بين الغرب المشرك والشرق المسلم بتمييع الحـواجز وإزالـة الفواصـل وتقريب الشقة بين الإيمان الناصع والكفر الصريح بتلبيس الأمور واختلاط الشارات وهـدم الفـوارق بين المسلمين والكافرين [1]. ومن هذه المدارس :

مدرسة محمد عبده في مصر.

مدرسة أحمد خان ، وعلى طريقته وحيد الدين خان . (في الهند) .

[1] الآن تقوم أمريكا بنفس البرنامج ، عن طريق افتتاح المراكز الثقافية ، والمؤسسات العلمية والبحثية العالية . وعن طريق أخذ الطلبة المتفوقين دراسيا ، وأبناء الأغنياء والشخصيات السياسية والاجتماعية في بعثات دراسية إلى أمريكا لغسل عقولهم وإعادتهم بعقول وثقافة وتبعية روحية لأمريكا . وتصرح أمريكا في دعايتها لبرامج تلك البعثات ، أن هؤلاء الخريجين سيتسلمون مهمة إدارة بلادهم في كل المجالات ، وسيكونون زعماء بلادهم في المستقبل !

مدرسة محمد عبده في مصر :

يختلف المفسرون لأحداث التاريخ حول شخصية محمد عبده وفي تحليل مواقفه السياسية وصلته بالاحتلال البريطاني [2]:

فمنهم من يغالي فيه و يرى فيه المصلح الذي أيقظ مصر من سباتها العميق ، وأنه بذل وسعه في إصلاح الأزهر ،. وأنه كان لا يستطيع مواجهة بريطانيا فاضطر إلى مهادنتها من أجل حماية الأوقاف الإسلامية والقيام بالإصلاح الجذري للأزهر و العلماء. ومن هؤلاء تلميذه محمد رضا ، ومحمد البهي..

ومنهم من يرى أنه قام بدور كبير في خدمة بريطانيا أكثر من العلمانيين الصرحاء، وذلك لأنه مد الجسور بين النفسية المصرية الإسلامية والنفسية الإنجليزية الحاقدة ، واستطاع أن يقنع الكثيرين أنه لا بد من التعاون مع بريطانيا.

ومن أصحاب هذا الرأي الشيخ عليش شيخ الأزهر الذي كفر محمد عبده .

ومهما يكن من أمر فهناك قضايا كبرى لا نستطيع إغفالها في حياة محمد عبده:

1- دخوله الماسونية وهذا أثبته له حتى تلميذه وأثبت حصوله على أوسمة في الماسونية من الملحق الثقافي الأمريكي في المحفل الماسوني اللبناني.

2- وقوفه بجانب كرومر ضد الخديوي عباس.. ومكانته الرفيعة لدي الإنكليز وتدخلهم لدعمه في كل ملمة به. كما خصوه بمنصب الإفتاء في مصر وحصروه فيه.

3- كان محمد عبده من رواد صالون الأميرة نازلي كما أسلفنا . وقد حفظت صور لمحمد عبده يخالط فيها بعض نساء الإفرنج وغيرهن من خليعات مصر في ذلك الزمان.

4- كان كرومر يقول للخديوي عباس :

(إسمح لي أن أقول أنه مادام لبريطانيا العظمى نفوذ في مصر، فإن الشيخ محمد عبده يكون هو المفتي حتى يموت).

وقد جاء في كتاب كرومر (مصر الحديثة):

(إن محمد عبده كان مؤسسا لمدرسة حديثة قريبة الشبه من تلك التي أسسها السيد أحمد خان في الهند مؤسس جامعة عليكرة).

يقول المستشرق الإنكليزي (هاملتون جب) في كتابه : (أين يتجه الإسلام) :

---

[2] أما نحن فلا نختلف ، ولا ريب عندنا أن محمد عبده كان ماسونيا عميلا لبريطانيا مرتدا ملحدا في دين الله . ونحن متفقون مع شيخ الأزهر في زمانه (الشيخ عليش) رحمه الله ، حيث كفره علنا وبين وجوه ردته – قاتله الله – وسامح الطيبين المغفلين المخلصين،المخدوعين به .

(ومن ناحية أخرى نجد أن الشيخ محمد عبده قد صنع جسرا فوق الهوة التي تفصل التعليم التقليدي الجاف عن التعليم المصري الخاضع لمذهب العقليين الذي غزا الشرق والغرب) .

لا أشك أن تفسير محمد عبده للقرآن والذي نقله تلميذه محمد رضا يدل على الهزيمة الروحية أمام ضغط الغرب الجاثم على صدور المسلمين واستحياء من المستشرقين . حيث أول الملائكة بالقوى الطبيعية ، وفسر سجودهم لآدم بتسخير قوى الأرض له ، وأول الجن بالميكروبات ، و الطير الأبابيل بمخلوقات من جنس البعوض والذباب ، والحجارة مت سجيل بالجراثيم ..!

فأين كان محمد عبده من قوله تعالى :

(وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ) (هود:113) .

مدرسة أحمد خان بهادور في الهند :

لقد أقلق بريطانيا وجود علماء صادقين مجاهدين في شبه لقارة الهندية من أمثال الشيخ (أحمد بن عرفان الشهيد(1842) الذي ألهب شعلة الحماس والجهاد في نفوس المؤمنين في الربع الأول من القرن التاسع عشر. ولذلك لجأت إلى تربية صنائع دينية تمسح من الأذهان فكرة الجهاد فاخترع تعددا من المدارس مثل :

القاديانية ، وقدمت ميرزا غلام أحمد على أنه نبي ينسخ الجهاد .

أحمد خان . العلماني الذي نادى بإلغاء الجهاد أيضا.

وقد ولد أحمد خان هذا سنة 1817في دهلي، ثم عمل في خدمة بريطانيا أمينا في الحكم الجنائي 1837. ولدى قيام المسلمين بالجهاد سنة 1857، وقف أحمد خان ضد الثورة الإسلامية ، وخلص كثيرا من البريطانيين من القتل ، ودفع مبلغا ضخما من ماله لإنقاذهم ، وألف كتابا عن أسباب الثورة أنحى فيه باللائمة على المسلمين الجهلة .

وقد منحته بريطانيا وسام نجمة الهند . وفي سنة 1875 أنشأ (الكلية الشرقية الإنجليزية) في عليكرة . واسمها الآن (الجامعة الإسلامية) . وهلك سنة 1898 .

ومن أهم محاولات أحمد خان :

إنشاء دين جديد تنصهر فيه الأديان الثلاثة (الإسلام ، النصرانية ، اليهودية).

محاولة إثبات صحة الأناجيل، وكتب في هذا كتابا سنة 1862أسماه تبيان الكلام .

نادى بالمذهب الطبيعي الدهري ، وقال أن جميع الأنبياء كانوا طبيعيين لا يعتقدون بالإله- والعياذ بالله- ولقب نفسه بالطبيعي.

زعم أنم النبوات تكتسب بالرياضة الروحية . إلغاء فريضة الجهاد .

مدرسة وحيد الدين خان في دلهي بالهند :

وقد أشد وحيد خان بسلفه أحمد خان . وكان من أفكاره التي جاءت في كتبه :

1- الدعوة إلى إنشاء مركز عالمي عصري بشرط أن يبتعد عن السياسة بكل شكل .

2- ترك الدنيا لأهلها وتذكير الناس بالموت فقط .

3-إلغاء الجهاد والدعوة لترك مواجهة الغرب ، والدعوة إلى الإستكانة والذل والصبر .

4- أن الأنبياء بعثوا للمؤمنين الفاسدين .

المستشرق الإنكليزي (جب) يكتب عن العالم الإسلامي سنة 1932:

خلال الثلث الأول من القرن العشرين، نجح اليهود وحلفاؤهم الغربيين في مجالات شتى في العالم الإسلامي..

فقد أسقطوا الخلافة العثمانية ، وزجوا بتركيا في الحرب العالمية الأولى، فحطموها وتقاسموا ممتلكاتها ، وقد وقف الزعماء العرب بسذاجتهم إلى جانب الحلفاء والإنجليز خاصة ضد إخوانهم المسلمين الأتراك العثمانيين، ظنا منهم أنهم سف يساعدوهم على قيام مملكة عربية مستقلة !ولمن الحقائق التي سبق أن أشار إليها القرآن كانت غير ذلك ! يقول لورنس (رجل الإستخبارات البريطاني) الذي رتب الثورة العربية الكبرى ضد العثمانيين لمساعدة بريطانيا التي أغدقت الوعود الكاذبة للشريف حسين والي مكة والحجاز آنذاك . يقول: (كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب فإن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة، ولو كنت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا، وكان البريطانيون والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ، وكان لهم ثقة بالعدو . إنني أكثر ما أكون فخرا أن الدم الإنكليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضناها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنكليزي واحد ..)

لقد قال ويزمن بعد ذلك : (لقد قدم لورنس خدمات جليلة لليهود)!

ثم بدأ الغرب عن طريق التعليم ينفث الم في أوصال هذه الأمة ، فأفسد الناشئة ، وأفسد النساء وحطم المكونات الأسرية ، وأدخل أندية الماسون و الروتاري في نخبة المجتمعات .. ونشر الفسوق عبر المسرح والسينما ووسائل الإعلام ..

يقول **المستشرق الإنكليزي جب** في كتابه وجهة العالم الإسلامي :

[عن (التعليم) [1]:

إن هذا هو السبيل الوحيد لفرنجة بلاد المسلمين وتغريبها ، لقد كان التركيز قويا لإنشاء الطبقة التي تأخذ نهائيا بوجهة نظر لا سلطان للدين عليها ، وحينئذ يمكن الجلاء عن أراضيها وتسليمها زمام السلطة فيها لأنها امتداد لفكر المحتل .] !

ويقول :

[**إن المدارس والمعاهد لا تكفي فليست إلا الخطوة الأولى ويجب صرف الاهتمام إلى خلق رأي عام بالاعتماد على الصحافة ، فهي أقوى الأدوات الأوربية وأعظمها نفوذا في العالم الإسلامي ، و مديرو الصحف القومية معظمهم من التقدميين والصحف تتميز بنزعة علمانية غالبة كما يرى .] !**

ويضيف بأن التعليم والصحافة قد ترك المسلمين لا دينيين إلى حد بعيد :

[**إن العالم الإسلامي سيصبح خلال فترة قصيرة لا دينيا في كل مظاهر حياته** .]

ويبدي جب تخوفه من ناحيتين :

1- **المعاهد الدينية .**
2- **الحركات الإسلامية** : التي يرى أنها تتطور بسرعة مذهلة مدهشة ، وتنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين المراقبون من إماراتها ما يدعوهم إلى الريبة في أمرها .

و يقول: [**إن الحركات الإسلامية لا ينقصها إلا الزعامة وظهور صلاح الدين .] !**

- **زعيم المبشرين (زويمر) يصف المسلمين الذين يريدهم الغرب سنة 1933 [1]:**

يقول زويمر مخاطبا المبشرين في مؤتمر القدس سنة 1933:

[** .. **إن مهمتكم هي إخراج المسلم من الإسلام ليصبح مخلوقا لا صلة له بالله ، وبالتالي لا صلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ، وبذلك تكونون أنتم طليعة الفتح الاستعماري**

---

[1] انتبه لاهتمام الإستعمار الأوربي بالتعليم ، **ولتصريحهم بلا خفاء عن أهدافهم من وراء ذلك** . وتذكر الإلحاح والإجبار الذي تمارسه أمريكا اليوم لإعادة مسخ ما مسخ من مناهج التعليم .وعقد الحكومات العربية والإسلامية بضغط من أمريكا عشرات المؤتمرات تحت الشعار الخادع : **(تطوير مناهج التعليم)** .

[1] **إقرأ ..وتمعن ..وستفهم** : أنه لم يتبدل أي شيء في برنامج الإستعمار بين الروم الصليبيين الأوربيين ، والروم المتصهينين الجدد الأمريكيين . اللهم إلا ما أشرنا إليه من **خصائص الكاوبوي الأمريكي** ، وثلاثيته : **الحمق والجهل والبطش** ..لأنه يستعجل النتيجة .ولأنهم قزم بلا تاريخ ولا حضارة .

في الممالك الإسلامية. هذا ما قمتم به خلال الأعوام المئة السابقة خير قيام .
**** لقد قضينا في هذه الحقبة من الدهر منذ الثلث الأخير من القرن التاسع عشر إلى يومنا هذا على جميع برامج التعليم في الممالك الإسلامية ، ونشرنا في تلك الربوع مكامن التبشير والكنائس والجمعيات والمدارس المسيحية ، تلك التي تهيمن عليها الدول الأوربية والأمريكية .**
**** أنتم أعددتم بوسائلكم جميع العقول في الممالك الإسلامية إلى قبول السير في الطريق الذي مهدتم له كل تمهيد .**
**** إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعرف الصلة بالله ، ولا يريد أن يعرفها ، وأخرجتم المسلم من الإسلام ولم تدخلوه في المسيحية . وبالتالي جاء النشء الإسلامي طبقا لما أراد له الإستعمار ، لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحة والكسل ، ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات ، فإذا جمع المال فللشهوات ، وإن تبوأ أسمى المراكز ففي سبيل الشهوات يجود بأغلى ما يملك .] !**

ويقول زويمر :

[إن السياسة الاستعمارية لما قضت منذ1882م على برامج التعليم في المدارس الابتدائية ، أخرجت منها القرآن ، ثم تاريخ الإسلام ، وبذلك أخرجت ناشئة لا هي مسلمة ، ولا هي مسيحية ، ولا هي يهودية . ناشئة مضطربة ، مادية الأغراض، لا تؤمن بعقيدة ولا تعرف حقا ، فلا للدين ، ولا للكرامة ، ولا للوطن حرمة] ! أهـ.

لقد وصف(**زويمر**) الجيل خلال القرن التاسع عشر والثلث الأول القرن العشرين وصفا دقيقا . ولكنه خاب فأله فيما بعد ، ولم يصدق ظن (**جب**) ، الذي رأى أن الشرق المسلم سيصبح علمانيا عن قريب .

لقد كان الله – عز وجل - لهم بالمرصاد .(فقد نهضت الصحوة الإسلامية بمدارسها المختلفة ، ثم أفرزت الصحوة الجهادية ، وعادت الأمة تلتمس الخلاص في طريق القرآن).

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾ (الأنفال:36)].

أهـ [1]

---

(1) (الذخائر العظام – ج1/908– 939) .

الدعوة القومية والأسباب الحقيقية التي كانت وراءها:

السبب الرئيسي: هو محاولة الغرب استعاد الإسلام كرابطة وحيدة وإحلال رابطة جديدة مكانه بعد فشل الغرب في الحروب الصليبية ، فأراد أن يستعمل أسلوب الفكر واللسان بدل السنان ، وذلك ليسهل للغرب تثبيت أقدامه في بلادنا ، خاصة بعد حملة نابليون على مصر.

طموح محمد علي باشا وإبراهيم باشا إلى عمل إمبراطورية قومية عربية.

التخلص من تركيا المسلمة والقضاء عليها حتى يرث الغرب ممتلكاتها.

محاولة النصارى التخلص من تركيا لأنها كانت تطبق عليه الجزية وبعض الواجبات الاستثنائية التي تقابل المسلمين دفع الزكاة والقيام بالجندية لحماية الدولة الإسلامية.

وطمعا من المسيحيين أن يقودوا المجتمعات التي يعيشون فيها ويوجهوا دفتها ويصبحوا سادتها وعلية أقوامها.

التطور التاريخي للفكرة القومية:

تعتبر حملة نابليون النقطة الأولى في بداية تحويل العرب من الإسلام إلى القومية ، وقد اختمرت هذه الفكرة في ذهن نابليون على أثر المقاومة التي حركها الأزهر بنداء (الله أكبر) واقتنع الغرب بهذه الفكرة.

وخرج الفرنسيون سنة (1904) من مصر وجاء محمد علي باشا ، وكان محمد علي ضابطا ألبانيا – لا يعرف العربية جاء مع الحملة التي أرسلها الخليفة إلى مصر لمقاومة نابليون ، وكان محمد علي يتيما طموحا ذكيا ، ولكنه كان أميا ، فكان مصابا بعقدة النقص بسبب أميته ، فأراد أن يحضر مصر ويطورها ، فقضى على المماليك ونودي به حاكما على مصر.

محمد علي باشا والفرنسيون:

كان محمد علي معجبا بالفرنسيين ، فهو منذ صغره على صلة بفرنسي اسمه ليون (Lion) ثم استقدم إلى مصر د. (كلوت) الطبيب الفرنسي ليكون مستشاره ، فأشار عليه بفكرة القومية (وقد عنى كلوت بأن يطبع الطلاب في الدارس العليا التي كان يديرها على الشعوب الصحيح بالقومية العربية) وبدأ محمد علي يرسل البعثات إلى فرنسا ، فرجعت البعثات تحمل بذور الفكرة القومية ، ومن بين هؤلاء رفاعة الطهطاوي الذي أقام في باريس (1826- 1831) فحمل فكرة الثورة الفرنسية القومية.

إبراهيم باشا في بلاد الشام:

كان محمد علي باشا يطمع في امبرطورية عربية تنفصل عن الحكم العثماني ، وقد زين له هذا الأمر الغرب (الفرنسيون بالذات) فأرسل ابنه إبراهيم باشا واحتل الشام كلها ، ومكث حكم إبراهيم في بلاد الشام سبع سنوات (1833- 1840) وقد كان لهذه السنوات أثر عميق في تغيير مجرى الأحداث في الشام ولمدة قرن ونيف.

فماذا صنع إبراهيم باشا في الشام:

ألغى الأحكام الإسلامية المطبعة على النصارى في الشام ونادى بمساواتهم بالمسلمين وكذلك فعل أبوه في مصر.

شجع الجمعيات التبشيرية ومدارسها ، وأما أبوه في مصر فكان جلساؤه دائما من السفراء والسائحين والمبشرين ، وكان نتيجة هذا التشجيع للمبشرين في الشام.

أ- **قدوم البعثات البروتستنتية (الأمريكية) وكان من بين رجالاتها [1]:**

(**أيلي سميث**). الذي مكث يعمل دائبا للنصرانية من (1834- 1857) فنقل المطبعة التي كانت للبعثة من مالطة إلى بيروت وبدأت تطبع بالعربية وهي أول مطبعة من نوعها في بلاد الشام ، وأقام سميث هو وزوجته في بيروت مدرسة للبنات وهي أول مدرسة في بلاد الشام من هذا النوع.

الدكتور (**كورنيليوس فاندك**) جاء طبيبا مع البعثة الأمريكية وبقي يعمل 55 سنة في بلاد الشام (ربما كانت جهوده أكبر الجهود الفردية الأجنبية قيمة وأكثرها أثرا في التطور الثقافي في البلاد.

ناصيف اليازجي : (1800-1871) لبناني نصراني ، عمل مع البعثة الأمريكية ، وفي مطبعتها مع سميث وفانديك ، و قام هو وابنه إبراهيم اليازجي بترجمة التوراة ، وكان ابنه إبراهيم هو أول من أسس (جمعية بيروت السرية) ذات الطابع القومي .

وإبراهيم هذا كان نصرانيا ماسو نيا ، عاش ما بين (1847-1906) ، مات في مصر ونعته المحافل الماسونية فيها ، وهو صاحب القصيدة التي تنادي بالثورة على الأتراك.

تنبهوا واستفيقوا أيها العربُ ... لقد طما السيل حتى غاصت الركبُ
أقداركم في عيون الترك نازلة ... حقكم بين أيدي الترك منتهبُ
لنطلبن بحد السيف مأربنا ... فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

[1] لاحظ قدم المحاولات الأمريكية للتسلل للمنطقة ، حيث لم يتمكنوا لقوة بريطانيا وفرنسا وغيرها من دول الإستعمار آنذاك . حتى جاءتهم الفرصة وجاء مقت أن يحصدوا ما زرع أجدادهم المبشرون البروتستانت من النصارى المتهودين .

بطرس البستاني: (1819-1883) ، وهو لبناني كان يعمل مترجما في القنصلية الأمريكية في بيروت ، غير دينه من ماروني إلى بروتستنتي بسبب صداقته مع سميث و فاندك . وظفه المبشرون مدرسا في مدرسة عبية ، ترجم التوراة مع سميث واستغرق في الترجمة عشر سنوات ، أصدر قاموس (محيط المحيط) ومختصره (قطر المحيط) و (دائرة المعارف للبستاني).

أصدر في فتن عام (1860) (بين النصارى والدروز في لبنان) مجلة اسمها (نفير سورية) يدعو إلى الوحدة القومية ، أسس عام (1863) (المدرسة الوطنية) كان يدرس هو و ناصيف اليازجي فيها . وأصدر عام (1870) مجلة اسمها (الجنان) صحيفة نصف شهرية سياسية وأدبية ، - شعارها (حب الوطن من الإيمان). وأصدر صحيفتي (الجنة) و (الجنينة).

ويعتبر اليازجي والبستاني من الرواد الأوائل لفكرة القومية العربية ، فلقد قام تلاميذهم بالتنظيمات القومية التي آتت أكلها فيما بعد وأثمرت هذا الإقصاء لدين الله عن الحياة وتربية الرواد الذين يعتبرون القومية مثلهم الأعلى الذي تقدم له القوانين والتضحيات.

من ثمار البعثة الأمريكية عدا إبراز اليازجي والبستاني أنها قامت بإنشاء أكبر معهد لحضانة الفكر القومي وهو:

<u>الجامعة الأمريكية في بيروت (1866):</u>

وكان اسمها في البداية (الكلية السورية الإنجيلية) ، وكان أول رئيس لها هو (دانيال بلس) راهب أمريكي يحمل الدكتوراه في اللاهوت ، وبقي رئيسا للجامعة حتى عام (1902) وخلفه ابنه (هوا رد بلس) ، وأثر الجامعة الأمريكية في المنطقة لا يوازيه أي أثر في الفكرة القومية . ولقد خرجت الجامعة أجيالا من قادة بلاد الشام على مدى قرن ونيف . ومن أساتذتها المعروفين برعاية الفكر القومي (قسطنطين زريق) الذي نخرج على يديه (جورج حبش).

البعثة الكاثوليكية – اليسوعية ، وقد قامت بإنشاء مطبعة حجرية (1847) وأسست مدرسة يوسف التي عرفت فيما بعد بالجامعة اليوسعية.

ج – اللعازريون : افتتحوا كلية (عين طورة) في لبنان.

الجمعيات القومية:

ومن الأعمال التي قامت بها البعثات التبشيرية إنشاء الجمعيات التي تنادي بالفكر القومي وأهمها:

1- جمعية الآداب والفنون عام (187):

أسستها البعثة التبشيرية الأمريكية وعلى رأسها سميث و فاندك و البستاني و ناصيف اليازجي ، و لم يمض عليها عامان حتى بلغ أعضاؤها خمسين عضوا أكثرهم من النصارى السوريين في بيروت ، ولم يكن فيهم مسلم واحد ولا درزي ، وبقيت الجمعية خمس سنوات.

2- الجمعية الشرقية عام (1850) :

أسسها اليسوعيون وكان يشرف عليها الأب دبر ونر.

3- الجمعية العلمية السورية عام (1857):

بلغ أعضاؤها مائة وخمسين عضوا ، اشترك فيها بالإضافة إلى مؤسسيها من أتباع البعثة الأمريكية بعض المسلمين والدروز ، ونالت اعتراف الحكومة بها عام (1868).

(كان أول صوت ظهر لحركة العرب القومية هو صوت إبراهيم اليازجي أحد أعضاء الجمعية فألقى قصيدة اتخذت صورة النشيد القومي).

4- جمعية ببيروت السورية عام (1875):

يقول جورج انطونيوس (يرجع أول جهد منظم في حركة العرب القومية إلى العام (1875) أي قبل ارتقاء عبد الحميد العرش بسنتين حين ألف خمسة شبان من الذين درسوا في الكلية البروتستنتية السورية – الجامعة الأمريكية – ببيروت جمعية سرية وكانوا جميعا من النصارى ، ولكنهم أدركوا قيمة انضمام المسلمين والدروز إليهم ، فاستطاعوا أن يضموا إلى الجمعية نحو اثنين وعشرين شخصا ينتمون إلى مختلف الطوائف الدينية ، ويمثلون الصفوة المختارة والمستنيرة في البلاد ، وكانت الماسونية قد دخلت قبل ذلك بلاد الشام على صورتها التي عرفتها أوروبا ، فاستطاع مؤسسو الجمعية السرية عن طريق أحد زملائهم أن يستميلوا إليهم المحفل الماسوني الذي كان قد أنشئ منذ عهد قريب ويشركوه في أعمالهم)

من هذا ندرك:-

أن بداية العمل القومي المنظم كان في بلاد الشام عن طريق النصارى.

أن هؤلاء النصارى من تلاميذ البستاني و اليازجي أو من محبيهم وكانوا ثمرة جهود البعثة الأمريكية .

إن من بين المؤسسين إبراهيم اليازجي صاحب شعار الجمعية .

لنطلبن بحد السيف مأربنا   فلن يخيب لنا في جنبه أربُ

وكذلك كان فارس نمر باشا (نصراني لبناني) وصهره (شاهين مكاريوس) من مؤسسيها ، وهؤلاء الثلاثة من كبار الماسونيين المعروفين.

فالأيادي الماسونية - اليهودية – هي التي تبنت فكرة القومية العربية ، وهي نفس الأيادي التي كانت تحرك في الوقت ذاته (القومية الطورانية) التي يتبناها يهود الدونمة في سالونيك وتعقد اجتماعاتهم في بيوت اليهود الإيطاليين.

وأن الذي أوحى بفكرة تأسيس جمعية بيروت السرية هو رجل يسمى إلياس حبالين من بلدة ذوق مكايل، وكان أستاذا للغة الفرنسية يدرسها في الجامعة الأمريكية لطلاب صف فيهم اليازجي ويعقوب صروف وشاهين مكاريوس ، وكان الأستاذ معجبا بالثورة الفرنسية).

وقد كان يشك أن مدحت باشا – زعيم الماسونية وكان يكنى بأبي الأحرار – وراء تشكيل الجمعية ، فقد جاء في برقية أرسلها القنصل البريطاني في حزيران عام (1880) :

(ظهرت في بيروت منشورات تحض على الثورة يشك في أن مدحت هو منشؤها) وكان مدحت آنذاك واليا على الشام.

ولكن حزم السلطان عبد الحميد ومتابعته للجمعية ومنشوراتها جمد نشاطها ، وكان أهم منشورات الجمعية هو المنشور الثالث الذي صدر في 31 ديسمبر 1880 وحدد مطالبهم بأربع نقاط.

منح سوريا مع لبنان الاستقلال .

الاعتراف بالعربية لغة رسمية.

رفع الرقابة عن حرية التعليم.

عدم إرسال أبناء العرب للحرب مع الأتراك خارج بلادهم.

هجرة دعاة القومية إلى القاهرة :

نتيجة مكافحة السلطان عبد الحميد للجمعيات السرية القومية ، انتقل أولئك الدعاة الأوائل للقومية إلى القاهرة حيث يجثم كرومر المعتمد البريطاني . فهاجرت العائلات النصرانية إلى القاهرة لتبث من هناك الأفكار العلمانية والدعوة القومية ، ولتنطلق منها لمحاربة تركيا. وكان من أبرز تلك الأسماء التي استقرت في القاهرة :

فارس نمر وصهره شاهين مكاريوس ، صاحب جريدة المقطم اليومية ، ومجلة المقتطف الشهرية وهما ماسونيان .

سليم تقلا الذي أسس جريدة الأهرام اليومية التي مازالت إلى يومنا هذا .

جو رجي زيدان : صاحب دار الهلال وله مؤلفات كثيرة .

أديب اسحق (مدير صحيفة مصر) وسليم نقاش (مدير صحيفة التجارة) ، وكان هذان النصرانيان يعملان بإدارة جمال الدين الأفغاني ، وهو الذي أسس هاتين الصحيفتين .

روز اليوسف ، وقد جاءت من الشام و كانت نصرانية ، وتظاهرت بالإسلام ، وسمت نفسها فاطمة يوسف ، ولكنها سمت صحيفتها باسمها القديم (روز اليوسف) .

أحمد فارس الشدياق- ماروني اعتنق المذهب البروتستانتي على يد البعثة الأمريكية ، ثم جاء مصر وأصدر صحيفة (الجو ائب) ثم أسلم على يد (باي تونس) .] أهـ[1] .

● (جمال الدين الأفغاني) و (محمد عبده) و (عبد الرحمن الكواكبي) :

ولا بد هنا أن أشير إلى ثلاثة من الدعاة ممن كانوا يتزيون بزي العلماء وهم مشهورون في العالم كله كدعاة إلى الوحدة الإسلامية ، وكانوا مع الوقت نفسه يهاجمون تركيا ويسعون إلى هدم صرح الخلافة. وهم:

الأفغاني : وكان يحتضن كثيرا من النصارى واليهود ، وكان طبيبه الخاص اسمه هارون يهوديا ، وقد حضر موته هو ونصراني آخر اسمه (جو رجي كنجي) ، وكان ينزل في لندن ضيفا على (مستر لنت) البريطاني صاحب كتاب (مستقبل الإسلام) ، وعندما حاول الخليفة منع الأفغاني من الخروج من تركيا توسط له السفير البريطاني وخرج . وكان الأفغاني رئيسا لمحفل الشرق الماسوني.

أما محمد عبده: فكان صديقا حميما لكرومر ، وصرح بأن الشيخ عبده سيبقى مفتيا لمصر مادامت بريطانيا فيها ، وكان ماسونيا ، وكان من رواد صالون الأميرة نازلي فاضل ، ومن تلاميذه: أحمد لطفي السيد العلماني الذي أعلن كفره البواح في صحيفته (الجريدة) وسعد زغلول ، وقاسم أمين (صاحب كتاب تحرير المرأة) ، وهؤلاء كان لهم أثر عميق في مجرى الأحداث في مصر.

وعبد الرحمن الكواكبي (1849-1903): وكان جل أصدقاؤه وتلاميذه من المسلمين واليهود والنصارى. وكانت دروسه في مقهى (سبنلددبار) ، نادى بمبايعة خليفة عربي في كتابه (أم القرى) ، وله كتاب آخر اسمه (طبائع الاستبداد) ، دعا إلى المساواة بين الأديان لتحقيق التمسك القومي :

(**دعونا ندبر حياتنا الدنيا ونجعل الأديان تحكم الأخرى فقط ، دعونا تجتمع على كلمة سواء ، ألا وهي فلتحيا الأمة ، فليحيا الوطن ، فلنحيا طلقاء أعزاء**) ، (**هذه الأمم أوروبا وأمريكا قد هداها العلم لطرائق الاتحاد الوطني دون الديني، والوفاق الجنسي دون المذهبي ، و الارتباط السياسي دون الإداري**) .

هؤلاء الثلاثة [1]كانت أفكارهم تمهيدا للعلمانية ، فقد كانت آراؤهم قنطرة عبرت عليها العلمانية إلى الإسلام كما يقول ألبرت حوراني.

---

[1] (الذخائر **العظام** : **ج 1 / 879 – 882**) .

وحطموا الحاجز النفسي بين الكافرين والمسلمين ، وأصبحت نفوس المسلمين قابلة لتقبل الأفكار الواردة وعلى رأسها القومية ، يقول البرت حوراني :

(ومن الحق أن الذي يقرأ لمحمد عبده في مناظراته مع رينان ومع فرح انطون يحس أنه كان يريد أن يقيم سدا في وجه الاتجاه العلماني يحمي المجتمع الإسلامي من طوفانه ، ولكن الذي حدث هو أن هذا السد قد أصبح قنطرة للعلمانية عبرت عليه إلى العالم الإسلامي لتحتل المواقع الواحد تلو الآخر).

ثم جاء تلاميذ محمد عبده ليعمقوا هذا التيار وليقودوا بعلمانتيهم.

فمثلا لطفي السيد: عمق الوطنية الإقليمية وتزعم الدعوة إلى التاريخ الفرعوني.

وجاء سعد زغلول: وسلمه كرومر وزارة المعارف لينادي بالاتجاه الوطني الإقليمي الفرعوني على الصعيدين السياسي والاجتماعي ، ويقول كرومر بأني سلمته وزارة المعارف لأنه من تلاميذ الشيخ عبده.

وجاء قاسم أمين: ليوضح العموميات ويفصل مجمل ما كان يدعو إليه الشيخ عبده ، وينادي بخلع الحجاب ونزع الحياء من حياة المرأة حتى أن الكتاب (تحرير المرأة) نال إعجاب الشيخ عبده ، وقد اطلع على مسودته هو وتلميذه لطفي في جنيف سنة (1897) كما ذكر لطفي السيد وقاسم أمين.

ولذا تعزى الفصول الفقهية في الكتاب إلى الشيخ محمد عبده – كما يظن – لأن قاسم أمين لا علم لهذه القضايا.

ويذكر في هذا المجال إسماعيل مظهر صاحب (مجلة العصور) وهو صهر لطفي السيد ، وكذلك لا بد من الإشارة إلى إصبع من أصابع التخريب وهو عبد العزيز فهمي – صديق لطفي السيد الحميم ، وصديقهم الثالث طه حسين الذي فصل من الجامعة بسبب كفره الصريح في كتابه(الشعر الجاهلي) فاستقال لطفي السيد من الوزارة (وكان وزيرا للمعارف) احتجاجا على فصل طه حسين من الجامعة المصرية.

هذه المجموعة هي التي فرغت الشعب المصري من الإسلام لتحل محلة أفكار جديدة من الفرعونية والعلمانية والوطنية اللادينية ، وقد تكون الصداقة بين هؤلاء وبين الشيخ عبده إن هي إلا محاولة لتقريب هذه الفئة من الإسلام ، ولكنه لم يستطع بعد أن تساهل – من أجل جذبهم –

---

(1) الثلاثة هم : **عبد الرحمن الكواكبي (السوري)** ، و الشيخين **جمال الدين (الأفغاني)** وتلميذه **محمد عبده (المصري)**
.ومن المؤسف أننا درسنا في كل مراحل التعليم في بلادنا : أطفالا وشبابا ، أنهم من رواد **الإصلاح والتنوير ، والتحرر** ...، بل إني أتذكر أن عبده والأفغاني كانا يعتبران من المدرسة الإصلاحية في مناهج الإخوان المسلمين والحركة الإسلامية ، ويرد ذكرهم بالثناء والتزيين ..فلا حول ولا قوة إلا بالله !

في كثير من القواعد الشرعية التي تحدد الولاية والعداوة والصداقة والمقاطعة ، وأفتى بكثير من الفتاوى من أجل رفع الحواجز بينه وبين كرومر من جهة ، وبينه وبين هذه الفئة من جهة أخرى ، مثل الفتوى الترنسفالية ، وفتواه في المرآة والطلاق بالإضافة إلى تفسير كثيرا من الآيات الغيبية في القرآن تفسيرا يكاد يخرجها عن اللسان العربي ويلغي مضمونها بالكلية .

جاء في تقرير كرومر سنة (1906) المقدم إلى الحكومة البريطانية عن حزب محمد عبده :

(... وهؤلاء راغبون في ترقية مصالح مواطنيهم وإخوانهم في الدين ، ولكنهم غير متأثرين بدعوى الجامعة الإسلامية ، ويتضمن برنامجهم – إن كنت فهمته حق الفهم – التعاون مع الأوربيين لا معارضتهم في إدخال الحضارة الغربية إلى بلادهم)

ويقول كرومر :

(إني أشك كثيرا أن صديقي محمد عبده ما كان إلا إدريا Agnostic).

ويقول صديقه بلنت – الإنجليزي – :

(أخشى أن أقول أن محمد عبده – بالرغم من أنه المفتي الأعظم – ليس له من الثقة بالإسلام أكثر مما لي من الثقة في الكاثوليكية).

وأصدق كلمة في محمد عبده وشيخه كلمة الشيخ مصطفى صبري شيخ الإسلام في الدولة العثمانية :

(فلعل الشيخ محمد عبده وصديقه أو شيخه جمال الدين أرادا أن يلعبا في الإسلام دور لوثر وكلفن – زعيمي البروتستانت – في المسيحية فلم يتسن لهما الأمر بتأسيس دين حديث للمسلمين ، وإنما اقتصر سعيهما على مساعدة الإلحاد المقنع بالنهوض والتجديد). ويقول شيخ الإسلام مصطفى صبري – كذلك – :

(أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى محمد عبده فخلاصتها أنه زعزع الأزهر من جموده على الدين ، فقرب كثيرا من الأزهريين إلى اللادينين خطوات ، ولم يقرب اللادينين إلى الدين خطوة ، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بواسطة شيخه جمال الدين الأفغاني ، كما أنه هو الذي شجع قاسم أمين على ترويج السفور في مصر) . [1]

---

[1] لاحظ التركيز الإنكليزي الأوربي على أمور رئيسية ، يتكرر التركيز عليها اليوم من قبل الاستعمار الأمريكي ؛ ومن أهم ذلك :

– تمييع مسألة الولاء و البراء وإزالة الحواجز النفسية ووضوح الأحكام الشرعية في الفرق بين المؤمن والكافر .

– الإصرار على إفساد المرأة كبوابة لإفساد الأسرة والمجتمع والأمة بأسرها .

● الدعوة القومية بداية القرن العشرين :

وأما دعاة القومية العربية فبالإضافة إلى نصارى الشام في القاهرة الذين تولوا توجيه الفكر في مصر كلها ! فقد كان يعمل هناك في المركز الآخر في باريس بعض النصارى السوريين ومنهم: نجيب عازوري. وهو نصراني سوري ألف سنة (1904) جمعية (عصبة الوطن العربي) في باريس . وكان هدفها الذي أعلنته تحرير الشام والعراق من السيطرة التركية ، ونشر سنة (1905) كتاب (يقظة الأمة العربية) باللغة الفرنسية ، وأصدر بالاشتراك مع الكتاب الفرنسيين مجلة (الاستقلال العربي) حيث صدر العدد الأول منها في أبريل سنة (1907) ، وتوقفت بعد إعلان دستور سنة (1908).

يقول ساطع الحصري احد كبار الكتاب القوميين : (إن القومية ابتدأت بنجيب عازوري الذي وضع آماله العربية السورية في فرنسا أولا وفي إنجلترا ثانيا) وكانت أعمال نجيب عازوري تمهيدا لمؤتمر باريس سنة (1931) .

مؤتمر باريس سنة (1913):

يكاد كثير من كتاب القومية العربية يعتبرون مؤتمر باريس أساسا للقومية الحديثة ، وكان عدد المشتركين (24) عضوا نصفهم من المسيحيين ونصفهم من أبناء المسلمين ، و يقول عنه أنيس الصايغ بأنه كان خاليا من المطالبة بالاستقلال حتى لا تحرج بعض الدول الأوربية التي كانت تشجع الحركة القومية وتمدها بالأموال ، وقد صرح الزهراوي رئيس المؤتمر لمراسل جريدة (الطان : Le tamp) الفرنسية بأنه ليس للمؤتمر علاقة بولايات العرب غير العثمانية – أي الشمال الأفريقي – ، فإن فرنسا تشرف على المؤتمر وهي تحكم الشمال الأفريقي ، وشكر وزارة الخارجية الفرنسية ، ورفض المؤتمر إشراك مصر في المؤتمر ، وقد طالبوا بجعل اللغة العربية رسمية في البلاد العربية واضطرت الحكومة الاتحادية أن تفاوضهم بإدخال (3) وزراء عرب وخمسة من الولاة العرب كذلك في سلك الدولة .] أهـ .

عوامل هامة في تطور الحركة القومية :

هنالك عوامل هامة كان لها أثر كبير في تأجيج نار القومية العربية في الرابع الأول من القرن العشرين، ومن أهم هذه العوامل:

استلام جمعية الإتحاد والترقي الحكم في تركيا بعد إسقاط السلطان عبد الحميد في (27) نيسان سنة (1909) ، وبدأت المناداة بالقومية الطورانية التركية ، ومن فلاسفتها خالدة أديب – اليهودية – التي أصبحت فيما بعد وزيرة للمعارف . وكذلك ضيا كوك ألب وهو تلميذ اليهودي

دوركايم و تلميذ اليهودي الآخر مويز ألب ، ومن المعلوم أن قادة الإتحاد والترقي كلهم على الإطلاق من الماسون ، وليس منهم واحد مسلم الأصل أو تركي العرق ، فأنور بولندي ، جاويد – يهود دونمة – كاراسو – يهودي أسباني ... وبدأت جمعية الإتحاد والترقي بفرض عملية التتريك على جميع المحافظات العربية وغيرها ، ففرضت التركية في الدواوين والمدارس والمناهج ، وبدأت عملية التتريك كذلك في أجهزة الدولة ، وقد ظهر هذا واضحا في انتخابات مجلس النواب (المبعوثان) الذي انتخب على أثر إعلان الدستور سنة (1908) فأشرفت جمعية الإتحاد والترقي على الإنتخابات لتكون النتيجة في جانب الجنس التركي ، فكانت النتيجة أن نجح (150) من الأتراك و (60) من العرب ، بينما العرب متفوقون في عدد السكان بنسبة (5 : 2).

وفي غمرة الفرحة بتكبيل أيدي السلطان عبد الحميد أنشئت (جمعية الإخاء العربي العثماني) وفي (2) أيلول سنة (1908) بعد الدستور بشهر ، فعاشت هذه الجمعية ثمانية أشهر ثم حلتها الجمعية الإتحادية.

وقد أدت عملية التتريك الجبري على يد يهود الدونمة إلى ردود فعل عنيفة لدى العرب بإنشاء الجمعيات السرية والعلنية.

تشكيل الجمعيات العلنية والسرية التي تنادي بالقومية العربية ، وتنادي بفصل الدول العربية عن الأتراك ، ولو على الأقل عبر الحكم الذاتي في داخل الدولة العثمانية ، بحيث يكون للعرب إدارة أمورهم الداخلية من تعليم و اقتصاد وثقافة ، ومشاركة الدولة العثمانية في الأمور الخارجية كالدفاع وغيرها.

3– تولية جمال باشا واليا على بلاد الشام ، وكانت خالدة أيب اليهودية أمينة سره ، وقد اضطر جمال باشا أن يهادن العرب ويحسن إليهم في بداية الحرب الكبرى ، لئلا ينضم العرب إلى معسكر الحلفاء ضد تركيا ، وقد استلم جمال باشا قيادة الجيش الرابع في سوريا ، و كان يحس بوجود التجمعات القومية السرية في بلاد الشام و يعلم أن العرب قد ضاقوا ذرعا بتصرفات الاتحاديين وبتعصبهم لتركيا ، فكان العرب يبحثون عن مخرج ، واتصل زعماؤهم بفرنسا ، مما جعل جمال باشا يقتحم السفارة الفرنسية في كل من بيروت ودمشق ويضبط وثائق فيها تثبيت اتصال قادة التنظيمات والجمعيات بفرنسا وتنادي بانفصال سوريا عن العثمانيين ، إلا أن جمال باشا أراد أن يغض الطرف عن القضية طمعا في وقوف العرب لجانب تركيا في الحرب.

وبعد إحساس جمال بنية الشريف حسين بدخول الحرب ضد تركيا إلى جانب بريطانيا استشاط جمال باشا غضبا وأمر بإعدام (11) شخصية عربية في (21) آب سنة (1915) بعد المحاكمة العسكرية في (عاليه) في لبنان .

وفي (6) أيار سنة (1916) شنق (21) شخصية عربية أخرى منهم عبد الحميد الزهراوي (رئيس مؤتمر باريس وعضو مجلس الأعيان التركي) ، وسليم الجزائري مساعد عزيز المصري في الجمعية القحطانية ، وكانت كذلك للمرة الثانية في عاليه.

ولقد أحدثت هذه الإعدامات هزة عنيفة في العالم العربي ، وقد نفذ جمال باشا الإعدام بعد توسط الشريف حسين وابنه فيصل ، إلا أنه لم يصغ إليهما ، وقد كان الأمير فيصل بن الحسين آنذاك في دمشق فرمى كوفيته على الأرض وداسها وقال :

(طاب الموت يا عرب) .

4- دخول الشريف حسين الحرب العالمية إلى جانب بريطانيا ضد تركيا ، فقد بقي الشريف حسين في تركيا ستة عشر عاما ، وكان السلطان عبد الحميد يخشى منه. وبعد إعلان الدستور سنة (1908) اختارته جمعية الإتحاد والترقي ليكون أميرا لمكة ، وعارض عبد الحميد في هذا التعيين .

وقد كان إعلان الدستور في (24) تموز سنة (1908) بعد مؤتمرات طويلة المدى أدارها أعضاء جمعية الإتحاد والترقي الذين كان معظمهم من اليهود الدونمة أو الأتراك المتهودين الذين تلعب بهم أصابع الماسونية في محافل سالونيك ، وقد كانت الجمعية تعقد اجتماعاتها في بيوت اليهود المنتمين إلى الجنسية الإيطالية.

فقد كتب ستون وستون يقول:

(إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية ، فمنذ تأسيسها لم يظهر بين زعمائها وقادتها عضوا واحد من اصل تركي صاف ، فأنور باشا هو ابن رجل بولندي مرتد ، وكان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة (دونمة) ، و كراسو من اليهود الإسبان القاطنين في مدينة سالونيكا، وكان طلعت باشا من أصل غجري اعتنق الإسلام دينا ، وأما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان نصفه غجريا إلى جانب كونه من أتباع مدرسة كونت الفلسفية).

ويضيف ستون وتسون قائلا : إن أصحاب العقول المحركة وراء الحركة كانوا يهودا أو مسلمين من أصل يهودي ، وأما العون المالي فكان يجيئهم عن طريق (الدونمة) ويهود سالونيكا الأثرياء .... كما أنه كانت تأتيهم معونات مالية من الرأسمالية الدولية – أو الشبيهة بالدولية – من فينا وبودبست وبرلين من باريس ولندن).

ويقول هربرت أبري:

(كان يهود سالونيكا ويعرفون (بالدونمة) – أي المرتدون – شركاء الثورة التركية الحقيقيين ، وهؤلاء هم من العرق اليهودي ، ولكن معتقدهم قد لا يكون يهوديا أصلا ، والاعتقاد الشائع بين الناس هو: أنهم مسلمون بالإسم ، وأما بالفعل فإنهم من أتباع توراة موسى ... وفي تلك الفترة التي

نحن بصددها لم يعرف أحد من الناس شيئا عنهم ، سوى قلة من العلماء المختصين بدراسة الشرق الأدنى ، ولم يكن أحد من الناس يجرؤ أن يتنبأ أن هذه اليهودية المعروفة (بالدونمة) ستلعب دورا رئيسيا في ثورة كان لها نتائج خطيرة في سيرة التاريخ).

وقد كان الشريف حسين يتلمس المناسبة للتخلص من الحكم التركي ، خاصة وأنه أحس أن الاتحاديين سنة (1914) يريدون التخلص منه وكان عبد الله بن حسين آنذاك نائبا في البرلمان التركي ، وقد اتصل بكتشنر (المعتمد البريطاني في مصر) وبـ (رونالدستورز) المستشار الشرقي في دار الاعتماد البريطاني . وأطلعه على النفور الشديد بين أبيه وبين الأتراك وسأله عن إمكانية وقوف بريطانيا بجانب الشريف فيما إذا أعلن الشريف الحرب على تركيا ، إلا أنه لم يلق أي تشجيع منهما ، وقال له كتشنر: ليس من المحتمل أن تقف بريطانيا بجانب أبيك.

(وكان الأمير عبد الله نفسه عضوا في إحدى الجمعيات السرية ، وكان مؤمنا بفوائد التفاهم الإنجليزي العربي و متحمسا له) ونشبت الحرب الكبرى في آب سنة (1914) ، وكان عبد الله متحمسا لإعلان الحرب على تركيا ، بينما كان الأمير فيصل يرى الوقوف معها . وفي سنة (1915) زار فيصل دمشق واستانبول ، وفي دمشق انضم إلى جمعية (العربية الفتاة) وأقسم على نصرتها .

وأعلن الشريف الحرب على تركيا يوم الاثنين (5) حزيران سنة (1916) ،

(وسبحان ربي ! فقد كانت هزيمة العرب في يوم الاثنين (5) حزيران سنة (1967).

ومن جانب قبر حمزة بن عبد المطلب –رضي الله عنه - بالمدينة أعلن الحرب بعد أن وعدته بريطانيا باستقلال بلاد العرب وبتتويجه ملكا عليها ، وكان كتشنر قد أصبح وزيرا للحربية البريطانية ، واستلم مكماهون معتمدا بريطانيا في مصر ، وحدثت المكاتبات المعروفة بينه وبين مكماهون ، ووعدوه بملك البلاد العربية بعد استقلالها.

واندفع الشريف حسين بكل طاقته يؤجج نار الحمية العربية ضد الأتراك ، وهُزم الأتراك ، وحصلت اتفاقية سيكس بيكو لتقسيم البلاد العربية بين بريطانيا وفرنسا ، وأعطيت فلسطين لليهود بوعد بلفور ، وكان الجزاء الجميل للشريف حسين أن نفته بريطانيا ست سنوات وسلبت ملكه ، ولقد كانت الصدمة عنيفة لأعصاب الشريف حتى داهمه الفالج وذاب جسده حسرة وألما ، وكان يصب جام غضبه طيلة حياته على مكماهون و لويد جورج – الوزير البريطاني المعروف.

يقول جورج انطونيوس:

(لقد زرته قبل موته بأشهر سنة (1931م) ، وقد قلصه الفالج وابيض وجهه الوسيم من شحوب الموت ... فقال لي: الإنجليز يا ولدي قوم شرفاء في أقوالهم وأفعالهم ، في السراء والضراء:

شرفاء ، ما عدا صاحب السعادة الموقر الهمام لويد جورج فهو أشبه بالبهلوان وبالثعلب . أقول: ثعلب ، حاشا مقامك رحم الله صاحب السعادة كتشنر).

كانت هذه النتيجة الأسيفة الأليمة للتعاون مع الإنجليز . وصدق الله العظيم :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ** ﴾ (آل عمران:149) .

ولقد حذر بعض الصادقين العقلاء الشريف حسين من مغبة غدر الإنجليز ومن هذه الفاجعة المتوقعة ، فد كتب شكيب أرسلان إلى الشريف عندما بلغه عزمه لغزو سوريا مع جيوش الحلفاء قائلا : (أتقاتل العرب بالعرب أيها الأمير حتى تكون ثمرة دماء قاتلهم و مقتولهم استيلاء إنجلترا على جزيرة العرب وفرنسا على سوريا واليهود على فلسطين).

يقول لورنس في أعمدة الحكمة السبعة: (لقد كنت أعلم أننا إذا كسبنا الحرب إن عهودنا للعرب ستصبح أوراقا ميتة ، ولو كانت ناصحا شريفا للعرب لنصحتهم بالعودة إلى بيوتهم ، لقد كان قادة الحركة العربية يفهمون السياسة الخارجية فهما عشائريا بدويا ،

وكان بريطانيا والفرنسيون يقومون بمناورات جريئة اعتمادا على سذاجة العرب وضعفهم وبساطة قلوبهم وتفكيرهم ولهم ثقة بالعدو ... إنني أكثر فخرا أن الدم الإنجليزي لم يسفك في المعارك الثلاثين التي خضتها ، لأن جميع الأقطار الخاضعة لنا لم تكن تساوي في نظري موت إنجليزي واحد).

ويقول و ايزمان (لقد قدم لنا لورنس خدمات جليلة) ، هذا هو لورنس الذي كانوا يسمونه – ملك العرب غير المتوج.

وصلت جمعية الإتحاد والترقي إلى الحكم واستراحت من الغول الرهيب الذي طالما أقض مضجعها وأرق أجفانها (عبد الحميد) وأصبحت تركيا الإسلامية دمية في يد اليهودية تحركها كيف شاءت وأنى أرادت.

وأصبحت مقاطعاتها حمى مستباحا للذئاب الغربية من أعداء الإسلام ، وأصبح هذه المارد الجبار (الدولة العثمانية) يؤكل شلوا شلوا . فابتلع الغرب أولا دول البلقان : النمسا والمجر والبوسنة والهرسك في تشرين الأول سنة (1908) -أي بعد تسلم الإتحاد والترقي زمام الأمور- وبعد إعلان الدستور بشهرين فقط ، وانفصلت بلغاريا ، واعتدت إيطاليا على ليبيا في خريف سنة (1911) ثم نشبت الحرب البلقانية سنة (1912) . وفي هذه السنوات القليلة فقدت الدولة العثمانية جميع ولاياتها في أوربا (ماعدا تراقيا الشرقية) . وفقدت ذلك الجزء من ليبيا الذي يتألف من ولايتي طرابلس الغرب وبني غازي – لقد انسحبت تركيا من ليبيا بمؤامرة خيانة مكشوفة لا تخفي على كل ذي عينين ، ولا يفوتنا أن نذكر أن اليهود الإيطاليين هم أساتذة المحافل الماسونية في سالونيك ، وفي

بيوت هؤلاء اليهود الإيطاليين كانت تعقد اجتماعات جمعية الإتحاد والترقي ، فليس كبيرا أن تعطي جمعية الإتحاد والترقي ليبيا هدية متواضعة إلى إيطاليا كرد جميل على صنيعهم السابق الكبير.

وفضلا عن هذه الخسارة فقدت كريت ، وكانت ميزانية تركيا تنوء بأعباء النفقات العسكرية.

القومية بعد الحرب الأولى (1914 - 1918) :

تعتبر وقفة العرب بجانب الحلفاء ضد تركيا المسلمة نقطة تحول كبرى في الفكر القومي والتجمع على أساس القومية . إذ لم يكن الإنجليز يحلمون في يوم من الأيام أن يقف العرب بجانبهم بوصفهم كفار ضد بني دينهم وعقيدتهم (الأتراك المسلمون).

يقول لورنس: (رجل المخابرات البريطاني وملك الصحراء العربية كما يسمونه):

(وأخذت أفكر طيلة الطريق إلى سوريا وأتساءل: هل تتغلب القومية ذات يوم على النزعة الدينية؟ وهل يغلب الاعتقاد الوطني المعتقدات الدينية ؟ وبمعنى أوضح: هل تحل المثل العليا السياسية مكان الوحي و الإلهام ، وتستبدل سوريا مثلها الأعلى الديني بمثلها الأعلى الوطني؟).

ويعتبر الغرب هذا الموقف نقطة تحول إلى مرحلة جديدة في التفكير القومي.

كتبت (الايكونومست) في حزيران سنة (1962) تحت عنوان (الإسلام ضد القومية) مايلي:

(لقد وضع العرب منذ الحرب العالمية الأولى القومية في المكان الأول حين قاتلوا بجانب الإنجليز – الكفار – من أجل التحرر من المسلمين الأتراك . باستثناء من (الإخوان المسلمين) فليس هناك في العالم العربي اليوم أناس ذوو تفكير سياسي يضعون مجتمع الدول الإسلامية فوق قوميتهم العربية).

ولكن بعد الحرب الأولى إن كانت التجربة القومية مريرة إلا أنه برز عامل جديد وهو: جثوم الإستعمار بثقله على كاهل العالم العربي ، وأصبح هذا العامل وترا جديدا يعزف عليه دعاة القومية ومفكروها ، خاصة بعد ازدياد الهجرة اليهودية إلى فلسطين وقيام ثورة سنة (1936) . فلسطين.

فهناك نقاط بارزة ما بين الحربيين الأولى والثانية أدت إلى ازدياد التفكير القومي أهمها:

الإستعمار البريطاني والفرنسي وقد نقل معه:

العلمانية (اللادينية) إلى أجهزة الدولة ، ورفع الطبقة الممزقة اجتماعيا ، المتفلتة أخلاقيا ، المستعدة للنفاق وإيقاد البخور وإشعال الشموع للحاكم ، الجديد وأصبحت هذه الطبقة هي المستعمر الجديد وإن كانت من أبناء المنطقة.

المناداة بالأفكار القومية كبديل للإسلام وكأساس للتفكير والتجمع والتنفير من الإتجاه الديني ، وأخذ العبرة من التاريخ الأسود المرير لرجال الدين في العصور الوسطى في أوربا.

أصبح نغم التحرر من الإستعمار مادة دسمة للطبقات الناقمة على الإسلام والتي تريد أن تجعل من بعض فترات الحكم التركي صورة للإسلام الذي يمثل الجمود والتأخر والانحطاط!!

إسقاط الخلافة على يد مصطفى كمال أتاتورك ، وما تبع ذلك من تفكير جدي بإنشاء تنظيم حركي إسلامي لإعادة الخلافة وقيام حركة (الإخوان المسلمين) على يد حسن البنا.

3- بروز التفكير القومي على شكل تنظيمات يقودها المسيحيون ، وبروز حزب البعث ، والقوميين العرب ، والقوميون ، السوريون على السطح ، وكانت الجامعة الأمريكية محضنا دافئا لكثير من هذه الأفكار)] أهـ .[1]

ولنعرض إلى نموذج من نماذج الفكر القومي العربي ومنهجه السياسي التي ازدهرت أشباهها في العالم العربي والإسلامي :

حزب البعث العربي الاشتراكي :

تكون حزب البعث الاشتراكي من حزبين:

1- **حزب البعث العربي** : وقد أسسه الأرسوزي و عفلق.

2- **الحزب العربي الاشتراكي**: الذي أسسه سنة (1938) عثمان الحوراني ، ثم آلت قيادته إلى أكرم الحوراني ، وقد انضم أكرم الحوراني سنة (1936) إلى الحزب السوري القومي وانسحب منه سنة (1938) لينضم إلى حزب الشباب العربي الاشتراكي.

وفي (1952/1/26) انضم الحزبان الأول والثاني فكونا حزب البعث العربي الاشتراكي.

حزب البعث العربي:

اختلف في المؤسس ، فمنهم من قال ميشيل عفلق وصلاح البيطار ، ومنهم من قال زكي الأسوزي ، إلا أن حركة (23) شباط التي عملها صلاح جديد النصيري سنة (1966) في سوريا أحلت الأرسوزي أبا روحيا للحزب ، والبعث هو وارث (عصبة العمل القومي) وهي عبارة عن نواة تنظيمي كل من عفلق و الأسوزي ، وقد بقيت هذه العصبة من (1932- 1939).

وفي سنة (1939) انسحب الأرسوزي منها وشكل الحزب القومي العربي).

أما زكي الأرسوزي: فهو رجل مصيري ، ملحد ، لا يتكلم العربية ! متأثر بمباديء الثورة الفرنسية والنازية ، وخاصة كتاب نيتشة : (هكذا تلم زرداشت) عن موت الإله ونشوء الإنسان

---

[1] (الذخائر العام : ج1/ 882–889) .

السوبرمان ، بدأ يتعلم العربية بعد سنة (1940) ! وكان الأرسوزي يرى الجاهلية العربية مثله الأعلى ، ويعتبرها المرحلة العربية الذهبية.

يقول سامي الجندي (ناقشته سنة (1946) بالقرآن فعاب علي نزعتي الدينية).

مبادئ الحزب البعث:

المنقولة عن مباديء الحزب القومي الذي شكله الأرسوزي سنة (1939) ورمزه النمر.

1- العرب أمة واحدة.

2- للعرب زعيم واحد يتجلى من إماكانات الأمة العربية يمثلها ويعبر عنها.

3- العروبة وجداننا القومي ، مصدر المقدسات ، عنه تنبثق المثل العليا ، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء.

4- العربي سيد القدر ، وفسرها الأرسوزي مستشهدا بالإنجيل :(لا تسقط شعرة من رؤوسكم إلا بأمر أبيكم الذي في السموات).

يقول الجندي:

(وفي 1940/11/29. كنا في غرفة فقال الأرسوزي: أرى أن نؤسس حزبا نسميه حزب البعث العربي).

(أصبحت مباديء الحزب القومي هي مباديء حزب البعث العربي هي هي).

ويقول سامي الجندي:

(كنا عصاة تمردنا على كل القيم القديمة ، أعداء لكل ما تعارف عليه البشر ، ألحدنا بكل الطقوس والعلاقات والأديان).

(اتهمنا بالإلحاد وكان ذلك صحيحا أيضا ،رغم كل ما زعم البعثيون فيما بعد من مزاعم التبرير).

أما مشيل عفلق:

وفي آذار سنة (1949) جاء حسني الزعيم فأيده البعث ، ثم اختلفوا معه فألقى ميشيل عفلق في السجن ، فكتب مذكرة استعطاف له فخرج ثم جاء (الحناوي) بعد حسني الزعيم فاختار ميشيل وزيرا للمعارف ، فاغتنمها فرصة ليرسل البعثيين في بعثات دراسية إلى فرنسا ، فعادوا واستلموا الجامعات الإدارات.

كان الصراع على أشده بين قادة الحزب ، حتى أنه في انتخابات سنة (1955) للمؤتمر القطري كانوا يقولون (عفلق جاسوس إنجليزي ، و الحوراني فرنسي ، والبيطار عمل لأكثر من دولة).

أما الاتهامات بالسرقة والجرائم الخلقية فحدث عنها ولا حرج .

وهنا نسجل بعض الملاحظات:

1- لقد كان الحزب مأوى يتجمع فيه كل الناقمين على الإسلام أو الطامعين في الحكم ، فانتبه النصيريون إليه ودخلوه ليكون سلما إلى دولتهم النصيرية ، ودخل فيه الإسماعيليون مثل سامي الجندي و عبد الكريم الجندي.

والدروز: مثل سليم حاطوم.

واليهود: مثل أحمد رباح الذي كان رئيسا للحزب في دمشق.

و إيلي كوهين: ضابط المخابرات الإسرائيلي الذي ذهب إلى الأرجنتين ، وأقام صداقة مع أمين الحافظ، ثم دخل سوريا باسم (كامل أمين ثابت) ، وسكن حي (أبو رمانة) في دمشق ، وأصبح شقته الحصن الحصين الذي يأوي إليه قادة البعث وفوق أسرة كوهين شرب نخب النصر سليم حاطوم وعبد الكريم زهر الدين يوم الإنقلاب البعثي (8 آذار 1963) ، وعرضت على كوهين الوزارة ، واستشار بن غوريون رئيس وزراء إسرائيل فلم يوافق ، وكان يسمى الشاب الثوري الأول ، وكان الشخص المدني الوحيد الذي يدخل المطارات والقواعد العسكرية ، وأخيرات اكتشفت السفارة الهندية أن يهودي من خلال الإشارات اللاسلكية التي يرسلها إلى إسرائيل يوميا ، وكانت فضيحة عالمية ، وحوكم كوهين ، وكان الذي يحاكمه هم تلاميذه وربائب حجره، ولعله وعد بأن يخلي سراحه إذا أخفى مصائب الحزب البعثي الحاكم .. وكان سليم حاطوم هو رئيس المحكمة العسكرية التي حاكمته ، وبسرعة فائقة طويت القضية ، وأعدم كوهين ليطوي في صدره مآسي ونكبات الصبية البعثيين الذي تديرهم اليهودية العالمية من خلال المرأة والكأس.

2- إن المؤسسين الحزب البعث ليسوا مسلمين أصلا فزكي الأرسوزي نصيري ملحد ، وميشيل عفلق مسيحي – قيل أنه يوناني الأصل.

3- إن مباديء حزب البعث كفر صريح ، (العروبة مصدر المقدسات ، عنه تنبثق المثل العليا ، وبالنسبة إليه تقدر قيم الأشياء ، العربي سيد القدر) فالمثل العليا هي العروبة وليس الإسلام أو القرآن والسنة.

4- كان أتباع البعث الأوائل ملحدين ، أعداء للأديان جميعا. قال سامي الجندي في كتابه البعث : (لقد كنا خوارج على الشرائع التي تعارف عليها الناس فنسفناها جميعا).

5- ويقول : (إن الحزب رغم ادعائه القومية والوطنية لم يعد دراسة عن القضية الفلسطينية أخطر قضية العربية في العصر الحديث) .

6- لقد تسلق النصيريون على سلم البعث فاستطاعوا أن يستلموا البلد عسكريا ومدنيا ، وفي (22) شباط سنة (1966) قام صلا جديد – النصيري–بإقصاء عناصر أهل السنة من مراكز القوى – وفي سنة (1970) عندما جاء حافظ الأسد – بالحركة التصحيحية جعل الدولة نصيرية خالصة.

7- إن الأحزاب القومية ليس لها أيديولوجية (عقيدة) تجاه الكون والإنسان والحياة ، ولذا بقيت إطارا فقط دون مضمون ، ولذا اضطرت أن تملأ فراغها العقائدي بالماركسية والاشتراكية ، ولذا فإن الأحزاب القومية كلها أصبحت: (عربية الإطار والمظهر شيوعية الحقيقية والمخبر) وهذا الذي أقر به جلال السيد في كتابه (حقيقة القومية العربية) بأن هنالك تيار عفوي قام بصياغة المواضيع الإقتصادية ، لأن الرواسب قد أطلت تحت ستار التقدمية والاشتراكية وبأن الشيوعية هي حقيقة هذا التيار.

8- لقد انتحر الحزب بمجرد وصوله إلى الحكم ، ولقد انتقد ميشيل عفلق سنة (1965) في سوريا تسلط العسكريين على الحزب وإقصاء المدنيين من اللجان المركزية للحزب ، فطرد عفلق ، بل حكم عليه بالإعدام هو والمؤسس الآخر صلاح البيطار ، ثم لوحق البيطار حتى اغتالته النصيرية في منفاه في باريس سنة (1981) . وأما عفلق فقد احتضنه البعث العراقي بعد وصوله إلى الحكم في إنقلاب (1968) على عبد الرحمن عارف ، فجاء به تلميذه صدام حسين الذي أصبح نائبا لرئيس الجمهورية ثم بالتالي رئيسا لجمهورية العراق.

وقد سئل صدام حسين في مقابلة صحيفة له طبعت ووزعت في الأردن سنة (1981):

ما علاقتك بميشيل عفلق ؟ فرد صدام :

(**علاقة الابن بأبيه . ولولا ميشيل ما كان صدام شيئا**) ، ومن المعروف أن صداما كان حارسا خاصا لميشيل عفلق من بداية الستينات ، وكان ميشيل يستعمله لتصفية خصومه السياسيين ، وفي سنة (1979) صفى الرئيس صدام حسين – منذ الأيام الأولى لحكمه – معظم قادة الحزب لمعارضتهم المبدئية لرئاسته.

وكتب عن مأساة الحزب بعض قادته مثل الدكتور منيف الرزاز (التجربة المرة) ، ومطاع الصفدي (حزب البعث مأساة المولد ومأساة المصير).

لقد انتهى الحزب في سوريا إذ تسلق عله النصيريون ثم قتلوه ، وأصبحوا يتفكهون بالتعدي على كل الأديان والقيم المباديء. فاستعانوا أولا بذراري المسلمين الداخلة في حزب البعث ، ثم صفوهم تدريجيا ، وأصبح الكفر هو شعار الدولة في كل الأجهزة: كتب إبراهيم خلاص في مجلة جيش الشعب السورية(1967/4/25) :

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العرب الجديد الذي يؤمن أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال والاستعمار والمتخمين وكل القيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ). تعالى الله عما يلحد المجرمون .

وقال شفيق الكمالي يمدح صداما:

تبارك وجهك القدسي فينا   كوجه الله ينضح بالجلال

{ أستغفر الله العظيم وأتوب إليه !! وتعالى الله عما افترى هذا الكلب الذي سرعان ما لاقى جزاءه في الدنيا قبل الآخرة .

ولتوفيق الكمالي مع صدام قصة هي في الحقيقة من آيات الله .. ففي الحرب العراقية الإيرانية 1979-1986 عرض الخميني وقف الحرب مقابل استقالة صدام ، وفي إحدى جالسته الخاصة ، قال هذا الشاعر توفيق الكمالي لجلسائه ، لو أن سيادة الرئيس قبل وحقن الدماء.، ورفعت الإستخبارات التقرير ، فاستدعى صدام الكمالي ، الذي اعترف باقتراحه معتذرا بأنه رأي أن ذلك سيكون من فضائل الرئيس الكثيرة على الأمة .. فأمره صدام أن يمد لسانه ، وأخذه بيده وقطعه بمدية حادة..وهكذا ألقي صدام اللسان الذي شبه وجهه القذر ، بوجهه سبحانه وتعالى .، فألقي في المزبلة التي يستحقها بيد ذات الطاغية الذي امتدحه ، فسبحان الله رب العالمين .

وقد سمعت هذه القصة من أحد تسجيلات الشيخ عبد الله عزام رحمه الله .}

وعندما دخلت قوات البعث حماة سنة (1964) كانت تهزج قائلة:

هات سلاح خذ سلاح   دين محمد ولى وراح

وفي سنة (1980) خرجت سرايا الدفاع والحزبيون يهتفون (سقط الله) (الأسد ربنا) (لا إله لا الوطن ولا رسول إلا البعث) (لا إله إلا ساجي – ابن سليمان المرشد –الذي ادعى الألوهية بين النصيرية في الأربعينات!) .

{ وفي النصف الثاني فمن الثمانينات ، وبعد القضاء على الثورة الجهادية في سوريا ، خرجت مظاهرة بعثية نصيرية في مدينة حمص التي يضم ثراها قبور عشرات آلاف الصحابة رضي الله عنهم ، وكانوا يهتفون : (حلَّك يا الله حلَّك..تعين حافظ محلك) ..

- (حلك) تعني بلهجة تلك المنطقة (حان لكَ).. أي (آن لله) أن يستخلف حافظ الأسد ربا مكانهُ..- أستغفر الله العلي العظيم- ولعنة الله على الطغاة الملحدين . }

9- لقد ابتدأ حزب البعث مع بداية الحرب الثانية (1939) ، وكانت النازية والفاشستية تملأ برنينها العالم وذا فقد تأثر بها .. فمثلا كان زكي الأرسوزي متأثر بنيتشة فيلسوف النازية ، وخاصة بكتابه (هكذا تكلم زرداشت عن موت الإله ....) وأما عفلق فهو متأثر كذلك (بنيتشه) و(جيد) ، فجاءت أفكارهم تلخيصيا للإلحاد والقلق الذي كان يعاني منه نيتشه الذي كان يسمي المسيحية (دين الكلاب العرجاء) ، وأهم سمات فلسفة نيتشة تتخلص في ثلاثة نقاط:

1- الإلحاد 2- إن فكرة القيامة هي التي جعلت من المسيحية (أخلاق العبيد) إذا أن، حقد الضعفاء تجاه الأقوياء جعلهم يوحون لهم بفكرة الآخرة ، فاستسلم الأقوياء للأساطير ، وعم ظلام المسيحية العالم .

3- اليأس والقلق: اللذان هما شرطان دائمان للعظمة الإنسانية.

وإليك مقارنة بين كلام عفلق وكلام النازية والفاشستية:

1- (البعث قدر الأمة العربية) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية هي قدر الأمة الإيطالية) وهو الحق الإلهي عند هتلر ، وهو نفس كلام ترو تسكي:(إن الحزب الشيوعي لا يخطئ لأنه تجسيد للحتمية التاريخية).

2- إن العقيدة البعث لا يمكن الوصول إليها بالعقل ولكن بالإيمان وحده) يقابل كلام موسوليني (الفاشستية لا تنافس ، إنها تدرك بالإحساس).

3- (إن القدر الذي حملنا رسالة البعث أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ونتصرف بقسوة) وهو نفس الكلام موسوليني (إن القدر الذي حملنا رسالة الفاشستية أعطانا الحق في أن نأمر بقوة ، ونتصرف بقسوة).

4- (إن البعث هو الطليعة ، وعلى الجماهير أن تمشي وراءها) ، وهو نفس كلام موسوليني (إن الفاشستية هي حكم الصفوة المختارة وعليها أن تقود الجماهير).] **أهـ**[1]

{ تذكرني هذه الشواهد ، بما لفت نظري أثناء دراستي التاريخ في جامعة بيروت ، ما وجدته في أحد الكتب المقررة عن وحدة إيطاليا ، وجدت تشابها كبيرا بين فكر وأعمال أحد دعاة القومية والوحدة الإيطالية – لا يحضرني اسمه الآن – وما كنا نسمعه من أفكار عفلق و الأرسوزي وحزب البعث في سوريا ، ومن ذلك الشعار الثلاثي ، وتسمية جريدتهم البعث ..وغير ذلك . ولا أشك الآن أن أفكار البعث صنعت في أقبية الماسونية ، ومؤامرات الصليبية ، حتى أني قرأت في إحدى الصحف أن البابا قال لعفلق في إحدى لقاءاته معه : لقد نجحت يا ميشيل فيما فشلت فيه الحروب الصليبية !

ثم كانت تجربة عبد الناصر والضباط الأحرار ، ودعواهم القومية العربية نموذجا شبيها في مصر لما سلف من نموذج البعث في سوريا والعراق . }

[1] (الذخائر العظام :ج889/1-892)

الانقلابات العسكرية والقومية:

إن الأفكار الجديدة لا بد لها من قيادات عسكرية تفرض آراءها بالقوة ، وبهذه الطريقة استبدل الإسلام بالقومية و الإشتراكية.

ولذا فقد أوصت الدوائر الغربية في بلادنا والمستشرقون بوجوب المجيء بقيادت شابة عسكرية يفرض من خلالهم ما يريد الغرب من مبادىء.

يقول قسطنطين زريق :

(إن العرب لا بد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة و تقدمية ، وأن عليهم أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية ، وعندئذ فقط تستطيع الطائفة المستنيرة أن تواصل كفاحها ضد العناصر الرجعية بالتعاون مع الغرب).

ويقول جب:

(إن نجاح التطور يتوقف إلى حد بعيد على القادة والزعماء في العالم الإسلامي وعلى الشباب منهم خاصة).

وفكرة القومية قضية جذابة براقة تستطيع أن تخدع الجماهير بسهولة باسم التحرر والتقدم والوطنية.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين الثابتة على السلطة في الدولة ... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

ومن المعلوم أن العسكريين لا علم لهم بإدارة الأمم ولا رعاية الشعوب ولا سياسة الجماهير ، ولذا تدار البلاد من خلالهم . لقد وصف (ستيف ميد) المبعوث من وزارة الخارجية الأمريكية فئة العسكر لانقلاب سنة (1952) في مصر وصفا دقيقا يصلح لكل العسكريين فيقول:

(إن هؤلاء الأولاد يظنون أنفسهم أعضاء عصابة (روبين هود) الهزلية ، وهم فرحون بأنهم يحملون صفة (أبطال الثورة) ، ولكني لم أجد واحد استطاع أن يشرح لي ما هو هدف هذه الثورة ... إنهم لا يهتمون بالسياسة .. ولعل هذا من حظنا نحن وعبد الناصر معنا ... إنهم بحاجة إلى من يقول لهم ماذا يفكرون ويعملون).

ولقد سأل بعض ضباط الجيش عبد الحكيم عامر – غداة إطلاق النار على عبد الناصر في ميدان المنشية – سنة (1954) عما حققته الثورة وأسباب الحادث فقال في صراحة (إنه لا يعرف عما تحققه الثورة ، وأن جمال هو الذي خطط ونفذ ، وهو الذي يعرف خطوات المستقبل).

ويقول مورو بيرجر في كتابه (العالم العربي اليوم):

(إن النخبة العسكرية في الشرق الأدنى في مصر والسودان والعراق وتركيا وإيران وباكستان كانت عوامل هامة في جلب التغيير ... فأصبح العرب متغربين بدون أن يتكلفوا الذهاب إلى أوربا).

يقول مايلز كوبلاند:

(إن عبدا الناصر لو لم يكن قد ولد فإن لعبتنا كان عليها أن تخلقه أي تربي حاكما دكتاتوريا مثله) ولذلك فإن مناداة عبد الناصر بالقومية سنة (1954) كان بإشارة أمريكا كما بين ذلك مايلز كوبلاند – رجل المخابرات الأمريكي – ، ولقد كان لمناداة عبد الناصر أثرا بالغا في العالم العربي ، وما كان للقومية أن يكون لها هذا الانتشار لولا مصر وزعيمها ، ولقد مهد عبد الناصر لهذا الانتشار القومي وكذلك نجاح البعث وتغلغل الشيوعية وانحسار الإسلام من المنطقة كلها . ولكن الأفكار التي فرضت على المنطقة بالقوة اجتثت من فوق الأرض – كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض مالها من قرار – كما يقول بنارد لويس:

(إن أخذ أي نظام سياسي جاهز ليس فقط من بلد مختلف بل من حضارة مختلفة وفرضه بواسطة الغربيين أو الحكام المتغربين في الشرق عمل خاطىء ، فلقد فرضت الديمقراطية بأوامر و فرمانات الحاكم المطلق ... فكانت النتيجة قيام نظام لا صلة له بماضي أو بحاضر البلد ، ولا صلة له بحاجات مستقبلة)[1].

ولقد نادى (كوك ألب) التركي ، بفصل الدين عن الدولة (علمانية الدولة) ، ونادى بوجوب أخذ ثقافة الغرب بحذافيرها ، ومع الاحتفاظ بالثقافة القومية أو بعبارة أدق هو يريد إقصاء الإسلام نهائيا عن الحياة مع عدم السماح للناس أن يسموا هذا العمل إلحادا أو زندقة ، بل على الناس أن يسموا هدم الإسلام سلاما.

ويعتبر الغربيون كوك ألب (واضع الأسس النظرية للدولة التركية الحديثة) كما يقول هارولد سميث]أهـ

القومية التركية الطورانية:

لقد بذرت البذور الأولى للقومية التركية في داخل الأكاديمية العسكرية في (استانبول) مع الأساتذة العسكريين الألمان الذين وفدوا إلى الكلية ليدربوا الأتراك الذين كانوا بحاجة إلى جيش قوي مدرب على وسائل القوة الحديثة وأساليب القتال العالية ، خاصة وأن تركيا تقاتل العالم بأسره ، والذي يرميها عن قوس واحدة ، فقد وصلت بعثة عسكرية ألمانية سنة (1883) يرأسها الكولونيل (فون درجولسن) وبقي يعمل قرابة ثلاث عشرة سنة تم خلالها بذر بذرة القومية.

---

[1] وهذا بالضبط ما تفرضه أمريكا اليوم فرضا في البلاد العربية والإسلامية وهو ما تسميه الشرق الأوسط الكبير !

وأما العامل الثاني لنشوء القومية الطورانية فهو: هجرة اللاجئين المجريين و البولنديين إلى تركيا بعد فشل ثورتهم سنة (1848) ، واعتناق هـؤلاء الإسـلام ، حيـث أصـبحوا مـن الطبقـة المتنفـذة في الدولة ، ومن هؤلاء (قسطنطين بورزيكي) ، وقد سمى نفسه بعد ذلك مصطفى جلال الـدين باشـا ، فلقد كان هذا الرجل هو رأس الأفعى القومية التي نقلت سمها إلى عقـول ونفـوس الأتـراك ، يقـول برنارد لويس:

(ولقد عمل يورزيسكي على نقل القومية البولونية ووضعها في قالب تركي ، وساعده على هـذا العمل ما عرضه من أعمال المستشرقين الغربيين الباحثين في الشئون التركية ، وكان لها تـأثير هـام في تقدير التاريخ التركي القديم ، والاعتقاد بالهوية المميزة).

ولا يفوتنا أن نعود فنـذكر بـأن أعضـاء (جمعيـة الإتحـاد والترقـي) كلهـم ماسـون (منظمـة يهودية عالمية) ، وأن يهود سالونيك هم اليد المحركة لهذه الجمعية . ونعود مرة أخرى فنذكر بكلام ستون وتسون : (إن الحقيقة البارزة في تكوين جمعية الإتحاد والترقي أنها غير تركية وغير إسلامية) فأطاحت بعبد الحميد وبتركيا وبالإسلام.

ولقد كان لهذه الدعوة إلى القومية التركية أثر سيء انعكس في نفوس الشعوب الإسلامية التـي تخضع للسيادة العثمانية ، و بدأوا يطالبون بالاستقلال ويشكلون الجمعيات السرية لمحاربة تركيـا ، خاصة بعد السلوك المشين الغريب الذي سارت عليه جمعية الإتحاد والترقي ، وكان على رأس هـذه الشعوب (العرب) الذين اتخذوا من هذا السلوك مبررا للوقوف بجانـب بريطانيـا ضـد الأتـراك في الثورة العربية الكبرى بقيادة الشريف حسين ، وكان لهذا نتائج وخيمة على العالم الإسلامي .

يقول توينبي:

(إن الضباط في تركيا الحميدية هي الطبقة الوحيدة التي استطاعت أن تفـتح نافـذة فكريـة دائمة تنفذ عن طريقها التأثيرات الغربية ، لـذلك ففـي سـنة (1908) وبعـد ثلاثـين عاما مـن حكـم استبدادي مظلم كان الجيل التركي الجديد من العسكريين هو رأس الحربة لهجوم الليبراليـة الغربيـة على تركيا).

مقارنة بين القومية الطورانية والقومية العربية:

لقد التقت القومية الطورانية والعربية على أشياء أهمها:

أن الغرض من كل منهما هو القضاء على تركيا المسلمة ، وعلى السلطان عبد الحميد بالذات.

لقد بدأت القوميتان في وقت واحد تقريبـا وإن كانـت القوميـة العربيـة تقـدمت قلـيلا عـلى الطورانية.

القوميتان علمانيتان اتفقا على استبعاد الإسلام عن الحياة .

إن كلا من القوميتين نشأتا في محا ضن أجنبية ، فالقومية العربية نشأت في المحاضن الأمريكية وفي الجامعة الأمريكية ، بينما الطورانية نشأت في المحافل الماسونية اليهودية التي يشرف عليها اليهود الإسبان والبولنديون الإيطاليون.

إن الرواد الأوئل لكل من الدولتين لم يكونوا مسلمين أصلا ولا من الجنس الذي يدعون إلى قوميته ، فمثلا (بورزيكي) الذي سمى نفسه مصطفى جلال الدين – بولندى الأصل – عمل على نقل القومية البولندية وصبها في قالب تركي ، ومنذ تأسيس جمعية الإتحاد والترقي لم ، لم يظهر بين زعمائها وقادتها واحد من أصل تركي صاف ، فأنور باشا بولندي مرتد ، و جاويد من الطائفة اليهودية (الدونمة) ، و كراسو (من اليهود الإسبان) في سالونيك ، وطلعت باشا من أصل غجري ، وأما أحمد رضا فنصفه شركسي ونصفه مجري ومتأثر بـ (كونت).

الرواد الأوائل للقومية العربية كانوا جمعيا من غير المسلمين من بطرس البستاني ، و ناصيف وابنه إبراهيم اليازجي ، و الشدياق وأديب إسحق ونقاش و شميل وتقلا و صروف وزيدان ونمر ومشاقة ، كل هؤلاء على الإطلاق من النصارى ، ثم جاء القرن العشرون وكان من قادتهم: زكي الأرسوزي (نصيري تركماني) وميشيل عفلق (نصراني) 0 قادة البعث ، وأنطو ن سعادة وجورج عبد المسيح من قادة الحزب القومي السوري حبش – من قادة القوميين العرب. وكلهم نصارى !!

يقول الكاردينال بريتولي للبابا : (**إن المسيحية في الشرق هي التي زرعت الحركات الثورية وحركات التغيير ، وإن أسماء مثل ميشيل عفلق، وأنطوان سعادة، وجورج حبش قد تفسر لك ما أعنيه**).

إن الأصابع الماسونية- اليهودية – كانت تحرك طلائع الحركتين، فالخمسة الأوائل الذين أنشأوا (جمعية بيروت السرية) كلهم من الماسون. وكذلك الذين نادوا بالقومية الطورانية هم من الماسون
.

هناك بعض الرؤوس المدبرة للإطاحة بالإسلام في تركيا ، انتقلت لتواصل عملها في القاهرة ! فمثلا عزيز المصري كان في جمعية الإتحاد والترقي، ثم أنشا (الجمعية القحطانية) و (جمعية العهد)، والحاخام اليهودي في استانبول – ناحوم حاييم _إنتقل إلى القاهرة بعد إسقاط الخلافة في تركيا وكان له تأثير في السياسة المصرية ، أيام عبد الناصر . وكذلك اسماعيل أحمد أدهم ، جاء من تركيا إلى مصر وألف كتاب (لماذا أنا ملحد) وأسس (المجمع الشرقي لنشر الإلحاد) .

تأثرت القومية العربية بالنظريات الأمريكية، وتأثرت الطورانية بالثورة الفرنسية. يقول فيليب حتى: (كان من نتاج الاحتكاك بين العقلية السورية والنتاج الفكري الغربي أن تولدت مبادئ القومية العربية الشاملة، واستمدت وحيها بالأكثر من النظريات الأمريكية، بخلاف القومية التركية التي جاءت متأخرة عن العربية والتي استمدت إلهامها من مبادئ الثورة الفرنسية).

كانت الأصابع اليهودية بارزة في القومية التركية، لا يـزال اليهـود يحرصـون عـلى ربـط العـرب بقوميتهم .يقول (أبا إيبان) - الذي كان وزير خارجية إسرائيل – في محاضرة له في جامعة برنستون الأمريكية : (يحاول بعض الزعماء العرب أن يتعرف على نسبة المد الإسلامي بعد الهزيمـة الأخـيرة (1967) ، وفي ذلك الخطر الحقيقي على إسرائيل، ولذا كان من أولى و اجباتنـا أن نبقـي العـرب عـلى يقين راسخ بنسبهم القومي لا الإسلامي) .]أهـ . [1]

<u>**قال الشيخ عبد الله عزام:**</u>

وأخيرا فإنا نقول: إن واقع العرب يدل دلالة واضحة على النتائج التي توصلت إليهـا الـدعوات القومية والإقليمية والعلمانية هي :

قطع صلة العرب بالدولة الإسلامية.

تمزيق العالم العربي إلى دويلات هزيلة حتى تبقى في قبضة العالم الغربي والشرقي ، تتسـابق في ولائها لأمريكا أو إلى روسيا لتحمي أنظمتها في المنطقة.

تضخم الكيان الإسرائيلي الذي أصبح تنينا يفتح شدقيه يبتلع كل فترة جزءا من بلاد العرب.

انهيارات في معظم النواحي الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعسكرية.

نشوء أجيال ليس لها هوية معينة ، وليس لها أي مبدأ في الحياة ، لا تعلم لماذا تعيش؟ ممزقة خلقيـا ، متفسـخة اجتماعيـا ، متفككـة أسريـا ، أفئـدتهم هـواء ، تـراهم كـل يـوم في رأي ، يغـيرون أفكـارهم كـما يغـيرون أزيـائهم في الاعتقـاد والاقتصـاد والثقافـة والاجـتماع ، يقـول زويمـر – زعـيم المبشريـن – مخاطبا المبشرين :

(<u>إنكم أعددتم شبابا في ديار الإسلام لا يعـرف الصـلة باللـه ، ولا يريـد أن يعرفهـا ، وأخـرجتم المسلم من الإسلام فجاء النشء الإسلامي طبقا لما أراده الإستعمار ، لا يهتم للعظائم ، ويحب الراحـة والكسل ولا يصرف همه في الدنيا إلا في الشهوات</u>).

إن هذا الشرق لم يشهد في يوم من الأيام وحدة ولا عزة ، ولم يكن لـه كيـان إلا بالإسـلام الـذي وحده أول مرة ، ولن يجد نفسه مرة ثانية إلا بالإسلام.

لقد مزقت القومية أوربا فنقلها العرب ليمزقوا أمتهم الإسلامية ، بل ليفتتوا الشعوب العربيـة نفسها.

كما يقول توينبي متسائلا ومعترفا بذنب بلاده وحضارته :

(فهل من الضروري حقا أن يتفتت العالم العربي كما تفتت الإمبراطورية الأسبانية في أمريكـا – لسوء الحظ – إلى عشرين دولة مستقلة عن بعضها تعيش في قوالب ضيقة غربية الـنمط . هـذا

---

[1] (الذخائر العظام : ج1/ 893 – 895)

هو الوجه الثاني الكالح لحضارتنا الغربية ، ومن المؤسف أن تقلده الشعوب الناطقة بالعربية تقليدا تاما . إن سحر القومية جذاب في أمثال هذه المجتمعات الإسلامية المبعثرة ، ولكن القومية لن تقود هذه المجتمعات إلى حياة جديدة ، بل إلى حكم بالموت والفناء).

إن النغمة التي عزفتها الطبقات المتسلطة في العالم الإسلامي والعربي هي نغمة القومية ، وهي مزوقة جميلة تشنف الأسماع وتبهج القلوب ، ولكنها مخدرات تذبح الشعوب من خلالها على مذابح الشهوات قرابين رخيصة في سبيل الطغاة والطاغوت ، وإن الخرير الذي يعكسه صوت النزيف الدموي قد جذب كثيرا من القطعان لتساق إلى مذبحها ونهايتها البئيسة الأليمة.

يقول جب:

(إن الأسلوب الذي استطاعت به طبقة المتغربين تأمين قبضتها الثابتة على السلطة في الدولة ... كان القومية ... فالقومية هي فكرة غربية تماما).

وإن سبب انتشار القومية في العالم العربي هو سيطرة الغرب نفسه على العالم الإسلامي.

يقول المؤرخ الإنكليزي توينبي في كتابه (الغرب والشرق والمستقبل) :

(ففي الوقت الحاضر الذي يجد الغرب نفسه منذ الحرب العالمية الثانية ويرى أنه جزء إلى أكثر من أربعين دولة قومية مستقلة ذات سيادة يهدد بانهيار البيت كله كاملا على من فيه بسبب انقسامه هكذا على نفسه.

ومع ذلك فإن اعتبار الغرب لا يزال له من القوة في العالم ما يبقي جرثومة القومية الغربية قادرة على السريان والعدوى ، ومن المأمول أن يستطيع العالم الإسلامي على كل حال إيقاف انتشار هذه الداء السياسي الغربي – القومية – عن طريق الشعور الإسلامي القومي بالوحدة)!!.

إن القومية ليست الدواء الناجع لأمراضنا ، بل هي داء عضال مما أصابنا.

يقول سميث: (**وتاريخ الشرق الأدنى الحديث يدل أن القومية المجردة ليست القاعدة الملائمة للنهوض بالواجب الشاق ، وما لم يكن المثل الأعلى إسلاميا على وجه من الوجوه ، لن تثمر الجهود البتة_)**

وما أجمل كلمة سيدنا عمر بن الخطاب ننهي بها هذا الحديث :

(نحن قوم أعزنا الله بهذا الدين ومهما ابتغينا العزة بغيره أذلنا الله).

قال الله تعالى :﴿ لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَاباً فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (الأنبياء:10) .

فالمسلمون والعرب يُذكرون بالقرآن ، فبسبب من هذا الكتاب تذكر هذه الأمة ، ولقد تقدم العرب أول مرة إلى البشرية على هدي هذا القرآن ، وأمسكوا بزمام البشرية بعد أن تمسكوا بالكتاب وأقاموه في حياتهم.

﴿ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلونَ ﴾ (الزخرف:44) .

﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالأِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ (المائدة: 68) .

فأهل القرآن ليسوا على شيء ، ولا وزن لهم ولا قيمة إلا إذا أقاموه فيهم ، وعملوا به في حياتهم ، وطبقوه في واقعهم.

﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتاً ﴾ (النساء:66) .

جاء في تقرير ديلسبس – القنصل فرنسا العالم في سوريا – في (1956/8/19) الذي كتبه بمساعدة مساعده (بلانس) مايلي :

(من أبرز الحقائق التي يلحظها من يريد دراسة هذه البلدان ، المكانة التي يحتلها الدين في نفوس الناس ، والسلطة التي له في حياة الناس ، فالدين يظهر في كل مكان وفي كل أمر.

ففي المجتمع الشرقي يظهر أثر الدين في الأخلاق العامة ، وفي اللغة ، وفي الأدب و في جميع المؤسسات الاجتماعية .

والرجل الشرقي لا ينتمي إلى وطن ولد فيه – الشرقي ليس له وطن – بل إلى الدين الذين ولد فيه ، وكما أن الرجل في الغرب ينتمي إلى وطن ، فإنه في الشرق ينتمي إلى دين ، وأمة الرجل الشرقي هي مجموعة الناس الذين يعتنقون الدين ذاته الذي يعتنقه هو ، وكل فرد خارج عن حظيرة الدين هو بالنسبة إليه رجل أجنبي غريب).

القوميات والإقليميات الجاهلية:

لقد حرك الغرب وتلاميذه في كل مكان نغمات الارتباط بالجاهليات التي تسبق الإسلام حتى يقطع الصلة بالإسلام ويتجاوزها .

ففي المغرب: حاولت الإدارة الفرنسية أن تشد أزر الروح الجنسية بين بربر مراكش ، فقامت بإصدار الظهير البربري في 16 مايو سنة 1930 الذي قضى بتنفيذ الأحكام العرفية البربرية وقانونهم الخاص بالأحوال الشخصية بدل الشريعة الإسلامية.

وفي إندنوسيا: اكتشف الحضارة الجاوية – الهندوكية.

وفي لبنان: أثار سعيد عقل ويوسف السودا و فيكتور شبح الفينيقية ، وقالوا بأن لبنان لا ينتمي إلى العرب ، بل هو جزء من حضارة البحر المتوسط – إيطاليا ، واليونان.

وفي مصر: أثيرت الحضارة الفرعونية ، خاصة بعد اكتشاف توت عنخ آمون ، وبعد أن حل شامليون ألغاز(حجر روزيتا) ، وتولى سلامة موسى ، ولطفي سيد ، ثم سعد زغلول ، وطه حسين الدعوة إلى الفرعونية ، وبدأت تظهر أسماء رمسيس ، الأهرام ، نفرتيتي ، أبو الهول ، واتخذ أبو الهول شعارا يمثل نهضة مصر ، وفي زمن عبد الناصر أقيم السد العالي فأثارت اليونسكو همة العالم لإنقاذ معبد (أبي سنبل الفرعوني) ، ونقل تمثال رمسيس – فرعون موسى – إلى القاهرة وكلف الملايين ، وأصبح الأتراك ينادون بشعار (تركيا للأتراك) ومصر (للمصريين).

يقول (كويلرينغ) عن لويس توماس:

(أنه قد استطاع أن يرسم الخطوط العريضة للظروف التاريخية والاجتماعية للحركة التي انتهت بالزعماء الأتراك المحدثين إلى تحقيق مبدأ تركيا للأتراك ، وهذا المبدأ الذي سار عليه أغلب شعوب المنطقة) .

ولذلك كان الكماليون يقولون :

(**نريد أن نبني إسلاما تركيا يكون ملكا لنا وجزءا من مجتمعنا الجديد على نحو الكنيسة الإنجليكانية التي هي مسيحية على النمط الإنجليزي**).

وفي مصر العربية كانت أضواء هذه الصيحات تتجاوب فتحرك الببغاوات المصرية التي تلعب بها الأصابع الغربية (الإنجليزية بالذات) فتنادي (بفرعونية مصر) ، فقال طه حسين (المصري فرعوني قبل أن يكون عربيا) ، وقال طه حسين : **(لو وقف الإسلام بيني وبين فرعونيتي لنبذت إسلامي) ! .**

وعليه فانه ليس من الغريب أن ترى اهتمام الغرب الكبير بالآثار والمتاحف الوطنية حيث تأسست قبل قرن تقريبا هيئات غربية للإشراف على التنقيب في العالم الإسلامي لربط المسلمين بالآثار وبالقيم والأعلام الذين كانوا قبل مجيء الإسلام ، فجاء (بوتا) و(لايارد) إلى العراق ، و عملت (مارييت) في مصر ، و(سشلمان) في تركيا ثم أنشئوا دوائر الآثار والمتاحف الوطنية ، وليس عجيبا بعد ذلك أن ندرك تبرع مؤسسة (روكفلر اليهودية) بعشرة ملايين دولار لإنشاء متحف للآثار الفرعونية ومعهد لتخريج رجال الآثار ، ولعلنا بعد هذا نصل إلى سبب النص في صك الانتداب البريطاني على فلسطين مادة (21) : (يجب أن تضع الدولة المنتدبة وتنفيذ في السنة الأولى من تاريخ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات) . كل هذا لقطع صلة بإسلامهم وربطهم بالجاهلية الأولى ، حتى يتسنى للغرب أن يستعبدهم ويذلهم تحت يده.

يقول الدكتور (ولسون) في مؤتمر الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة الذي عقد في جامعة (برنستون) سنة (1952) : (إن في بلاد الشرقيين الأدنى والأوسط في هذه الأيام نهضة حضارية هي

من ناحية جديدة ، ومن ناحية أخرى بعث القديم ، إن نهضة الغرب المسيحي وحركة إحياء المعارف فيه قامت على عمليات التفكير والجدل فيها على الأعمال الكلاسيكية والوثنية).

وفي إيران : قام الصفويين والحكم البهلوي بتوهين العلاقة مع العالم الإسلامي . فأنشأ الحكم البهلوي أكاديمية للتخلص من المفردات العربية في الفارسية ، واكتشفت الأكاديمية مجد إيران القديمة ، وبزغ مذهب زرداشت من جديد ، واحتل مكانا مرموقا في بلاد السبع والشمس ، وبدأت العمارات الجديدة تبني على لطراز الأخميني القديم ، وأقام الشاه محمد رضا بهلوي احتفالا بمناسبة مرور (25) على كورش صانع الأمبرطورية الفارسية ، وثارت في إيران قوميات أخرى مثل: البلوش ، والأكراد والعرب.

وفي العراق : ثارت النعرات ، فنادى بعضهم بالقومية العربية ، ونادى الأكراد بقوميتهم والكردية والأتراك بالتركية ، وثارت الدعوات الآشورية و الكلدانية.

وفي الهند: تأججت نار العصبية الهندية ، وأصبح الهنود يفخرون بالهندية ، ويرون الانقطاع عن ماء زمزم في مكة إلى نهر(جنجا) ، ويتغنون بأبطال الهندوم (بهيم أرجن ، رام ها).

وأصبحوا ينظرون إلى الفتح العربي على أنه استعمار واستبعاد واحتلال الغريب لأرض الوطن ، وهذا الذي يفخر به المسلمون ، مما جعل المسلمين ينادون بقيام دولة يعيشون فيها حياة إسلامية ، وبفكر إسلامي . تكون فيها جنسية المسلم هي عقيدته ودينه وإسلامه.

وقد قال إقبال يخاطب المسلم – حيث كان – :

(لا تقس أمم الغرب على أمتك ، فإن أمة الرسول الهاشمي صلى الله عليه وسلم فريدة في تركيبها ، أولئك إنما يعتقدون باجتماعهم على الوطن والنسل ، ولكن إنما يستحكم اجتماعك أيها المسلم بقوة الدين).

وفي الأردن وفلسطين: ارتفعت الأصوات بالتغني بالأمجاد القبلية القديمة وقامت النزاعات بين قبائل الشمال والجنوب في شرق الأردن وبين الفلسطين وبين أبناء شرق الأردن ، وأصبحنا نسمع عن مدن : مؤاب ، و فيلادلفيا ، و عمون.

لقد صدق فينا قول رب العزة :

(إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ) (المجادلة:20) .

(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) (طـه:124).

وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم**).

لقد ذقنا مرارة بعدنا عن كتاب الله ، وتجرعنا آلام تنكبنا لطريق الله ، وحصدنا ما زرعنا من بذور القومية ثمار القطيعة والتمزق والضياع والخذلان والخسران :

﴿ أَوَلا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لا يَتُوبُونَ وَلا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴾ (التوبة:126) .

لقد آن لنا أن نرجع إلى الله ، وننبذ من أيدينا كل أو صار الجاهلي ، وندعو أنفسنا بالعودة إلى طريق السعادة ﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى ﴾ (طه:123). إما الله أو الفناء ، إما الإسلام أو الدمار .] أهـ[1]

الشيوعية في العالم العربي خلال القرن العشرين :

[لقد أشرف اليهود على تنظيم وتكون الأحزاب الشيوعية في العالم العربي فهم قادتها ومخططوها.

يقول الشيوعي اليهودي الفرنسي (روبنسون) :

(لم تتأسس أحزاب شيوعية ومنظمات متعاطفة إلا في الحلقات الأجنبية في البلدان العربية في مصر وفلسطين ، ولم تجد إلا القليل من الأتباع وكانت مقطوعة عن واقع تلك البلاد ، وانتهت دون أن تثير اهتماما كبيرا).

وفيما يلي نورد الأسماء اليهودية المؤسسة للشيوعية في البلدان العربية:

1- الحزب الشيوعي في مصر:

بدأ التنظيم سنة (1921) في الإسكندرية على يد روسي يهودي اسمه (جوزيف روزنبرغ) تصحبه ابنته (شار لوت) . وفي سنة (1927) أوفدت موسكو ثلاثة يهود لتشكيل التنظيم ومتابعته.

ثم انتدبت روسيا اليهودي المصري (هنري كوريل) وأمدته بأموال طائلة أسس بها (بنك كوريل) في مصر ، وشكل الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني (حدتو).

ثم تشكلت (منظمة الأسكرا) أي الشرارة وهو نفس اسم الجريدة التي كان يصدرها لينين في سويسرا قبل نجاح الثورة ، شكل هذه المنظمة اليهودي (ايلي شوارتز) ، ثم غير اسمها فيما بعد إلى (نحشم): (نحو حزب الشيوعي مصري) ، ثم انضمت إلى (حدتو).

(منظمة الفجر الجديد) أسسها اليهوديان يوسف درويش و ريمون دويك ، ثم أصبح اسمها (د . ش) الديمقراطية الشعبية.

(المنظمة الشيوعية المصرية) (م .ش .م): أسسها اليهوديان أوديت وزوجها لمون سدني.

(منظمة تحرير الشعب): أسسها (مارسيل إسرائيل).

---

[1] (الذخائر العظام : ج 1 /901)

2- **الحزب الشيوعي في العراق:**

أسسه اليهود وكان معظم أفراده في بداية الأمر من اليهود ، وعلى رأس قادته ساسون دلال ، ناجي شميل ، وصديق يهوذا ، ويوسف حز قيل ، وكلهم من اليهود.

ويروي قدري قلعجي في كتابه (تجربة عربي في الحزب الشيوعي) ص (21-22) يروي الأستاذ بدر شاكر السياب – بالإضافة إلى ما رواه من فضائح أخلاقية لا نريد الوقوف عندها – كيف كان يعمل مع رفاقه الشيوعيين العراقيين لنشر الشيوعية فيقول: (رحنا نضرب على كل وتر تخرج نغمته موافقة لما نريد ، بثثنا بين الطلاب الأكراد أن القوميين يكرهون الأكراد وقوميتهم بينما نعتبرهم نحن إخواننا ، وأخذنا نسب القومية العربية أمامهم ، بل رحنا ننتقص من العرب ، ونزعم أن التاريخ العربي ما هو إلا مجموعة من المذابح والمجازر ، وزعماؤهم العظام ما هم إلا إقطاعيون جلادون إلى غير ذلك ، ومررنا على إخواننا اليهود دون حاجة إلى دعوة ، و استغللنا بعض الرفيقات للتأثير على بعض الطلبة.

3- **الحزب الشيوعي السوري اللبناني:**

تأسس الحزب سنة (1924) بعد الحزب الشيوعي الفلسطيني والمصري ، وكان يرأسه في لبنان (جاكوب تايبر) اليهودي الروسي ، وكان يساعده ثلاثة يهود هم: ميك ، أوسكار ، مولر.

ثم دخل بيروت يهود ثلاثة عن طريق حيفا وكلهم من الروس ، وهم عيون موسكو الثلاثة جوزيف بيرجر ، اليهوبيتر، نخبمان لتفينسكي.

وقد كان الحزب السوري اللبناني تابعا للحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين ، ثم تبع الحزب الشيوعي الفرنسي.

4- **الحزب الشيوعي الفلسطيني والأردني:**

لقد كان التفكير بفلسطين من القضايا الكبرى التي تشغل رؤوس قادة الثورة البلشفية ، ومنذ الأيام الأولى من الثورة: أصدر لينين في روسيا قرار ذا شقين بحق اليهود.

أولا: اعتبار العداء لليهود (للسامية) جريمة قانونية.

ثانيا: تأييد إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين.

وقد صدر هذا القرار قبل صدور وعد بلفور – وزير خارجية بريطانيا – في (2) تشرين الثاني سنة (1917) بأقل من عشرين يوما.

ولذا اهتم شيوعيو روسيا بالتنظيم الشيوعي في فلسطين ، فكان الذي تأسس سنة (1919) أول حزب في المنطقة ، وقد شكله أولا اليهودي الروسي (روزشتاين) ، وأوفدت موسكو قطبين يهوديين من أقطاب الحزب الشيوعي الروسي للتنظيم في فلسطين ، وهما: جاك شابيليف ، رادول كارن بورغ وكان جميع عناصر الحزب الشيوعي الفلسطيني في بداية الأمر يهودا روسيين.

ثم أرسلت موسكو (فلاديمير جابو تينسكي) فنشط نشاطا ملحوظا في فلسطين ، ثم انتدب (س. افربوخ) اليهودي – الملقب بأبي زيام – لتنظيم الحزب الشيوعي في البلاد العربية ، وكان الأخير صديقا للينين في سويسرا ، وأبرز الشيوعيين في الفلسطين ، وقد تولى رئاسة الحزب الشيوعي في فلسطين من (1924-1929) .

وكانت عضوية الحزب الشيوعي الفلسطيني أولا ، قاصرة على اليهود و دخله قلة من الفلسطينيين العرب ، وقد كانوا غير موثوقين لدى الأكثرية الشيوعية وغير مؤتمنين على أسرارهم ، وفي سنة (1937) تأسست أو حركة علنية للحزب الشيوعي الفلسطيني وراء ستار نقابة عمال في حيفا سكرتيرها إميل توما.

وفي الناصرة نقابة عمال سكرتيرها إميل حبيبي ، وفي يافا سكرتيرها فؤاد نصار.

سنة (1939) أنشأ الشيوعيون عصبة التحرر الوطني ، وكان سكرتيرها اليهودي (بن فكي) ، ومساعده توفيق طوبي ، وكانت مطالب هذه العصبة جلاء بريطانيا ، ثم تشكيل حكومة مشتركة بين اليهود والعرب.

وفي حرب (1948) تحول أعضاء عصبة التحرر إلى قادة عصابات مسلحة ، يذبحون الشعب الفلسطيني فانسحب بعض الشباب المغرر بهم ، في حين وقف الشيوعيون المتحمسون يدفعون عن اليهود ويقفون بجانبهم ، منهم المحامي إبراهيم بكر في الناصرة ، وفؤاد نصار في يافا ، وغيرهم من قادة الشيوعيون العرب في فلسطين.

وبعد نكبة (1948) صار الحزب الشيوعي الفلسطيني اليهودي يشرف على بقية فلسطين غير المحتلة ، وكان في رئاسة الحزب إميل توما و توفيق طوبي و إميل حبيبي ، وهذان الأخيرين عضوان في الكنيست اليوم ، وكانت الصلة بين الشيوعيين في قسمي فلسطين عن طريق (ضابط إسرائيلي وسكرتير صحفي من الشيوعيين يعملان في لجنة الهدنة) ، وكانت نشرات الحزب الشيوعي تذيل بعبارة في أسفلها بالعبرية : طبعت بمطابع الحزب الشيوعي الفلسطيني ، أي (القسم المحتل).

وفي سنة (1950) ضمت الضفة الغربية إلى الأردن وقد اعتقل طلعت حرب الشيوعي في رام الله وهو يوزع المنشورات الشيوعية التي أحضرها من إسرائيل ، سنة (1951) ، عثرت قوات الأمن في عمان على مطبعة للشيوعيين وهي مسجلة بأرقام وعبارات عبرية .

سنة (1952) صدر الأمر من موسكو بفصل الحزب الشيوعي الأردني عن الحزب الشيوعي الفلسطيني، وكان فائق وراد لا زال في المنطقة المحتلة ، فسمحت له القوات الإسرائيلية بالخروج ليصبح قائدا من قادة الحركة الشيوعية ، ولتقدمه منطقة رام الله سنة (1956) نائبا عنها في مجلس النواب الأردني ، ويومها قدمت القدس يعقوب زيادين – الشيوعي النصراني – نائبا عنها.

وفي سنة (1957) حل الحزب الشيوعي الأردني واعتقل قادته وأودعوا معتقل الجفر ، وألقى فؤاد نصار سكرتير الحزب الشيوعي الأردني عدة محاضرات أولها (الشيوعية وإسرائيل) جاء فيها (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري ، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة ، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطى بغربال).

وعندما مات فؤاد نصار في عمان سنة (1977): أقام الحزب الشيوعي الإسرائيلي (راكاح) له حفلا تأبينيا في الناصرة تلك فيه زعيم الحزب (ماير ملنر) ، وكذلك توفيق طوبي وإميل توما ، وتوفيق زياد صاحب فكرة (يوم الأرض) – 30 آذار – ، وتوفيق هذه عضو في الكنيست الإسرائيلي وكان يجمع التبرعات سنة (1978) بالعلم الإسرائيلي من أمريكا.

ولا زالت البرقيات تتبادل بين الحزب الشيوعي الأردني الإسرائيلي ، منها ما جاء بالنشرة الشيوعية الأردنية في نيسان سنة (1977) ما يلي: (كما قدر المجلس عاليا المواقف المبدئية والثابتة ي القوى التقدمية في إسرائيل نفسها وفي مقدمتها الحزب الشيوعي (راكاح).

وقد كان محمود درويش وسميح القاسم الشاعران الفلسطينيان الشيوعيان – الممثلان للأرض المحتلة – يحملان علم إسرائيل في مؤتمر صوفيا الدولي.

يقول الأستاذ سعد جمعة: (وقد ثبت بما يقطع كل شبهة قيام تنظيم موحد ، وترابط عقائدي ، وتخطيط ، وتكامل في التخطيط والهدف بين كل من الحزب الشيوعي الإسرائيلي والأحزاب الشيوعية العربية ، ومن عانى متاعب الحكم في الأردن ، يعرف أن الكثير من المنشورات الشيوعية العربية كانت تأتينا عبر الحدود من إسرائيل ، وإن كثيرا من قادة الحزب الشيوعي الأردني قذفوا علينا من إسرائيل بعد أن تتلمذوا وتدربوا على أيدي دهاقنة الحزب الصهيوني المضللين).] هـ .

(الذخائر:974- 976) .

● الشيوعيون العرب وقضية فلسطين:

رأينا فيما سبق أن التنظيمات الشيوعية في العالم العربي ، كلها أشرف عليه اليهود وسهروا عليها ، وأما قادة الشيوعيين الذين ينتسبون إلى العروبة فقد تربوا على أيدي دهاقين اليهود بعد أني غيروا عقولهم فأصبحت يهودية ، وقد كان اليهود يعلقون آمالا كبيرة على هؤلاء التلاميذ وعلى التقدم الإشتراكية في المنطقة.

وفي سنة (1948) كان الشيوعيون العرب – من أبناء فلسطين – يكتبون إلى موسكو: (إن جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود هو الطريق الوحيد والوسيلة الناجحة لبلشفة العالم العربي).

وعندما كان قرار التقسيم . وبعد أن أعلنت روسيا عن تأييدها الصارخ للقرار ، عاد الشيوعيون العرب يؤيدون التقسيم . فقد أعلن السكرتير العام للشيوعيون العرب – خالد بكداش

– قائلا: (الحكومات الرجعية العربية هي المسؤولة ، لقد عارضت الإتحاد السوفيتي الصديق حتى اللحظة الأخيرة ولم تخطب وده . صحح أن اليهود ليسوا أمة لكنهم شعب له حق الحياة).

ولقد كشف رفيق رضا (عضو قيادة الحزب الشيوعي اللبناني السوري) الذي انشق على خالد بكداش وكان مساعدا له ، فيقول: (كانت قيادة الحزب الشيوعي بمثل حماس ابن غوريون على بعث الدولة ليهودية في فلسطين ، فإسرائيل في نظرها واحة من واحات الديمقراطية في الشرق الأدنى ، والشعب الإسرائيلي المشرد لا بد وأن يلتقي في أرض الميعاد ، وإن واجب التضامن الأممي في عرف القيادة المذكورة هو من صلب المبادئ الماركسية ولذا فوجود إسرائيل له في عرفها مبرراته الإنسانية التي تتخطى المبررات و الوقائع القومية).

ولقد عرف الناس جميعا موقف الشيوعية المخزي تجاه إخوانهم من أبناء جلدتهم ، فقد رموا العرب المشردين – الذين يدافعون عن كيانهم وعن حياتهم ودينهم وأعراضهم – عن قوس واحدة . وهاجموهم واعتبرهم معتدين ، وكانوا يصفون اليهود بأنهم مظلومين ، وقد كانوا يعتبرون الدفاع عن فلسطين رجعية دينية ومؤامرة ضد اليهود.

ففي العراق قال الشيوعيون: (إن الشعب العراقي يرفض بإباء أن يحارب الشعب الإسرائيلي الشقيق).

وقال سكرتير الحزب في العراق (يوسف سلمان الملقب بفهد) : (مرحبا بإنشاء دولتين عربية ويهودية في فلسطين واشترط لهما الإشتراكية والتحالف ضد الرجعية الدينية العربية).

وكتبت المنظمة الشيوعية المصرية في (15) مايو سنة (1948) تحت عنوان :(غزت جيوش البلاد العربية فلسطين): (وهذه الحرب حرب رجعية تخدم البرجوازية العربية و تكبت البروليتاريا الصاعدة (اليهود) الثورية في فلسطين).

وبعد قيام إسرائيل أخذ الشيوعيون ينادون بالصلح معها. فقد كان الشيوعيون يوزعون باستمرار مقالات (صموئيل ميكونيس) سكرتير الحزب الشيوعي الإسرائيلي التي كان ينشرها في جريدة (الكومنفورم) تحت عنوان (في سبيل سلم دائم).

وألقى فؤاد نصار (سكرتير الحزب الشيوعي الأردني سنة (1957) محاضرة في الجفر قال فيها: (إننا نعلم ويعلم الجميع بأن إسرائيل أمر واقع ودولة لها كيانها السياسي والإقتصادي والعسكري ، وإن اليهود شعب كباقي الشعوب له حق الحياة ، وأنا أعترف باليهود كدولة لأن الشمس لا تغطي بغربال)

وبعد قيام الثورة الفلسطينية واشتداد عودها اندس الشيوعيون في أوساطها وصاروا ينادون بمقالتهم (التفريق بين اليهودي والصهيوني) وذلك لتمييع القضية الفلسطينية.

قالوا: نحن لا نقاتل اليهود الشرفاء إنما نقاتل الصهيونية.

ولا ندري كيف نفرق في الميدان العام بين يهودي شريف؟! على حد زعمهم وبين صهيوني ، بينما يرى قادة المنظمات الصهيونية أن كل صهيوني يهودي . بل صهيون يطلق على الجزء الجنوبي من القدس (جبل اليبوسيين) ، ثم أصبح اليهود يطلقونه على القدس ويسمونها (ابنة صهيون) وفي التوراة (ترنمي يا ابنة صهيون ، إهتفي يا ابنة أورشليم).

يقول هرتزل : (الصهيونية هي العودة إلى حظيرة اليهودية قبل أن تصبح العودة إلى أرض الميعاد).

ويقول بن غوريون: (أنا يهودي أولا و إسرائيلي بعد ذلك ، لاعتقادي بأن دولة إسرائيل أوجدت لأجل الشعب اليهودي بأسره ونيابة عنه).

وأخذ قادة الثورة الفلسطينية ومنظماتها يثقفون الشباب الثقافة الثورية !! ثقافية ماو وجيفارا . وثورية لينين وستالين ، وآراء ماركس وحياة كاسترو . لقنوا الشباب عشرين اصطلاحا يلفون ويدورون حولها ... إمبريالية ، برجوازية . ديماغوجية ، بروليتاريا...

وظن الشباب أنهم قد ملكوا شيئا جديدا استبدلوه بدين الله – عز وجل – واشتروا بآيات الله ثمنا قليلا وبالمقدسات .

وأعلنوا الحرب ضد الرجعية (دين الإسلام) ، إلى صراع داخلي نقل إلى كل بيت بين الأخ وأخيه وبين الابن وأبيه ، وبين الفتاة وأمها.

وصار مسؤلوا منظمة الأنصار (الشيوعية) – التي ماسمعنا بها إلا من خلال الأوراق – يحضرون في مجمع النقابات سنة (1969- 1970) ويقولون: أعداؤنا (الإمبريالية الصهيونية وليس اليهود الشرفاء!!).

واحتفلت الفئات الثورية في أمانة العاصمة في عمان في (10) نيسان (1970) أسبوعا كاملا بعيد ميلاد لينين المئوي ، وما بقي مفرق طريق ، ولا باب ، ولا بقالة ، ولا حانوت ، إلا وألصقت عليه صور لينين العظيم !! – غارس دولة الإلحاد في الأرض –.

أما في قواعدهم فقد رأيناهم عن كثب ، وأسماؤهم الحركية أبو جهل ، أبو لهب ، و ماو ، و جيفارا ، و هوشي منه.

أما سر الليل عندهم : فهو شتم الدين الرب ، وأما طعامهم : فقد كانوا يصطادون الكلاب ببنادقهم ثم يأكلونها ، لأنه لا فرق عندهم بين الكلب والخروف ، إذ دعوى التفريق خرافة رجعية جاء بها أحد الأعراب في الصحراء اسمه (محمد صلى الله عليه وسلم).

ولقد رأيناهم عندما كان الشباب المسلم المجاهد الذي يحمل السلاح ، يرفع الأذان في التجمعات الفدائية ، كان أبناء لينين و ماوتسي تونغ يصفقون ويلعنون ويرفعون أصواتهم قائلين:

إن تسل عني فهذي قيمي   أنا ماركسي لينيني أممي !

وصدق الله العظيم:

﴿ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُواً وَلَعِباً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ ﴾ (المائدة:58).

ولا يزال الشباب المسلم المجاهد الذي يرزح تحت الأغلال في سجون إسرائيل – عندما يقوم الصلاة – يعاني من الضجة التي يفتعلها الذين يعملون لحساب جورج حبش و نايف حواتمة ، وكم حصلت خلافات وصدامات بسبب تعرض أحد الشباب المسلم لماو أو لجيفارا أو للينين أو لماركس.

وبعد انتهاء العمل الثوري في الأردن ، رأينا بعض قادة اليساريين مثل جورج حبش يظهر مرة أخرى في (اليمن الجنوبية الديمقراطية) – أرض عاد – ينظم جامعات ومعاهد و لماو وماركس ولينين.

وعجبت كيف يتعاون الإنجليز مع دعاة القومية العربية الشيوعيين ، لولا أنها جبهة واحدة سخرت لمحاربة الإسلام وأهله.

(الصليب الإنجليزي يمكن للشيوعيين في اليمن ليرفع منجلهم و(شاكوشتهم) وتنظم طلائع القومية العربية ممثلة بشخص جورج – اسمه ليس عربيا –) وذلك لترويع الشعب اليمني المسلم بفطرته ، ولإرسال العبوات الناسفة إلى اليمن الشمالية لهدم المنشآت وقتل الأطفال والبنات.

وأدركت عندها أبعاد المؤامرة العالمية ضد الإسلام وأهله . أما القيم والأخلاق فليس لها أي اعتبار عند الثوريين الاشتراكيين ، فكم من الرفيقات !! قد غرر بهن باسم فلسطين وكنت تدخل قواعدهم – خاصة – في مكاتب المدن كعمان ، فتجد ذوات البنطال الضيق اللواتي ينمن على أنغام الموسيقى ويستيقظن على أوتار العود بين مجموعات الخنافس و الهيبيين!!.

وفي مظاهرة في الجامعة الأردنية سنة (1979) كانت أصوات هؤلاء ترتفع فتقول :

(مطالبنا شرعية خبز وحرية والشاب بجنب الصبية).

وقد رأيت أحد الشباب اقترب منهم وقد بدأت بعض النعرات الإقليمية تظهر ، فقال هذا الشاب الطيب لهم: أيها الإخوة أخاطبكم باسم الإسلام ، فقام له أحد المغرر بهم من الرفقاء الاشتراكيين الثوريين : (مطالبنا على الكشوف رجعية ما بدنا يشوف) أي: لا نريد أن نرى الإسلام **]أهـ**[1]

---

[1] (الذخائر العظام : 984- 986) .

هزائم العرب والمسلمين وتفككهم و مسيرهم نحو قعر الهاوية خلال النصف الثاني من القرن العشري:

وهكذا شهد النصف الثاني من القرن العشرين استقلال الدول العربية والإسلامية ، وكان استقلالا شكليا مبرمجا لم يكن في حقيقته أكثر من عملية تحول في أسلوب المحتلين المستعمرين إلى ما عرف باسم الإستعمار الحديث . حيث فتت الإستعمار العالم العربي إلى نحو 22 دولة ، وفتت العالم الإسلامي إلى ما بلغ بمجموعه أكثر من 55 دولة ، وقد تسلط على حكم تلك البلاد بترتيب دقيق ومباشر من الإستعمار ، نماذج متعددة من أنظمة الحكم ، فكان منها الأسر الو راثية المالكة ، ولاسيما في مناطق الثروات الطبيعية الكبيرة الهامة ولاسيما مناطق النفط . وكان منها الأنظمة الديكتاتورية العسكرية القمعية ، ولاسيما في مناطق الحركة والنشاط والوعي والثقافة ، كما في بلاد العراق والشام ومصر . وكان منها أنظمة ديكتاتورية تسترت بالنظام الليبرالي الغربي ..وغير ذلك .

ولكن كل تلك الأنظمة ساست شعوبها بالقمع والظلم والقهر ، ومارست عليهم سياسات الإفقار والتجهيل، والسير بهم نحو دروب الفسوق ونشر الفواحش ، والتيه والضلال ..

كما حكمت كل تلك الأنظمة بلا استثناء – بالقوانين الوضعية المستوردة من بلاد الغرب المستعمر كلا أو جزءا ..

وخلال تلك الأعوام انحط العالم الإسلامي إلى أسفل قائمة الدول المتخلفة التي تعاني من

كم هائل ومتنوع من الأزمات ..وبسبب ذلك ، وبسبب ما أوجد الغرب في تلك البلاد من التيارات الفكرية والسياسية المتعددة المشارب والأهواء بين فلسفات الشرق الشيوعي الاشتراكي الملحد ..، و هرطقات الغرب الإباحي الليبرالي المتهتك ..قام صراع مرير على السلطة في كثير من تلك البلاد ، وتمكنت كتل سياسية مناوئة للأنظمة الحاكمة من الوصول للحكم ، وقدمت نماذج مغايرة عنها لم تكن أقل منها كفرا وظلما وتيها وانحلالا ، واستمر مسلسل الضياع والأزمات .

كما دخلت كثير من الأنظمة المصطنعة حروبا إقليمية فيما بينها ، ولم يحل الدين الواحد ، ولا حتى روابط القومية بين الحكام وبين قيام تلك الحروب . فحرب بين إيران والعراق ، وبين العراق والكويت ، وبين اليمن والسعودية ، وبين السعودية ومصر . وحروب بين ليبيا وتشاد وبين الجزائر والمغرب ، وبين سوريا والأردن وبين سوريا وقوى متعددة في لبنان ، ونزاعات حدودية بين إمارات الخليج ، بين السعودية وقطر ،وبين قطر والبحرين ، وقتال ضار بين النظام الأردني والفلسطينيين ، وبين النظام السوري والفلسطينيين ، وبين القوى اللبنانية المختلفة والفلسطينيين ، وتهديدات كادت تشعل الحرب بين سوريا وتركيا، وبين سوريا والعراق ، وبين السودان واريتريا ، وبينها وبين تشاد ...إلى آخر تلك الصراعات والحروب التي أهلكت مئات آلاف الأرواح وأفقرت البلاد والعباد ولم يكن منها صراع واحد يمكن اعتباره على حق وباطل ، أو أن فيه رائحة من دواعي القتال الشرعي .. وإنما

قتال على نزوات الملوك والحكام ، لتكون العزة لفلان أو لعلان ، من الجرابيع الحاكمة في بلاد المسلمين .

وفي ظل هذه الأوضاع طمع الأعداء فينا ، فاحتل اليهود ثلثي فلسطين سنة 1948 ، بخيانة قيادات الجيوش العربية السبعة . ثم احتل سنة 1967 ما تبقى من فلسطين و القدس الشرقية والمسجد الأقصى المبارك ، بالإضافة إلى أراض من سوريا ومصر ولبنان والأردن تزيد مساحتها على 5 أضعاف مساحة فلسطين ، كل ذلك بسبب خيانة الأنظمة في كل من سوريا البعث و النصيرية ، ومصر عبد الناصر والقومية العربية ، ونظام الماسوني العريق الملك حسين في الأردن . وفي سنة 1973 حول النظام النصيري في سوريا ، ونظام الخائن أنور السادات النصر العربي اليتيم الوحيد ضد اليهود إلى هزيمة عسكرية ثم سياسية، في حرب رمضان الشهيرة بعد عبور القوات المصرية التاريخي لقناة السويس تحت صيحات الله أكبر . والزحف الرائع للقوات السورية التي وصلت بحيرة طبريا وأنزلت قواتها في مرتفعات الجولان ..

ومنذ الاتفاقات الخيانية للرئيس السادات سنة 1980 ثم اتفاقيات فصل القوات بين سوريا الأسد النصيري وإسرائيل ، ثم ما تلا ذلا من الخيانات التي تولى كبرها ياسر عرفات ومنظمة التحرير الفلسطينية ثم ما سمي بالسلطة الوطنية الفلسطينية ، خسر العرب كل شيء بما فيها أرضهم ومقدساتهم بل وكرامتهم ، أما م إسرائيل المدعومة من أمريكا وأوربا .. وأما في العالم الإسلامي فقد قضمت قوى الكفر المختلفة كثيرا من بقاعه واحتلتها ..فاحتلت الهند كشمير ، واحتفظت روسيا القفقاس والجمهوريات وسط آسيا ، وفقد المسلمون استقلالهم وأكثر بلادهم في دول أوربا الشرقية ، وكذلك في العديد من الدول الأفريقية وجنوب شرق آسيا ..

وأما منذ 1990 ، ومنذ تسلمت أمريكا راية العدوان وتحكمت في العالم واتخذت من الشرق الأوسط (الكبير) وهم معظم العالم العربي والإسلامي مجالا لغزواتها وطموحاتها الإمبراطورية ونهبها الاستعماري ، فقد وصل العالم العربي والإسلامي إلى قعر الانحلال والتفكك والهزائم وكان فاتحة ذلك ، احتلال أفغانستان ودخول القوات الأمريكية اليهودية الصليبية المشتركة عاصمة الرشيد (بغداد) في ابريل 2003.

وبالاختصار، فقد سجلت العقود السبعة الأخيرة تاريخا أسودا محزنا للعرب والمسلمين امتلأت فيه الأرض بين جور الحكام وعدوان المستعمرين جورا وظلما وبلاءا وظلمات وهزائم وبلاءات لا يعلم مداها إلا الله .

جذور البلاء و أسباب الهزيمة :

قال الشيخ عبد الله عزام طيب الله ثراه :

لقد لخص رب العزة جل جلاله- أسباب الهزيمة في سطر واحد .

فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ ﴾ (المجادلة:20)

وقال تعالى : ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ (الشورى:30).

وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران:149) .

وقال تعالى : ﴿وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لا تُنْصَرُونَ ﴾ (هود:113) .

وفي الحديث الصحيح الذي رواه أحمد :

(بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحده ، وجعل رزقي تحت ظل رمحي ، وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ، ومن تشبه بقوم فهو منهم) .

إذن فخلاصة أسباب الهزيمة :

- **عصينا الله فهزمنا .**
- **نسينا الله فنسينا .**
- **تحدينا الله فأذلنا .**

وأضاف رحمه الله :

وأنا أسوق لك بعض أخبار العالم العربي خلال الستينيات و السبعينيات للإثبات :

اختطف الجيش السوري ، مدير مخابرات إربد(شمال غرب الأردن) ، فبادره مدير استخبارات درعا (جنوب غرب سوريا) بشتم آل البيت ، فقيل له ألا تستثني الرسول الكريم : فأجاب هو على رأس القائمة.

قال أحد (الملاعين) قادة المنظمات الفلسطينية في الأردن ، قبل فتنة أيلول الأسود : (لو امتدت إلينا يد الله لقطعناها) تعالى الله عما يشركون .

عرضت في مصر سنة 1967 مسرحية اسمها (أصل الحكاية) ألفها (بكر الشرقاوي) ، وكان بطلها (الله سبحانه) وتقول المسرحية أن الإنسان خلق قبل الله . تعالى الله عما يلحد الجاحدون .

الدبابات المصرية التي دخلت سيناء في حرب 1967 كان مكتوبا عليها (ناصرنا ناصر) ! أي الذي سينصرنا هو (جمال عبد الناصر) ! بينما كتب اليهود على دباباتهم نصوصا من التوراة .

بتاريخ (1965/1/24) دخلت الدبابات لأول مرة في تاريخ دمشق مسجد بني أمية بالمصلين فاستشهد منهم مائتان وأغلق الجامع أياما لإزالة ما علق بستائره ومحرابه من دماء المسلمين.

وفي ذلك اليوم قال مذيع دمشق (إننا لن نسمح لمن كانوا يعيشون في هذه البلاد قبل ألف وأربعمائة سنة أن يفرضوا علينا أنظمتهم القديمة وأن يضعوا لنا أسس حياة نعيشها في هذه العصر).

في مدينة جنين /الضفة الغربية/ فلسطين قامت مظاهرة خرجت من مدرسة جنين الثانوية وهجموا على دار الإخوان وأخرجوا المصاحف والتفاسير و مزقوها و داسوها بالأقدام على طول الشارع العام وذلك في شهر نيسان سنة (1967) قبل الهجوم بشهرين.

عندما أعدم جمال عبد الناصر المفكر الإسلامي سيد قطب – رحمه الله – وزع أهل مدينة نابلس / فلسطين الكنافة احتفاء بهذا النصر.

قالت لي إحدى المثقفات وهي تناقشني: عمر بن الخطاب لم يعمل مثل عبد الناصر فغضب زوجها وقال: والله إن محمدا لم يعمل مثل عبد الناصر.

كانت كلمة (سر الليل) في بعض قواعد الجبهة الديمقراطية في الأردن سنة (1969) ؛ سب الرب ، وشتم الدين ، وعلى سبيل المثال قاعدة (حرثا).

في تجمع للفدائيين في قرية (الرام/ إربد/ الأردن) سنة (1969) عندما كان الشباب المسلم (الإخوان المسلمون) يؤذنون للصلاة يصطف مقابلهم الجبهة الشعبية الديمقراطية / نايف حواتمة والجبهة الشعبية / جورج حبش ينشدون:

إن تسل عني فهذي قيمي   أنا ماركسي لينيني أممي

وقد رأيت هذا بنفسي.

1) (ليلي خالد) تسمى مجموعتها مجموعة (جيفارا) وتعلن في صحيفة لبنانية أنها (ماركسية) وأنها أكبر من أن تؤمن بالله لأنها سخافة.

2) أعلنت (فدوى طوقان) في صحيفة إسرائيلية أنها تنكر وجود الله: فتقول لها الكاتبة الإسرائيلية (لهذا بنينا وهدمتم ... وغلبنا وانهزمتم)

3) يقول سعد جمعة: (في يدنا وثائق تثبت أن المخابرات الأمريكية والبريطانية كانت وراء إنقلاب البعث في العراق في (17) أيلول سنة (1968) وكان همزة الوصل مع المخابرات الأجنبية هو العميل الشهور (لطفي العبيدي) وكان العبيدي على اتصال مستمر بعدد من البعثيين وفي طليعتهم أحمد حسن البكر).

4) يقول هيكل في عدد الأهرام (1971/1/15) : وهو يستعير لسان الأديب الفرنسي مالرو: (لدي تصور عن انتشار الإسلام في مصر بسرعة ، وإن مصر دائما تبحث عن فرعون يمثل سمو روحها ... إن الإسلام لم ينتشر بسرعة بعد الفتح العربي ، لكنه انتشر بسرعة بعد الخلافة حين أصبح الخليفة – بالسلطان الزمنية والروحية في يده – فرعونا يلبس بدل التاج عمامة)

5) كتبت جريدة البعث العراقي – في أول مرة استلم فيها البعث لعراق عن ميشيل عفلق (الله العائد) وقال شاعرهم:

ياسيدي ومعبدي وإلهي حسبي ألم فتاتكم حسبي.

6) قال إبراهيم خلاص في مجلة (جيش الشعب السورية) في (1967/4/25) (قبل الهزيمة بشهر واحد):

(والطريق الوحيد لتشييد حضارة العرب وبناء المجتمع العربي هي خلق الإنسان الاشتراكي العربي الجديد الذي يؤمن: أن الله والأديان والإقطاع ورأس المال الإستعمار والمتخمين وكل والقيم التي سادت المجتمع السابق ليست إلا دمي محنطة في متاحف التاريخ) .

7) كتبت عناصر الوحدات والسرايا والحزبيون – التابعون للسلطة في سوريا – لافتات تقول مايلي: (يسقط الله) (الأسد ربنا)

(لا إله إلا الوطن ولا رسول إلا البعث)

كان هذا في رجب سنة (1400هـ) الموافق أيار سنة (1980م).

وأظن أن هذا النقل من هذا الغثاء يكفي.

وأنقلك إلى صفحة أخرى عن أعدائنا – ليهود –.

1- تقول ابنة دايان في كتابها (جندي من إسرائيل): لقد كانت فرائصنا ترتعد عندما سمعنا أن العدو على الجبهة الجنوبية ولكن عندما جاء الحاخام وصلى بنا تبدل الخوف أمنا.

(**وتقول:** إن مراسيم الطقوس 0 في التوراة – أن يقدم للجنود يوم السبت معلبات ، وعندما أحضروا لنا طعاما طازجا مطهيا قبل المعركة – يوم السبت – (1967/6/3) رفض الجنود الأكل فأفتى لهم الحاخام الأكبر جواز هذا أثناء الإستنفار).

2- تقول جولدا مائير (إن أساس قوتنا الوحيد هو ارتباط كل يهودي في الدنيا بنا ارتباط العقيدة)

3- حضر ابن غوريون وزلمان شازار تشييع جنازة تشرشل وكان اليوم – السبت – فسارا على أقدامهما حوالي 6 كم لأن ركوب السيارة ممنوع عندهم يوم السبت ، مع أنهما قد بلغا من العمر عتيا.

4- كتب ابن غوريون إلى ديجول – رئيس وزراء فرنسا – سنة (1967) يقول: (إن سر بقائنا بعد التدمير البابلي والروماني وحقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدس ، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية في آخر سنة (1926) لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة ، لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالما عاديا ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا).

5- وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات وايزمن – وهو ما يعتبر توصية عامة لإسرائيل – هدفنا هو بناء حضارة تقوم على المثل الصارمة للآداب اليهودية عن تلك المثل يجب أن لا نحيد .... فإذا استهدف اليهود في نشاطهم قيما حقيقية ... عندما يطل الله بعطف على أبنائه الذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه وعلى شفاههم مزمور ، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية).

6- عندما دخل دايان القدس سنة (1967) قال: يا لثارات خيبر ، وقال الجنود الإسرائيليون وأنا سمعت أصواتهم مسجلة من الإذاعة الإسرائيلية: محمد مات ..محمد مات.. وخلف بنات.

7- لقد رفض الحاخام أن يكتب عقد قران (ابنة ابن غوريون) رئيس وزراء إسرائيل لأن أمها ليست يهودية ، والتوراة تعتبر النسب للأم .

8- يقول بيغن أثناء لقاء مع السادات حول الضفة الغربية : (أنا رجل مؤمن بالتوراة ، رباني الأب الروحي جابوتنسكي – كما ربى حسن البنا عندكم سيد قطب ، وأنا أعتبر الانسحاب من الضفة الغربية مخالفة للتوراة ولمبادئي الروحية)

حدثني هذا الإخوة عن إخواننا في المنطقة المحتلة سنة (1948) الذين قاموا بترجمتها من العبرية.

قال ابن غوريون عندما دخل القدس سنة (1967) (هذا أعز يوم علي منذ دخولي أرض الميعاد)

بعد احتلال القدس (1967) جاء ليفي اشكول يحمل ورقة صغيرة كتب فيها أمانيه ووضعها في شق من شقوق حائط المبكى (حائط البراق للمسلمين) كما تفعل العجائز عندنا.

11- في مقابلة إذاعية مع جندي إسرائيلي في جبهة السويس صيف سنة (1969) يقول المذيع له: أنت شاب في العشرين من عمرك وقد قدمت إلى إسرائيل بعد حرب الأيام الستة من كاليفورنيا فما الذي حفزك ؟ قال الشاب : لقد حفزني ديني ودفعني إيماني للمجيء إلى الأرض المقدسة لأحقق رسالة الأنبياء والسعادة التي أحسها في الدفاع عن معتقداتي الدينية لا تعدلها سعادة في الدنيا.

12- لقد أحيت إسرائيل اللغة العبرية – لغة التوراة – بعد أن درست منذ ثلاثة آلاف عام – فأسماء: الهستدروت ، الكنيست ، إيلات أصبحت هي أسماء مؤسسات ومدن.

13- هل عرفت بعد هذه المقارنة لماذا انتصر اليهود ؟ ولا يغر البعض قوله: أننا مسلمون أفضل من اليهود على أية حال ، فقد كتب عمر بن الخطاب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم : (أما بعد ، فإني أوصيك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال ، فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو .... فإن ذنوب الجيش أخوف من عدوهم ، وإنما ينصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ... فإن استوينا وإياهم في المعصية كان لهم فضل في قوة ... وإن الله سلط المجوس الكفار على اليهود وهم أهل الكتاب).] أهـ .[1]

انتهى النقل من كلام **الشيخ عبد الله عزام** رحمه الله .

● النظام العالمي الجديد 1990وانطلاق الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا

استتب الأمر للغرب بالسيطرة على مقدرات العالم الإسلامي. ونجحت خطته في تولية أوليائه مسؤولية رعاية شؤونه دون أن يتكبد أي خسائر. وامتصت الاحتكارات الأمريكية والأوربية الكبرى زبدة خيرات بلادنا وثرواتها دونما رقيب ولا حسيب ودون أي بادرة مقاومة. وانهار الإتحاد السوفييتي بعد غلطته التاريخية في أفغانستان كما رأينا. وأعلن رؤساء حلف الناتو أنهم اختاروا الإسلام عدو استراتيجيا بديلا.. وآتت الحملات الدولية والإقليمية لمكافحة الإرهاب بعيد الجهاد الأفغاني ضد الروس أكلها. وتشتت كوادر التيار الجهادي وتنظيماته وتحقق للغرب ما يريده من تفكيكها وحوصرت الصحوة الإسلامية السياسية و دجنت أحزابها وادخلت في متاهات اللاجدوى ودروب الإنحراف... واستتب الوضع لإسرائيل وانخرط الثوريون الفلسطينيون في مسارات أوسلو! وأفتى علماء المسلمين الكبار بشرعية الوجود الأمريكي في الجزيرة العربية! كما أفتو بشرعية التطبيع مع الإحتلال اليهودي لفلسطين وبيت المقدس!!

فلم يكن هناك فيما يبدو أي سبب ظاهر يدعو الغرب للعودة إلى أسلوب الحملات العسكرية على المسلمين. ولكن المفاجأة كانت في أن الغرب بقيادة أمريكا وتبعية بريطانيا وأوربا الناتو وروسيا قد قرروا الزحف عسكريا على العالم الإسلامي عامة وعلى الشرق الأوسط خاصة، فيما يبدو وكأنه عملية إعادة احتلال مباشر جديد، وسيكس بيكو أمريكية بريطانية صليبية جديدة.

---

[1] (الذخائر : ج1/955 – 958).

فلماذا أقدم الغرب على هذه الخطوة؟ علما أن غنائمه كانت تصل باردة بلا عناء ولا دماء يتكفل بإيصالها زعماء العرب والمسلمين!

في رأيي يعود ذلك إلى عدة أسباب. منها ما يتعلق بالصليبيين وقيادتهم الجديدة أمريكا وحلفائها. ومنها ما يتعلق باليهود ومشروعهم الصهيوني في إسرائيل. ومنها ما يتعلق بما استجد من ظروف عالمنا الإسلامي وصحوته الجهادية. واختصر ذلك في النقاط التالية:

● أسباب الحملات الصليبية الثالثة على العالم الإسلامي منذ 1990:

أولاً: الاسباب المتعلقة بالروم الجدد (أمريكا - أوربا - روسيا):

1. التدهور الاقتصادي والركود والتضخم وتراجع الواردات المالية في العالم الصناعي الغربي بشكل حاد، نتيجة أسباب كثيرة أهمها تقلص العائدات الاستعمارية من العالم الثالث نتيجة صحوة الشعوب وإدراكها لقيمة ثرواتها ونشوء بعض الأنظمة الوطنية التي تعمل على سد أوجه الفقر في بلادها ووقف نزيف النهب من مخزونها الوطني نحو الغرب الإستعمار . كما عانت الحضارة الغربية نتيجة الترف ورفاه العيش من تراجع القطاع المنتج في المجتمع في مجالات الزراعة والصناعات الأساسية على حساب توسع هائل في مجالات الشرائح المستهلكة غير المنتجة من الحرف الكمالية. (الفنون - الأمن - البحوث - التجار - الرياضيين.......الخ) كما تراجع الميزان التجاري نتيجة عجز الدول الفقيرة عن استهلاك ما تنتجه الدول الغنية وانخفاض قدرات الشراء لديها وبالتالي انخفاض قدرة الغرب الصناعي على التصريف. كما أن هناك عاملين قاتلين نخرا في بنية الحضارة الغربية اقتصاديا واجتماعيا، أطنب كثير من البحاثة والكتاب الغربيين فيهما مؤخرا بجرأة وصراحة ودقوا لها ناقوس الخطر وهما (تفشي الربا في كل مفاصل الاقتصاد الغربي) وكذلك (عمل المرأة في مجالات عمل الرجال وإخلائها لموقعها في المنزل) فقد تحقق للاقتصاد الغربي بسبب (الربا) ما بشر الله من أعمل به من(المحق) كما قال تعالى : (يمحق الله الربا) . فالاقتصاد الغربي ومعظم العالمي يصير إلى (المحق) عمليا. كما خلف عمل المرأة انتشار البطالة في أوساط الرجال . وكذلك أدى إلى دمار البنية الاجتماعية للأسرة وتراجع الاقتصاد. كل هذا وغيره جعل الدول الاستعمارية وعلى رأسها أمريكا وبريطانيا بحاجة إلى رفع وارداتها الاستعمارية لسد عجزها الاقتصادي عن طريق السيطرة على منابع الثروة ولاسيما منابع الطاقة (البترول والغاز) في الشرق الأوسط

الخليج العربي الفارسي ومحيط بحر قزوين. وحتى تستطيع أمريكا أن تسيطر على عصب الاقتصاد العالمي وبالتالي تستنزفه لصالح اقتصادها.

2. سحر القوة الذي سيطر على الإدارة الأمريكية وجنون الحلم الإمبراطوري:

تضخمت القوة العسكرية الأمريكية بشكل هائل ، حتى غدت بمفردها أكبر من مجموع قدرات الناتو وروسيا مجتمعة بحسب تقارير مراكز الدراسات الاستراتيجية العالمية. كما تقدمت قدراتها التكنولوجية بشكل مذهل جعل منها قوة أسطورية لا تنازع ولاسيما في مجال القدرات الجوية والصواريخ العابرة والسيطرة على أنحاء الأرض بالقدرات التجسسية الهائلة للأقمار الصناعية وقدرتها على توجيه الرمايات الصاروخية والجوية والبحرية. وبامتلاكها لأضخم ترسانة نووية في العالم..... كل ذلك ولد بشكل طبيعي لدى الإدارة الأمريكية الحلم بالانفراد بحكم العالم وقد طفحت كتابات منظريها بذلك حتى قبل القضاء على الاتحاد السوفييتي ربما بعقدين من الزمن حيث تبنوا ونظروا للإنفراد بحكم العالم والتخطيط لأن يكون القرن الحادي والعشرون قرنا أمريكيا وأن تقود أمريكا حضارة الروم وترث أمجادها وتغزو العالم. وكان من الطبيعي أن تفكر أمريكا من أجل تركيع حلفائها ودحر خصومها بالإمساك بشريان الحياة وعصب الحركة للعالم الصناعي وذلك باحتلال منابع النفط وامتلاكها مباشرة. والسيطرة على المعابر الاستراتيجية للعالم ونشر قواتها في كافة أرجائه ومنع نهوض أي قوة مناوئة لها وامتلاكها لأسلحة دمار شامل استراتيجية.

هذه القناعات التي تبلورت أواخر القرن العشرين لدى مجموعة من المنظرين والساسة في الحزب الجمهوري ممن أسموا أنفسهم (المحافظون الجدد). والذين تبنوا لسوء الحظ عقائد الحلم الصهيوني وقيام إسرائيل واجتماع اليهود فيها كمقدمة لنزول المسيح بعد حرب كونية مع المسلمين.... إلى آخر ترهاتهم التي تختلط فيها أساطير الدين بأحلام الاستعمار.

3. سعي الدول الأوربية وروسيا لمعاونة أمريكا خوفا وطمعا بالإضافة للدافع العقدي الصليبي المتجذر لدى جميعهم : فالخوف من أن تمتلك أمريكا وحدها فعليا منابع الطاقة ومصادر القوة وأن تتحكم بها. وطمعا في ما يمكن أن تجره لها المشاركة من مكاسب ترقع بها اقتصادها المنهار. جعلها تشارك جميعا في حرب الخليج الثانية بفاعلية. وبلغت نسبة المشاركة الأوربية ما لا يقل عن 25% في حين شاركت بريطانيا وحدها بـ15% وزادت نسبة الأمريكان في القوات التي بلغت مليون جندي على 55% .حيث أسفرت حرب (عاصفة الصحراء) أو (تحرير الكويت) كما أسموها عن تدمير العراق

وجيشه وترسيخ أقدام بريطانيا وأمريكا في قلب المنطقة العربية والإسلامية سنة 1991. كما شاركت أوربا وفرنسا وبريطانيا والفاتيكان بصورة رئيسية بالحرب الصليبية على المسلمين في البوسنة (1994-1996) من أجل توحيد الدين في القارة الأوربية الساعية إلى الوحدة على الهوية الصليبية. أما روسيا فقد تولت فصلا صليبيا مستقلا في الشيشان القفقاس منذ (1994) وإلى اليوم حيث ما زال المسلسل الدموي يجري بمشاركة أوربية أمريكية بالدعم بالصمت أو بالمواقف السياسية و الإعلامية . إلى أن حملت أمريكا حملتها الكبرى على العراق في حرب الخليج الثالثة التي أسموها (حرية العراق !) والتي قامت بها أمريكا وبريطانيا بمشاركة لوجستية فاعلة من قبل كامل دول الناتو رغم الموقف الفرنسي الألماني والروسي المعارض الذي ما لبث أن لحق بالركب الاستعماري من أجل حصة في كعكة العراق حيث اعترفوا بالإجماع بحالة الاحتلال الأمريكي للعراق في مجلس الأمن ثم تابعوا التدحرج نحو المسار الأمريكي على استحياء خف مع الوقت ليصير إلى الوقاحة الصريحة. وهكذا حضرت الحملات الصليبية بسبب هذا الدافع الذاتي .

ثانياً : نضوج المشروع الصهيوني واقتراب اليهود من موعد هدم المسجد الأقصى و اعلان مملكة إسرائيل الكبرى بحسب الأحلام التلمودية :

لم يخف كبار زعماء الصهاينة في كتاباتهم ومقابلاتهم حلمهم الأكبر وهو إقامة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل. ولم يستحوا من إعلان عزمهم على هدم الأقصى وإقامة هيكل سليمان المزعوم على أنقاضه. كما لم يخفو عزمهم على إقامة دولة يهودية صرفة وما يقتضيه ذلك من طرد ما تبقى من المسلمين والعرب من أرض فلسطين.

وبعد أن دجنت إسرائيل بالتعاون مع أمريكا أنظمة الحكم في الجوار أو ما يسمى بدول الطوق وتمكنت بواسطة السادات من تفكيك الجيش المصري واختصاره لأقل من الثلث عدديا وتسليحا وبعد أن كفل لهم الملك الحسين الخائن حاكم الأردن وولده من بعده أطول حدود لهم مع الجوار. وتكفل النصيرية في سوريا أيضا بتفكيك الجيش السوري أكبر جيوش المنطقة وأشدها تسليحا تدريجيا، وضمن نصارى لبنان أمان حدودها الشمالية. انتقل اليهود لمرحلة فرض التطبيع السياسي والإقتصادي والثقافي على الدول العربية بل وطمحوا لأن يشمل ذلك العالم الإسلامي. ولم يبق في المنطقة من القوى العسكرية العربية إلا العراق ومن القوى الإسلامية إلا الباكستان فوضع اليهود نصب أعينهم هدف تدمير الجيش العراقي أولا. ثم الباكستاني ولما كانوا لا يستطيعون ذلك بأنفسهم كان لا بد من استقدام الجيوش الصليبية ولاسيما الجيش الأمريكي ليقوم بالمهمة كما أن اليهود بما فطروا عليه من ذل ومسكنة وخوف وجبن لا يطمئنون لجيشهم المتفوق عددا وتسليحا

على مجموع ما تبقى من قوة عسكرية في دول الجوار حتى مع وجود أكثر من 250 رأس نووي جاهز لتدمير ما يريدونه من أهداف من حولهم. فهم يخشون أن تتمرد الشعوب العربية والإسلامية على صنائعهم الحاكمة في عواصم العرب والمسلمين ويجدون أنفسهم بملايينهم الستة محاطون بمئات ملايين الشعوب الغاضبة التي تناصبهم العداء وتحمل من الأحقاد المقدسة ما يكفي لسحقهم إن اتيحت الفرصة لتلك الشعوب. ولذلك عمل اليهود على استقدام جيوش النصارى لترابط في المنطقة وتبقى وتعمل على تفتيت دولها إلى كيانات أصغر وتفتعل حروبا داخلية مذهبية وعرقية تضمن الاستقرار والسيادة والتفوق العسكري بل تضمن أن تكون إسرائيل هي الدولة الوحيدة التي تمتلك جيشا في المنطقة. ولم يكن هذا الهدف صعبا على الصهاينة بعد أن أدت دسائسهم ومكرهم وأعمال الاختراق والتجسس وشراء الذمم والتغلغل بالأسلوب اليهودي على مدى نصف قرن. أدت إلى سيطرة اليهود على حكومة أمريكا وحكومات معظم دول الناتو. وتشير الإحصائيات إلى نسبة عالية مخيفة من الوزراء وأعضاء الحكومات وأعضاء البرلمانات والأجهزة النافذة والأحزاب السياسية الرئيسية وكافة وسائل الإعلام العالمية وأجهزة السينما والإنتاج التلفزيوني والصحف ... كلهم يهود أو أولاد أو أزواج ليهوديات . وهذا يعني يهود يتهم بحسب عقيدة التي تعتبر أبن اليهودية يهودي.. هذا فضلا عن سيطرتهم التامة على النظام المصرفي والمؤسسات المالية الكبرى في العالم وتحكمهم في الأمم المتحدة وما ينبثق عنها من مؤسسات ... لقد وصل اليهود إلى ما ذكره القرآن من العلو الكبير وها هم يفسدون في الأرض كيف يشاؤون .. واستطاع أحبار اليهود المتسللون إلى النصرانية ولاسيما للمذهب البروتستانتي السائد في أمريكا وبريطانيا .. أن يخترعوها ويؤسسوا في أمريكا مذاهب ومنظمات كنسية صليبية متطرفة تقوم على ازدواجية المصدر العقدي بحيث تكون العقيدة في الولايات المتحدة الصهيونية وآمال إسرائيل وأحلامها وأفضلية شعبها المختار. حتى بلغ أنصار هذه المنظمات والكنائس عشرات الملايين و صارت مواردها المالية بالمليارات وما أصبح تملكه من شبكات التلفزيون ووسائل الإعلام ما يجعلها إمبراطورية طاغية مكنت اللوبي الصهيوني من أن يتلاعب بالكونغرس والانتخابات الأمريكية كيفما أحب .. وهكذا ظهر المنظرون الجدد في السياسة الأمريكية في الحزبين الديمقراطي والجمهوري وخاصة في الثاني وتولوا دعم برامج إسرائيل التي اقتربت من تحقيق أهدافها.... وهكذا ساق اليهود الجيش الأمريكي وجيوش أوربا الصليبية ليحتلوا الشرق الأوسط و يفتتحوا ذلك بتدمير آخر الجيوش المتبقية وهو الجيش العراقي عبر حرب 1991 وحرب 2003. فيثأروا لليهود من العراق وأرض بابل بحسب معتقداتهم ويثأروا لمرحلة الأسر البابلي ويذيقوا أحفاد أولئك الأجداد أبشع ألوان الذل والهوان كما ضمنوا تفكيك العراق وسحق قدراته.. وتجدد الضغط باتجاه سوريا التي ألغي فيها نظام التجنيد الإلزامي لأول مرة في تاريخها منذ الاستقلال مما سيقلص عدد الجيش السوري الذي

يناهز مليون جندي إلى أقل من 20% منه ليقوم على المتطوعين الذين تتكون غالبيتهم الساحقة من النصيرية وأبناء الأقليات الدينية الأخرى ويبقى المسلمون السنة وهم الغالبية الساحقة من سكان سوريا أكثرية غير مسلحة يسلخ اليهود وعملاؤهم جلدهم متى شاؤوا. كما تتجه أنظار أمريكا علنا لتفكيك وتقسيم تركيا و الباكستان والسعودية ومصر.. وتنشر في الشرق الأوسط الادنى وهو ما يسمونه منطقة العمليات الوسطى أكثر من 1.5 مليون جندي أمريكي يرابط نحو مليون منهم في البلاد العربية من بغداد إلى طنجة منهم نحو الثلثين في منطقة الشرق الأوسط !!! وهكذا كانت الاسباب الصهيونية أساسية في حضور الصليبيين. وإعلام بوش هذه الأيام إطلاق مشروع ما أسماه (الشرق الأوسط الكبير)..

ثالثاً: أسباب متعلقة بظروف العالم الإسلامي:

كما سيأتي التفصيل في الفصلين التاليين عن مسار الصحوة الإسلامية الجهادية. فقد أدى نشاطا لصحوة الإسلامية التي سارت في محاور ثلاثة دعوية/ سياسية / جهادية مسلحة. إلى أن تكون شبحا مرعبا يهدد مصالح الصليبيين والمشروع الصهيوني في المنطقة. فقد انتشرت الأحزاب التي تبني المشروع الإسلامي واستطاعت أن تكون كتلا نيابية كبيرة في عدد من برلمانات الدول العربية و الإسلامية . بل بعضهم أن يشكل الحكومات كما في تركيا أو كاد كما في الجزائر .. كما أدى النشاط الدعوي لمختلف مدارس الصحوة إلى أسلمة قطاعات كبيرة من المجتمع ولو عاطفيا. ولكن الأخطر من ذلك أن قمع السلطات لمختلف مجالات الصحوة السلمية والذي كان ترتيبا لحصار الصحوة أدى إلى امتداد الصحوة الجهادية وازدياد منجزاتها وخبراتها ولاسيما بعد نضوج كوادرها وتضخمها من خلال تجربة الأفغان العرب الأولى في أفغانستان (1984-1992). فقد شكلت الظاهرة الإسلامية تهديدا حقيقيا للأنظمة العربية والإسلامية وأصبح الصليبيون غير مطمئنين إلى حسن أداء تلك الأنظمة التي أقاموها في المنطقة ولا إلى مصيرها ورغم نجاح هذه الأنظمة في قمع كافة مدارس الصحوة وإيصالها إلى الفشل في تحقيق أهدافها وإدخالها في ضحضاح الأزمة عمليا، إلا أن الغرب بما درس من تكويننا الحضاري يعلم مدى خطورة الجذوة الكامنة تحت الرماد الساكن حاليا، ورأى أن وجوده العسكري الفعلي هو خير ضامن لمصالحه. وأن عليه أن يقوم بتنفيذ سيكس بيكو جديدة تقسم المقسم و تجزئ المجزأ من هذه الكيانات وتضمن بحسب ما يتخيل مصالحه بنفسه وبحراسة حراب جنوده.

وهكذا تضافرت الأسباب الثلاثة لأن تزحف تلك الحملات الصليبية الثالثة وتجتاح الشرق الأوسط من جديد.

محطات الحملات الصليبية الثالثة (1990-2003):

1- حرب العراق الأولى (عاصفة الصحراء – حرب تحرير الكويت):

افتتحت أمريكا حملاتها الصليبية بعد انهيار الاتحاد السوفييتي (1990) مباشرة بتنفيذ برنامجها الذي أعدت له من أواسط السبعينات وشكلت من أجله آنذاك قوات التدخل السريع للسيطرة على منابع النفط وتحدثت العديد من الدراسات والكتب في حينها عن سيناريوهات افتعال تهديد لدول الخليج إما من العراق أو إيران لتبرير التدخل الأمريكي.

وفعلا وكما صار معروفا في وسائل الإعلام فقد تم استدراج صدام حسين عن طريق السفيرة الأمريكية في بغداد وإغرائه باحتلال الكويت. وكان الجيش العراقي قد بلغ مستوى رفيعا بعد حرب الخليج الأولى مع إيران (1979-1987). ومنذ ذلك الحين ضربت القوات الأمريكية والبريطانية بجرانها في المنطقة. وكما ذكرت آنفا في مطلع البحث فقد قدمت حكومات الدول العربية وعلى رأسها السعودية ودول الخليج والمغرب و الباكستان وسوريا والأردن ومصر وتركيا مشاركة فعالة. فقاتلت جيوشها الجيش العراقي تحت القيادة الأمريكية. ولكن العامل الأبرز في تحولات معادلة القوى في الحملات الصليبية الثالثة كان في دخول الأجهزة الدينية الرسمية ومؤسسات علماء السلطان وقسم كبير من قيادات الصحوة الإسلامية إلى جانب هذا الحلف بقيادة أمريكا. حيث دفع بهم الحكام الخونة إلى إصدار الفتاوى التي تضفي الشرعية على حضور الصليبيين وتمركزهم في جزيرة العرب وسيطرتهم على عقر دار المسلمين. ولكن أدهى ما في هذا الأمر هو انزلاق المدجنين والفاسدين من بعض قيادات الصحوة إلى التوقيع على فتاوي تشرع لذلك وذلك نتيجة دخولهم عبر بوابات الديمقراطية ليصبحوا جزءا من السلطات الرسمية في حكومات الردة. فكانت هذه الفتنة جزءا من الثمن الذي يدفعه المتخوضون في مستنقعات السياسة اللاشرعية أنهم تجاوزوا ما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(ومن أتى أبواب السلاطين افتتن) (وما أزداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا).

وسحقت القوات الأمريكية الجيش العراقي وخلفت أكثر من 300 ألف قتيل بين المدنين والعسكريين ودمرت البنية التحتية للعراق التي بنيت عبر نصف قرن من الإستقلال ثم ضربت الحصار القاتل على العراق لمدة ثلاثة عشر عاما قتلت خلالها أكثر من مليون ونصف المليون طفل من أطفال العراق عدا ما قتلت من ذويهم نتيجة النقص الحاد في الغذاء والدواء.

وهكذا أهلت أمريكا العراق للحرب التالية التي أجهزت عليه فيها في مارس وابريل 2003.

وبعيد الحرب العراقية الأولى مباشرة و كإجراء احتياطي ضد المقاومة المفترضة التي ستنشأ كرد فعل على هذه الحملات الصليبية ، والتي من المفترض أن تقوم بها أوساط الحركات الجهادية وشباب الصحوة الإسلامية، أطلقت أمريكا حملتها لمطاردة الجهاديين ورموز الصحوة الجهادية تحت

دعوى مكافحة الإرهاب. وتصاعدت وتيرة المؤتمرات الأمنية العالمية و الإقليمية خلال ولاية كلينتون الذي خلف بوش الأب لتتابع أمريكا هجماتها على العالم الإسلامي فتتابع حصار العراق وتتولى إجبار الدول العربية والإسلامية على مشاريع التطبيع مع اليهود وتتولى بنفسها مكافحة (الإرهاب الإسلامي) كما وصفوه.

2- المذابح الصليبية للمسلمين في البلقان و القفقاس (1994-1997):

في زحمة زخم الهجمة الأمريكية الصليبية على العالم الإسلامي ومزاعم مكافحة الإرهاب والأصولية الإسلامية. استغل الروس الظروف العالمية في مواجهة المسلمين وشنوا حربهم الدموية على الشيشان حيث ارتكبت أبشع المجازر وتعرض المسلمون الشيشان لحرب إبادة ما زالوا يقدمون قرابينها بالآلاف إلى اليوم...

كما شن الصرب والكروات بدعم من الفاتيكان ودعم وسكوت الدول الأوربية حرب إبادة على المسلمين في البوسنة ثم كوسوفو.. حيث ارتكبت أبشع المجازر التي راح ضحيتها مئات الألوف من المسلمين تحت سمع وبصر الأمم المتحدة بل في داخل محمياتها كما حصل في مذبحة (سيربينتسا) حيث انسحبت قوات الحماية الفرنسية الموكلة بحراسة محمية للأمم المتحدة لتفسح المجال لمليشيات الصرب أن تقتل أكثر من 8000 مدني بوسني مسلم أكثرهم من النساء والأطفال والعجائز في أكبر سلسلة مذابح إبادة جماعية في أوربا منذ الحرب العالمية الثانية .

3- حصار الإمارة الإسلامية في أفغانستان ثم تدميرها سنه (2001):

لم يرق للأمريكان وأوربا الناتو التي خططت ونفذت الحرب الأهلية بين فصائل المجاهدين في أفغانستان (1992-1996) من أجل تنفيذ برنامج الأمم المتحدة الذي يقضي بأن يحكم الصليب الأحمر الغربي بعد المطرقة والمنجل الأحمر الشرقي أفغانستان وبعد حرق ما تكدس في أفغانستان من سلاح وخبرات جهادية في تلك الحرب الأهلية ، لم يرق لهم أن يفاجئهم القدر بظهور طالبان وتمكنها من تحكيم الشريعة وإقامة إمارة أفغانستان الإسلامية. كما لم يرق لهم أن تسفر حملات مكافحة الإرهاب العالمية لكوادر التيار الجهادي والأفغان العرب عن عودتهم إلى أفغانستان وتشكيلهم إلى جانب طالبان بؤرة قضت مضاجع أمريكا والغرب ونوابهم من الحكام المرتدين.

فبدأت أمريكا وأوربا عمليات الحصار الاقتصادي والسياسي على الإمارة الإسلامية منذ نشأتها وتتابع ذلك في عهد كلينتون الذي اختتمه بقصف 75 صاروخ كروز على بعض معسكرات المجاهدين العرب والطالبان واستمر الحصار في عهد بوش الابن الذي أطلق صيحته بأنه مكلف من قبل الرب برسالة إصلاح العالم وأنه متوجه لقيادة حملة صليبية ومكافحة الإرهاب الإسلامي حيث

افتتح حملته تلك بعد أحداث سبتمبر بغزو أفغانستان وتدمير الإمارة الإسلامية إبادة ما استطاع إبادته من اللاجئين العرب والمسلمين إلى أفغانستان في ديسمبر2001 .

4- حرب احتلال العراق (مارس 2003) . والزحف الأمريكي على الشرق الأوسط :

وقد تكلمنا عنها فيما سبق بما يغني عن الإعادة .

- **حالة المرجعيات في العالم الإسلامي ووقوف التيار الجهادي وحيدا في مواجهة الحملات الصليبية الثالثة :**

أما المرجعية السياسية للمسلمين:

فكما مر معنا فقد دمرها الإستعمار الصليبي منذ إسقاط الخلافة ولم تقم لها بعد ذلك قائمة . بل إن الذي حصل أن حكام بلاد المسلمين صاروا جزءا من معادلة القوى إلى جانب الصليبيين وقد ازداد هذا فظاعة خلال الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الدينية:

فقد تولت الحكومات الخائنة العميلة تصفيتها في كافة بلدان العالم العربي وأكثر العالم الإسلامي كما مر معنا في الفقرات السابقة. وقد حاولت الصحوة الإسلامية أن تقدم بديلا وتتسلم زمام المرجعية. خصوصا أن علماء مرموقين وقادة بارزين مؤهلين وقيادات عديدة من مختلف مدارسها لمعت وتأهلت ولكن ولأسباب عديدة سنتناولها في الفقرات التالية بالتفصيل لم تستطع الصحوة أن تقدم بديلا عن المرجعية الكلاسيكية المتمثلة بأئمة المذاهب الأربعة والمراجع الفقهية وأئمة الطرق الصوفية. ولم تستطع بالخلاصة أن تكون مرجعية شعبية وتمتلك طاعة الشارع المسلم وتبعيته...

وهكذا لم يكن هناك مرجعية دينية مؤهلة لمواجهة الحملات الصليبية الثالثة.

وأما المرجعية الاجتماعية:

فقد كنا قد تحدثنا عن تفككها منذ منتصف القرن العشرين نتيجة الإستعمار ونتيجة التطور الاجتماعي نحو التصنيع والهجرات نحو المدن الكبرى وتفكك الروابط القبلية. فتابع ذلك سيره بتسارع كبير.. وتراجع دور البوادي والأرياف في السياسة لصالح المدن الكبرى والحياة المدنية التي لا تقيم وزنا لهذه الروابط. وباستثناء بعض البلدان الإسلامية كأفغانستان واليمن .. وبعض البلدان الأخرى. كانت هذه المرجعية أضعف من أن تمارس دورا في المواجهة. وقد كان من سياسة الحكام

جميعا قتل هذه المرجعية ونزع سلاح القبائل والعشائر وسياسات التفرقة بينها وأضعاف كل منها على حدة ..وبطبيعة الحال كانت هذه المرجعيات دائما تبعا للمرجعية الدينية أو للدينية والسياسية معا. ولذلك كانت هذه المرجعية غائبة عن ساحة المواجهة أيضا شأنها شأن سابقاتها في هذه المواجهة الأخيرة

إذن من وقف للحملات الصليبية الثالثة منذ 1990 وإلى 2001 ؟؟ :

في الحقيقة وباختصار..

لقد قدمت الحملات الصليبية الثالثة بعد أن صفت من أمامها كل إمكانيات المقاومة . فقد قضت على المرجعيات كلها تقريبا . وقضت إلى حد بعيد على مقومات نشوء المقاومة والمواجهة في الشعوب العربية والإسلامية. ولئن كانت الحملات الثانية قد قدمت على بصيرة وخبرة من تجارب قرنين من الزمن خلال الحملات الأولى وعلى دراسات وأبحاث لهذه الأمة على كافة الأصعدة عبر 500 سنة بعدها. فإن هذه الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الجديدة تأتي على خلفية كل ذلك بالإضافة إلى تجارب الحملات الثانية وما وفرته خدمات طبقة المرتدين من الحكام وعملائها من المستغربين عبر نصف قرن أو أكثر من الزمن.

كما توفرت لها كل إمكانيات النجاح. ولئن كان هناك شيء من التوازن في معطيات المواجهة على الأرض بين قوات الحملات الصليبية الأولى وحتى الثانية وبين قوات المجاهدين التي واجهتها عددا وعدة ، فإن تقهقر المسلمين إلى حضيض التخلف في معظم الميادين. ونهوض الحضارة الأمريكية تكنولوجيا عسكريا إلى قمة التطور، وما سبق من تدمير نوابهم الحكام لكل إمكانيات المقاومة جعل الساحة عمليا شبه خالية في هذا الصراع وصارت المواجهة اليوم غير متوازنة البتة.

وأما خلاصة نبضات المقاومة للحملات الصليبية الثالثة وأعوانها المرتدين والمنافقين خلال (1990- سبتمبر2001) فيمكن ذكر أهمها بحسب التسلسل الزمني بحسب ما أتذكره الآن على الشكل التالي :

- حركة الجهاد المسلح في الجزائر (1991- 1995) والتي تم القضاء عليها خلال السنتين التاليتين من خلال عمل استخباراتي ناجح وبالغ التعقيد من التعاون بين المخابرات الجزائرية والفرنسية وبعض المخابرات العربية حيث أخرج الجهاد عن مساره ودمره بعد أن عزله عن جمهوره بسبب انحرافه (يمكن لمن أراد تفاصيل عن تلك التجربة العودة إلى كتاب – شهادتي على الهاد في الجائر – للمؤلف).

- المواجهات الجهادية المسلحة التي قامت في ليبيا ضد نظام القذافي (1993-1995) والتـي كـان أبرزها محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلـة في ليبيـا والتـي تمكـن النظـام مـن تحديـد نشـاطها العسكري في داخل ليبيا وتحولت إلى العمل التنظيمي الدعوي السري والنشاط في المهجر.
- حركـة نفـاذ الشريـعة شـمال غـرب باكسـتان سـنة (1996) والتـي قضـت عليهـا الحكومـة الباكستانية أمام تخاذل الشارع الإسلامي وتخلف حركات الصحوة في باكستان عن نصرتها.
- حركة جيش عدن أبين في اليمن بقيادة الشهيد أبو الحسـن المحضـار رحمـه اللـه والتـي قضي عليها في مهدها (1998).
- حركة الشباب الجهادي في جبال النبطية شمال لبنان بقيادة الشهيد أبـو عاشـة اللبنـاني والتـي قضي عليها في مهدها (1999).
- حركة طالبان التي انطلقـت سـنة 1994 وأقامـت الإمـارة سـنة 1996 وسـقطت أواخـر 2001 وكانت بمن لحق بها مـن التجمعـات الجهاديـة العربيـة والباكسـتانية والوسـط آسـيوية أهـم الظواهر الجهادية خلال العقد المنصرم.
- الإنتفاضة الفلسطينية المسلحة التي انطلقت سـنة 2000 ومـا زالـت إلى الآن وهـي مـن أهـم فصول المواجهة والمقاومة الجهادية للحملات الصليبية اليهودية الثالثة.
- عدد من المحاولات الجهاديـة المحـدودة والمبـادرات الفرديـة التـي قـام بهـا المجاهـدون ضـد مختلف أشكال تواجد الصليبيين في العالم العربي والإسلامي والتـي حصـلت في بلـدان مختلفـة خلال العقد المنصرم ومن ذلك بعض عمليات المقاومة المتواضعة في السعودية ضـد الأمريكـان والتي كان أهمها تفجيرات الرياض و الخبر.
- عمليات المقاومة والدفاع عن النفس التي قام بهـا حطـام التيـار الجهـادي في مواجهـة حملـة المطاردات بعد سبتمبر في مختلف دول العالم ولاسيما في مواجهة الكارثة التي نفذتها الحكومة الباكستانية خلال ملاحقة الناجين على أراضيها والتي أسفرت عـن مقتـل عشرات المجاهـدين العرب وأسر مـا يزيـد عـلى 600 مـنهم سـلمتهم إلى أمريكـا ليسـتقروا في معتقـل غوانتانـامو التاريخي. وغيره من السجون الأمريكية في أماكن عدة..
- حركات الجهاد التي نشرت في وسط آسـيا ضـد الحكومـات الشـيوعية المدعومـة مـن الاتحـاد السوفييتي ولاسيما في طاجيكستان (2001/1993) ثم ما تلاها في أوزبكستان (2001/1997) .
- وكذلك جهاد المسلمين في تركستان الشرقية(2001/1996) ضد الحكومة الصينية

- هذا بالإضافة إلى حركات المقاومة والمواجهة التي تمت ضد القوى الصليبية في ساحات الجهاد المختلفة خلال هذه الفترة مثل الجهاد الذي حصل في البوسنة (1996/1994) وكذلك في الشيشان خلال نفس الفترة وما تلاها والذي ما زال مستمرا. وكذلك المواجهة البطولية التي قام بها المجاهدون في الصومال . وكذلك حركات الجهاد القديمة والمستمرة خلال هذه المرحلة في الفلبين وكشمير و ارتيريا وبورما واندونيسيا وغيرها من الجبهات التي اشتعلت أو كانت مشتعلة واستمرت ضد الصليبيين وغيرهم من الكفار المستعمرين.
- بالإضافة لبعض العمليات التي قام بها تنظيم القاعدة ضد التواجد الأمريكي في المنطقة والتي كان أهمها عمليات تفجير سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام ونسف البارجة الأمريكية كول في عدن . ثم كان آخرها العمليات الاستشهادية في نيويورك وواشنطن (11- سبتمبر2001) والتي افتتحت فصلا جديد من المواجهة بين الصليبيين والمسلمين وغيرت وجه التاريخ ومعطيات الصراع .

وبالنظرة الدارسة لمعادلة الصراع بين المسلمين والحملات الصليبية الثالثة منذ 1990 وإلى احتلال العراق 2003 نجد أن معادلته قد أخذت الشكل التالي :

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا ودول الناتو وروسيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ←

هزمت قوى المقاومة.. وحصر التيار الجهادي.. وشلت الصحوة الإسلامية..
وخرجت الأمة من المعركة.

• وقفه تأملية مع معادلات الصراع بين المسليمن والحملات الصليبية الثلاثة:

وجدنا أن معادلات الصراع كانت مع تلك الحملات على الشكل التالي:

الحملات الصليبية الاولى (1291/1050) : وكانت معادلاتها:

أمة الصليب × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام (1)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار القديم) (1970/1800):

أمة الصليب + أمة اليهود × أمة الإسلام ← انتصرت أمة الإسلام (2)

الحملات الصليبية الثانية (مرحلة الإستعمار الحديث) (مرحلة الإستقلال):

أمة الصليب + أمة اليهود + طوائف الحكومات المرتدة × الصحوة الإسلامية ←
هزمت الصحوة الإسلامية وخرجت الأمة من المعركة (3)

الحملات الصليبية الثالثة (المرحلة الأمريكية) (1990-2003) :

أمة اليهود(على رأسها إسرائيل) + أمة النصارى(على رأسها أمريكا وبريطانيا) + طوائف حكام الردة في العالم الإسلامي + قوى المنافقين وعلى رأسها المؤسسة الدينية الرسمية وعلماء السلطان ومن فسد من قيادات الصحوة في بلادنا × التيار الجهادي المسلح جماعات وأفراد ←
هزمت قوى المقاومة .. وحصر التيار الجهادي .. وشلت الصحوة .. وخرجت الأمة من المعركة (4)

وإذا أردنا أن نضع بعض الملاحظات التوضيحية لمزيد من الفهم لهذه المعادلات التاريخية الرهيبة وما نستخلصه منها من دروس عظيمة كي ندرك أسباب الهزيمة ونتلمس مقومات النصر حيث حصل كي يتكرر معنا بإذن الله نجد من ذلك :

1. إن أول ما تطالعنا به هذه المعادلات من حقائق أن خلاصتها أننا انتصرنا في المعادلتين (1) و(2) وانهزمنا في (3) وانسحقنا في (4) وواضح تماما أننا انتصرنا عندما واجهت الأمة عدوها عسكريا رغم الفارق الهائل في العدد والعتاد، وفي واقعنا المعاصر الحالي أمثلة متكررة على هذا كما حصل في أفغانستان عندما واجهت الأمة عدوها بكامل طبقاتها وتكرر ذلك بشكل جزئي في الشيشان وفي البوسنة رغم أننا في زمن الهزيمة والتراجع.
وكذلك توضح المعادلات أننا انهزمنا عندما واجهت شريحة محدودة العدو ووقفت الامة تتفرج عليها وانسحقنا عندما خرجت معظم هذه الشريحة من المواجهة بل وانضم قسط من الأمة إلى العدو ولم يبق في المواجهة إلا حفنة قليلة من الجهاديين. وكأن المعادلات يمكن اختصارها ببساطة بمعادلتين:

أمة الإسلام × أمم الكفر	←	**انتصرنا**
نخبة من الأمة × أمة الكفر + منافقي الأمة	←	**انهزمنا**

فأول الدروس المستفادة من هذه العبرة والمعادلات هو أن علينا أن نعيد الأمة إلى المواجهة بحيث (تعود المواجهة معركة أمة وليست صراعات نخبة) كما هو حاصل الآن. وأول ما يستلزم هذا أن تقنع النخبة الأمة بأن من وقف مع العدو ليس منها وإنما من العدو (ومن يتولهم منكم فإنه منهم) وأن مواجهته من صميم الجهاد وليست فتنة.

2. أن الأمة قد تحركت لما توفرت لها المرجعية الشرعية القدوة التي تحركها في حين لم تستطع الصحوة ولا نخبتها الجهادية أن تشكل مرجعية تقنع الأمة بالتحرك معها وأن على أي نخبة

ستتصدى للمقاومة أن تعمل على أن تشكل مرجعية تشمل قيادات الجهاد وعلمائه ومفكريه ورموزه وأن تلف الأمة من حولها.

3. أن العدو قد انهزم أمامنا في ساحات المواجهة العسكرية ولكنه انتصر علينا عندما مهد لغزوه بغزو فكري حضاري وفكك البنى التحتية التي تولد بذور المقاومة في الأمة وأن علينا أن نبدأ بترميم هذه البنية بالإضافة لما يجب من إطلاق المقاومة كما اشرنا آنفا. (راجع / مستويات المقاومة المقدمة

4. أن اليهود قد دخلوا الحملات الصليبية الثانية كعنصر مساعد في الإستعمار القديم. ولكنهم تحولوا إلى طليعة قائدة ومحركة للحملات الصليبية الثالثة. ويجب علينا أن نواجههم بهذه الصفة ونعطي تدمير طليعتهم إسرائيل وأداتهم أمريكا أولوية تناسب حجم دورهم وخطره في المرحلة القادمة.

5. تبين المعادلتين (3) (4) أن المرتدين قد حسموا المعركة لصالح العدو الصليبي اليهودي عملياء وذلك بخداع الأمة بانتمائهم المزيف للمسلمين وهويتهم الوطنية المزورة. فيجب على طلائع الجهاد والمقاومة وإعلامهم الموجه وقياداتهم المفكرة والمنظرة لمستقبل العمل أن تعيد إبراز دور المحرك الأساسي للمرتدين وهم الصليبيون وتحريك المقاومة تجاههم لأن ذلك سيعيد إدخال الأمة في المعركة ويقنعها بقتال المرتدين تبعا للصليبيين على أنهم جزء من العدو الحقيقي والأساسي وأنهم ليسوا أكثر من مجرد ستار له.

6. تبرز المعادلة الأخيرة دور أمريكا كقوة قائدة للحملات وككتلة رئيسية في الوزن العسكري مما يعطي مواجهتها أولوية كبرى كما يلفت النظر بفهم التناقضات الداخلية داخل الحلف الصليبي وما بين محاوره الثلاثة (أمريكا – بريطانيا / أوربا الغربية /روسيا) إلى ضرورة العمل على فك هذا الحلف والإنفراد بالمحور الصهيوني الأمريكي ما أمكن ذلك وسيأتي تفصيل على هذا في النظرية السياسية من الفصل الثامن إنشاء الله.

7. من خلال المتابعة نجد أن الشعوب الأوربية كلها قد وقفت وراء جيوشها وملوكها داعمة مؤيدة في الحملات الصليبية الأولى وكذلك في الثانية. ولكن انتشار مفاهيم التواصل الحضاري وحركات السلام في كثير من شرائح المجتمع الأوروبي وازدياد المعرفة بالإسلام في أوربا جعل جماهير غفيرة مليونية العدد تقف موقف المعارضة والشجب لتلك الحملات حتى في بريطانيا. في حين وقفت الغالبية الساحقة من المجتمع الأمريكي المتصهين وراء رئيسها الصليبي المتهود بوش وعساكره وهذا أمر يجب التفكير فيه ونحن نصيغ نظريات المقاومة القادمة.

8. إن نظرة في الصورة الأخيرة للمعادلة نجدها قد عادت إلى صيغتها أيام الاسلام الاولى لتكون :

يهود + نصارى + مشركين + مرتدين + منافقين × المؤمنين المجاهدين

وهكذا نعود كما بدأنا، ويعود الإسلام وأهله المؤمنون المصابرون غرباء كما بدؤوا غرباء.. فطوبى للغرباء من الأولين والآخرين ونسأل الله أن يجعلنا منهم.

9. الملاحظة الأخيرة . وهي في غاية الأهمية وتشكل ركنا أساسيا في فهم طبيعة صراعنا الحالي ويجب أن تكون ركنا أساسيا من العقيدة الجهادية للمقاومة في هذا الزمن وهي الفقرة الهامة التالية :

● دور المنافقين من علماء السلطان . والفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية في هزيمة الأمة المسلمة وطليعتها المجاهدة أمام الأعداء:

أمام الحملات الصليبية المعاصرة خلال الإستقلال ولاسيما بعد الحملة الصليبية الأمريكية الجديدة.

فكما مر معنا في الفصل السابق عن كيفية نشوء مدرسة علماء السلطان في التاريخ الإسلامي منذ تحول الخلافة الراشدة إلى الملك العضوض ثم الجبري ثم قيام حكم الطواغيت. وكيف اتبع المسلمون سنن من كان قبلهم من اليهود و النصارى. وأصبحت السلطة فيهم كما كانت عبر التاريخ في كل الممالك الضالة تقوم على (الحاكم والكاهن والأعوان) . فقد اصطف علماء السلطان على أبواب سلاطين بني أميه منذ النصف الثاني للقرن الأول الهجري ولم يمض على وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا خمسين سنة. وسجلت لنا أقوال علماء الحق الذين اعتزلوا أبواب الأمراء بعض النصوص في نهي أولئك والتشنيع عليهم وتحذير العامة من فسادهم ؟.. فقد قام في مقابلة ذاك الفريق التعيس من علماء السلطان علماء للحق صدعوا به واحتسبوا على الأمراء وقاموا بحق الله في الحكام والمحكومين. وما زالت هذه الطائفة تقل في حين تتوسع فرقة علماء السلاطين مع الوقت و تفسد دورها مع ازدياد وتطور فساد الملك من العضوض إلى الجبرية إلى ملك الطواغيت إلى أن قامت اليوم فئة علماء الإستعمار وفقهاء البنتاغون وجهز آلات حرب الأفكار من علماء مكافحة الإرهاب تحت قيادة رامسفليد.. ! ولله الأمر من قبل ومن بعد.

وقد كان دور هذه الفئة الخبيثة من علماء السلطان محدودا في تأييد الحملات الصليبية الأولى حيث وقفت الأمة ومرجعياتها الدينية في وجه ذلك الغزو الصليبي. واقتصر دور الفاسدين منهم على تأييد الملوك والأمراء الذين خانوا أمتهم وتعاونوا معهم من أمثال الصالح اسماعيل أيوب ملك دمشق الذي والى الصليبيين وأدخلهم أسواق دمشق وباعهم السلاح وملكهم بعض حصون المسلمين وكذلك بعض أمراء الأندلس الذين تعاونوا مع النصارى وملكوهم حصون المسلمين وتعاونوا معهم.وقد ذكرت وثائق التاريخ طرفا من ذلك من مثل ما قاله الإمام ابن حزم الذي عاش ذلك الحين في القرن الخامس الهجري أي الحادي عشر الميلادي . قال ابن حزم عن أمراء الأندلس في زمانه ، في كتابه (**التلخيص في وجوه التخليص**) :

[فهذا أمر امتحنا به نسأل الله السلامة . وهي فتنة سوء أهلكت الأديان إلا مـن وقـى اللـه تعالى . لوجوه كثيرة يطول لها الخطاب . وعمدة ذلك ؛ أن كل مدبر مدينـة أو حصـن في شيء مـن أندلسنا هذه ، أولها عن آخرها محارب لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، ساع في الأرض بالفساد . للذي ترونه عيانا من شنهم الغارات عـلى أمـوال المسـلمين مـن الرعيـة التـي تكـون في ملـك مـن ضادهم . وإبـاحتهم لجنـدهم قطـع الطريـق. ضـاربون للجزيـة والمكـوس والضرائب عـلى رقـاب المسلمين . مسلطون لليهود و النصارى على قوارع طرق المسلمين . معتذرون بضرورة لا تبـيح مـا حرم الله . غرضهم منها استدامة إنفاذ أمرهم ونهيهم .

فلا تغالطوا أنفسكم ، ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه ، اللابسون جلود الضأن على قلوب السباع. المزينون لأهل الشر شرهم . الناصرون لهم على فسقهم .

فالمخلص لنا منها ؛ الإمساك بالألسنة جملة وتفصيلا إلا عن أمر بالمعروف أو نهي عن المنكر وذم جميعهم . والله لو علموا أن في عبادة الصلبان تمشية لأمورهم لبـادروا إليهـا .فـنحن نـراهم يستمدون النصارى، ويمكنون لهم من حرم المسلمين ، وربما أعطوهم المدن والقلاع طوعا، فأخلوها من الإسلام وعمروها بالنواقيس .

لعن الله جميعهم وسلط عليهم سيفا من سيوفه . فمـن عجـز عـن ذلـك رجـوت أن تكـون التقية تسعه . وأن ينكر بقلبه . هذا مع أنه لو اجتمع كل من ينكر بقلبه لما غلبـوا عـلى أمـرهم) أهـ .

وهكذا لم يغفل الاستعمار الصليبي الذي قاد الحملات الصليبية الثانية منذ القرن السابع عشر وإلى منتصف القـرن العشرـين دور هـذه الشرـيحة الخبيثـة في إسـناد احتلالـه وإجهـاض المقاومـة وتجفيف جذورها في الأمة. فكما لم يهمل ملوك وسلاطين المسلمين في تلك الحقبة دورهـم في تركيـع الشعوب واستعبادهم وانتزاع طاعة الناس لهم. لم يهمل المستعمر ذلك .. فقد اسـتطاع الإنجليـز في كل مكان احتلوه من العالم الإسلامي تجنيد بعض العلماء و. بعض الصوفية أئمة الطرق لهم في مصر والسودان وشبه القارة الهندية وغيرها. فقد كتب (كرومر) المندوب البريطاني المشرف عـلى اسـتعمار مصر كثيرا من الرسائل إلى محمد عبده (شيخ الأزهر) في حينها وأثنى عليه وعلى تعاونه. ولما مـات محمد عبده كتب (كرومر) إلى حكومته ينعي فيه أخلـص أصـدقاء بريطانيـا في مصرـ!! حيـث كـان لمحمد عبده وأستاذه الأفغـاني مـن قبـل دورا بـارزا في حركـة التغريـب والغـزو الفكـري في أوسـاط المسلمين بل وصل الحد إلى أن يكونوا أعضاءا في أول محفل ماسوني في الشرق الأوسط !!

بل ذهب الإنجليز لأبعد من استخدام علماء السلطان ، فلقد استحدثوا مـذاهب جديـدة مـن العدم وأوجدوا لها ملايين الأتباع مع الوقت في شبه القارة الهندية مثل مذهب القاديانية. والبهائيـة وسواها.. الذي كان أهم أهداف استحداثه أنه يسقط الجهاد ضد الإنجليـز.. كـما اسـتطاعت فرنسـا

تجنيد بعض علماء الشام وشمال إفريقيا وأئمة بعض الطرق الصوفية الذين أفتوا بأن(فرنسا قدر الله). ومن يحاربها فهو كمن يحارب قدر الله ويرفض ما قدر وكتب على المسلمين!

كما لعب بعض علماء المسلمين وشيوخ الطرق في وسط آسيا والممالك الإسلامية في القفقاس وما حولها دورا بارزا في النفاق للقياصرة وللثورة البلشفية وللينين ولستالين ذاته... والوثائق متوفرة لمن أراد جمعها وليس هنا محل الاستقصاء.

فلما رحل الإستعمار وقامت الحكومات الوطنية والأحزاب السياسية المحلية صار لكل حزب شيوخ وعلماء دين في حملاتهم الانتخابية وقوائمهم من المرشحين. وصار لكل حكومة منذ ذاك الوقت وزراء أوقافها ومراجع إفتاء تنافق لها .. ومما نذكره في سوريا أن (أحمد كفتارو) وزير الأوقاف الحالي وطيلة حكم النصيرية في سوريا منذ 1970 وإلى اليوم (أي طيلة عهد حافظ أسد وابنه بشار). كان سنة 1954 يقود الحملة الانتخابية (لخالد بكداش) مؤسس الحزب الشيوعي السوري واللبناني. الذي أدخل الإلحاد والشيوعية إلى بلاد الشام. فقد قاد حملته الانتخابية في المساجد! في مواجهة الحملة الانتخابية للإخوان المسلمين ومرشحها الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله. فقد كان يخطب اثر صلاة الجمعة في المسجد الأموي ليثني على خالد بكداش الذي يصلي سنة الجمعة البعدية ثمان ركعات! فيما ينتظر الناس والشيخ فراغه من النوافل حتى يبدؤوا الحملة الانتخابية.. فتأمل !! وهكذا كان لحزب البعث علماء سلطة في سوريا حتى وقف الشيخ الدكتور العلامة (سعيد رمضان البوطي) في محاضرة في استانبول في تركيا يقول لما سألوه عن مذبحة حماة التي راح ضحيتها زهاء 50 ألف مسلم من الشعب المسلم السني على أيدي الجيش النصيري وقائده حافظ أسد. قال البوطي: (لقد تترس بهم المجرمون (يقصد المجاهدين لما انتفضت المدينة مع المجاهدين) فحل لولي الأمر أن يقتلهم)! ومشاهد البوطي كثيرة يطول ذكرها هنا حتى كان آخرها أنه أم صلاة الجنازة عند موت حافظ أسد وخنقته الدموع وهو يدعو رافعا صوته لينقل التلفزيون الرسمي دعاءه (الجهري!) في صلاة الجنازة فقال : (اللهم إنا – أي هو ومن يصلي خلفه من الإستخبارات وكبار النصيرية والبعثيين – أنه - أي حافظ اسد- قد لقيك يشهد أن لا إله إلا أنت وان محمدا عبدك ورسولك اللهم اجمعنا (أي الحفل الكريم وإمامهم البوطي) معه في الفردوس الأعلى !!!!!!! . وللبوطي هذا صولات وجولات في دعم الحكومات اللبنانية (النصرانية) والأردنية (الماسونية) وبعض حكام دول الخليج. وكان له مقام رفيع في الندوة الحسنية عند الملك الحسن الثاني في المغرب. وكتاب البوطي العجيب (الجهاد كيف نمارسه وكيف نفهمه) الذي توصل فيه إلى أن المجاهدين للحكام في هذا الزمان ليسوا شهداء حق ولا بغاة حتى!! وإنما مفسدون في الأرض حكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض !... وكان من آخر مآثره وقوفه بشراسة مع حكومة الجزائر ضد الانتفاضة الجهادية الرائدة في الجزائر قبل أن

تستولي الاستخبارات على قيادتها وتصبغها بالتكفير! ولم يعجبه ولا حتى الجبهة الإسلامية للإنقاذ فحمل عليها واعتبرها خارجة على الحكومة الشرعية!!.

وفي مصر كان لعبد الناصر في مصر بعض شيوخ الأزهر الذين أفتوه بقتل سيد قطب وإخوانه وبعدم جواز توبتهم بعد أن قدر عليهم. وكان للسادات من بعده في مصر فقهاء للتطبيع والسلام مع اليهود مثل الشيخ الشعراوي الذي كتب القصائد في مدح فاروق ثم كتب الشعر في الثناء على إنقلاب عبد الناصر ضد الملك فاروق ! وامتدح الأخير! ثم ألَّه السادات وكان هو الذي رد على من عارض السادات بعد زيارته الخيانية للقدس بقوله بأن الرئيس هو بمنزلة من لا يسأل عن ما يفعل وهم يسألون!! فأنزله منزلة الرب سبحانه وتعالى عما يجحد الجاحدون ! ثم نافق الشعراوي لمبارك حتى قبيل أن يلتئم عليه قبره بأيام في واقعة مشهودة .. وهو الذي قرأ البيان الذي وقع عليه ستة من العلماء منهم شيخ الأزهر ومفتي الدولة ووزير الأوقاف والشيخ محمد الغزالي والشيخ القرضاوي وجاء فيه أن ما يجري من أعمال عنف ضد الحكومة ليس جهادا وإنما إرهابا محرما وقالوا بالحرف :(ذلك بأننا لا نعلم بأن حكام مصر قد ردوا لله حكما) ! وكان ذلك في عهد حسني مبارك الذي ورث العرش الفرعوني فورث معه من ضل من سحرة مصر وكهانها. فلم يرو أنه رد لله حكما في (مصر) ! البلد المسلم الذي تدفع فيه العاهرات ضريبة الدخل بموجب القانون لوزارة المالية باعتبارهن من مرافق السياحة!!.وأما سلسلة الطنطاويات من فتاوى شيخ الأزهر الأخير (سيد طنطاوي) فأشهر من أتذكر وأكثر من أن تحضر. وكان آخرها دعمه لفرنسا في منع المسلمات من لبس الحجاب..!

كما كان لآل سعود في السعودية هيئة كبار العلماء والدعوة والإرشاد، والقضاء الأعلى وغيرها من المؤسسات الدينية الرسمية التي كان لها مآثرها منذ أسسها الملك فيصل. وقل مثل ذلك عن علماء المغرب الأقصى الذين يركعون ويسجدون للملك و يتعذرون بدعوى سجود الملائكة لآدم وأنه سجود شكر وليس سجود عبادة وكيف لا يسجدون كما سجد الملائكة لآدم والملائكة خير منهم والملك من أولاد آدم - على الأرجح - !

ولا ننسى شهادة أبو شقرة العالم (السلفي) في الأردن. الذي قال أنه نظر في حال الأمة فوجد أن مجدد القرن الخامس عشر الهجري هو جلالة الملك الحسين المعظم حفظه الله. ولا ندري كيف حل الإشكال مع علماء السعودية الذين عقدوا مؤتمرا في الذكرى المئوية لدخول الملك عبد العزيز الرياض مع أعوان الإنكليز ووجدوا أن المجدد هو الملك عبد العزيز آل سعود! وهكذا قل مثل ذلك عن كافة الدول العربية و الإسلامية وموقف علماء السلطان مع ملوكهم ورؤسائهم وأمرائهم وعن تسويغهم لحكمهم بغير ما أنزل الله وما يسومون الناس به من العذاب والمكوس وصولا إلى موالاتهم لليهود والنصارى..

ولكن الأنكى من الدور البشع الذي لعبه علماء السلطان إلى جانب حكومات الطواغيت والحملات الصليبية الثانية والثالثة ، هو الدور المفاجئ الذي لعبه بعض الفاسدين من قيادات الصحوة الإسلامية ذاتها. فإذا كان العلماء المنافقون قد لعبوا دور مفتي السوء إلى جانب السلطة، فقد دخل بعض قيادات الصحوة أولئك في السلطة ذاتها وصاروا من أركانها بدعوى المصلحة وفن الممكن. كما سنرى في الفصل القادم إنشاء الله. وهكذا وبصفتهم يمثلون الدين والعمل الإسلامي وينتمي بعضهم إلى قطاع العلماء. فتكامل البلاء بهم ليكوّنوا مع علماء السلطان والمؤسسة الدينية الرسمية عكاز الكهانة إلى جانب الحكام.

ولكن الدور الأخبث لطائفة علماء السلطان برز مع قدوم الحملات الصليبية الثالثة بقيادة أمريكا منذ 1990 على الشرق الأوسط. فلما زحفت إلينا جحافل الأمريكان و الأوربيين وحلفائهم المرتدين وعساكرهم. تولى علماء السلطان وفقهاء الضلالة والفاسدين في الصحوة كسح الألغام أمام تلك العساكر وتحطيم أي إمكانية مقاومة قد تنشأ ونزع غطاء الشرعية عنها سلفا. وقد تولى تنظيم ذلك النظام الحاكم في السعودية وجهازه الديني الذي بادر إلى إطلاق فتاوى جواز الاستعانة بالكفار للضرورة من قبل أولياء الأمور الشرعيين وإضفاء الشرعية على ما حصل. وبذلك قطعوا الطريق على من يفكر بالجهاد. وشكل مؤتمر مكة 1990 الذي دعي له 413 شخصية من كبار علماء المسلمين وقيادات الصحوة والرموز الدينية من كافة دول العالم الإسلامي الثمانية والخمسين . وحضر منهم 398 شخصية .فأصدروا بيانا ختاميا شرع للوجود الأمريكي والتعاون معه ضد العراق بصفتها استعانة شرعية. ثم تتالى البلاء لتصدر الفتاوى من السعودية بجواز التطبيع مع اليهود حيث تولى مفتي الديار الشيخ ابن باز إصدار الفتوى التي لا يعبر عن مدى فداحتها إلا أن نعلم أن (بيريز) رئيس وزراء إسرائيل في حينها لما ذكرها أمام أعضاء الكنيست وقفوا يصفقون لها وأثنى (بيريز) على الشيخ المعتدل ودعا شباب المسلمين لإتباع آراء هذا الشيخ الجليل وعدم السعي وراء آراء أمثال حزب الله المتطرف.. فتأمل إلى أين وصلت الفتنة والبلاء!

وعلى مدى عقد أسود من الزمن (2000/1990) تولى الجهاز الديني الرسمي وعلماء السلطان وعملاء الصحوة الإسلامية في السلطات المرتدة الحاكمة وبرلماناتها ووزاراتها مكافحة التيار الجهادي جنبا إلى جنب مع مشروع مكافحة الإرهاب الذي قادته أمريكا وانعقدت من أجله عشرات المؤتمرات الأمنية في العالم وفي بلاد العرب والمسلمين. مما أدى إلى تشريد الجهاديين وتمزيقهم شر ممزق.

ولما قامت دولة الشريعة في أفغانستان على يد طالبان (2001/1994) تولت هذه المرجعيات الدينية العميلة إسقاطها جنبا إلى جنب مع الجهود الأمريكية الصليبية بدافع من حكامهم. وحتى في المسائل الصارخة الحساسية لم يستح أولئك العلماء والقادة العملاء أن يسدوا خدماتهم الجليلة

تلك. ومن أوضح وأفظع الأمثلة على ذلك أنه لما اتخذ أمير المؤمنين في أفغانستان (ملا محمد عمر) قرارا بهدم الأصنام الأثرية العملاقة لبوذا،هرع فريق من هؤلاء العلماء ورموز الإسلام ، وكان على رأسهم الشيخ القرضاوي إلى أفغانستان بدفع من حكامهم المدفوعين من أسيادهم ، بتحريك من المنظمات الصليبية الدولية ، للحيلولة دون هدم الأصنام !وكانت فضيحة للجهاز الديني الرسمي في العالم العربي والإسلامي ولاسيما في السعودية ومصر. الذين اتخذوا من تلك الفعلة المجيدة لطالبان قضية لتشويههم والعمل على إسقاطهم . وهو ما حققته أمريكا أواخر 2001 بمشاركة فعالة من حكومة باكستان ودول الخليج وهياكلها الدينية المنافقة.

ولما قامت بعض الأعمال الجهادية المحدودة بعيد حرب العراق الأولى 1991 وإلى سنة 2000 ضد الصليبين الغزاة ، أصدرت هيئة كبار العلماء أقبح الفتاوى بالحكم على المجاهدين بالإفساد في الأرض وأن عقابهم القتل والقطع والنفي . فدعوا الناس لحربهم وتوعدوهم بعدم دخول الجنة التي صارت ملكا لباباوات المسلمين القابعين في السعودية يوزعون أملاكها على الناس ، ويحددون من يروح ريحها ومن لا يروح ، كما فعل باباوات النصارى في العصور الوسطى!

ولما جاءت أحداث سبتمبر 2001 وتذرعت بها أمريكا وزحفت على أفغانستان وأسقطت الإمارة الشرعية فيها ثم أطلق جورج بوش حملته الصليبية تحت شعار مكافحة الإرهاب. هب الهيكل المنافق من علماء المسلمين وكثيرون من قيادات الصحوة لينضموا إلى تلك الحملة بكل جدارة وإخلاص وتفاني.

ويكفي كي يمتلئ القلب حزنا والنفس كمدا أن تتابع البرامج الدينية وخطب الجمعة عبر الفضائيات اليوم من المسجد الحرام إلى المسجد النبوي إلى المسجد الأزهر إلى كبريات المساجد في عواصم بلاد العرب والمسلمين لتشهد الدور الرائد الذي تؤديه المؤسسة الدينية الرسمية وما تقدمه من خدمات جليلة لأمريكا . حتى أصبح لبرامج مكافحة الإرهاب وصب جام الغضب والتضليل والتهمة بالانتماء للخوارج وعصابات الإجرام والمخدرات .... على كل من تسول له نفسه مقاومة أمريكا في غزوتها الصليبية ومقارعة حكام بلادنا المرتدين الذين يقودون طلائع حملتها. ولا يتسع المكان للشواهد هنا وقد جمعت كثيرا منها مع مسودات بحث كنت أعده قبل سقوط كابل وكان بعنوان (**الفرقان بين علماء الرحمن وعلماء السلطان**) ونماذجهم منذ علماء بني أمية إلى فقهاء البنتاغون اليوم . وأسأل الله أن يعينني على جمعه مرة أخرى وإخراجه.

وألخص الدور الذي لعبه وما يزال يلعبه علماء السلطان والفاسدون من قيادات الصحوة إلى جانب الحملات الصليبية الحديثة في أربعة أهداف أساسية بالإضافة لخامس أشد شرا منها على المدى البعيد وهذه الأهداف هي:

1- الحكم بإسلام الحكام المرتدين الحاكمين لبلاد العرب والمسلمين رغم تشريعهم من دون الله وحكمهم بغير ما أنزل الله وولائهم للأعداء الكفرة وسهرهم على مصالحهم والقتال دفاعا عنهم إلى جانب عساكرهم وتحت قيادتهم ، فضلا عما يرتكبوه من ألوان الكفر والفساد واعتبار كل ذلك فسوقا وظلما لا يعدوا أن يكون كفرا أصغرا لا يخرجهم من ملة المسلمين. وبالتالي الحكم بشرعيتهم كأولياء أمور لهم على الرعية المسلمة كافة حقوق الطاعة والولاء والتعاون .

2- الحكم بمشروعية الإحتلال الصليبي الأمريكي وغيره لبلاد المسلمين بدعوى أن ذلك استنصارا مشروعا بهم تبرره الضرورة . والإفتاء بمشروعية التطبيع مع اليهود . وإسباغ الشرعية على احتلال فلسطين بدعوى أن كل ذلك قد تم بموجب اتفاقيات ومعاهدات سياسية وعسكرية واقتصادية تمت بين الكفار وأولياء الأمور الشرعيين. بما فيهم عرفات وسلطته صاحبة أوسلو و مدريد وخارطة الطريق.

3- تحريم المقاومة للمحتلين الصليبيين واليهود ، بوصفها إرهابا للمستأمنين والمعاهدين، وخروجا على أولياء الأمور الشرعيين . وسحب الشرعية بذلك عن أي شكل من أشكال جهادهم.

4- الحكم على المجاهدين و المقاومين بأنهم مفسدون في الأرض . وإباحة قتلهم وسجنهم وتعذيبهم ومطاردتهم من قبل أولياء الأمور(المسلمين!)
(الشرعيين!) وأسيادهم (المستأمنين!) و(المعاهدين!) الذين صاروا بكامل عتادهم ومئات آلاف من جنودهم وطائراتهم وقنابلهم الذكية وصواريخهم المدمرة (ذميين!) . وتحريم خفر ذمة ولي الأمر الذي أمنهم وجاء بهم من أجل مصلحتنا ونصرتنا!. فكيف يخيفهم الإرهابيون!!

5- أما الخامسة الفاجعة الأخبث من كل هذا والأبعد أثرا في تحطيم جذور الإسلام والمقاومة عند المسلمين؛ فهو ما يقوم به علماء النفاق وفقهاء البنتاغون والقيادات الفاسدة في الصحوة من إفساد عقيدة المسلمين بدعوى (الوسطية) و (الإعتدال) و(الإسلام العصري المنفتح) و(حوار الحضارات) و(الشفافية) و (الحكمة في الدعوة) و... و....وغيرها من

الشعارات الزائفة التي يتم عبرها (أمركة الإسلام) اليوم.
وقد تولت الفضائيات التي تنتشر سمومها القاتلة انتشار السرطان في جسد الأمة وكذلك أجهزة الإعلام و النشر الأخرى هذه الدعاوى التي أصبح الإعراض عليها جريمة تدل على أن صاحبها من الإرهابيون! ويأخذ عليها بالنواصي والأقدام ، وأقل عقوباتها الإعدام .

وهذا البند موضوع يستأهل أن تكتب فيه الكتب الكثيرة لغزارة مادته وكثرة شواهده وليس كتابنا محل ذلك، فحسبنا الله ونعم الوكيل فقد اتسع الخرق على الراقع. بل تاه المرقعون وسط مئات الخروق التي تغوص الأمة في أنحائها والله المستعان.

وهناك حالة خاصة من بين كل أجهزة السحرة والكهان وعلماء السلطان في كافة أنحاء العالم العربي والإسلامي تستأهل الوقوف معها بشكل منفصل لخصوصيتها وخطرها وهي :

- **المؤسسة الدينية الرسمية للمملكة العربية السعودية ودورها إلى جانب الحملات الصليبية الثالثة:**

يحتاج الحديث عن هذه المؤسسة الخبيثة المتشعبة العريقة ، ودورها الشيطاني في حرب الله ورسوله والمؤمنين إلى مجلدات مستقلة. ويا ليت كان بإمكاني توفير الوثائق والمراجع عن نشأتها و فتاويها ورصيدها في عالم النفاق، لتفرغت إذا لإخراج هذا السفر الهام. وأسال الله أن يقيض لذلك أقلاما للحق من أهل بلاد الحرمين ذاتهم من يقوم بذلك وهم أدرى ولا شك بشعابها فهناك مواضيع عظيمة يجب التحقيق فيها قد قامت بها الحكومة السعودية عبر هذه المؤسسات الدينية الرسمية وأذكر من ذلك بالعناوين لمن أراد البحث والتحقيق ملفات مثل: دور السعودية في (تدمير الجهاد الأفغاني و مطاردة المجاهدين الأفغان العرب) (تدمير الجهاد العربي في البوسنة) (حصار المجاهدين العرب وإخوانهم في الشيشان) ودعم روسيا واعتبار المسألة الشيشانية شأن داخلي روسي – كما صرح مؤخرا ولي العهد السعودي عبد الله بن عبد العزيز أثناء زيارته لموسكو سبتمبر2003 – وكذلك (دورها في اختراق وتوظيف الأقليات الإسلامية في العالم) (دورها في اختراق وتوظيف الجاليات الإسلامية في المهجر) (دورها في إسقاط الإمارة الإسلامية في أفغانستان) (دورها في حرب العراق الأولى والثانية) (دورها في مكافحة التيار الجهادي ضمن حملة مكافحة الإرهاب) (دورها في دعم الأنظمة العربية التي تعرضت للمواجهة من قبل حركات جهادية مثل ما حصل في

سوريا والجزائر) ... والقضايا كثيرة ودور هذه المؤسسة الدينية وتاريخها وإنجازاتها بحث يطول ولكن وللفائدة وعلى سبيل النبذة ألفت النظر إلى نقاط مختصرة:

- بدأ تكون نواة هذه المؤسسة الدينية منذ عهد الملك عبد العزيز الذي استطاع أن يضحك على لحى بعض الطيبين في نجد ويقنعهم بأنه جاء ليجدد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله. فلما اكتشف (الإخوان) خدعته وواجهوه ، بعد أن نصبه الإنجليز سلطانا على نجد والحجاز، أبادهم في معركة (السبيلة) بتعاون من الإنجليز حيث انقسم الإخوان على أنفسهم ، ووقف بعضهم معه بدعوى أنه ولي الأمر. ومن هناك كانت البداية.
- تولت المؤسسة الدينية التي لم تكن قد تبلورت بعد بالتعاون مع أمراء الأسرة بعد عبد العزيز خلع سعود وتنصيب الملك فيصل ولي أمر جديد. فكان من باكورة أعمال هذا الداهية (مؤسس العلمانية في السعودية) أن قنن لهذه المؤسسة وجعلها رسمية فتأسست مع الوقت (**هيئة كبار العلماء**) وهيئات ومؤسسات أخرى مثل(**الدعوة والإرشاد**) و(**الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**) و(**هيئة القضاء الأعلى**).... إلخ . وتمت هندستها ليقوم مفتي الديار على رأسها وليتكون أول **(فاتيكان)** حقيقي للمسلمين يرأسه **(بابا)** للمسلمين ، سعى السعوديون بقوة (البترو دولار) وحرمة الحرمين أن يفرضوه على العالم العربي والإسلامي، ونجحوا في ذلك إلى حد بعيد... وساعد على ذلك الشق الخارجي من المؤسسة الدينية السعودية التي جاء في طليعتها (**رابطة العالم الإسلامي**) و(**الهلال الأحمر السعودي**) و(**الندوة العالمية للشباب الإسلامي**) و(**هيئة الإغاثة العالمية**) وغيرها من المؤسسات الرسمية بالإضافة إلى عشرات المؤسسات الدعوية الخيرية الأهلية غير الحكومية – نظريا – وقد مكنت الميزانيات المليارية و تأثير الحرمين وما أسبغته على ملوك السعودية وعلمائها من شرعية ومرجعية، مكنتها من أهدافها التي رسمت بعناية في لندن وورثتها من بعد واشنطن ونفذتها الرياض بكل حذاقة. ومع الوقت وتوالي الملوك بعد فيصل زاد فساد هذه المؤسسة الدينية ولاسيما بعد وفاة عالمها الذي حاول الإصلاح محمد بن ابراهيم آل الشيخ رحمه الله الذي اكتشف بدايات الكفر والضلال في المؤسسة الحاكمة واصطدم معها برسالته القيمة (تحكيم القوانين) ورسائله مشهورة إلى أمراء آل سعود. ثم عاجلته المنية قبل أن يحقق شيئا . ثم تأصل الإنحراف في عهد خلفه **الشيخ عبد العزيز بن باز**، والركن المتين الآخر **الشيخ ابن عثيمين** الذي شكل مع مفتي الديار الركيزة الأساسية لشرعية آل سعود والجبهة الأمامية في ترقيع سوآتهم . ثم خلفهم الأسوأ من ذلك بعد أن أفضيا إلى ما قدما، واستلم راية الكهانة في بلاد الحرمين الشيخ **عبد العزيز آل الشيخ** سنة 2000. وبقية الأعوان من (آلات) الشيخ و(ماكينات) الملوك!

- **وقد ساعد على نجاح هذه المؤسسة عوامل عدة كان في طليعتها :**

1. استغلال المرجعية الدينية للحرمين و وجودهما تحت حكم آل سعود.
2. الميزانية المالية الهائلة التي صرفت لعمل ونشاطات هذه المؤسسات .
3. الميزانية الهائلة التي صرفت على الدعاية لهذه المؤسسات ورجالاتها وعلمائها وإنجازاتها حتى زرعت في عقول المسلمين وواقعهم في كل العالم العربي والإسلامي.
4. وجود كم هائل من الدعاة المخلصين والعاملين للدعوة والإسلام بكل تفاني خدموا في هذه المؤسسات من باب إيصال الخير لأهله والتعاون على البر والتقوى غير واعين للنتيجة النهائية ومن سيحصد ثمرة الجهود من آل سعود ثم الصليبيين واليهود.
5. استغلال الهوية السلفية والمذهب الوهابي على صاحبه رحمة الله والذي انتشر وصار له قواعد وقبول في أوساط الصحوة ولا سيما الجهادية منها في العالم العربي والاسلامي وما مارسته هذه المؤسسات من طباعة الكتب وتوزيع النشرات التي تحمل العقيدة السلفية وغيرها من العلوم وما فيها من الخير. وما لقيه هذا العمل من القبول في العالم الإسلامي.

إلى أن وجدت الحكومة السعودية نفسها مؤخرا متورطة في حمل عبئ رسالة الدعوة الوهابية التي شكلت أساسا في قاعدة فكر أكثر جماعات التيار الجهادي المعاصر مما أوقعها هذه الأيام في أزمة حقيقية مع أمريكا فقررت بإكراه منها محاربة هذه الهوية فجأة بعد أحداث سبتمبر عندما اكتشف الأمريكان مصيبتهم في عقيدة الولاء والبراء عند المسلمين والتي ركزت الدعوة الوهابية عليها جدا.

- المشكلة الحقيقية التي سببتها هذه المؤسسة السعودية للأمة الإسلامية والعربية عموما هو أن كافة مؤسسات وشخصيات علماء السلطان في عموم بلاد العرب والمسلمين يقتصر دورها المخرب ونفاقها على الإطار المحلي ويتسع جزئيا بما يتناسب مع حجم دولتها وقوة حكومتها ودورها الإقليمي، إلا المؤسسة السعودية. فإنه وللأسباب آنفة الذكر يتعدى ضررها ليشمل كافة العالم الإسلامي حيث صار لها مرجعية مقبولة في كل البلاد. وذلك بسبب التداخل المربك الذي حصل بينها وبين الصحوة الإسلامية المباركة التي نشطت في السعودية وصار لها علماؤها ودعاتها خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين(1400-1420 هجرية) وكانت المشكلة أن تلك الصحوة خرجت من رحم تلك المؤسسة الدينية الرسمية وتخرجت على علمائها وتورط كبار الدعاة المخلصين فيها، في نحت الأصنام العظيمة من رموز المؤسسة الدينية تلك وعلى رأسها سيئا الذكر ابن باز وابن عثيمين اللذان لعبا دورا مشينا إلى جانب الحملات الغازية والحكومات العميلة القائمة في السعودية وغيرها . حتى ضج من بلاء هذه

المؤسسة الكهنوتية كبار قادة المجاهدين والدعاة في السعودية ذاتها ، بعد أن أفتت بزج خيارهم وكبارهم في سجون آل سعود وقضت بتوجيهات من نايف بن عبد العزيز بمنع المئات منهم من التدريس والخطابة.

- لقد تعمقت أزمة المسلمين مع هذه المؤسسة عندما التبس أمرها و أمر علمائها و فتاويها المناصرة للاستعمار وعملائه ، المحاربة للجهاد و المجاهدين وكل من فكر في المقاومة. بسبب أن التيار الجهادي المعاصر كما أسلفت قد استند في كثير من أساسيات فكره ومعتقداته ولاسيما في اعتماد فقه الدليل وأصول الولاء والبراء وكثير من أساسيات العقيدة إلى نفس المدرسة الفكرية العقدية(السلفية) التي تتاجر بها المؤسسة الدينية السعودية. ويتبناها كثير من الدعاة الطيبين الذين تداخل نشاطهم معها. مما جعل شرائح كبيرة من رواد الفكر الجهادي داخل المملكة وخارجها يكنون الكثير من الاحترام والتبجيل لهذه المراجع. فكان أثر ذلك بالغ السوء على أوساط الجهاد. وتعرض المدركون لواقع حال هذه المؤسسة إلى صدامات و جدل عنيف داخل أوساط الجهاديين وإلى الكثير من العنت وهم يحاولون كشف زيف هذه المؤسسة. وهكذا حاربت هذه المؤسسة الجهاد والمجاهدين داخل المملكة وخارجها وكان لها أثرا سيئا على الجهاد في عدد من البلاد العربية والإسلامية ودورا في حصار الإمارة الإسلامية وإسقاط طالبان، وفي الحملة على الجهاد والمجاهدين الدائرة بقيادة أمريكا تحت شعار الحرب العالمية في مكافحة الإرهاب. وتقف اليوم بالمرصاد لأعمال الجهاد والمقاومة ضد الأمريكان في السعودية. ولاسيما بعد الهجمات المظفرة التي قامت في شهر مايو(2003) عندما نسف استشهاديون سعوديون المساكن الفاخرة لأسر العسكريين الأمريكان والعاملين في استخباراتهم في الرياض.

- ويكفي استطلاع بسيط لوسائل الإعلام السعودية من صحف ومجلات وإذاعة وتلفزيون لترى سيل الفتاوى والمقابلات مع عشرات العلماء من المؤسسة الرسمية وغير الرسمية وقد اصطف كلهم ليكيلوا الشتائم والتهم الباطلة للشباب المجاهد مستغلين بعض أخطائهم ، ويكيلوا المديح وعبارات الولاء للنظام الإسلامي الأوحد في الدنيا الذي يقوم على الشريعة الإسلامية كما يزعمون! وليملؤوا الدنيا ضجيجا بحقوق الكفار والمعاهدين ويلبسوا الحق بالباطل وهم يعلمون..

- وقد أثارت المواقف المخزية للمؤسسة الدينية الرسمية في السعودية حفيظة المجاهدين والعلماء المخلصين والشرفاء من أبناء الجزيرة وصرحوا بذلك في كثير من الأدبيات والبيانات .

- **قد جمعت بعض ذلك مما أصدره الشيخ أسامة بن لادن حول هذه المؤسسة الدينية وكذلك بعض ما أصدره أحد أبرز المعارضين السياسيين للنظام السعودي وهو الدكتور سعد الفقيه في كتاب بعنوان (شهادة قادة المجاهدين ورؤوس الإصلاح والمعارضة في بلاد الحرمين على علماء السلطان في بلادهم المسماة "سعودية")**

- والرجلان من الثقاة بصرف النظر عن رأينا في طريقتهما المتباينتين في مواجهة النظام السعودي ومؤسساته الدينية وغيرها. وأقتطف من كتابي المذكور شواهد قصيرة من بعض ما قالوه:

جاء في البيان رقم (11) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أسامة بن لادن) تاريخ 1415/7/27هـ –1994/12/29م وهي بعنوان:

رسالة مفتوحة إلى الشيخ ابن باز ببطلان فتواه بالصلح مع اليهود..

[فضيلة الشيخ : لقد أردنا من ذكر ما سبق تذكيركم بواجبكم تجاه الدين ، وتجاه الأمة ، وتنبيهكم إلى مسؤولياتكم العظيمة ، فإن الذكرى تنفع المؤمنين ..أردنا تذكيركم في هذا الوقت الذي انتفش فيه الباطل ، وعربد المبطلون المضلون ، و وئد الحق ، وسجن الدعاة ، وأسكت المصلحون ، والأغرب أن ذلك لم يتم بعلم منكم وسكوت فقط ، بل مرر على ظهر فتاواكم ومواقفكم ، ونحن سنذكركم – فضيلة الشيخ – ببعض هذه الفتاوى والمواقف التي قد لا تلقون لها بالا ، مع أنها قد تهوي بها الأمة سبعين خريفا في الضلال كي تدركوا معنا ولو جانبا من خطورة هذا الأمر والآثار السيئة المترتبة عليه.

وإليكم بعض الأمثلة:

1- إن مما لا يخفى على أحد المدى الذي وصل إليه انتشار الفساد العارم والذي شمل كافة نواحي الحياة حيث فشت المنكرات المختلفة التي لم تعد تخفى على أحد ، كما فصلت ذلك مذكرة النصيحة التي تقدم بها نخبة من العلماء ودعاة الإصلاح ، وكان من أخطر ما بينوا هو الشرك بالله المتمثل في التشريع وسن القوانين الوضعية التي تستبيح الحرمات والتي من أشنعها التعامل بالربا المتفشي في البلاد ، وذلك من خلال مؤسسات الدولة وبنوكها الربوية التي تزاحم أبراجها مآذن الحرمين وتعج بها البلاد طولها وعرضها .

ومما هو معلوم بالضرورة أن الأنظمة والقوانين الربوية التي تتعامل بها هذه البنوك والمؤسسات مشروعة من قبل النظام الحاكم ومصدق عليها منه ، ومع ذلك لم نسمع منكم إلا أن تعاطي الربا حرام لا يجوز !! ، غير مكترثين بما في كلامكم هذا من التلبيس على الناس ، بعدم التفرق بين حكم من يتعاطى الربا فقط وحكم من يشرع الربا ويقننه.

مع أن الفرق بينهما واضح كبير ، فمتعاطي الربا مرتكب لموبقة من أكبر الموبقات ، أما مشرع الربا ومقننه فهو مرتد كافر كفرا مخرجا من الملة بعمله هذا ، لأنه جعل من نفسه ندا لله وشريكا له في التحليل والتحريم – وهذا ما فصلناه في بحث مستقل سينشر قريبا إن شاء الله-.

ومع أن متعاطي الربا غير المنتهي عنه قد أعلن الله ورسوله عليه الحرب ﴿ فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ﴾[1]، فما زلنا نسمع منكم عبارات الثناء والإطراء لهذا النظام الذي لم يكتف بالإدمان على تعاطي الربا فقط، بل شرعه وقننه وأباحه ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ((**الربا ثلاثة وسبعون بابا أيسرها مثل أن ينكح الرجل أمه**)) صحيح رواه الحاكم.

وقد قال ابن عباس – رضي الله عنهما -: ((**فمن كان مقيما على الربا لا ينزع عنه ، فحق على إمام المسلمين أن يستتيبه ، فإن نزع و إلا ضرب عنقه**)) اهـ (رواه بن جرير بسنده عن ابن عباس)، هذا فيمن يتعاطى الربا فما بالكم بمن يحلل وشرع الربا؟!!.

إن ما تتخبط فيه البلاد من أزمات اقتصادية وسياسية وما انتشر فيها من الجرائم بشتى أنواعها وبشكل مذهل ما هو إلا عقوبة من الله وجزء من الحرب التي أعلنها سبحانه على من لم ينته عن تعاطي الربا ونحوه من المنكرات والمحق الذي حكم به على الربا ﴿**يمحق الله الربا ويربي الصدقات** ﴾[2].

2- وحينما علق الملك الصليب على صدره ، وظهر به أمام العالم فرحا مسرورا ، تأولتم فعله وسوغتموه مع شناعة وفظاعته رغم وضوح أن هذا الفعل كفر، والظاهر من حال فاعله الرضا والاختيار عن علم.

3- ولما قررت قوات التحالف الصليبية واليهودية الغازية في حرب الخليج - بتواطؤ مع النظام – احتلال البلاد باسم تحرير الكويت سوغتم ذلك بفتوى متعسفة بررت هذا العمل الشنيع الذي أهان عزة الأمة ولطخ كرامتها ، ودنس مقدساتها، معتبرة ذلك من باب الاستعانة بالكافر عند الضرورة ، مهملة قيود هذه الاستعانة ، وضوابط الضرورة المعتبرة شرعا.

4- ولما قام النظام السعودي الحاكم بمساعدة ودعم رؤوس الردة الاشتراكية الشيوعية في اليمن ضد الشعب اليمني المسلم في الحرب الأخيرة التزمتم الصمت ، ثم لما دارت الدائرة على هؤلاء الشيوعيين ، أصدرتم – بإيعاز من هذا النظام – (نصيحة !!) تدعو الجميع إلى التصالح والتصافح باعتبارهم مسلمين !! موهمة الناس أن الشيوعيين مسلمون يجب حقن دمائهم ، فمتى كان الشيوعيون مسلمين ؟ ألستم أنتم الذين أفتيتم سابقا بردتهم ووجوب قتالهم في أفغانستان؟ أم أن

---

[1] البقرة (279).
[2] البقرة (276).

هناك فرقا بين الشيوعيين اليمنيين والشيوعيين الأفغان؟ فهل ضاعت مفاهيم العقيدة وضوابط التوحيد واختلطت إلى هذا الحد؟

وما زال النظام الحاكم يؤوي أئمة الكفر هؤلاء في مختلف مدن البلاد ، ولم نسمع لكم نكيرا ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ((**لعن الله من آوى محدثا**)) (رواه مسلم) .

5- وحينما قرر النظام البطش بالشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي – اللذين صدعا بالحق وتحملا في الله الأذى استصدر منكم فتوى سوغ بها كل ما تعرض ويتعرض له الشيخان ومن معهما من دعاة و مشائخ وشباب الأمة من البطش والتنكيل ، فك الله أسرهم ورفع عنهم ظلم الظالمين.

هذه بعض الأمثلة التي لم نقصد منها الحصر ، ولكن اقتضى المقام ذكرها ونحن بين يدي فتواكم الأخيرة بشأن ما يسمى بهتانا بالسلام مع اليهود ، التي كانت فاجعة للمسلمين ، حيث استجبتم للرغبة السياسية للنظام لما قرر إظهار ما كان يضمره من قبل من الدخول في هذه المهزلة الاستسلامية مع اليهود ، فأصدرتم فتوى تبيح السلام مطلقا ومقيدا مع العدو ، فما كان من رئيس وزراء العدو الصهيوني وبرلمانه إلا أن صفقوا لها وأشادوا بها ، كما أعلن النظام السعودي عقبها عن نيته في تنفيذ المزيد من التطبيع مع العدو.

وكأنكم لم تكتفوا بإباحة بلاد الحرمين الشريفين القوات الاحتلال اليهودية والصليبية ، حتى أدخلتم ثالث الحرمين في المصيبة بإضافتكم الصبغة الشرعية على صكوك الاستسلام التي يوقعها الخونة والجبناء من طواغيت العرب واليهود.

إن هذا الكلام خطير كبير ، وطامة عامة لما فيه من التلبيس على الأمة (...)

وقد سبقنا إلى تنبيهكم عليه نخبة من علماء ودعاة الأمة ، حيث تقدموا لكم بمناشدات عدة في هذا الصدد منها مناشداتهم إياكم قبل مدة بالامتناع عن الفتوى بجواز هذا السلام، الاستسلامي المزعوم مع اليهود، مبينين عدم استيفائه للشروط اللازمة شرعا، محذرين من المخاطر الجمة الدينية والدنيوية المترتبة عليه، ومن الموقعين على تلك المناشدة الشيوخ الأفاضل: عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين ، عبد الله بن حسن القعود ، حمود بن عبد الله التويجري – رحمه الله – حمود بن عبد الله الشعبي ، عبد الرحمن بن ناصر البراك ، سلمان العودة ، إبراهيم بن صالح الخضري ، عبد الوهاب الناصر الطريري ، إبراهيم بن محمد الدبيان ، عبد الله بن حمود التوجري ، عبد الله الجلالي ، عائض القرني ، وغيرهم كثير – حفظهم الله جميعا – وستجدون نص مناشدتهم مع هذه الرسالة إن شاء الله.

وفي حرب اليمن الأخيرة ، لما صدر الكلام المشار إليه سابقا ، أصدر خمسة وعشرون عالما فتوى معارضة له مبينة الصواب الشرعي في المسألة ، ومن هؤلاء العلماء الأفاضل : عبد الله سليمان المسعري ، حمود بن عبد الله الشعبي ، عبد الله الجلالي ، سلمان العودة ، د.سفر الحوالي ، د.ناصر

العمر ، يحيى بن عبد العزيز اليحيى ، د.عبد الله بن حمود التويجري، وغيرهم كثير – حفظهم الله جميعا -.

وفي البيان رقم (12) هيئة النصيحة والإصلاح بتوقيع (أسامة بن لادن) بتاريخ 1415/8/28هـ 1995/1/29م، وهي بعنوان:

الرسالة الثانية إلى الشيخ عبد العزيز بن باز

جاء فيها ما نقتطف منه ما يلي:

[غير أن الجميع فوجئ لا لأنكم أكدتم فتواكم السابقة بما نشرته الجريدة المدعوة ((المسلمون)) بتاريخ 19 شعبان 1415هـ.الموفق 20 يناير 1995 في عددها ((520)) فقط ، بل لما تضمنه هذا التأكيد أيضا من إضافات وتفسيرات لمفهومكم لما يسمى بالسلام مع اليهود ، حيث تضمنت تلك التفسيرات أمورا لم يكن اليهود وعملاؤهم يحلمون بصدورها منكم لما أشادوا بالفتوى السابقة وصفقوا لها (...).

إن الأمة عموما وأهالي فلسطين خصوصا كانوا ينتظرون منكم القيام بواجبكم الشرعي تحريضا على الجهاد واستنهاضاً للهمم له وحثاً للناس عليه وتأييداً ودعما للناهضين بأعبائه من الأفراد والجماعات.

وما كانوا يتوقعون منكم مثل هذه الفتوى التي تؤثم المجاهدين لتحرير الأقصى وفلسطين ، نعم تؤثمهم ، لأنهم بعملياتهم الجهادية ضد اليهود يخرقون اتفاق غزة أريحا الذي وقعه ((ولي أمر المسلمين في فلسطين)) كما زعمتم ، وخرق اتفاق وقعه ولي أمر المسلمين لا يجوز !!

وبهذه الفتوى تثبطون وتصيبون بالإحباط أولئك الذين قدموا الآباء والأبناء والأخوان والأزواج شهداء في سبيل الله لتحرير القدس وفلسطين ، لأنهم بمقتضى هذه الفتوى يكونون ماتوا على معصية لأنهم خرقوا اتفاقا عقده ((ولي أمر المسلمين في فلسطين)) هذا معنى كلامكم ومقتضى فتواكم ، فهل تعون ما تقولون ؟!أم تقولون على الله ما لا تعلمون؟!.(...)

فإن كنت لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم

خامسا: إن ما يبعث على الخوف والقلق ليس مجرد صدور هذه الفتوى منكم ، ولكن الأدهى أن هذه الفتوى صدرت بمقتضى منهج متبع من قبلكم في إصدار مثل هذه الفتاوى ، أهم ما يميزه :

1- أنه ينطلق من مبدأ مجاراة حكام السوء في أهوائهم السياسية ، ومواقفهم على تصرفاتهم.

2- وفي سبيل ذلك يتعسف الأدلة ويلوي أعناق النصوص لتستجيب لتلك الرغبات.

3- وإذا لم تسعف النصوص القابلة لذلك في الواقعة والمعروضة أبهم الحكم بصورة يتوصل بها الحكام لمرادهم.

4- أنه قائم على الجهل بالواقع الذي هو مناط الحكم ولا تجوز الفتوى على جهل به(1).

5- ولأنه مبني على رغبات الحكام المتقلبة فقد اتسم بكثير من التناقض والتعارض.

6- وقد أوردنا في رسالتنا السابقة من الأمثلة ما يشهد بصدق هذا الكلام.

ولا يخفى ما في هذا المنهج من البطلان الظاهر والفساد الجلي لأنه قائم على التشهي والمحاباة في إصدار الفتاوى. أهـ

كما جاء في منشورات الحركة الإسلامية للإصلاح التي يرأسها الدكتور سعد الفقيه في لندن:

النشرة " 24" بعنوان " الشيخ بن عثيمين أجوبة تثير أسئلة " بتاريخ 12ربيع الثاني 1417هـ 1996/8/26 صدرت هذه النشرة بعد نشر جريدة " المسلمون " لمقابلة مع الشيخ محمد بن عثيمين، وهي بعنوان: (الشيخ ابن عثيمين...أجوبة تثير أسئلة) .

مقتطفات من بعض فتاوى ابن عثيمين السياسية الشرعية ومن ذلك:

قال الشيخ في معرض رده على سؤال حول طاعة ولي الأمر :

((وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال ، لا شك أنه من الخطأ . المصلحة التي تحصل غير مرجوة في هذا الطريق ، المصلحة التي يريدها هذا لا يمكن أن تحصل بهذا الطريق . بل يحصل بذلك مفاسد عظيمة لأنه مثلاً إذا قام طائفة من الناس على ولي الأمر في البلاد وعند ولي الأمر من القوة والسلطة ما ليس عند أحد ما الذي يكون ؟ هل تغلب هذه الفئة القليلة ؟ لا تغلب بل بالعكس يحدث الفوضى والفساد . ولا تستقيم الأمور ، والإنسان يجب أن ينظر أولاً بعين الشرع ، ولا ينظر أيضاً إلى الشرع بعين عوراء ينظر إلى النصوص من جهة دون الجهة الأخرى ، بل يجب أن يجمع بين النصوص)).

وأما في السؤال الآخر حول البيعة فقد قال الشيخ: ((لا شك أن هذا[1] خاطئ وإذا مات فإنه يموت ميتة جاهلية لأنه سيموت وليس في رقبته بيعة لأحد . والقواعد العامة في الشريعة الإسلامية أن الله يقول **اتقوا الله ما استطعتم** فإذا لم يوجد خليفة للمسلمين عموماً فمن كان ولي أمر في منطقة فهو ولي أمرها . و إلا لو قلنا بهذا الرأي الضال لكان الناس الآن ليس لهم خليفة ولكان كل الناس يموتون ميتة جاهلية ، ومن يقول بهذا ؟ الأمة الإسلامية تفرقت من عهد الصحابة تعلمون أن عبد الله بن الزبير في مكة ، وبني أمية في الشام ، وكذلك في اليمن أناس وفي مصر أناس ، وما زال المسلمون يعتقدون أن البيعة لمن له السلطة في المكان الذي هم فيه ويبايعونه ويدعونه بأمير المؤمنين ولا أحد ينكر ذلك فهذا شاق لعصا المسلمين من جهة عدم التزامه بالبيعة ومن جهة أنه خالف إجماع المسلمين من عهد قديم)) .

وفي معرض جوابه عن قضية البيعة قال الشيخ : ((ثم إنه إذا بويع الإنسان بالإمرة على بلد من البلاد ثم جعل له ولي عهد فهو ولي عهده من بعده . إذا انتهت ولاية الأول صار الثاني ولي أمر بدون مبايعة ولا يصلح الناس إلا هذا ، لو قلنا أن ولي العهد ليست له ولاية عهد حتى يبايع من جديد صارت فوضى . لكن مثل هذه الآراء يلقيها الشيطان في قلوب بعض الناس من أجل أن تفترق جماعة المسلمين ويحصل التحريش الذي بينه الرسول عليه الصلاة والسلام إذ قال: إن الشيطان قد آيس أن يعبد في جزيرة العرب ولكن بالتحريش بينهم)). ا هـ.

وقد علق الفقيه على فتاوى ابن عثيمين تعليقا لاذعا ساخرا يناسب ما حوته من الدجل والأباطيل التي يصل إلى حد التناقض مع صريح القرآن وصحيح السنة وإجماع علماء الأمة في كل تاريخها.

وفي النشرة (28) بتاريخ 11/جمادى الأولى 1417هـ 23/سبتمبر 1996م، صدرت هذه النشرة بعد أن نشر تعليق للشيخ ابن باز حول بيان ابن لادن والدعوة لمحاربة الأمريكان، وهي بعنوان: (ابن باز بين محمد بن عبد الوهاب وابن تيمية).

قال سعد الفقيه:

لكن آلمنا أي إيلام هذه التزكية العظيمة التي أعطاها الشيخ للدولة السعودية الحالية بقيادة خادم الحرمين ، قال الشيخ: ((**وهذه الدولة السعودية دولة مباركة نصر الله بها الحق ونصر بها الدين وجمع بها الكلمة وقضى بها على أسباب الفساد، وأمن بها البلاد ، فحصل بها من النعم العظيمة ما لا يحصيه إلا الله**)).

---

[1] **يقصد المواطن المسلم الذي ليس عنده بيعة لولي أمر بلاده.**

وهذا القول من الشيخ خطير جدا لأن الشيخ يعلم تمام العلم أن هذا الذي قاله هو عكس الواقع بالضبط، والذين يرددون بأن الشيخ يدلس عليه مخطئون لأننا نعلم يقينا ، ونحن شهود على ذلك في الدنيا والآخرة ، أن هذا الأمر غير صحيح ، وأن الشيخ على اطلاع كامل وتفصيلي على ما يجري في البلد ويعلم كل تفاصيل المخالفات الشرعية التي يرتكبها النظام على مستوى الدولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين ، بل إن الشيخ كما يعرف القريبون منه أعلم بكثير ممن يدعون أنهم على علم بما يجري ، لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون من عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح للشيخ نفسه ، ولقد شهدنا شخصيا جلسات كثيرة بسط فيها الواقع للشيخ بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة ، بل إننا نستطيع أن نقول إن الحجة قد أقيمت على الشيخ وأن الذمة قد برئت معه من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين ، وأن إقامة الحجة في بيان الواقع على التفصيل للشيخ قد حصلت مرارا وتكرارا من قبل أناس يثق الشيخ ويأخذ بحديثهم.والذي يشك في ذلك ليس عليه إلى قراءة مذكرة النصيحة التي قدمت للشيخ وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العلماء والشيخ هو رئيس تلك الجهتين . ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة على من قرأها . والذين يحاولون الدفاع عن الشيخ من خلال تصويره كرجل ساذج جالس في سرداب لا يتعرف إلا على ما يطلعه النظام عليه مخطئون ، فالشيخ على اتصال بالعالم كله داخلياً وخارجياً ، وعلى دراية تفصيلية بالأوضاع، ومتابعة إجبارية أجبره عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم.

ولذلك فإن الشيخ يرتكب خطأً عظيماً ومنزلقاً خطيراً حين يزكي الدولة هذه التزكية وهو يعلم حالها ، ويعلم كذلك من خلال اطلاعه الشرعي خطورة مثل هذا العمل ، فالشيخ ليس غريباً عن مؤلفات وأقوال علماء الدعوة وخاصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . الشيخ مثلاً يعلم يقيناً أن النظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة.

فماذا يقول الشيخ إذا بقول محمد بن عبد الوهاب عن أولئك الذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله ؟

قال رحمه الله: ((**إن هؤلاء الطواغيت الذي يعتقد الناس فيهم وجوب الطاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام ، كيف لا وهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم . ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفرهم ، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً لا ينقلهم إلى الكفر ، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق ، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم**)) (الرسائل الشخصية ، 188).

فإذا كان مجرد عدم التكفير جريمة كبرى عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإسلام ويزكي دولتهم ونظامهم ويحمل على من أنكر عليهم).(...)

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ ﴾ (البقرة:159) .

وهذا في مجرد كاتم العلم فقط .فكيف بمن يذهب إلى أبعد من مجرد كتمان العلم إلى تزكية الطاغوت وتزكية الذي يوالي أعداء الله وتزكية الظالم المحارب للإسلام والدعوة ، والناشر للربا والفساد؟.

ونحن يسرنا أن يتوب الشيخ من هذا الأمر ويقلع عن مثل هذه التزكيات الخطيرة التي تدخله في كلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويسرنا أن يتحول الشيخ من مدافع عن النظام إلى مدافع عن الحق والدين وكاشف لجرائم النظام ضد الإسلام ، ولكن هذا ليس هو الأهم ، إن الأهم هو أن يتذكر المسلمون أنهم لا يأخذون الدين إلا ممن يوافق كلامه الكتاب والسنة وينزل علم الشرع بأمانة وإخلاص على الوقع حتى يكون موقعا عن الله في ركب العلماء المصلحين .والمسلم ليس متعبداً بكلام ابن باز ولا ابن عثيمين بل هو متعبد بقول الله وقول رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن فضل الله علينا أنه ليس في الإسلام كهنوت ولا فاتيكان يحتكر تفسير القرآن وفهم السنة ، بل إن الحق الذي في الكتاب والسنة هو الحكم على الرجال وليس الرجال حكم على الكتاب والسنة ، إن مشكلة الشيخ ابن باز ليست مجرد تزكية النظام بل لقد اضطر الشيخ أن يتناقض أكثر من مرة في فتاويه بسبب مداراة النظام ، ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى الشيخ في تحريم الاستعانة بغير المسلمين التي وجهت لجمال عبد الناصر ، والتي قال فيها الشيخ أن الاستعانة لا تجوز حتى عند الضرورة[1]، وكان ذلك هو هوى النظام في تلك الفترة ، ومرت السنين وانقلبت الصورة فاحتاج آل سعود لقلب الفتوى فانقلب معهم الشيخ ولم يكتف بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرها واجبة وآثم من لم يعملها ، تناقض آخر وقع فيه الشيخ عندما أصدر بيانا ينصح فيه حكمتيار بالانضمام إلى (ولي الأمر) رباني مع أن حكمتيار له جيشه وله أرضه التي يسيطر عليها ، وميزة رباني أن هوى الدولة معه،وعندما حصلت حرب اليمن كان الانفصاليون الشيوعيون في حكم الخوارج على الحاكم حسب نظرية الشيخ ، ومع ذلك فقد أصدر الشيخ بيانا يدعو فيه إلى حقن الدماء والصلح بين الفريقين ولم يدع إلى الانضمام إلى ولي الأمر، لأن هوى النظام كان مع الشيوعيين

---

[1] أفتى الشيخ بمثل هذا التحريم للمجاهدين في سوريا ضد حافظ الأسد عندما حرم الاستعانة بالأحزاب المرتدة وبالنظام العراقي في ذلك الجهاد، وكان نص فتواه ((تحريم الاستعانة مطلقا))، راجع كتاب ((الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا)) للمؤلف (264/1).

، هذا فضلا عن قائمة الفتاوى الصادرة من الشيخ تبعا لرغبة النظام وأولها فتوى استدعاء القوات التي اعتبرها الشيخ واجبة وليست مجرد جائزة ، ثم بيان هيئة كبار العلماء ، ضد خطاب المطالب وبيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضد لجنة الدفاع ، وبيان الهيئة في الأمر بتوقيف الشيخين سلمان وسفر من أجل ((حماية المجتمع من أخطائهما)) والفتاوى الأخيرة التي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدم واعتبار قتلهم من أعظم أنواع الفساد في الأرض. ترى هل قرأ الشيخ كلام شيخ الإسلام بن تيمية فيمن يفتي بخلاف الكتاب والسنة موافقة لهوى السلطان.

قال الإمام ابن تيمية في الفتاوى:

(ومتى ترك العالم ما علمه من كتاب الله وسنة رسوله ، واتبع حكم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يستحق العقوبة في الدنيا والآخرة) .

الفتاوى ج35 ص372-373 .

نسأل الله أن يبصر المسلمين جميعا بدينهم ويرزقهم الفرقان الذي يفرقون به بين علماء الرحمن وعلماء السلطان...)).اهـ

وفي النشرة (31) بتاريخ 2جمادى الآخرة 1417، الموافق 10/14 / 1996، وهي بعنوان:

(جريمة كبرى في سجون آل سعود) أورد الفقيه معلومات خطيرة عن التعذيب في السعودية وحمل العلماء الرسميين المسؤولية في ذلك فقال:

لقد ثبت لدى الحركة من مصادر مطلعة داخل الجهاز الأمني أن فرق التعذيب اقترفت الجرم الأثيم، المتمثل في هتك أعراض عدد كبير من المعتقلين وتكرار الاعتداء الجنسي عليهم ، في محاولة لسحق شخصياتهم والقضاء على نفسياتهم العالية.

لقد أفادت المعلومات القادمة من داخل السجون أن الذين طالهم الاعتقال بسبب ماضيهم الجهادي يتعرضون لسلسلة من الضغوط تنتهي بتلك النهاية المشينة والعياذ بالله ، حيث يطلب من كل من له علاقة بذلك التيار بالإقرار (كرها) بأنه يؤمن بتكفير الحكام والمجتمع والعلماء ، وإذا لم يوافق عذب تعذيبا شديدا بشتى أنواع التعذيب النفسي والجسدي ، فإن أصر على الرفض ،

يهدد بالاعتداء الجنسي فحينئذ لا تتورع الكلاب البشرية عن تنفيذ ذلك التهديد وارتكاب الجريمة القذرة و لربما تم تصويره في هذا الوضع المشين إمعانا في إهانته وابتزازه إلى أقصى حد ممكن.

ولقد علمت الحركة أن هذه الجريمة الحقيرة التي تحصل في قلب جزيرة العرب وعلى يد زبانية (دولة التوحيد) إنما تأتي تنفيذا للبرنامج الذي اقترحه مستشارو وزارة الداخلية القادمون من شمال أفريقيا[1] ، والذين نجحوا في إقناع وزير الداخلية بفعالية هذا الأسلوب في تحقيق الجزء الهام من تجفيف المنابع ، من خلال تحطيم شخصية أولئك الشباب والقضاء على معنوياتهم و نفسياتهم. نعم لربما حصل شيء من التهديد بالاعتداء في الماضي لمن يعتقد أنهم ممن ليس لهم ظهر يحميهم ، بل ربما استغل المحققون صلاحياتهم في حالات فردية شاذة ونادرة دون علم، رؤسائهم ، لكن لم يخطر ببال أحد من أن تتحول هذه الممارسات إلى عمل روتيني بعلم وتوجيه وإقرار الرؤساء الكبار وعلى رأسهم وزير الداخلية شخصيا.

إن تحمل نايف مسؤولية هذه الجريمة لا يعني أبدا إعفاء أخوته من المتنفذين ، فكل صاحب قرار في سياسة هذه الدولة مسؤول عن هذه الجريمة القذرة ، ويتحمل تبعاتها مثلما تحملها نايف ، ويستحق ما يترتب على ذلك في الحاضر والمستقبل ، ولا ولن يعفيه كونه خارج وزارة الخارجية ، وإذا كان نايف لا يقيم وزنا للعرض ولا للشرف ولا للغيرة كما فعل في حياته الشخصية ، فإن هذا سيندرج بعد هذه الجريمة على إخوته وسيكونون جميعا متهمين بما اتهم به نايف.

بل إن المسؤولية تتجاوز المتنفذين من آل سعود إلى أولئك الذين يضفون عليهم وعلى أعمالهم الشرعية صفات التوحيد ، ويمعنون في تزكية هذا النظام وحرصه على الدين والدعوة وخدمة الإسلام وأنه قد حقق على يديه (من النعم ما لا يحصيه إلا الله) فهؤلاء لا نعتبرهم مقصرون فحسب في إنكار المنكر الصريح والمعلن ، والذي يستحقون به ما جاء في سورة البقرة من وعيد للمتخلف عن البيان ، بل إنهم في الحقيقة ، ونقولها بكل قناعة وعلم ومعرفة – شريكون في الجريمة ، نعم شركاء فيها وسيحاسبون عليها يوم القيامة كما لو كانوا قد مارسوها بأنفسهم، فإنهم من أقوى الأركان التي يتكئ عليها النظام في استقراره ، وأقوالهم ومواقفهم من أقوى الحجج التي يحتج بها النظام في ممارساته، بل إن جريمتهم أعظم كونهم لبسوا لباس العلم وتحملوا مسؤولية الفتيا، فلم يتورعوا بعد ذلك عن الكذب على الله ورسوله والحيدة عن الحق الذي استأمنهم الله عليه. والمصيبة أنهم يعلمون كل ذلك من خلال معرفتهم بسيرة علماء السلف من أمثال الإمام مالك والإمام أحمد بن تيمية وغيرهم ، يعلمون أنهم ليسوا مجرد أعوان للظلمة بل هم الظلمة أنفسهم، يعلمون هذا كله ، ويعلمون أن إثم وجرم ومآل العالم الذي يدافع عن الظالم ويزكيه أعظم من جرم

---

[1] **كان من أبرز مستشاري وزير الداخلية نايف بن عبد العزيز فريق من خبراء الأمن المصري يرأسهم وزير الداخلية المصري الأسبق زكي بدر الذي عرف بفجوره وبذاءته وسقوطه فضلاً عن كفره.**

وإثم ومآل الظالم نفسه ، ولا ندري حقيقة لماذا يصر بعض السذج على الفزعة إليهم والشكوى عندهم وهم يرون تزكيتهم للكفر والشرك والظلم والفسوق والعصيان ، بل وتنافسهم وتحايلهم في الحصول على مخرج وتفسير لكل جريمة للنظام مهما عظمت ، بطريقة لا يمكن أن تخطر ببال أساطين النظام نفسه ، وإذا كان الناس قد انبهروا بنصوص ومتون محفوظة فقد وصف القرآن الحفاظ من علماء بني إسرائيل الذين لا يعملون بعلمهم ﴿كالحمار يحمل أسفارا ﴾.بل إن كثيرا من علماء المستشرقين أعداء الإسلام لم يقصروا في حفظ النصوص والمتون والقيام عليها وخدمتها وتصنيفها وترتيبها رغم عداءهم للإسلام وحربهم له.

إننا نقولها مرة أخرى ، أن العلماء الرسميين شريكون في هذه الجريمة القذرة ، ونشهد أمام الله ثم أمام الناس أن الحجة قد قامت عليهم علما بالشرع وعلما بالواقع). ا هـ.

وفي **النشرة (33) بتاريخ 16جمادي 1417/2 – 28اكتوبر 1996، بعنوان: (من هم علماء الإسلام؟)** قال الفقيه:

التمييز بين علماء رسميين وغير رسميين لم يكن واضحا قبل أن تدخل الصحوة في مواجهة مع النظام والتي بدأت بشكل واضح منذ أزمة الخليج الثانية ، وتصاعدت بعد ذلك في الخطوات الإصلاحية التي تلت أحداث تلك الأزمة ، ثم بلغت ذروتها في الحملة الشرسة ضد العلماء والدعاة ، التي شنها النظام قبل سنتين ومازالت قائمة إلى الآن.

ليس المقام هنا مقام تصنيف العلماء ، ولكنه استجماع للصورة التي تكونت إثر تلك المحنة والتجربة القاسية ، ومن ثم مراجعة المواقف والنظرات تجاه العلماء الرسميين ، وخاصة أولئك الذين كانوا يصنفون إلى عهد قريب ، وكأنهم جزء من كيان الصحوة والحركة الإصلاحية.

لا يجادل أحد بأن آل سعود يعتمدون بشكل كبير على مؤسسة دينية ضخمة تؤمن لهم (الشرعية) ويجمع كل آل سعود – حتى الملحدين منهم - على ضرورة هذه المؤسسة ، لتأمين انقياد الشعب ، الذي يشكل الدين جزءا رئيسيا من تركيبته النفسية والثقافية ، وأهم مكونات هذه المؤسسة الدينية ، هي هيئة كبار العلماء، والقضاة ، وهيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ورغم ضخامة هذه المؤسسة من حيث العدد ، لكن قيمتها المعنوية مرتبطة بعدد قليل جدا من العلماء ، منحوها ثقلها في الوقت الحاضر وحولها إلى قوة فاعلة ، ولولا الارتباط برمز أو رمزين من أولئك العلماء لتهاوت كل تلك المؤسسة وتهاوى ثقلها تماما ، وسبب ذلك أن الذين يشكلون هذه المؤسسة ، سواء كانوا أعضاء في هيئة كبار العلماء أو قضاة أو هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ن هؤلاء نوعين ، الأول مغمور غير معروف وليس له تاريخ علمي أو دعوي يجعل منه صاحب ثقل ينتفع به النظام ، والثاني مشهور ومعروف لكنه مفضوح في خيانته للدين ومتفق على

أنه يأكل بدينه ويبيع الفتاوى ويتاجر بعلمه الشرعي، ويبقى سوى أولئك شخص أو شخصان من المعروفين المشهورين بسعة معرفتهم بالعلوم الشرعية ونشاطهم العلمي و التدريسي، وفي نفس الوقت صلاحهم على المستوى المالي والسلوكي ، ونجاتهم من مشكلة المتاجرة (ماليا) بالفتاوى والمرافق الدينية.

قبل أن تبدأ مواجهة الصحوة مع النظام ، وقبل أن يدخل العلماء في اختبار (تغيير المنكر) كان قد سطع نجم هؤلاء للسببين المذكورين سابقا، ولسبب آخر هو غياب المواجهة بين الإسلام والنظام مما جعل المقياس محدودا على الصلاح الشخصي والأمانة المالية ودرجة الزهد والتنسك ، أما اختبار العلماء على قدر مواجهتهم للظلم وصدعهم بالحق وإنكارهم للمنكر ، فلم يكن ذلك الميدان قد فتح بعد ، ولذا فاز نفر قليل من العلماء الرسميين بالقبول لدى الناس ، وكسبوا مصداقية كبيرة.

جاءت أزمة الخليج وكان الاختبار الأول فانكشف العلماء الرسميون لأول وهلة ولم يقل واحد منهم كلمة الحق ، بل لقد تجاوز بعضهم الفتوى بجواز الاستعانة بالكفار إلى جعلها واجبة ومن ثم آثم من لم يقم بها . وحين تحرك الدعاة والعلماء ينتقدون الأوضاع الخاطئة سعياً لتغيير المنكر بلسانهم وقياماً بواجب البلاغ والصدع بالحق الذي تخلف عنه أولئك الرسميون ، حدث تطور آخر.

حيث تشكل بأمر ملكي لجنة خماسية يرأسها الشيخ بن باز مهمة هذه اللجنة تأديب أولئك الدعاة وفصلهم عن الخطابة ومنعهم من تأدية الواجب الشرعي، وتقوم هذه اللجنة بدراسة القوائم التي تقدمها لها وزارة الداخلية والتقارير التي يعدها جهاز المباحث ، ثم تقرر من خلال ذلك أن فلاناً يجب إيقافه عن الخطابة أو التدريس ، وفلاناً يجب فصله تماماً وفلاناً يجب تنبيهه . وإذا قدمت القوائم لهذه اللجنة فقلما ينجو منها أحد فالجميع يوقف أو يفصل ، وعلى يد هذه اللجنة فصل عشرات بل وربما مئات من الخطباء والدعاة . وفي حين كانت فتوى الهيئة بإضفاء الشرعية على احتلال الكفار لجزيرة العرب دعماً شرعياً دون حدود للنظام ، فقد كان تشكيل اللجنة الخماسية المرة الأولى التي ينكشف فيها كون هذه المؤسسة جزء من النظام . لقد ظن الكثير من الدعاة والمصلحين أن هذا التطور دخيل على أعضاء هذه المؤسسة والحقيقة هي غير ذلك ، فلم يكن هناك تغير في سياسة وتفكير أولئك العلماء وكل الذي حصل أنهم أصبحوا في الواجهة مع النظام فانكشف الدور بعد أن كان لا مواجهة .

بعد ذلك أخذت مواجهة الدعوة من قبل هذه المؤسسة الدينية شكلاً سياسياً مفضوحاً حين أصدرت هيئة كبار العلماء بياناً ضد خطاب المطالب ، وتحولت إلى مدافع عن النظام ضد الدعاة والمصلحين ، وكذلك ضد الشعب كله الذي دعم هذه المطالب . ولم يكن بيان الهيئة ضد خطاب

المطالب زلة أو هفوة بل كان عملاً مؤسساً مقصوداً ، وثبت ذلك حين تكرر ذلك الموقف في بيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة ، ذلك البيان الذي احتوى من العبارات ما لا يقبلها حتى المسلم العامي ، لأنه تهجم على النيات والمقاصد واتهم معدي المذكرة بسوء النية وقصد التخريب ، ثم عادت الهيئة وكررت العملية في بيانها ضد لجنة الدفاع ، توطئة للحملة الأمنية التي شنت ضد اللجنة بعد ذلك جاءت مرحلة المواجهة الحقيقية والشاملة مع الدعوة والمصلحين وعلماء الحق ، حيث سخرت الهيئة مظلتها وخاصة الشيخ عبد العزيز بن باز لاعتقال الشيخين سلمان وسفر، في خطاب طويل ، استخدمه النظام علناً في تبرير اعتقال الشيخين وشن الحملة الضخمة على المصلحين والدعاة .

ومنذ أن اعتقل الصفوة من العلماء وازدادت حملة القمع والاعتقال وأعلنت الحرب المكشوفة على الدعوة والهيئة لا تزال في ولائها المطلق وطاعتها التامة للنظام ، وتكرر الموقف تلو الموقف في التفاني في تزكية النظام والدفاع عنه واتهام كل من يسعى لإنكار المنكر بإثارة الفتنة والبلبلة ، بل وأبعد من ذلك التبرع بمجموعة من الفتاوى في وصف أعمال أخرى بالفساد في الأرض وضرورة تطبيق حد الحرابة على فاعليها.

إن إدراك هذه القضية وتصورها على الوجه الصحيح ضروري جداً لسلامة مسيرة الصحوة ، وهناك فرق كبير بين أن يعتبر هؤلاء العلماء جزء من كيان الصحوة ودعاة الإصلاح وعلماء الدعوة، أو أن يعتبروا جزءاً من النظام بل ركناً من أركانه وأكثر أهمية له من جهاز المباحث وجهاز الإعلام.

إن مهمة العالم في الإسلام ليست مجرد صلاحه الشخصي ونزاهته المالية ، بل إن مهمته هي التوقيع عن الله، وحمل أمانة العلم، ووراثة النبوة، والعالم يقترف جريمة عظيمة لمجرد قعوده عن واجب البلاغ وكتمان العلم، قال تعالى ﴿**إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون** ﴾.

ولا يسلم العالم من هذه اللعنة – لعنة الكتمان – إلا إذا أدى ما جاء في الآية التي تتلوها } إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم {.

وكتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة ، لكنه عدم إنزالها على الوجه الصحيح ، في النوازل التي يستوجب على العالم إنزال النصوص عليها . هذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط ، فكيف إذا خان الأمانة ، وكذب على الله حين يبلغ عنه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله . فهؤلاء هم المقصودون بقول الله تعالى ﴿**واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون**﴾.

هذه هي الطريقة التي وصف القرآن بها العلماء وميز بها من يقـوم بواجـب الـبلاغ أو يكـتم البلاغ وأشد من ذلك من يكذب على الله ويخون الأمانة .

والحديث هنا ليس في مقام نصح وتذكير أولئك العلماء ولو أن نصحهم وتذكيرهم واجب مهما عظمت جريمتهم ، لكنه حديث موجه لشـباب الـدعوة ، وكـل المنتمـين لمسـيرة الإصـلاح أن يعرفـوا رجالهم .

إن تراكم الشهرة والسمعة الحسنة لبعض العلماء الذي اجتمع قبل أن يبدأ الاختبار الحقيقـي ينبغي أن لا يحرفنا عن الطريقة القرآنية في معرفة العلماء المتبعون المطاعين .

وليس المطلوب هنا تجريم فلان أو سـب فـلان أو لعـن فـلان ، لكـن المطلـوب هـو ألا يخـدع شباب الإسلام نفسه ويستمر في التعامل مع أولئك العلماء وكأنهم قيادات إصلاحية ورؤوس في إنكار المنكر .

إن توقير شخص معين لعلمه ولسنه أو لجهد بذله في يوم من الأيام ، لا يعنـي أبـداً وضـعه في موضع القيادة و الاتباع واللجوء عند النوازل ، بل الأولى الرجوع إلى القـرآن والسـنة وتعلـم طريقـة التعامل مع العلماء على ما ورد في القرآن والسنة ، ومعرفة العلماء الحقيقيين الذين تستفتيهم الأمة وتنزل عند اختياراتهم.

وما نقل عن الشيخ ابن عثيمين في جريدة المسلمون وما نقل عن الشيخ ابن بـاز في الصـحافة السعودية ، مما تناوله مقالي ((الإصلاح)) يمثلان نموذج الانكشاف لهذه المجموعة.

وهي فرصة لمن يريد التقييم على الطريقة القرآنية والنهج المحمدي، والقريبون مـن الشـيخين يلاحظون التزامهما على المستوى الشخصي من حيث العبادة والاستقامة ومن حيـث النزاهـة الماليـة والزهد ، ويلاحظون كذلك سعة علمهم الشرعي وقدراتهما في التدريس والتعليم ، لكـنهم يلاحظـون كذلك ما عنيناه في كلامنا السابق من مشكلة كبيرة في القضية الأهـم وهـي قضـية قيـامهم بواجـب البلاغ.

نحن نتمنى على الشيخين ابن باز والشيخ ابن عثيمين أن يتوبا إلى الله ويصلحا ويبينـا بمعنـى بأن يعترفا بما كان مخالفاً من كلامهما للشرع وينبها الأمة على هذا الخطأ كما جاء في هدي القـرآن . ونتمنى أن يتحول الشيخ ابن باز والشيخ ابن عثيمين إلى صادعين بالحق مواجهين للظلم ، محـاربين للطغيان ، داعمين لكل راية دعوة وإصلاح .

غير أن الأهم هو أن يدرك شباب الصحوة والمنتمـين لمسـيرة الإصـلاح حقيقـة العـالم العامـل، الداعي لعلمه، الصابر على الأذى فيه ، المجاهد في سبيله . وحقيقة العالم الذي كتم ما علمـه اللـه ، بل كذب على الله ورسوله وخان الأمانة .

لقد مضى من الزمن ما يكفي للاختبار ، ولقد أثبتت الأيام أن هيئة كبار العلماء وكل المنتسبين لها لم يقفوا ولا موقفاً واحداً مع الدعوة وضد الظلم . ولقد سجلت كل مواقفهم مع الظلم والطغيان وضد الدعوة، وأنه لمن الحمق وسوء التصرف أن يلجأ المرء لعدوه من أجل أن يحميه .

إن مشكلة أعضاء المؤسسة الدينية ليست مجرد العجز ، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول : ((أنا عاجز)) ويستقيل ويخرج منها كفافاً ، لكن أحداً منهم لم يعمل بذلك ولو عمله لصنع خيراً كثيراً ، لكن مشكلتهم هي الوقوف بثقل وجدية ونشاط مع الباطل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى والدفاع عنه بما يستطاع.

هذا الحديث ليس المراد منه أن يقال أن فلاناً صالح ، وفلاناً من أهل الجنة ، وفلان من أهل النار ، فالله أعلم بقلوب الناس ومقاصدهم ونياتهم وأعمالهم وخواتيمهم ، لكن المقصود هو الجانب العملي في القضية ومن هو العالم المتبوع.

وكأننا في هذا الاستعراض قد علمنا حقيقة العالم المتبوع ، وهل يستحق أعضاء هيئة كبار العلماء هذه الصفة أم لا). ا هـ.

وفي النشرة (155) بتاريخ 9ذي الحجة 1419هـ – 5أبريل 1999م، وهي بعنوان: (رسالة مفتوحة إلى الشيخ عبد العزيز بن باز) قال الفقيه:

اسمح لنا يا سماحة الشيخ أن نستعرض سجلكم من خلال السنين الماضية في قضية البلاغ.

لقد صدر عنكم أقوال كثيرة تزكون فيها الدولة وتصفونها بأحسن الأوصاف الشرعية رغم أنكم على اطلاع كامل وتفصيل على ما يجري في البلد وكل تفاصيل المخالفات الشرعية التي يرتكبها النظام على مستوى الدولة وعلى مستوى الأفراد المتنفذين .

بل إنكم كما يعرف القريبون منكم أعلم بكثير مما يدعون أنهم على علم بما يجري لأن معظم أهل الإصلاح يوصلون ما عندهم من أخبار ومعلومات وملاحظات ونصائح إليكم ، ولقد شهدنا شخصياً جلسات كثيرة بسط فيها الواقع لكم بشكل تفصيلي ليس فيه مواربة ، بل إننا نستطيع أن نقول أن الحجة قد أقيمت عليكم وأن الذمة قد برأت معكم من قبل عدد كبير من المشائخ وأساتذة الجامعات والمصلحين ، وإن إقامة الحجة في بيان الواقع على التفصيل لكم قد حصل مراراً وتكراراً من قبل أناس تثقون بهم وتأخذون بحديثهم . ولا أدل على ذلك من مذكرة النصيحة التي قدمت لكم وراجعتها اللجنة الخماسية وهيئة كبار العلماء وأنتم ترأسون تلك الجهتين ، ولا يجادل أحد أن تلك المذكرة حجة على من قرأها . ونحسب أنه لا يسعكم الاعتذار بحجة أنكم لا تتعرفون إلا على ما يطلعكم النظام عليه ، بل أنتم على دراية تفصيلية بالأوضاع ، ومتابعة إجبارية أجبركم عليها عدد كبير من الدعاة والمصلحين وطلبة العلم . ولذلك فلربما ترتكبون خطأً عظيماً ومنزلقاً

خطيراً حين تزكون الدولة هذه التزكية ، وأنتم تعلمون حالياً وتعلمون كذلك من خلال اطلاعكم الشرعي خطورة مثل هذا العمل ، فمثلكم ليس غريباً على مؤلفات وأقوال علماء الدعوة وخاصة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . فإذا كنتم تعلمون يقيناً أن النظام يحكم بغير ما أنزل الله رغم تكرار التنبيه والنصيحة ، فما هو موقفكم من قول محمد بن عبد الوهاب عن أولئك الذين يزكون من يحكم بغير ما أنزل الله قال رحمه الله:

((إن هؤلاء الطواغيت الذين يعتقد الناس فيهم وجوب طاعة من دون الله كلهم كفار مرتدون عن الإسلام كيف لا وهم يحلون ما حرم الله ، ويحرمون ما أحل الله ، ويسعون في الأرض فساداً بقولهم وفعلهم وتأييدهم ، ومن جادل عنهم ، أو أنكر على من كفرهم ، أو زعم أن فعلهم هذا لو كان باطلاً لا ينقلهم إلى الكفر ، فأقل أحوال هذا المجادل أنه فاسق ، لأنه لا يصح دين الإسلام إلا بالبراءة من هؤلاء وتكفيرهم ((الرسائل الشخصية 188)).

فإذا كان مجرد عدم التكفير جريمة كبرى عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، فكيف بمن يصفهم بأحسن أوصاف الإسلام ويزكي دولتهم ونظامهم ، ويحمل على من أنكر عليهم.

وأنتم يا سماحة الشيخ تعلمون يقيناً أن النظام قد فرض الربا فرضاً على الناس وأقام له الصروح العاتية ودعمه بخزينة الدولة وجعل اقتصاد الدولة قائماً عليه. وتعلمون يقيناً أن النظام يوالي الكفار ويدعمهم وينصرهم ويستنصر بهم ويمكن لهم وينفذ مخططاتهم ويتآمر معهم ضد المسلمين ، وتعلمون يقيناً أن النظام يشجع الفساد الخلقي ويساهم في انتشاره من خلال الإعلام والتعليم ومن خلال دعم خلايا الفساد المحمية من قبل الأمراء ومن خلال تحجيم الدعوة وتعطيلها . وتعلمون يقيناً ما يرتكبه النظام من جرائم ضد الدعاة وما يشنه من حرب عليهم سجناً وتشريداً وحصاراً وإرهاباً ، بل إنكم من أعلم الناس بذلك لأنكم غالباً ما تكونون أول من يخبر عن حادث اعتقال أو مداهمة أو إيقاف أو مثله . وتعلمون يقيناً أشكال الظلم الواقعة على الأفراد والجماعات والقبائل من قبل النظام كنظام ومن قبل المتنفذين فيه كأفراد ، لأن كثيراً من المظلومين غالباً ما يلوذون بكم ويكتبون لكم مستنجدين .

إن مشكلتكم يا سماحة الشيخ ليست مجرد تزكية النظام بل لقد اضطررتم للتناقض أكثر من مرة بسبب مداراة النظام ومن أمثلة هذا التناقض الصريح فتوى تحريم الاستعانة بغير المسلمين التي وجهت لجمال عبد الناصر، والتي قلتم فيها أن الاستعانة لا تجوز حتى عند الضرورة ، ومرت السنين وانقلبت الصورة فلم تكتفوا بتجويز الاستعانة للضرورة بل اعتبرتموها واجبة وأثم من لم يعملها .

وتكرر منكم تغيير الفتوى متابعة للحاكم في قضيتي أفغانستان واليمن ، هذا فضلاً عـن قائمـة الفتاوى الصادرة منكم تبعاً لرغبة النظام وأولها فتوى استدعاء القوات ثم بيان هيئـة كبـار العلـماء ضد خطاب المطالب وبيان الهيئة ضد مذكرة النصيحة وبيان الهيئة ضد لجنة الدفاع ، وبيان الهيئـة في الأمر بتوقيف الشيخين سلمان وسفر من أجل " حماية المجتمع من أخطائهما " والفتاوى الأخـيرة التي جعلت الأمريكان من المعاهدين معصومي الدم واعتبار قـتلهم مـن أعظـم الفسـاد في الأرض . ترى هل قرأتم كلام شـيخ الإسـلام بـن تيميـة فـيمن يفتـي بخـلاف الكتـاب والسـنة موافقـة لهـوى السلطان ، قال في الفتاوى " ومتى ترك العالم ما علمـه مـن كتـاب اللـه وسـنة رسـوله واتبـع حكـم الحاكم المخالف لحكم الله ورسوله كان مرتدا كافرا يسـتحق العقوبـة في الـدنيا والآخـرة) الفتـاوى ج35 ص372-373 .

إن كتمان العلم ليس هو كتمان الكتاب والسنة فلا أحد يستطيع كتمان الكتاب والسنة ، لكنه عدم إنزالها على الوجه الصحيح ، في النوازل التي يستوجب على العالم إنزال النصـوص عليهـا . هـذه الجريمة العظيمة إذا اكتفي بالكتمان فقط ، فكيف إذا خان الأمانة ، وكذب على الله حين يبلغ عنـه غير ما أراد سبحانه في كتابه وسنة رسوله . فهؤلاء هم المقصود ون بقول الله تعالى﴿ **واتـل علـيهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ، ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهـث أو تتركـه يلهـث ذلـك مثـل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون** ﴾.

إن مشكلتكم يا سماحة الشيخ ليست مجرد العجز ، فالعاجز بإمكانه أن يعترف بعجزه ويقول : ((أنا عاجز)) ويستقيل ويخرج منها كفافاً، لكن مشكلتكم هي الوقوف بثقل وجدية ونشاط مـع الباطل وتأييده بالكلمة والموقف والفتوى .

لقد آن الأوان ما دام في العمر بقية أن تسعوا لحسـن الخاتمـة وطيـب الـذكر بعـد أن تقومـوا بواجب الإصلاح والتبـيـين، ألا قد بلغنا اللهم فاشهد). ا هـ.

وأعتقد أن في هاتين الشهادتين ما يكفي للتعريف بالمؤسسة الدينية الرسـمية للسـعودية عـلى لسان بعض أهلها من المخلصين والشرفاء واللـه حسـيبهم. وقـد تفـاقم الأمـر الآن وكـثرت الأقـلام و الألسنة المتذمرة في أوساط الصحوة الإسلامية في لسـعودية ولمـن أراد مزيـدا مـن هـذا أن يتجـه إلى مواقع الإنترنت التي وجد فيها كثير من هؤلاء العلماء متنفسا للصدع بالحق والتعبير عن آرائهم.

موقف علماء السلطان في العالم الإسلامي من الإحتلال الأمريكي للعراق:

عندما غزت أمريكا العراق في مارس 2003. فشلت عبر سنة من العمل الدبلوماسي قبلها في المؤسسات الدولية والأمم المتحدة في الحصول على شرعية واضحة لغزوها بالعراق. وقد أدى التهاب الشارع العالمي عامة والعربي خاصة بمشاعر الرفض و الاستياء إلى خوف وذعر في أوساط الحكام العرب من تبعات احتلال العراق. وقد بدا ذلك جليا في وسائل الإعلام.

كما أدى تصريح الإدارة الأمريكية بنيتها استهداف الخارطة السياسية والجغرافية للشرق الأوسط إلى إرباك الحكام العرب بسبب الخوف على عروشهم. وعدم القدرة على مواجهة أمريكا، بعد أن كبلوا أنفسهم بما يمنعهم من ذلك. وقد أعطت الحكومات الضوء الأخضر لوسائل إعلامها ومنها منابر المساجد بإعلان مواقف الرفض للحرب في العراق. وقد كان هذا حال عموم العالم العربي والإسلامي باستثناء دولة الكويت التي أعلنت التأييد رسميا وعمليا لأمريكا وحربها على العراق. ومع ذلك فقد أرغمت أمريكا سبع دول عربية على فتح أراضيها ومياهها وأجوائها للعدوان وعلى تقديم الخدمات اللوجستية وهكذا قدمت كل من الكويت وقطر والبحرين وعمان والسعودية ومصر والأردن خدماتها وكذلك باكستان وقدمت تركيا دعما جزئيا نتيجة الرفض والاستحياء والإجبار.

ويبدو أن تذمر الحكام العرب من الرعونة الأمريكية التي ضربت بعرض الحائط بكرامتهم و مصالحهم ولم تراعي قدرتهم على العمالة النسبية ويحتمله الشارع العربي من ذلك. وقد انعكس هذا نوعا من غض البصر عن شيء من حركات التنفيس الشعبية كالمظاهرات والمؤتمرات التي انتهى غالبها بقتل الشرطة و قوات مكافحة الشغب لبعض المتظاهرين وتكسير عظام بعضهم. كما جعلت هذه الأجواء المؤسسة الدينية الرسمية والمساجد شبه الحكومية تعيش حالة من صحوة الضمير التي اختلط فيها الصدق والعاطفة لدى بعض العلماء مع رغبة الحكام بممارسة شيء من الضغط على أمريكا. ففوجئنا بشيخ الأزهر(سيد طنطاوي) الذي شغل جل وقته بمكافحة الإرهاب يفتي مع بداية الحرب بالجهاد في العراق ويبيح العمليات الاستشهادية ضد القوات الغازية ويمهد الأجواء للتظاهر في الجامع الأزهر. وتبعه بمفاجأتنا (مفتي الدولة النصيرية) في سوريا (أحمد كفتارو) يدعو شباب المسلمين للعمليات الاستشهادية وهكذا أخذ كثير من العلماء وقيادات الصحوة الرسمية وشبه الرسمية راحتهم على الفضائيات و بدأوا يدعون للجهاد.

بل إن دفعات الشباب المجاهد تحركت إلى العراق تحت سمع وبصر بعض الأنظمة العربية وعبرت إلى العراق من سوريا.

وسرعان ما سارت الحرب بالشكل المعروف لتعود الأمور إلى نصابها ومجراها من مكافحة العلماء للإرهاب في وسائل الإعلام إلى جانب حكوماتها وسيدتهم أمريكا.

ولكن العجيب الملفت للنظر أن صحوة الضمير المؤقتة هذه لم تصب المؤسسة الدينية السعودية بل على العكس.. كانت جهود العلماء السعوديين منصبة على الحديث عن عدم مشروعية الجهاد في العراق ضد أمريكا أثناء معارك الغزو وبعدها. وعدم صحة رايته والعزف على أوتار التهور الذي أوصل الناس إلى غوانتانامو. بل وصل العزف إلى العلماء المستقلين من رواد الصحوة العظام . وعلى سبيل المثال ما فاجأنا به الشيخ سلمان العودة (بفقه المشروع الخاص) في مقابلة له مع إحدى الفضائيات العربية أثناء الحرب : **فعندما سئل عن مشروعية الذهاب للجهاد في العراق وهل هو فريضة لأن العدو حل في العقر**..تهرب من الإجابة وراح يحدثنا عن أمر عجيب مفاده: أنه لو نزل العدو لا يجب على كل الأمة أن تذهب للدفاع بل لابد لكل أحد أن ينشغل بمشروعه الخاص الذي قد يكون دعوة إلى الله . أو مشروع تخرج جامعي . أو مجلة يصدرها . أو عملا يعمله . أو ربما مشروع زواج . أو حتى قراءة كتاب .. ووصل الأمر به أن يقول حتى ولو كان المشروع الخاص ؛ جلسة تأمل!!.

ولا أدري تأمل في ماذا؟! أهو تأمل في الأعراض تنتهك أم في النفوس تزهق ؟! أم في الكفر يرتع حتى من حوله حيث يجلس ويصلي ويتأمل؟!.

هذا من أحد العلماء المستقلين، ناهيك عن سيل الفتاوى من أئمة الحرمين الرسميين وفقهاء مكافحة الإرهاب على شاشات الفضائيات من علماء السلطان في السعودية.

وهكذا كان. والشواهد كما قلت تمتد لتشكيل كتابا أسودا مستقلا كبيرا،عن دور المؤسسة الدينية الرسمية في بلاد العرب والمسلمين. في دعم الحملات الصليبية الثالثة ومحاربة من قاومها. ولله الأمر من قبل ومن بعد!

واليوم تقف المؤسسة الرسمية السعودية في طليعة المؤسسات التي تقف بالمرصاد للجهاد والمجاهدين ولاسيما في السعودية و تطور الأمر لافتتاح المراكز الإعلامية لجمع جهود المفكرين والعلماء في مكافحة الإرهاب ظنا من الحكومة السعودية وعملائها العلماء أن ذلك سيغير من المكر الذي خططته أمريكا للنظام السعودي وحكمت عليه بالتغيير وعلى خارطة الجزيرة بالتقسيم وصدق رسول الله صلي الله عليه وسلم :

(من أعان ظالما على ظلمه سلطه الله عليه)!

وختاما أقول :

إن فهم معادلات القوى في صراع الإسلام والمسلمين مع الحملات الصليبية يشكل مادة أساسية في العقيدة الجهادية. وأساسا لازما للبحث عن سبل صحيحة للمقاومة يمكن أن تحمل بها النخبة الجهادية الأمة على الوقوف معها في مواجهة هذه الحملات الغازية وأداء هذه الفريضة وصولا إلى النصر بإذن الله.

وبعد استعراض الحملات الصليبية ولاسيما الثانية والثالثة ننتقل للفصل التالي وهو استعراض تاريخ الصحوة الإسلامية ومدارسها.

هذه الصحوة التي وقع على عاتقها مواجهة الإستعمار منذ انحلت المرجعية الدينية الكلاسيكية للمسلمين وفقدت دورها في مواجهته بعد أن واجهتنا بحكام من أبناء جلدتنا وعلماء وإسلاميين في طليعة جيوشهم وأجهزة أمنهم . فإلى الفصل الخامس بإذن الله.

الفصل الخامس
مختصر مسار الصحوة الإسلامية المعاصرة
(1930-2003)م

قال الله تعالى:

﴿ فَلَوْلا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ ﴾ (هود:116)

روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال: حب الدنيا وكراهية الموت**).

و قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء**)..

الفصل الخامس:

﴿ مختصر مسار الصحوة الإسلامية المعاصرة ﴾

(1930-2003)م

سقطت الخلافة العثمانية عام 1924 رسميا بعد أن بـدأت مرحلـة الـذبول منـذ مطلـع القـرن التاسع عشر وماتت فعليا مع مطلع القرن العشرين. وكانت الدول الصليبية قد قصمتها من أطرافها ثم تقاسمت إرثها لما أعلن هذا السقوط.

كانت بوادر صحوة إسلامية قد بدأت تولد منذ أواسط القرن الثامن عشر. وقـد حـاول بعـض روادها ترميم الدولة العثمانية وإصلاحها والتعاون مع صلحائها والتوجهات الحثيثـة للسـلطان عبـد الحميد في الإصلاح ولكن لم يكن للعطار أن يصلح ما أفسد الدهر. فسقطت الدولة وبـدأت مرحلـة الإستعمار وغابت الخلافة منذ ذلك الحين أي قبل 79 سنة. فحصل ردة فعل في العالم الإسلامي عـلى هذا الزلزال. تمخضت عن ميلاد صحوة إسلامية مختلفة المشارب والأهداف تسـعى كلهـا في النهايـة إلى إعادة الخلافة واستعادة الحكم الإسلامي والنهضة الإسلامية.

وكان أبرز مدارس الصحوة وبؤرها الناشئة ما يلي:

- **مدرسة الإخوان المسلمين :**

وقد أسسها الشيخ حسن البنا رحمه الله عام 1928. ووضعت إعـادة الخلافـة شـعارا وهـدفا لها. وقد جعل حسن البنا برنامج حركته وأسلوبها مختصرا فيما صاغه بقوله وشعاره:

(**الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد في سـبيلنا. المـوت في سـبيل اللـه أسـمى أمانينا.**) وقد انتشرت جماعة الإخوان المسلمين في مصر حتى دخلت معظم مدنها وقراها وأصبحت أكثر الجماعات التي عاصرتها في مصر وما حولها. وخلال مدة وجيزة انتشرت في بلاد الشام . وانضوى فيها عدد من الجمعيات الإسلامية والحركات واستقطبت كثير من الكوادر والشخصيات ونمت حتـى صار قواعدها بعشرات الآلاف. ومن ثم تمددت لتنتشر في مختلف بلاد العالم العربي والإسلامي حيث قامت جماعات إما بنفس الاسم وإما بأسماء محلية ولكنها تنطلق مـن نفـس القواعـد وتقـوم عـلى نفس الأسس. ويمكن تلخيص منهج دعوة الإخوان المسلمين لما قامت على أنها حركة مزيج من بعض الأفكار السلفية وبعض الأصول الصوفية والنزعة الجهادية والبنية الحركيـة التنظيميـة مـع توجهـات سياسية واضحة بالإضافة لوجود ملامـح للـروح القوميـة والعاطفـة الوطنيـة. وقـد مـارس الإخـوان

بحسب ظروف كل بلد النشاط السياسي وخاضوا الإنتخابات . وكان لهم مساهمات جهادية في فلسطين ، وضد الإنجليز في مصر. وصار لهم مع الوقت مشايخهم ومؤلفاتهم ومكتبتهم الواسعة. كما اعتمدوا منهجا متميزا تطور مع الوقت وتبدلت ملامحه ومارسوا التربية والدعوة بموجبه.

وتعتبر حركة الإخوان المسلمين بحق كما يدعونها (الجماعة الأم) لمعظم الحركات الأصولية السياسية ، وحتى كثير من الجهادية في العالم العربي والإسلامي . وقد ولدت حركة الإخوان المسلمين حركات بأسماء أخرى كما أن تجمعات شبابية حملة فكرها وأعطت لأنفسها أسماء محلية ولكنها كانت كلها جماعات خرجت من نفس العباءة.

فكان من تلك الجماعات التي نشأت مستقلة في بلادها على هذه الطريقة. - الجبهة القومية السودانية – حركة الإتجاه الإسلامي في تونس والتي تحول اسمها إلى حركة النهضة – حركة حماس في الجزائر التي أسسها محفوظ النحناح والتي تحولت إلى حركة مجتمع السلم – حركة النهضة الجزائرية – حركة الإصلاح والتجديد في المغرب – حركة الطلائع الإسلامية التي أسسها الشيخ عصام العطار في ألمانيا وانتشرت بين المهاجرين والطلاب في أوربا....إلخ.

- **حركات قريبة فكريا من منهج الإخوان** : في بعض بلدان العالم الإسلامي مثل حزب السلامة في تركيا الذي تحول اسمه إلى حزب الرفاه ثم حزب الفضيلة. ومثل الجماعة الإسلامية في باكستان. ومثل ذلك بعض الجماعات في جنوب شرق آسيا الإسلامي.

- **حزب التحرير الإسلامي:**

أسسه الشيخ الفلسطيني (محمد النبهان) .وقد نشأ في الأردن وفلسطين وانتشر حزب التحرير في الأربعينات رفع أيضا ولكنه تميز بأنه كان أكثر ميلا للتربية والتوجيه السياسي وطرح نظرية إقامة الدولة الإسلامية بعد توفر النصرة والشوكة للدعوة التي تهاجر إلى مكان حصول ذلك وجعل الجهاد متوقفا على حصول ذلك ومال إلى العمل السري وتبنى مبدأ العمل الانقلابي في بعض البلدان.

- **المدارس الإصلاحية التربوية:**

التي تبنت نشر الوعي الديني والتأسيس العلمي لإعادة بناء البنية التحتية في المجتمعات المسلحة كحركة جمعية العلماء المسلمين في الجزائر وقد فرجت هذه المدارس أرضا لرؤية السياسية بمفهوم المقاومة الحضارية والمدنية الاستعمار وصولا إلى تأهيل الناس الجهاد.

- **جماعات التبليغ والدعوة:**

وما شابهها في الطريقة والمنهج. وقد ولدت هذه الحركات في شبه القارة الهندية وكانت فكرتها تقوم على إصلاح الفرد المسلم على مستوى العبادات والسلوك وتأسيس قاعدة من الأساسيات الشرعية والتفرغ لذلك بعيدا عن معتركات السياسة ومصادماتها حتى تتمكن الحركة من الانتشار دون أن

تعرقل السلطات ذلك وقد امتدت الحركة وصار لها ملايين الأتباع والمريدين وتقوم فكرتها على أن يبذل المنتسب لها جزءا من وقته على المستوى اليومي والأسبوعي والشهر والسنوي للخروج في سبيل الله في رحلات دعوية من مسجد إلى مسجد حيث يلتقون الناس ويدعونهم إلى الصلاح والدين والالتزام...

- **الحركات السلفية ومدارس أهل الحديث:**

وهي حركات وجدت أن كثيرا من البدع قد لحقت معتقدات المسلمين وأميتت في مقابلها الكثير من السنن وأن كمية الشركيات والضلالات قد ألغت أصل الاعتقاد والصحيح لدى أكثر المسلمين حتى كادت تخرج عن أصوله وأن طريق الفلاح هو في الدعوة أساسا إلى تجريد التوحيد وتصحيحه كأساس لإصلاح الفرد والمجتمع يصل تلقائيا إلى تأهل المجتمع لقيام الحكم الإسلامي. وقد كانت معظم الحركات السلفية في العالم العربي والإسلامي أشبه بطريقة علمية تربوية وقد لعب تبني الدولة السعودية الثالثة التي تولاها عبد العزيز وحلفاؤه من بعده للدعوة الوهابية للمتاجرة بها في الجزيرة في القصة التي جاء لفتة عنها في الفصول السابقة إلى أن الحلف الذي قام بين المؤسسة الدينية الحكومية والأهلية والحكومة ساهم في قيام حركة نشطة من التدريس في الجامعات وقيام الجمعيات والمؤسسات الرسمية والأهلية بنشر الدعوة وأفكار مؤسسها وأحفاده وعلماء الدعوة من بعدها وإحياء تراث الشيخ ابن تيمية وسواه من أئمة الدعوة السلفية كابن القيم والشاطبي وسواهم وأوى نشر تلك المؤلفات وما يبنى عليها إلى زيادة انتشار الدعوة السلفية ومدارس أهل الحديث في العالم العربي و الإسلامي. وإن الله لينصر هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم.

ولقد ولدت حركات فيما بعد من خلال اندماج أفكار بعض الحركات ببعضها . فولدت الحركة المسماة (السرورية) نسبة إلى أحد دعاتها وهي نوع من فكر الإخوان الحركي والتوجه السلفي. كما ولد التيار المسمى (السلفية الجهادية) وهي فرع من الفكر القطبي والدعوة السلفية مدارس معاصرة وليدة مدارس قديمة، كذلك بعض الجماعات الصوفية الحركية التي مزجت بين التربية والتصوف والتوجهات السياسية كما في شمال أفريقيا وغير ذلك .

وخلال هذه الفترة (1930-2000) التي نغطيها بالتحليل الموجز . نشأت كذلك بعض الحركات الصوفية الجهادية كتلك التي نشأت في شبه القارة الهندية ووسط روسيا وكذلك شمال أفريقيا في هذه الفقرة.

وهكذا قام كثير من الدعاة والعلماء والخطباء والكتاب والمفكرون الإسلاميون بالتأثير في مسارات الصحوة بحسب نشاطاتهم وعطائهم. و انتشرت ظواهر التدين والعودة للالتزام من

انتشار الحجاب واللحى ومظاهر الالتزام وازدهار حركة الطباعة والنشر والتجارة في الكتب الإسلامية المختلفة وطباعة المجلات والجرائد الإسلامية ونشطت كثير من المساجد بالدعوة وحلقات العلم والذكر والإصلاح والمؤسسات والجمعيات الأهلية في مختلف صنوف البر والتقوى ودخل مختلف أنواع الإسلاميين جماعات وأفراد معترك الحياة السياسية والفكرية والأدبية كما قامت العديد من الصدامات العنيفة ببين الإسلاميين وبعض الحكومات ..وباختصار فرضت ظاهرة الصحوة الإسلامية نفسها على المجتمعات الإسلامية وصارت معلما بارزا من تاريخهم المعاصر.

- **الأطوار الرئيسة التي مرت بها الصحوة الإسلامية:**

يمكن أن نميز مسار الصحوة الإسلامية منذ انطلاقها وإلى اليوم أربعة أطوار رئيسية من حيث بنيتها الحركية والمنهجية وأدائها وسماتها العامة في كل مرحلة:

أولاً:المرحلة الأولى (1930-1965) (مرحلة النشأة):

ويمكن أن تسميها مرحلة (**ما قبل التبلور**) وأهم ما يميز هذه المرحلة أن السمات العامة للصحوة كانت مختلطة من حيث التكوين المنهجي ولاسيما في تيارها العام مثل حركة الإخوان المسلمين. وما شابهها فقد اختلطت فيها المؤثرات الصوفية الآتية من البنية الكلاسيكية للمرجعية الدينية للأمة خلال المرحلة العثمانية ، مع المؤثرات السلفية التي هبت مع رياح التجديد والإصلاح التي كان أبرزها ميلاد وانتشار الدعوة الوهابية في الجزيرة العربية. منذ القرن الثامن عشر وما واكبها من دعاة لهذه المدرسة في مناطق أخرى. ممتزجة بشيء من المشاعر القومية التي ظهرت أواخر الدولة العثمانية كرد فعل على سياسة (التتريك) التي طبعت آخرها ، مما حفز الشعوب الاخرى لاسيما العرب وغيرهم على العصبية القومية والالتفاف حولها كما اتسمت مدارس الصحوة ومناحيها بالتهاب الشعور الوطني لأن المرحلة كانت مرحلة مواجهة استعمار. كما طبعها أسلوب التربوية والإصلاح السلوكي ...

وكانت فترة غنية نسبة بالمؤلفات التأسيسية لتلك المدارس . كما مارس أكثر رموز وجماعات الصحوة الجهاد بشكل أو بآخر ضد المستعمرين عبر الجهاد المسلح ، أو عبر المقاومة المدنية والعمل السياسي .

ثانياً:المرحلة الثانية (1965-1990) وهي مرحلة (التبلور و التمايز) المنهجي والهيكلي لحركات الصحوة :

وذلك خلال مرحلة الإستقلال تحت حكم الحكومات الوطنية التي طبعتها العلمانية والتبعية للاستعمار، بعد ذهابه كما مر معنا في الفصول السابقة . حيث هبت رياح التغريب وانطلاق سعار الغزو الفكري الذي نشر المذاهب العلمانية والتيارات القومية والوطنية والمدارس السياسية

والفكرية ذات المنشأ الغربي كالديمقراطية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغيرها... ونظرا لقيام حكومات على مفاهيم تناقض الدين واصطدامها بشكل طبيعي مع مختلف مدارس الصحوة التي لعبت الدور الأساسي في مواجهة الاستعمار. وتمكن تلك التيارات العلمانية من قطف ثمرة جهود حركات تلك الصحوة والشعوب التي جاهدت الاستعمار تحت شعار الإسلام. طرحت على الصحوة إشكالات منهجية نتيجة الوضع الجديد ومسائل فقهية يجب أن تحدد منها موقفا سياسيا شرعيا وعمليا. فالحكام مسلمون ظاهرا، ويحكمون بغير ما أنزل الله واقعا . وهم وأعوانهم يقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس . ويوالون الكفار ويعاونونهم على المسلمين!. وهناك أجزاء ما تزال محتلة ولاسيما فلسطين ومشكلتها المزمنة وموقف الحكومات الخياني منها... ومسألة الصدام مع السلطات أم مهادنتها، مفارقتها أم موادعتها.. أم مفاصلتها ومواجهتها؟ أم الدخول فيها من بوابة الممارسات (المشروعة) ! و(القانونية) و(الدستورية) !.. هذه الأحوال فرضت على الصحوة أن تتمايز صفوفها وتتبلور بناء على موقفها من هذه المسائل وطريقة تعاملها مع السلطات المرتدة الحاكمة الغاشمة . ومن المسائل الفكرية والعقدية المطروحة... وانقسمت بذلك الصحوة إلى أربع مدارس رئيسية، حيث استمرت الصحوة بالنمو والعطاء ولكن من خلال التمايز في بنيتها ومناهجها، هذه المدارس هي:

<u>صحوة غير سياسية:</u>

وهي المدارس والتيارات والجماعات التي رأت السلامة لمسار الدعوة ولأصحابها في اعتزال السياسية والعمل من خلال الدعوة والإصلاح كل بحسبه

ورغم اختلاف منظورات كل مدرسة من هذه عن غيرها وربما تناقضها كليا إلا أنها التقت إزاء المشاكل المطروحة على الأمة على نقطة اعتزال السياسة والبعد عن معتركها ومن هذه المدارس الغيرسياسية أكثر الحركات الصوفية ومساجدها وزعاماتها والذين عادوا لتبني مبدأ التربية السلوكية والعبادة وإصلاح علاقة الفرد بربه حتى بلغ بأحد أقطابها الكبار في بلاد الشام شيخ الطريقة القادرية في وقته في سوريا وما حولها أن يلقن أتباعه عند الانتساب للطريقة أن يصلوا ركعتين ابتدعهما لهم ينوي فيها المصلي قائلا (أصلي لله تعالى ركعتين سنة ترك السياسة.. الله أكبر ويستفتح الصلاة)...

ومن هذه المدارس اللاسياسية(جماعة التبليغ والدعوة) بفروعها ومساجدها ودعاتها وأتباعها الجوالين في سبيل الدعوة ... حيث يتولى الموجهون و المسؤولون ضبط مسألة عدم تسرب السياسة ومسائلها إلى مساجدهم ومؤتمراتهم !!

واشترك في اعتزال السياسة المدارس التي اصطلح عليها بـ (السلفية العلمية) الذين تفرغوا لإصلاح العقائد والجهد في نشر العلم الشرعي ، ولاسيما في الحديث وعلومه والعقائد وفروعها

وباقي أبواب العلوم الشرعية بناء على ذلك . ونشأت منها مدرسة الشيخ الألباني تحت شعار(التصفية والتربية)..

ومن المدارس التي آلت للفكر والبحث والتربية ما سمي بـ (القطبية) وهي (القطبية العلمية السلفية) أيضا والتي أخذت بالمنهج الفكري للأستاذ محمد قطب وكثير من الجوانب الفكرية لأخيه الشهيد سيد قطب رحمه الله ، طارحة منهجه السياسي الحركي جانبا. ومن هذه المدارس من اتسم بالصوفية التربوية الشبه حركية ، مثل جماعة العدل والإحسان في المغرب. ومن على شاكلتها.... والفت النظر هنا إلى ما ذكرته في المقدمة بأني لست هنا بصدد تقديم دراسة نقدية من النواحي المنهجية والبنيوية وذكر الايجابيات والسلبيات ، وإنما بصدد التصنيف العام.

وكما قلت فقد التقت هذه المدارس على ما فيها من خلافات و تناقضات على فكرة **خلاصتها** :

<u>أن تغيير الأوضاع والنهضة بالأمة يرجع إلى إصلاح الفرد. فإذا صلح الفرد صلح المجتمع وصلح حاكموه فكما تكونوا يولى عليكم . وأما مشاكل الأمة المحلية والخارجية فليس لهم بها علاقة ، وليس لها من دون الله كاشفة</u>..!

وأما الفوارق بين مختلف هذه المدارس في طريقة إصلاح الفرد ..فهذا يرى ذلك سلوكيا والآخر يراه عقديا أو تربويا أو فكريا ... وهكذا ولم تستطع هذه التوجهات أن تقدم تصورا منطقيا لآلية تولد حلا للمشاكل القائمة عبر هذه التربية ولا مدتها ولا مراحلها و قصارى ما عبر عنه الأستاذ الجليل محمد قطب في أحد كتبه في مطلع التسعينيات والذي كان بعنوان (حول تطبيق الشريعة) يقول بعدما عرض طريقة التربية للقاعدة الصلبة قال مما أذكر نصه (وعندما تمتد القاعدة الصلبة وتصبح بندقة تستعصي على الكسر .. ذات يوم ... يأتيها فرج الله وتقوم دولتها وعندها يدخل الناس في دين الله أفواجا ...!!) .

وأما الشيخ الألباني [وما زلت بصدد التعريف والمثال وليس التقييم والتعليق] فقد كانت آخر فتاويه وهو يندد بالجهاد والمجاهدين في مواجهة الحكومات بفتواة الشهيرة :

(الخروج على الحكام في هذا الزمان هو في حقيقته خروج على الإسلام) !!!!!

كما تدور طروحات الصوفية والإصلاحية أيضا في أفاق المغيبات عن التغيير وآليته. ويبدوا لي أن بطش الحكومات وطريقة تعاملهم مع الصحوة في كافة البلدان أواخر الخمسينيات ومطلع عقد الستينيات ساهم إلى حد كبير في صياغة مدارس الصحوة اللاسياسية رغم أنه لا يمكن نفي الإخلاص ولا الحرص على سلامة الدعوة وأبنائها من وراء هذا المنهج في كثير من الأحيان من كونها السبب وراء هذا المنهج ..والله تعالى أعلم .

1. **صحوة سياسية:**

وقد كانت هذه المدارس من الصحوة في منطلقها على النقيض تماما من سابقتها. فقد وصّف هؤلاء الحال توصيفا أقرب للصحة. فقالوا أن مشاكل الأمة ذات الأسباب الداخلية أو الخارجية هي مشاكل سياسية ولا بد أن يبحث لها عن حل من خلال ممارسة السياسة كما أن من الحيف والغلط العقدي حتى ، شطب السياسة من الدين تحت أي دعوى. وأن الحل ليس في اعتزال السياسة من أجل تفادي الصدام مع السلطات وتلافي بطشها وإنما يكون ذلك من خلال اقتحام ميدان السياسة من خلال القنوات المشروعة والقانونية التي تتيحها السلطات كلا بحسبها وذلك عن طريق تشكيل الأحزاب الإسلامية والجمعيات السياسية وشبه السياسية والنشاط الفكري والأدبي والسياسي ودخول معترك الإنتخابات والديمقراطية إن وجد أو التسلل إلى أجهزة السلطات والمعارضات بحسب الإمكان وحسب أوضاع كل بلد. وقد حمل رايات هذه الصحوة السياسية أحزاب الإخوان المسلمين ومن شابههم وما انبثق عنهم من حركات مشابهة سواء تحت نفس المسمى أو تحت المسميات المحلية. وشهدت هذه المرحلة (1965-1990) وربما قبل ذلك بقليل في البلدان سريعة الاستقلال كما كان حال مصر وسوريا و الباكستان وتركيا . فقامت تجارب كثيرة في مجال الديمقراطيات (الإسلامية)! ثم تتابعت التجارب إلى مطلع التسعينيات ومازالت ولكنها دخلت بعد قيام النظام العالمي الجديد في طور جديد سنتحدث عنه لاحقا إنشاء الله ومن تلك التجارب السياسية هذه:

- تجربة الإخوان المسلمين والإسلاميين في الإنتخابات البرلمانية في سوريا بعيد الإستقلال 1946 إلى مطلع الخمسينيات إلى بدء عهد الانقلابات العسكرية منتصف الخمسينيات ومطلع الستينيات.

- تجربة الإنتخابات والحياة البرلمانية أواخر أيام الملكية في مصر قبيل إنقلاب عبد الناصر 1952.

ثم شهدت الحياة السياسية في معظم العالم العربي والإسلامي مرحلة الديكتاتوريات العسكرية والحزبية خلال الستينيات والسبعينيات. حيث كانت هذه المرحلة مرحلة تصادم بين الصحوة والسلطات.قضى معظم الدعاة و حتى السياسيون منهم قسطا من حياتهم في السجون ليخرجوا بأفكار ديمقراطية أكثر تطورا....

فشهد عهد أنور السادات في مصر انفتاحا بعد أن خلف عبد الناصر مطلع السبعينيات وفتح أبواب السجون للإسلاميين لمواجهة المد اليساري المتنامي فدخل الإخوان وبعض شخصيات الصحوة الاخرى الحياة السياسية الحزبية في مصر...

- ثم رخص الملك حسين في الأردن للإخوان وعدد من الجماعات الإسلامية مجال العمل وتطور هذا أواخر الثمانينيات ليكون مشاركة في الحياة النيابية . بل ودخل بعضهم الحكومة والوزارات.

- وفي ملكيات الخليج والجزيرة العربية والمغرب حيث شكل الإسلاميون وبعض مدارس الصحوة جزءا من حاشية السلطة الملكية ولاسيما في السعودية.
- ثم ابتدأت الكويت تجربتها البرلمانية كأول دولة في الخليج يدخل الإسلاميون فيها الحياة السياسية كأحزاب ...
- ثم خاض الإتجاه الإسلامي في تونس أيضا تجربة مأساوية بزعامة الغنوشي...
- وتحالفت الجبهة الإسلامية القومية السودانية بزعامة الترابي مع جعفر النميري وصارت شطر السلطة ثم قادت انقلابا وحكمت السودان ثم عادت للمعارضة.
- وكذلك كان للإخوان المسلمين ونظرائهم من تيار الصحوة تجربتهم البرلمانية الحزبية في اليمن.
- ولكن أبرز التجارب الديمقراطية العربية ، كان ما حصل في الجزائر بعد الانفتاح الذي أحدثه الرئيس الشاذلي وصعود نجم الجبهة الإسلامية للإنقاذ وتجربتها التي تشكل درسا بالغ الدلالة.
- أما على الصعيد الإسلامي فأبرز التجارب وأقربها للعالم العربي ، كانت تجربة الجماعة الإسلامية في باكستان ، وقد دخلت التجربة الديمقراطية الحزبية منذ وقت مبكر وما زالت إلى اليوم.
- وكذلك تجربة حزب السلامة في تركيا منذ الستينيات والتي أوصلت زعيمها أربكان مرتين إلى سدة الحكم الأولى كنائب لرئيس الوزراء أواسط الستينات ، والثانية وهي الأهم سنة 1996 حيث أحرزت الأغلبية البرلمانية وتولى أربكان رآسة الوزراء سنة1995 وفي الحالتين أطاح العسكريون بالتجربة...

وبالإجمال بقيت معظم مساهمات الإسلاميين في الحياة السياسية في المعارضة وشكلت جزءا يسيرا من قوتها في البرلمانات التشريعية ، ووصلت في حالات نادرة إلى السلطة التنفيذية كما في (الأردن- الجزائر- تركيا-) ولكن تم في كل الحالات تقليم أظافرها وإبعادها عن مركز النفوذ والقرار.

- ومع بداية التسعينيات لحق كثير من المدارس الغير سياسية من الصوفية والسلفية والتبليغ والدعوة وغيرهم من سبقهم من الإخوان ونظرائهم في الممارسة البرلمانية . وتسللت الديمقراطية لمعظم مكونات الصحوة الإسلامية تقريبا كما سنرى وسنأتي على شيء من التعليق حول هذه التجربة في الفقرة التالية إنشاء الله.

2. **صحوة جهادية:**

بعيد قيام حكومات الإستقلال على قاعدة الحكم بغير ما أنزل الله ، والولاء لمن ولاّهم من القوى الاستعمارية الشرقية والغربية،اصطدمت مختلف شرائح الصحوة بهم. ومارست معظم الحكومات سياسة البطش والقتل والسجن والتنكيل. وبدأت تتفاعل تلك الأحوال وتعزز نتائجها

على كافة صعد الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعيـة وبـدأت تتكـون بـذور الثـورة عـلى ذلـك الواقع وتتكون دواعي الجهاد في فكر الصحوة الإسلامية.

لقد توصل نفر من المفكرين والدعاة الأوائل مطلع الستينيات إلى أن مشاكل الأمة قائمة تطول : أولها حكم الكفر وولاء الأعداء ... وليس أقلها العدوان والظلم و الإحتلال وسرقـة الـثروات و. و. و. و.... وهذه مشاكل يحرس العدو بقائها عبر نوابه بقـوة السـلاح والحديـد والنـار وسلاسـل السـجون وسياط الجلادين وتوصلوا إلى أن مقتضى دين الله في مثل هذه الأحوال هو أن يكـون الجهـاد فـرض عين لإقامة حكم الله في البلاد أولا وكذلك دفاعا عـن ديـن الـدين و الأنفـس والأمـوال والأعـراض.... فبدأت تتكون بوادر الفكر الجهادي حيث طرح فكر الحاكمية والولاء و البراء والتمايز والمفاصلة ...

وكان رائد هذه الصحوة بلا منازع الأستاذ المعلم سيد قطـب رحمـه اللـه . وكـان للأسـتاذ أبي الأعلى المودودي – رحمه الله - في باكسـتان مسـاهمة فـذة كـذلك، وتتالـت المسـاهمات وتكونـت القاعدة الأولى للفكر الجهادي الحركي الذي ما لبـث أن انتشرـ وبـدأت تتكـون نوياتـه في مصرـ ثـم الشام ثم شمال أفريقيا وغيرها ... وتتابعت التجارب كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين التاليين إنشاء الله.

3. صحوة شاذة منحرفة:

نتيجة صدامات مختلف مدارس الصحوة السابقة مع طواغيت العرب والعجم من حكام بـلاد المسلمين ولد في تلك الظروف المأسوية تيار منحرف شاذ تمثل فيما عـرف بتيـار **التكفـير**. أو **التكفـير والهجرة** كما أسمته وسائل الإعلام. وقد ولـد ابتـداء في مصرـ ولكـن وجـدت لـه بـذور في كـل بيئـة شابهت معطياتها الفترة التي ولد بها هناك.

فقد جاهر معظم الحكام بمختلف ألوان الكفر والردة من الحكم والتشريع بغير ما أنزل اللـه إلى ولاء الكافرين إلى غير ذلك من تبعات ذلك . واتخذ هؤلاء الحكـام لهـم شرطـة وأعوانـا وأجهـزة استخبارات وأمن وبطش .. وأقامت الحكومات السجون وقاعات التعـذيب بـلا حسـيب ولا رقيـب. كما أقام كل حـاكم إلى جانبـه عكـازا مـن الكهـان والسـحرة يشـهد عليـه بمراتـب الإسـلام والإيمـان والإحسان وعلى نظامه بالشرعية، ويسبغ عليه ما لولي الأمر الشرعي مـن الحقـوق... فـيما جنحـت كثير من رموز الصحوة السياسية وغير السياسية إلى المداهنة والتلعثم في قول الحـق . بـل وتجـرأت على دخول هياكل السلطة وأجهزتها واتسمت الصحوة بالعجز عـن مواجهـة ذلـك الواقـع وفي ذات الوقت انغمس معظم شعوب الأمة في حياة استهلاكية لاهية عابثة... وبطبيعة الحال، كان في شباب الصحوة من يتمتع بالحماس المتقد والغيرة الشديدة على دين الله بقدر ما توفر له من نصيب مـن الجهل في علوم الدين وقواعده وضوابطه . ومثل ذلك من قلة الخبرة في فقه الواقع ومعطياته...

فنظر واحدهم إلى حاكم كافر ، وسجان ينتهك الأعراض ويسفك الدماء ويسب الله ورسوله ودينه بلا حياء ولا وجل فرأى الشباب المعذب أن لا شك في أن هؤلاء كفرة .. ولا شك أنه استنتاج صحيح. ثم نظر الشباب إلى علماء منافقين يعلمون كل هذا ويشهدون عليه بالشرعية ويسوغونه ، فقالوا لا شك في كفر هؤلاء الذين كتموا ما أنزل الله واشتروا به ثمنا قليلا .. ثم نظروا إلى قيادات صحوة عاجزة مداهنة منكفئة ..، فسألوهم عن هذا الكفر وأحكامه.. و حكم أصحابه فشهد الدعاة وقادة الصحوة على هذا الضلال بالفسوق والظلم ، ولكنهم لم يتجرؤوا ، أو لم يتوصلوا إلى الحكم عليه بالكفر ... فحكموا على هذه الأنظمة وأجهزتها بالإسلام وبمجرد الظلم والفسق. فهنا حصلت الصدمة الفكرية في رؤوس بعض الشباب فأعملوا القاعدة المعروفة (من لم يكفر كافرا فقد كفر) على كل المستويات ، جاهلين أن هذه القاعدة هي في كفر المجمع على كفره بلا تأويل واستنتاج كاليهود والنصارى والمجوس.. ، فأسقطوها على من لم يكفر أولئك الحكام وتتابعت السلسلة المنكودة . فكل من لم يكفر من كفروه فقد كفر ..

ولقلة العلم وبسبب الحماس والتشنج وظروف السجون .. ولد فكر التكفير. وبسبب الجهل ولنفس الأسباب السالفة اختلفوا على حدود التكفير فكفروا بعضهم بعضا .. وانبثق من هنا مدارس وجماعات مختلفة في أصول التكفير وتوسعهم فيه...

وعلى هامش هذه الأفكار نظر هؤلاء إلى المجتمعات وما يتمرغ فيه أكثر الناس من الرذائل والفساد . فولدت فكرة جاهلية هذه المجتمعات .. ثم كفر بعضهم هذه المجتمعات لأنها تمالئ حكامها أو لم تعبأ بتعلم دينها ، وتقع بجهالتها وعدم سعيها لفهم دينها في نواقض الإيمان، وطرحت فكرة الابتعاد عنها للعيش في مجمعات معزولة يقوم أصحابها على تربية أنفسهم وأولادهم على الدين والفضيلة فولدت فكرة الهجرة... وامتزجت في كثير من الأحيان نتيجة العزلة والجهل والحيف الذي وقع عليهم من السلطات وعلمائها ، ثم من الصحوة وقيادتها .. ثم من الناس والمجتمع ...فتفاقمت الظاهرة .. واختلفت زوايا الانحراف فيها .. واعتبر بعض هذه الجماعات أنفسهم (جماعة المسلمين) وكفروا من ورائهم ... وتردد البعض نتيجة بعض العلم عندهم أو بعض الخوف من إطلاق حكم التكفير تورعا فبدؤوا في البحث في أعذار الجهل لتخفيف هذه الأحكام عن البعض . واختلفت الآراء في تفسير نصوص العلماء الأوائل بالعذر بالجهل وحدوده وشروطه فأطلقوا الأحكام حينا، وتوقفوا للتبين حينا فولدت ما يسمى جماعات (التوقف و التبيُّن).. وشهدت فترة السبعينيات والثمانينيات توفر أسباب النمو لهذه التيارات الشاذة التي آذت الإسلام والمسلمين والصحوة ، وآذت نفسها . ووفرت فرصة ذهبية للعدو لنسف شعبية التيار الجهادي والصحوة الإسلامية كلها ، حيث نسبت الحكومة إلى كل من يريدون تدميره تهمة الإنتماء إلى هذا التيار الممقوت والمعزول من قبل عوام المسلمين صالحهم و فاسدهم.

وهذه خلاصة قصة التكفير في أوساط الصحوة حيث يمكن ايجاز معادلة توليده بما يلي..

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شباب متحمس جاهل مظلوم = ميلاد تيار التكفير.

وكدأب الشيطان دائما .. طلب بعض أقطاب هذا التيار بعض العلم وعادوا يبحثون في كتب الأقدمين عما يدعم أصولهم وأفكارهم فصار لهذا التيار أمراؤه و فقهاؤه المنحرفون ونشراته الضالة .. وغلب على أتباعه العنف في كل الأحوال . واستدرجت أجهزة الاستخبارات بعضهم حيث وجدوا للولوغ في دماء الأبرياء ، ثم دماء بعضهم ، ودماء من أرادت الاستخبارات استجرارهم إليه لتدميرهم وتدمير الجهاد والصحوة ومستقبل الإسلام حيث أرادت، كما سيأتي شيء من التفصيل في الفصلين القادمين إنشاء الله.

وهكذا تبلورت مدارس الصحوة الأربعة هذه. ومع التواصل الذي ازداد في هذه الفترة عبر كل وسائل الاتصال انتشرت هذه المدارس في بلاد العرب بحسب أسبقية استقلالها وانتشار الصحوة فيها كما انتشرت في بض بلاد المحيط العربي مثل تركيا وباكستان وأطراف أفريقيا ... ونتيجة حركة الهجرة الكثيفة التي دفعت بملايين الشباب المسلم من الطلاب والعمال إلى المهجر في أوربا وأمريكا وأستراليا وكندا وسواها... هاجر نتيجة القمع والمطاردات كثير من كوادر وقيادات ودعاة الصحوة الإسلامية من مختلف مدارسها إلى بلاد الغرب وسواها. وأقاموا المراكز الإسلامية والمساجد . كما قامت كثير من الجماعات والمؤسسات الأهلية بالخروج إلى هناك بلا إكراه وإنما بقصد نشر الدعوة والإسلام فانتشرت مدارس الصحوة الأربعة هذه في أوساط المهجر ونتيجة الحرية المتوفرة وتوفر إمكانيات الاتصال والنشر .. ساهمت مراكز الصحوة في الغرب في إعادة تصدير ما تطور من فكرها وتجاربها. وصار لها صحفها ومجلاتها ووسائل اتصالاتها وصارت الصحوة الإسلامية في المهجر جزءا مهما ساهم في دفع مسارها وأثراه وزاده عطاء على كافة الأصعدة . كما صار الغرب وأوساط الجاليات مسرحا لتواجد كافة مدارس الصحوة المتواجدة في العالم الإسلامي.

ثالثاً :المرحلة الثالثة: (1990-2000): مرحلة الأزمات:

كان العقد الأخير من القرن العشرين بعد انطلاق النظام العالمي الجديد ، عقدا مفصليا بالغ الأهمية في تاريخ الصحوة الإسلامية بكافة مدارسها الأربعة وما ينضوي في كل مدرسة من مناحي. ومواجهتنا مع طواغيت بلاد العرب والمسلمين وكما أشرنا في الفصل السابق فقد شهد مطلع هذا العقد انطلاق النظام العالمي الجديد واختياره للإسلام والصحوة الإسلامية خاصة خصما استراتيجيا

وحضاريا وعقديا بل وعسكريا في مواجهة الحضارة الغربية بعد أن آل قيادها لأمريكا وأتباعها من دول أوربا الناتو.

ويمكن اختصار سياسة الغرب في مواجهة الصحوة بنيابة الحكام وأجهزتهم المختلفة خلال هذا العقد بالنقاط المختصرة التالية ؛ حيث سنذكرها ثم نتبع ذلك بخلاصة مسار كل مدرسة من المدارس الأربعة سالفة الذكر وهي المدارس: اللاسياسية . والسياسية . و الجهادية . والتكفيرية . فقد اتسمت مواجهة الحكام والغرب للصحوة بما يلي:

1. ضرب الإتجاه الجهادي من الصحوة الإتجاه المعتدل منها بحسب موازينهم.
2. توسيع قاعدة الأصولية (المعتدلة) بحسب مفهومهم بتوسيع باب المشاركة الديمقراطية للإسلاميين لتدخل مؤسسات السلطة من أجل تحقيق الهدف آنف الذكر في البند السابق.
3. مساعدة تيار التكفير على البروز واستنساخ بذور تكفيرية برعاية الإستخبارات. و اتباع سياسة إعلامية لخلط التكفير بالجهاد من أجل عزل الجهاديين عن الأمة والإيقاع بينهما. وهذا ما طبق في الجزائر(1993-1997) ونجح..
4. إطلاق حملة (الإسلاميين على الطريقة الأمريكية) عبر وسائل الإعلام في هجمة للتغريب والانحلال ، من أجل تفكيك الجذور الأصولية للإسلام التي تضمن توليد بذور المقاومة.
5. إنطلاق حملة مكافحة الإرهاب الأمنية ضد التيار الجهادي.
6. إنطلاق حملة مكافحة الإرهاب الإعلامية السياسية ضد التيار الجهادي باستخدام المؤسسة الدينية الرسمية كجبهة أولية تدعمها قطاعات الإسلام المعتدل.

ولنقف مع أثر هذ السياسات في المواجهة على مسار كل مدرسة من مدارس الصحوة الأربعة خلال العقد الأخير من القرن العشرين.

أولاً : الصحوة اللاسياسية: (1990-2000):

لعل أبرز ما يميز ما حل بمدارس هذه الصحوة من أمثال بعض مدارس الصوفية والسلفية والدعوة وأصحاب المذهب الإصلاحي خلال هذا العقد هو أمران اثنان:

أولهما: تسيس كثير من رموزها وجماعاتها مع الوقت ودخولها ميدان العمل الحزبي والبرلماني عبر أبواب الديمقراطية التي فتحتها الحكومات على مصراعيها لتحقيق الهدف المبيت بتمزيق الصحوة وجعل مدارسها الثلاثة تقف في حصار ومواجهة التيار الجهادي فقد دخل كثير من الشخصيات من الصوفية والتبليغ والسلفية مجال الديمقراطية والعمل الانتخابي إن بصورة مستقلين أو بصورة تجمعات وكتل برلمانية في مختلف الدول العربية والإسلامية التي فتحت المجال.

ثانيهما: إحياء عقيدة الإرجاء ببعد وهوية سياسة معاصرة بين مختلف مدارس هذه الصحوة على تناقضاتها العقدية من أقصى الصوفية إلى أقصى السلفية. بحيث أعيد التركيز على إسلام الحاكم وإيمانه ، والفصل بين هويته هذه وطريقة حكمه وسياساته وممارساته العامة والخاصة.

<u>وكان الهدف فيما يبدو هو رفع الحرج الشرعي عن المشاركة في مؤسسات الحكومة التشريعية والتنفيذية والقضائية الذي يسببه إطلاق حكم الكفر عليها.</u>

وبهذا بدأت قاعدة هذه المدارس بصفتها اللاسياسية تضمر. وبدأت تتداخل عمليا في طروحاتها السياسية وبالتالي الشرعية مع المدرسة الأخرى التي سبقتها بهذه الممارسات بعدة عقود . وقد شكلت هذه الكتل منافسا حقيقيا ضمن صف الصحوة الإسلامية للمدرسة السياسية للإخوان المسلمين وأشباههم في بعض البلدان ، خصوصا عندما دخل بعضهم في تحالفات انتخابية مع تيارات علمانية !!!!. وقد حصلت في حالات أخرى تحالفات عديدة بين المدرستين الإسلاميتين لتشكيل كتل إسلامية كبيرة وجبهات عمل مواجهة للتيار السياسي الحاكم أو العلماني المعارض.

1. <u>الصحوة السياسية (1990-2000):</u>

شهدت فترة (1970-1990) ازدياد حدة المواجهات الصدامية بين مختلف مدارس الصحوة والحكومات العربية والإسلامية وأجهزتها الأمنية. سواء في صدام الجهاديين مع الحكومات عسكريا كما حصل في سوريا ولبنان ومصر وليبيا والجزائر وسواها . أو في مصادمات السياسيين من الدعاة وبعض رموز العلماء والخطباء مع الحكومات... وأسفرت هذه المواجهات عن امتداد شعبية الصحوة الإسلامية عموما وانتشار الفكر الجهادي وقاعدته الشعبية خاصة. وكما قلت فقد رأت الحكومات ومستشاروها الغربيون ومن يديرون حاضر ومستقبل تلك الأنظمة ، أن الأمور تتجه نحو الخطورة فكان المكر الذي تفتقت عنه عقولهم بعد مرحلة ملئ السجون والمقابر الجماعية بالإسلاميين هو الانفتاح السياسي معهم . فأفسح الحكام المجال للإسلاميين لدخول لعبة الديمقراطية والمشاركة فيها ، إما بصفة إسلاميين ، أو تحت لافتات أحزاب علمانية مرخصة... أو بصفة مستقلين. وشهد هذا العقد (1990-2000) تحولا مهما في ممارسات ومناهج الإخوان المسلمين والمدارس المتفرعة عنها من أجل تبرير تلك الممارسات السياسية. فألفت كتب وأبحاث كثيرة . وكتبت مقالات و ألقيت خطب حماسية تشجع على هذا الإتجاه والاستفادة من القنوات المشروعة والفرصة المتاحة إلى آخر تلك المبررات ... وشارك الإخوان المسلمون وفروعهم وبعض الكتل الإسلامية الأخرى في الإنتخابات البلدية في معظم البلاد العربية والإسلامية . كما شاركوا في الإنتخابات البرلمانية كما حصل في الأردن ومصر ولبنان والكويت . .. ودخلوا بصفات متعددة مؤسسات شبه حكومية في السعودية ودول الخليج . وانطلقت التجربة البرلمانية في تونس والمغرب وكذلك موريتانيا والجزائر في آخر ذلك العقد

المنصرم . وحصل مثل ذلك في معظم بلاد العالم الإسلامي ولاسيما أشهر تلك التجارب في باكستان وتركيا...

وكان أهم تلك التجارب من حيث حجمها ودلالتها السياسية ما جرى في تونس و الباكستان وأخيرا الجزائر ثم تركيا... حيث اقتنعت السلطات في نهاية هذا العقد ونهاية القرن العشرين بضرورة إقفال هذا الباب ، والعودة للمواجهة مع كافة مدارس الصحوة على الطريقة الإستئصالية كما سنرى إنشاء الله في الفقرة (رابعا) من مراحل الصحوة . **ولكن الجدير بالذكر هنا أن نقول أن مناهج الإخوان المسلمين وفروعهم من الحركات الإسلامية قد شهدت انقلابا على كثير من أساسيات المنهج الذي بنى على أفكار مؤسسة الأوائل كحسن البنا وعبد القادر عودة وخاصة سيد قطب رحمهم الله تعالى وازدادت زاوية الإنحراف المنهجي انفراجا بسبب التسكع على أبواب السلاطين وتسلم المناصب في مؤسساتهم العلمانية القائمة على أصول الردة والتشريع من دون الله والولاء للكفرة وأعداء هذه الأمة ..**

وسنأتي على وقفة أثر تفصيلا مع مسألة الديمقراطية في الفصل الثامن إنشاء الله.

2. الصحوة الجهادية (1990- 2000) :

كانت الصحوة الجهادية – كما سنرى في الفصل القادم بشيء من التفصيل إنشاء الله - قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة ، واتسعت فيها قاعدتها الشعبية ،ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي ... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984) أمام الصحوة الإسلامية عموما و الجهادية خصوصا، قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس عن انتشار معظم كوادر الجهاديين و المطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربا الغربية وما شابهها مثل كندا واستراليا وغيرها ..أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان... ولكن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) وضعت خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب والتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر2001 كما سنرى إنشاء الله...

ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

<u>الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990-:2000</u>

1 - **تجفيف المنابع المالية.**
2 - **استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر.**
3 - **اتفاقيات التسليم وتبادل المجرمين الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة.**
4 - **إلغاء الملاذات والملاجئ الآمنة أمام الجهاديين .**
5 - **نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي.**
6 - **التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب.**
7 - **الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين عزلهم .**

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهادية إلى عناصر تعيش هاجس المطاردات و الاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات... وتكفلت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم التي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين الغرباء الفرارين بدينهم .

وهناك ملاحظة مهمة وهي ظهور مدرسة جهادية جديدة في هذه الأثناء يمكن تسميتها :

- **<u>ظاهرة الجهاد الفردي:</u>**

فبسبب الأجواء الضاغطة على ضمير أصحاب الضمائر من شباب هذه الأمة.فقد بدر من بعضهم بين الحين والحين ممارسات جهادية هنا وهناك من قبل أفراد لا ينتمون لأي تنظيم، وهذه الظاهرة قديمة، بدأت منذ قدوم الحملات الصليبية الثانية مطلع القرن الثامن عشر من قبيل ما أقدم عليه الشهيد (سليمان الحلبي) الذي هاجر من حلب في شمال الشام إلى القاهرة مرورا ببيت المقدس حيث التقى بعض العلماء وتحصل على فتوى بقتل الجنرال (كليبر) قائد الحملة الفرنسية على مصر، والذي استخلفه نابليون عندما عاد إلى فرنسا، فقتله سليمان رحمه الله وكانت الحادثة مطلع أسباب جلاء الحملة الفرنسية عن مصر ثم أعدم رحمه الله وأعدم معه العالم الذي أفتاه. وتكررت هذه الظاهرة بحسب الظروف.

ولكن خلال العقد (1990-2000) وبعد انطلاق الحملات الصليبية الثالثة وقيام النظام العالمي الجديد، بدأت هذه الممارسات تتكاثر وتشكل ظاهرة ومدرسة جهادية تستأهل الوقوف معها ودراستها وتنميتها كما سيأتي معنا إنشاء الله. فقد تعرض بعض العسكريين والمدنيين ومختلف

أشكال وجود الصليبيين لعمليات جهادية فردية رائعة ومجدية شكلت إرباكا للعدو وبشرت بنمو بذور مقاومة لو قدر لها أن تنضج فإني أعتقد أنها تشكل أهم مرتكزات المواجهة القادمة بإذن الله.

3. الصحوة الشاذة وتيار التكفير(1990-2000):

من المهم جدا لفهم ظاهرة التكفير أن نفهم المعادلة المكونة له والتي اختصرناها بأنها:

حاكم كافر ظالم + جلاد سفاح مجرم + عالم منافق للسلطان + صحوة عاجزة + عامة يغلب عليهم الفساد + شاب متحمس جاهل = ميلاد تيار التكفير.

وخلاصة ما حصل لهذه الظاهرة منذ ميلادها مطلع السبعينيات وإلى اليوم أنها كانت محدودة معزولة لم تلق شعبية ولا انتشار، لا في أوساط الصحوة الإسلامية ، ولا في أوساط عامة المسلمين . ففي حين لم يقف التواصل والعلاقات بين مختلف أعضاء وجماعات الصحوة في المناحي الثلاثة السياسية والغير سياسية و الجهادية رغم اختلافها وخلافاتها ، حيث قام التواصل الفكري والعلاقات الشخصية بل والتعاون في مختلف مستويات ما اتفق عليه، أجمعت الصحوة الإسلامية بكاملها على نبذ ظاهرة التكفير وفكر أصحابه مما ساعد على ضموره وانكماشه..

وللطبيعة بالغة السوء التي طبعت فكره وسلوك أفراده ؛من الجهل والتشنج والعنف واللامعقولية ، بالإضافة للانحراف عن الأسس الشرعية، لم يستطع هذا التيار أن يكسب أرضية داخل الصحوة ولا خارجها، إلا على شكل جيوب منكمشة معزولة هنا وهناك تجتر أحقادها وجهالتها وتتولى تصفية بعضها البعض . ولكن يجدر لفت النظر تحت عنوان هذه الظاهرة إلى ملاحظات مهمة :

- **الملاحظة الأولى** : هي أنه رغم أن جماعات تيار التكفير قد كفرت جماهير المسلمين وعلماءهم وقادة صحوتهم ودعاتهم لأنهم لم يكفروا الحكام وزبانيتهم، ولم يكفروا من لم يكفر الحكام ولم يكفروا من لم يكفر هؤلاء .... وهكذا وهي سلسلتهم النكدة وأساس انطلاق فكرتهم. إلا أن الغريب في الأمر أنهم لم يتبنوا فكرة جهاد الحاكم الكافر الذي فاصلوا الناس على كفره! ولم يعرف لجماعات التكفير أنهم قاتلوا الحكام إلا في القليل من التجارب. ناهيك عن أنهم لم يدعوا إلى جهاد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى الذين حلوا في عقر دار المسلمين. في حين أنهم تلوثت أيديهم بقتل الأبرياء من المسلمين. وهذا ما لفت الأثر الشريف النظر إليه من أن من خصائص هذه الشراذم أنهم :

(**يدعون أهل الأوثان ويقتلون أهل القرآن**).

الملاحظة الثانية: هي أن الحكومات الطاغوتية ومن وراءها من أعداء الإسلام أدركوا أهمية هذا التيار الشاذ في محاربة الجهاد ووقف صحوته. وذلك لمفارقة بسيطة وهي:

أن الجهاديين يريدون تعبئة الأمة وتجنيدها لمحاربة الأعداء الخارجيين من الكفار مثل اليهود والصليبيين والوثنيين الهاجمين علينا ، ولمواجهة الطواغيت من الحكام الذين تولوا تحقيق أهدافهم ومحاربة أمتهم . في حين أن التكفيريين ينطلقون من مبدأ تكفير عموم الأمة! فكيف يجاهدون معهم بعد أن سلخوهم عن دينهم!

والأمر المهم الثاني الذي أدركه أولئك الخبثاء من الحكام وأعوانهم وأجهزة استخباراتهم ومراكز دراساتهم المتفرغة لحرب الإسلام والمسلمين أن إلصاق تهمة التكفير بالجهاديين بدعوى أنهم خوارج يكفرون الحكام وأعوانهم وعلماءهم .. ويكفرون عوام الناس (وهو زعم باطل) لأن الجهاديين كما هو معروف لا يسحبون سلاسل التكفير هكذا خبط عشواء. ولهم فقههم المنضبط المعتمد على عقائد أهل السنة والجماعة المعروفة وكتاباتهم ومنابرهم الإعلامية أكبر دليل على ذلك... فإلصاق الحكومات هذه التهمة بالجهاديين هو من أهم السبل لفصلها عن جماهيرها. ولذلك عملت على هدم الجدار الواضح الفاصل بين هذين الاتجاهين المتناقضين في المنهج والأهداف وأعني (تيار الجهاد) و(ظاهرة التكفير).

- **الملاحظة الثالثة والهامة جدا.** أن أجهزة الإستخبارات المعادية لهذه الأمة والعاملة ليل نهار على ابتكار أسباب مواجهة صحوتها الجهادية. لما رأت فائدة أفعال التكفير المشينة ولاسيما بعد جريمتهم الشنعاء في حق الجهاد والأمة في الجزائر التي كانت حقل تجارب للاستخبارات كما سأبين في الفصل السادس في نبذه عن تجربة الجزائر إنشاء الله. رأت أن من أنجح الوسائل لمواجهة الجهاد و الجهاديين لفصلهم عن الأمة هم تهمتهم بالتكفير فيكرههم الناس فينعزلون عنهم فيسهل القضاء عليهم . وهذا ما طبقوه في الجزائر. ولما درست أجهزة الإستخبارات هذه الظاهرة (التكفيرية) اكتشفت المعادلة التي أشرت إليها في ميلاد التكفير الذي يولد طبيعيا في الأجواء التي أشرت إليها. فعمدوا إلى توليد تيارات للتكفير بالاستنساخ الاصطناعي في الأوساط التي يتوقع أن الجهاد سيولد فيها بطبيعة الحال نتيجة الحضور الاستعماري أو النظام الطاغوتي ومن الأمثلة على ذلك ما جرى في السعودية منذ حرب عاصفة الصحراء الكويتية. وولادة بذور الجهاد والمقاومة. فقد عمدت الإستخبارات السعودية التي اتخذ وزير داخليتها **نايف بن عبد العزيز** ، من وزير الداخلية المصري الأسبق سيئ السمعة (زكي بدر) المشهور بنظرياته الإستئصالية وبشاعة أساليبه،اتخذ منه ومن فريق عمل من الإستخبارات المصرية مستشارين لتأسيس جهازه القمعي في السعودية منذ 1991 . وكان

من نتائج ذلك ما بلغنا بعض القليل من أخبار ما جرى هناك لاستنساخ التكفير وتهمة الجهاد المترقب في السعودية به.

فقد حدّث عدد من الناجين من سجن (الرويس) الشهير في جده من السعوديين وغير السعوديين من الجهاديين. أنه بعد حادثي انفجار الرياض والخبر سنة 1994 وما تلا ذلك من نشاط بعض التنظيمات الجهادية في السعودية اعتقل آلاف الشباب للاستجواب ممن كان لهم سابقة جهادية أو كانوا مظنة ذلك. وقد تعرض الشباب لمختلف صنوف التعذيب البشعة التي استوردها الأمن السعودي من مصر وتونس وسوريا والبلاد العريقة في علوم التعذيب. ولكن الذي استفاد وه من تجربة الأمن الجزائري هو فائدة تيار التكفير في تدمير الجهاد! وكان ذلك من أهم التجارب: فعمدوا على استنساخه وتوليده من خلال إيجاد مكونات طرف المعادلة الأيمن:

قال أحد الذين شهدوا التجربة في سجن الرويس بجده في السعودية: [كان يأتينا بعد جولات التعذيب الجسدي من الضرب والكهرباء.. مشرف على التعذيب النفسي رجل شيعي من (النخاولة)[1] عرف نفسه باسم (أبو نايف)، في الستين من عمره أعرج. فيسمعنا من ألوان الكفر وشتم الدين والرب ومقدسات الإسلام و الهزء بشعائره وشتم الجهاد والمجاهدين .. ما يهون معه ما عانينا من جلسات التعذيب مقارنة ببشاعة ما نسمع، ثم يقول لنا بعد ذلك : أنتم تريدون حكم الشريعة ؟! وما هذا الذي يحكم به ولي الأمر ؟ أليس شريعة ؟ ألا تعجبكم شريعة الـ (..!!..) [ويذكر فعل النكاح باللغة البذيئة الدارجة]، ويضحك و يضحك الجلادون. و يتابع : هذا الشيخ ابن عثيمين وابن باز يقولون أنها شريعة ، وأنها دولة التوحيد ... و يتابع على هذا المنوال.. وكثيرا ما أُخذ الأخوة المعتقلون من الجهاديين فجمعوا عراة يسترون سوآتهم بأيديهم، ثم ينادون عليهم واحدا واحدا، فيربط المعتقل ويعلق ثم يأتي الجلاد فيعبث بأعضائه التناسلية بعصا في يده، ثم يأتيه بمجسم بلاستيكي لعضو ذكري تناسلي، ويبدأ يمرره على دبر المعتقل! ويهدده باغتصابه واللواط به إذا لم يستجب لما يطلب منه. ثم يطالبه بعد ذلك بالتوقيع على أوراق محضر يعترف فيه بأنه يكفُّر ولي الأمر، ويكفر العلماء ، ويكفر المجتمع السعودي!! وروى عن بعض الأخوة أن البعض قد فعل به فعلة اللواط واغتُصب من قبل جلادين سعوديين!!] موظفون يتلقون المرتبات من (دولة التوحيد التي نفع الله بها وتحقق على يديها من الخير ما لا يعلمه إلا الله!!) على حد شهادة الزور التي طالما كررها مفتي الديار- أبوهم الوالد - وهيئة كبار العملاء ، ويبدوا أن هذا من بعض ذلك الخير!!. وقد أسلفنا بيان المعارضة السعودية بصدد هذه الأمور الشنيعة التي ترددتُ كثيرا في إيرادها حياء وحفظا لمشاعر من يقرأ هذا الكتاب . ولكني وجدت أن (حق الحق أوجب من حق الخلق) كما قال ابن القيم رحمه الله . ويجب أن يعلم الناس جزءا مما يدور على الأقل.

---

[1] **النخاولة**: أسم يطلق على الشيعة في السعودية

وأضاف الشهود من سجناء (الرويس) بأن المعتقلين الأجانب من الدول العربية الأخرى قد عذبوا عذابا شديدا كي يوقعوا على اعترافات يقولون فيها أنهم نقلوا فكر التكفير إلى السعودية ، وأنهم أدخلوا إلى المملكة أسلحة وذخائر. كل ذلك تحت وطأة التهديد وأساليب التعذيب التي تشابه ما عرف استخدامه في بلاد عريقة في ذلك مثل مصر وسوريا والأردن وتونس وغيرها. وقد ذكر لي بعضهم بأنه كان هناك وجبة تعذيب بالسياط تسمى (الموزة) لأن المعتقل يقشر جلده فيها!! ويربط للخلف يداه برجليه فيتقوس ظهره ويصير شكله كالموزة ويضرب على بطنه و... وهناك قفص حديدي يسمى (سندريلا) يعلق به المعتقل وتشد أطرافه الأربعة إلى القضبان ثم يدور بسرعة ويكهرب بين فترة وأخرى ويخرج المعتقل مغشيا عليه فيصب عليه الماء ويطالب بالاعترافات .... وهكذا .. فتأمل المعادلة من جديد ..

حاكم كافر ظالم + جلاد مجرم يردد الكفر ثم يذكرهم بحكم العلماء على ولي الأمر بالتوحيد (وهنا تتحرك آلية التكفير في ذهن المعتقل المسكين) ثم يترك المعتقلون في زنزانات جماعية يدس فيها من ضباط الاستخبارات أو بعض من ابتلي بالتكفير ليهيج النقاش في هذه الأجواء فتستنسخ جينات التكفير، ثم توقع الاعترافات مقابل الإفراج. فسبحان القائل:(**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ**) (الشعراء:221) .

هذه الشهادات سمعناها سنة 1995 . ولم يكن قد بدأت في السعودية أي مواجهة حقيقية. أما الآن وقد بدأت بوادرها فلدى الاستخبارات السعودية أرشيفا ضخما من هذه الكنوز التكفيرية ، ليستند إليها الجهلة من علماء السلطان ويفتوا بأن المجاهدين للأمريكان وأذنابهم من آل سعود هم من التكفيريين الخوارج !....

والمتابع لوسائل الإعلام وتغطيتها للأحداث التي يديرها الجهاديون اليوم، يرى التركيز على تهمة الإخوة بأنهم خوارج ، وعلى فكر الخوارج الأولين ، من خلال إخراج مسرحي يتهمهم بأنهم قد شقوا عصى المسلمين ، وكفروا الحاكم والمحكوم ، وخزنوا المتفجرات في مكة والمدينة ، ووضعوا القنابل داخل المصاحف المفخخة ! وقتلوا الأبرياء من المسلمين والمستأمنين .... إلى آخره. وقد نجحت المصيدة إلى حد كبير. فقد خرج عدد من العلماء الموثوقين في السعودية ليشاركوا في هذه المسرحية التي أعدها وأخرجها الأمير نايف ومستشاروه من استخبارات الدول العربية.

وهذه الملاحظة من أهم ما يجب أن ينتبه إليه من التداخل بين التكفير والاستخبارات. وسيأتي بعض التفصيل عندما نعرج على ذكر نبذة عن كارثة الجهاد في الجزائر في الفصل القادم إنشاء الله.

● رابعاً: الصحوة الإسلامية في عالم ما بعد سبتمبر(2001) :

كان الغرب قد رفع شعارا عبر عنه الـرئيس الفرنسيـ الراحـل – إلى جهـنم - (ميـتران) بقولـه : (سنضرب الإسلام المتشدد بالإسلام المعتـدل). وقـد أدى هـذا إلى افتتـاح العهـد الـديمقراطي الزاهـر لتصبح المدارس الإسلامية السياسية عمليا جزءا مـن (المـلأ)- مـلأ الفرعـون - ، إلى جانـب (الحـاكم والكاهن والأعوان). فحققـت الـصحوة بعـض المكاسـب ولكـن الـثمن كـان أن تقـف في وجـه المـد الجهادي .

ولكن وعلى مدى العقد المنصرم حصـل أمـر منطقـي لم يكـن في حسـاب الغـرب ولا عملائـه المرتدين، الذين لم يستطيعوا نتيجة الأحقاد أن يستوعبوا زخم الـروح الدافقـة في الإسـلام وطبيعتـه. وانظر إلى بعض آيات الله :

- **فالإسلاميون (المعتدلون) كما يسمونهم ليس لديهم في النهاية بضاعة إلا الإسلام.**
فإذا ما اتيح لهم المجال (مساجد... مدارس.. نـدوات.. محـاضرات.. مؤلفـات... صـحف.. قاعـات برلمان .. تماس مع الجمهور) فليس لديهم من بضاعة إلا مشاريع الإسلام والحـديث عـن:(تحكـيم الشريعة.. الجهاد من أجل فلسطين .. قضايا العدل والظلم ..
مكافحة الفساد ..الإصلاح الاجتماعي.. الالتزام والأخلاق الإسلامية..إلخ) وحتى مع وجـود أغـراض شخصية، ومصالح حزبية ، فإن هذه الرسائل سواءا أخلص أصحابها أم زاودوا بها من أجل التجـارة بالشعارات ، فإنها ساهمت إلى حد كبير في توسيع القاعدة الشـعبية للإسـلام والتصـورات الدينيـة. وكان هذا كسبا أفقيا هائلا على طريق أسلمة المجتمعات التي تدرك بفطرتها بعـد أن دبـت فيهـا الروح الدينية الحاجة إلى مواجهة تلك الأوضاع والصدام معها عندما لا يمكن إصلاحها سلميا.
- **كـما أن الجهـاديين أو (المتشـددين) كـما يسـمونهم ، يجـدون في مثـل هـذه الاسـتراحات وأجـواء الاسترخاء السياسي والأمني، مجالا للتمدد سريا وإعادة تنظـيم الصـفوف واكتسـاب قواعـد أوسـع داخل الهامش العام للصحوة. وقل مثل ذلك عن الإسلاميين الدعويين غير السياسيين.**

فدبيب أسلمة المجتمعات العربية والإسلامية، وهو ما بسمية الغـرب (العـودة إلى الأصـولية) يقض مضاجعهم. وإن كـان الشـطر الكبـير والسـواد الأعظـم مـن المجتمعـات يسـير نحـو الفسـوق والعصيان والانسلاخ من الدين وفق برنامج العلمنة ومن يقوم عليها. إلا أنهم يريدون ليطفئوا نـور الله بأفواههم، بكل آثاره ولا يريدون أن يكون للحق وجود ولا لمن يحمله حق في الحركـة والحيـاة. وعلى مر عقد من الزمن اكتشف الغرب الصليبي وحكماء صهيون أزلامهم من حكامنا خطأ الإنفتاح الديمقراطي فرفعوا شعارا جديدا هو: نريد (**ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد المسلمين**) !!

ومع أن هذا كلام يناقض نفسه. لأن الديمقراطية تعني حكم الشعب بنفسه وتعني مبدأ سيادة الأمة. فالطبيعي والمنطقي احترام خيارها احتراما لأصل المبدأ. ولكن الغرب المنافق وأتباعه الأوقح نفاقا من الحكام والعلمانيين في بلادنا، كانوا مستعدين إلى لحس المبدأ ذاته فقالوا ما قالوا : (**ديمقراطية.. ولكن .. بلا إسلاميين!!**).

وسرعان ما تحول الشعار إلى التطبيق العملي فأغلقت معظم الدول الهامش الديمقراطي. واختارت دول أخرى تنفيسه من الداخل، عن طريق تفصيل قوانين انتخابية أو تعديلات دستورية تترك للإسلاميين القشور، بحيث لا يستمر منهم في اللعبة إلا الانتهازيون من الإسلاميين أو المستعدون لتفصيل الإسلام وإعادة خياطته على ذوق الحاكم المحكوم بسيده عدو الإسلام والمسلمين.

وهكذا قمعت الديمقراطية الإسلامية في الجزائر بكل قسوة (1991) بالإنقلاب العسكري وكان ثمن ذلك حربا أهلية أتت حتى الآن على نحو مئة وخمسين ألف نفس. كما حُمل الديمقراطيون الإسلاميون وزعيمهم أربكان عبر إنقلاب سياسي أبيض في تركيا من رآسة الحكومة وأغلبية البرلمان ليلقى بهم في السجون أو ليوضعوا تحت الحجر عن مزاولة العمل السياسي. وانقض مشرف في إنقلاب عسكري على ديمقراطية الباكستان ليفصل لهم بعدها نظاما (**ديمقراطيا دكتاتوريا عسكريا مدنيا استخباراتنا بإشراف أمريكي !**). وفصل الأردن واليمن والمغرب وسواها قوانين انتخابية ألقت بالإسلاميين أقلية في دهاليز البرلمان . أو ليعطوا في أحسن الأحوال وزارات الماء والكهرباء..أو وزارة المطاحن والثروة السمكية .. في بلاد لا تطل على البحار ! وهكذا...

واكتشف الغرب أنه أمام معادلة قدرية محكمة تحركها الروح النابضة لهذا الدين الرباني. ومفاد تلك المعادلة:

أن أعداء الإسلام إن ضربوا الإسلاميين وواجهوا الصحوة بالانقلابات والسجون والبطش ... أعطوا مبررات حمل السلاح وتمدد الجهاديون ونمو عموديا ونوعيا.! وهم إن فتحوا مجال الإعتدال السياسي كي يواجهوا الجهاديين بالمعتدلين، تمدد الإسلام أفقيا وقاعديا وانتشر !! فعادوا للبطش ، فعاد الجهاد للنمو! فعادوا للانفتاح ، فعاد الإسلام للتمدد والتوسع !! في حلقة متكررة من مكر الله بهم ..

وهكذا وجدوا أن الوعي والتطور وثورة الاتصالات وعالم الفضائيات والإنترنت قد فتحت عقول الشعوب. وأن عروش ولاة الإستعمار ونوابهم من حكامنا مهددة. وأن إسرائيل محاصرة بالأصولية. وأن منابع النفط وأكداس سلاح جيوش الحكومات معرضة لأن تسقط بيد ثورات شعبية

يقودها متشددون. فقرر الغرب الغزو والاحتلال المباشر لمركز الصراع (الشرق الأوسط) الشام ومصر والعراق وجزيرة العرب . وبسط سيطرة أكبر على ما بقي عبر دعم الولاة المرتدين لمزيد من البطش ، كما زادت أمريكا من قدرات القواعد العسكرية. ليصل الوجود الأمريكي فقط ، في منطقة العمليات الوسطى (وسط آسيا والعالم العربي والقرن الإفريقي) إلى نحو 1.5 مليون جندي أمريكي يتبع قيادة مركزية واحدة ، وتتوزع قواها من كابل و طشقند و مرو... في وسط آسيا من أقصى مشرق بلاد المسلمين ، إلى بغداد وعمان وجزيرة العرب .. إلى مصر والصحراء الغربية والصومال في الشرق الأوسط .. إلى طنجة وسواحل الأطلسي في أقصى غرب بلاد الإسلام. وهو ما يسمونه اليوم (الشرق الأوسط الكبير) ويضعون الخطط لاحتلاله حضاريا في كل المناحي . وكان فاتحة ذلك كما رأينا تدميرا لإمارة الإسلامية في أفغانستان ،واحتلال العراق وإعلان الحرب على الصحوة بكامل أطيافها وصحح بوش مقولة ميتران عندما قسم الإسلاميين إلى معتدلين ومتشددين متشردين .. ليصبح الشعار بالأسلوب الأمريكي:

(ليس هناك إسلام معتدل ! كل الإسلاميون متشددون ويجب القضاء عليهم). لتشمل الحرب الأمريكية الكل ، بدءا من الجهاديين ، ووصولا إلى المعتدلين مرورا بأصغر مؤسسة إنسانية خيرية تعمل في توزيع المصاحف أو رعاية الأيتام .

وكان هذا من فضل الله . إذ أسفرت هذه السياسة ليس فقط عن حشر الصحوة بكاملها وتأهيلها للمقاومة وحمل السلاح . وإنما عن فتح الباب لرجل الشارع العادي أن يحمل السلاح تحت شعار الإسلام.

وهذا ما حذر منه بعض دهاة الفراعنة أمريكا كما صاح رئيس مصر أمام البرلمان عند بداية غزو أمريكا للعراق بأن سياسة أمريكا ستخلق لنا بدل بن لادن واحد مئة بن لادن ... ولكن بوش الأحمق المتعصب أسير مستشاريه من الصهاينة لم يستوعب مكر الله هذا به. فسار في سياسة الاستئصال ليتبعه حكام بلاد المسلمين . وكان من ذلك ما سمعته البارحة من ولي العهد السعودي عبد الله .. في خطاب هستيري موجه للشعب مساء

1- 8-2003 يقول :

(كل متستر على إرهابي فهو إرهابي مثله . وكل متعاطف مع إرهابي فهو إرهابي مثله. وعندما تواجه الدولة الإرهابيين فلا مكان للحياد ولا الموقف الوسط) .

وهو فحوى شعار بوش الحالي :

(من ليس معنا في حربنا على الإرهاب فهو ضدنا ولا مكان للحياد).

وفعلا تسير المعادلة مع فضل الله لتتحقق أهم الشروط السببية بالنصر ـ بدخول كامل الأمة قسرا أو طوعا في المعركة. وأما أسباب النصر القدرية فذلك نصر الله ينزله متى شاء على من شاء حيث شاء... ونسأل الله أن نشهده ونكون من وقود تحقيقه في سبيل الله.

وأما أثر هذه السياسة الخرقاء على مدارس الصحوة الأربعة خلال السنوات القليلة بعد سبتمبر 2001 فهي باختصار كما يلي :

أولاً : الصحوة الإسلامية غير السياسية بعد سبتمبر 2001 :

في عمان عاصمة الأردن .. صرخ أحد أمراء (جماعة التبليغ والدعوة) في المعتقل، في وجه المحقق مندهشا محتجا بقوله :

(نحن لم نمارس جهاد ولا سياسة ولا واجهناكم! نحن ندعوا إلى الله في مساجدنا ونصلح الناس وننقذهم من الفساد وعالم الخمارات والجرائم ...) ! فقال له المحقق الخبير ضابط الإستخبارات الذي وعى درسه : (هذه هي المشكلة : أنتم الأوتوبيس ! تحملون الناس من الشارع إلى المسجد . فيأتي الإخوان فيحملونهم من المسجد إلى السياسة ! فيأتي المتطرفون فيأخذون غايتهم من الشباب للجهاد والتطرف ! نريد قطع كل هذا الطريق من أساسه نريد وقف الأوتوبيس!..)

وهذا يشرح كل حقيقة المواجهة اليوم . إنها قصة حوار حقيقي واقعي في غاية التعبير والدلالة...

وهكذا تواجه الحكومات اليوم الصحوة الدينية اللاسياسية وتقمعها. فتغلق المساجد وتضيق على المدارس وتحظر الخطب .. بل تحيل السعودية الآن أكثر من 1800 خطيب وداعية لدورات تأهيل نفسي ! لإبعادهم عن التطرف وإفهامهم مقومات عالم الهيمنة الأمريكية ما بعد سبتمبر والعراق! وقد أعلنت مصر أنها فضلت من جهاز التدريس آلاف المعلمين المتهمين بالأصولية! في إطار حرب الأفكار و المناهج ..وأعلنت الكويت أنه لاخيار لديها عن مواجهة المتشددين ، وأعلنت معظم الدول الإسلامية عن تعديل برامج التدريس الديني والعام . وبلغ بوزيرة الثقافة في باكستان (زبيدة جلال) أن تطالب ، وعلى شاشات التلفاز وأمام وسائل الإعلام بحذف سور: (آل عمران والأنفال والتوبة) .لأنها تدعو للإرهاب !!

ثانياً :الصحوة السياسية في عالم ما بعد سبتمبر(2001):

فكما أسلفت. تغلق اليوم عليهم منافذ الممارسة السياسية الفاعلة. ويتعرضون للقمع. وإن كان من إضافة فهو ولادة دعاة وإسلاميين سياسيين منبطحين قابلين للانضغاط بلا حدود ، وللتميع بلا ضوابط. لقد تجاوزا المنهاج ، منهاجهم . بل تجاوزوا ما سبق من زوايا الإنحراف ..سمعت منذ

أيام أحد المرشحين من الإخوان المسلمين لانتخابات نقابة الصحافة في مصر ، ردا على سؤال الصحيفة له بقولها : أنت إسلامي فكيف تمثل 400 صحفي فيهم من كل الطيف. فقال: (أنا لي توجهي! ولكن لما أمثل الصحفيين فأنا أمثل الإسلامي والنصراني والشيوعي ومن له دين ومن لا دين له !) فتأمل إن كان هذا الكلام يترك قدره على التأمل ! .

ويجلس ممثل الحركة الإسلامية في العراق في المجلس الحكم المحلي رآسة (بر يمر) ليمرر ويبرر الإحتلال ! ويكافح الإخوان المسلمون والسرور يون في السعودية الجهاد و الجهاديين ويسلمون عناصره للمخابرات ، ويدعونهم للإستسلام للدولة عبر بيوتهم ! وقل مثل ذلك عن الإسلاميين في البرلمان في المغرب..

<u>لقد أصبح من تبقى في لعبة السياسة من الإسلاميين الديمقراطيين جزءا أساسيا من كتائب النظام العالمي الجديد في مواجهة حملة رايات الجهاد والمقاومة في الأمة</u>...

<u>ولابد من الإشارة إلى أن هامش العطاء الايجابي لهم يضيق يوما بعد يوم حيث يحاول الإسلاميون السياسيون مكافحة الإستعمار تحت قبة البرلمان! والحد من طغيان الفراعنة عبر المسيرات ! ومازال فيهم من يظن إمكانية ذلك !</u>

<u>ثالثا : الصحوة الجهادية بعد سبتمبر(2001):</u>

اتخذت أمريكا من الجهاديين ، جماعات وأفراد ، وحتى من أنصارهم ومؤيديهم هدفا لحربها . بعد أن أدركت أنهم عمليا قلب الأمة الحي ، وسلاحها المتبقي في الدفاع عن نفسها ، ولتفاصيل هذه المواجهة وقائع كثيرة مشهودة ، أترك التفصيل فيها إلى الفصل القادم إنشاء الله.

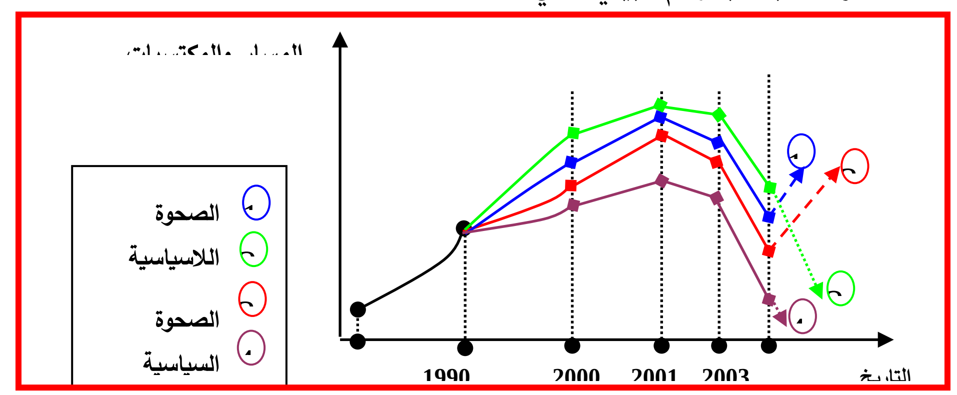
<u>رابعا :الصحوة الشاذة للتكفيريين بعد سبتمبر(2001):</u>

لقد زادت هذه الظاهرة انكماشا. ولولا ما يحاول الإعلام العربي والإسلامي في بعض المناطق كالسعودية إظهارها والحديث عن حياتها لما سمع بها أحد. والحمد لله.

وبعد هذا الاستعراض الموجز لمسار الصحوة الإسلامية وخلاصة حصادها عبر أكثر من سبعين عاما مضت على ميلادها ، بقي لنا أن نختم هذا الفصل بخلاصة وأن نلفت النظر إلى ظاهرتين مهمتين من مظاهر الصحوة الإسلامية غير الجهادية لأننا سنترك تغطية الملاحظات الجهادية للفصل السادس.

الخلاصة في مسار الصحوة الإسلامية ومآلها خلال (1930-2003) :

يمكن التعبير بإيجاز شديد عن هذه الخلاصة بأن الصحوة الإسلامية بعموم مدارسها الأربعة قد وصلت إلى الإفلاس وفشلت في تحقيق أهدافها ودخلت قعر الأزمة وليس من أمل في استمرار الصالح منها إلا بأن تعيد النظر في مناهجها وأهدافها وأساليب عملها وفقا لثوابت الشريعة الإسلامية بانضباط المسلم الملتزم. ووفقا لمعطيات فقه الواقع الجديد في ظل الحملات الصليبية الأمريكية المعاصرة في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق. ويمكن التعبير عن مسار الصحوة خلال تلك العقود السبعة بالرسم البياني التالي:



ويبين هذا الرسم البياني بوضوح:

1. أن الصحوة ولدت بمعظم اتجاهاتها المتقاربة بعيد الخلافة 1930 تقريبا.
2. سارت مدارس الصحوة ونمت متقاربة متداخلة في طبيعتها بشكل مختلط من حيث المنهج والأهداف والأساليب إلى نحو 1960 تقريبا.
3. تابعت كل مدرسة من مدارسها الأربعة العطاء والمسار إلى 1990 بشكل متمايز.
4. ما بين (1990-2000). تقارب مسار الصحوتين السياسية والغير سياسية باقتراب الثانية من الأولى .
5. تراجع مسار الصحوة الجهادية منذ 1990 لتصل إلى عام 2000 وقد أنهكت.
6. مع اقتراب سنة 2000 بدأت جميع مدارس الصحوة تنهار في عطائها ومسارها .
7. مع عام 2001 وابتدأ عالم ما بعد سبتمبر... برزت مظاهر الانهيار والتفكك في جميع مدارس الصحوة. مع ما يشير إلى متابعة انهيار المدرستين السياسية والشاذة. ومع بوادر نهضة للصحوة الجهادية بسبب ظروف الاستعمار المباشر. بالإضافة إلى ما يتوقع من ازدهار الصحوة اللاسياسية نتيجة ظروف القهر والاستعمار والعجز العام. كما ويشير إلى وصول الجميع إلى قعر الأزمة.

وعلى اعتبار أني أنتمي للتيار الجهادي واكتب له. وما تناولي لمدارس الصحوة الاخرى إلا اختصارا و بقدر ما تداخلت فيه مع مسار الصحوة الجهادية. فإن تفصيلات تصوراتي عن الإصلاح والمساهمة في صنع مسار المستقبل ستنصب على الكتابة في آفاق التيار الجهادي وبرنامج إصلاح مساره عبر ما تبقى من فصول الكتاب.

وأما إصلاح مسار الصحوة السياسية والغير سياسية فهو عمل أصحابها وكتابهم ومنظريهم . وإن كان لهم من نصيحة لله ورسوله وكتابه وأئمة المسلمين وعامتهم ، فهي أن يبتعد الإسلاميون عن أبواب السلاطين ومؤسسات الردة الثلاثة التنفيذية والتشريعية والقضائية . لأن دخولها حرام لا تقره الشريعة ، ومعصية لله لا تبرره التمحكات السياسية - كما سنرى بالأدلة الشرعية لاحقا إن شاء الله - وإن كنا نلتمس لهم العذر لما يقع من بعضهم من أفعال وأقوال تناقض مقتضيات الإيمان والتوحيد على أنهم متأولين للمصالح المرسلة ، واستصحابا لحالة الاستضعاف .

وحقيقة فإن المتابع لحال أكثرهم يجد فيه مصداق ما جاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا**) . وفي تجربتهم وما مر من نتائج الحصاد المر، اكبر برهان على هذا الأثر.

وأما إصلاح الصحوة الشاذة وما أفرزته من التكفير. فإن كان من نصيحة لعلها تنفع أصحابها فهي أن يتوبوا إلى الله وينخرطوا في جهاد الكفار الأصليين وعملائهم المرتدين ويتركوا العدوان على المسلمين بمختلف طبقاتهم من العوام إلى العالمين للإسلام . وأسأل الله أن يصحلهم ويتولى أمر من أبى .

وأما النصيحة الخاصة بأصحاب الصحوة الغير سياسية فهي أن يركزوا على دورهم الهام جدا اليوم في ظل هجمة الاستعمار الثقافية والمنهجية. التركيز على حفظ دين الأمة بالدعوة والتعليم والاهتمام بالحفاظ على الدين وهم أدرى منا وأكثر خبرة بسبل ذلك.

وأما النصيحة الإضافية الخاصة بأصحاب الصحوة السياسية فهو أن يعملوا في مجالات المقاومة المدنية والعمل السياسي و الإعلامي وفق ضابطي مقاومة الاستعمار وعدم الدخول في هياكل السلطان ومثلث السلطة الخبيث المكون من (الحاكم والملأ والأعوان والكهان).

لأنهم بهذا سيقفون من حيث شعروا أم لم يشعروا في مواجهة الأمة.

وأنبه إلى حقيقة هامة بقدر ما هي صريحة وربما قاسية. بأن عالم سبتمبر قد صرح أقطابه واستعلنوا بأن لا مكان للحياد في المواجهة.

فإما مع الحملات الصليبية من استعمار ونواب استعمار وعملاء استعمار وبالتالي مصير بعدل الله إلى النار إنشاء الله و بئس القرار.

وإما في مواجهتهم وبالتالي جهاد ومقاومة مسلحة أو مدنية باليد فإن لم يكن فباللسان فإن لم يكن فبالقلب وذلك اضعف الإيمان وليس بعد ذلك من الإيمان حبة خردل وليطلب كل لنفسه من المعالي ما وسعه ...

وكما قال تعالى :﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴾ (العنكبوت:6).

وكما قال صلى الله عليه وسلم :(**فمن برئ فقد سلم ولكن من رضي وتابع**)..

ويوم القيامة يدرك مدرك ، ويندم نادم ، حيث لا ينفع الندم ، أنهما طريقان ولا حياد ، ففريق في الجنة وفريق في السعير. ولا سواء .

ونسأل الله منازل الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

وأما الوقفتين الهامتين مع مسار الصحوة السياسية والغيرسياسية فهما:

وقفة مع ظاهرة الإرجاء السياسي في الصحوة.. ووقفة مع ظاهرة الممارسات الديمقراطية عند الإسلاميين. وسنتناول الأولى هنا ونترك نقاش الثانية لفقرة الفكر والمنهج في الباب الأول من الفصل الثامن في الجزء الثاني إن شاء الله .

1. وقفه مع انتشار عقيدة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية :

يعود ظهور مذهب المرجئة إلى ظهور علماء السلطان عند ظهور الملك وذهاب الخلافة الراشدة حيث بدأ افتراق السلطان والقرآن.

وخلاصة ذلك المعتقد المنحرف أن الإيمان هو التصديق بالقلب والإعلان باللسان بعد أن اخرج أصحاب هذا المذهب العمل من مسمى الإيمان. وقالوا (الإيمان هو التصديق) (ولا يضر مع الإيمان معصية) . ومن (قال لا إله إلا الله حكمنا بإسلامه بصرف النظر عما بلي به بعدها من أقوال أو أفعال). وأبطلوا كل قواعد نواقض الأيمان المفصلة بأدلة القرآن والسنة وأقوال الفقهاء المعتبرين.

روى ابن عساكر من طريق النضر بن شميل قال : دخلت على المأمون فقال : كيف أصبحت يا نضر ؟ قلت بخير يا أمير المؤمنين . فقال : ما الإرجاء ؟ فقلت : دين يوافق الملوك ، يصيبون به من دنياهم ، وينقصون من دينهم . قال : صدقت .

وقد أخذ فقهاء السلاطين بهذا المذهب حتى أطلق العلماء المحققون على مذهب المرجئة فهو دين يعجب الملوك. فهم مسلمون بحسب هذا المذهب ، وأولياء أمور ولهم الطاعة وإن أخذوا مالك وجلدوا ظهرك .. قالت الأمة رضينا .. هم مسلمون وقد اخذوا المال وجلدوا الظهر .. ولكن

فقهاء السلاطين وسعوها عليهم قليلا ؛ لتصبح وإن نهك عرضك ! وإن سفك دمك! وإن صاح بلسان الحال والمقال كما نادى سلفه :

(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ) (الزخرف:51) .

! وإن صرح بعدم صلاحية الشريعة لهذا الزمان! وإن والى أعداء الله ! وإن قاتل وسير الجيوش للقتال بين أيدي اليهود والنصارى لتسفك دماء المسلمين! ..وإن ..وإن..

أليس ولي الأمر يصلي العيدين ؟ ويحتفل بالمولد النبوي؟ أليس يزني بدعوى نكاح المتعة التي قال بها بعضهم ؟ أليس إذا جرد الأحرار والحرائر المسلمات من ثيابهم في المعتقلات وعذبهم له دليل من قول علي رضي الله عنه لرسولة حاطب رضي الله عنه (لتخرجن الكتاب أو لنضعن الثياب)! أليس لولي الأمر أن يقتل ثلث الرعية لتسلم له الثلثين! ..وقد ورد بكل ذلك أدلة بحسب المدلسين من العلماء الدجالين اليوم .. فهذا الدين لفرط يسره قد احتوى مسيلمة !

وهكذا خرج الإمام الجليل الراحل إمام العلماء ابن عثيمين بتطوير لمذهب المرجئة ليقول : (واعجب ما شئت لما قال عن قول تكاد الأرض تنشق منه وتخر الجبال هدا: قال :

(وإذا فرضنا على التقدير البعيد أن ولي الأمر كافر فهل يعني ذلك أن نوغر صدور الناس عليه حتى يحصل التمرد والفوضى والقتال ، لا شك أنه من الخطأ) . ثم استدرك كي لا يظن ظان أنه قصد أولياء الأمور في بلده فهم ولله الحمد حاكموهن بالشريعة. فبين أن قصده ؛ أنه لو كفر ولي أمر في بلاد أخرى فلا يجوز الخروج......).

فرد بقوله هذا صريح القرآن ، وصحيح السنة ، ومعتقد إجماع الأمة ! لسواد عيون آل سعود وأشباههم! ثم تولى الألباني مدرسة أخرى معاصرة في مذهب الإرجاء فقال (الخروج على الحكام في هذا الزمان هو خروج على الإسلام ذاته) ! وشهد عليهم بالإسلام. ثم قام الدجال الذي يسمونه المفتي الأعظم في باكستان (رفيع عثماني) ، ليقول أن الذين يقتلون وهم يدافعون عن أنفسهم ضد غارات الجيش الباكستاني عليهم ، ليسوا شهداء !فرد حكم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن من قتل دون ماله أو عرضه أو نفسه أو مظلمته أو دينه فهو شهيد . وأن الأمريكان وأشكالهم مستأمنون ذميون لا يجوز العدوان عليهم ، ولا في بلادهم ..وسحب من دار الفتوى إباحة سابقة بالعمليات الاستشهادية . وقال نحن لا نكلف بالجهاد إلا إذا دعى إليه ولي الأمر (مشرف ..كما كان الأمر أيام ضياء الحق عندما دعى لجهاد الروس !!! وقال أن من قاتل مع الأمريكان ضد المسلمين يأثم ولا يكفر ، وأن التشريع من دون الله ذنب و لا يخرج من الملة وهو كفر أصغر على اشد الاحتمالات !!) ..إلخ .

وقل مثل ذلك عن أئمة الدعوة وعلوم الدين من المرجئة المعاصرين في هذا الزمان من رحل منهم وأمره إلى الله ومن ما زال حية تسعى... ويلفت النظر في مدرسة الإرجاء السياسي المعاصر. أنها تحملت أن ترجئ وتعذر في تناول الملوك والسلاطين وأعمالهم ولكنها ما تحملت أن ترجئ في أعمال المجاهدين فحكمت عليهم أنهم كلاب أهل النار! ولا يروحون رائحة الجنة! وأنهم يقتلون ويصلبون وتقطع أطرافهم من خلاف وينفوا من الأرض في الدنيا!

كيف يقتلون نصرانيا محتلا جاء بإذن ولي الأمر فصار ذميا مستأمنا ومعاهدا ؟ فجاء المجرمون من الذين يدعون الجهاد فأراقوا دم هذا الصليبي (الطاهر) ! وخفروا ذمة (المرتد) الذي أمّنه ؟!

والأعجب من أمر مدرسة الإرجاء السياسي في الصحوة الإسلامية ملاحظة غريبة! وهي أن أقطابها من غلاة التصوف إلى غلاة من يدعون السلفية. كفروا بعضهم على فهم الأسماء والصفات ومذهب الاشعرية و الماتوريدية والسلفية وأصحاب الحديث ...واختلفوا على ذات الله تبارك وتعالى وأسمائه وصفاته ! ولكنهم اتفقوا- وسبحان مؤلف القلوب - على إسلام الحاكم وأسمائه وصفاته! كما حصل منهم في المغرب و الباكستان وحيثما تواجدت المدرستان... فوسعهم في ملوك الأرض ما لم يسعهم في ملك السموات والأرض ومن فيهن!.

ويبدوا أن الباحث لا يجد مبررا لهذا المذهب إلا أن يبرر لأصحاب الدخول في مكونات الملأ لما اختاروا السياسية والعمل بالديمقراطية . فهم سيدخلون البرلمان (مؤسسة تشرع من دون الله) وسيدخلون الحكومة (مؤسسة تحكم بغير ما انزل الله) .. فكيف يجوز ذلك إن حكموا بكفر الحاكم وهم من طائفته وشركائه وملئه ؟! فما المخرج ؟! إما لا يدخلون ! وإما يحكمون بإسلامه! فاختاروا الأسهل و الأمتع! وحكموا بإسلام مرتد يبارز الله الحرب والعداء . وينازعه أخص خصوصيات الألوهية.

وإليك قصة عشتها بنفسي وهي ذات دلالة! وأوردها على سبيل المثال فقط . و إلا فالشواهد هذه الأيام أكثر من أن تحصر.

لما هاجرت من سوريا إبان انهيار الحركة الجهادية وكنت قد انتسبت للتنظيم الجهادي (الطليعة المقاتلة). آل أمري لأن أكون عضوا في تنظيم الإخوان المسلمين ثم عضوا في قيادة الجهاز العسكري للإخوان سنة 1980. وكنا في بغداد ولم نكن بصفتنا كوادر عسكرية نعلم عما تخطط قياداتنا السياسية. ولكننا فوجئنا بهم يوقفون العمل العسكري ويحلون عمليا أجهزته ويعلنون بدء مرحلة الجهاد السياسي ويعلنون في مارس 1982 (بعد أن تسببوا في دمار حماة وتصفية المجاهدين في عموم سوريا) يعلنون قيام تحالف وطني يضم (الإخوان المسلمين- الجبهة الإسلامية- مجموعة من علماء الصوفية المستقلين – حزب البعث اليميني التابع للعراق برعاية صدام آنذاك – الأحزاب

العلمانية الفرعية) من أجل مواجهة حزب البعث اليساري النصيري في سوريا. وكتبوا لذلك ميثاقا (إسلاميا علمانيا) على قدر هوية من شكل التحالف.. ثم وُسع (التحالف الوطني لتحرير سوريا) ليدخل فيه (رفعت الأسد) النصيري أخو حافظ أسد! رفعت ! الذي كان يتولى المجازر والمقابر الجماعية للإخوان المسلمين وغيرهم من المسلمين! لأنه صار معارضا للنظام الذي يقوده أخوه ! في صراعه على السلطة معه . وتبع هذا التوجه منهاج فكري جديد وفقه جديد كان على جهاز التربية في الإخوان أن يلقنه للمجاهدين. وكتب الشيخ(منير الغضبان) من الإخوان المسلمين في سوريا، (وقد رجع عما كتب في كتابات تالية - سامحه الله-) كتب كتاب (التحالف السياسي في الإسلام) وتولى مع الشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غده ، وعلماء الإخوان السوريين مهمة طرح فقه جديد يناسب المرحلة حيث تشوه فيه الاستنباطات من معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم. حتى صارحني أحد كبار المربين في الإخوان حينها بقوله (عندي أزمة ! كيف أدرس الشباب هذه الكتب التي توفق بيننا وبين العلمانيين وأشرح لهم ميثاق التحالف الوطني ثم أدرسم كتاب معالم في الطريق لسيد قطب؟!)

ولمن أراد الاستزادة والتفاصيل عن هذه القضية أن يعود إلى كتابي (الثورة الجهادية في سوريا - آلام وآمال) المنشور سنة 1990.

وفي نفس الفترة روى لي أحد الموجهين في الإخوان المسلمين الأردنيين في عمان سنة 1989 . أنه لما قرر الإخوان الأردنيون دخول البرلمان الأردني والوزارات أي السلطتين التشريعية والتنفيذية عند (جلالة) الملك حسين(المعظم) كما يردد راديو عمان !قال لي أخونا: (إسمع هذه الأعجوبة :

لحقت بتنظيم الإخوان مطلع السبعينيات. فطُلب إلي أن اعتقد كفر الملك حسين لأنه يحكم بغير ما أنزل الله . وكان كتابنا الأساسي (معالم في الطريق). وكنت قد قرأت شيئا من كتب التفسير فقرأت قول بعض التابعين عن ذلك (كفر دون كفر) وظننت أن حسين مسلم وليس كافرا، وإن كان ظالما فاسقا. فتعرضت بعد ما بحت بعلومي عن إسلام الحاكم الظالم تعرضت لمحكمة إخوانية أمهلني فيها التنظيم مدة لأعتقد كفر الملك حسين أو أفصل من التنظيم! وجُمدت عضويتي خلالها . فنظرت في الأمر وهداني الله لما هداهم إليه وأعلنت كفر الملك حسين وعدت عضوا في التنظيم . وصرت موجها فيه بعد سنين أدرس الشباب أدلة كفر الملك حسين من معالم في الطريق وغيره . وفي هذه السنة (1989-1990) أي بعد ما يقرب من عشرين عاما على تلك الحادثة ، دخل الإخوان الأردنيون البرلمان و دخل بعضهم الوزارة. وكتب الإخوان رسائل فقهية تشهد بإسلام حسين وجواز دخول البرلمان ، وأجاز بعضهم تولي الوزارة ولم يجز البرلمان . على مذهب سيدنا يوسف في العمل عند الفرعون وزير خزانة ! وذهب بعضهم للعكس وأجاز فريق ثالث الأمرين. ولكنهم اتفقوا مجددا على إسلام حسين حتى يحلوا مشكلة دخول السلطة).

يتابع صاحبي: (ولكنني كنت قد امتلأت قناعة على مدى عشرين سنة في الإخوان المسلمين بمسألة كفر الملك حسين ودرستُها ودرّستها، فكيف أُأَسلمه الآن بمجرد بيان من التنظيم؟! فثبتُ على موقفي. وتعرضت لمحاكمة تنظيمية جديدة أُعطيت خلالها مهلة للاقتناع بإسلام الملك حسين و إلا فصلت من التنظيم!! وجُمدت خلال هذه المدة عن العضوية !) فقلت فماذا فعلت؟ فقال: (قررت فصل التنظيم من عضويتي!! وقررت تجميدهم عن كونهم إخوان مسلمين . هؤلاء لا يمكن أن يكونوا لي إخواننا ، وما أدري ماذا بقي لهم كمسلمين؟!.)

وهكذا دخلت قواعد الإرجاء على الصحوة الإسلامية ليتبعوا سنة أصحاب النسيئة يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله !!.

هذا هو التفسير الوحيد لظاهرة الإرجاء السياسي. أهواء السياسة وفن الممكن. وضريبة التسكع على أبواب السلاطين وتصديق حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(ومن أتى أبواب السلاطين افتتن) (وما ازداد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا)

. هي الحقيقة بكل بساطة لقد افتتن المرجئة السياسيون في أبواب السلاطين وبعدوا كثيرا عن أصول شريعة الله. ولغة العرب واضحة : (**افتتنْ**) من (فتن) (يفتن) فهو (فتّان) و (مفتون) ...

وأما السبب الثاني، أو التفسير الثاني لظاهرة الإرجاء السياسي فهو سياط الجلاد في السجون وسياسة جلسات (الموزة) وكهرباء(السند ريلا) آنفة الذكر. وتفضيل الإنتماء لتيار الإرجاء عن الدخول في تيار شدته 220 فولت !!

وأما ثالث التفسيرات.. فهو الشيطان و تلبيساته. وهكذا ، وبين تلبيس إبليس، وسياط جلاد خسيس ، ومكاسب كرسي في البرلمان التعيس، ولد هذا الفقه الخبيث . وجلس فقهاء السلاطين والدعاة المنحرفون داخل مؤسسات السلطة.

فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وغني عن القول أن هناك إرجاء من نوع آخر هو إرجاء العلماء المنافقين الذين كتموا ما أنزل الله عن علم . وباعوا شريعة الله وبدلوها عن فهم . بسبب بريق ذهب السلطان والطمع في قوله :

﴿ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذاً لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ **(الشعراء:42)** .

وهذا إرجاء بين في طبيعته وأسبابه لا يحتاج إلى نقاش. فقد عرفنا على أصحابه كتاب ربنا عندما قال تعالى:

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحل أسفارا **..**﴾ ... عندما زاد في بيان أحوالهم بقوله :

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (الأعراف 175-176) .

الفصل السادس
مسار التيار الجهادي وتجاربه
(1960-2001)م

قال الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾

(العنكبوت:69)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ فطوبى للغرباء).

وقال صلى الله غليه وسلم :

(لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين على من ناوأهم حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال).

وأخبر عن ثباتهم صلى الله عليه وسلم فقال :

(لا تزال أمة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم ظاهرون على الناس)..

الفصل السادس: مسار التيار الجهادي وتجاربه (1960-2001)م

أولاً : تعريف التيار الجهادي وتصنيفه:

ابتدءا أقول: إن الأصل المتفق عليه كتعريف عام، ينص على أن الجهاد في سبيل الله هو: الجهد المبذول لتكون كلمة الله هي العليا. وهو يعني بإطلاقه القتال في سبيل الله وبذل النفس والمال في سبيل نصرة دين الله والدفاع عن المسلمين،دينهم ودمهم وعرضهم ومالهم وأرضهم.. وعليه فالقائم بهذا العمل ابتغاء وجه الله ولتكون كلمة الله هي العليا هو المجاهد في سبيل الله. وإذا اجتمع الرهط أو الجماعة من المسلمين على ذلك فهم (مجاهدون في سبيل الله).

ولكن هذا الفصل يختص بنوع خاص من هؤلاء(المجاهدين)، يحتاج أصحابه مصطلحا وتعريفا محددا يجمعهم وينسحب على مدارسهم وتجمعاتهم المتعددة، أو حتى على علمائهم وكوادرهم وأفرادهم.. وهو ما اصطلح عليه بمسمى (التيار الجهادي). وقد كنت في محاضرات وتسجيلات سابقة قد وسعت ما يشمله المصطلح عندما وصلت إلى هذا الفصل، ولاسيما في مجموعة المحاضرات المعنونة باسم (الجهاد هو الحل لماذا وكيف) وكذلك في محاضرات أشرطة الفيديو وهي من آخر إنتاجي وكانت بعنوان هذا الكتاب. فقلت فيها: أن التيار الجهادي

(**هو مصطلح شامل لكل من حمل السلاح فردا أو جماعة أو تنظيما يجاهد أعداء الإسلام تحت شعار لا إله إلا الله محمد رسول الله**) وقلت في حينها أن هذا التعريف يترك جانبا مسألة المناهج والأساليب والأهداف المحدودة ويتجاوز تقيمها. وقلت أن التيار الجهادي مرحلة و ظاهرة انبثقت عن الصحوة الإسلامية خلال القرن المنصرم.

ولما عدت لما كتبته أو قلته في دروسي تحت هذا التعريف المتوسع، وجدت أن التيار الجهادي الذي تناولت مساره في تلك المحاضرات- وأتناوله هنا- لا ينسحب على كل من يندرج تحت ذلك التعريف العريض (الذي يشمل كل مجاهد في سبيل الله) والذي يشكل مجموع جماعاتهم وأفرادهم وهو. ما يمكن أن يسمى بـ (الظاهرة الجهادية المسلحة). ولذلك أعيد صياغة التعريف بشكل أدق هنا فأقول:

التيار الجهادي:

ويشمل على التنظيمات والجماعات والتجمعات والعلماء والمفكرين والرموز والأفراد الذين تبنوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم العربي و الإسلامي. باعتبارها تمثل أنظمة حكم مرتدة. بسبب حكمها بغير ما أنزل الله ، وتشريعها من دون الله ، وولائها لأعداء الأمة من قوى الكفر المختلفة ، كما تبنوا منهاج الجهاد المسلح ضد القوى الاستعمارية الهاجمة على بلاد المسلمين معتبرين تلك الأنظمة التي أسقطوا شرعيتها وخرجوا عليها حلفاء محاربين للإسلام والمسلمين.

ورغم أن جماعات وأفراد التيار الجهادي يشتركون مع غيرهم من مكونات(الظاهرة الجهادية) في مبدأ الجهاد المسلح ضد الأعداء الخارجيين المعتدين على أهل الإسلام وبلادهم ومقدساتهم مع الجماعات والأفراد الذين تصدوا لجهاد هؤلاء الأعداء كما في فلسطين و الشيشان و البوسنة وكشمير والفلبين و إرتريا وغيرها.. إلا أنهم تميزوا بالفكر المنطلق من مبادئ الحاكمية والمفاصلة مع أنظمة الجاهلية، وبمبادئ الولاء و البراء و موقف المؤمنين من الطاغوت وأوليائه.. إلى غير ذلك مما سنعرض له من تفاصيل منهجية.

ولذلك سأصطلح على الفريق الثاني من الممارسين للجهاد ضد الكفار الأصليين من اليهود والنصارى والوثنين وغيرهم من أعداء المسلمين باسم (الجماعات المجاهدة). وهذه مصطلحات تصنيف وتقسيم دراسي، وليس تقسيم عقدي أو منهج تقييم.

فالأصل العقدي كما قدمت، هو أن المجاهد في سبيل الله ؛ من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا. كما قرر ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما صح واشتهر من أحاديث السنة : روى أبو موسى الأشعري أن رجلا أعرابيا أتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله ، الرجل يقاتل للمغنم ، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه ، فمن في سبيل الله؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

(**من قاتل لتكون كلمة الله أعلى فهو في سبيل الله**) (رواه مسلم).

وقد أذكر المصطلح باختصار في ثنايا البحث بقولي (الجهاديين) إشارة إلى المنتمين للتيار الجهادي - وقد اشتهر هذا المصطلح - وبقولي (المجاهدين) إلى أفراد الصنف الآخر. ولا يغيب عن الذهن أيضا أن هذا التصنيف هو بحكم الغالب في المجموع، فقد يحتوي التيار الجهادي من لا يحمل تفاصيل فكره ومنهجه وهذا قليل. وقد يحمل فكر التيار الجهادي أفراد من جماعات مجاهدة للكفار الأصليين من المستعمرين والأعداء الخارجيين وهذا كثير، ولاسيما في الجماعات المجاهدة التي انبثقت عن أصول جماعات الإخوان المسلمين أو جماعات التيار السلفي .. ولكن

توجه تلك الجماعات كان للأعداء الخارجيين ولم تتبن منهجا معلنا في ذلك لأسباب حركيه وسياسية.. في الغالب، أو لأسباب منهجيه أحيانا.

إذن أعود بعد هذا التفصيل لاختصار التعريف فأقول:

(الجهاديون) أو(التيار الجهادي) هم الجماعات أو الأفراد الذين حملوا فكرة الجهاد المسلح ضد الحكومات القائمة في بلاد العالم الإسلامي، أو ضد الأعداء الخارجيين، وحملوا فكرا محددا يقوم على مبادئ الحاكمية وقواعد الولاء و البراء وأساسيات الفكر الجهادي السياسي الشرعي المعاصر كما هو مفصل ومعروف في أدبياتهم.

وإذا أردنا أن نقوم بعملية تصنيف للجماعات والأفراد الذين مارسوا الجهاد المسلح خلال النصف الثاني من القرن العشرين وإلى اليوم والذين يشكلون بمعظمهم ما أصطلح عليه باسم(الظاهرة الجهادية المسلحة) تصنيفا عموميا لأخذ فكرة أكثر تحديدا عن فحوى التعريف السابق نجد أن بالإمكان إجراء نوعين من التصنيف:

الأول: وفق مجالات جهادها والعدو الذي استهدفته.

والثاني: وفق مناهجها في التفكير و الاعتقاد والمنهج السياسي الشرعي.

ولكن قبل ذلك يجب أن نلفت النظر إلى التفريق الهام بين الجماعات المجاهدة أو الجهادية، وبين تلك التنظيمات التي تحمل السلاح تجاه مختلف أشكال أعداء الأمة، ولكن ليس جهادا في سبيل الله وليس لإعلاء كلمة الله، أو أداء لفريضة الجهاد بقصد الواجب الديني كعبادة .. وإنما لدوافع مختلفة قد تكون (وطنية تحررية)، أو لدوافع (سياسية) ضد حكومات دكتاتورية، من أجل تبديل النظام اللاديني القائم، وإقامة نظام لا ديني آخر يقوم على مبادئ القومية أو الوطنية أو الديمقراطية أو الاشتراكية أو الشيوعية.. أو سوى ذلك من المذاهب السياسية والفكرية العلمانية المعاصرة..

فهذه الأخيرة منظمات نضالية أو كفاحية وليست مجاهدة ولا جهادية. و قد يكون حمل السلاح لأسباب من الرجولة والحمية أو شجاعة أو رياء ومفاخرة.... إلى أخره. ولا يعتبر عملها الذي قد يكون محمودا من وجهة النظر الوطنية أو التحريرية أو النضالية.. ولكنه ليس عبادة يثاب فاعلها عليها، ولا أجر له في الآخرة، وليس قتله شهادة في سبيل الله، وإنما هجرته وقتله إلى ما هاجر إليه بحسب نيته . بل قد يكون آثما أو مرتدا بحسب الأهداف التي قاتل من أجلها .. فالجهاد ؛ هو ما كان في سبيل الله ولإعلاء كلمة الله، والشهيد كما عرفه رسول الله صلى الله عليه وسلم هو من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله .

وأما المجاهدون الذين يشكلون أفراد الظاهرة الجهادية. فهم الذين يقومون بالقتال في سبيل الله تعبدا لله، وأداء لفريضة افترضها الله على المسلمين في أحوال محددة. فيقومون بالجهاد كفعل ديني عبادي. وهذا أمر يجب أن يكون واضحا. وأما تصنيف أنوع المجاهدين اليوم فعلى الشكل التالي بناء على ما أسلفت، مما يساعد على تعريف التيار الجهادي وتميزه عن غيره من مكونات (الظاهرة الجهادية المسلحة المعاصرة) عموما.

ثانياً: تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية:

تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مجالات جهادها والأعداء الذين جاهدهم:

1. **التيار الجهادي: أو(الجماعات أو التنظيمات الجهادية) : أو(الجهاديين) :**

وهي الجماعات الأفراد الذين تبنوا فكرة جهاد الحكومات الطاغوتية المرتدة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي، من أجل إسقاطها وإقامة حكم شريعة الله على أنقاضها. أو دفعا لظلمها الواقع على المسلمين، بناء على فكر جهادي سياسي شرعي محدد سيأتي بيانه إن شاء الله.

وقد يشارك أفراد هذه المنظمات والجماعات بشكل جماعي أو فردي، في أنواع أخرى من الجهاد كدفع الصائل وجهاد الأعداء الخارجيين كما في أفغانستان والبوسنة و الشيشان وسواها. ولكن أساس نشأتها وأهدافها جعلها بشكل عام منظمات؛ (سرية الحركة) (قطرية الأهداف) (هرمية البناء التنظيمي). يرتبط أفرادها بقيادة وأمير عبر بيعة على الجهاد والعمل لتحقيق تلك الأهداف.

2. **الجماعات أو التنظيمات المجاهدة :**

وهي المنظمات والجماعات التي تخصصت في جهاد الأعداء الصائلين على بلاد المسلمين وخاصة اليهود(كما في فلسطين)، أو الصليبيين المحتلين كالأمريكان (كما في جزيرة العرب والعراق وغيرها حاليا) أو الغربيين عموما، أو الملحدين كما الروس أو الصين، أو الوثنيين كما في الشيشان والبوسنة والهند وكشمير وجنوب شرق آسيا... أو أي نوع من الأعداء الخارجيين.

وكثيرا ما تأخذ هذه المنظمات شكل حركات تحرير وطنية، ولكن على أساس إسلامي وجهادي كما أسلفنا، وبهدف تحرير تلك البلاد، ثم إخضاعها للحكم الإسلامي، أو دفاعا عن الدين والأرض والعرض والنفس والمال.. كعبادة وفريضة شرعية.

3. **الجماعات والأفراد المجاهدين من أجل تغير المنكر بالسلاح أو لدفع المظالم:**

وغالب هذه الظاهرة يقوم على الجهاد الفردي والمبادرات الشخصية، وغالبا ما لا يكون لها جماعات محددة أو أمير، وإنما أفراد أو شراذم صغيرة تقوم بأعمال جهادية مسلحة بنية الاحتساب والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أداء لفريضة عبا دية وبناء على تصورات ودوافع دينية، لإزالة منكر هنا أوهناك، كتدمير مواقع الخمر أو الزنا أو المجون والفساد، أو اغتيالا لرأس من رؤوس الكفر أو الظلم أو العدوان على المسلمين ، أو على دينهم وشعائرهم ومقدساتهم، أو لإزالة أي مظهر من المظاهر التي يعتبرونها منكرة دينيا يجب إزالتها باليد بعد أن استحال ذلك باللسان والقلب ..

ولست هنا بصدد تقيم الصواب أو الخطأ أو الجدوى من هذه الأعمال، وهل حققت الهدف من إزالة المنكر، أم أدت إلى مناكير أكبر.. ولكني أذكر هذا الصنف هنا نوع من أنواع المجاهدين الذين قاموا بذلك كعبادة وأداء لواجب ديني، وهذا أصل نيتهم.

- **<u>تصنيف مكونات الظاهرة الجهادية بحسب مناهجها في التفكير والسياسة الشرعية:</u>**

وتنقسم بصورة رئيسية إلى نوعين رئيسيين:

1. **<u>جماعات منهجية:</u>**

وهي التي لها منهج فكري سياسي شرعي محدد ومفصل، وموقف شرعي من عموم المسائل السياسية الشرعية أو العقدية والفكرية عموما.

2. **<u>جماعات غير منهجية:</u>**

وهي الجماعات التي اجتمع أفرادها على أداء فريضة الجهاد لهدف من الأهداف المشروعة شرعا، كدفع الصائل أو إزالة المنكر أو دفع المظالم أو قتال حكومة أو سوى ذلك، و على حمل السلاح من دون أن يكون لها منهج سياسي شرعي مفصل يحدد الموقف من المسائل السياسية وغيرها.

<u>وتنقسم الجماعات الجهادية المنهجية إلى ثلاث أقسام رئيسية:</u>

1. **الجماعات الجهادية الحركية:**

ومعظمها انبثقت عن الصحوة الإسلامية مطلع الستينيات، وحملت مؤثرات فكر الإخوان المسلمين بالإضافة للفكر الذي قام على أسس الولاء و البراء و الحاكمية، والذي كان من أوائل وأعظم منظريه الشهيد سيد قطب في مصر، و الأستاذ أبو الأعلى المودودي في باكستان.

2. **الجماعات الجهادية السلفية:**

وهي الجماعات الجهادية التي ضمت إلى الفكر السابق، الاعتماد على عقائد السلف وفق فتاوى الإمام ابن تيمية وأمثاله من أقطاب المدرسة السلفية، واعتمدت فقه الدعوة النجدية وأفكار الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله، وأفكار من سار على هذا المنهج ممن جاء بعدهم.

3. **الجماعات المجاهدة الإصلاحية والتربوية (الصوفية الجهادية – جماعات العلماء الجهادية...):**

وهي الجماعات التي قامت على أسس تربوية ومنهجية علمية أو مذهبية أو طرقية وتكون لها كيان تنظيمي وارتبط أعضائها ببيعة إلى رئيسهم أو شيخهم أو قائدهم .. ثم حملت السلاح للجهاد ضد الأعداء الخارجيين غالبا، أو في مسائل داخلية أحيانا.

<u>كما تنقسم الجماعات الجهادية غير المنهجية إلى قسمين:</u>

1. **جماعات مجاهدة منظمة :**

وهي الجماعات التي يرتبط أفرادها ببيعة وأمير وقيادة. وتقوم لها هياكل إدارية تنظيمية. و يربط أفرادها القضية الجهادية التي اجتمعوا عليها، كدفع الصائل أو إزالة أي منكر من المنكرات، أو التصدي لأي شكل من أشكال أعداء الإسلام والمسلمين. ولكن من دون أن يكون لهم منهج فكري محدد للاعتقاد والتربية..

2. **كتل وأفراد وتجمعات مجاهدة غير منظمة:**

وهي محاولات الأفراد أو الكتل الصغيرة والشراذم المجاهدة التي قام أعضاؤها هنا وهناك بأعمال جهادية مشروعة، ولكن دون أن يكون لواحدهم أو مجموعهم فكر محدد ولا منهج اعتقاد وتربية، أو رابط يربط بين أعضائهم.

وهذا الفصل الذي نحن بصدده يركز على دراسة بعض ملامح وتجارب التيار الجهادي المسلح بشكل محدد. وهو أبرز وأهم مكونات الظاهرة الجهادية المسلحة. وأكثرها أثرا بل يشكل أساس الظاهرة، والجانب الأهم فيها من حيث الحجم والأثر ومستقبل المواجهة بيننا وبين أعدائنا والله أعلم.

ثالثاً: نشأة التيار الجهادي المعاصر ومراحل تطوره فكريا وحركيا (1960-2001):

يعتبر ميلاد جماعات وتنظيمات التيار الجهادي نتاجا طبيعيا للتطورات السياسية لمرحلة ما بعد الإستقلال(الشكلي) عن الإحتلال في بلاد العالم العربي والإسلامي. كما يعتبر تطورا مرحليا طبيعيا وإفرازا تلقائيا للصحوة الإسلامية المعاصرة ، التي كانت قد انطلقت منذ سقوط الخلافة تقريبا أي مطلع الثلاثينيات. أي قبل ميلاد التيار الجهادي بنحو ثلاثة عقود على الأقل. بحسب حداثة أو قدم ميلاد الصحوة الإسلامية وأحوال كل بلد وظروف احتلاله وأوضاعه السياسية عموما...

فكما مر معنا في الفصلين السابقين. فقد تولى الإستعمار الحديث للبلاد العربية والإسلامية تحطيم مقومات المقاومة والنهضة في الأمة بعد إسقاط الخلافة، وتمكن من تحطيم مقومات المرجعيات السياسية والدينية والاجتماعية في غالب بلاد العالم العربي والإسلامي. وأدت النقلة النوعية في أسلوب الإستعمار، من الإستعمار القديم أو(العسكري المباشر) لبلاد المسلمين إلى أسلوب الإستعمار الحديث (الاقتصادي والسياسي والثقافي)، وتنصيبه لحكومات الردة من أجيال العلمانية أومن التجمعات الخائنة العميلة) نائبة عنه في تحقيق أهدافه...

و أدى ذالك إلى خروج الأمة من ميدان الصدام لخفاء دور المستعمر الخارجي وتولي الحكومات (الوطنية) المحلية للحكم ...وبحكم طبائع الأشياء كان لا بد لتلك الحكومات من أن تصطدم مع مختلف مكونات الصحوة الإسلامية التي قامت أساسا من أجل العودة بالمسلمين بشكل أو بآخر- بحسب كل مدرسة واتجاهاتها ومناهجها- إلى الحياة بناء على تعاليم دينهم والحكم بشريعتهم.

فقد قامت حكومات الإستقلال كلها بلا استثناء في بلاد العالم العربي والإسلامي، على أسس علمانية تفصل الدين عن الدولة. وحكمت جميعها بغير ما أنزل الله، وتولى المارقون من أبنائها مهمة التشريع من دون الله، كما تولوا مهمة العمالة والولاء لأعداء الأمة وخدمة أهدافهم جهارا. هذا بالإضافة إلى ما تحلت به كل تلك الحكومات بلا استثناء من مواصفات الظلم والقهر والاستبداد ومختلف أشكال الفساد الإداري والسلوكي وغير ذلك ..

وزرع الإستعمار الكيان الصهيوني في قلب العالم الإسلامي في فلسطين، وقامت دولة إسرائيل عام 1947 رسميا على معظم أرض فلسطين، ثم أتمت إسرائيل احتلالها بالإضافة إلى أجزاء من مصر وسوريا والأردن ولبنان سنة 1967.

وشكلت قضية فلسطين عبئا ضخما في وجدان العالم العربي والإسلامي.. ورسخ الإستعمار الغربي احتلاله الاقتصادي للعالم العربي والإسلامي واستنزف خيراته... ودعم وحفظ الحكومات الديكتاتورية التي أنشأها فيه.

وهكذا وجدت قواعد الصحوة الإسلامية وقياداتها نفسها أمام هذا الواقع المؤلم الغريب الذي عقب مرحلة الإستعمار ... وتعددت المذاهب والآراء داخل أوساط الصحوة ذاتها لمعالجة هذا الواقع مما أدى لتمايز مدارسها واتجاهاتها كما رأينا في الفصل الخامس.

ففي حين رأى بعضهم بأن الحل يكمن في التربية والإصلاح واعتزال السياسة ... رأى آخرون الحل والإصلاح في اقتحام ميادينها من البوابة المشروعة (قانونا)، من خلال ما تتيحه تلك الحكومات .. رأى الفريق الثالث (والذي نحن بصدده في هذا الفصل) أن الخرق قد اتسع على الراقع، وأنه لا بد من حمل السلاح لعلاج هذه الأوضاع ..لاسيما بعدما أثبتت تلك الحكومات وأجهزتها القمعية، أنها جاهزة لتقليم أظافر الصحوة دائما عبر تصفية قياداتها باغتيال زعمائها أو زجهم في السجون لعشرات السنين، ومطاردة أتباعهم وتضييق كل سبل الدعوة إلى الله حتى السلمية منها .. وهنا .. بدأت تتبلور الأفكار الأولى لميلاد التيار الجهادي المعاصر .. نهاية الخمسينيات ومطلع الستينيات من القرن المنصرم..

كانت حركة الإخوان المسلمين (بصورة رئيسية) المحضن الطبيعي الذي يمكن أن تولد فيه مثل هذه الأفكار وتنتشر. فقد كونت دعوة حسن البنا رحمه الله مناخا مناسبا لهذه التطورات. ولا أدل على ذلك من شعارها الذي اختصر منهجها (الله غايتنا. الرسول قدوتنا. القرآن دستورنا. الجهاد سبيلنا. الموت في سبيل الله أسمى أمانينا)، رغم أن فكرها وممارساتها قد حمل كثيرا من الاختلاط الفكري والمنهجي، من مؤثرات صوفية وسلفية ووطنية وديمقراطية وسوى ذلك. كما شكلت ممارساتها الجهادية المبدئية دليلا آخر على صلاحية أن تكون محضنا لميلاد التيار والفكر الجهادي في رحمها.

فقد شارك قيادات وشباب الإخوان المسلمون في مصر وسوريا في حرب فلسطين سنة 1947-1948. وشكل حسن البنا جهازه السري الخاص، وهو الجهاز العسكري للجماعة لأهداف جهادية، وقد قام أعضاء هذا الجهاز بعد اغتيال حسن البنا رحمه الله سنة 1949 بقيادة وإدارة المقاومة السرية في قناة السويس وما حولها مطلع الخمسينيات. وشارك الجهاز في دعم حركة عبد الناصر والضباط الأحرار بالإطاحة بالملك فاروق. ولكن هذا الهالك كان قد رتب مع أعداء هذه الأمة برنامجه الذي تضمن تصفية الحركة الإسلامية في مصر وطليعتها حركة الإخوان المسلمين.

فقام بسجن قيادتهم و الآلاف من قواعدهم سنة 1954 ووسع حملته عليهم وأعدم بعضهم سنة 1965 وكان من بينهم خيرة مفكريها وعناصرها القيادية، هذا في مصر، أما في سوريا وهي المحضن الهام الآخر لحركة الإخوان المسلمين .. فقد عصفت الانقلابات العسكرية بحكومات الإستقلال الوطنية الديمقراطية التي توالت منذ 1946. ومنذ 1954 توالت الانقلابات التي رعتها المخابرات الأمريكية وتجاربها في سوريا، إلى أن تم تجهيز الأجواء لحزب البعث العربي الاشتراكي

ليقوم بانقلابه سنة 1963. وكان على أولى أولوياته تصفية الصحوة الإسلامية مـن الإخـوان وغـيرهم، ومحاربة الإسلام بكل مكوناته .. وشكلت مصر وسـوريا المحضـن المبكـر لمـيلاد وتبلـور فكـر الجهـاد ونظريات عمله، وتكـررت هـذه الصـورة في مختلـف بلـدان العـالم العـربي والإسـلامي.وعملت تلـك التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية وحملات التغريب والعلمنة التـي قامـت بهـا الحكومـات المختلفة على طرح مسائل هامة على فكر الصحوة الإسلامية ومنهجها..

ففي الباكستان وخلال الخمسينيات شكلت كتابات الأستاذ العبقري الفذ أبو الأعلى المـودودي رحمه الله مادة أساسية لتبلور فكر الجهاد .. فقد انتقـد رحمـه اللـه الحالـة البليـدة التـي تعيشـها الأوساط الدينية التقليدية في باكستان .. وطرح عـبر كتبـه ومقالاتـه وجريـدة حركتـه التـي أسسـها باسـم(الجماعة الإسـلامية في باكسـتان) كثـيرا مـن أهـم المسـائل السياسـية الشرـعية، وعـرض واقـع المسلمين المعاصر من خلالها.. وكتب عن مقتضيات شـهادة التوحيـد ..وعـن أسـس الـولاء والـبراء .. وعرف الجهاد وأغراضه وأهدافه ..وكتـب حـول مـيلاد الدولـة الإسـلامية ومميزاتهـا وعـن دسـتورها ومواصفاتها والطريق لإقامتها. وأشتمل أحد أهم كتبه وهـو (المصـطلحات الأربعـة) عـلى كثـير مـن أساسيات الفكر الجهادي المعاصر..

ولكن رائد الفكر الجهادي في العصر الحديث بـلا منـازع والـذي يعـود لأفكـاره مـيلاد مـنهج التفكير ونظريات الحركة في (التيار الجهادي المعاصر) كـان بـلا شـك الأسـتاذ الشـهيد المعلـم (سـيد قطب) رحمه الله. الذي ابتدأ حياته أديبا شاعرا و باحثا ناقـدا لا معـا. وعـاش نضـوج الفكـر خـلال الحقبة الصاخبة الحرجة من تاريخ مصر المعاصر خلال الأربعينات والخمسينات والسـتينات، وهـي زوال الملكية وثورة الضـباط الأحـرار. واحـتلال فلسـطين والعـدوان عـلى مصرـ ..واحتـك عـن قـرب بالإخوان المسلمين وتأثر بحركتهم. وكان لرحلته الدراسية إلى أمريكـا أثـر بـالغ في اكتشـافه لطبيعـة الحملة الصليبية المعاصرة على العالم العربي والإسلامي، بالإضافة لما حبـاه اللـه مـن بصـيرة نافـذة .. وقلم أخاذ وروح شفافة .. وقد شكلت أجواء السجن الذي زجه فيه عبـد النـاصر مـع أكـثر قيـادات الإخوان المسلمين منذ مطلع الخمسينيات وإلى أواسط الستينيات .. المحـيط العـام الـذي خـط فيـه كتاباته الرائعة التي تعد بحق الأساس الفكري والمنهجـي للتيـار الجهـادي المعـاصر في العـالم العـربي والإسلامي .. فقد ضم كتابه الفريد(في ظلال القرآن) وهو تفسير حركي لآيات القرآن الكـريم في ضـوء ما نقله المفسرون من الآثار، خلاصة النظريات الحركية للفكـر الجهـادي المعـاصر، وخلاصـة مـا أراد سيد طرحه من مفاهيم. وكان كتابه (معالم في الطريق) هو الأهم على صغر حجمه، وحوى خلاصـة ذلك الفكر و طروحاته الجهادية الانقلابية الثورية. وكونت مكتبته الواسعة من الكتب الاخـرى مـن مثل كتاب(خصائص التصور الإسلامي) و(هذا الدين) و(جاهليـة القـرن العشرـين) وغـيره .. منهجـا متكاملا لفكر جهادي حركي معاصر يناسب تلك المرحلة .

كان فكر سيد رحمه الله نقلة نوعية في المسار الفكري للصحوة الإسلامية عموما وللإخوان المسلمين خصوصا. وكان على الحركة (الأم) كما أسموها أن تحدد موقفها من هذه الطروحات..

ووقفت القيادة التقليدية للإخوان في مصر من سيد وأفكاره موقفا رافضا مناوئا .. فقد كانت نظرياته في الحاكمية والولاء والبراء، والمفاصلة مع الجاهلية والتمايز في الهوية والمنهج.. مفرقا هاما كان على الإخوان أن يقرروا السير معه نحو التطور، أو الافتراق عنه في ردة فعل تحيد بهم حتى عن ثوابت أساسية كان عليها المنهج عندهم.

واختار الإخوان الطريق الثاني تجنبا للصدام مع السلطة وبدت آثار السجن والقمع والسياط جلية في ملامحهم الفكرية الجديدة. فقد كتب المرشد العام حسن الهضيبي رحمه الله كتابه الشهير (دعاة لا قضاة) ردا على كتاب (معالم في الطريق) وما حمله (في ظلال القرآن)، من أفكار المواجهة والصدام مع الجاهلية التي يجسدها النظام السياسي القائم، وما يفرض على المجتمعات من تحول .. وهنا افترقت حركة الإخوان المسلمين والصحوة السياسية المعاصرة إلى مدرستين متمايزتين متناقضتين .. فجسد كتاب (المعالم) وفكر سيد عموما، فكر الحاكمية والتمايز والمفاصلة، وبالتالي الحكم بالكفر والردة على أنظمة الحكم القائمة والدعوة الصريحة لجهادها ورسم معالم طريق هذا الجهاد..

وشكل كتاب (دعاة لا قضاة) كما يدل عنوانه المعبر، منهج الإخوان الجديد وبداية مسار التراجع الذي ابتدؤوه من حينها، وكانت خلاصة نظريته أن رواد الصحوة الإسلامية عبارة عن دعاة إلى الإسلام والإصلاح، وليسوا قضاة على الحكام والناس وما هم فيه من أحوال، حتى يحكموا بانتمائهم للإسلام أو خروجهم عنه. وشكل هذا الكتاب أحد أهم مرتكزات الإرجاء السياسي المعاصر في الحركة الإسلامية الناهضة،حيث شملت شهادته بالإسلام السلطات المرتدة الكافرة وأركانها في مصر وغيرها.

وكان هذين الكتابين و هذين الفكرين بداية لتشكيل المدرستين الرئيسيتين في الصحوة الإسلامية، وهما المدرسة السياسية، والمدرسة الجهادية. وأدى هذا الجو الفكري - كما بينا آنفا-إلى ولادة المدرسة الشاذة للتكفير في سجون مصر أيضا على هامش تلك الصراعات الفكرية وقد سبق بيانه.

ولست هنا بصدد استعراض المسار الفكري للصحوة السياسية. وأعود للسير مع التيار الجهادي وبداية ميلاد مناهجه وتنظيماته..

فرغم أهمية كتابات سيد وأولويتها في توليد الهوية الفكرية للتيار الجهادي، إلا أن كتابات هامة أخرى قد برزت في تلك المرحلة في مصر أيضا، يأتي في طليعتها كتابات الأستاذ القانوني الشهيد عبد القادر عوده رحمه الله، الذي أعدمه عبد الناصر، وكذلك كتابات الشيخ المحدث أحمد شاكر رحمه الله وغيرهم ... ، وقد حاول سيد قطب رحمه الله وضع أفكاره موضع التنفيذ، وحاول

تشكيل أول تنظيم جهادي سري يحمل تلك الأفكار، مـن لفيـف مـن الشـباب المجاهـد الـذين كـان معظمهم أعضاء في الإخوان المسلمين، إلا أن تجربته الغضة تلك سرعان ما أجهضت وأعـدم بتهمتهـا رحمه الله. ليتحقق له قول رائع ورؤيا صالحة بالغة الدلالة كان قد رآها في سجنه. فقد روى بعـض معاصريه في السجن أنه رأى في منامه قبيل إعدامه، دُرج طاولته التـي يكتـب عليهـا والـذي يحـوي الأوراق التي خط عليها أفكاره ... ينفتح وتأتي العصافير فتحمل الأوراق وتطـير بهـا في كـل اتجـاه ... فأولها، انتشار فكره في أنحاء الدنيا .. وأما القول الذي تحقق لكتاباته أيضا فهو:

قال الشهيد المعلم سيد قطب رحمه الله تعالى :

(إنه ليست كل كلمة تبلغ إلى قلوب الآخرين فتحركها وتجمعها وتدفعها، إنها الكلمات التي تقطر دماء لأنها تقتات قلب إنسان حي. كل كلمة عاشت قد اقتاتت قلب إنسان، أما الكلمات التي ولدت في الأفواه، وقذفت بها الألسنة ولم تتصل بذلك النبع الإلهي الحي، فقد ولدت ميتة، ولم تدفع بالبشرية شبرا واحدا إلى الأمام، إن أحدا لن يتبناها لأنها ولدت ميتة . والناس لا يتبنون الأموات)..

وهكذا انتشر فكر سيد في كل الدنيا .. ولقد رأيت كتابه معالم في الطريق في أفغانستان مترجما للغة البشتو والفارسية .. بل لقد بلغني أن أحد المجاهدين القدماء أيام جهاد الروس دخل إحدى المدارس في (نورستان) وهي مناطق جبلية نائية جدا بالغة الوعورة وسط جبال الهندوكوش على الحدود الشمالية لكشمير والصين قريبا من بدخشان وممر واخان ، تقع على ارتفاع أكثر من 5000 متر عن سطح البحر .. في منطقة لم يدخلها من مقومات الحضارة شيء ،لا ماء ولا كهرباء ولا سواها . وقال أنه دخل إحدى المدارس فوجد فيها كتاب (معالم في الطريق) لسيد قطب مترجما للغة النورستانية !!.

فسبحان الله !! لقد حملتها عصافير الحق المهاجرة... وحطت بها هنـاك منـذ عشرات السـنين بعد إعدامه رحمه الله .. ولعله لا يوجد اليوم لغة حية من لغات المسلمين، إلا وقد ترجم إليها كثير من كتب سيد رحمه الله، فضلا عـن اللغـات العالميـة. هـذا العمـلاق الـذي أدرك الصـليبيون اليـوم وزعيمتهم أمريكا في حملتها لمكافحة الإرهاب أثر فكره. فجعلوا مكافحته والنيل منه وتشويهه أحد أهم مرتكزات حملتهم الفكرية الإعلامية الحالية وهجومهم على منـاهج التربيـة والتعلـيم عامـة في بلادنا وعلى مناهج التعليم الديني خاصة.

وأما في سوريا. المحضن المهم الثاني لمنشأ الصحوة الإسلامية و(التيار الجهادي المعاصر) فقد ظهر في نفس الفترة(1960-1965) الشيخ الشهيد مروان حديد رحمه الله. وكان قد ذهب للدراسة في مصر وحمل فكر الإخوان المسلمين، وعاد منتسبا إليه، وكانت الدعوة قوية في سوريا أواخر الخمسينيات، واقتنع الشيخ مروان حديد رحمه الله بأن بلاءا كحزب البعث الذي بدأت تغلب على قيادته العناصر النصيرية وتعد للاستيلاء على الحكم، لا يمكن مواجهته إلا بالجهاد، فحمل أفكارا شبيهه بأفكار سيد وتأثر به، ولم يكن الشيخ مروان كاتبا وإنما خطيبا بارعا وشاعرا حركيا مجاهدا. فأسس (تنظيم الطليعة المقاتلة لحزب الله) كما أسماه أولا، والذي تحول فيما بعد لاسم (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين). وقام بمحاولة جهادية قمعتها دبابات السلطة البعثية سنة 1965... ثم عاود الكرة سنة 1970 ثم ما لبث أن اعتقل ثم أعدم سنة 1975 رحمه الله.

وحمل تلامذته من بعده مهمة إشعال أطول ثورة جهادية معاصرة ضد حكومة في العام العربي (1975-1982). وظهر في الإخوان المسلمين في سوريا الشيخ (سعيد حوى) رحمه الله وتتالت كتبه التي حملت الفكر الجهادي وحققت فيه إضافات مهمة خلال السبعينات والثمانيات.. وحملت معظمها اسم سلسلة (في البناء). وكان منها كتب ؛ (الله) (الرسول) (الإسلام) (مدخل إلى دعوة الإخوان المسلمين) وكان من أهم كتبه التي نظرت للفكر الجهادي؛ كتاب(خطوة للأمام على طريق الجهاد المبارك)، وكتاب (جند الله ثقافة وأخلاقا)، وكتاب (جند الله تنظيما وتخطيطا) . وهي قمة عطائه الفكري الجهادي... حيث عانى بعد ذلك تراجعا فكريا نتيجة المسار الفاشل للعمل الجهادي في سوريا. انتهى به إلى لوثات ديمقراطية وصوفية ظهرت في آخر مؤلفاته رحمه الله وغفر له.

وأعتقد أن من هناك .. من مصر والشام كانت البداية ..أما في معظم باقي بلاد العالم العربي.. فقد كانت الظروف السياسية المحلية متشابهة والحالة الاستعمارية كذلك أيضا وانشر هذا الفكر من مصر وسوريا إلى السودان والعراق ولبنان والأردن بحكم الجوار .

وبحكم الاستقلال المبكر لسوريا ومصر..وبحكم تقدم نظام التعليم فيهما عن باقي بلاد العالم العربي كله تقريبا، استقدمت كافة دول الجزية العربية المدرسين من مصر وسوريا لمراحل التعليم الأولى (الابتدائية.. والمتوسطة والثانوية) بل وللجامعية أيضا، ولاسيما في كليات الشريعة والآداب والقانون والعلوم الإنسانية وسواها .. وكذالك استقدمت أكثر دول شمال إفريقيا، ولاسيما الجزائر خلال ثورة (التعريب) التي قام بها الرئيس الجزائري (هواري بومدين) بعد الاستقلال لمواجهة سياسة الفرنسة التي فرضتها فرنسا على مدى 130 سنة من الإستعمار.. استقدمت تلك الدول المدرسين أيضا من مصر وسوريا..

ونظرا إلى أن دعوة الإخوان المسلمين كانت قد انتشرت بشكل واسع في أوساط المعلمين والقطاع التربوي في مصر وسوريا.. كان كثير من أولئك المدرسين من دعاة الإخوان أو المتأثرين بدعوتهم .. فكان هذا من أهم أسباب حمل الدعوة الأم ، وهي الركن الأساسي في الصحوة السياسية و الجهادية من بعد إلى تلك البلاد، بالإضافة لانتشار ظاهرة الصحوة الإسلامية المحلية عموما في كل تلك البلاد وانتشار ظاهرة الكتاب الإسلامي والاتجار به، وكثرة المطابع والصحف، ونشاط الحركة الثقافية في العالم العربي والإسلامي إبان مرحلة الإستقلال .

وهكذا هبت رياح الصحوة الإسلامية ومدارسها على بلاد العالم العربي والإسلامي، وتبادلت مدارسه وتنظيماته وجماعاته الأثر و التأثير..

ولكن الفكر الحركي للتيار الجهادي . و محضنه الفكري الأول، وأعني فكر الإخوان المسلمين، هب على العالم العربي والإسلامي من مصر وسوريا الشام بشكل رئيسي.

وكان هذا الفكر الحركي الذي تكون داخل حركة الإخوان المسلمين، ثم تطور واستقل وتميز في الفكر(القطبي)- نسبة إلى سيد رحمه الله- وكذلك ساهمت كتابات أخيه الأستاذ محمد قطب من بعده،وما أضيف إلى هذه المدرسة من كتابات كتاب الإخوان المسلمين في السبعينات من مختلف البلاد..أحد شطري مكونات فكر التيار الجهادي المعاصر، الذي انضم إلى تكوينه مركب مهم آخر قدم من الجزيرة العربية ، من بلاد نجد والحجاز..التي دعيت زورا (السعودية).!

فقد قامت الدولة السعودية الثالثة- كما سبق الإشارة لذلك- بتخطيط ودعم من الإنكليز، وتوج الملك عبد العزيز آل سعود سلطانا على بلاد نجد والحجاز وما ألحق بها،وتكونت المملكة العربية السعودية سنة 1935. وكانت البضاعة الرائجة التي استولى عليها عبد العزيز، لتكون مادة دعايته وخداعه للناس هي ، زعمه إحياء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.التي كان قد قضي عليها تقريبا، بإسقاط الدولة السعودية الثانية خلال صراعها مع الخلافة العثمانية، التي استعانت بحاكم مصر آنذاك محمد علي باشا لهذه المهمة.

وورث أولاد عبد العزيز بعده عملية التجارة بالدعوة الوهابية..وكان لله بهم وبأعداء الإسلام مكر لطيف.فقد تابع الأبناء بعد أبيهم التجارة بالدعوة الوهابية. وأقاموا المؤسسات الكثيرة وبذلوا جهودا كبيرة وأموالا طائلة لهذا الغرض. وقد عمل في هذا المجال كثير من المخلصين للدعوة والدين..

وهكذا تتلمذ جيل من رجال الصحوة الإسلامية خلال العقود الثلاثة في الستينات والسبعينات والثمانينات،على كبار العلماء الذين ورثوا الدعوة الوهابية وحملوها.

وبوجود الأجواء المناسبة والأموال الطائلة بسبب طفرة النفط في تلك الفترة.ازدهرت الدعوة الوهابية بدعم من الحكومات السعودية المتعاقبة.

فأحييت دعوة الشيخ محمد بـن عبـد الوهـاب وكبـار أئمـة الـدعوة النجديـة،أخرجت كتـبهم القيمة،كما أحيي تراث الشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم رحمهما الله تعالى،وكذلك كتب غـيرهم من دعاة العقيدة السلفية ومدرسة أهل الحديث ،وتولت الحكومة السعودية طباعة وتوزيع ملايين النسخ منها عبر السنين..

وتولـت المؤسسـات الدينيـة الحكوميـة والأهليـة والجامعـات السـعودية طباعتهـا ونشرـها وتدريسها وبثها في كل بلاد العالم الإسلامي.. وقام على هذا العمل علماء مخلصـون كثـيرون وعلـماء أفاضل من أهل الجزيرة وممن تتلمذ على أيديهم ..

كان مدار الدعة الوهابية والعقيدة السلفية كما هو معلوم عـلى إحيـاء فقـه الـدليل ومنهـاج أهل الحديث وعقائد أهل السنة والجماعة . والتركيز على محاربة البدع والانحرافات التـي اندسـت عبر كثير من الطرق الصوفية المنحرفة و ما خلفته من الركـود والاستسـلام والتخلـف الفكـري . كـما ركزت هذه الدعوة على مسألة الولاء والبراء . ومناصرة أهـل الإيمـان ومعـادات الكفـار مـن اليهـود والنصارى والمشركين وأوليائهم من المنافقين .. كما تركز هذه الدعوة كـما هـو معـروف عـلى تجريـد التوحيد وإفراد الله وتوحيده بربوبيته ألوهيته .. وتنزيهه بأسمائه وصفاته . والتشـديد عـلى تكفـير من نازع الله في ربوبيته أو ألوهيته بتشريع أو شرك أو حكم مناف لحكمه .. الخ ..

وكان من سياسة السعودية، لأغراض الحكام الدعائية التي التقت مع أغراض الدعاة المخلصـين استقدام مئات ألاف الطلاب الأجانب من مختلف بلاد العالم الإسلامي كوافدين للدراسة ، وفتح باب المنح الدراسية لهم في الجامعات السعودية المتخصصة في التعليم الدين . مثل جامعة الإمـام محمـد بن سعود والجامعة الإسلامية في المدينة المنورة وغيرها.

وفي تلك الأوساط تخرج مئات ألاف الطلاب من الشباب المسلم حاملا تلـك الأفكـار عائـدا إلى بلاده منذ مطلع الستينات وإلى الآن حيث تحول الحكومة السعودية تغير هـذه الـنهج تجاوبـا مـع برنامج أمريكا في تغيير البنيـة الفكريـة والثقافيـة للمسـلمين في إطـار حـرب الأفكـار خـلال حربهـا الشاملة على ما تسميه الإرهاب والتطرف والأصولية في العالم العربي والإسلامي .

وكما ذكرت فقد كان قد ذهب إلى السعودية من مصر وسوريا خلال تلك الفترة آلاف المدرسين ، وكان كثير منهم من دعاة الإخوان المسلمين ، ومن رواد الصحوة الإسلامية عموما .

كما صارت السعودية في عهد الملـك فيصـل خاصـة مهجـرا طبيعيـا للمطـاردين والمنفيـين مـن قيادات الإخوان من مصر في عهد عبد الناصر ، حيث كان فيصل في حرب معه . كـما فـر إليهـا كثـير من دعاة ومشايخ الإخوان من سوريا بسبب اضطهاد البعثيين منذ أواسط السـتينيات.. وعمـل أكـثر هؤلاء مدرسين في الجامعات الإسلامية في السعودية.

وحصل هناك تمازج هام جدا خلال العقود الثلاثة الهامة من عمر الصحوة (1960- 1990) . بين الفكر الحركي لمدرسة الإخوان المسلمين وخاصة القطبية منها، وبين الفكر العقدي والتراث الفقهي للدعوة السلفية ، والمدرسة الوهابية.. ثم انطلق هذه التمازج عائدا إلى مصر والشام ثانية ثم إلى باقي العالم العربي والإسلامي .

وقد ولد هذا التمازج مدرستين هامتين جدا في الصحوة الإسلامية منذ أواسط السبعينيات . وهما:

- **المدرسة السرورية:**

(نسبة إلى اسم أحد أوائل دعاتها) ، ويقوم منهجها على مزيج من الحركية الإخوانية والفكر السلفي الوهابي . وهي مدرسة تنظيرية فكرية سياسية دعوية ، لم يكن لها عملياً تحرك يمكن أن يسجل له تجربة عملية . ولسنا هنا بصدد الحديث عنها.

- **مدرسة (السلفية الجهادية) :**

والتي يتكون منهجها من مزيج من الفكر الحركي الجهادي القطبي ، مع تبني العقيدة السلفية ومنهج الدعوة الوهابية . وهي الهوية الفكرية المنهجية الرئيسية التي طبعت التيار الجهادي خلال (الثمانينات والتسعينات) وهو التيار الذي نحن بصدده في هذا الفصل.

فباختصار أشير إلى أمر بالغ الأهمية في فهم الهوية الفكرة للتيار الجهادي المعاصر..

فقد شكل المنهج الإخواني ذي الطابع السياسي التربوي ، والحركية القطبية ذات الطابع المفاصل المتمايز بناء على مبادئ الحاكمية ..البعد السياسي الشرعي والحركي في منهج التفكير في التيار الجهادي المعاصر .

كما شكل المنهج السلفي وكثير من مؤثرات الدعوة الوهابية وإنتاجها الفقهي، الأرضية الفقهية والعقدية التي أجابت على أكثر المسائل السياسية الشرعية العالقة التي طرحها وأثارها المنهج الجهادي الحركي.ودعوته للمواجهة مع الأنظمة الجاهلية الحاكمة في العالم الإسلامي.من قبيل

إقامة البرهان الشرعي على كفر الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله الموالين لأعداء المسلمين..ثم تسلسل الأحكام الشرعية تبعا لذلك ، من أحكام الخروج عليهم وإسقاط شرعيتهم وقتال أعوانهم ...إلى غير ذلك من عشرات المسائل الشرعية المتفرعة عن ذلك.

ولما نهجت أكثر مدارس الصحوة الإسلامية المنهج الديمقراطي..وطرحت تصورات شتى للإجابة على مسألة المشكلة والحل في واقع المسلمين المعاصر..ودخلت مدارس الصحوة الإسلامية المختلفة في مساجلات فكرية وفقهية كثيرة..شكل فقه الإمام ابن تيمية والمنهج السلفي وتراث المدرسة الوهابية المستند الأساسي للتيار الجهادي في خوض تلك المعتركات.

وهكذا يمكن أن نوجزالقول ونلخص البنية الفكرية للتيار الجهادي المعاصر بالمعادلة التالية:

أساسيات من فكر الإخوان المسلمين + المنهج الحركي للشهيد سيد قطب + الفقه السياسي الشرعي للإمام ابن تيمية والمدرسة السلفية + التراث الفقهي العقدي للدعوة الوهابية ← المنهج السياسي الشرعي الحركي للتيار الجهادي .

ولقد كان الميدان الأساسي لنضوج هذه المكونات الفكرية المنهجية خلال السبعينيات والثمانينيات في مصر والشام والجزيرة العربية وخاصة في بلاد الحرمين .ومن هناك انتشر إلى باقي البلاد كما سأبين لاحقا ،مع الإشارة إلى أنه كان لكل ساحة من تلك الساحات من بلاد العرب والمسلمين وطبيعة مكونات الصحوة فيها ومرحلة نضوجها أثر في طيعة الفكر الجهادي الذي ولد فيها وطبيعة التجربة تبعا لذلك.

فقد كان التأثير مباشرا وسريعا في الأردن ولبنان واليمن ، وكان بطيئا في بلاد مثل العراق نتيجة النظام الأمني الصارم فيها، كما كان التأثير محدودا في دول الخليج العربي والسعودية بسبب طبيعة المجتمعات النفطية فيها ، وبسبب قلة السكان وركود الحياة الفكرية والثقافية فيها آنذاك..أما ليبيا وبلاد المغرب العربي فقد تأخر ذلك تبعا لتأخر ميلاد الصحوة الإسلامية فيها إلى مطلع السبعينيات ، بحكم ظروف استقلالها وطبيعة أنظمتها و عمق التأثير الغربي للاستعمار الفرنسي فيها ..على أنه سجلت محاولات جهادية مبكرة في المغرب (1963) ، وفي الجزائر (1973) ..من غير أن يكون للمد الفكري للتيار الجهادي المشرقي المولد والذي نحن بصدده أثر أو علاقة بذلك . وكذلك كان التأثير محدودا في القرن الإفريقي والصومال نتيجة ظروفها..حيث انتقلت معظم مؤثرات الصحوة إليها متأخرة عن طريق الطلاب الذين خرجوا للدراسة في الغرب أو في بعض الدول العربية المجاورة مثل السعودية ومصر والسودان وتأثروا بأفكار الصحوة وعادوا بها إلى بلادهم لتمتزج مع معطيات الصحوة المحلية وظروفها..

كذلك كان الحال تقريبا في بلاد أطراف العالم الإسلامي مثل اندونيسيا والفلبين ودول شرق آسيا ووسط أفريقيا..وكذلك دول الجمهوريات السوفيتية في وسط آسيا و القفقاس..

أما أكثر دول العالم الإسلامي تأثرا وتأثيرا في الصحوة الإسلامية وعموم مدارسها في العالم العربي فكانت الباكستان وتركيا بحكم القرب والتداخل في أكثر من مجال..

أما التيار الجهادي من حيث ميلاد الفكر وانتقال أصحابه إلى ميدان التطبيق والمواجهة مع الحكومات فقد ارتبط قيامه في الأماكن المختلفة بعوامل عدة مثل الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية ...في كل بلد..بالإضافة إلى مستوى ونوع الصحوة الإسلامية ووصول المؤثرات الفكرية للتيار الجهادي لذلك المكان ..

ثم جاءت تجربة الجهاد الأفغاني (1984-1992) لتتكون المدرسة الجهادية التي دعي أصحابها بـ (الأفغان العرب) ،ليدخل التيار الجهادي مرحلة العولمة كما سنرى في الفقرة التالية إن شاء الله.

وقد قامت محاولات جهادية للعديد من جماعات ا للتيار الجهادي ضد بعض أنظمة الحكم القائمة في العالم العربي والإسلامي، بمستوى و حجوم مختلفة منذ مطلع الستينات وإلى نهاية القرن العشرين ، يمكن ذكر أهمها بحسب تسلسلها الزمني وبحسب ما يحضرني كما يلي:

- **أهم المحاولات والتجارب المسلحة للتيار الجهادي (1960-2000):**

(1)- حركة الشبيبة المغربية في المغرب الأقصى (مراكش) . بقيادة الشيخ عبد الكريم مطيع . ضد حكومة الملك الهالك الحسن الثاني سنة (1963) .

(2)- محاولة الشيخ الشهيد سيد قطب رحمه الله وتنظيم الجهاد ضد حكم عبد الناصر في مصر سنة (1965).

(3)- حركة الشيخ الشهيد مروان حديد رحمه الله ضد حكم البعث في سوريا سنة (1965).

(4)- حركات الجهاد ضد الأنظمة الشيوعية في أفغانستان قبل الإحتلال السوفيتي (1965-1975) .

(5)- تجربة تنظيم الطليعة (EkiNGiLAR) في تركيا خلال الحرب الأهلية 1972.

(6)- حركة الدولة الإسلامية بقيادة الشيخ الشهيد مصطفى بويعلي رحمه الله في الجزائر(1973-1976).

(7)- الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا بقيادة الطليعة المقاتلة من تلاميذ الشيخ مروان حديد (1975-1982) .

(8)- حركة تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ضد أنور سادات ثم ضد خلفه حسني مبارك(1981-1997) .

(9)- المحاولة الجهادية ضد حكم القذافي في ليبيا(1986) .

(10)- بعض المحاولات الجهادية المحدودة و المحاولة الانقلابية للجهاز العسكري لحركة الإتجاه الإسلامي في تونس.(1986).

(11)- التجارب الجهادية للجماعات المتعددة في الجزائر إبتداءا من سنة (1991) .

(12)- المواجهات الجهادية ضد نظام الحكم الشيوعي في طاجيكستان منذ (1992).

(13)- المحاولات الجهادية المحدودة في بلاد الحرمين (السعودية) منذ(1994) .

(14)- المواجهات الجهادية في ليبيا (1994-1996) وتجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة.

(15)- الإنتفاضة المسلحة لـ (حركة نفاذ شريعة) شمال غرب الباكستان (1996) .

(16)- محاولات تكوين جماعات جهادية في المغرب الأقصى منذ (1996).

(17)- المحاولة الجهادية ضد نظام (كريموف) الشيوعي الأمريكي في أوزبكستان . وتشكل الحركة الإسلامية في أوزبكستان (1998).

(18)- التجربة الجهادية لجيش عدن أبين في اليمن منذ (1999).

(19)- المحاولة الجهادية في جبال النبطية في لبنان (2000).

كما قامت في نفس الفترة العديد من الحركات والمواجهات الجهادية ضد مختلف أشكال الإحتلال والعدوان الخارجي على بلدان المسلمين، مما صنفته تحت مسمى الحركات والتنظيمات المجاهدة تمييزا له- من حيث التصنيف الدراسي- عن التيار الجهادي الذي نحن بصدده ، والذي يكون معها ما أسميته الظاهرة الجهادية المعاصرة خلال النصف الثاني من القرن العشرين.ومن أهم تلك التجارب والحركات مايلي :

- **بعض تجارب المواجهات والحركات المجاهدة للاحتلال والعدوان الخارجي:**

(1)- حركات الجهاد والمقاومة ضد الإحتلال الهندي في(كشمير) و (ولاية آسام الهندية) .

(2)- حركات الجهاد ضد الهندوس في بورما والأركان .

(3)- حركات التحرير المجاهدة في الفلبين ،مثل(جبهة تحرير مورو) و(جماعة أبو سياف) .

(4)- الجماعات التي جاهدت في إرتريا ضد الإحتلال الإثيوبي .

(5)- الجماعات المجاهدة الإحتلال الإثيوبي في القرن الإفريقي (الأوغادين والعفر...).

(6)- الحزب الإسلامي في تركستان الشرقية الذي يجاهد الإحتلال الصيني لتركستان .

(7)- (جماعة التوحيد) التي تشكلت من مجاهدي أهل السنة، خلال الحرب الأهلية في لبنان في مواجهة التحالف المسيحي والقوى(الطائفية النصيرية) المدعومة من النظام السوري(1975-1982).

(8)- الجهاد ضد الإحتلال السوفيتي في أفغانستان (1979- 1992).

(9)- حركة المقاومة الإسلامية (حماس) لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ(1987).

(10)- حركة الجهاد الإسلامي، لمواجهة الإحتلال الإسرائيلي في فلسطين منذ 1989.

(11)- مواجهات الجماعات الإسلامية الكردية لنظام صدام حسين في العراق ، ثم لعدوان الأحزاب الكردية العلمانية في كردستان العراق. منذ (1990)

(12)- التجربة الجهادية في البوسنة ضد العدوان الصربي (1994-1996).

(13)- التجربة الجهادية ضد الإحتلال الروسي في الشيشان و القفقاس منذ (1995).

(14)- المواجهات الجهادية ضد عدوان النصارى في إندونيسيا منذ(1998).

• رابعاً: المحطة الرئيسية الكبرى في تاريخ التيار الجهادي:

(الجها الأفغاني ضد الروس) وتجمع المجاهدين (الأفغان العرب) (1984-1992)

احتلت جيوش الإتحاد السوفيتي الروسي البائد أفغانستان علنيا سنة (1979) بعد أن فعلت ذلك بطريق غير مباشرة عبر عدد من الانقلابات العسكرية الشيوعية منذ (1965). وأدى دخول الغزاة إلى إنحراط عموم الشعب الأفغاني بقبائله وعلمائه ومختلف طبقاته في الجهاد والمقاومة.

كما أشرت سابقا في ثنايا البحث لم يتوقع أحد أن يصمد هذا الشعب الفقير المعدم المتخلف لهذا الغزو الجبار. وبدا وكان أمريكا قد سلمت بضم هذه الرقعة إلى المخزون الاستعماري للروس كما ضموا وسط آسيا و القفقاس وغيرها ... ولكن المقاومة الباسلة للشعب الأفغاني ما بين (1979-1982) لفتت نظر الإدارة الامركية ومنظريها الاستراتيجيين الكبار من أمثال الرئيس الأسبق(نيكسون) الذي قام بنفسه بزيارة ميدانية آنذاك لمعسكرات المهاجرين الأفغان على الحدود الباكستانية. فقرر الكونغرس تبني مسألة الجهاد الأفغاني كساحة ترد فيها أمريكا الصاع الفيتنامي للروس بأضعافه، بل ولتجعل منها آخر ساحات الحرب الباردة التي سيحسم فيها ذلك الصراع بالضربة القاضية كما حصل خلال عشر سنوات ..

أشرفت أمريكا على صناعة حلف عالمي لمواجهة الروس وحلف وارسو في أفغانستان فجرت وراءها حلف الناتو ودوله كاملة، دول أوروبا الغربية وكذلك حلفاءها الاقتصاديين الكبار مثل كندا وأستراليا واليابان، لتكوين حلف سياسي إعلامي اقتصادي داعم لها في هذه الحرب، ووضعت سياسة مالية تقضي بحصة من المساعدات المالية المقررة بملايين الدولارات على كل دولة من تلك الدول، وساهم الجميع بذلك.

ولكن الجانب الأهم من الحلف الذي كونته أمريكا لدعم الجهاد الأفغاني كان من دول العالم العربي والإسلامي، و التي كان في طليعتها وأهمها دورا (السعودية) و(باكستان) و(مصر) ودول (مجلس التعاون الخليجي) .. فقد ساهمت السعودية ودول الخليج بالقسط الأكبر من الدعم المالي لتلك الحرب سواء بشكل رسمي حكومي أو من خلال التشجيع والسماح لسيل التبرعات الأهلية للجهاد في أفغانستان أن تصل إلى المجاهدين الأفغان كما لعبت السعودية بمرجعيتها الدينية بحكم

سيطرتها على الحرمين، وبمؤسساتها الدينية العلمية دورا إعلاميا بارزا. و أشرف على برنامجها وأداره رئيس استخباراتها آنذاك الأمير تركي بن عبد العزيز..

كما لعبت الباكستان الدور الرئيسي ميدانيا، فقد امتدت حدودها مع أفغانستان لأكثر من (2200) كيلومتر، وحوت عشرات المعابر الرئيسية لوصول الإمدادات ومختلف أشكال الدعم للجهاد الأفغاني ولعبت استخباراتها العسكرية (ISI) والترئسها آنذاك الجنرال (حميد كل)، دورا رئيسيا في ترتيب الأحزاب الجهادية والإشراف على تشكيل وتوزيع المساعدات المالية والسلاح بينها، وبتقديم الخدمات (اللوجستية) ومختلف أنواع الدعم الميداني ، الذي كان يصل أحيانا لحد مشاركة الجيش الباكستاني عمليا في القتال والإسناد بالأسلحة الثقيلة في المعارك الحدودية، وقد رأيت ذلك ميدانيا في معارك جلال أباد (1989) ..أما مصر فقد كان من أبرز مشاركتها،الإتفاق مع الأمريكان على سداد جزء من ديونها لهم على شكل صفقات سلاح أرسلتها إلى أفغانستان عن طريق باكستان. وكذلك شهدت هذا، فقد كان مألوفا لدينا فتح بعض صناديق الذخيرة والسلاح وعليها شارة الجيش المصري، وذلك أن أنور السادات كان قد أتخذ قرارا باعتماد التسليح الأمريكي للجيش المصري وبدأ بتصفية الوجود الروسي في مصر فيما عرف بسياسة الإنفتاح .. فكان مفيدا له أن يتخفف من مخزون سلاح وذخائر لم يعد لازما له آنذاك أواخر السبعينات .

ولقد لعبت تلك الدول بالإضافة لأكثر دول العالم العربي والإسلامي، بل والغربي وتابعيه، دورا إعلاميا بالغ الأهمية في دعم الجهاد الأفغاني، والترويج له وحض كل من شاء وحتى بعض من لا يشاء على المساهمة ..

وأما الحليف الثالث الذي أدخلته أمريكا - أو بالأحرى - سمحت بدخوله على خط تأييد الجهاد الأفغاني . فقد كان (الصحوة الإسلامية) بكامل طيفها وحركتها . فقد جاشت العواطف في صفوف الصحوة قيادات وقواعد بشكل تلقائي، وبفعل التعاطف الدين مع أخوة الدين والعقيدة الذين يتعرضون لحرب إبادة واحتلال غاشم، من قوة تمثل قمة الكفر والإلحاد من منظور الإسلام والمسلمين .. وهكذا انتقل الضوء الأخضر من أمريكا لأذيالها حكاما وحكومات العالم العربي والإسلامي، لتشعله بدورها أمام الحركات الإسلامية، لتشارك في هذا الحلف العريض غير المباشر الذي التقت فيه الأغراض والمصالح .. وكان للدول العربية والإسلامية مصالح في هذا الضوء الأخضر استجابة للسيد الأمريكي .. وهي تلميع سمعتها بمساعدة المسلمين. وفتح باب الهجرة للصحوة وكوادرها، ولاسيما السياسية و الجهادية فيها لتنفس عن رغباتها ومشاعرها الأصولية بعيدا، هناك على بعد آلاف الكيلومترات .. ولعلها تلقى بغيتها في الشهادة في سبيل الله، ويستريح الحكام من ضوضائها في بلادهم ..

وهكذا وباشتعال الضوء الأخضر ـ أمام الصحوة .. اشتعلت خطب الجمعة والمحاضرات والمؤتمرات، والمهرجانات والمنشورات والمؤلفات والصحف، وكل وسائل التعبير والدعاية في أوساط الصحوة ، تروج للجهاد الأفغاني وتنادي (يا خيل الله اركبي) ..

فركبت عشرات الألوف ممن كتب لهم السعادة بالمشاركة.

[وألفت النظر إلى أني أكتب هذه الفقرة كشاهد عيان وكمشارك خلال تلك المرحلة ، حيث شهدتها منذ(1987) وإلى (1992)،. ثم واكتبها متابعا عن كثب إلى (1996) ، حيث عدت للحضور ميدانيا في شوطها الثاني المختلف كليا عن الشوط الأول خلال الفترة الممتدة من أواسط (1996) وإلى نهايته في ديسمبر (2001) .] .

وهكذا وجدت آنذاك مختلف شرائح وجماعات و تنظيمات الصحوة الإسلامية ومدارسها المختلفة فرصة للتأييد والاستفادة من تلك السوق الرائجة ، التي كان لكل فيها هدفه وبغيته من تلك المشاركة وليس هنا محل استعراض أهداف كل فريق منهم وما استفاده وما حققه، وإنما ذكرته لأهمية هذه المحطة المباركة على التيار الجهاد المعاصر خلال تلك المرحلة وما تلاها إلى اليوم بل وعلى المستقبل فيما أعتقد ..

وهكذا قام حلف غير مباشر بين مختلف من جمعهم العداء للشيوعية والإتحاد السوفيتي، أو كان لهم غرض في مواجهته والقضاء عليه، بدا من أمريكا وحلفائها في المعسكر الغربي، وانتهاء بأعدائهم في التيار الجهادي، ومرورا بحلفائهم حكام بلاد العالم العربي والإسلامي وكذلك مختلف أوساط الصحوة الإسلامية، على اختلاف منظور مدارسها لأمريكا والغرب والحكومات.

وهنا أحب أن أشير إلى إشكاليتين، وقل إن شئت كذبتين ضخمتين فرضهما الإعلام الغربي والأمريكي خاصة، والإعلام التابع لهم في بلاد العالم العربي والإسلامي .. حيث يجب توضيح حقيقتهما للناس عامة وللإسلاميين و الجهاديين وجمهورهم خاصة . وهما :

1. **دور أمريكا في انتصار الجهاد الأفغاني.**
2. **شبهة عمالة المجاهدين العرب ومن شارك في الجهاد الأفغاني من الإسلاميين لأمريكا وارتباطهم بـ (CIA) خلال تلك القضية، كما يزعم اليوم الإعلام الغربي وأتباعه :**

وأعود للتذكير بأن قيمة شهادتي هذه، تأتي من ميدانية مشاركتي وقربي من مصادر المعلومات وممن أدار الأحداث ، خلال تلك الفترة في أوساط الجهاديين والإسلاميين من عرب وأفغان ..

1. دور أمريكا المزعوم في انتصار الجهاد الأفغاني:

لقد سعى الإعلام الأمريكي بمختلف وسائله التي يسطر عليها اليهود و الصليبيون المتصهينون إلى التصوير بأن انتصار الجهاد الأفغاني كان مجرد نجاح للسياسة الأمريكية وبرامج (CIA) في

أفغانستان . وقد تحقق لأمريكا انتشار هذه الدعاية الكاذبة إلى حد كبير. فقد عملوا على ذلك عبر مختلف وسائل الدعاية، بدءا من أفلام (رامبو) وغزواته الميمونة إلى أفغانستان، حيث أسقط الطائرات، ودمر الحصون، وحرر الرهائن من الأفغان والأمريكان (المجاهدين!) معهم .. وركب الخيل، وقاد المدرعات وحلق في السماء بالهليكوبتر الروسية!!، وجرح مرارا ولم يمت، وانصهر داخل مدرعة مدمرة ولم تذب عضلاته المفتولة !!. واستطاع أن يمطر المشاهدين المعجبين بعضلاته الأمريكية بسيل من الحكم والدعايات السخيفة من شفته المتدلية نصف المشلولة.. وأوصل في النهاية الرسالة عن رحمة أمريكا بالمستضعفين ونصرتها للمظلومين، وحرصها على مساعدة المسلمين..ودورها الرئيسي في انتصار الأفغان الذين تولى الفيلم الخيالي إظهار إعجابهم وحبهم لأمريكا !. وهكذا عادت عضلاته إلى قواعدها سالمة ، إلى (هوليود) ليتابع حفلات والرقص المجون مع غانياتها الحسان ، كرمز معبر فعلا عن أمريكا وعضلاتها المفتولة وعقلها الصغير وشفتها نصف المشلولة لتي تفتعل الحكمة..!!

كما ركز الإعلام الأمريكي مستخفا بعقول من صدّقه، على دور صواريخ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني، وكيف أنه قلب موازين المعركة،عندما بدأت تتساقط الطائرات الروسية به، مما أدى لتحول مجرى المعارك من هزيمة المجاهدين إلى انتصارهم!! وقد نشرت هذه الكذبة عبر مختلف وسائل الإعلام والدعاية، من الأفلام الوثائقية إلى الكتب إلى الصحف ، إلى مذكرات ضباط الإستخبارات..إلى غير ذلك..

علما أن الأعداد المحدودة من صواريخ (ستنغر) الأمريكية، قد دخلت أفغانستان بعد عشر سنوات من دخول الروس، وقبيل انسحابهم بقليل ، ولم يستخدم في المعارك الحاسمة الأخيرة إلا نادرا، ولم يسقط به إلا عدد محدود من الطائرات..ولم يره إلا النادر من مئات آلاف المجاهدين، وقد سرقت الإستخبارات الباكستانية حصتها منه ، كعادتها في سرقة حصتها من كل المساعدات المالية والعينية التي جاءت للمجاهدين الأفغان من السيارات ومواد الإغاثة المختلفة والعتاد والسلاح والذخائر، التي كانت تمر إجباريا في باكستان في طريقها إليهم..

فما أدري حقيقة كيف استساغت العقول هذه الكذبة الكبرى، في دور هذا الـ (ستنغر) في انتصار الجهاد الأفغاني الذي شارك فيه ملايين الأفغان وانتظم في صفوف أحزاب المجاهدين خلاله أكثر من مليون مجاهد مسلح . وقدم الشعب الأفغاني خلاله أكثر من مليونيين من الشهداء، وخمسة ملايين مهاجر، من شعب كان تعداد سكانه لا يجاوز 16 مليون نسمة .. وما أدري ما دور (ستنغر) في تدمير أكثر من خمسين ألف آلية روسية عسكرية، وقتل أكثر من /30/ ألف جندي روسي على الأرض، وأكثر من /150/ ألف من المليشيات الشيوعية الأفغانية، عدا مئات آلاف العمليات خلال جهاد استمر لأكثر من خمسة عشر سنة، وابتدأ قبل الغزو الروسي بخمس سنين،

واستمر بعدها ثلاث سنين، إلى أن سقطت كابل بيد المجاهدين.أي من (1973-1992).. ورغم سخافة هذا الكذبة (الاستنغرية) وتهافتها أمام أبسط المعلومات عن سير الجهاد الأفغاني، ولكنها وجدت طريقا إلى عقول ملايين السذج من رواد الشاشات الصغيرة والكبيرة .. وهذا هو سحر الإعلام الأمريكي، وميدان انتصار هؤلاء الجبناء المخادعين، الذين استخفوا بعقول أكثر البشر فأطاعوهم وللأسف !!

2. شبهة عمالة المجاهدين العرب لأمريكا و ارتباطهم بـ (CIA) خلال الجهاد الأفغاني:

من العجيب اليوم . أن البرامج الإعلامية العالمية والعربية من أفلام ومقابلات وتحليلات وصحف وكتب وسواها. تمر بهذه (الكذبة) بسرعة مرور الكرام، وتنتقل لمواضيع أخرى على أنها شيء مسلم به معروف بديهي !!

فيقدمون للناس كذبة كبرى على أنها حقيقة مفادها :

أن المخابرات الأمريكية (CIA) هي التي صنعت (الأفغان العرب) وزعماءهم من أمثال الشيخ أسامة بن لادن، والشيخ عبد الله عزام، من أجل تدمير الاتحاد السوفيتي . وان هذه الصنائع انقلبت عليها اليوم، ودمر بعضهم أبراجها في نيويورك وواشنطن، في حين عاد أكثرهم إلى بلادهم لضرب مصالحها وقتل رعاياها، ومحاربة أوليائها من حكام بلاد العرب والمسلمين .. وأن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب هي إفراز للجهاد الأفغاني، وبالتالي صنيعة الإستخبارات الأمريكية، وقد خرجت عن الطوق. ويقولون أن أمريكا قد وقعت في حال المثل السائر عندهم: (من يصنع الأشباح تخرج له).

فما حقيقة هذه الفرية البالغة الخطورة على سمعة الجهاد و الجهاديين في هذا العصر.

أوضح ذلك من خلال النقاط الموجزة التالية بعون الله:

- **أما أن ظاهرة الجهاد المسلح في بلاد العرب والمسلمين هي إفراز لتجمع الأفغان العرب في الجهاد الأفغاني فالحقيقة هي العكس تماما..**

والحقيقة هي أن الجهاد العربي في أفغانستان هو نتيجة للجهاد العربي قبله،وهو أحد إنجازات التيار الجهادي العربي في بلاد العرب وأحد إفرازاته ومراحل تطوره فكما مر سابقا .

فإن التيار الجهادي المعاصر هو وليد الصحوة الإسلامية التي نشأت مطلع لثلاثينات، وقد أنفصل عنها مطلع الستينات . وقد قامت كثير من التجارب الجهادية ما بين مطلع الستينات ومطلع الثمانينات. أي قبل من الجهاد الأفغاني بعشرين سنة. بل إن القيادات والكوادر والرموز وأركان

الجهاد العربي في أفغانستان ، هم من بقايا وكوادر ورموز وشيوخ التيار الجهادي العربي . فالشيخ عبد الله عزام من رموز و قدماء المجاهدين في فلسطين، وقد نفاه النظام الأردني من عمان لطروحاته الجهادية ومعارضته للنظام . والشيخ أسامة بن لادن تربي في الصحوة الإسلامية ، ودعم أكثر من حركة للجهاد في بلاد العرب، وساهم في دعم الجهاد في سوريا مطلع الثمانينات، قبل أن يتوجه إلى أفغانستان. وكذلك فإن كثيرا من الكوادر الذين يصعب حصرهم هنا، من المدربين والقادة الميدانين الأوائل الذين حملوا مهمة إنشاء المعسكرات وإقامة البنية الأساسية للجهاد العربي في أفغانستان ، كانوا من كوادر تنظيمات الجهاد العربية ولاسيما من مصر وفلسطين وسوريا ولبنان واليمن ..وغيرها..وهم الذين كانوا نواة التجمع العربي الذين تولوا العمل في مجالات التدريب والإعلام ، والعمل العسكري ، والعمل الإغاثي الميداني وسوى ذلك من الأعمال.. إلى أن تقاطر المجاهدون من البلاد العربية والإسلامية وتزايد الجمع الذي ابتدأ بكوكبة صغيرة سنة 1984،فتصاعد منذ (1987) وإلى (1991) ليبلغ زهاء أربعين ألفا من المجاهدين العرب مع مطلع التسعينات.

- أما عن العلاقة المزعومة للجهاد العربي في أفغانستان بالأمريكان ومنظمتهم البائسة(CIA) ، فإن كان لهؤلا ء الأوغاد من دور فهو في الإجازة والضوء الأخضر الذي أعطوه لأزلامهم من حكام بلاد العرب والمسلمين بأن يسمحوا للشباب المجاهدين بممارستهم حقهم الطبيعي وأوامر دينهم بأن يتوجهوا إلى أفغانستان. وأن تتركهم مخابرات تلك البلاد المجرمة في حال سبيلهم، ولا تعترضهم وهم يذهبون إلى أداء الفريضة الشرعية. وكذلك في الدور المحدود لأجهزة إعلام تلك البلاد العربية والإسلامية في الترويج للجهاد الأفغاني . وفي دور أمريكا بالإيعاز للسعودية في أن تفتي مؤسستها الدينية المأجورة، بأن الجهاد فرض عين في أفغانستان- وهي حقيقة - وفي أن تترك المجال للدعاة الصالحين من أئمة الدعوة والإصلاح في السعودية أن يجهروا بهذه الحقيقة الشرعية .. وأن تتيح للشعب في بلاد الحرمين أن يؤدي فريضة الجهاد بماله لنصرة أخوة العقيدة والدين .. وأن تشجع من أراد من الشباب الذهاب إلى هناك، حتى بلغ ذلك أن تخفض شركة الطيران السعودية ثمن تذكرة الطائرة من السعودية إلى باكستان بنسبة (75%) لمن يريد الذهاب للجهاد في أفغانستان ليصبح أقل من تكلفة رحلة داخلية . ولاشك أنه كان لآل سعود مصالحهم الدعائية وغير ذلك من هذه التسهيلات. كما ساهمت أمريكا بإيعازها لباكستان بأن تفتح سفاراتها لإعطاء إجازات الدخول (الفيزا) للشباب العربي والمسلم من كل مكان للذهاب عبر أراضيها إلى أفغانستان . وأن تسمح للعرب بحرية الحركة، التي بلغت حد فتح المعسكرات على الأراضي الباكستانية قرب أفغانستان للتدريب، وتقديم الخدمات اللوجستية للجهاد الأفغاني. ولاشك أنه كان لباكستان مصالحها الإقليمية و الوطنية في هذا، ولا محل لاستقصاء هذه الجزئيات هنا. بل كان هناك أيضا مصالح شخصية لمليونيرات الحروب من الضباط في الجيش والإستخبارات والشرطة الباكستانية من تحرك هذا الكم

من البشر والأموال بين الخارج وأفغانستان عبر أراضيهم . فإذا كانت الإجازات الأمريكية لعملائهم الصغار، تعتبر مساهم في صناعة الجهاد العربي في أفغانستان فهو ذلك لا أكثر.. وكان لعملائهم الصغار من الحكام في السعودية و الباكستان ومصر وغيرها مصالحهم في ذلك ..

- **أما ما يزعم من تدريب الأمريكان للعرب، أو ترتيب برامجهم، أو معاونتهم على العمل العسكري، أو أي علاقة عملية على الأرض، فهذا محض كذب وافتراء .**

ولقد عملتُ شخصيا في مجالات التدريب العسكري، وكمحاضر في المجالات الفكرية والمنهجية. وكنت على تماس مع قيادات الجهاد العربي في أفغانستان. وأستطيع من خلال ذلك أن أشهد وأؤكد أن هذه الدعوى لا أساس لها من الصحة . ولست هنا في مجال التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان، حتى أسرد وقائع التدريب وآلية العمل. ولقد كان بالمختصر مجموع جهود فردية مخلصة، ابتدأت بالكوادر الجهادية القديمة وبعض الكوادر العسكرية المحترفة من المتقاعدين أو المبعدين عن الخدمة في جيوش عدد من الدول العربية والإسلامية، والذين كان لمساهماتهم دور مفيد جدا، ثم بدأت تتراكم وتتجمع خبرات الكوادر الناشئة في الساحة.

والمطلع على الوضع الفكري والنفسي والمنهجي، وعلى المشاعر تجاه الأمريكان والغرب والكفار عموما، بل وحتى تجاه حكامنا بل و صغار أعوانهم، لدى القيادة الجهادية العربية وقواعدها من الشباب في أفغانستان وسواها، يعلم أن هذه الدعوى غير واردة وغير ممكنة..

أما حقيقة أن مصالح وأهداف كافة أطراف الحلف غير المباشر الذي ذكرته، من أجل حرب الإتحاد السوفيتي، كلا على حدة عمليا، ومجتمعين على هدف واحد، فحقيقة واقعة وكثيرا ما تكررت في دنيا السياسة وتقاطع المصالح عبر التاريخ. وما تزال تتكرر هنا وهناك وهذا من طبائع الأشياء..

فقد أرادت أمريكا هزيمة الإتحاد السوفيتي والانتصار في الحرب الباردة.، بعد أن كال لها الإتحاد السوفيتي وحلف وارسو ضربات موجعة في أكثر من مجال .. وكانت قضية أفغانستان فرصة ذهبية للأمريكان ، وقد استغلوها بصورة صحيحة و حصلوا على ما أسماه نيكسون في كتابه الشهير (نصر بلا حرب)، فحققوه بكل جدارة يحسدون عليها ...

وأرادت أوربا الغربية ودول حلف الأطلسي تحقيق مكاسب ووضع موطئ قدم لها هناك فشاركت في ذلك المولد لمصالحها الخاصة كدول أوربية، وكلا لمصالحها منفردة .. وحصل لكل دولة ما أرادت بشكل نسبي .. واليوم تنتشر المؤسسات الأوروبية المختلفة تحت شعار الخدمات الإنسانية لتقتطع المكاسب المغرية من الملعب الأفغاني كلا بحسب حضورها السابق واللاحق..

وأرادت الباكستان تحقيق مصالح قومية وإقليمية يضيق المكان عن حصرها هنا بل إن ذكر ما حققته الباكستان يحتاج كتابا مستقلا . وقد قدمت لأمريكا في الملعب الأفغاني ما أرادت من

خدمات ؛ لدعم الجهاد الأفغاني أولا، ثم لتمزيق مكتسباته ثانيا، ثم لتدمير أفغانستان في حرب أهلية ثالثا، ثم لمواجهة طالبان وإسقاط دولتهم رابعا، ثم لقتل المجاهدين العرب وتسليمهم لأعدائهم خامسا.. ثم تشرع الآن لبيع قضية كشمير سادسا .. ولتدمير البنية التحتية للإسلاميين داخل باكستان ذاتها سابعا... والحبل على الجرار ..وهكذا نفذت الحكومات الباكستانية ما أرادت أمريكا دائما ... ولعنة الله على الظالمين والمنافقين ..

وقل مثل ذلك عن باقي الأدوار في أفغانستان للسعودية.. ومصر.. وسواها.. وعن الهند، ودول وسط آسيا، وإيران، والصين من دول الجوار ..التي لعبت لعبتها أيضا..وصولا إلى حركات الصحوة الإسلامية و الجهادية وكل من دخل اللعبة الأفغانية فكسب أو خسر....

و يصح هذا على مختلف التنظيمات العربية والإسلامية التي حضرت أفغانستان ..

باختصار لقد صارت قضية الجهاد الأفغاني منطقة تقاطع مصالح عالمية وإقليمية ندر أن يتكرر مثلها.فاجتمع الجميع على الإتحاد السوفيتي،وكان لكل نيته وأهدافه.

أما عن مصالح الحركات الإسلامية غير الجهادية .. فكانت شتى، تتراوح بين النية الحسنة في خدمة أخوة العقيدة والدين ، وبين المصالح الذاتية لكل حركة من الحركات، من المكاسب الدعوية والتنظيمية والمادية، وصولا إلى المصالح الذاتية والشخصية لبعض الأفراد.

فماذا كان هدف الجهاديين من الحضور إلى أفغانستان؟!

لقد كان هدفهم منحصرا بعد نية الجهاد وأداء الفريضة، والبحث عن الشهادة في سبيل الله، من قبل غالب قياداتهم وأفرادهم ، كان هدفهم أمرين استراتجيين أثنين. أذكرهما بحسب أهميتهما و بحسب ما لمست شخصيا بسبب تماسي المباشر، بل عضويتي في التيار الجهادي، ومن ثم هذا الجمع الذي أطلقوا عليه الاسم (الدراماتيكي) الجميل الذي أحبه وأنتمي إليه وهو : (**الأفغان العرب**):

1. **أما الهدف الأول لمعظم الكيانات والتنظيمات والكوادر الجهادية، فكان الإعداد والتدريب..**

وترتيب الصفوف، وجمع الكوادر، وتجنيد العناصر، وإقامة العلاقات العامة، واستقطاب أموال التبرعات، وتدريب أفراد التنظيم ، من أجل قضيتهم الذاتية في بلادهم، وهو الهدف الذي سيطر على تفكير معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية العربية، وسواها من الأعجمية. وهو: (إسقاط حكومات الردة القائمة في بلادها كلا بحسبه وإقامة حكومات إسلامية تحكم بشرع الله).

2. **العمل على تحرير أفغانستان..**

وإقامة حكومات إسلامية شرعية فيها، تكون منطلقا لإقامة شرع الله في الأرض، وملاذا آمنا، وقاعدة خلفية للجهاد ضد مختلف أعداء الله وفي كل قضايا المسلمين، بدءا من فلسطين و انتهاء في كل قضية للإسلام فيها نصيب وهوية..

ولقد تراوح الجميع في نيتهم بين هـذين الهـدفين بنسـبة تقـل أو تكـثر، بحسـب اخـتلافهم في توجهاتهم..

حتى بالنسبة لي شخصيا، فقـد كـان هـدفي الـذي حملنـي إلى أفغانسـتان، والـذي فشـلت في تحقيقه فيها خلال شوطها الأول (1987-1992) . فقد كان إعـادة بنـاء تنظـيم جهـادي يعمـل عـلى متابعة المشروع الجهادي الـذي قـام في سـوريا (1975-1982). وانهـار لأسـباب ذكرتهـا مفصـلة مـع تاريخه، في كتابي الموسع (الثورة الإسـلامية الجهاديـة في سـوريا- آلام وآمـال) والـذي نشرـت الطبعـة الأولى منه في بيشاور (1990). بالإضافة لقناعتي بالهدف الثاني ومساهمتي فيه وأسأل الله القبـول.. ثم أثرت فيَّ أفغانستان ، وغيرها من التجارب بعد ذلـك إلى الإتجـاه الأمـي الجهـادي العـالمي فـيما بعد، و إلا فإني قدمت أفغانستان أولا مثل غيري لذلك السبب الخاص ببلادي ومصيبتها الذاتية.

فهل حقق التجمع الجهادي العربي أهدافه هناك، وسط تضارب زحمة أولئك المجتمعـين عـلى هزيمة الدب الروسي العنيد؟؟

أعتقد أن قسطا كبيرا من تلك الأهداف قد تحقق ، وليس هنا محل سرد التفاصيل التي لعـلي أسجلها إن يسر الله لي الكتابة في تاريخ ودروس تجاربنا خلال الشوطين الجهاديين للأفغان العرب في أفغانستان (1984-1992/1996-2001)..

وأكتفي هنا بالقوال بأن المكسب الأكبر للتيار الجهـادي مـن تلـك التجربـة، هـو عولمـة التيـار الجهادي فكريا وحركيا..وتبادل الفكر والخبرات، والتعارف بين كوادره من البلاد المختلفة ، ثم انتشار ذلك في مختلف أقطار الدنيا ..لقد كان هذا أكبر المكاسب .

بالإضافة لتحقيق أكبر نصر عسكري للمسلمين في تـاريخهم الحـديث ، وإثبـات قـدرة الإسـلام والمسلمين على هزيمة القوى العظمى، رغم تفاوت الإمكانيات، وزرع هذه القناعة في أمـة أوشـكت تقتنع بقدر الهزيمة.

والمكاسب كثيرة ..بالإضافة للمكاسب الشخصية التي حققها من تقبل الله منه بعد أن شرفـه بالحضور والمشاركة ممن قضى نحبه وممن ينتظر..

وأما الخسارة الأساسية في نظري، فهي في أن الظروف من جهـة ، والجمـع غـير المتجـانس مـن جهة أخرى، وكذلك عدم تحلي القيادات التي أدارت ذلك الجمع الجهادي بالقدرة على توليد تجمع أو تيار جهادي عالمي منظم ، يفرض حضوره ومساهمته في قضايا الأمة وسـاحة الصـحوة الإسـلامية. وقد توفرت بحسب ما أظن ظروف دولية، وكـم مـن الشـباب والكـوادر والرمـوز والـدعاة وقـدماء المجاهدين من بلاد متعددة ، ومن توفر الأموال وغير ذلك من المعطيات .. ما كان يمكِّن من ذلـك ، في فرصة نادرة الحدوث..ولكن قدر الله وما شاء فعل ولست هنا بصدد تناول أسباب ذلك.

وأما على صعيد من ينسب الإعلام إليهم تهمة علاقتهم بـ (*CIA*) وأنها أنشأتهم من أجل تدمير الإتحاد السوفيتي.. فكلام باطل أيضا. وعلى سبيل المثال فمن أشهر من تناولهم هذه التهمة..

- <u>الشيخ عبد الله عزام رحمه الله:</u>

وقد عرفته وكثيرا ما ترددت إليه. و قد عملت فترة قصيرة معه، وكان جل عملي أيامها مع الشيخ أسامة حفظه الله . فكان هدف الشيخ عبد الله موجزا، وكثيرا ما تحدث عنه بنفسه وسجله في أشرطته ومحاضراته وهو:

1. إقامة الدولة الإسلامية في أفغانستان.

والانطلاق جغرافيا منها في عملية تحرير إلى ما شاء الله من البلاد وإلى فلسطين والقدس بشكل أساسي.. وكان يحدث عن فتح موسكو وبكين وبيت المقدس من أفغانستان.. وكانت هذه آماله ولسان حاله رحمه الله.. كما قال الشاعر ..

على قدر أهل عزم تأتي العزائمُ وتأتي على قدر الكرام المكارمُ
وتعظم في عين الصغير صغارها وتصغر في عين العظيم العظائمُ
ذو العقل يشقي في النعيم بعقله وأخو الجهالة بالشقاوة ينعمُ

ولمن ينكر مثل هذه الآمال من الأقزام اليوم، ولاسيما ممن ينسبون أنفسهم للصحوة الإسلامية. لم ينس المتبني- لله دره- قائل هذه الأبيات، أن يضيف....

ومن البلية نصح من لا يرعوي عن غيه وخطاب من لا يفهمُ

2. <u>(عسكرة شباب المسلمين) :</u>

وكان هذا الهدف الثاني للشيخ عبد الله ، رحمه الله وأكرم نزله و هو باختصار ، <u>نشر التدريب العملي تدريبا ومساهمة في القتال</u> . ونسأل الله أنه يجعل له مثل جميع أجور الأفغان العرب لا ينقص من أجورهم شيئا إنشاء الله ،لأن الشيخ كان هو المؤسس والمربي، والمظلوم الذي لم تعرف الأمة حقه ولاحق تراثه إلى اليوم ، ببركات المنتفعين من قيادات الصحوة الإسلامية ، وجهود أعداء الإسلام ممن يعرفون قيمة أمثاله ويعملون على دفن آثاره- رحمه الله ..

فقد كان يقول : (**أريد أن يأتي من كل بلد عربي ولو أربعين مجاهدا فيستشهد نصفهم ويعود نصفهم إلى بلاده ليحمل دعوة الجهاد ..**) ولقد حصل له- رحمه الله - أكثر مما أشتهى .

فقد حضر إلى أفغانستان أكثر من (40) ألف شاب عربي ومسلم غير أفغاني ، وتدرب عسكريا أكثر من نصفهم . وشارك في القتال أكثر من نصف الذي تدربوا .. ولم يتجاوز عدد الشهداء ما يزيد عن نسبة زكاة المال 2,5% . فقد كانوا (خلال ثماني سنوات) زهاء ألف شهيد رحمهم الله تعالى.

وكان لهذا الجمع دور تاريخي سآتي على ذكر بعض جوانبه بعد الانتهاء من الرد على هذه الفرية العجيبة. وهي : دعوى صناعة (CIA) وأمريكا للتجمع الجهادي العربي في أفغانستان ثم إنقلاب الجمع عليها والناظر في أشرطة وكتب وخطب وتراث الشيخ الشهيد عبد الله عزام- أبو محمد- رحمه الله. يرى المساحة الهائلة التي زرعها في قلوب أتباعه وقرائه من الكراهية والحقد المقدس على أمريكا وأعوانها .. وعلى المرتدين و أزلامهم. كيف لا؛ وهو من ضحاياهم في فلسطين والأردن ثم باكستان حيث قتلوه بأوامر أمريكية في عهد(بنزير بوتو) ووزير داخليتها (بابر) ،الذين تبقى مهمة الاقتصاص منهم أمانة في أعناق أجيال المجاهدين . قتل الله المجرمين وتقبله في الشهداء.

وأما أنه أفتى في كتابه القيم (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) بجواز أخذ المساعدات من الأمريكان لجهاد الروس المعتدين أو العكس..فهو صحيح. وهي حال الضرورة التي تلجئ إليها المسلمين ، إذا دهمهم صائل و أشفوا على الهلكة... وهذا أمر معروف ، يقدره الفقهاء بشروطه. وقد أفتى الشيخ للأفغان أن يأخذوا المساعدات من أمريكا ومن المرتدين من حكام العرب و من سواهم . **وأما الجمع الجهادي العربي فقد كان جمعا معطيا لا آخذا، فقد انهالت عليه التبرعات بمئات الملايين من الدولارات من زكاة أموال المسلمين وتبرعاتهم . فأخذ الجمع حاجته من مصاريف الجهاد والإعداد و كفالات أسر المجاهدين والشهداء العرب وأنفق أكثر المال على الجهاد الأفغاني ذاته.** كما أوصل المجاهدون العرب بأمانه ما جاء وقفا على الجهاد الأفغاني ذاته لأصحابه من المجاهدين والمهاجرين من أيتام وأرامل و محتاجين ..هذا عن دور الشيخ عبد الله عزام.

- **أما الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله :**

فقد أخذ حظا أكبر من هذه التهمة وذهب الإعلام مذاهب شتى في تهمته. فقد تناولته كتب وأبحاث كثيرة لكتاب صليبين عرب وأجانب بهذه الفرية وذهبوا بعيدا. إلى الحديث عن علاقة وثيقة لأسرة بن لادن. وعن تجارة بترولية بين الرئيس بوش الأب وأحد أخوة الشيخ أسامة ، وعن عمل بن لادن مع المخابرات السعودية في بيشاور في ترتيب الجهاد العربي في أفغانستان ، والحقيقة أن المخابرات السعودية كانت تشرف على مساهمات السعوديين ، وتداخلت عناصرها من خلال الإسلاميين السعوديين ، نتيجة حجم المساعدات الواردة من السعودية .. وكان التعاون مع الجهات

الرسمية السعودية قائما فعلا.. وتتحدث التهم والخيالات الإعلامية عن ربط المخابرات السعودية لابن لادن بالمخابرات الأمريكية... بل ذهب البعض إلى أبعد من ذلك، ليجعلوه عميلا موظفا رسميا في (*CIA*) ! وأنه أنقلب عليهم بعد ذلك عندما غزوا السعودية واستقروا فيها بعد ما سمي (حرب تحرير الكويت) وأنه فعل ذلك استجابة للشعور الديني والوطني! وذهب البعض أبعد من هذا ، ليعتبروه مازال عاملا معهم، وأنه ضرب نيويورك لصالحهم! سواء شعر أم لم يشعر، وأن الإستخبارات الأمريكية أغفلت المعلومات المتوفرة لديها عن ذلك، ولم تمنع العمل كي تبرر أمريكا غزوها لبلاد العرب والمسلمين وتدمر أفغانستان وتحتل العراق ..!!! واستشهدوا على ذلك بأنهم لم يعثروا عليه حتى الآن عمدا .!!. إلى آخر ما يصل به الخيال والخرافات و اللامعقولية المتعمدة وغير المتعمدة.

وحقيقة الأمر أبسط من ذلك و لا تحتاج كل هذه التعقيدات. ولئن قدر الله لي وتناولت في كتاب مستقل يتعلق بتلك الأحداث، وأرخت لتلك المرحلة، لكتبت ما يشفي إنشاء الله من الحقائق الميدانية، عن أحداث عشتها بنفسي وعاصرت أصحابها وعملت معهم، أو بقربهم عبر مسار التيار الجهادي وإلى الآن ولله الحمد .

وأما على سبيل الإختصار فأقول :

كان الشيخ أسامة بن لادن- فرج الله كربته وحفظه - قد بدأ مشواره إلى أفغانستان بعيد احتلال الروس لها مقدما للتبرعات المالية .. وقرر- فيما بلغني عن الثقات ممن عاصروا تلك المرحلة - الاستقرار والتفرغ للجهاد ميدانيا إلى جانب الأفغان مطلع سنة(1986). بعد تأسيس الشيخ عبد الله عزام لمكتب الخدمات سنة(1984) ، فعمل معه مدة، ثم بدا له أن يستقل فأنشأ تنظيم القاعدة مطلع سنة (1988) بعد ازدياد وفود المجاهدين العرب ولاسيما من السعودية واليمن - وهي ميدان صلاته ومعرفته- إلى أفغانستان..

وكانت حركته من السعودية علنية مشروعة، لم تتصادم مع توجهات الحكومة بل اتفقت مع توجهاتها الأمريكية الأصل في دعم الجهاد الأفغاني. وبقي الحال كذلك إلى سنة (1990) حيث شكلت حرب الكويت إشكالا شرعيا وعقديا لعموم تشكيلات المجاهدين الأفغان العرب، ومن ضمنهم عناصر القاعدة التي تولى التدريب والتوجيه والتربية الفكرية فيها عناصر من التيار الجهادي من مصر وسوريا وغيرها وأثروا في هويتها الفكرية ..

وقد شكل الشيخ أسامة القاعدة لأهداف جهادية في أفغانستان و في خارجها ، وذلك لدعم قضايا الجهاد وتنظيماتها في أماكن عديدة. وكان له مشروعه الجهادي الخاص في اليمن الجنوبي ضد الحكومة الشيوعية السابقة . وتحولت آمال مشروعه لتصبح على مستوى اليمن الموحد فيما بعد.. فكان مثله مثل عموم التنظيمات الجهادية ذات المشروع الخاص . ومن هنا اتخذ من المشاركة في

الجهاد الأفغاني ميدانا للإعداد والتدريب لعناصر مشروعه ، مثله مثل باقي الأفغان العرب. كما عمل كغيره للهدف العام ، وهو العمل على إقامة دولة إسلامية في أفغانستان بعد تحريرها.

وقد عملت بنفسي بصورة متقطعة في مجال التدريب العسكري في معسكرات القاعدة، خلال الفترة مابين مطلع (1988) و (1991) . كما عملت محاضرا أيضا في المجالات المنهجية والسياسية الشرعية ودروس حرب العصابات فيها وفي غيرها من التنظيمات . والمعسكرات ، واحتككت بمعظم الجهاز المؤسس والكادر العامل في إطار الجهاد العربي الأفغاني. ولم يكن للقاعدة في حينها أي توجهات أخرى خارج أفغانستان ميدانيا، ولم يكن للشيخ أسامة مشروعا مباشر إلا اليمن. بالإضافة للدعم المادي لقضايا وجماعات جهادية في أماكن كثيرة ، وهذا في حدود إطلاعي الذي أعتقد أنه كان قريبا جدا من حقيقة الواقع لقربي من الشيخ آنذاك فقد كنت أحد أعضاء الصف الأول فيها حول الشيخ .

وفي سنة (1991) غادرتُ أفغانستان عائدا إلى مقر إقامتي في أسبانيا وانقطعت علاقتي عمليا بهم إلى سنة 1996 حيث تلاقينا في ضيافة طالبان .

كما غادر الشيخ أسامة و معظم إدارته ومن تبقى معه من الكوادر إلى السودان ، ولم يكن قد تبدى عليهم أي توجه آخر في العمل.

كانت ساحة الجهاد العربي في أفغانستان أيام جهاد السوفييت متداخلة جدا . وكان دور السعودية ومؤسساتها الإغاثية وأجهزتها الاستخباراتية و العسكرية كبيرا . وكان كثير من مسؤوليهم على علاقة عمل مباشرة مع إدارت العمل العربي ،الذي كان الشيخ عبد الله عزام والشيخ أسامة في رأس إدارته .. وكانا والآخرون من القيادات يرون ذلك مفيدا لدعم الجهاد الأفغاني ، الذي لا يخفي في ثناياه سرا يخشى عليه من وجود أشخاص يقدمون الدعم له من الإستخبارات السعودية أو الباكستانية . و أما من كان لهم مشاريع جهادية خاصة فكانوا على النقيض في قناعتهم . فلم يكونوا على تماس بهؤلاء ولا نظروا إليهم بعين الارتياح وكنت من هذا الفريق ، رغم قربي من الدائرة الأولى حول الشيخ أسامة في حينها وإلى (1991).

وأما أن هناك أمريكان قد دربوا المجاهدين العرب من جماعة القاعدة أو غيرها أو قدموا لهم أي دعم فمجرد كذبة تافهة. إذ لم يكن هذا ليكون مقبولا ولا على سبيل المزاح .. فالوسط الجهادي العربي الذي تسيطر عليه أفكار الولاء والبراء والمدرسة السلفية الجهادية كان متوترا تجاه بعض الشخصيات الحكومية السعودية التي تأتي لتقديم الدعم وربما دخلت بعض المضافات أو المعسكرات العامة المفتوحة (مثل الملحق العسكري في السفارة السعودية- أبو مازن-) فكيف بمثل هذه الأفكار عن أجانب أو أمريكان..

لكن الذي لم أر وسائل الإعلام أو الكتب التي تتعرض للشيخ المجاهد أسامة بـن لادن حفظـه الله قد تعرضت له على أهميته في تفسير ما جرى في تلك المرحلة و ما بعدها، فهو:

توقيت التغير الفكر والمنهجي لدى الشيخ أسامة، والذي انعكس موقفا وتوجها عليـه وعلى القاعدة ضد أمريكا فيما بعد.

فقد كان هناك عاملين أساسين قد سبباً ذلك وهما بتسلسل الأهمية :

1. أن الشيخ أسامة قد بنى القاعدة على جهود كوادر من تنظيم الجهاد المصري أساسا، مع بعض الذين ساهموا في التدريب من كوادر التيار الجهادي في مناطق أخرى. ولم يكن معظمهم أعضاء في القاعدة، وإنما على سبيل التعاون وتبادل المنافع . فقام هؤلاء الجهاديون - وكنت من بينهم لفترة - ببث أفكارهم الجهادية حول الولاء والبراء و الحاكمية ..وغيرها من الأمور السياسية الشرعية ، وفقه الواقع في تلك المعسكرات حيث وصلت الأساليب لحد تدريب السعوديين على الرماية على صور الملك فهد وكبار الأمراء السعوديين..!

فأثروا مع الوقت عبر كتبهم ومحاضراتهم و أساليبهم و مناقشاتهم في قاعدة القاعدة الشبابية . ثم انتقل التأثير ذاته للشيخ أسامة مع الوقت ، والذي كان قد حضر إلى أفغانستان وهو مثل عموم الشباب السعودي الذي جاء للجهاد آنذاك يحمل منهج و بصمات فكر الصحوة الإسلامية في السعودية ، وهي مزيج فكر الإخوان المسلمين و السرورية ودعاة المدرسة الوهابية الرسميين. - وأكتب هذا لعلمي بسبب قربي منه تلك الفترة ومناقشاته في ذلك مرات عديدة – .

وكان هو وعموم المجاهدين السعوديين يعتبرون أن الحكومة السعودية شرعية، وأن الملك فهد وآل سعود مسلمون وأولياء أمور شرعيون ، على فسقهم ومظالمهم.. ويكنون احتراما شديدا للعلماء الرسمين في هيئة كبار العلماء، ويلتزمون بفتاويهم ..

ولم يكن بيننا كجهاديين وبين أولئك الأخوة ومنهم الشيخ أسامة ذاته من حملة هذا الفكر قواسم مشتركة آنذاك إلا عموميات الإسلام المتفق عليها، والعمل على نصرة الجهاد الأفغاني، ولكن التناقض المنهجي والاختلاف في الفكر الجهادي وفهم الواقع ومنطلقات السياسة الشرعية كان جليا بيننا كجهاديين وبينهم .. والذي حصل مع الوقت ، أن الشيخ أسامة- حفظه الله - تدرج في القناعة وهضم الفكر الجهادي، وتقبله ثم تبناه ثم صار أحد رموزه .. وأظن أن مما ساعد على ذلك، إضافة للتأثير والاحتكاك بينه وبين الجهاديين ، كان العامل الثاني وهو..

2. موقف السعودية ومؤسساتها الحاكمة وعلماء ها الرسميين من تداعيات حرب الكويت ووجود القوات الأمريكية في السعودية.

فإن ما تبع ذلك من تحولات، كشفت له حجم الكارثة، وعظم دور الكفر الحاكم في جزيرة العرب، وعمق نفاق المؤسسات الدينية الرسمية. وفهم بحكم ألمعيته وإدراكه للواقع، وذكائه الحاد. أبعاد أهداف الوجود الأمريكي في المنطقة ،ووفرت له فترة الإقامة في السودان (1992-1996) مدة كافية للتفكير. إنتقل خلالها من المعارضة الإعلامية اللينة لحكومة آل سعود مع الاعتراف بشريعتهم (أنظر بياناته باسم هيئة النصيحة والإصلاح 1- 10)، إلى الدعوة للإصلاح بشدة وجدية في توجيه الخطاب الحاد والقاسي للسلطة الحاكمة ومؤسستها الدينية الرسمية المنافقة..(انظر البيانات 11-17) (وقد أوردت مقتطفات من هذه البيانات في الفصل الرابع – عند فقرة : المؤسسة الدينية السعودية ودورها في دعم الحملات الصليبية الثالثة) وانظر كتاب (شهادة قادة الجهاد والإصلاح في بلاد الحرمين) ..للمؤلف .

ثم بدأ الأمريكان بالضغط على السودان لطرد الشيخ أسامة ، بعد ما باتت مصالحهم تتعرض لبعض الهجمات من بعض الشباب السعودي المجاهد الذي هضم الفكر الجهادي في أفغانستان وتحول إلى مجال التطبيق، ولم يكن لأولئك الشباب أي علاقة عمل تذكر بالشيخ أسامة ولا القاعدة، من مثل الذين فجروا مجمع سكن الأمريكان في العليا في الرياض ، أو قاموا بعض الأعمال المحدودة. وكان الأمريكان والحكومة السعودية يعرفون ذلك . فلما طردت السودان الشيخ أسامة وعاد إلى أفغانستان في عهد طالبان 1996. كان حوله مجموعة من الذين يحملون فكر المواجهة الأممية مع أمريكا. وحلفائها وكان الشيخ أسامة قد توصل بتفكيره الشخصي وتأثره بمنهج التيار الجهادي، وفهمه للواقع إلى أن الطريق إلى الجهاد ضد الأنظمة المرتدة ومنها النظام القائم في السعودية يمر حتما بمواجهة أمريكا..وتوصل بتوفيق الله له إلى المعادلة السياسية الصحيحة :

(1) العلماء يضفون الشرعية على آل سعود.

(2) وآل سعود يضفون الشرعية على وجود أمريكا في الجزيرة..

وهناك إحدى طريقتين للموا جهة مع آل سعود وهذه الأوضاع ..

1- إما مواجهة آل سعود وبالتالي ضرورة مواجهة العلماء لكشف نفاقهم، لإسقاط شرعية آل سعود وهي معركة خاسرة أمام الناس ، لحجم وثقل المؤسسة الدينية وما زرعته من الشرعية والهيبة في عقول الناس عبر أكثر من (70) سنة .

2 - وإما طريق أسلم .. وهو

ضرب الوجود الأمريكي .. فيضطر آل سعود للدفاع عنه فتسقط شرعيتهم ، في أعين المسلمين في بلاد الحرمين .. فتدافع المؤسسة الدينية عنهم .. فتسقط شرعيتها معهم .. فتدور المعركة على بينة أكثر وضوحا أمام الناس..

وأختار الشيخ أسامة الخيار الثاني ، و أعتقد أنه كان مصيبا إلى حد كبير . يقدرهذا من يفهم الأوضاع في السعودية ومكوناتها الدينية والاجتماعية والسياسية.

كما كان الشيخ أسامة قد اقتنع بعد درس سقوط الاتحاد السوفيتي، ورأى كيف سقطت كل الحكومات الديكتاتورية في دول حلف وارسو بسقوطه..مثل ما حصل في ألمانيا الشرقية ورومانيا وبولندا وسواها. واقتنع أنه بسقوط أمريكا ستسقط كافة مكونات النظام العربي القائم ، وسواها من القائمة في بلاد العالم الإسلامي .

فاقتنع لهذه الأسباب بتركيز الجهد على جهاد أمريكا. وبدأ يدعو من يحضره لفكرة الحرب مع رأس الأفعى كما دعاها وليس مع ذيولها الكثيرة.

وقد حضرت إليه في أفغانستان بعيد وصوله إليها بنحو أربعة أو خمسة أشهر ، لإجراء مقابلة تكمل فيلما وثائقيا عن المعارضة السعودية أواخر عام 1996 بثته الـ (***BBC***) . وكذلك بعد عدة أشهر، في مايو 1997.لإجراء مقابلة تلفزيونية بثتها الـ (***CNN***) . (حيث كنت قد أنشأت في لندن مركزا للإعلام والدراسات متخصص في صراعات العالم الإسلامي) .

وعلى هامِش ذلك العمل ، جلست معه عدة مرات ، وكانت هذه قناعته باختصار..

ولما عدت للإقامة في أفغانستان نهائيا في عهد طالبان بعد ذلك بسنة ونيف.. سنحت لي فرص عديدة على مدى السنوات الأربعة التي أقمناها في ظل الإمارة ، لزيارات أخوية قمت بها إليه، ولعدد من أصدقائي الآخرين العاملين معه.. وكان ما ذكرت هو فحوى دعوته لكل من يزوره من العرب والعجم من قيادات الصحوة وشبابها.

وأعتقد أن الفكرة التي اختارها ، في جهاد الأمريكان كمفتاح لحل جميع المشاكل في الجزيرة العربية والمنطقة بأسرها، كانت صحيحة، بصرف النظر عن رأيي في تفاصيل طريقته في عمله، وأداء تنظيمه من أجل تحقيق تلك الأهداف آنذاك.

ثم بدأ الشيخ أسامة حفظه الله يتوغل في تلك القناعة ، ويجمع المبررات لهذه المعركة ويختار لها التكتيكات اللازمة بحسب وجهات نظره.

فزعمُ من افترى عليه أنه عمل مع الأمريكان أثناء جهاد الروس، ثم انقلب عليهم، هو زعم باطل..مبني على التجني والحقد أو الجهل ، بسبب دعاوى وسائل الإعلام المعادية.

و القصة باختصار أنه قد جمعه وجميع المسلمين آنذاك، قاسم مشترك مع الأمريكان في ضرب الروس لعدوانهم على أفغانستان .. فلما انتهت المعركة، تنبه الجميع إلى أن العدو المقبل هو القوة الوحيدة التي انفردت بإدارة العالم ، وإنشاء النظام العالمي الجديد، وغزت بلاد الحرمين .. وراحت تجهز الحملات الصليبية على الشرق الأوسط...

فأكمل ابن لادن الواجب وأعلن الجهاد بدوره على القوة التي جاءت للعدوان بدورها .. وكذلك فعل معظم من أراد الجهاد معه ، أو مستقلين عنه كما كان حالي وحال أمثالي.

وحتى تكون الصورة واضحة ؛ فمثلا لو ساعدنا الفرنسيون أو غيرهم من الأوربيين ، أو الروس ،أو الصين.. ساعدونا اليوم في جهادنا لأمريكا، كما أظن أنهم ربما سيفعلون يوما ما.. لصار بيننا قاسم مشترك .. ولو انتصرنا على أمريكا، وقاموا بدورهم يغزون بلادنا كما أظن أنهم سيفعلون لو فعلوا ما قبلها ، سننقل الجهاد ضدهم .. ولو وجدناهم انتقلوا للموادعة والتعاون على المفيد ولحسن الجوار، سيجدون أن في ديننا سعة لأن نفعل مثل ذلك معهم.. كما أظن أنهم لا يفعلون إلا في إطار التكتيكات المرحلية..

ورغم أني أحس أني أسهبت وأطلت في دحض هاتين الشبهتين، ولكن ذلك لأني وجدت وسائل الإعلام تنشر هذه الافتراءات عامدة أم جاهلة بشكل بالغ الأذى للمجاهدين والمسلمين .. وأظن في عرضي هذا كشهادة حية ، فائدة لمن يتوخى الحقيقة ليستفيد منها.

وكما أنهيت فقرة الشيخ عبد الله عزام رحمه الله بأبيات جميلة للمتنبي. فأرى أن أنهي أيضا بما يناسب مقام الشيخ أسامة في التوجه اليوم لحرب أمريكا بأبيات جميلة أخرى لنفس سلطان الشعراء، فإني أرى في اختيار الشيخ أسامة للمعركة مع رأس الكفر والطغيان أمريكا صورة لما قال المتنبي، وهو قوله:

إذا غامرت في شرف مرومِ ... فلا تقنع بما دون النجومِ
فطعم الموت في أمر حقير ... كطعم الموت في أمر عظيمِ
يرى الجبناء أن العجز عقل ... وتلك خديعة الطبع اللئيمِ
وكم من عائبٍ قولا صحيحا ... وآفته من الفهم السقيمِ
وكل مزية في المرء ترجى ... وما مثل الشجاعة في الحكيمِ

فرحم الله الشيخ عبد الله عزام في من قضى نحبه ، وحفظ الله الشيخ أسامة ، وجعلنا وإياه ممن ينتظر وما بدلوا تبديلا ، وغفر لهما ولنا ولجميع المسلمين..

وأعود بعد هذا الاستطراد المفيد إن شاء الله لموضوع الفقرة وهو:

● أثر الجهاد الأفغاني (1984-1992) على التيار الجهادي المعاصر منهجيا وحركياً :

- تحولت (بيشاور) .. المدينة الحدودية الدافئة شتاء الملتهبة صيفا. التي كان السلطان محمود الغزنوي رحمه الله، قد اتخذها عاصمته الشتوية، في غزواته المجيدة في فتوح الهند في القرن الرابع الهجري. تحولت إلى جامعة حقيقية لكافة مدارس وتيارات وتنظيمات وجماعات الصحوة العربية والإسلامية تقريبا .. وخلال سنوات ازدهار ذلك الجمع مابين (1986) و(1992).. أصبحت ميدانا لتلاقي كل الأفكار والمناهج و الطروحات التي كنت تسود الصحوة الإسلامية من دعوية، وإصلاحية، وسياسية، و جهادية، وحتى من الكتل الشاذة فكريا..وازدحمت فيها مئات المؤسسات الخيرية الإنسانية العربية والإسلامية و الأجنبية التي قدمت لأغراض شتى. تحت ستار تقديم الخدمات لأكثر من (3) مليون لاجئ أفغاني تدفقوا إلى باكستان. التي ربما قطن أكثر من مليونيين منهم في بيشاور وما حولها .. وقد زار بيشاور خلال تلك الفترة ، مئات الشخصيات الإسلامية. من علماء، وشيوخ ، وكتاب ، وشعراء ، ورموز، وقادة حركات .. لتقديم جهد ما ، أو للإطلاع ، أو للدعاية، أو للرياء والسمعة، أو للتكسب ، أو لأي نية أخرى صالحة أو طالحة..
- ومن بيشاور كانت تتدفق المساعدات المالية والعينة والعسكرية وسوى ذلك على الحدود الأفغانية لتجد طريقها الصالح أو الطالح إلى حيث قصدت ألم تقصد ...

والجهاد الأفغاني ودور العرب فيه مسألة جديرة بالتأريخ والتحليل والاستفادة .وهو أمر يحتاج كتبا مستقلة. ولكني هنا بصدد أثر ذلك الجمع على التيار الجهادي العربي المعاصر ..

كان آحاد ربما لا يصل عددهم إلى عشرة قد توجهوا إلى باكستان بغية دعم المجاهدين الأفغان بعيد الغزو الروسي المعلن خلال عام (1979-1982) . ودخل ثلاثة أو أربعة منهم أفغانستان فعليا للمشاركة في الجهاد. كما وصلها بعض آحاد المحسنين من المسلمين لتقديم بعض العون المادي للمجاهدين الأفغان خلال تلك الفترة..

* ولكن التأريخ للجهاد العربي في أفغانستان يبدأ عمليا، منذ (1984) عندما تفرغ الشيخ عبد الله عزام كليا للجهاد الأفغاني ميدانيا، بعد أن عمل مدة مدرسا في كلية الشريعة في الجامعة الإسلامية في أسلام أباد وكان- فيما بلغني – عن بعض شهود تلك المرحلة، قد رحل عن الأردن نتيجة مضايقات السلطات في عمان ..

عمل الشيخ عبد الله عزام على عدة محاور لنصرة الجهاد الأفغاني كان من أهمها..

1. تأسيس (مكتب الخدمات) الذي تولى تقديم ونقل المعونات والتبرعات للمجاهدين والمهاجرين الأفغان

2. تأسيس مجلة الجهاد التي كانت منبره الرئيسي للدعاية للجهاد الأفغاني.

3. تأسيس معسكر صدى قرب الحدود الأفغانية، داخل الأراضي الباكستانية في منطقة القبائل من أجل تدريب الشباب العربي الذي بدأت طلائعه تصل بأعداد قليلة منذ (1984).

4. القيام بأسفار ورحلات دعائية ألقى خلالها عشرات الخطب في دول عديدة من أجل الحشد للجهاد الأفغاني، وحث الشباب على الرحيل إليه والاستفادة منه وأداء فريضة الجهاد .. وكان باكورة كتبه (آيات الرحمن في جهاد الأفغان) الذي لاقى شهرة واسعة ، وجدلا واسعا كذلك. ثم كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان). وقد أفتى فيه بالفرض العين على جميع المسلمين من غير ذوي الأعذار للذهاب للجهاد في أفغانستان.واستطاع الحصول على أكثر من (80) توقيعا من كبار العلماء والدعاة في العالم الإسلامي وعلى رأسهم كبار العلماء في السعودية و كبيرهم الشيخ ابن باز. وكذلك من بعض مشايخ الأزهر. وبعض الكبار من علماء ودعاة الإخوان المسلمين من أقطار عديدة. وكذلك من بعض علماء الباكستان وسواهم .. وقد لعب هذا الكتاب وتلك الفتوى دورا مهما، بالإضافة لمجلة الجهاد التي سرعان ما تحسن مستواها، وصارت مجلة مصورة تنقل الصور الحية للجهاد والمعاناة في أفغانستان، فصار لها مكاتب توزيع في أوربا وأمريكا وبعض بلدان العالم العربي.. لعب كل ذلك دورا بارزا في عملية التحريض..

وقد سمعت في بعض أشرطة الشيخ عبد الله عزام ، أن عدد الشباب الذن ثبتوا معه في (معسكر صدى)، سنة (84) وصل إلى (12) مجاهدا وتضاعف فقط خلال (1985) فوصل إلى (25) مجاهدا ثم بلغ مع منتصف (1986) أقل من (200) مجاهد بقليل، من مختلف الجنسيات ربما كان معظمهم من السعودية ومصر وفلسطين .

- وفي نهاية(1985) أو مطلع (1986) حضر الشيخ أسامة بن لادن - فيما بلغني- ليشارك ميدانيا بنفسه في الجهاد بعد أن كانت زياراته السابقة لتقديم الدعم المادي.

وبالتعاون مع بعض الكوادر من تنظيم الجهاد المصري من أوائل من قدم لأفغانستان، افتتح الشيخ أسامة مركزا عسكريا متقدما على أحد المعابر الهامة لإمداد المجاهدين في منطقة (جاجي) الجبلية الوعرة التي تنتشر فيها الغابات. وقدر الله أن يقوم الروس بهجوم كبير لإغلاق ذلك المعبر في رمضان (1986). وشارك مجموع الشباب الذين كانوا مع الشيخ أسامة والشيخ عبد الله عزام في تلك المعركة الشرسة التي استغرقت زهاء شهر. وحقق المجاهدون الأفغان نصرا كاسحا على القوات الروسية، بما فيها طلائع الكوماندوس التي أنزلت في المنطقة. ولعب أولئك الرهط القليل من المجاهدين العرب، دورا بارزا في تلك المعركة وأدت عملية الدعاية الواسعة التي غطى بها الشيخ عبد الله عزام عبر وسائله الإعلامية ، وكذلك الجولة الدعائية الهامة التي قام بها الشيخ أسامة في السعودية ،أدت إلى تقاطر المجاهدين العرب بأعداد كبير ليصل عددهم مطلع (1987) إلى عدة

آلاف كان أكثرهم من السعودية واليمن . ومن هناك كانت البداية عمليا. حيث تزايد العدد ليصل ذروته أواخر(1989-1990) ويتجاوز(40) ألفا من المجاهدين العرب والمسلمين من كافة بلاد العالم الإسلامي..

* كانت الحركية الجهادية في مصر، وشطراها الرئيسيان (الجماعة الإسلامية) و(جماعة الجهاد) ، قد دخلت في صراع إثر مقتل السادات (1981) مع حكومة خلفه حسني مبارك ، وأضطر العديد من أبرز قياداتها والكثير من عناصرها للخروج من مصر تحت ضغط الحملات الأمنية لدول الجوار. ومع ازدهار أخبار الجهاد الأفغاني، بدأ العديد منهم يتوجه إلى بيشاور. كما كانت الثورة الجهادية التي نشبت في سوريا ما بين (1975-1982) ، قد دمرت عمليا . وانساح من تبقى من عناصرها في أقطار الأرض. و يمم عدد محدود جدا منهم وجهه أيضا شطر أفغانستان، و استقروا في بيشاور وكنت وبعض خاصة أصدقائي من هؤلاء ولله الفضل والمنة. كما كان لعض الكوادر الجهادية من الفلسطينيين، من تلاميذ وأصدقاء الشيخ عبد الله عزام قد لحقوا به أيضا .. وبدأ آحاد من الكوادر الجهادية والعسكرية من هنا وهناك يتوجهون إلى تلك الساحة الجذابة التي سلطت عليها كل الأضواء والدعاية .. وفي (1986) اثر محولة جهادية انتهت بقمعها من قبل الحكومات الليبية، خرج أيضا بعض كوادر الجهاديين إلى هناك .. وكانت الحرب الأهلية في لبنان قد وضعت أوزارها، وتلقت الحركات الإسلامية السنية ضربات أمنية في شمال لبنان على يد الإستخبارات السورية، فهاجر بعضهم أيضا إلى تلك الساحة ..كما حضر بعض الإخوة من الإسلاميين من أكراد العراق.. وكانت هذه باكورة تجمع كوادر من التيار الجهادي العربي ليكون النواة الأولى للجهاديين داخل وسط التجمع العربي المجاهد في أفغانستان، والذي كان يتضخم بتسارع كبير ..

* كان الحضور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري ، بارزا ونوعيا في الساحة العربية وكذلك كان حضور الجماعة الإسلامية بمصر، وبصرف النظر عن الفوارق المعروفة في منهج الجماعتين.. إلا أنهما لعبتا - ولاسيما في القاسم المشترك من أفكارهما الجهادية- دورا مؤثرا . كما كان لحضور بعض طلاب العلم وبعض الدعاة السلفيين، وبعض (السروريين) من السعودية وغيرها دورا في ترويج فكر الحاكمية والولاء و البراء وعموميات الفكر الجهادي في الأوساط العربية.. وحتى الأعجمية التي أمت الجهاد الأفغاني. كما أدى حضور بعض تراث التجربة الجهادية في سوريا في الساحة- ومنها كتابي عن تاريخ تجربتنا ودروسها – ولله الحمد ، دورا فكريا ساهم في المواجهة الفكرية للتيار الجهادي ، التي بدأت تترك بصماتها على الجمع العربي . ولما كان حضور مدارس الصحوة الإسلامية الأخرى قويا أيضا في الساحة ،عبر سيطرتها على المؤسسات الطبية و التعليمية وعملها في المجالات الإغاثية الأخرى، ولاسيما من السلفيين التقليديين، والإخوان المسلمين والمنظمات الشبيهة بهم.. وكذلك التبليغ

وغيرهم.. بالإضافة للحضور الكبير للمؤسسات الإسلامية السعودية الحكومية وشبه الحكومية ، وما حملته معها من بصمات.

المؤسسة الدينية الرسمية.. وقد أحضر كل هؤلاء كتبهم ومنشوراتهم، ومجلاتهم ومحاضراتهم ، وتراثهم الفكري و الدعوي .. ونظرا لأن نهاية السبعينات ومطلع الثمانينات كانت فترة تألق وتفاعل بيت مدارس الصحوة الإسلامية..فقد صارت بيشاور و مضافاتها ومعسكرات التدريب في باكستان وأفغانستان وتجمعاتها مراكز للتواصل والحوار والتماس الفكري والصدام في كثير من الأحيان بين مختلف تلك الطروحات. وهكذا وجد التيار الجهادي ، ومن يمثله في ساحة الجهاد العربي في بيشاور ومعسكرات أفغانستان أنفسهم يصطدمون مع جبهتين رئيسيتين:

- جبهة الإخوان المسلمين والفكر الديمقراطي السياسي الذي كان أصحابه يروجون له عبر أبحاث ودراسات ومحاضرات كانوا يدعون إليها وحتى في بعض المعسكرات التي يستطيعون الحركة فيها.
- جبهة مدرسة الفقه السعودي الرسمي ، الذي كان يدعو لنبذ فكر الحاكمية ، وإلى اعتبار الحكام أولياء أمور شرعيين. ويدعوا إلى احترام العلماء الرسميين ولاسيما في السعودية ودول الجزيرة وهو ما يسمى بالمدرسة (الجامية) ثم (المدخلية)...

وشيئا فشيئا ، وباعتبار جهادية الأجواء من جهة، وما يحويه الفكر الجهادي من تألق واتساع ، ولنصاعة الحق وشيوع منهج إتباع الدليل..بدأ الفكر الجهادي يسيطر على ساحة التجمع العربي. وبدأ يكتسب أكثرية الساحة، حيث اقتنع آلاف الشباب القادمين من معظم بلاد العالم الإسلامي بالفكر الجهادي . وبدأت تتبلور وتتكامل مدرسة جهادية جديدة في التيار الجهادي ، أطلق على مجموع مكوناتها فيما بعد ما عرف بظاهرة (الأفغان العرب).

*كان تمازج الفقه والعقيدة السلفية مع الفكر الحركي الإخواني القطبي - الذي أشرت إليه آنفا- قد بدأ يختمر في مصر خلال السبعينيات ومطلع الثمانينيات..ولعب كتاب (الفريضة الغائبة) الذي كتبه الشهيد (عبد السلام فرج)، من الجماعة الإسلامية، والذي شارك في اغتيال السادات، وأعدم بعد ذلك - رحمه الله وجزاه وإخوانه عن المسلمين خيرا- لعب ذلك الكتيب دورا هاما في إعطاء رغم بساطة محتواه وأسلوبه وصغر حجمه . إلا أن المهم الجديد الذي أضافه للفكر الجهادي ، كان طرح فتاوى ابن تيمية في حكام التتار الذين حكموا بلاد الإسلام ومنها الشام لما غزوها وزعموا أنهم مسلمين ، رغم أنهم بدلوا الشرائع وحكموا بغير ما أنزل الله ، كما طرح مسألة المقارنة بين حكام المسلمين وأعوانهم وجنودهم اليوم ؛ وبين أولئك التتار وفتاوى العلماء في كفرهم ووجوب قتالهم مع من قاتل معهم على من فيهم من الجاهلين والمكرهين.. وإسقاط تلك الأحكام على واقع الحكومات العربية وفي بلاد المسلمين، وعلى جنود شرطتهم واستخباراتهم ورجال أمنهم.. وقد صلت هذه المقارنات إشكالات كبيرة وإجابات على أسئلة ملحه طرحها جهاد الحكومة وأعوانهم..

وكان لجماعة الجهاد مؤلفات أخرى تحمل نفس أسس ذلك الفكر، وطبعت تلك الكتب ووزعت في بيشاور. وكان الصدام الفكري بين، الفكر الإسلامي الديمقراطي الذي تبناه الإخوان وأشباههم، وبين الفكر السلفي – قبل أن تنتقل إليه العدوى الديمقراطية – على أشده أيضا في ساحة الصحوة عامة ، وانتقل كذلك إلى أهم ساحاتها آنذاك ،في ذلك التجمع.

وأصدرت جماعة الجهاد المصرية عددا من الأبحاث الهامة ، وتوجت ذلك بالكتاب القيم ؛ (العمدة في إعداد العدة) لشيخها عبد القادر بن عبد العزيز فك الله أسره. وربما كان هذا الكتاب من أهم كتب (الأفغان العرب). وقد سد ثغرة تربوية كبيرة في المعسكرات العربية في حينها ، وبقي واحدا من أهم كتب التيار الجهادي. وفي سياق نشاط الجهاديين في التأليف والنشر ، طبعت في بيشاور سنة 1990 كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا-آلام وآمال) ، الذي فرغت من تأليفه سنة 1987 ، والذي نقل لأوسط الأفغان العرب خلاصة تاريخ ودروس أطول وأهم التجارب الجهادية المعاصرة ضد حكومات الردة..

وافتتح الشيخ أبو حذيفة المصري ، أحد كوادر جماعة الجهاد - فرج الله كربته- مركز النور للإعلام مي بيشاور ، حيث تولى عدد من الخطباء والمحاضرين من الجهاديين تنظيم سلسلة من الدروس والمحاضرات و خطب الجمعة.

وبدأت بعض التجمعات الجهادية الناشئة تدخل على خط العطاء ، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية ، واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة ، وعقدت الكثير من الدورات الفكرية والمنهجية والتربوية واستقطبت قدماء كوادر التيار الجهادي للتدريس والمحاضرة ..ثم استقلت بكوادرها وبدأت تتبلور وتنتج..

وبدا جليا مع هذا المخاض الفكري، والتصادم والإحتكاك بين مختلف التيارات الفكرية المكونة لطيف الصحوة الإسلامية .. أن الفكر الجهادي الحركي ممزوجا بالمؤثرات السلفية الجديدة التي أسلفت الحديث عنها آنفا .. قد بدأت تطغى على الساحة وتكتسح قواعد آلاف الشباب العربي من الذين قدموا لساحة الجهاد الأفغاني رغم أن غالبيتهم لم ينضموا في عضوية عشرات التنظيمات الجهادية القديمة والجديدة، والتي صار لها في باكستان والمناطق الحدودية من أفغانستان مضافاتها ومعسكراتها .. وتكونت لها هياكل و إدارات، وكوادر وأمراء حيث كان الكثيرون منهمكون على هامش الجهاد الأفغاني، في مرحلة إعداد ونشاط دؤوب لحمل مشعل الجهاد والثورة للبلاد التي قدموا منها .. وكان هذا من كرم الله الذي لم يحسب حسابه أولئك الذين خططوا لفتح أبواب التسهيلات لهذه الجموع من أجل خدمة أهدافهم الكبرى ..

*. ولم تخل تلك المخاضات الفكرية من ميلاد بعض الظواهر الشاذة . من بعض النتوءات التكفيرية والغالية ، والتي نتجت عن التفاعلات الثورية للفكر الجهادي وأجواء الحماس إلى جانب. تواجد

المدارس السياسية و طروحاتها الديمقراطية المفرطة في التميع خلال تلك الساحة ، في أجـواء فرضـت فيها ظروف النظام العالمي الجديد على ساحة العالم العربي والإسـلامي مسـائل كـبرى مثـل التواجـد الأمريكي العلني بعد السري في الخلـيج.. ووبـاء التطبيـع مـع اليهـود و معاهـدات السـلام، والغـزو الفكري والثقافي والسياسي والاجتماعي لملامح النظام العالمي الجديد .. وما أوجدتـه هـذه الطامـات الكبرى من مواقع للدفاع عنها في أوسط علماء السلاطين، وبعض قيادات الصـحوة ذاتها..ومـا سـبب ذلك من ردود أفعال في أوساط الـبعض القليـل مـن الشـباب الـذين لم يكـن ينقصـهم الحـماس ولا الجهل. ولكن بقي ذلك في أطر محدودة .

ولكن المهم أنه قد نضجت في ذلك الجو، تجربة القدماء من الجهاديين ، كما تشكلت نويات من التنظيمات الجهادية الجديدة ، من بلاد لم يكن قد تبلور فيها مثل تلك التنظيمات. مثل ليبيا والجزائر وتونس والمغرب والأردن العراق ولبنان... وكذلك من بعض البلاد الإسلامية مثل الفلبين و إندونيسيا وتركيا وغيرها.

وباختصار...

يمكن القول أن جيلا جهاديا متميزا فكريا ومنهجيا وحركيا قد ولد هناك، في أجواء الجهاد العربي في أفغانستان ، أطلق عليهم الاسم المعبر الجميل ؛ (الأفغان العرب) ، ميزهم فوق ما تميزوا به من وضوح المنهج وصحة المعتقد ، أنهم استمدوا همتهم للجهاد من إيمانهم بمعية الله ، وقناعتهم بقدرتهم على إسقاط القوى العظمى ..

فما عادوا يهابونها ولا يهابون بطبيعة الحال ما دون ذلك من القوى الذنبية الحاكمة في بلادنا .. و كان هذا من أجمل ثمرات ذلك الانتصار التاريخي الكبير..

وحقيقة يصح أن يقول من كتب الله لهم شرف ذلك الحضور ما قاله الشاعر العربي عن يوم ذي قار .. يوم العز العربي بعد طول المذلة أمام القوى العظمى في ذلك الزمان:

لو أن كل معد كان شاركنا في يوم ذي قار ما أخطاهم الشرفُ

فلنا أن نقول :

لو أن كل موحدْ كان شاركنا في يوم أفغانَ ما أخطاهم الشرفُ

فقد أسقطنا مع إخواننا الأفغان الإتحاد السوفيتي زعيم المعسكر الشرقي ...

وأعتقد أن يسقط أتباعنا ومن امتد العمر به منا ، مع من يشاء الله من عباده أمريكا زعيمة المعسكر الصليبي الغربي الجديد...

إن شاء الله تعالى .. وهو فضل الله يؤتيه من يشاء..

• **خامساً: التيار الجهادي ومرحلة الملاذات والشتات (1991 - 1996):**

فيما كان المجاهدون الأفغان يدقون أبواب كابل، وبدأت تتساقط المدن الرئيسية في أيـديهم .. توجه المخطط الأمريكي الغربي نحو أفغانسـتان في منحيـين اثنـين تجـاه تلـك السـاحة. الأول أفغـاني والثاني عربي.

ففي الإتجاه الأفغاني كان برنامج الأمريكان وأعوانهم، وعلى رأسهم حكومة باكستان ، الحيلولة دون قيام حكومة للمجاهدين تعلن دولة إسلامية وتحكم بالشريعة وتنهض بـإعمار أفغانسـتان . و كان البرنامج المقرر افتعال مرحلة من الحرب الأهلية تستهلك المخـزون الإسـتراتيجي مـن السـلاح و مئات آلاف الكوادر المقاتلة من قيادات وأعضاء المنظمات الجهادية في أفغانستان. وهذا مـا نفـذوه خلال (1992- 1996).

وأما فيما يعيننا في هذا البحث. فقد كان جهدهم منصب على تفكيك الجمع الجهادي العربي وتشتيته ومطاردة عناصره وكوادره، في بلادهم وفي أنحاء الأرض. وهكـذا انتقـل التيـار الجهـادي إلى مرحلة جديدة استمرت من (1992- 1996) ، يمكن أن نسميها بـ (مرحلة الشتات و الملاذات الآمنـة المؤقتة) .

فقد عاد أولئك الآلاف من المجاهدين إلى بلادهـم في الغالـب، وبـدل أن يرحـب بهـم كأبطـال ومجاهدين عملوا تجاه الهدف المشترك لأولئك الحلفاء، بدءا بأمريكا وانتهاء بأذيالها من الحكومات التي سهلت ودعمت جهادهم .. وجد أولئك الشباب أنفسـهم غربـاء في أوطـانهم التـي تفـتح لهـم أبواب المعتقلات وجلسات التحقيق والسجون لمدد غير محدوة وتوجه لهم الـتهم .. ولم يسـلم مـن ذلك إلا بعض البلدان ممن لم يقابل أولئك المجاهدين بهذه الطريقة الشنيعة .. وقد ولد هـذا ردود أفعال شتى ، ونقل بعض شرائح الجهـاديين إلى ممارسـات معاكسـة .. كـذلك فقـد أدت عـودة تلـك الشرائح الجهادية إلى بلادها من أجواء العزة والكرامة والجهاد وحمـل السـلاح، لتصـطدم في بلادهـا بعد أن رقت إلى تلك المعاني السامية، بواقع أقل ما يمكن يوصف به أن هو البعد عن شريعـة اللـه ، والمتاهة في أجواء من الخنوع والخيانة والمذلة .. فقامت محاولات عديدة من أجل تكوين تنظيمات سرية دخلت في مراحل مـن الإعـداد للمواجهـة مـع حكومـات بلادهـا عـلى أمـل إسـقاطها وإقامـة حكومات شرعية إسلامية.. ولكن كافة تلـك المحـاولات اصـطدمت بواقـع غايـة في الصـعوبة وعـدم التناسب مع ما تصبوا إليه من أهداف. ودخلت مع أجهـزة الأمـن في بلادهـا في عمليـات مواجهـة ، أدت في نهاية المطاف إلى تدميرها وتشتيت عناصرهـا. وإلى تصـعيد المواجهـة الأمنيـة بـين الحركـات الجهادية والإسلامية في تلك البلاد وبين حكوماتها الضالة..المارقة

وكان من أهم تلك المحاولات التي تلت الجهاد الأفغاني ما حصل من قيام الجماعة الإسلامية المسلحة وتأسيسها على أيدي بعض الأفغان العرب من الجزائر بالتعاون مع تيارات جهادية محلية إثر الإطاحة بالإنجاز التاريخي لجبهة الإنقاذ عبر الإنقلاب عسكري (1991) . وكذلك ما حصل في ليبيا من محاولة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا (1994) .. وهما أوسع المحاولات في تلك المرحلة. بالإضافة لبعض المحاولات المحدودة كما حصل في اليمن ولبنان وسواها ، كما سنأتي على شيء من التفصيل لأهم المحاولات الجهادية في هذا العصر ، في فقرة تالية ضمن هذا الفصل إن شاء الله..

- هناك قسم آخر من الأفغان العرب وهم قدماء الجهاديين الذين غادروا بلادهم أصلا إثر مشاكل أمنية، وهم مطاردون من حكوماتهم إما قبل أو أثناء الجهاد الأفغاني ، ومعظم هؤلاء من تنظيمات جهادية سابقة، كبعض أعضاء تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية من مصر ـ وبعض الجهاديين من سوريا وليبيا وتونس ، وبعض الأعداد المحدودة من جنسيات أخرى ..

وهؤلاء لم يتمكنوا من العودة إلى بلادهم كما فعل الآلاف من الأفغان العرب من بلاد مثل السعودية ودول الخليج واليمن وموريتانيا والأردن وغيرها .. وقد توزع هؤلاء المطاردون أمنيا في ملاذات أمنية مختلفة على بعض ما تبقى من الهوامش السياسية والفجوات الأمنية قبل استحكام السياسة العالمية لمكافحة الإرهاب بعد قيام النظام العالمي الجديد .. وكان من أهم تلك الملاذات ..

1. **<u>أوربا والدول الغربية:</u>** وذلك عبر فرص اللجوء السياسي. وكان من أهم تلك البلاد، بريطانيا التي أمها كتلة كبيرة تضم كوادر رئيسية من الأفغان العرب والتيار الجهادي ، من مختلف الجنسيات ثم الدول الإسكندنافية . ثم باقي دول أوربا الغربية وبعض الشرقية و أستراليا وكندا ..
2. **<u>السودان:</u>** التي كانت حكومة البشير وحليفه الترابي قد استولت على الحكم موصلة الحركة الإسلامية الرئيسية فيها للسلطة. والتي كان من سياستها خلال مرحلة (1991-1995) ، فتح الباب للتنظيمات الجهادية للانتقال إلى السودان، حيث انتقل كم مهم من الجهاديين إلى هناك و كان في طليعتهم قيادة تنظيمات الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ـ . والشيخ أسامة وقياديو تنظيم القاعدة، بالإضافة للكتلة الرئيسية من قيادة الجماعة المقاتلة بليبيا .. و جهاديين من جنسيات أخرى.
3. **<u>بلاد أخرى لا تشكل خطورة أمنية</u>** على رعايا بلدان عربية أخرى من الجهاديين ولو كانوا مطاردين في بلادهم في حينها ، قبل استحكام التنسيق الأمني العربي والإقليمي و الدولي فيما بعد. وأهم تلك البلاد ..اليمن ،التي أمها جمع متنوع من جنسيات شتي من الجهاديين والأفغان العرب.ثم تركيا وكذلك سوريا التي آوى إليها قسم من الشباب المجاهد من دول شمال أفريقيا وليبيا .. هذا بصورة رئيسية، في حين انتشر آحاد من الجهاديين بأسرهم و أطفالهم ، في بقاع أخرى حتى وصل بعض هؤلاء المهاجرين الغرباء الفرارون بدينهم من القابضين على الجمر في هذا الزمن

إلى أقصى أنحاء المعمورة.. مـن الفلبـين.. إلى إندونيسـيا..إلى تايلنـد..إلى أمريكـا الجنوبيـة.. حتـى إلى بعض مجاهيل إفريقيا..

4. **البوسنة و الشيشان:** فقد وافق إقفال بوابات الجهاد في أفغانستان ، اشتعال الجهـاد في البوسـنة ما بين (1993-1995)، فيما كان المسلمون يتعرضون لمـذابح الصرب والكـروات.. مـما أوجـد سـاحة جهادية جديدة أمهـا آلاف الشـباب المجاهـد مـن الـبلاد العربيـة وبعـض الإسـلامية .. وقـد كـان في طليعتهم بعض الجهاديين . الذين خرجوا من ساحة أفغانستان لكي يلتحقوا بساحة البوسنة. وكذلك توجه بعض الأفغان العرب وعلى رأسهم القائد الشهيد خطاب وبعض رفاقه من الأفغـان العـرب إلى الشيشان ليؤسسوا بؤرة جهادية حملت مشعل الجهاد وأضافت لصفحات الجهاديين في الربع الأخير من القرن العشرين صفحات مشرقة إلى تلك الصفحات المجيدة التي شهدتها مناطق مختلفـة قبـل ذلك ..

- كانت الأعوام(1992-1995)أعوام مريحة نسبيا لهؤلاء الغرباء المشردين .. وقد مكنت هذه السنوات الأربعة الجهاديين المنتشرين في أقطار الدنيا، من العمل على نشر الفكر والدعوة الجهادية، ورغم أن مآخذ عديدة قد تذكر على تجارب هذه المرحلة سآتي على ذكر بعضها في آخر هـذا الفصـل إن شـاء الله .. إلا أن هذه السنوات كانت سنوات دعوة وانتشار ..

ورغم أن حملات مكافحة الإرهاب قد أشعلها أمريكـا عمليـا منـذ (1990)، وتصـاعدت مـع الوقـت لتبلغ ذروتها منذ (ديسمبر-2001)، إلا أن تلـك الحمـلات لم تـدخل مرحلـة الشـدة إلا منـذ أواخـر (1995) عمليا .. حيث وضعت أمريكا ضمن برنامجهـا لمكافحـة الإرهـاب كـما مـر معنـا في الفصـل الخامس ، برنامجا تضمن إلغاء الملاذات الآمنة . بالإضافة للممارسات الأمنية الأخرى ..

كان من أهم الشرائح التي عملت إيجابيا في نشر فكر الجهاد ودعوته .. تلك التي تركـزت في الغـرب ولاسيما أوربا، و في طليعتها الدول (الإسكندنافية) ،وفي (بريطانيا).. فقد عمل الجهـاديون مسـتغلين الظروف المريحة نسبيا ، والإمكانيات المادية وهامش الحرية- قبل إقفاله- والذي كان يتوفر في تلـك الدول . عملوا على إصدار النشرات والأبحاث وإعادة بث ما كان قد أنتج في مرحلة الجهـاد الأفغـاني أو على مر التجارب الجهادية ، السابقة الندوات والمحاضرات وارتياد المساجد والإحتكـاك بالجاليـات الإسلامية التي كانت تشهد صحوة إسلامية لا تقل وربما تزيد ازدهارا عن تلك التي تجـري في العـالم العربي والإسلامي. حتى أن بعض الحكومـات العربيـة ضجت واشـتكت مـن الحريـة التـي يعيشـها الإسلاميون و الجهاديون هناك ، وعقدت عشرات المؤتمرات لمكافحـة ظـاهرة الأصـولية الإسـلامية في مختلف ميادينها ومن ذلك الهامش في الدول الغربية . حتي تمكنوا من إقفال كل ذلك عمليا ما بـين (1995-2000).

وقد شهدت بنفسي تجربة فريدة للدعوة الجهادية خلال إقامتي في بريطانيا (1994-1997) واستطعت من خلال تلك الأجواء – كمثال- أن أكتب في العديد من النشرات و المجلات الجهادية التي كانت تصدر في بريطانيا مثل (الفجر) الصادرة عن الجماعة المقاتلة بليبيا ، و(المجاهدون) الصادرة عن لجماعة الجهاد في مصر ، و(الأنصار) المقربة أيامها من الجماعة الإسلامية والمسلحة في الجزائر قبل انحراف الاخيرة هذه عن الجادة .. وشهدت لندن الكثير من الندوات والدروس و اللقاءات التي كانت تسجل وتنشر إلى مختلف دول العالم حيث تتفشى الصحوة الجهادية.

إلى أن بدأت نذر العواصف الأمنية تهب على تلك الملاذات تباعا .. فبدأت موجات التضييق ثم الاعتقالات أو الطرد والإبعاد تطال كل تلك الملاذات آنفة الذكر بلا استثناء . وقد مر شيء من الإشارة لذلك في الفصل الخامس. فطردت السودان واليمن من لديها .. واعتقلت تركيا وسوريا والأردن من طالته أيديها وسلمتهم لبلادهم .. وبدأت الدول الأوربية كلها بلا استثناء الموسم بالتضييق وانتهت بزج مئات الجهاديين في سجونها ، حيث ما يزال كثير منهم إلى اليوم رهن الاعتقال العرفي بلا محاكمات ولا قانون، شأنهم في ذلك شأن إخوانهم المعتقلين لدى الأنظمة البوليسية والديكتاتورية في العالم العربي والإسلامي ودول العالم الثالث..

وهكذا دخل الجهاديون في مرحلة جديدة من المحنة كانوا بحاجة فيها إلى ملاذ ومتنفس جديد، وكان ذلك المتنفس ما يسره الله تعالى في أفغانستان مرة ثانية ..

• سادساً: الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان في أفغانستان (1996-2001).

هذا العنوان هو عنوان لفصل من أهم فصول تاريخ الصحوة الإسلامية و الجهادية المعاصرة على الإطلاق ، حيث يشكل أدق وأخطر مراحلها. وهو موضوع كتاب مستقل أعتزم كتابته إن شاء الله. وذلك فور انتهائي من هذا الكتاب الذي نحن بصدده .. حيث أشعر بالمسؤولية التاريخية، والأمانة العظيمة لكوني أحد قلائل الشهود الأحياء المتبقين من الذين يمكنهم كتابة هذه الشهادة الحية عن تلك التجارب العظيمة وأصحابها، ونقل تلك الدروس النفيسة لمن وراءنا من الأجيال القادمة، ولاسيما أولئك العازمين على حمل راية لجهاد وأمانة الدعوة إلى الله، في زمان استكبار الباطل وتشريد أهل الحق.

ولكني في هذه العجالة ؛ سأتعرض لأبرز آثار هذه المرحلة على التيار الجهادي المعاصر الذي نحن بصدد استعراض مراحله في هذا الفصل، معرضا عن كثير من التفاصيل بالغة الأهمية خشية الإطالة ، وخشية إثارة الحساسيات التي يلزم لإزالتها إسهاب وشرح لا يحتمله موضوع الكتاب .

وخلاصة ذلك في نقاط رئيسة موجزة على الشكل التالي:

- انطلق طالبان من ولاية قندهار، جنوب شرق أفغانستان أواخر عام (1993)، واستطاعت التقدم والسيطرة على وسط و جنوب وشرق أفغانستان بسرعة، ومن ثم دخول كابل عام (1996) وإعلان الإمارة الإسلامية في أفغانستان، وإعلان زعيم طالبان الملا محمد عمر- حفظه الله- أميرا للمؤمنين فيها. (وقد كتبت حول نشأة طالبان ومسارها خلال الفترة /1993- 1998 / بحثا مستقلا بعنوان :- أفغانستان والطالبان ومعركة الإسلام اليوم - لمن أراد التفصيل العودة إليه).

- سرعان ما وجدت الفئات المطاردة المشردة من كوادر وأعضاء التيار الجهادي في أفغانستان ملاذا آمنا، وربما إجباريا مع استعار حملات المطاردة أو ما سمي بـ (الحرب الدولية لمكافحة الإرهاب) بقيادة أمريكا التي انطلقت منذ أوائل التسعينات واشتدت ما بعد (1995).
فبدأ هؤلاء يتسللون فرادى ومجموعات إلى أفغانستان ، ليبتدئ العرب شوطهم الثاني في أفغانستان مع النصف الثاني سنة (1996) .

- مع الترحيب وحسن الجوار الذي أبداه الطالبان لتلك الطلائع القادمة، وفي مقدمتهم الشيخ أسامة ومجموعة من عناصر تنظيم القاعدة .. وبعض الرموز و الجهاديين من قدماء الأفغان العرب .. بدأت الساحة تستهوي عموم الجهاديين وأصحاب الطموح باستئناف المسار إلى هناك ...

- ومع إعلان تطبيق الشريعة الإسلامية وسيطرة الطالبان على نحو(94%) من الأرضي الأفغانية . بدأت دار الإسلام الوليدة والوحيدة في الأرض ، من منظور الجهاديين وعموم الإسلاميين تستهوي كثيرا من غير المطاردين والمضطرين للبحث عن ملاذات . بغية الهجرة الشرعية إلى دار الإسلام الوليدة هذه.

- وخلال عام (2000) كانت المعسكرات والمضافات العربية قد انتشرت في مدن أفغانستان الرئيسية ولاسيما العاصمة كابل، والعاصمة الروحية لطالبان (قندهار)، و المدن الشرقية مثل خوست وجلال أباد. وبدأ المهاجرون الجدد والمحاربون القدماء من الأفغان العرب حملة إعلام واتصالات لاستقبال المزيد من المهاجرين.. ونشطت حركة القدوم رغم الحصار السياسي والاقتصادي والحملة الإعلامية والدولية التي أحاطت بالإمارة الإسلامية الوليدة من كل جانب. وأعتقد أن عدد الذين قدموا وغادروا أفغانستان خلال هذه المرحلة (1996-2001) ، بلغ عدة آلاف من الرجال . ولكن الذين استقروا منهم في أفغانستان كانوا قريبا من (350 أسرة) ونحوا (1400) مجاهد ومهاجر عربي من مختلف الجنسيات. بالإضافة لعدة مئات من أرباب الأسر والمجاهدين والمهاجرين من وسط آسيا، ولاسيما من أوزبكستان و طاجيكستان التي تتعرض فيها الحركات الإسلامية إلى طغيان آخر حصون الشيوعية في العالم . وكذلك من تركستان الشرقية التي تحتلها الصين وتذيق المسلمين فيها ألوان العذاب والهوان ..

- وخلال هذه الأجواء.. تواجدت التنظيمات الجهادية العربية الرئيسية .. وانتعشت لدى قياداتها القديمة الآمال باستئناف مسارها في الإعداد والبناء، ومتابعة أهدافها القديمة في إحياء الجهاد في بلادها ضد طواغيت تلك البلاد، من أجل إقامة حكومات إسلامية على أنقاضها بحسب تصوراتهم ..

- ولست هنا إلا بصدد تسجيل خلاصة تاريخ ذلك المسار، وليس التعرض لتقيم تلك الجموع والكتل وأهدافها وطرق عملها في هذا الحيز الموجز. وسأترك ذلك التفصيل العام إلى الكتاب الذي أشرت إليه وأسأل الله العون والتوفيق لإنجازه بما يرضي الله تعالى ..

كما قدمت جموع وكتل جديدة من جديد من بلاد عربيه متعددة ، تسعى إلى تكوين نفسها.. وولدت كتل وشبه تنظيمات جهادية جديدة حاول أصحابها شق طريقهم من خلال تلك الأجواء ..

- ويمكن القول أن كافة من تواجد خلال هذه الفترة يمكن اعتبارهم من الجهاديين، رغم أن أكثريتهم لم تكن تنضوي داخل التنظيمات الرئيسية، ولم يؤم أفغانستان في هذه المرحلة كما في الأولى ، أنواع أخرى من طيف الصحوة الإسلامية، فقد اختلفت الظروف الدولية تجاه هذه الظاهرة وصارت على النقيض. ففي حين كان الجمع الأول ينمو وسط مباركة ودعم وإجازة عالمية ـ كما أشرت آنفا - كان هذا الجمع وأرضه ومن يحكمها ومن يهاجر إليها، محل حرب ومطاردة عالمية.

- ورغم أن سوادهم الأعظم إن لم يكن كلهم، من الجهاديين فكرا واتجاها ، إلا أنه يمكن تصنيفهم ضمن التشكيلات الرئيسية التالية، بغض النظر هنا عن رصد الأعداد والتعرض للتقييم . فقد ضم هذا الجمع الطيف التالي – بحسب الحجم -:

1. **المتدربون:** وهم الذين قدموا من أجل تلقي التدريب ثم الرحيل ، ولم يستقر هؤلاء الا مدد التدريب التي تتروح ما بين الأشهر القليلة إلى السنة .
2. **المهاجرون** : وهم الذين قدموا بأسرهم أو بأنفسهم بغية الهجرة والاستقرار في دار الإسلام الوليدة، و إعمارها والجهاد معها ، دون أن يكون لهم أهداف جهادية خارج أفغانستان ولا ضد حكومات بلادهم، ولا ضد أعداء آخرين داخليين أو خارجين ..
3. **التنظيمات الجهادية** : التي قدمت لتتابع أهدافها و برنامجها القديم المتعلق بالجهاد في بلادها .. ولمتابعة بناء تنظيماتها من جديد على الطريقة التقليدية القديمة للتنظيمات (القطرية- السرية – الهرمية) سواء من البلاد العربية أو بعض الإسلامية..
4. **الشيخ أسامة بن لادن وإدارة تنظيم القاعدة :** ومن لحق بدعوتهم ،والذين كان هدفهم هو الدعوة والعمل على مواجهة الولايات المتحدة الأمريكية. من خلال هذا الحصن المنيع (أفغانستان). والاحتماء بحكومتها الجديدة (الطالبان) وأميرها المصابر(الملا محمد عمر). فرج الله كربته..

5. **تنظيمات وجماعات أعاجم وسط آسيا**: الذين تنوعت أهدافهم بين الهجرة و نصرة دار الإسلام والجهاد معها .. وبين الإعداد للجهاد في بلادهم . وكان أهم وأكبر هذه الجماعات (المجاهدون من أوزبكستان) و(المجاهدون من تركستان الشرقية) التي احتلتها الصين . بالإضافة لبعض الجماعات الأخرى..

6. **المجاهدون من باكستان :** وكانوا خليطا من تلاميذ العلماء والمدارس الدينية في باكستان وهي امتداد لطالبان فكرا و منهاجا ، بالإضافة لأعضاء التنظيمات الجهادية المختلفة العاملة على جبهة كشمير، والتي رأت في أفغانستان خط إعداد خلفي جيد لمتابعة نشاطها . بالإضافة للمجاهدين فرديا دون الجماعات والتنظيمات .. وقد شكل التواجد الباكستاني نتيجة القرب والتداخل في القضية مع القضية الأفغانية ، حجما يوازي أو يزيد على مجموع حجم الأنواع المذكورة آنفا.

- شكلت هذه الفترة مرحلة متقدمة من نمو التيار الجهادي وتطوره في بعد جديد ..

فقد أدت الحملات الإعلامية التي شنها الشيخ أسامة بن لادن ضد أمريكا وعدوانها على المسلمين وندا آته لتخليص الحرمين من الإحتلال الأمريكي والغربي.. ثم إدخاله بعدا جديدا إلى دعوته ، وهو تبني القضية الفلسطينية. وربط العدوان الأمريكي على المسلمين في العالم ، بالعدوان الإسرائيلي الصهيوني على المسلمين في فلسطين ، وإدخال قضية الحرم الثالث في القدس، ومسجدها الأقصى إلى قضية الحرمين ..أدت هذه الحملات المركزة والمنظمة ، وردود الفعل الهائلة من قبل وسائل الإعلام الأمريكية على هذه الحملة . ودخول تلك الموجهات إلى الفضائيات الأمريكية والعالمية و العربية ولاسيما قناة (الجزيرة) القطرية ، التي لعبت دورا محوريا في إيصال هذه الصراع الإعلامي إلى مئات الملايين من المشاهدين المسلمين في العالم .. أدت إلى أن يأخذ التيار الجهادي بعدا جديدا نحو عالمية المرحلة.. رغم أن معظم التنظيمات العربية أو كلها لم تغير شيئا من أهدافها ولا برامجها (القطرية- السرية- الهرمية) ، ولا تحولت باتجاه دعوة الشيخ أسامة حتى اللحظات الأخيرة من العام (2001) حيث أقحمتها أمريكا قسرا في هذا الإتجاه..

- وافق هذه المرحلة أحداث عالمية بالغة الأهمية و الأثر على العالم الإسلامي ..وكان في طليعة ذلك اشتعال الإنتفاضة الفلسطينية وانتقالها من مرحلة ثورة الحجارة التي انطلقت منذ سنوات ، إلى مرحلة العمل المسلح والعمليات الاستشهادية منذ سنة (2000) . وتفاقمت الأوضاع في المنطقة العربية كلها نتيجة هذا التصعيد بالإضافة إلى ازدياد آثار الحصار الأمريكي القاتل المدمر على العراق ، منذ (1991) ، وآثار ذلك أيضا.. بالإضافة لإشعال حملات المطاردات الأمنية والحرب العالمية على الإرهاب بقيادة أمريكا ، حيث سارت في ركابها كافة دول العالم ، ولاسيما حكومات الدول العربية والإسلامية..

وسرعان ما صار الجمع العربي في أفغانستان و كذلك رمزه الشيخ أسامة بـن لادن ، الـنجم الحـاضر بلا انقطاع في وسائل الإعلام العربية والعالمية مصدر الهام و تثوير للصحوة الإسلامية و امتدادا أفقي كبيرا للتيار الجهادي وأنصاره في العالم ..

- أخذت التنظيمات والبؤر والتجمعات الجهادية العربية تكون نفسها في أفغانسـتان .. ولم يـأت عام (2000) إلا وقد بلغ عدد الجماعات أو المعسكرات أو التجمعات والمشـاريع الجهاديـة (**أربعـة عشر**) تجمعا أو تنظيما أو معسكرا ، معترفا به رسميا من قبـل طالبـان و تـربطهم بـوزارات الـدفاع والداخلية والإستخبارات برامج ضـبط وتنسـيق وتعـاون.. سـواء في تنسـيق دعمهـم وجهـادهم إلى جانب طالبان ، أو في برامجهم الذاتية. عدا المجموعات الباكستانية التي كان لها أيضا ترتيبها الخاص وكانت متعددة .

- **وهذه التجمعات التي كانت مستقلة عن بعضها تماما هي :**

المجموعات غير العربية :

1- **المجاهـدون الأوزبـك** : وكانـت مجموعـة كبـيرة العـدد نسـبة للمجموعـات الأخـرى ، وكـان برنامجهم يهدف إلى نقل الجهاد إلى أوزبكستان ، والإطاحة بنظام (كريموف) الشيوعي – الأمريكي !، وذلك لما يكون الوضع في أفغانستان قد استتب للطالبان . ومن خلال البرمجة التامـة معهـم . وكـان برنامجها في ذلك الحين هو التجنيد والإعداد والتدريب . وكانت مجموعة مرتبطـة بالطالبـان . وقـد بايع أميرهم(محمد طاهر جان) المـلا محمـد عمـر، بيعـة إمـام عـام . وكـذلك بـايع نائبـه القائـد العسكري الشهير (جمعة باي) رحمه الله . وكان لهـم برنامجـا طموحـا جـدا للتجنيـد والـدعوة في أوساط الأفغان الأوزبك ، وهم جالية تعد أكثر من خمسة ملايين نسمة ، كثير منهم مـن المهـاجرين من أوزبكستان منذ أيام احتلال القياصرة ، وما تلاه من مجـازر سـتالين ولينـين..، وكانـت مجموعـة منظمة عالية الكفاءات والإمكانيات المادية ، حيث تدعمها جاليات أوزبكية مهاجرة منتشرة في بـلاد كثيرة .

2- **المجاهدون من تركستان الشرقية المحتلة من قبل الصين** :

وكانت مجموعة محدودة ، هاجر أكثرهم فرارا من الحكم الصيني خفيـة ، وكـان برنـامجهم تربويـا شاملا بعيد المدى نظرا للظروف الصعبة التي يعيشها المسلمون في تركستان الشرقية بعد أن طبقـت الحكومـات الصـينية المتعاقبـة سياسـة الهجـرة الصـينية إلى بلادهـم ، ونجحـت في تغيـير خارطتهـا السكانية ، لينخفض عدد المسلمين التركستان مـن أغلبيـة سـاحقة إلى نحـو نصـف السـكان ، حيـث أسموها (سيانغ يـانغ) يعنـي (الأرض الجديـدة) ، ناهيـك عـن الإجـراءات الشرسـة منـذ الحكـم

الشيوعي لماو تسيتونغ ، وكان من برنامج هذه المجموعة إرسال بعضهم لداخل بلادهم من أجل إخراج المزيد من المهاجرين وإعدادهم ، تمهيدا للعمل العسكري الذي ينونه ضد الصين .، وكان أميرهم الشيخ الشهيد (أبو محمد التركستاني) رجلا فذا ونشيطا من أروع نماذج المجاهدين الفارين بدينهم ولا نزكيه على الله ، وقد قتله الجيش الباكستاني في (وزيرستان) في نوفمبر 2003. قاتلهم الله ، ورحمه رحمة واسعة .. وقد بايعت المجموعة الملا محمد عمر بيعة عامة أيضا ، فطلب إليهم وقف برنامجهم العملي ضد الصين والاكتفاء بتربية من يلحق بهم ، نظرا لحاجة الطالبان لعلاقات جيدة مع الصين توازن الضغوط الأمريكية ، فالتزموا ذلك .

3- **المجاهدون الأتراك** : وكانوا مجموعة صغيرة من الأكراد والأتراك ، وقد عملوا بشكل سري جدا ، وكان برنامجهم التدريب ، ولا أدري إن كان لهم برنامج عملي في بلادهم في حينها .

<u>المجموعات العربية :</u>

4- **تنظيم (القاعدة)** بزعامة الشيخ أسامة بن لادن - حفظه الله تعالى -. وبرنامجهم معروف ، وقد بايع الشيخ أسامة أمير المؤمنين بيعة إمامة كما أسلفنا .

5- **الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا.** وكان أميرهم (أبو عبد الله الصادق) فك الله أسره - وكان برنامجهم الرئيسي الإعداد لجهاد نظام القذافي في ليبيا ، والمشاركة في دعم القضايا الجهادية عامة ، والمساهمة في دعم طالبان . وكان لهم مساهمة طيبة في ذلك .

6- **الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب (مراكش).** وكان برنامجهم الإعداد وتدريب عناصرهم الذين يفدون ويغادر أكثرهم ، وكان هدفهم جهاد النظام الحاكم في المغرب الأقصى .وكان أميرهم يدعى أبو عبد الله الشريف .

7- **جماعة الجهاد المصرية** . وكانت قد تقلصت إلى حد كبير وكان هدفهم إعادة بناء الجماعة ولم شتاتها ، وهدفهم معروف وكان جهاد النظام الحاكم في مصر .وكان أميرهم الشيخ الدكتور أيمن الظواهري حفظه الله تعالى .

8- **الجماعة الإسلامية المصرية** : وكانت مجموعة صغيرة جدا ، انحصر وجودهم بصفة الهجرة ، ولم يكن لهم نشاط مهم بعد تبني مبادرة وقف جهاد النظام المصري التي عرفت باسم (مبادرة وقف العنف) . وكان أكثر رموزهم الهامة يقيم في إيران كما هو معروف ، وانتقل بعضهم آخر أيام طالبان إلى أفغانستان .

9- **تجمع المجاهدين الجزائريين .** وكان هدفهم لم شعث من استطاعوا من إخوانهم لإعادة ترتيب الجهاد في الجزائر بعد النكبات التي مني بها .

10- **تجمع المجاهدين من تونس** . وكان هدفهم الإعداد والتدريب وجمع الشباب التونسي، بغية الجهاد في تونس ، وكان لمعسكرهم مساهمات تدريبية ، وكان فيهم كوادر سبق لها الجهاد في البوسنة .

11- **تجمع المجاهدين من الأردن وفلسطين** ، وكان برنامجهم الإعداد والتدريب ، للجهاد في الأردن وفلسطين . وكان أميرهم الأخ (أبو مصعب الزرقاوي) .

12- **معسكر خلدن (معسكر تدريبي عام)** . وهو من أقدم المعسكرات العربية ، ويعود تأسيسه لأيام مكتب الخدمات والشيخ عبد الله عزام . وكان أميره الشيخ المجاهد المعروف باسم (ابن الشيخ – صالح الليبي -) ، فرج الله أسره ، يعاونه الأخ أبو زبيدة ، فرج الله عنه . وكانت أهداف المعسكر تدريبية محضة لدعم الجهاد في كل مكان . وكان له إنتاج طيب عبر السنين ربما تجاوز عدد من تدربوا فيه منذ تأسيسه سنة 1989العشرين ألفا .

13- **معسكر الشيخ أبو خباب المصري (معسكر تدريبي عام)** . وكان معسكرا تدريبيا متخصصا في التدريب على تصنيع المتفجرات والكيمياويات واستخدامها .

14- **مجموعة معسكر الغرباء (وهي مجموعتنا) وكانت مرتبطة بالطالبان وكان لها أيضا (معسكر تدريبي عام ، ومركز دراسات وأبحاث ومحاضرات ...)** . وقد أسَّستُها سنة 2000، من أجل تأسيس مدرسة تدريبية تقوم على الإعداد الفكري والمنهجي السياسي الشرعي والتربوي العسكري الشامل ، وهو ما رأيت أن ساحة الأفغان العرب قد افتقرت إليه في شوطيها على حد سواء ، وكان الهدف الآخر من تأسيسها إطلاق دعوة المقاومة الإسلامية العالمية (التي فصلتها في هذا الكتاب) ، بالإضافة إلى الارتباط العضوي بالإمارة الإسلامية والمساهمة في بنائها والدفاع عنها ، والعمل في أفغانستان من خلال الترتيب مع أمير المؤمنين مباشرة .

وقد شرحت أهداف المجموعة باختصار للملا محمد عمر وبايعته في 15 محرم 2001. وارتبطت مجموعتنا من حينها بأمير المؤمنين وعملت من خلال وزارة دفاع الإمارة الإسلامية .

- ثم تصاعدت الحرب الأمريكية والغربية بمشاركة من الدول الإسلامية على طالبان وأفغانستان . ولاسيما على الشيخ أسامة والقاعدة الذين قاموا بتنفيذ هجومين على سفارتي أمريكا في نيروبي ودار السلام.. ثم الهجوم الاستشهادي الآخر على المدمرة الأمريكية (كول) في ميناء عدن في اليمن ، خلال هذه الفترة (1997-2000) بالإضافة للتصعيد الإعلامي الذي أطلقه الشيخ أسامة من أفغانستان منذ حضر إليها عن طريق سلسلة المقابلات الصحفية والتلفزيونية التي كان يحرض المسلمين فيها على حرب أمريكا وجهادها .

- <u>و تصاعدت الضغوط الأمريكية</u>

- <u>والعالمية والتهديدات الجدية ، والحصار الاقتصادي والإعلامي على أفغانستان.. وبدأت أمريكا تنذر بالحرب على الإرهابيين فيها وخاصة خصمها العنيد، الشيخ أسامة . ثم وقعت الواقعة الحاسمة في الحادي عشر من سبتمبر/2001 ..</u>

- فقد قامت مجموعة من أعضاء القاعدة بالهجوم الاستشهادي التاريخي الشهير على أبراج نيويورك و البنتاغون صبيحة الحادي عشر من سبتمبر من عام 2001.

ورغم عدم إعلان القاعدة عن مسؤوليتها عن العمليات ، إلا أن أصابع الاتهام و القرائن لدى الأمريكان كانت واضحة..

وقررت أمريكا غزو أفغانستان وإسقاط طالبان وتنصيب حكومة تابعة لها فيها.. و إبادة من تستطيع إبادته من طالبان ومن التجمعات الجهادية والعربية المتواجدة تحت عباءة أمير المؤمنين ..

ولست هنا بصدد الانخراط في التأريخ لأحداث بالغة الأهمية شهدتها بنفسي ، بل كنت جزأ منها في أفغانستان..وكما أسلفت فلدي العزم على ذلك إن شاء الله وأعان .. ولكني سأقتصر هنا على ماله علاقة بهذا الفصل وهو أثر ذلك الحدث على مسار التيار الجهادي..

ذلك الأثر الذي أدى بحسب ما أعتقده إلى وضع نهاية مأسوية للتيار الجهادي وإنهاء مرحلته التي امتدت منذ مطلع الستينات من القرن الماضي وإلى سبتمبر2001 ..

حيث دخل التيار الجهادي محنة الأخدود المعاصر الذي ابتلع معظم كوادره خلال السنوات الثلاثة التالية(2001-2004) .

لتبدأ بعد ذلك وبعد احتلال العراق الذي جرى بعد ذلك بسنتين .. مرحلة تاريخية جديدة من تاريخ التيار الجهادي بل الصحوة الإسلامية والعالم العربي والإسلامي بل العالم أجمع ..

- <u>**بعض مترتبات الحدث وتوابعه:**</u>

لقد كانت خسائر العدو في هجوم سبتمبر كبيرة بكل المقاييس، ، و أرجو أن تكون قد وضعت بداية السقوط الحقيقي إن شاء الله لهذه الدولة البربرية الهمجية المسماة (الولايات المتحدة الأمريكية) ،التي جسدت قمة وحشية الحضارة الغربية المعاصرة، التي باشرتها دول أوروبا الاستعمارية وساهمت فيها روسيا ثم ورثت كل صفاتها الشيطانية أمريكا وأقامت على أساسها نظام الاستكبار اليهودي الصليبي المعاصر.

<u>لقد كانت **القاعدة** جزءا رئيسيا من كتلة المجاهدين **الأفغان العرب** في أفغانستان، والذين كانوا بدورهم جزءا هاما من **التيار الجهادي** العام، الذي يتكون من مجموع التنظيمات والجماعات</u>

والتجمعات التي تنتشر في معظم بلدان المسلمين بل وفي كثير من بلدان المهجر، كما يضم كثيرا من الأفراد والكوادر الجهادية من العلماء والمفكرين والدعاة والكتاب الذين حملوا جميعا الفكر الجهادي الذي يتبنى منهجا محددا كما يتبنى العمل المسلح وسيلة لإقامة شريعة الله ودفع الظلم عن الإسلام والمسلمين كحل لا بديل عنه لحل ما تراكم من مشاكل هذه الأمة..

ولقد دمجت الآلة الأمريكية كل ذلك التيار ومكوناته بل ومناصريه، بل وكل من أرادت أن تصفيه من كامل طيف الصحوة الإسلامية على اختلاف مدارسها تحت مسمى **(القاعدة)** وجعلتهم جميعا هدفا لحربها تحت شعار مكافحة الإرهاب. وهذا موضوع يستأهل البحث وليس محله هذا الكتاب، لأن أمريكا حققت من وراء هذا التعميم غير الواقعي أهدافا في غاية الخبث والخطورة.

ولقد تبع انهيار البرجين في نيويورك ، وتهدم جدار البنتاغون على رؤوس جنرالات أمريكا ،انهيارات كثيرة في الصف الإسلامي ، ولحق بأطراف عديدة خسائر فادحة ،وكان ممن لحقهم كثير من الخسائر كافة أطراف ومدارس الصحوة الإسلامية ،وكان أكثرهم تضررا التيار الجهادي وتنظيماته وكياناته المختلفة كافة ،على صعيد الأفراد والقيادات والجماعات في كل مكان .. بل لقد طالت التوابع وردود الأفعال من قبل العدو كل مسلم في كل مكان . وقد كان هذا سببا في أن كثيرا من أوساط الصحوة الإسلامية ، بل وحتى بعض الجهادية لم تنظر لهذا العمل المجيد بعين الارتياح .

وقد انتقده كثير من المسلمين المخلصين قناعة منهم بأنه:

- قد جلب البلاء على المسلمين ووضعهم في معركة غير متكافئة سيكونون فيها الخاسر الأكيد ..
- وأنه برر الهجمة الأمريكية وأعطاها المسوغ لإعادة احتلال العالم الإسلامي وإنزال أفدح الخسائر بالمسلمين.
- وانه ألغى عمليا معظم البرامج الذاتية لكثير من مشاريع الجهاد القطرية والإقليمية بالتبعية تلقائيا .
- بل إنه سبب إزالة الإمارة الإسلامية الوليدة في أفغانستان ملغيا القاعدة الوحيدة التي فاءت إليها معظم مشاريع الجهاد وجماعاته وقياداته ... إلى أخره.

ولكثير من هذه الانتقادات دليل مما نلمسه ونعيشه. ومن هذا المنظور فربما أن لوجهات النظر هذه مايبررها.

ولكن من جهة أخرى و حتى نأخذ الصورة بكل معطياتها ..، فإن المتابع للسياسات الأمريكية فيما يتعلق بالعالم الإسلامي ، بل بكافة العالم الثالث وخاصة منطقة الشرق الأوسط ، وذلك من خلال ممارساتهم ومن خلال الكتابات المعلنة لكبار مفكريهم ومنظريهم وواضعي إستراتيجياتهم السياسية ،عبر الكتب المنشورة، والتقارير والدراسات التي تعدها كبريات مراكز الدراسات عندهم وينظر لها كبار المفكرون من أمثال كتابات كيسنجر ونيكسون و هينينغتون... يجد أنها قد أعربت

وصرحت بأهداف السياسة الأمريكية في القرن الواحد والعشرين،وعن الرغبة الجامحة بالإنفراد بالسيطرة على العالم . وهو برنامج وضع للتنفيذ بصرف النظر عن أحداث سبتمبر كانت أو لم تكن .

لقد صرح نيكسون في كتابه (نصر بلا حرب) بأن على أمريكا أن تعمل على أن يكون القرن 21 قرنا أمريكيا ويجب أن تعمل على تفكيك الإتحاد السوفيتي ،ومنع نهضة الصين وتفتيتها إلى قوميات متصارعة،وعرقلة قيام الوحدة الأوروبية ، وكبح التقدم الصناعي لجنوب شرق آسيا والسيطرة عليها والتخطيط للسيطرة على المارد المسلم الذي يتململ استعدادا للنهوض على حد تعبيره . كما شكلت أمريكا قوات التدخل السريع (المارينز) من أجل احتلال منابع النفط منذ أيام كارتر مطلع السبعينات .هذا بالإضافة للسياسة المبنية على معتقدات المتطرفين الصليبين الذين بنوا تصوراتهم الإنجيلية التوراتية بحسب التفسيرات الصهيونية كأساس لمذهب المسيحية الأمريكية المتعصبة، التي تعتمد فكرة دعم إسرائيل واليهود بانتظار المعركة الطاحنة في (هرمجدون) في شمال فلسطين كمقدمة لنزول المسيح لتخليص النصارى . هذا بالإضافة لفلسفات شريرة وضعوها بناء على نظريات صراع الحضارات وسيطرة العرق الأبيض . وهذه المعلومات أصبحت مما تتحدث به وسائل الإعلام العالمية بصراحة ، عن ظاهرة (المحافظين الجدد) ، وهي الفئة النصرانية المتصهينة التي ينتمي إليها بوش وأعوانه ..

والدلائل كثيرة جدا على أن أمريكا قد تحركت نحونا منذ أن انهيار الإتحاد السوفيتي وافتتحت ذلك بحرب الخليج ، ثم بسلسلة المؤتمرات الأمنية ضد ما أسموه الأصولية الإسلامية وذلك عقب الإجتماع الهام الذي جمع (ريغان – تاتشر- غورباتشوف) والذي وضعوا فيه علنا الإسلام خصما حضاريا للحضارة الغربية بعد انتهاء الحرب الباردة وقرروا ضم مكونات حلف وارسو لتدخل في حلف الناتو الذي سيقود الحرب الصليبية على المسلمين ...

وهناك كثير من الوثائق التي تثبت ذلك لا ننقلها هنا خشية الإطالة. وهذه المعلومات مشتهرة بين المثقفين العرب والمسلمين وفي وسائل الإعلام.

وكلها مؤداها أن أمريكا وإسرائيل وأوروبا الغربية كانت ماضية باتجاهنا من قبل ما حدث في سبتمبر وأن أمريكا كانت غير عاجزة عن إيجاد أي ذريعة فيما لو لم توجد القاعدة ولم تحدث انفجارات 11- سبتمبر ، تماما كما اتخذت من العراق ذريعة لاحتلال الخليج في حرب الكويت ،وكما اتخذوا اليوم ذرائع لإحتلال العراق والتمدد نحو الشام والجزيرة .فكل أدلة المنطق والواقع تثبت بأن أحداث سبتمبر ليست السبب في هذه الهجمة وإن كانت قد عجلت بمواجهة محتومة وجعلتها أكثر (دراماتيكية) .

وحتى هجوم أمريكا على أفغانستان فمن المسلم به في جميع وسائل الإعلام العالمية وعلى لسان كثير من السياسيين أنه هجوم سببه المصالح الأمريكية في نفط وسط آسيا واحتياجها لنظام

يحفظ نقله إلى الخليج من أفغانستان ويكمل إغلاق الحلقة الأمريكية حول الصين ويحاصر إيـران من الشرق ويزيل أي إمكانية لحكم المسلمين بالشريعة في أفغانستان حتى لا تكون سابقة تحتذى ، فلم يكن الشيخ أسامة ولا الأفغان العرب ولا مجاهـدو وسـط آسـيا المقيمـين في حمايـة طالبـان سبب الهجوم على أفغانستان . بل كان السبب هو قيام طالبان بالحكم بالشريعة وتمـرد نظـامهم على شريعة أمريكا في السياسة الدولية. بالإضافة للإطماع الإمبراطورية الأمريكية في المنطقة . والله تعالى أعلم .

- وبعيدا عن اختلاف وجهات النظر من الحدث وتداعياته ، فقد فرض واقعا عـلى المسـلمين وأقطـاب الصحوة الإسلامية والقيادات الجهادية أن يواجهوه الآن ، وأن يعلموا أن أمريكا قد قررت وفرضـت عدوانها على المسلمين ، وبهذا الزخم ورتبتـه مـع اليهـود وحلفائهـا الأوروبيـين وروسـيا منـذ انهيـار الإتحاد السوفيتي وإزاحة سور برلين بين حلف وارسو وحلف الناتو ، ووزعـت الأدوار، التـي خصـت قسطا كبيرا منها وأوكلته لحكومات الـردة في العـالم العـربي والإسـلامي. فهـذه الحـرب القائمـة الآن، فرضـها العـدو ونفـذها، مـن قبـل سـبتمبر/2001 ولم توجـدها أحـداثها . حـرب فرضـتها المصـالح الإقتصادية والجغرافية السياسـية. وهـي نتيجـة الجـذور التاريخيـة والتصـورات الدينيـة لمعتقـدات اليهود والأمريكان عن الصراع مع المسلمين .
- وتفاصيل أحداث سبتمبر معروفة.. وأشهر من أرددها هنا حيث لا مجال للإطالة .. ولـذلك سـأقفز عن تفاصيلها ، إلى تداعيات الحدث على التيار الجهادي في أفغانستان ، حيـث كانـت قـد تواجـدت نخبته على صعيد القيادات والرموز و الكوادر و قيادات التنظـيمات والجماعـات والكتـل الجهاديـة الرئيسية في العالم العربي ووسط آسيا و الباكستان في ذلك الوقت ..

تداعيات أحداث سبتمبر2001 على التيار الجهادي في أفغانستان :

- ابتدأ الأمريكان الحرب بموجات من القصف الجـوي المركـز منـذ مطلـع شـهر 10 وإلى أواسـط 11، وزحفت طلائع تحالف الشمال لتقوم بالحرب على الأرض نيابة عن الأمريكان من ثلاث محاور.
- من الشمال نحو كابل .. ومن الحدود الباكستانية من الجنوب الشرقي نحو قندهار، ومن الشـمال الشرقي نحو جلال أباد ، وسقطت مزار شريـف ، ثـم كابـل بيـد تحـالف الشـمال في شـهر ديسـمبر 2001..
- واستولت الشراذم وقطاع الطرق و الحرامية والقبائل التي عملت في البرنامج الأمـريكي عـلى المـدن تباعا.. وتهاوت مقاومة طالبان واستسلمت حامياتهم وقياداتهم بصورة مفاجئة للجميع..

- وخلال أقل من أسبوع بعد سقوط كابل.. أعلن عن سقوط طالبان .. وتسليم (كرزاي) مقاليد الأمور..ثم تابع عملاء أمريكا على الأرض تنفيذ المهام ..التي لعبت ملايين الدولارات دورا هاما في أدائها على الوجه الأكمل قذارة وبشاعة..
- ثم أطلقت أمريكا بزعامة (بوش) ما أسمته (الحرب العالمية على الإرهاب) والتي لعبت فيها الباكستان الدور الرئيسي..حيث تولت تصفية واعتقال الذين توجهوا نحو الملاذ الوحيد على أراضيها.. ثم تلتها مختلف الدول العربية والإسلامية بالمشاركة ..بالإضافة لما قام به حلفاء أمريكا الكبار..مما أدى إلى تدمير ما تبقى من التيار الجهاد تدميرا كبيرا.
- وأما ما يهمنا من أمر الجمع العربي من الجهاديين والمهاجرين في أفغانستان.. فخلاصة ما حصل؛ مجزرة تاريخية للتيار الجهادي هي الأسوأ في تاريخه كله .. وكان أمر الله قدرا مقدورا..

وكانت خلاصة الخسائر والمصائب منذ انطلاق أحداث الكارثة وإلى ساعة تحرير هذه السطور في شهر سبتمبر من عام 2004 أي خلال ثلاث سنوات عجاف ، ودون الدخول في التفاصيل كالتالي..

- استشهاد زهاء (400) مجاهد عربي خلال معارك الدفاع عن أفغانستان . حيث استبسلوا في الدفاع عن مختلف خطوط القتال.. أو سقطوا بفعل القصف المكثف أثناء عمليات انسحاب أرتال السيارات من المدن الرئيسية باتجاه الحدود الباكستانية.

- أسرت باكستان بفعل خيانة بعض رجال القبائل الحدودية الباكستانيين، نحو (150) مجاهد خرجوا من معارك (طوره بوره) بعيد الحرب مباشرة خلال الشهر الأول من عام (2002) . وجرى تسليمهم للأمريكان الذين نقلوهم إلى معسكر الاعتقال سيء السمعة في غوانتانامو، في جزيرة كوبا.

- استشهاد نحو (100) مجاهد تقريبا في اشتباكات متفرقة مع الجيش الباكستاني في مناطق الحدود أو على طرق السفر،أو داخل بعض المدن في باكستان خلال السنتين التاليتين من مطلع (2002) وإلى سبتمبر (2004)..

- أسرت القوات الباكستانية خلال تلك الفترة ما يزيد على (600) مجاهد عربي من الفارين بأنفسهم وأسرهم والمختفين على أراضيها .. وقامت بتسليمهم إلى أمريكا مباشرة ليزج أيضا بهم في معتقل غوانتانامو. أو معتقلاتها الوحشية في أفغانستان .

- إعتقلت إيران على أراضيها أكثر من (400) مجاهد عربي . سلمت معظمهم لبلادهم كما اعترفت بذلك حكومتها رسميا. وما يزال ما يقرب من مئة منهم أسرى في إيران.. -بحسب ما ذكرت مصادر الحكومة الإيرانية - قيد السجون والمساومات السياسية مع أمريكا .

فإذا ما اعتبرنا أن العدد الإجمالي للمجاهدين العرب الذين تواجدوا في أفغانستان وقت هذا الحدث زهاء (1900) مجاهد بمن فيهم أرباب الأسر من المقيمين والمهاجرين . تكون الخسائر قد جاوزت ما

بيت شهيد وأسير(1600) مجاهد من أصل الـ(1900) أي نحو(75%) من القاعدة البشرية للأفغان العرب الذين تواجدوا في أفغانستان تلك الفترة . كما أدت حملات المطاردة والاعتقال التي شنتها أمريكا وأجهزة الأمن المتعاونة معها في أوربا وبلدان العالم العربي والإسلامي بل في كل العالم إلى اعتقال وأسر مئات الجهاديين من أعضاء الجماعات أو المتعاطفين مع التيار الجهادي أو من المظلومين القريبين منهم من الذين أسروا دون أن يكون لهم ناقة ولا جمل في هذا الصراع ..

- هذا بالإضافة إلى الخسائر الفادحة في صفوف الجهاديين من وسط آسيا وخاصة من المجاهدين الأوزبك ومن معهم من بلاد وسط آسيا ، الذين استشهد معظم كادرهم العسكري وربما جاوز هذا الرقم زهاء 500 شهيد عدى الأسرى..استشهد أكثرهم في أفغانستان ، وبعضهم في معارك مع الجيش الباكستاني المدعوم بالقوات الأمريكية في منطقة وزيرستان .

كما وقعت خسائر فادحة في صفوف المجاهدين من تركستان الشرقية بنفس الطريقة..وكان آخر هذه الخسائر استشهاد أميرهم (حسن أبو محمد التركستاني) مع بعض إخوانه رحمهم الله تعالى . وأكرم نزلهم في المهاجرين الغرباء الفرارين بدينهم ، وقد قتله الجيش الباكستاني - قتلهم الله - في شهر 11/ 2003 .أثناء عمليات المطاردة في إقليم سرحد .

حتى صرح (رامسفيلد) وزير الدفاع الأمريكي أواسط عام (2003) أن حملتهم الأمنية والعسكرية على الإرهاب قد مكنتهم من قتل وأسر ما يزيد على (3000) إرهابي بحسب وصفه.. وأعتقد أنه رقم قريب من الواقع .. فقد وصلت الخسائر في أفغانستان وباكستان وإيران إلى أكثر من نصف هذه الرقم ، فيما وصل عدد الأسرى من الجهاديين والمتعاطفين معهم في بريطانيا وحدها إلى نحو(300) أسير ،كما أشارت لذلك إحصائيات رسمية ، ناهيك عن العشرات الذين أعلن عن اعتقالهم في باقي الدول الأوروبية .. أما في الدول العربية فقد شنت اليمن حملة على الجهاديين والعائدين من أفغانستان وعلى المتعاطفين معهم ، قتل فيها العشرات وأسر المئات .. كما أعلنت السعودية عن توقيف أكثر من (220) أخ نسبت لهم تهمة القاعدة رسميا . ناهيك عن أن عدد الأسرى والموقفين والذين حقق معهم في السعودية ، هو رقم من فئة الآلاف ، أسر منهم دون تهمة أو محاكة المئات وأودعوا السجون ، وذلك أن السعودية واليمن كانتا من البلاد التي قدم إلى أفغانستان منها أكبر نسبة من الشباب العرب وكانتا من أكثر الدول مطاردة لهم أيضا.. كما طالت الحملات المئات هنا وهناك في كل مكان .. ليكون آخرها ما جرى في المغرب .منذ شهر11/ 2003 . حيث اعتقل المئات أيضا ، وصدرت عشرات أحكام الإعدام والسجن المؤبد والمدد الطويلة في حقهم وطال البلاء مئات الأبرياء من حملة الفكر الجهادي والمتعاطفين معهم ممن لا علاقة لهم بأي أعمال .. وتوسعت دوائر التهمة والبلاء لتشمل معظم الجهاديين ومعظم المتعاطفين معهم في كافة أنحاء العالم ..من القرن الإفريقي إلى الفلبين ..إلى إندونيسيا وجنوب شرق آسيا..إلى تركيا..إلى كل أقطار الدنيا..

● <u>لقد كانت المصيبة كارثية و عظيمة بكل معنى العظمة والكارثة لثلاثة أسباب :</u>

1. أن هذا الرقم الذي طال ما بين (3000- 4000) عنصر من الجهاديين وأنصارهم ومؤيديهم بحسب المعلن ، والواقع أكبر من ذلك بكثير، يمثل في الحقيقة معظم الشريحة العاملة من الجهاديين في هذا الزمان، بل يضم كثيرا من الدائرة الأساسية للمتعاطفين معهم في العالم العربي والإسلامي وفي الجاليات الإسلامية في الغرب.. فقد مثلت هذه الملحمة عملية استئصال للقاعدة البشرية الأساسية للتيار الجهادي في هذا العصر.

2. أن الضربة القاصمة التي حلت بالمجاهدين العرب ومن وسط آسيا في أفغانستان وباكستان . قد أطاحت بالنخبة الأساسية من كوادر وقدماء التيار الجهادي . و بخلاصة قياداتهم ورموزهم ممن تبقى من العاملين من جيل الأفغان العرب الأوائل وهم زهاء (150) كادر مجاهد هو زبدة من تبقى من الرموز والعاملين في التيار الجهادي خلال ربع القرن الأخير من القرن العشرين . وقد سحق القتل والأسر معظم هذه الزهرة.. وربما لا أبالغ إن ذكرت للتاريخ معلومة يعرفها العدو.. ولم يتفرغ أحد بعد من هول الصدمة لإحصائها.. و لا أبالغ إن قلت أنه لم يعد بين هؤلاء من الأحياء، وغير المأسورين، ربما إلا رقم يسير جداً جداً .. أسأل الله أن يحفظهم ويعينهم على إعادة البناء

3. أن الكارثة قد تعدت إلى أن يلتهم الأخدود حتى بعض من تربى على هؤلاء من طليعة كوادر الجيل الجهادي الثالث ، من الشباب الذين قدموا إلى ساحة الجهاد الجديدة في أفغانستان خلال الشوط الثاني للأفغان العرب (1996-2001) . ولله الحمد فقد نجى كم لا بأس به من هؤلاء ، وتفرقوا في أنحاء الأرض ولله الحمد ..

وبعودة للتركيز في هذه الفقرة من هذا الفصل بعد هذا الاستطراد المأساوي ، أقول :

أن التيار الجهادي الذي ابتدأ مساره مطلع الستينات . وازدهر أواخر السبعينات ومطلع الثمانينات . وتألقت آماله في أفغانستان بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان.. قد شهد أخدودا عظيما رسم نهاية حقبته السالفة بعد أحداث سبتمبر (2001)..

لتبدأ مرحلة جديدة لمسار التيار الجهادي في مواجهة الحملات الصليبية اليهودية المعاصرة ، بإذن الله ..

ومن أجل المساهمة في انطلاق تلك الآمال أكتب هذا الكتاب.. حيث تستهل الفترة بمواجهة الحرب (العالمية على الإرهاب) بقيادة أمريكا . وبغزواتها العسكرية المباشرة في أفغانستان العراق والشرق الأوسط. حيث تبدوا في الأفق ملامح ساحات جديدة للصدام ومعطيات جديدة تترك بصماتها على مسار الجهاد الظافر بإذن الله .. والذي بشر باستمراره وبقائه..أشرف الخلق محمد عليه الصلاة والسلام .

سابعاً: أهم التجارب الجهادية المسلحة في النصف الثاني من القرن العشرين

للأسف الشديد.. فإن القاعدة الأساسية في دائرة العمل الإسلامي عامة و الجهادي خاصة هي :

(قلة العاملين في قطاع الكتاب . وقلة الكتاب في قطاع العاملين).

ولذلك فقد اندثرت معظم التجارب الجهادية الهامة للتيار الجهادي ، بل ولعموم تجارب الظاهرة الجهادية دون أن يكتب عنها أصحابها. وأقصد من قاموا بها أو شهدوها بأنفسهم ، أو كانوا على احتكاك حقيقي وعضوي بهم ومعهم .. وفي حدود علمي فإن من بين عشرات التجارب الطويلة الأمد أو المحدودة..لم يكتب أحد من أصحاب تلك التجارب شيئا يذكر.. أو لم يصل على الأقل للانتشار ، و قد فات على الأمة وأجيالها القادمة بذلك ، دروسا بالغة الأهمية ، وقصصا وتفاصيل أحداث بالغة الروعة والدلالة.. من تلك الملاحم التي قام بها الجيل الأول والثاني ، من هذا التيار الجهادي ، منذ انطلق وإلى نهايات القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين..

في حين تطفل على الكتابة نيابة عن أصحاب التجارب ، بعض الخصوم ،أو بعض التجار من الصحفيين ، أو بعض القاعدين من (دونكيشوتات) الصحوة الإسلامية من أصحاب الكروش التي تربت تحت برد المكيفات .

وقد حاولت أن أخرق هذه القاعدة بصفتي أحد قلائل الميدانين الذين عملوا في هذا التيار عبر بعض تجاربه، واحتكوا بالكثيرين من رموز تجارب أخرى . وسأورد ملخصا عن ذلك إن شاء الله تعالى في هذا الفصل..

- فقد كتبت كتاب (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا -آلام وآمال-) وقد اشتمل على خلاصة تاريخ ذلك الجهاد والكثير من وثائقه ودروسه..ويقع الكتاب في نحو(900) صفحة وطبع سنة 1990.

- وكذلك كتبت كتاب [شهادتي في الجهاد في الجزائر(1989-1996)]. والذي فقدت مسوداته النهائية وهي نحو(200) صفحة مع ما تركت من حاجاتي في كابل أثناء سقوطها في ديسمبر (2001).و أعدت كتابته خلال محنتنا هذه في باكستان وسأنشره مع هذا الكتاب إن شاء الله .

- كما كتبت كتابا موثقا عن محنة المجاهدين الأفغان العرب وعموم الإسلاميين في الباكستان خلال هذه السنوات الثلاثة بعد سبتمبر2001 ، وسأنشره قريبا أيضا إن شاء الله .

- وقد وضعت الآن فهارس وبعض المسودات لكتاب مهم جدا ليغطي تاريخ ودروس أهم تجارب القرن الماضي فيما أعتقد وهي (تجربة التيار الجهادي في كنف طالبان منذ قيام الإمارة 1996 وإلى سقوطها بعد أحداث سبتمبر2001 ثم تداعيات ذلك..) . أسأل الله أن يعيني على

إنجازه بعد إنجاز هذا الكتاب الهام ، ويقدرني على شهادة ترضيه ويعينـي عـلى تبعاتـه. ويكتـب لي أجره .

ولذلك ولكي تتم الفائدة من هذا الفصل، سأورد هنا خلاصـة بـأهم التجـارب الجهاديـة التـي وقعت خلال النصف الثاني من القرن الماضي . بحسب مـا بلغنـي مـن أصـحابها مبـاشرة مـن خـلال معايشتي للتيار الجهادي .. ولعل في هذا حافزا للأحياء مـن أصـحاب تلـك التجـارب كي يكتبـوا عـن تجاربهم.

وسأذكرها بحسب تسلسل ابتدائها التاريخي إن شاء الله .. وأهم تلك التجارب :

1- تجربة حركة الشبيبة المغربية (1963):

والتي أسسها الشيخ عبد الكريم مطيع حفظه الله. وقد حـاول إنشـاء تنظـيم جهـادي مسـلح للثورة على نظام الملك الحسـن الثـاني في المغـرب. وقـد اعتقلـت خلايـا التنظـيم و سـجن كثـير مـن عناصرها ..وهاجر من نجى بمن فيهم الشيخ عبد الكريم إلى خارج المغرب واندثر نشاط الحركة ..

وقد عثرت على كتابات للشيخ عبد الكريم مطيع وفيها فكر جهادي ناضج ومتميز بشكل عام .. كما عثرت على كتاب يؤرخ لتلك المحاولة، ثم فقدته مع مكتبتي في لندن بعد هجـرتي المسـتعجلة في سنة (1997) . ولم يمكن في ذلـك الكتـاب مـادة تاريخيـة أو منهجيـة مهمـة. كـما التقيـت بأحـد الأعضاء القدماء من ذلك التنظيم أثناء إقامتي في لندن (1994-1997) وحدثني عن فصول تاريخيـة هامة في تجربتهم .. ولكنها لا تحضرني الآن..

2- تجربة تنظيم الجهاد المصري(1965-2000) :

كان للشهيد سيد قطب رحمه الله تجربة محاولة لكي يضع دعوته وأفكـاره موضـع التنفيـذ.. وقد تأسس ذلك التنظيم على نخبة من الشباب المجاهد في مصر ممن عـاصروه، وكـان أكـثرهم مـن كوادر الإخوان المسلمين في حينهـا .. وقـد نشرـت وثيقـة تاريخيـة بعنـوان (لمـاذا أعـدموني) نسـبت للشهيد الراحل (سيد قطب) يدل سياقها وشهادة بعض من عناصر على صحة نسبتها إليه..وبحسب تلك الوثيقة فقد ذكر سيد قطب رحمه الله ؛ أن نخبة من الشباب المجاهد كـان قـد شـكل بعـض الخلايا السرية بغية مواجهة نظام عبد الناصر إثر الهجمة الوحشـية التـي قامـت بهـا أجهـزة الأمـن والقضاء المصري في عهد الهالك عبد الناصر على الإخـوان المسـلمين سـنة (1965). ومـن قبلهـا سـنة (1954) حيث إعدام بعض كوادرهم وسجن عشرات الآلاف منهم في السـجون التاريخيـة الرهيبـة .. وقد ذكر في تلك الوثيقة؛ أن أولئك الفتية قد قصدوه ليكون أمـيراً لـذلك التنظـيم وأنـه قـد قبـل أن

يكون موجها وأبا روحيا لهم ، وأنه وضع معهم بعض المخططات العسكرية .. و ذكر أنه اعتقل مع أولئك الشباب إثر تلك المحاولة..

وقد حكم على (سيد قطب) رحمه الله بالإعدام وقتل مع نفر من أولئك الشباب ..حيث وئدت تلك المحاولة في مهدها.

وقد سمعت من الدكتور (أيمن الظواهري) في بعض تسجيلاته . ولعلي سمعت في بعض الجلسات المباشرة أيضا ..أن بعض تلاميذ سيد ومعاصريه من الشباب الذين تأثروا بفكره. قد تابعوا النشاط السري والدعوة لأفكاره .. لتتحول تلك النشاطات فيما بعد إلى الخلايا الأولية لتنظيم الجهاد المصري الذي إعتقلت بعض كوادره وقياداته إثر عملية اغتيال أنور السادات (1981) . ومازالت قيد السجن إلى يومنا هذا.

ويبدو أن محاولات جهادية عديدة قد حصلت في مصر بعد ذلك ، وكان من أبرزها المحاولة التي دعيت بأحداث (الفنية العسكرية) .. وهي محاولة انقلابية محدودة وفاشلة . قادها الشهيد (صالح سريه) رحمه الله وحوكم فيها عدد من كوادر الجهاديين وأعدموا ..

ولكن تنظيم الجهادي عاد إلى النشاط وتبلور بشكل جيد في عهد الإنفتاح زمن السادات في النصف الثاني من السبعينات ثم تلا ذلك رحيل عدد من قياداته وكوادره وعلى رأسهم الدكتور (أيمن الظواهري) إلى أفغانستان سنة (1986). وقد عاصرت هذه التجربة عن قرب من خلال علاقتي الوطيدة مع أقطابها خلال تجربة الأفغان العرب بشوطيها في أفغانستان. ورغم أني أعتقد أن التجارب الجهادية في مصر هي من أنضج التجارب الجهادية في العالم العربي والإسلامي على الصعيد الفكري والمنهجي وأكثرها عطاء ورسوخا، وكذلك فإنها من بين التجارب الأهم على الصعيد التنظيمي والحركي .... إلا أني علمت من الدكتور أيمن أن أحدا لم يتفرغ لكتابة تاريخها الذي تملك وثائقه أقبية التعذيب والتحقيقات في أجهزة مباحث وأمن الحكومة المصرية .. وقد اطلعت على مسودات كتاب في هذا الصدد أرسله إلي الدكتور أيمن للإطلاع عليه مطلع سنة (2001) في كابل ، وكان طيبا . ولكنه كان محدودا جدا قياسا لطول وحجم تلك التجارب .. وقد ناقشت الدكتور في ذلك وحرضته على التوسع فيه لأنه خير شاهد حي ومطلع وميداني، يتوجب في حقه كتابة ذلك التاريخ ، وكنه اعتذر لأن المشاغل الحركية كانت تشغله عمليا على مدار الليل والنهار في أفغانستان تلك الأيام .واسأل الله أن يمد في عمره وعمر من تبقى من إخواننا من ذلك الجيل عسى أن تكتب تلك التجارب ..

وقد حاول الدكتور (أيمن الظواهري) وعدد من كوادر تنظيم الجهاد بعد وصولهم إلى أفغانستان العمل على تأسيس تجربة جهادية مهمة ضمن تجارب التيار الجهادي المعاصر.. وذلك

من خلال تجربتي الأفغان العرب (1991-1996) و(1996-2001) . وأختصر أهم ما يحضرني من تلك التجربة من خلال المعايشة والقرب من روادها ونشأتها بالنقاط التالية :

- وصل الدكتور أيمن مع كوكبة من كوادر تنظيم الجهاد من مصر إلى بيشاور سنة (1986) وما تلاها، وذلك بعد أن كان قد سجن لثلاث سنوات على ذمة قضية تنظيم الجهاد ودوره في قتل السادات، وكان لهم حضور ونشاط بارز وسط الأفغان العرب خلال مرحلة (1986-1991) .

- حصل تعاون على أكثر من صعيد بينهم وبين (الشيخ أسامة بن لادن) الذي كان يعتزم إنشاء تنظيمه الخاص الذي عرف باسم القاعدة آنذاك والذي تأسس رسميا مطلع (1988) وقام على جهد عدد من الكوادر والمدربين كان من أبرزهم كوادر تنظيم الجهاد.وكان من أبرز أولئك الشهيد (أبو عبيدة البنجشيري) رحمه الله الذي توفي أثناء إدارته لعمل القاعدة في كينيا إبان إقامتها في السودان(1992- 1996) في حادث غرق سفينة في بحيرة (فكتوريا). وكذلك الشهيد (أبو حفص المصري- محمد عاطف) الذي استشهد في معارك سقوط الإمارة نوفمبر(2001) في قصف أمريكي لمقر إدارته في قندهار وكان المسؤول العسكري للقاعدة . وقد استفاد تنظيم الجهاد من هذا التعاون الذي وفر له إمدادا ماديا مهما مكنه من إنشاء معسكراته المستقلة في أفغانستان وإدارة الحركة ومتابعة نشاطه في مصر ...

- كان خلاصة البرنامج الاستراتيجي لتنظيم الجهاد المصري هو الاعتماد على إحداث انقلاب عسكري يقوم به ضباط أعضاء في التنظيم كان قد زرعهم في الجيش المصري منذ أيام أنور السادات . واستمرت خلاياه إلى أن قضي عليها مع حملات الاعتقالات الكثيفة التي تعرض لها التنظيم فيما بعد .. وكانت فكرتهم العامة كما فهمتها مشافهة من الدكتور أيمن في أكثر من جلسة خاصة ؛ هي إحداث إنقلاب تدعمه خلايا عصابات كان يجري إعدادها خلال تلك الفترة ...

- بعد مقتل السادات وبسبب تداخل العلاقات بين أعضاء تنظيم الجماعة الإسلامية الذين نفذوا العملية و أعضاء من تنظيم جماعة الجهاد الذي كان لهم مشاركة فيها .. اعتقل عدد من كوادر تنظيم الجهاد العسكريين من أبرزهم الشهيد الرائد (عصام القمري) رحمه الله.. ولكن تلك الضربة الأمنية لم تأثر على سير عملهم السري .. في خلايا الجيش ولا خلايا العمل السري المدني..

- بعد سياسة التصفية التي اتبعتها وزارة الداخلية المصرية.. ولاسيما في عهد وزيرها المجرم (زكي بدر) ، ضد تنظيم الجماعة الإسلامية شبه العلني الذي كان قد اعتمد إستراتيجية الدعوة المفتوحة و الثورة الشعبية متأثرا بأسلوب الثورة الإيرانية ، قرر تنظيم الجماعة الإسلامية الرد على استفزازات الدولة وسياسة (الضرب في سويداء القلب) كما عبر عنها (زكي بدر).. عن طريق اغتيالات رؤوس النظام مقابل اغتيالات الدولة لرؤوس الجماعة.. وقرر تنظيم الجهاد الذي تشترك قيادته مع قيادة

الجماعة الإسلامية بالتواجد في بيشاور(باكستان) والولايات الحدودية في أفغانستان في تلك الفترة من الجهاد الأفغاني .. قرر المساهمة في المواجهة نصرة لهم متجاوزا البرنامج السري في الإعداد والتخطيط لانقلاب عسكري ، ظنا منهم أن من الممكن أن يسير هذا البرنامج التكتيكي إلى جانب ذلك البرنامج استراتيجي ..

- أدى اعتقال أحد العناصر المدنية من تنظيم الجهاد السري إلى اعتقال أحد الضباط من أعضاء التنظيم العسكري ، وجر هذا الاعتقال تدريجيا إلى معظم الكوادر العسكرية للتنظيم . وبدأ الانهيار في تنظيم الداخل (في مصر) .. وذلك فيما أذكر أواخر (1989) أو أوائل (1990)..

- تتابعت الكارثة وتلقي التنظيم ضربتين أمنيتين بعد ذلك و أودت إحداهما بنحو(900 معتقل) من التنظيم السري المدني والتالية بنحو(600 معتقل) ..كانوا يشكلون معظم القاعدة الشبابية للتنظيم داخل مصر والتي كان قد تم إعدادها على أعلى المستويات خلال مرحلة الجهاد الأفغاني..

- غادرت قيادة تنظيم الجهاد إلى السودان برفقة الشيخ أسامة بن لادن ونخبة قيادته وكوادره. على أثر نجاح الإسلاميين بالإنقلاب الذي أوصل الترابي والبشير إلى السلطة .. وابتدأ تنظيم الجهاد العمل من جديد في ظروف مواتية جدا نتيجة وجودهم على الحدود الجنوبية الطويلة لمصر مع السودان .. وكان ذلك بدعم وترتيب مع الحكومة الجديدة في السودان وأجهزة استخباراتها .. وكذلك فعلت الجماعة الإسلامية .. وافتتح التنظيم معسكرا وعددا من القواعد له في الخرطوم وبدأ بإعادة ترتيب أوراقة بدعم وتمويل من الشيخ أسامة كما عرف ذلك و اشتهر فيما بعد .. وكان الهدف إسقاط نظام حسني مبارك وإقامة حكومة إسلامية في مصر، حكومة تقلب التوازن الإستراتيجي مع كل أنواع الأعداء في منطقة الشرق الأوسط ..

- عصفت أعاصير السياسة بهذا البرنامج .. وقلبت القيادة السودانية ظهر المجن للجهاديين فيها، وابتدأت بالأخوة الليبيين ثم المصريين ثم الباقين بمن فيهم الشيخ أسامة الذي وقف معهم منذ انطلاقتهم موقفا بطوليا وجريئا، وساعدهم في إعادة تسليح الجيش.وبناء الاقتصاد..ولكنهم خانوا الوفاء ونكثوا العهود..

- أدت هذه الضربة إلى تدمير ما كان قد بني من جديد من برنامجهم في مصر..وأجبرت الحكومة السودانية الشيخ أسامة على وقف تمويل برنامج العمل في مصر..ثم ضغطت على الجميع وانتهت بطردهم.

- لحق الدكتور أيمن ومن تبقى من كوادره.. بالشيخ أسامة بأفغانستان في ظل طالبـان بعـد عـدة رحلات من التشريد في عدد مـن البلـدان خـلال (1996-1998) ..وآثـر عـدد آخـر ممـن تبقـى مـن الكوادر والخلايا الانتظار في دول الشتات المختلفة ..

- عاود تنظيم الجهاد وتنظيم القاعـدة تجربـة التعـاون والبنـاء في مجـالات التمويـل والتـدريب . ولكن الشيخ أسامة كان قد توصل إلى قناعة راسخة بتوحيد الإتجاه في مجال مواجهة أمريكـا ، فـيما بقي تنظيم الجهاد كغيره من التنظيمات على (تطلعاته القطرية وأسـلوب السريـ ومنهجـه الفكـري الجهادي)..

- وقع الدكتور أيمن على بيان الشيخ أسامة بـإعلان (الجبهـة العالميـة لتحريـر المقدسـات)، أواخـر سنة(1997) فيما نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بعيدا عن ذلـك . وسرعـان مـا بـدأ تنظـيم الجهـاد يدفع ثمن ذلك التوقيع في مواجهات الحمـلات الأمنيـة الأمريكيـة العالميـة عـلى الإرهـاب .. وبـدأت تتساقط كوادره وعناصره المتناثرة في مختلف دول العالم .. واختطف العديد منهم من دول مختلفة وسلموا إلى مصر..من تايلاند.. إلى ألبانيا..إلى أذربيجان ..إلى الإمـارات العربيـة.. غيرهـا. فـيما أعتقـل بعض أعضائهم في دول أخرى لم تسلمهم وأودعوا السجون فيها كما في بريطانيا ..

- استمر الدكتور أيمن بعزيمته الفريدة ، وصبره الدؤوب مع من تبقى من كوادر بمتابعـة المحاولـة ولم يستلم للأمر الواقع الذي فرضه النظام العالمي الجديد، والذي جعل المحاولات الجهادية القطرية السرية الهرمية.. خارج التاريخ عمليا..

- افتتح التنظيم معسكرا خاصا به .. واستقطب من تبقى من كـوادره وحـاول الاسـتئناف .. ولكـن الظروف والمعطيات عامة ولاسيما الأمنية منهـا ، حيـث عصـفت الاعتقـالات بـالتنظيم في الخـارج .. جعلت الشيخ الدكتور أيمن الظواهري يقتنع بالاتجاه المتاح للجهاد والعمل في أفغانستان مع الشيخ أسامة بن لادن في حربه مع أمريكا لأسباب واقعية لقناعات سياسية و ميدانية بدأت تتشكل عنـده .. وقد تابعت هذا التحول معه بنفسي وتحدثت معه عـن ملابسـاته طـويلا قبيـل أحـداث سـبتمبر بقليل .. وربما أعرض لشيء من تفاصـيل ذلـك في الكتـاب الـذي سـأفرده لتـاريخ الأفغـان العـرب في مرحلة طالبان إن شاء الله وليس هنا مكان هذه التفاصيل..

- أعلن الدكتور أيمن بيعته للشيخ أسامة بن لادن وضـم تنظـيم الجهـاد لتنظـيم القاعـدة أواسـط سنة(2001) رسميا..مما أدى لانشقاق الحفنة من الرجال الذين تبقوا معه من الكوادر في أفغانستان إلى فريقين.. فريق وافقه على هذا التوجه.. وفريق أصر على متابعة الجهد في بـرامج العمـل لإقامـة حكومة إسلامية في مصر على أنقاض حكومة حسـني مبـارك عـن طريـق الجهـاد بالأسـلوب القـديم

..واعتبروا حلَّه للتنظيم غير مشروع وأن مهمة الأمير إدارة التنظيم وليس حله وإلحاقه بتنظيم آخر.. وقاد هذا الفريق الأخ أبو السمح (ثروت صلاح شحاتة) . وهو محامي من الكوادر القديمة في التنظيم ومن قدماء الأفغان العرب أيضا..

- لم تمهل أحداث سبتمبر كلا الجناحين كي يمضي بعيدا في برامجه وطموحاته . وسرعان ما اجتمع كل من تبقى من الأفغان العرب في معركة المصير والدفاع عن النفس وعن الإمارة التي كان القدر قد رسم ظروف سقوطها .. واستشهد معظم من تبقى من الكوادر في تلك المعارك وتحرك الدكتور أيمن الظواهري بعد أن بذل وسعه واستشهدت زوجته وابنه الوحيد محمد وطفلته الرضيعة رحمهم الله.. خلال هجمات القصف الوحشي التي قام بها الطيران الأمريكي..واستقر مع الشيخ أسامة في مخبئهم المتنقل - حفظهم الله - ليتابعوا مسار الجهاد والتحريض كما هو مشهود .. وسارت كوكبة أخرى مع الأستاذ (ثروت شحاته) على دروب الهجرة والتشريد مرة أخرى لتستقر في سجون إيران كما أعلنت ذلك وسائل الإعلام .

- وكانت هذه خلاصة المسار الحركي لتنظيم الجهاد الذي تابعة الدكتور أيمن في خارج مصر. ولا أدري إن كان ثمة براعم له لعل الله يكتب له النمو واستئناف المسار والمد في مصر مع السائرين..

- أما عن الهوية الفكرية لتنظيم الجهاد المصري . فمن خلال العرض السابق ، ربما يمكن القول بأن التنظيم قد انتهى حركيا. ولد أواسط الستينات وانتهى في أخدود سبتمبر (2001) .

ولكن من الأهمية بمكان ، أن نذكر أن المدرسة الفكرية لتنظيم الجهاد تبقى الأبرز والأهم والأرسخ في هذا القرن الأخير .. فقد بدأت بمكتبة سيد قطب رحمه الله .. والتي تضم أساسيات الفكر الجهادي المعاصر .. ثم كان لتنظيم الجهاد في مرحلة الجهاد الأفغاني أثناء نشاطه في بيشاور إنتاج أدبي ثر و مهم ، كان من أهمه .. كتاب (العمدة في إعداد العدة) .. للشيخ عبد القادر بن عبد العزيز.. وكتابه القيم الآخر (الجامع في طلب العلم الشريف). والذي أخرج التنظيم نسخة معدلة منه باسم (الهادي إلى سبيل الرشاد) ، وكذلك سلسلة من النشرات الهامة التي أصدرها تباعا في بيشاور خلال الفترة(1988-1992). بالإضافة لعدد من التسجيلات الصوتية والمرئية للدكتور أيمن الظواهري - حفظه الله - ولا تأتي أهمية الدور الفكري والمنهجي لتنظيم الجهاد المصري من أهمية مكتبته فقط وإنما من كونها صارت أساسا فكريا ومنهجيا لأغلبية التنظيمات والتجمعات ومعظم الأفراد في التيار الجهادي منذ مطلع التسعينات وإلى اليوم . وصار عليها مدار كافة ما كتب فيما بعد من الإنتاج الفكري و الإعلامي لمختلف شرائح التيار الجهادي والأفغان العرب.. وكذلك لما عرف باسم (السلفية الجهادية) أو غيرها من المدارس الجهادية في العصر الحديث . فجزاهم الله كل خير وتقبل منهم بفضله وكرمه. . كما كان للكوادر العسكرية الأولى لتنظيم الجهاد المصري في ساحة

الجهاد الأفغاني ومجموعة الكوادر العسكرية والمدربين الأفذاذ الذي عملوا في ساحة الجهاد العربي في أفغانستان في شوطه الأول(1986-1992)والثاني(1996-2001). دور ترك بصماته الهامة ضمن مجموع الجهود العسكرية والميدانية لكوادر الجهاد العربي في أفغانستان. سواء من خلال ما تركوه من تراث مكتوب في مجلات الإعداد العسكري والحركي . أو من خلال الجهود العملية في تدريب الجهاديين من الجنسيات الأخرى والكثير من الكوادر التي تخرجت على أيديهم وأيدي أقرانهم ، ومن ثم تابعت العطاء من بعدهم . فجزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء وتقبل منهم أحسن ما عملوا إنه . سميع مجيب.

وأما على الصعيد الشخصي فقد عرفت تجربة جماعة الجهاد عن كثب ، و ربطتني بمعظم قياداتها ممن حضر أفغانستان علاقات أخوة وصداقات حميمة ، بالإضافة لعلاقات العمل والتعاون في ميادين عديدة . بدءا بالدكتور أيمن الظواهري وانتهاء بمعظمهم . وقد رأيت فيهم نماذج فذة للمجاهدين العقائديين الصابرين الفرارين بدينهم . فرحمهم الله وأجزل مثوبتهم .وعلى الصعيد الفكري فإني ممتن جدا للفضل الكبير الذي نالني على الصعيد الفكري باحتكاكي بهم وتعرفي عليهم . ولا أنسى أن أسجل شكري وتحيتي للشيخ الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز(سيد إمام الشريف) مفتي جماعة الجهاد وعالمها وأميرها في مرحلة أفغانستان ، فقد تركت كتبه ومعرفته ومحاوراتي معه في نفسي وفكري بالغ الأثر ، فرج الله عنه . وكذلك الدكتور المجاهد والنموذج الفذ ..الشيخ أيمن الظواهري حفظه الله ، فقد أثر بي كمفكر وكاتب وكقدوة رائعة حفظه الله.. وغيرهما كثير . وأكثرهم قضى نحبه نسأل الله أن يجمعني بهم في الرفيق الأعلى ..

3- التجربة الجهادية في سوريا: (1965-1983):

- يعود تأسيس التجربة الجهادية في سوريا إلى الشيخ مروان حديد رحمه الله . والذي كان قد تربى في الإخوان المسلمين. وأثناء دراسته للهندسة الزراعية في مصر، تأثر بأفكار سيد قطب رحمه الله . وعاد إلى سوريا ممتلئا حماسا فيما كان حزب البعث العلماني القومي الاشتراكي قد استولى على السلطة .. فنشط عبر المساجد في مدينة (حماة) بالخطابة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة لتحكيم الشريعة واعتقل مرارا ..وفي سنة (1965) داهمت قوات الحكومة عليهم أحد المساجد و اشتبك مع عدد من تلامذته في صدام مسلح مع السلطة ، فاستشهد عدد منهم ، وأعتقل الشيخ وآخرون وحكم عليهم بالإعدام . ثم اضطر رئيس الدولة آنذاك الرئيس (أمين الحافظ) إلى الإفراج عنهم تحت ضغط العلماء في سوريا وعلى رأسهم الشيخ محمد الحامد رحمه الله .

- كان الشيخ مروان قد تنبه إلى أن مواجهة كبرى مع النظام البعثي لا بد آتية..وأنذر مبكرا من مشروع طائفي نصيري قادم. ولما لم يستطع إقناع الإخوان المسلمين بالإعداد للمواجهة ،توجه بنفسه

وتلاميذه للإعداد من خلال العمل المسلح مع منظمة التحرير الفلسطينية من خلال الفصيل الإسلامي فيها.وتمكن من إعداد النخبة الجهادية الأولى لتنظيمه الجهادي .

- سنة (1970) قام حافظ الأسد والمجموعة النصيرية العلوية في الجيش وحزب البعث بانقلاب أبيض دعي بـ (الحركة التصحيحية) .. وهكذا قفزت الطائفة النصيرية من غلاة الشيعة الباطنية للمواجهة لتتولى السلطة جهارا نهارا وتحكم المسلمين في سوريا ،تماما كما كان قد حذر منه الشيخ مروان رحمه الله..

- وعاد الشيخ مروان حديد رحمه الله للتحرك للمواجهة من جديد، وسعى مع قيادة شطري تنظيم الإخوان المسلمين في سوريا الذين كانوا قد انقسموا خلال تلك المدة ، من أجل السعي في توحيدهم على مشروع مواجهة النظام. ولكن كلا الجناحين ، التابع للتنظيم الدولي برئاسة (الشيخ عبد الفتاح أبو غدة) رحمه الله ، ونائبه (عدنان سعيد الدين) ، وكذلك لجناح الآخر بزعامة (عصام العطار) ، اتفقا - رغم إختلافهما الكبير -على رفض مشروع الإعداد للمواجهة وآثرا الاستمرار في منهجهما الدعوي السلمي .

- ولما اقتنع الشيخ مروان حديد رحمه الله ، بعدم إمكانية إقناع الإخوان المسلمين بالمواجهة ، شكل تنظيمه الخاص الذي أسماه (الطليعة المقاتلة لحزب الله) . وكون له ثلاث نويات رئيسيه في مدينته (حماة) مسقط رأسه، وميدان حركته الرئيسي. وفي (حلب) ثاني أهم مدن سوريا . وفي العاصمة (دمشق) . حيث إنتقل إليها مختفيا من أجل الإعداد للمواجهة مع النصيرية ..

- طرد الإخوان المسلمون مروان من تنظيمهم مع مجموعة ممن تأثروا بأفكاره الثورية الجهادية. وحاولوا كبح جماحه . ولكنه تابع تجنيد أنصار له معظمهم من شباب الإخوان وقال قولته الشهيرة : (**لإن أخرجني الإخوان من الباب ، لأدخلن عليهم من الشباك ، ولأجرنهم للجهاد..**) ، وهذا ما حصل فعلا..

- اعتقل الشيخ مروان حديد سنة (1970) بعد اشتباك مسلح مع المخابرات في مخبئه في دمشق .ومكث في السجن إلى سنة (1975) حيث فقد نصف وزنه تحت التعذيب .ثم أعدم بحقنة سامة في السجن كما روي آنذاك . ودفن رحمه الله ، وغيب قبره ولم يسمح لأهله أن يعلنوا له جنازة .

- آلت قيادة تنظيم الطليعة المقاتلة إلى تلامذته . وتسلم الإمارة من بعده الشهيد عبد الستار الزعيم رحمه الله . واتخذت الطليعة خطة سرية للمواجهة عبر الاغتيالات النوعية لرؤوس الدولة من كبار النصيرية . ونفذوا ذلك خلال الأعوام (1975-1979) ، ولم تستطع الدولة أن تتعرف على هويتهم إلا في آخر تلك المدة بالتعاون مع المخابرات الأردنية .

- أعلنت الطليعة الجهاد على النظام في سوريا صيف (1979) في شهر شعبان (1399) وأعلنت عن نفسها باسمها الجديد (الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين) ، وابتدأت حرب عصابات مدن على مستوى القطر السوري بكامله.

- أعلن الإخوان المسلمون (الجناح الرئيسي المرتبط بالتنظيم الدولي) ابتداء براء تة من تلك المواجهة . وطالب بلجان تحقيق تثبت عدم علاقتهم بالأحداث. في حين تبنى عصام العطار المواجهة ونسبها إليه. ونشر أرقام حساباته البنكية لجمع التبرعات .. للجهاد طبعا .. من ألمانيا!!

- اضطرب نظام حافظ أسد تحت وقع الضربات العسكرية للمجاهدين من الطليعة ، وقرر مواجهة وتصفية كافة فصائل الإخوان المسلمين، ومن ثم طور المواجهة لتشمل كافة طيف الصحوة الإسلامية . بل وكافة الشريحة المتدينة في البلد .. واتخذت المواجهة شكل حرب بين أهل السنة وهم جمهور المسلمين في سوريا وبين الأقلية (النصيرية) التي تدعى بالطائفة (العلوية) كما سماهم الفرنسيون أيام الإحتلال، ليلبسوا أمرهم على الناس.

- نتيجة انتصارات المجاهدين من جهة نتيجة ، والطمع في قطف الثمرة حملة حافظ أسد عليهم من جهة أخرى .أعلن الإخوان المسلمون دخولهم الحرب ضد النظام أواخر (1979) بعد عدة أشهر من اندلاعها . وتبنوا المواجهة وراحوا يعملون على الاستيلاء على قيادتها والاستحواذ عليها من الطليعة . ولعبت سياستهم تلك الدور الرئيسي - وإن لم يكن الوحيد - في إجهاض الجهاد المسلح ضد النظام في سوريا ...

- نتيجة أسباب داخلية ونتيجة سياسة الإخوان. ونتيجة الضربات الأمنية للحكومة التي نجحت باستعادة زمام المبادرة .. تقهقرت الطليعة المقاتلة. وصفي معظم كوادرها قتلا وسجنا... واضطر من تبقى منها للخروج إلى دول الجوار. حيث فتحت حكومتا العراق والأردن ، المناوئتين للنظام السوري آنذاك الأبواب للمعارضين السوريين من كل مكونات الطيف السياسي .

- إستطاع الإخوان المسلمون بقيادة عدنان سعيد الدين الاستحواذ على قيادة الثورة الجهادية في سوريا وجر من تبقى من الطليعة وكذلك تنظيم عصام العطار، بالإضافة إلى شريحة كبيرة من جماعات العلماء في سوريا على الانضواء تحت قيادتهم منذ(1980) ..

- قاد الإخوان المسلمون مسيرة الفشل السياسي والعسكري الشامل للثورة الجهادية في سوريا ، إلى أن تم إجهاضها في مواجهات حماة (1982) الدامية.. حيث قضي على الأجهزة العسكرية لكافة الفرقاء ، وتكبد المسلمون خسائر تجاوزت (50.000) قتيل في أشهر عمليات إبادة جماعية ارتكبتها حكومة عربية في القرن العشرين ..

- وهكذا انتهت التجربة الجهادية السورية التي تمثل أهم وأطول تجربة مواجهة للتيار الجهادي المسلح ضد حكومات الردة في العالم العربي والإسلامي.
- وقد يسر الله للعبد الفقير كاتب هذا الكتاب أن يؤرخ لتلك المرحلة الهامة ، خلال فترة (1975-1985) .. وذلك في الكتاب الذي كان بعنوان (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا آلام آمال) وقد كتبته خلال (1985-1987)، ونشر في بيشاور أواخر(1990). ويحتوي تسجيلا وافيا لتلك التجربة.
- وقد يسر الله لي مواكبة تلك المرحلة حيث كنت قد التحقت بتنظيم الطليعة المقاتلة مطلع سنة 1980 ، ثم وبعد خروجي من سوريا آخر ذلك العام ،التحقت بتنظيم الإخوان المسلمين في سوريا والذي استقر في الأردن وعملت في الجهاز العسكري للتنظيم ، وكنت خلال أحداث انتفاضة حماة 1982 ، واحدا من أعضاء القيادة العسكرية لتنظيم الإخوان المسلمين الذي تشكل في بغداد ، من كوادر الجهاز العسكري – الذين كنت واحدا منهم – ومن القيادة السياسية العليا للإخوان السوريين . مما مكنني من الإطلاع على خفايا سير تلك الأحداث وأسباب هزيمتنا فيها ، وهو ما سجلت تاريخه وخلاصة دروسه في كتابي آنف الذكر .

4- حركة الدولية الإسلامية في الجزائر (1973-1976):

وهي حركة جهاد مسلحة أسسها وقادها في الجزائر الشهيد (مصطفى بويعلي). وقد كان رحمه الله من المجاهدين الذين شاركوا في ثورة التحرير الجزائرية سنة (1954) ، فلما أفضت إلى الإستقلال عام (1963) وجد أن العلمانيين والشيوعيين والاشتراكيين قد غلبوا عليها وحصدوا ثمرة جهاد شعب الجزائر الذي استمر لأكثر من قرن من الزمن . فأسس تلك الحركة لاستئناف الثورة والجهاد من أجل تحكيم شريعة الله في الجزائر.

وقد قام بحركته في عهد الرئيس (الشاذلي بن جديد) سنة (1973). وقد سمعت له بيانا مسجلا موجها لرئيس الدولة يأمره فيها وينهاه . ويتوعده بالجهاد إن لم يحكم الشريعة في الجزائر . كما سمعت له بعض الأشرطة يتحدث فيها عن مبادئه الجهادية و ينذر علماء السلطان. ولم تطل بحركته المدة.. إذ وقع في كمين للاستخبارات الجزائرية أثناء موعد له مع بعض تجار السلاح وقتل رحمه الله سنة (1976) واستشهد بعض أعوانه وقبض على آخرين و حوكموا وسجنوا..

وقد حاول بعض تلامذته إحياء الحركة إثر انطلاق الجهاد ضد الحكومة بعد الانقلاب العسكري على المسار الديمقراطي سنة (1991).. ودخلوا طرفا في محاولة الوحدة الجامعة للجماعة الإسلامية المسلحة سنة (1993). قبل انشطار ها واستيلاء التكفيريين عليها كما ستأتي الإشارة لذلك إن شاء الله.

5- تجربة الجماعة الإسلامية مصر (1975-2001):

و أوجز خلاصة تجربتها بحسب ما حصلته من المعلومات عنها من خلال الإطلاع على تراثها الأدبي واحتكاكي بالعديد من روادها ومؤسسيها عبر مراحل الجهاد في أفغانستان وخلال إقامتي في أوربا.

فقد تأسست الجماعة ونشطت في عدد من الجامعات المصرية بدءا من عام (1975) ..إثر سياسة (السادات) بالانفتاح وإطلاق المجال للجماعات الإسلامية ، بغية الحد من نشاط التيارات السياسية اليسارية التي شهدت نموا في تلك الفترة .. وقد نشأت الجماعة الإسلامية على منهج فرج بين الفكر الإخواني والمنطلقات السلفية . وجعلت من تطبيق الشريعة في مصر هدف مشروعها. وقد نحت الجماعة منحا شعبيا من خلال تبني قيادتها للدعوة العلنية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتطبيق بعض الحسبة في بعض المجلات. وانتشرت خلايا ها عبر المساجد في مصر. وكان منشؤها أصلا في الصعيد، وإليه ينتمي معظم قياداتها .. ولكنها امتدت إلى جامعات الوجه البحري في شمال مصر .. وقد اتخذت قياداتها من الشيخ الدكتور (عمر عبد الرحمن) أميرا عاما لها، لما عرف عنه- فرج الله كربه - من مواقف العزيمة منذ هلاك (عبد الناصر)، حيث أفتى بعدم جواز الصلاة عليه عنه هلاكه، ثم عدد من المواقف الأخرى في عهد السادات.

- وإثر زيارة السادات الخيانية لإسرائيل وإعلانه لاتفاقيات (كامب ديفيد) وبرنامج الصلح والتطبع مع اليهود..نحت الجماعة الإسلامية منحا فكريا جهاديا، وصدرت عن أحد أقطابها وهو(الشهيد عبد السلام فرج)، أحد أهم الأبحاث الجهادية في العصر الحديث، وهو رسالة (الفريضة الغائبة) وكانت أهميته نابعة من احتوائه على أهم فتاوى الجهاد المعاصر ضد الحكومات القائمة في البلاد العربي والإسلامية ومنها مصر . والحكم عليها بالردة والإفتاء بجهادها وقتال جنودها ورجال أمنها وقياس أحوالها على فتاوى ابن تيمية في قتال التتار ومن كان من أعوانهم من المسلمين المكرهين أو الجاهلين .. وكانت هذه الرسالة من أهم بواكير انطلاق مدرسة السلفية الجهادية المعاصرة.

- ثم ما لبثت الجماعة الإسلامية أن وفقت في تنفيذ العملية البطولية وأعدمت الرئيس الخائن (أنور السادات) في حادث المنصة الشهير، أثناء الاستعراض العسكري السنوي سنة (1981) ،عندما خرج السادات على قومه في زينته فخسف الله به وبمنصته وأرداه قتيلا..وقد قاد العملية شهيد الجماعة الإسلامية وشهيد مصر والتيار الجهادي المعاصر. (الشهيد البطل خالد الإسلامبولي رحمه الله). وكان ذلك ضمن برنامج انقلابي ضد الحكومة في مصر، لم يقدر أن ينجح منه إلا فقرة اغتيال السادات.

- وإثر تولي حسن مبارك زمام السلطة خلفا لسلفه الهالك أنور السادات .. دخلت الجماعة الإسلامية في حرب استنزاف مع الحكومة المصرية التي وضعت مخططا لتصفيتها باعتقال كوادرها واغتيال رؤوسها .. وافتتحت ذلك باغتيال أحد أبرز دعاتها وهو الشهيد (علاء محيي الدين) . وتابعت سياستها هذه ولاسيما في عهد وزير الداخلية المجرم سيء السمعة (زكي بدر). وهكذا قررت قيادة الجماعة الإسلامية دخول حرب استنزاف وتصفيات واغتيال مع الحكومة التي بدأت حملات الاعتقال في صفوفها .

- وجدت قيادة الجماعة الإسلامية في مصر في الجهاد الأفغاني ضد الروس ساحة ممتازة، وفرصة ساحة لتدريب كوادرها والامتداد و التنظيم .. فكان لها حضورا بارزا في مدينة بيشاور في باكستان، وفي المعسكرات والجبهات العربية في أفغانستان. وكان من أبرز الحاضرين من قياداتها في أفغانستان الشيخ (عمر عبد الرحمن) والشيخ (رفاعي طه) والأخ طلعت (فؤاد قاسم) فرج الله عنهم جميعا ، والأخ (محمد الإسلامبولي) – أخو الشهيد خالد قاتل فرعون مصر- والأخ مصطفى حمزة .. وغيرهم. وقد قدمت الجماعة الإسلامية بمصر كوكبة من خيرة أبنائها وكوادرها شهداء في معركة الإسلام من خلال الجهاد العربي في أفغانستان .

- إثر العواصف الأمنية التي هبت على أفغانستان وباكستان بإيعاز من أمريكا بعيد سقوط النظام الشيوعي في كابل. شاركت المخابرات المصرية بشكل كبير في الحملة الأمنية على الأفغان العرب بالتعاون مع المخابرات الباكستانية. وخرج معظم قيادات وقواعد الجماعة الإسلامية المصرية إلى السودان بناء على دعوة وتسهيلات من حكومة الإنقاذ برئاسة عمر البشير وجماعة الدكتور حسن الترابي التي فتحت المجال وسعت لاستيعاب العرب في السودان. وكان على رأسهم الشيخ أسامة بن لادن والجماعتين المصريين المسلحتين . جماعة الجهاد ، والجماعة الإسلامية . حيث وعدتهم بفتح المجال لهم للعمل من خلال حدودها الشمالية مع مصر .. وفعلا بدأت الجماعة العمل الميداني من هناك ، ثم حصل لها ما حصل لجماعة الجهاد والآخرين وطلب منهم الرحيل تحت تهديد السلاح من قبل الأمن السوداني لما قرر(الأزوال الأشاوس) تغيير سياستهم والركوع للسياسة الأمريكية وتابعتها المصرية .. وتفرق قيادات الجماعة الإسلامية في عدد من البلدان وتوجه أكثرهم لليمن..وتحت المطاردات وحملات إلغاء الملاذات الآمنة ، توجه البارزون منهم إلى إيران ، ويمم بعضهم شطر الملاذات الآمنة تحت ستائر اللجوء السياسي في أوربا .. فكان من أبرز من توجه إلى إيران الشيخ (رفاعي طه) .. والشيخ مصطفى حمزة ،والشيخ محمد شوقي الإسلامبولي وآخرين .. في حين كان من أبرز من توجه إلى أوربا ، أبو طلال - طلعت فؤاد قاسم- الذي استقر في الدانمرك. وأسامة رشدي عضو مجلس شورى الجماعة .. وذلك أواخر (1995)..

- وكانت الجماعة الإسلامية بمصر على علاقة طيبة مع التيار الخميني في الحكومة الإيرانية بحكم عن موقفها الخاص المختلف عن موقف كافة طيف التيار الجهادي من الحكومة الإيرانية . فأثنت على تجربتها الثورية (الإسلامية) وإطرائها في بعض أدبياتها ، كما دأب بعض مسؤولوها ومنهم الدكتور عمر عبد الرحمن فرج الله عنه ،على حضور بعض المؤتمرات التي تنظمها حكومة إيران هنا وهناك.. فوفر لهم هذا جسرا لملاذ آ من هناك في فترة العواصف العاتية تلك .

- ورغم أن معظم إن لم يكن كافة البارزين من قيادات ورموز التيار الجهادي وكوادره ، وكثير من قواعده البشرية بدأت هجرة شبه جماعة إلى أفغانستان .عبر ما اصطلحت عليه باسم (الشوط الثاني للأفغان العرب) خلال الفترة (1996-2001) ، إلا أن القيادات البارزة للجماعة الإسلامية التي استوطنت إيران آثرت البقاء هناك .والتميز بموقف واضح يختلف عن الإتجاه العام للتيار الجهادي من أفغانستان و كان من أبرز ملامح ذلك الموقف :

1. عدم تأييد طالبان صراحة .. وعدم الانخراط في دعمهم ضد تحالف الشمال المكون من قدماء زعماء الجهاد الأفغاني. بل والحذر من الاستدراج نحو أفغانستان .
2. نأت الجماعة الإسلامية بنفسها بكل وضوح عبر وسائل إعلامها ولاسيما موقعها الناشط على الإنترنت عن توجهات بن لادن في حربه المشرعة مع الأمريكان على عكس ما فعلته جماعة الجهاد بقيادة الدكتور أيمن الظواهري . ولما نوهت القاعدة بتعاون الجماعة معها ، نفت الجماعة ذلك في بيان صرح مفندة ذلك الادعاء.
3. تبنت الجماعة مبدأ وقف الدعوة للمواجهة المسلحة مع الحكومات ، وأعلنت (مبادرة لوقف العنف في مصر ضد الحكومة المصرية من طرف واحد) ..وهذا الموضوع يستأهل الوقوف معه لأنه نحى بالجماعة في اتجاه آخر خرج بها عن مسار التيار الجهادي كله، وترك عليه آثارا تتعدى خصوصيات الجماعة .

الجماعة الإسلامية بمصر و مبادرتها لوقف العنف من طرف واحد مع الحكومة المصرية:

- تميزت الجماعة الإسلامية بمصر عن عموم التيار الجهادي بفوارق فكرية هامة انعكست فيما بعد على مسارها .وكان من أهم تلك الفوارق :

- تبنيها فكرا يمكن اعتباره وسطا بين فكر (الصحوة عامة) وفكر (التيار الجهادي) من حيث مسائل الحاكمية. فقد أعلنوا عن قناعتهم بردة الحاكم الأعلى في بلدان المسلمين التي تحكم بغير ما أنزل الله ، ومنها مصر واقتصروا في حكم الردة على شخصه ولم يجاوزه إلى نظامه . وبالتالي لم يستبيحوا القتال ضد أعوانه شرعا إلا دفاعا عن النفس..

- تبنى الجماعة مبدأ الشورى الملزمة وطريقة القيادة الجماعية ، واتخذوا من شخص الدكتور عمر عبد الرحمن أميرا اعتباريا ورمزا للجماعة .
- كما تجاوزوا إشكالية شرعية في شروط (الإمارة الشرعية) مما فتح بابا للجدل الطويل العريض بينهم وبين جماعة الجهاد في مصر وشرائح أخرى من التيار الجهادي منذ مطلع التسعينات في أفغانستان. وهي تبنيهم لمبدأ (صحة ولاية الأسير)، كما كان حال الشيخ المجاهد الفاضل الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا- فرج الله عنه- كما اعتبروا قاداتهم التاريخيين الأسرى في سجون مصر قيادات فاعلة تشارك في القرار الذي تبنى مبدأ الشورى الملزمة . و لست هنا بصدد المناقشة الشرعية للمبدأ وإنما التاريخ بدد تسجيل ، لذكر دور هذه المرتكزات الفكرية والمنهجية في مسار الجماعة فيما بعد منذ أواسط التسعينات ..

باستثناء هذه الإشكالين أكاد لا أجد فوارق منهجية رئيسية أخرى (من الناحية النظرية) لمنهج الجماعة الإسلامية بمصر عن باقي مدارس التيار الجهادي . من حيث فكرهم السلفي الجهادي ورفضهم بل تكفيرهم (لمنهج الديمقراطية) في العمل الإسلامي . مع عذر من مارسها من الإسلاميين بالتأويل أو سوى ذلك .. إلى آخر مكونات الفكر الهادي المعاصر ..

ولكن هذه الإشكاليات المنهجية أوقعت الجماعة التي كانت قد دخلت الصراع فعليا مع الحكومة المصرية في إشكاليات عملية، لما وجد أعضاء جهازها العسكري أنفسهم أمام المتطلبات الفقهية لمعركة استنزاف هجومية دفاعية في ساحة الصدام مع النظام المصري ورجال أمنه واستخباراته.. هذا من جهة ، ومن جهة مهمة أخرى . وجدوا قياداتهم تتكون عمليا من ثلاث أجنحة رئيسية هي :

1. القيادات الأسيرة في مصر والتي اصطلحوا على تسميتها (بالقيادات التاريخية).
2. القيادات السياسية المطاردة في الخارج في المهاجر و الملاذات الآمنة.
3. قيادات الجهاز العسكري للجماعة سواء داخل أو خارج مصر والتي تخوض مواجهة عسكرية دامية مع نظام حسني مبارك ، وسرعان ما أثرت هذه التناقضات المنهجية ذات الأبعاد العملية بسرعة مسار الجماعة في النصف الثاني من التسعينات وإلى ما بعد أحداث سبتمبر كما سنرى. فقد زاد الطين بلة أن الجناح العسكري بقيادة الأخ أبو حازم - مصطفى حمزة - قد خطط لعملية كادت تودي بالرئيس حسن مبارك في (أديس أبابا) اغتيالا أثناء مؤتمر أفريقية .. حيث فشلت العملية وقبض على بعض أعضاء المجموعة وسجلوا اعترافاتهم قبل أن يعدموا رحمهم الله . وشكلت هذه العملية إحراجا هائلا للحكومة السودانية التي دبرت الخطط ودعمت العملية لوجيستيا من أراضيها . وكذلك أمام قيادة الجماعة الإسلامية . كما زادة الطين بلة.

اعتقال الدكتور عمر عبد الرحمن في الولايات المتحدة الأمريكية ، حيث كان قد أتخذ قرارا خاطئا في التوجه للإقامة في أمريكا بهدف الدعوة والنشاط وتوفير الإعلام و الدعم المادي للجماعة . ثم لفقت له هناك تهم باطلة إثر الهجوم الأول على برج مبنى التجارة العالمي في نيويورك وحكم عليه بالسجن مائتي سنة ! ولم تفلح كل محاولات التخفيف والدفاع عنه.. ومع الإعلان شبه الرسمي من قبل قيادات الجماعة الإسلامية على أن أميرهم العملي هو الشيخ (أبو طلال طلعت فؤاد قاسم) الذي استقر لاجئا سياسيا في (الدانمرك) وتبنى مبدأ المواجهة إلى جانب آخرين من جناح الصقور في الجماعة من الداعمين للجهاز العسكري بقيادة مصطفي حمزة من السياسيين من هذا التيار وعلى رأسهم الشيخ (رفاعي طه) والشيخ(محمد الإسلامبولي) وكذلك بعض الذين توجهوا لحمل راية العمل الميداني في الجهاد في البوسنة (1994-1995) . ولعبوا دورا مشرفا للجماعة الإسلامية بمصر يعتبر من إنجازات التيار الجهادي المعاصر .

دخل هذا الجناح المتمسك بالمواجهة مع جناح مناقض له بدأ يدعو للمهادنة ووضع المواجهة مع الحكومة المصرية ، و تمثل في قيادات السجون الأسيرة (التاريخية) وبعض قياداتهم في أوربا كان من أبرزهم الأخ (أسامة رشدي) .حيث ظهر ذلك التناقض للعلن عندما رفض هذا الجناح الاعتراف بشرعية حادثة (الأقصر). عندما هاجمت إحدى خلايا الجماعة الإسلامية الناشطة في مصر مجموعة من السياح الأجانب وقتلت وجرحت منهم عشرات الأشخاص .. حيث سارعت (القيادات التاريخية الأسيرة) وبعض قيادات أوربا وأبرزهم (أسامة رشدي) إلى إدانة هذا العمل وفاعليه وتخطئته ، بل ذهب (أسامة رشدي) إلى الهجوم الصارخ على العمل ومن يقف معه من القيادات السياسية والعسكرية للجماعة! ودخل في مواجهة أدبية حتى مع الكبار منهم من أساتذته من أمثال الشيخ (رفاعي طه. فرج الله عنه) .

وفيما أذكر فاجأت القيادات التاريخية في السجون المصرية العالم أجمع بمشروعها الذي عرف (بمبادرة وقف العنف من طرف واحد) في مصر، ودعت الحكومة المصرية إلى أن تبادلها المبادرة بإجراءات تنهي المواجهة ..

وافق طرح تلك المبادرة أوائل أيام تواجدنا في أفغانستان مع بداية (الشوط الثاني للأفغان العرب) فيها في عهد طالبان وربما كان ذلك أواخر 1997 .

وقد تابعت بنفسي مراحل وتطورات هذه المبادرة مع أبرز القيادات الحاضرة للجماعة الإسلامية في أفغانستان . ومع بعض كبارها الذين زارونا من قادمين إيران ومال بعضهم للإقامة في أفغانستان أواسط سنة (2000) ، وكذلك مع أبرز الرموز الجهادية الحاضرة هناك ، بما يمكنني من أن الحض مرا حل تلك المبادرة في نقاط رئيسية:

1. طرح بعض القيادات الجماعة الإسلامية المسجونين فيمصر منذ أحداث اغتيال السادات، عن طريق محاميهم الشهير(الأستاذ منتصر الزيات) مذكرة مبادرة يعلنون فيها وقف العمل المسلح في مصر ومبادرة من جانب واحد . داعيين الحكومة إلى التجاوب الايجابي معها ..وسارع إلى تأييدهم الجناح الميال لهذا الإتجاه من قيادات الجماعة في أوربا وعلى رأسهم الأخ (أسامة رشدي)..

2. أربكت القيادات السياسية والعسكرية للجماعة الإسلامية بمصر في الخارج ولاسيما الشخصيات الرئيسية التي تتواجد في إيران وبعضها في أفغانستان. وحصل لغط وإبهام حول موقف القيادة الميدانية العسكرية المطاردة داخل مصر والمباشرة للعمل العسكري ، وكذلك حول موقف الدكتور عمر عبد الرحمن في سجنه في أمريكا . ولكن قيادات الجماعة في مختلف الأطراف ولاسيما المعارضة للمبادرة في الخارج اعتبروا وحدة الجماعة وعدم تمزق موقفها فوق كافة الاعتبارات الأخرى بما فيها المنهجية والمبدئية. ولكن بدت ملامح الرفض للمبادرة لدى عدد من رموز الجماعة كان من أبرزهم الشيخ رفاعي طه ، والأخ محمد الإسلامبولي ومصطفى حمزة ..إلا أن الجميع أبدوا وحدة الصف والتزام رأي الأغلبية كقرار موحد بعد إجراء المشاورات على كافة الأصعدة . ولكن البعض أعلن تجميد عضويته في مجلس شورى الجماعة لعدم قناعته بهذا الأمر كما فعل الشيخ محمد شوقي الإسلامبولي .

3. كافأت الحكومة المصرية تلك المبادرة بالرفض والتصميم على متابعة المواجهة الأمنية. فاختطف القيادي البارد الشيخ أبو طلال (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وهو في طريقة لزيارة قيادات الجماعة العاملة في البوسنة . واغتيل بعض المطاردين المختفين داخل القاهرة في شقتهم في ملابسات غامضة.. وأعلنت أجهزة الأمن والإعلام المصرية ووزارة الداخلية متابعة مطاردة الجماعة وعدم تجاوبها مع المبادرة وبقي هذا موقفها المعلن إلى أواخر سنة (2003) حيث تجاوبت جزئيا معها كما سيأتي.

4. تبلور القرار الجماعي للجماعة الإسلامية على مستوى قيادات الداخل والخارج على تبني المبادرة. و لم يزد عنت الحكومة قيادات الجماعة التي انتقلت إمارتها إلى الأخ أبو حازم (مصطفى حمزة) بحسب ما بدا ، إلا إصرارا على المبادرة ! وطورت القيادات التاريخية(السجينة) ومن ذهب مذهبها من قيادات الخارج المؤيدة للمبادرة موقفها إلى مستوى منهجي خطير حيث بدؤوا بإصدار بحوث شرعية ودراسات فكرية تأطر وتنظر لما أسموه (نبذ العنف)! وبدؤوا ينتقدون ويخطئون المبادئ التي قامت عليها أسس المواجهة الجهادية مع الحكومات القائمة على أسس الردة ، والتي كانوا قد ملؤوا ساحة العمل الإسلامي بأدبيات جهادية قيمة لإثباتها، تلك الأدبيات التي شغلت حيزا

أساسيا من فكر التيار الجهادي مثل رسالة (الفريضة الغائبة) ودستور الجماعة ومنهاجها (ميثاق العمل الإسلامي) و(الإعتصام) و(حتمية المواجهة).. ومئات المقالات التي ملأت نشراتهم الشهيرة مثل (المرابطون) وغيرها .

فصدرت عن الجماعة الإسلامية كتب تحت شعار (المراجعات الفكرية) ، تدرجت في التراجعات الفكرية والمنهجية لتدخل في حيز الانهيار العقدي في أساسيات الأصول السياسية الشرعية للفكر الجهادي بل والإسلامي الذي قامت عليه الصحوة. فبدؤوا بالحديث عن حصانة دماء وأموال الكفار في ديارهم ، إلى أمانهم في ديارنا وصولا إلى الدعوة للتعاون مع الحكام في المعركة مع (إسرائيل) وفي معركة التنمية الإقتصادية.. ثم بدأ الغزل والحديث عن العودة إلى ميدان الدعوة السلمية وربما المشاركة السياسية المشروعة .. إلى أن وصل الحد إلى التصريح باعتبار السادات الهالك الذي تشرف أبطال الجماعة الإسلامية نيابة عن الأمة الإسلامية باغتياله واعتباره شهيدا قتل ظلما ، بل أسماه أحدهم (شهيد الفتنة !!). وقد اطلعت على بعض ما كتب في تلك الكتب من خلال المقتطفات التي روجت لها وسائل الإعلام ، وذكر بعضها المحامي (منتصر) الزيات نفسه..عن طريق تلك المنابر الإعلامية الحكومية ..

وبصرف النظر عن التعليق على الأسباب والمسببات والأعذار التي يمكن التماسها للقيادة الأسيرة (فاقدة الشرعية والأهلية أصلا في سجونها)..أو لتلك القيادة المطاردة المحاصرة في دائرة العجز عمليا بصرف النظر الآن عن كل ذلك يمكن القول بأن الجماعة الإسلامية بمصر قد تحولت نهائيا عن هويتها الفكرية ومنهجها كجماعة من جماعات التيار الجهادي ..

وسأترك نقاش هذا الأمر (مبدأ المبادرة) من وجهة نظري ونظر كل الجهاديين . وأذكر انه كان بوسعنا في تلك الفترة أن نلتقي في ظلال طالبان ونتدارس الأمر،ونسمع الأعذار والمبررات من أصحابها، حيث رفض الجميع هذه المبادرة جملة وتفصيلا ، مع الاحتفاظ بكامل الود والاحترام لإخواننا وسابقتهم وفضلهم.

5. رفضت جماعة الجهاد المصرية كما أسلفت سابقا وكافة طيف التيار الجهادي المبادرة صراحة وعبروا عن ذلك ضمن ما أتيح من وسائل الإعلام المحدودة إبان مرحلة الإقامة عند طالبان ، والتي تميزت بالانعزال عن العالم عمليا بسبب الحصار على طالبان وبسبب سياسة طالبان الإعلامية المتخلفة .

6. أحرجت قيادات الجماعة الإسلامية في الخارج من تتابع الانهيارات الناشئة عن المبادرة ، ولكن ما كان بوسع أحدهم إلا أن يعبر عن عدم موافقته الشخصية وعن التزامه بوحدة الصف

والتزام رأي قياداتهم التاريخية ! التي تشكل الثقل الأساسي في مجلس الشورى ..الذي يقرر بالأغلبية في جماعة لا أمير لها عمليا ويتناثر عناصرها في أنحاء الأرض ويسيطر على قرارها الأسرى في مصر والسجناء نصف الأحرار في ملاذات اللجوء السياسي في أوربا .!

7. وحصلت أحداث سبتمبر! ورحل من تبقى ونجى من أفغانستان من كوادر الجماعة إلى حيث تيسر لهم . وربما أن موقف الجماعة المعلن بعيدا عن طالبان وعن بن لادن جعلها من أقل المتضررين بالعواصف العاتية التي دمرت القاعدة والأفغان العرب ومعظم الكتلة المتبقية من التيار الجهادي كما أسلفنا .

8. ثم وفي أواسط (2003) فاجأت الحكومة المصرية العالم بتجاوبها الجزئي مع المبادرة بعد (6 سنين) من إطلاقها. وبدأت بإطلاق دفعات من معتقلي الجماعة الإسلامية .فأخرجت عن عدة مئات بينهم (الشيخ كرم زهدي) أحد قياداتها التاريخية ثم أفرجت عن قياديين آخرين . وزاد من خرج من السجن مبادرتهم بمزيد من الكتب والتأصيلات المنهجية لنقض الغزل السابق من بعد قوة أنكاثا.. وسمعت من بعض وسائل الإعلام عن كتاب يقيمون فيه تجاربهم السابقة ، بعنوان (نهر الذكريات) ، لم يتسنى لي أن أراه ولكني اطلعت في الصحافة على بعض المصائب التي يتلبسون بها .ز، فقد انضمت هذه الفئة إلى برنامج رامسفيلد في حرب الأفكار عمليا ، وصاروا جزءا من حملة أمريكا والمرتدين لمكافحة الإرهاب ! ولم ينس إخوتنا التائبون من عبادة الله بجهاد أعدائه أن يسجلوا انتقاداتهم لأحداث سبتمبر وصانعيها ..و صارت مبادرة الجماعة الإسلامية محل ثناء من برامج مكافحة الإرهاب الفكرية التي تعج بها وسائل الإعلام العربية هذه الأيام ومحل استشهاد ومضرب مثل لعلماء السعودية وسواها في مكافحة المظاهر الجهادية المتنامية في السعودية وسواها بفعل واقع الحملات الصليبية الأمريكية الأخيرة ..

ويجري الحديث من وقت لآخر عن تمهيد قياداتها لطرح فكرة استئناف مسار الدعوة العلنية سواء كمؤسسات اجتماعية أو كأحزاب سياسة قد تحصل على تراخيص حكومية في المستقبل ..

9. مطلع عام 2004 التقى الرئيس المصري بالرئيس الإيراني على هامش أحد المؤتمرات الدولية في أوربا..واعتبر المراقبون ذلك مفتاح مرحلة جديدة بين البلدين..وصرح الرئيسان بعزمهما على تطبيع العلاقات التي تدهورت منذ أيام الثورة الخمينية حيث كان الشاه قد لجأ إلى مصر..ثم ما كان من استقبال إيران لقيادات الجماعة الإسلامية وإطلاقها لاسم الشهيد خالد الإسلامبولي على أحد أكبر الشوارع الرئيسية في طهران . وبعد عودة خاتمي إلى بلده استجابت الحكومة الإيرانية لطلب

مصر المتكرر بإلغاء تسمية ذلك الشارع باسم الإسلامبولي..ثم تناقلت وسائل الإعلام خبر اعتزام إيران تسليم المعتقلين لديها من المصريين من الأفغان العرب وأعضاء القاعدة إلى الحكومة المصرية..ومن ثم ذكر أن بعض المعارضين المصريين المقيمين في إيران قد سلموا لمصر فعليا ، وأن آخرين قد فروا لأفغانستان..ولا أدري صحة الخبر ولا إن كان هذا قد طال من تبقى من قيادات الجماعة هناك ولم أستطع التحقق من ذلك .

كان هذا خلاصة تجربة وأحوال تلك التجربة الغنية للجماعة الإسلامية ، إلى تاريخ كتاب هذه السطور أواخر سنة 2004 . من خلال إطلاعي عليها عمليا و احتكاكي وصداقاتي مع العديد من قياداتها.. و لو أرادت أن أختصر رأي في تلك التجربة لأوجزته في أربع نقاط:

(1) الإنصاف(2) العذر(3) النصيحة(4) الأمل..

<u>أما للانصاف:</u>

- فأقول أن الجماعة الإسلامية بمصر التي عرفتها عن قرب ، قد آلت إلى الزوال مع نهايات القرن العشرين ، مثلها مثل معظم تجمعات وتنظيمات التيار الجهادي التي تنتمي لحقبة (1960-2001) . التي عملت في تلك الفترة ، ثم تلاشت أو انحلت أو دمرت أو تفككت من الناحية العملية .ثم قضت تداعيات أحداث سبتمبر على ما كان قد تبقى منها ، فالجماعة الإسلامية بمصر التي ولدت أواسط السبعينات قد انحلت عمليا وانتهت مع انصرام القرن العشرين وبداية عالم ما بعد سبتمبر .. بل لقد سبقت باقي التجمعات بالانحلال مع إطلاقها للمبادرة والإمعان فيها بذلك الشكل.. هذا من الناحية العملية . فأما من الناحية الفكرية فالناطقون اليوم باسمها يعلنون فكرا لا أقول أنه مختلف فقط ، وإنما معاكس ومحارب للفكر الذي سطروه في كتبهم التي أثرت تجربتهم في مصر ،بل وأثر التيار الجهادي كله.

وللأمانة والتاريخ يجب القول صراحة ، أنهم يدينون اليوم مسارهم ، ويعتذرون عن أمجادهم ويعتبرونها خطأ ، ويخطون لأنفسهم بذلك مسارا ومنهجا جديدا..

وأما من الناحية التنظيمية.. فالتنظيم قد تلاشى و تشظى ، فمعظم قياداته قد قتلوا رحمهم الله،أو أسروا وانقطعت أخبارهم فرج الله عنهم ..وأما قواعدهم البشرية فقد انحلت وانتهت .

الشيء الوحيد المتبقي هو بعض الكوادر و القيادات التاريخية التي تخرج من السجون الصغيرة إلى السجن الكبير المسيَّج بحدود مصر التي رسمتها سيكس بيكو . حيث يطرحون – نتمنى لهم السداد والتوفيق- فكرا و مشاريع جديدة ، لا يربطها بالجماعة الإسلامية التي نعرفها إلا الاسم.. هذا إن حافظوا عليه وما أظنهم بفاعلين .. فإن من شروط الطاغوت بحسب تجربتنا (كصحوة إسلامية) على

من يريد الاستمرار أن ينفصل عن كل شيء حتى عن اسمه ويطلبون تغييره . كما حصل في تجربة تركيا وتونس و الجزائر وسواها .. هذه هي النقطة الأولى من الإنصاف ..

- أما النقطة الثانية فهي تقديري و احترامي الكبير لتجربتهم.. فقد عرفت الكثير من قيادات وكوادر هذا التنظيم. والحق يقال، فإنهم من أفضل التنظيمات الجهادية دينا وخلقا وسلوكا وإعدادا وتربية ، فهم من التنظيمات التي تعبت على عناصرها بالتربية .. وأما منهجهم قبل المبادرة فهو- رغم اختلافي معهم في بعض الاختيارات السياسية الشرعية- من أفضل المناهج التي طرحت في التيار الجهادي وأكثرها تأصيلا .. ولم أسجل عليهم في سابق تجربتهم من مأخذ إلا تنكبهم في بعض الحالات لأصول منهجهم نتيجة بعض الحسابات التنظيمية والمصالح الحبية التي ظنوها كغيرهم من التنظيمات آنذاك. كما حصل من بعضهم إزاء مسألة الجهاد في الجزائر وتأييدهم للديمقراطية ، ومسألة عدم وقوفهم إلى جانب طالبان إلا في المرحلة المتأخرة جدا، حيث عاجل سبتمبر 2001الجميع..

وأما تجربتهم الدعوية و التنظيمية والعسكرية في مصر، وكذلك تراثهم وإنتاجهم الإعلامي ، فكذلك كانت من أروع وأطول وأغنى تجارب التيار الجهادي المعاصرة سواء في داخل مصر أو في خارجها. وكذلك دورهم و مساهماتهم القيمة النوعية في أفغانستان ضد الشيوعية ، وفي البوسنة في دفع الصائل عن المسلمين..

وأما على الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالعديد من قياداتهم وقواعدهم علاقات أخوة وصداقة ومسار طريق جهاد وهجرة وجيرة مسكن.. فكانوا مثالا للأخوة الأصدقاء والجيران الأوفياء. وفعلا كما قال الإمام ابن القيم وهو يرد بعض الآراء على الإمام أبو إسماعيل الهروي في كتاب مدارج السالكين ، أقول: (**لولا أن حق الحق أوجب من حق الخلق لكان في الإمساك فسحة و متسع**) .

وأسأل الله أن يتقبل منهم أحسن ما عملوا ويتجاوز عما كان من كان من تقصير وصفف وزلل، هو من طبع عمل ابن آدم ، إنه هو الغفور الرحيم.

<u>وأما العذر فيما أحدثوه من المبادرة دون موافقتهم عليها :</u>

فأقول بأن التضحيات التي قدمتها هذه الجماعة عبر تاريخها هي تضحيات جسام بكل المقاييس ، من الشهداء و المعتقلين والمطاردين، ومن الذين ذاقوا البلاء في سبيل الله، والله حسيبهم. ولقد أسر معظم قيادات وقواعد التنظيم. فقد أعتقل ما يزيد على (90%) من قياداتهم البارزة في الصف الأول ، منهم ولم ينج مهاجرا للخارج إلا القليل . و أعتقل من قواعدهم وأنصارهم عشرات الآلاف ولم ينج للخارج إلا رهط قليل أيضا .. فتحول التنظيم عمليا إلى تنظيم مأسور بمعظم قياداته وقواعده. وقد صبر المعتقلون لعقدين كاملين من الزمن، منذ قتل السادات (1981) إلى

نهاية القرن العشرين . لعل جهازهم العسكري في الداخل أو من نجى إلى الخارج يستطيعون تحقيق شيء .. ولكن الظروف العامة التي أحاطت بمواجهات التيار الجهادي مع أنظمة الردة ومن وراءها من القوى الدولية وعلى رأسها أمريكا وحلفاءها في الناتو فيما عرف بالمواجهة العالمية للإرهاب .. لم تكن لتسمح لهم أو لغيرهم بالإنتاج النوعي أو بتحقيق شيء من الانتصار ..

كما أن الشارع المصري ، مثله مثل عموم الشارع العربي والإسلامي قد خذلهم كما خذل التيار الجهادي في أكثر الأمكنة ، نتيجة عوامل كثيرة، مردها للفساد العام ، ولعجز الصحوة الإسلامية وتيهها في دروب السياسة وإعراض قادتها عن الجهاد.. و للانحطاط المريع لعلماء المسلمين في هذا الزمان نحو دروب النفاق أو جحور العجز.!

فلم يتجاوب الشارع المصري كغيره في هذا المواجهة بل جر عمليا إما للوقف في صف الدولة أو للانخراط في اللامبالاة وقف المجاهدون وحيدين في الساحة ..ليقتل المئات ويأسر عشرات الآلاف ويطارد من هاجر.. ولتخرب البيوت وترمل النساء ويشرد الأطفال وتتفكك الأسر تحت طائلة الفقر والعوز والحاجة والتشتت .

وأعتقد أن ما تعرض له قيادات الجماعة وقواعدها من التعذيب البدني والنفسي- في سجون مصر ذات التاريخ الأسود العريق في مواجهة الصحوة أمنيا و فكريا وإعلاميا، بالإضافة للدور الخبيث الذي لعبه علماء السلطان في مناظراتهم معهم بإشراف أجهزة أمن الدولة.. كان له بالغ الأثر في قرارهم الكارثي الذي دعي بـ (مبادرة وقف العنف)..

فهو في الحقيقة مبادرة و قرار من مجموعة سجناء أسرى .. فاقدي الإرادة لا إعتبار لقراراتهم ولا لآرائهم و فتاويهم لا شرعا ولا عقلا..

فصاحب مثل هذه المبادرات قد يكون معذورا فيما يضل به أو يضل به الناس ، إن تحققت له شروط الإكراه ، ونقدنا هو لمبدأ المبادرة وفحواها، وليس لجميع السجناء من أصحابها .. فالمبدأ مرفوض جملة وتفصيلا . والأخوة معذورون إجمالا والله أعلم.. على خلاف غير المأسورين منهم من الذين تولوا كبر هذا الإنحراف من ملاذاتهم في أوربا . وحتى ما أحدثوه بعد خروجهم من السجن فإني أتناوله بنفس المنظور والطريقة ؛ رفض الإنحراف وعذر المنحرف المكره منهم إكراها حقيقيا. فهم مازالوا سجناء داخل السجن الكبير (مصر) في داخل سور حدودها. والتي يحيط بها وبغيرها اليوم سجن أكبر في عالم ما بعد سبتمبر في كل أنحاء الأرض بإشراف أمريكا. ونسأل الله الثبات على الحق والعزيمة على الرشد.

وأما الأمل :

ففي أن يخرج ممن تبقى من هذه الجماعة و أصلاب هؤلاء المجاهـدين و مـن أتبـاعهم مـن يكمل المسار؛ مسار الجهاد والمقاومة فيما نستقبل من أيام لحمل الراية، ومن يكمل المسيرة في أرض الكنانة أهم قلاع المواجهة في بلاد المسلمين مع هذه الحملات الصليبية اليهودية الزاحفة ..

وأما النصيحة :

لإخوتنا هؤلاء ، ولكل من ينجـرف ليسـقط في مثـل هـذه المنزلقـات والهاويـات التـي ينصـبها الطغاة وأعوانهم وفقهاؤهم على طريق السائرين إلى الله اليوم..فأوجز القول..

يقول الله تعالى:

﴿ وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة 217) .

ويقول عز وجل:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَاباً مُؤَجَّلاً وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ * وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ * وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ * فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ * بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾ (آل عمران 150/144) .

سبحان الله العظيم.. كان هذا القرآن قد نزل لنا و فينا ... و يقول صلى الله عليه وسـلم فـيما روى البخاري :

(عن خباب بن الأرت قال شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بـردة لـه في ظل الكعبة قلنا له ألا تستنصر لنا ألا تدعو الله لنا قال ثم كان الرجل فيمن قبلكم يحفر لـه في الأرض فيجعل فيه، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيشق باثنتين ، وما يصـده ذلـك عـن دينـه ، ويمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب . وما يصده ذلك عن دينه والله ليـتمن هذا الأمر حتى يسير الراكـب مـن صـنعاء إلى حضرموت لا يخـاف إلا اللـه أو الـذئب عـلى غنمـه ولكنكم تستعجلون) .

صد ق رسول الله. وكأن الحديث يتكلم عن بعض مجاهدي هذا الزمن..نسأل الله العافية .

وأظن أن في كلام الله ، وقول نبيه صلى الله عليه وسلم ، ما يكفي من العظة والنصيحة..

فلقد كان مقبولا من إخواننا هؤلاء ،إذ شعروا أنهم قد أحيط بهم ، وأنهم لا طاقة لهم بالمتابعة.. أن يستسلموا ويرفعوا الراية البيضاء.. ويعلنوا التوقف عن مواجهتهم للنظام المصري..وأن يطلبوا الهدنة أو الصلح بشروط تناسب حالهم.. وكن ليس من حقهم ولا من حق أحد أن ينقض المنهج ذاته ، و أن ينقض الغزل من بعد قوة أنكاثا.. فهو ليس غزله ولا غزل أبيه وأمه ! وإنما غزل المسلمين ، وغزل التيار الجهادي العريق بأكمله ، و تراث سلف من آلاف وآلاف الشهداء والصابرين الذين لاقوا ربهم وهم على ذلك في مصر وخارج مصر.

وكما روي عن إمام أهل السنة أحمد بن حنبل عندما سعى إليه بعض المشفقين عليه ، ليجيب المعتصم في المحنة تقية لكف البلاء عن نفسه ويذكره بعياله ، فقال : إن كان هذا عقلك يا أبا فلان فقد استرحت ، وأشار إلى جمهرة من الناس وطلاب العلم ينتظرون على باب سجنه ليكتبوا ماذا يفتي ، وقال له : أأنجو بنفسي وأضل هؤلاء ؟! ولم يجوز رحمه الله التقية لمن كان رأسا متبعا في الدين ..وكان يقول: لا تقية إلا بالسيف .

أما أن يتحول المستسلم تحت أي اجتهاد أو ذريعة كانت - نسال الله العافية – إلى وسيلة في أيدي الطواغيت وأجهزة إعلام الأعداء في الداخل والخارج ليخذل الذين مازالوا سائرين على درب الجهاد والمقاومة .بل ويسبهم وينقد منهجهم بتزوير الكتاب والسنة ، فاللهم لا ، ولا كرامة هنا لأحد .

فأقل المطلوب من إخواننا هؤلاء ومن ألجئ إلى مثل حالهم ، إذ انسحبوا من القافلة ، أن يمسكوا ألسنتهم ولتسعهم بيوتهم وليبكوا على خطيئاتهم ، وليسألوا الله للثابتين الثبات ، ولأنفسهم فرصة ثانية تعوض ما فات .

ونسأل الله أن يغفر لهم و يثبتهم على الحق ويبعث منهم ومن أتباعهم وإخوانهم من يرفع راية الحق ويعود بالراية إلى عزتها ومكانتها.

أما عن تجربتي وصحبتي للأخوة من هذه الجماعة ، خلال مرحلتي الجهاد في أفغانستان ، وفي لندن مابين ذلك . فقد مكنتني من التعرف على نماذج رائعة من المجاهدين في هذا الزمان ، وقد ربطني بالعديد منهم من مختلف المستويات علاقات أخوة وصداقة..فكانوا نعم الإخوة الصادقين والجيران الأوفياء .

وكما أسلفت الملاحظ على كوادر هذه الجماعة حسن التربية والتكوين لأعضائها ومتانة الأخوة والرابطة فيما بينهم بالحق وحتى بالباطل أحيانا ! وقد قدر لي أن أتعرف علي العديد من شيوخ هذه الجماعة وكوادرها مثل الشيخ المجاهد العالم القدوة عمر عبد الرحمن فرج الله كربته وفك أسره . والشيخ أبو ياسر (رفاعي طه) فك الله أسره. والشيخ مصطفي حمزة ، والشيخ أحمد شوقي

الإسلامبولي وغيرهم ، ..حفظهم الله تعالى وغيرهم..وكانت فرصة لمعرفة نماذج للمجاهدين القدوة العاملين .فرحم الله من لاقاه وجمعنا بهم في عليين، وحفظ من بقي ونفع بهم دينه وأهل طاعته.

6- المحاولات الجهادية في تونس إعتبارا من النصف الثاني من الثمانينات:

يعود ميلاد الصحوة الإسلامية بشكلها المعاصر في تونس إلى أواسط السبعينات ، حيث أسس الشيخ (راشد الغنوشي) وعدد من الإسلاميين الآخرين من رفاقه حركة عرفت باسم (الإتجاه الإسلامي في تونس) وبدأت كغيرها من ظواهر الصحوة الإسلامية في تلك الفترة على أسس قريبة جدا من فكر الأخوان المسلمين، بالإضافة لمسحة تونسية خاصة بحكم جذور الصحوة الإسلامية في تونس..

وقد اشتمل الإتجاه الإسلامي في تونس على محاور فكرية متعددة كان بعضها دعوي و بعضها سياسي و بعضها تربوي ، وبعضها جهادي مثله الشيخ الدكتور(صالح كرر) حفظه الله وفرج كرباته وتقبل منه ..

دخلت حركة الإتجاه الإسلامي معتركات سياسية كثيرة مع نظام رئيسها السابق (الحبيب بورقيبة)، وسجن قادها وأوقفت صحفها وخطر نشاطها أكثر من مرة .. وأخذت في آخر أيامها باتجاه الخيار الديمقراطي والصراع مع السلطة عبر الإنتخابات .. في حين كان لجهازها السري العسكري الخاص المتكون من عدد من الضباط في مختلف صنوف الأسلحة في الجيش التونسي- برنامجا للإعداد لانقلاب عسكري يحمل الإسلاميين وإلى السلطة بحسب ما كانوا يتصورون..و مثل هذا البرنامج التجربة الأهم لمحاولة جهادية جادة في تونس للإطاحة بنظام الحكم القائم هناك . (وهذه التجربة وإن كان لا يمكن اعتبارها إحدى تجارب التيار الجهادي بسبب الهوية الفكرية لجماعة الغنوشي .. إلا أني سأعرض لنبذة عن تلك المحاولة في هذه الفقرة على إعتبار أن القائمين عليها من الأخوة الضباط كانوا يحملون فكرا جهاديا أقرب إلى فكر التيار الجهادي من قربه إلى فكر الحركة العام ذي الطابع السياسي المختلط ..وهذا ما تبين لي بعد تعرفي على بعضهم عن قرب).

- إلى جانب الإتجاه الإسلامي كان هناك بعض الخلايا الصغيرة لم تجاوز الآحاد في حدود علمي من الشباب الذي حمل الفكر الجهادي السلفي .. وقد قاموا بعدد من العمليات البدائية البسيطة الغضة التجربة، مما أدى إلى استشهاد بعضهم واعتقال الآخرين وفرار بعض الآحاد إلى خارج تونس، وكان من بينهم الشيخ (علي الأزرق) - رحمه الله – الذي أفتاهم بالجهاد **ومشروعية استهداف الدولة وهيا كلها، وقد فر الشيخ إثر فشل تلك المحاولة إلى السعودية - التي أعادت تسليمه إلى تونس أواسط الثمانينات حيث أعدم رحمه الله وقد جاوز السبعين من عمرة وهو يردد الشهادتين ويكبر في أحد سجون تونس- كما روى لي بعض من عاصر تلك المحاولة من الأخوة التونسيين..**

أما عن محاولة الإنقلاب لجماعة الإتجاه الإسلامي أو ما عرف فيما بعد باسم (حزب النهضة) بزعامة الشيخ راشد الغنوشي ، فخلاصتها كما بلغتني مشافهة من بعض الذين خططوا لها وأشرفوا عليها من أولئك الإخوة الضباط كما يلي:

- بصرف النظر عن الخلط والخبط المنهجي الذي طبع حركة الإتجاه الإسلامي والطبقة الأولى من قياداتها منذ نشأتها . إلا أن بداياتها انطبعت بالفكر الثوري الانقلابي والجرأة وسعة الأفق السياسي ، وهي صورة للتركيبة الفكرية والنفسية للشيخ (راشد الغنوشي) ..

- كان للحركة تصورا مؤسساتيا طموحا ، عني بتأسيس الكوادر والهياكل التنظيمية لتنظيم يطمح إلى إسقاط نظام حكم ووراثته على كافة الصعد . ولذلك كان للحركة برنامجها في شتى المجالات السياسية والتربوية و الإقتصادية والإعلامية .. الخ وكان من بين تلك الأجهزة التي أنشأتها، الجهاز العسكري للحركة.

- قام مخطط الجهاز العسكري أساسا على زرع عدد من الضباط المتطوعين في الجيش التونسي في أقسام الأسلحة الثلاثة البرية والجوية والبحرية .. وعلى تجنيد من استطاعوا من الضباط ذوي الميول الإسلامية في الجيش .. وبصرف النظر عن التفاصيل الفرعية فقد كان التنظيم محكما وشديد التخفي في جيش علماني يحظر على عناصره الالتزام بالدين ويراقب حتى همسات المصلين و تسبيحات المؤمنين ، ويعتبرها شبهة تؤدي على الأقل بصاحبها إلى الطرد من الجيش .

- التزم الضباط الشباب من أعضاء هذا الجهاز بالغ السرية بناء على فتاوى تحصل عليها من فقهاء التنظيم ومن استفتاهم بسلوك يخفي أي إشارة إلى التزامهم الديني .. فكانوا يصلون سرا .. بل إذا حضرتهم الصلاة في أوقات الدروس والتدريبات ، صلوا إيماءا..و كانوا لا يصومون إلا إذا تمكنوا سرا، بل وصل الأمر في التخفي إلى اكتفائهم بلباس الحشمة لنسائهم مع الترخص في كشف غطاء الرأس للضرورة التي كانوا فيها !!

  ثم مضى التنظيم على مدى نحو عشر سنوات وفق مخططه الذي كان يقوم على فكرة الإنقلاب العسكري أساسا للإطاحة بالسلطة ..

- ووفق ما رواه لي أحد أصدقائي من الضباط الذين أشرفوا على الإعداد للانقلاب ، فقد كان البرنامج محكما وطموحا (وتفاصيله المفصلة الآن عند الأعداء بما يسمح بذكر بعضها للإفادة) ، واستطاع أن يقيم صلات بدول مجاورة وينسق برنامجه على مستوى عال.. وكان وقت التنفيذ إن لم تفتني الذاكرة في عام (1986).. بعد أن كانت حكومة بورقيبة قد أطاحت بفوز الإتجاه الإسلامي ..عبر تزوير الإنتخابات بعد فوزهم في مراحلها الأولى بصورة أدهشت المراقبين لما يعرف عن المجتمع التونسي من التحلل من الالتزام ..وانتشار مذاهب العلمانيين وأتباع خطوات الفرنسة والتغريب فيه

. ولكـن بـدا في تـونس أيضـا أن روح الأصـالة والتعـاطف مـع الـدين الإسـلامي والثقـة في مشروعه السياسي طبعت و ما تزال تطبع جميع المجتمعات العربية والإسلامية بلا استثناء.

- وبحسب الرواة ذوي العلاقة .. فقد أدى الضعف والتردد لدى أسـتاذ جـامعي مـن القسـم المـدني في التنظيم والذي كان على صلة مع قيادة الضباط الانقلابيين إلى كشف المحاولـة قبيـل تنفيـذه بمقـت وجيز . فسارع وزير الداخلية في حينها وهو الرئيس الحالي (زين العابـدين بـن عـلي) .. إلى إنقـلاب سريـع أبـيض بالتعـاون مـع المخـابرات الأمريكيـة وإدارة أجهـزة الأمـن وبعـض أركـان النظـام مـن السياسيين .. ثم عزل بورقيبة بحجة هرمه وعجزه الصحي ، وتم نقله إلى قصر معزول ليكمـل بقيـة هذيانه وخرفه هناك حتى هلك. وكان قد اعتقل معظم الانقلابيين وفر من تمكن من الفرار .
- ولأن زين العابدين بن علي كان قد رتب انقلابه البديل على عجل .. كان يتخوف مـن عمـق جـذور المحاولة الانقلابية الإسلامية ، وأضطر إلى عقد صفقة مع راشـد الغنـوشي وقياداتـه السياسـية إتفـق بموجبها على الإفراج عن الضباط الموقـوفين ، مقابـل اعـتراف الجماعـة بالنظـام الجديـد وكفهـا عـن السعي للإطاحة بالسلطة .
- وهكذا أفرج عن زهاء مائتي ضابط من الانقلابيين الإسلاميين الذين خرج جلهم إلى المنافي الاختيارية في عدد من الدول الأوربية باللجوء السياسي ، كما خرجت معظم قيادة التنظيم المدني وعلى رأسـهم الشيخ راشد الغنوشي. إلى الدول الغربية ..
- اتجهت جماعة النهضة والشيخ راشد ذاته بعد ذلك الفشل إلى أقصى التطـرف المعـاكس ، في المـنهج السياسي و تبني الطروحات الديمقراطية ، أو ما يسمونه نبذ العنف ،واتخذ الشيخ راشد مـن لنـدن منطلقا لتحركاته عبر أوروبا ، متبنيا فكرا و مسلكا يتوافق مع المقاييس الغربيـة للاعتـدال الإسـلامي ليس محل تناوله هنا . واستهل ذلك بإصدار كتابه (الحريات السياسية في الإسلام) ، الذي انتهك فيه كثيرا من مسلمات الدين الإسلامي بدعوى منهج الإنفتاح و الإعتدال الذي ابتدعـه وبلـغ حـد إنكـار وإلغاء معلومات من الدين بالضرورة !..
- وهكذا تلاشت المحاولة الجادة الوحيدة المعاصرة لإقامة الحكم الإسلامي في تونس .
- وقبض على الشيخ (صالح كرر) في فرنسا وألزم الإقامة الجبرية منذ زهاء خمسة عشر سـنة ومـازال فيها ، خشية أن يتابع تحركاته وتطلعاته الجهادية حيث أنه كان يمثل تيارا جهاديا الجـاد في جماعـة الإتجاه الإسلامي في تونس. فرج الله عنه ..
- أما على صعيد التيار الجهادي وخلاياه في تونس .. فقد أدى وصول بعض الشباب الجهـادي التونسي إلى سـاحة أفغانسـتان في آخـر الثمانينـات ومطلـع التسـعينات إلى محاولـة بعضـهم تشـكيل نـواة

لتجمعات جهادية ، فقامت محاولات فاشلة متكررة لضم تلك المجموعات الصغيرة في تنظيم موحد على غرار ما فعل الليبيون والجزائريون من الأفغان العرب . وقد فشلت كل تلك المحاولات لعدم وجود كوادر مؤهلة بين أولئك الشباب المخلين يمكن أن يقوموا بتلك المهمة ..

- وعندما انفض جمع الأفغان العرب سنة 1992.. رحل بعض المجاهدين التونسيين إلى السودان محاولين ذلك مرة أخرى دون جدوى .. وارتحل آخرون منهم إلى ملاذات اللجوء السياسي في أوروبا .. لتبقى صفة التشرذم ، طابعا ملازما للجهاديين من الأخوة التوانسة رغم ما توفر بينهم من العناصر المخلصة الطيبة ..

أما الضباط الإسلاميون في أوربا فقد أرهقتهم متطلبات الحياة في ظل الحصار و المطاردة من النظام التونسي ، ومحاولات الاستيعاب التي مارسها عليهم (حزب النهضة في الخارج بزعامة الغنوشي)، التي وصلت إلى حد الحصار المادي والمعنوي .. حتى اضطر بعضهم للرضوخ واللحاق بتنظيم الغنوشي لأسباب مادية ونفسية .. وبقى البعض من المصابرين الغرباء منهم منطوون على أنفسهم لا يستطيعون حيلة و لا يهتدون سبيلا مثل كثير من المستضعفين والمشردين من الجهاديين والإسلاميين في أوروبا أواخر القرن العشرين.

- وعند ابتداء الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان في عهد الطالبان كان من بين المجاهدين العرب الذين يمموا وجههم شطر الإمارة الإسلامية ، رهط من المجاهدين التونسيين كان بعضهم قد نال شرف المشاركة في الجهاد في البوسنة ضد هجمات الصرب وحرب الإبادة أواسط التسعينات ..و ابتدؤوا محاولة جديدة لإنشاء تجمع جهادي خاص بهم ، وبدت بعض بوادر النجاح على تلك المحاولة رغم التعثر و التشرذم ، وفيروس التطرف والتكفير الذي أصاب بعض الأخوة من المجاهدين التونسيين وأعاق تلك المحاولات الواعدة .. واستطاع بعض الناضجين منهم أن يؤسسوا لأنفسهم معسكرا مستقلا ، وإدارة لا بأس بمستواها متعاونين مع كوادر الجماعات الأخرى..وقدموا خدمات تدريبية جليلة للتجمع العربي في عهد طالبان .

- ولكن فيما كان الأخوة منشغلين في مسعاهم ذلك ..كان للأقدار مشيئة أخرى..فقد دوت انفجارات الحادي عشر من سبتمبر في نيويورك و واشنطن لتصل شظاياها إلى أفغانستان كما مر معنا.. وجاءت الحملة الصليبية الأمريكية في ديسمبر (2001).. ليأخذ المجاهدون التوانسة مواقعهم على خط متميز في قمم (طورة بورة) في جبال سليمان غربي جلال أباد إلى جانب إخوانهم حيث كان كافة التواجد العربي في أفغانستان مستهدفا بالهجوم ، وجاءت الأخبار عن صمودهم صمود الأبطال في مواقعهم إلى جانب إخوانهم في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية .

- ورغم أن الإخوة التوانسة كان هدفهم العودة بالجهاد إلى تونس .. وإنشاء تنظيم جهادي يجمع شملهم.. وانصب اهتمامهم على إحياء اتصالاتهم بإخوانهم في المهجر وعلى تأمين متطلبات النهوض بذلك الجمع .. ورغم أنهم لم يعيروا كبير إهتمام لمعركة الطالبان والإمارة الإسلامية .. وكانوا من المترددين في التفاعل معها كإمامة شرعية في أفغانستان نتيجة بعض المآخذ لديهم و لاهتمامهم بمشروعهم ، ورغم أنهم لم يقتنعوا بمحاولات (بن لادن) والقاعدة وتوجهاتها العسكرية أحادية الإتجاه .. كما كان حال معظم التنظيمات والتجمعات العربية في أفغانستان. إلا أن الهجمة الأمريكية قد فرضت نفسها على الجميع..

- وهكذا.. أدى مجاهدو تونس واجبهم ، وثبتوا ثبات الأبطال وسقط منهم العشرات من الشهداء والأسرى كغيرهم .. ونظرا لعددهم القليل أصلا ، وقلة من أعتقد أنه قد سلم منهم من أخدود سبتمبر.. أعتقد أن تلك المحاولات التونسية قد تلاشت بانتظار أن يهيأ الله لتونس جيلا جديدا من المجاهدين ..فرحمة الله واسعة، ورحم هذه الأمة مازال معطاء..

- وعلى الصعيد الشخصي فقد عرفت العديد من أولئك الأخوة ، من الأفغان العرب من تونس ، وكذلك تعرفت في أوربا للعديد من الأخوة الضباط الذين ذكرت طرفا من تجربتهم ..وكذلك كان لي العديد بهم روابط الصداقة . كما قامت بيني وبين من أم أفغانستان من التوانسة روابط التعاون في ظلال طالبان ..

- وما زلت أحمل من تلك الروابط حاني الذكريات ..فرحم الله شهداءهم وفرج عن أسراهم ..وذكر أحياءهم بخير وحفظهم ..فقد كانوا مثالا للطيبة والإخلاص والفطرة الصافية والجد في العمل على حداثة تجربتهم وقلة إمكانياتهم..

7- تجربة الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا:(1990-2001).

بحسب معلوماتي فقد كانت هناك محاولة جهادية من النويات الأولى لخلايا التيار الجهادي في ليبيا ضد نظام معمر القذافي خلال النصف الثاني من الثمانينات . ولقد أدي اكتشاف تلك الخلايا ومطاردتها إلى خروج كوادرها الرئيسية إلى أفغانستان ، حيث كان التجمع الجهادي العربي خلال الجهاد الأفغاني قد بدأ يبلغ ذروته. وهناك وفي معسكرات التدريب المنتشرة في أفغانستان وعلى الحدود الباكستانية ، كانت تلك الكوكبة من الشباب الليبيين لا تألوا جهدا في تأهيل كوادرها الأولى في مختلف مجلات التدريب وتعيد صلاتها بليبيا وبعض بلاد المهجر حيث استنفروا من استطاعوا من إخوانهم للمجيء للإعداد والتدريب لمتابعة مسار الجهاد في ليبيا وقد عرف عن أولئك الشباب أنهم من أكثر المجاهدين العرب الذين تواجدوا في تلك الساحة استفادة من الوقت وصبرا على

دورات التأهيل العسكرية والتربوية الطويلة المدى التي أخضعوا لها أنفسهم وإخوانهم ، وخلال السنوات الثلاثة الأخيرة(1989-1992)، استطاع أولئك الشباب أن يرتبوا أنفسهم ويؤسسوا التنظيم الذي عرف باسم (الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا).. ويضعوا برنامجا للإعداد واستئناف المسيرة الجهادية في بلدهم ، على الأفكار والأسس والطريقة التي كانت سائدة آنذاك في أواسط التيار الجهادي والأفغان العرب واستطاعوا أن يستوعبوا معظم المجاهدين الليبيين الذين تواجدوا في ساحة الأفغان العرب .

- ساهم المجاهدون الليبيون في فعاليات الجهاد العربي في أفغانستان إلى جانب إخوانهم من البلاد الأخرى بكفاءة. وسرعان ما برز منهم كوادر في مجالات التدريب وفي الجبهات . ثم استقل شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة لأنفسهم بمضافات ومعسكر خاص بهم شأنهم في ذلك شأن معظم الجماعات الجهادية العربية القديمة أو الناشئة ، ثم بايعوا عليهم أميرا للتنظيم وبدأت تتكون بنيتهم الإدارية كتنظيم جهادي بدأ يأخذ مكانه بين التنظيمات الجهادية العربية المرموقة .

- كان المنهج الفكري للجماعة الإسلامية المقاتلة يقوم على أسس الفكر الجهادي السائد ، وقد تأثروا بمناهج الجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد المصرية ، ويمكن اعتبارهم نموذجا من نماذج جماعات السلفية الجهادية ، وقد بدا هذا جليا عندما نشروا منهجهم الفكري في كتاب بعنوان (الخطوط العريضة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا).. كما تجلى ذلك عبر نشرتهم الشهرية (الفجر) فيما بعد.. وكذلك في عدد من الأبحاث الفكرية السياسية الشرعية التي أصدروها..

- مع هبوب العاصفة الأمنية على العرب في باكستان بموجب البرنامج الأمريكي.. ومع عودة معظم المجاهدين العرب إلى بلادهم كان أعضاء الجماعة الإسلامية المقاتلة من الصنف الذي لا يستطيع العودة إلى بلاده.. شأنهم في ذلك شأن المطاردين من الجهاديين من سوريا ومصر وتونس والعراق وبعض البلاد الأخرى.. فانتقل معظم شباب الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى السودان بعد أن فتح نظام البشير وحليفه الترابي أبواب السودان للإسلاميين و الجهاديين بعد تسلمهم السلطة سنة (1990) كما مر آنفا ، في حين يمم القليل منهم وجهة شطر ملاذات اللجوء السياسي في بعض البلدان الأوربية والغربية...

- تعتبر مرحلة الإقامة في السودان (1991-1995) مرحلة تأسيس هامة بالنسبة للجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا، فقد مكنتها من إعادة توثيق صلاتها بليبيا ، كما وضعت الجماعة برنامجا طموحا لتأهيل الكوادر في المجالات المختلفة ولاسيما في مجال طلب العلم الشرعي .. واتجه العديد منهم إلى طلب العلم في بلاد الحرمين ، في حين يمم آخرون وجههم شطر موريتانيا.. وفعلا ، لم يأت الشوط

الثاني للأفغان العرب في أفغانستان (196-2000) إلا وقد كونت الجماعة الإسلامية المقاتلة بليبيا عددا من خيرة الكوادر العلمية الشرعية التي تأهلت في التيار الجهادي والأفغان العرب ..

- كان عدد من كوادر الأفغان العرب الليبيين ممن لم يلتحقوا بالجماعة المقاتلة يعمل في معسكرات تنظيم القاعدة، وقد غادروا إلى السودان متابعين عملهم مع الشيخ أسامة بن لادن في المجالات الزراعية والاقتصادية التي ابتدأها في السودان. ولكن نشاط المقاتلة وغيرها من الإسلاميين و الجهاديين داخل ليبيا ضد نظام القذافي ، ولاسيما تحركهم في السودان على مقربة من ليبيا .. أزعج نظام العقيد القذافي ودفعه إلى إبرام معاهدة لتبادل المجرمين ! ووضع برنامج لمكافحة العناصر الإسلامية مع نظام البشير (الإسلامي) .. وسرعان ما قلب نظام البشير ظهر المجن لكافة الأفغان العرب . ولكن بداية ذلك كانت بالليبيين .. إذ طلبت الحكومة السودانية من تنظيم (المقاتلة) الرحيل عن السودان.! كما طلبت من الشيخ أسامة إخراج من لديه من الليبيين من مجالات عمله نتيجة ضغوط ليبيا عليها واتفاقاتها الجديدة معها .. ولم يكن من ذلك بد .. وأدى ذلك إلى بدء رحيل الليبيين عن السودان . ليعيدوا انتشارهم في المنطقة من جديد.. وأدى ترحيل من كان منهم مع تنظيم القاعدة إلى انضمامهم إلى تنظيم (المقاتلة) مضيفا إليها كوادر هامة. حيث كانت المقاتلة حريصة على أن تكون التنظيم الجهادي الوحيد في ليبيا.. و بذلت في ذلك مساع حثيثة داخل ليبيا وخارجها .

- كما قلت ، فقد توزعت كوادر المقاتلة وعناصرها في العديد من دول المنطقة .. فعاد البعض إلى باكستان وانتشر آخرون في اليمن والسعودية وتركيا وسوريا والأردن والخليج و بعض دول شمال أفريقيا.. فيما أتجه آخرون إلى ملاذات اللجوء السياسي في بعض الدول الغربية حيث ساعدتهم الأجواء و إمكانية المعلومات والاتصالات على الإفادة في مجال الدعاية والإعلام ..

- مع إنطلاق شرارة الجهاد في الجزائر منذ (1993) سارعت الجماعة المقاتلة كي تكون حاضرة في هذه الساحة الهامة بذاتها ولجوارها لليبيا .. وأوفدت بضع عشرات من مجاهديها ليتواجدوا هناك وليشاركوا إخوانهم في الجماعة الإسلامية المسلحة في الجهاد ضد النظام الجزائري .. ولكنها كانت تجربة بالغة المرارة . إذا أدت الاختراقات الاستخباراتية، وسيطرة العناصر الجاهلة والتكفيرية و توجيه المخابرات لها، إلى المنحرفين سيطرة على إدارة الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر، ودفعها في متاهات الإنحراف و التشرذم .. كما سنعرض في النبذة التالية عند التعرض للتجربة الجزائرية .. إن شاء الله . ولكن ما يعنينا هنا هو أن (الإدارة المجرمة للجماعة الإسلامية المسلحة بقيادة أبو عبد الرحمن أمين) منذ 1995 ، أضافت إلى قائمة جرائمها، جريمة اغتيال معظم هؤلاء المجاهدين الغرباء من الجماعة الإسلامية المقاتلة رحمهم الله. بدعوى حملهم لفكر المبتدعة ، وأنهم ليسوا

على العقيدة السلفية الصحيحة !! ولم ينج من هؤلاء إلا القليل جدا ممن استطاعوا الفرار إلى مناطق التنظيمات الأخرى ليخرجوا شهودا على ذلك الإنحراف الخطير الذي حصل في الجزائر !!!ولله الأمر من قبل ومن بعد .

- في عام (1994) بدأت الجماعة المقاتلة نشاطها العسكري في ليبيا . عبر ثلاثة محاور :

1. حرب عصابات مدن داخل ليبيا ، ضد أركان الحكومة الليبية .
2. تمركز بعض العناصر المطلوبة في مناطق الجبل الأخضر شرق ليبيا لتمارس حرب عصابات جبال وأرياف في محيطه.
3. محاولة اغتيال العقيد معمر القذافي ..

لكن المعطيات الإستراتيجية لبلد مثل ليبيا لم تكن لتساعد على مثل هذه الحركة ..

فعدد السكان قليل ، وليبيا بلد صحراوي مترامي الأطراف ، تتناثر فيه المدن الرئيسية على مسافات شاسعة ، وتتركز في شريط ساحلي ضيق .. بالإضافة للتوقيت غير المواتي الذي انطلقت فيه شرارة تلك المحاولة ، حيث كان التنسيق العربي والإقليمي والدولي لمكافحة الجماعات الجهادية قد بدأ.. مما جعل عملية التنسيق بين إدارة العمل في الداخل والخارج غير ممكنة ، وكذلك أصبحت حركة العناصر من وإلى ليبيا محفوفة بالمخاطر وشبه مستحيلة .. وسرعان ما أوقع نظام الطاغوت في ليبيا خسائر كبيرة في صفوف المجاهدين ، رغم العمليات النوعية والبطولية التي قام بها أفرادهم خلال تلك الفترة ، ضد أجهزة الأمن وعناصر الجيش والمليشيات الحكومية.

وهكذا صفيت خلاياها في الجبل الأخضر ، وقتل الأخ القائد الشهيد عبد الرحمن حطاب .. وسقط عدد من الشهداء في مدن متعددة واعتقل آخرون .. واضطرت الجماعة المقاتلة للإعلان عن تغيير برنامجها العسكري .معلنة ذلك في بياناتها بما عبرت عنه ببرنامج (الهجوم الإستراتيجي والتراجع التكتيكي)..ليقتصر نشاطها عمليا بعد ذلك على المحور الأخير فقط وهو المحاولات التي كررتها لاغتيال العقيد القذافي دون أن يوافق ذلك قدر أجل ذلك الطاغوت الخبيث .. فباءت محولات عديدة بالفشل ونجى القذافي المرة تلو الأخرى بأعجوبة .. واضطرت الجماعة لإنهاء نشاطها عمليا في ليبيا...

- منذ (1995) كانت عواصف الحرب العالمية على الإرهاب كما أسموها تتصاعد بسرعة لمطارد كافة الجهاديين في كل مكان .. وقد أوقع التعاون والتنسيق الأمني الإقليمي والعربي والدولي ، كثيرا من كوادر التيار الجهادي ضحايا لتلك الحملات الأمنية الظالمة التي وضعت نصب أعنيها إغلاق الملاذات الآمنة، وتجفيف المنابع المالية ، ومطاردة العناصر الرئيسية لاغتيالها أو أسرها أو تسليمها إلى بلدانها .. وكان نصيب الجماعة المقاتلة من الابتلاء في تلك المرحلة أيضا غير قليل ..، إذ طاردت السلطات في تركيا وسوريا والأردن واليمن والسودان عددا من الخلايا التابعة لهذا التنظيم .. فقبض على

بعضهم وسلموا إلى ليبيا كما حصل في السودان والأردن وسوريا وتركيا .. واعتقل آخرون في تلك البلاد أو رحلوا أو اختفوا في أشد حالات الضيق في أماكنهم أو أماكن أخرى .. كما تعرض اللاجئون إلى الدول الغربية منهم كغيرهم من الإسلاميين عموما و الجهاديين خصوصا للحصار والتضييق ..

- مع تمكن حركة طالبان من السيطرة على أفغانستان وإعلانها للإمارة الإسلامية ربيع (1996) ، بدأت كوادر من الأفغان العرب شد الرحال إلى الملاذ الجديد .. ورغم وصول العديد من طلائع التنظيمات والكوادر الجهادية والعربية إلى أفغانستان ولاسيما من قدماء الأفغان العرب .. إلا أن قيادة الجماعة المقاتلة بدت مترددة في اللحاق بهذا الملاذ الجديد وحذرة من فكرة إعادة تجميع كامل بيض التيار الجهادي في سلة واحدة في أفغانستان مرة ثانية .. ولقد كنت من بين أوائل من توجه إلى أفغانستان في تلك المرحلة ، ومن بيين من حثهم وحث الجميع على المجيء وتجمع القوي والانطلاق من هناك من جديد.. وقد إعتبر المترددين في ذلك مخطئين في ترددهم .. ولكن ما حصل في سبتمبر وما تلا ذلك من تداعياتها على التيار الجهادي.. تجعلني الآن أفكر في أن ترددهم وحذرهم ربما كان في حينها في محله .. ولكن كان للأقدار مسارا ومشيئة أخرى .. فهم كانوا مهددين في ملاذاتهم وما كان أحد ليتصور سبتمبر و تداعياته ، فقد أدى نجاح طالبان في بسط سيطرتها على معظم أفغانستان ، و العز الجديد الذي لاقاه من حضر من الأفغان العرب في كنفهم من جهة .. والمطاردات الأمنية التي عصفت بخلايا المقاتلة وغيرها من الجهاديين في أكثر من مكان كما أسلفت ، إلى أن يضطر المترددون إلى اللحاق بأفغانستان خوفا وطمعا .. خوفا من لهيب العواصف الأمنية في مختلف بلاد العالم .. وطمعا في الإفادة من معطيات الساحة والملاذ الجديد .. وتتابع مجيء الكوادر البارزة من قيادة تنظيم الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى الإمارة الإسلامية في أفغانستان كغيرهم ..

- ترددت المقاتلة بادئ ذي بدء في الزج بكوادرها في معارك طالبان الطويلة مع تحالف الشمال خشية الدخول في استنزاف لم يكن ضمن برنامجها من جهة ، ولعدم تبلور قناعتها ربما بعد في تلك المرحلة بالانخراط في معركة الطالبان .. وعدم تبينها لمسألة مشروعية أمير المؤمنين كإمام شرعي ممكن يحب الدخول في كنفه .. ولكنهم وبعد تدارس الموقف مطلع (1999) بدؤوا ينخرطون في الوقوف إلى جانب حكومة الطالبان شيئا فشيئا .. وما لبثوا أن لعبوا دورا مهما في مساندتهم في مختلف المجالات ولاسيما في المجال العسكري والإعلام..

- و خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان .. كانت الجماعة المقاتلة من أفضل المجموعات العربية تنظيما وأداء على مستوى الأفغان العرب وتجمعاتهم وجماعاتهم التي بلغ

المنظم منها نحو(14) تنظيما وتجمعا ومعسكرا مستقلا .. وكان لهم معسكرا مستقلا وأكثر من مضافة ومركز نشاط ..

● وخلال تلك الفترة بدا أن ظلال عالم العولمة الذي بدأ يتسرب إلى تفكير الجهاديين أيضا قد وجد طريقه إلى الجماعة المقاتلة في اتجاه العناصر غير الليبية والاهتمام بأكثر من قضية وساحة. رغم أن توجههم القطري الليبي ظل واضحا وملازما لكافة نشاطاتهم وبنيتهم الإدارية وإنتاجهم الإعلامي .

● لم تنجح محاولات الشيخ أسامة والقاعدة في استمالة الجماعة الإسلامية المقاتلة إلى توجهاته توحيد محور المواجهة تجاه أمريكا . كما لم يستطع استيعابهم في حلفه الذي أطلق عليه مسمى (الجبهة العالمية لجهاد الصليبيين) .. والذي لم يستمل في آخر المطاف عبر السنوات الخمسة إلا تنظيم الجهاد المصري بقيادة الشيخ الدكتور أيمن الظواهري.. ويبدو أن الأسباب الرئيسية لذلك تعود إلى قضايا منهجية وأخرى إدارية وأسباب متعلقة بطبيعة التوجه والهدف الإستراتيجي ومنحى الجهد العملي لكل جماعة.. وهكذا بقى تنظيم المقاتلة مستقلا في برامجه ونشاطه في ساحة الأفغان العرب إلى أيامهم الأخيرة ..

● وجاء الحادي عشر من سبتمبر .. و(المقاتلة) كغيرها من التجمعات الجهادية العربية منهمكة في نشاطها وحركتها الدؤوبة ، بل ربما أنها كانت الأبرز نشاطا وأداء..
واضطرت الهجمة الأمريكية العاتية جوا والزاحفة برا بالتعاون مع الخونة من الشماليين و شذاذ الأحزاب المختلفة وقطاع الطرق .. اضطرت جميع الأفغان العرب للدخول في معركة الدفاع عن النفس والدفاع عن الإمارة الإسلامية . وعن أمير المؤمنين وحكومته التي بدأت تتهاوى على أكثر من جبهة .

● أخذ المجاهدون من الجماعة المقاتلة بليبيا مواقعهم في تلك المعركة، وأبلوا بلاء حسنا في معركة الدفاع عن خطوط شمال كابل ..وكان فصيل آخر منهم يرابط في جهة الجنوب في قندهار و هلمند .. وسقط منهم العديد من الشهداء، وكانت قياداتهم و كبار كوادرهم في طليعة المقاتلين.. كما لعب بعض قياداتهم وكوادرهم دورا بارزا فيما بعد في المعارك المتتالية في أكثر من مكان .إلى أن اضطر من سلم من القصف ومن تلك المعارك إلى الانسحاب تجاه باكستان وتولى أحد قادتهم وهو الشيخ أبو الليث قيادة مجموعات مقاومة للأمريكان على الحدود الباكستاني مع أفغانستان منذ ذلك الوقت إلى الآن حفظه الله.. وثم كان نصيب المقاتلة من البلاء كغيرها من مجاهدين الأفغان العرب لا بأس به أيضا.. فوقع العديد من عناصرها وكوادرها أسرى خيانات حكومة وجيش وقوى

الأمن الباكستانية عليهم من الله ما يستحقون .. ليقتل البعض ويسلم آخرون إلى الأسر لدى زعيمة الحملات الصليبية أمريكا..

- كانت خسائر المقاتلة كغيرها من مكونات التيار الجهادي العربي والأفغان العرب فادحة.. قتلا وأسرا وتشريدا .. ليعود من سلم من كوادرهم مع من سلم من كوادر التيار الجهادي ..غرباء العصر الحديث ممن نجى من أخدود سبتمبر للتشرد والتخفي في أقطار الأرض من جديد .. فرحم الله الشهداء.. وفرج عن الأسرى وأنجى المستضعفين من عباده في الأرض في كل مكان وحققه لهم وعده الأكيد بالنصر والفرج والتمكين ..

وقد ربطتني بالأخوة في الجماعة المقاتلة روابط صداقة وأخوة وعلاقات تعاون وعمل في عدة مناسبات ومجالات .. كان أهمها أثناء إقامتي في لندن .. حيث كتبت عددا من المقالات الفكرية الجهادية في مجلتهم الفجر. كما كان بيني وبينهم تعاون مثمر في الكشف عن انحراف الجماعة الإسلامية المسلحة في الجزائر اعتبارا من أواخر (1995)، وقد أدى ذلك التعاون معهم ومع جماعة الجهاد المصرية إلى إعلان البراءة من أعمالها من قبل معظم تكتلات التيار الجهادي في حينها. كما سيأتي بيانه إن شاء الله .. كما قام بيني وبينهم أيضا تعاون طيب أثناء (الشوط الثاني للأفغان العرب) أيام طالبان .. ثم جمعنا السبيل في محاولة دفع البلاء النازل إثر أحداث سبتمبر .. قبيل الخروج من أفغانستان .. وفعلا أعتقد أن الجماعة المقاتلة قد شكلت ركنا أساسيا في التيار الجهادي وكان لها وجود متميز على صعيد الإنتاج والحضور .. وأعتقد أن قياداتها وطلاب العلم فيها، وكذلك كوادرها وعناصرها كانوا من أكفأ رجال التيار الجهادي عطاء وأكثرهم تربية وتأهيلا ..

تقبل الله منهم ..وأحسن مثوبتهم ..وجمعنا وإياهم في مستقر رحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

8- التجارب الجهادية المعاصرة في الجزائر اعتبارا من (1991):

- سبق أن بينت أن تجربة جهادية مبكرة كان قد قام بها الشيخ الشهيد المجاهد (مصطفى بويعلي) رحمه في النصف الأول من السبعينات ، فقد كان الشهيد بويعلي من المجاهدين الذين حاربوا ضد الإستعمار الفرنسي في الجزائر . وكان مثله مثل مئات آلاف المجاهدين في حينها يطمحون إلى التحرر من الإستعمار تحت شعار الجهاد ، ليقام في الجزائر حكم الإسلام على إثر ذلك.. ولكن الفرنسيين الذين أتقنوا لعبة الإستقلال كما أتقنوا لعبة الإستعمار، جعلوا الأمر يؤول من بعدهم للعلمانيين والاشتراكيين من أبناء الجزائر الذين تربوا على أفكار أعداء الإسلام ! وكان هذا سببا لتراكم الكفر والظلم الذي دعى شهيدنا مصطفى بويعلي للثورة عليه..

ولكن تلك التجربة سرعان ما قمعت واستشهد قائدها وسجن من تبقى من عشرات المنتسبين إليها لعدة سنين.

- وفي نهاية الثمانينات وبعد أن تفاقمت المشاكل الإقتصادية في الجزائر نتيجة الفساد العارم الذي استشرى في كافة مفاصل النظام وإدارته.. انفجرت (مظاهرات الخبز) كما عرفت في حينها ، وأوشك الحال على الانفجار .. فلجأ الرئيس الجزائري آنذاك (الشاذلي بن جديد) إلى علاج الأوضاع بطرح سياسة الإنفتاح وإعلان ترخيص تشكيل الأحزاب السياسية والدعوة إلى انتخابات ديمقراطية حرة سنة (1989) .

إستغل البادرة بعض الدعاة من الصحوة الإسلامية التي كانت مقموعة بشدة منذ عهد الإستقلال (1963) في عهد الرئيس (هواري بومدين) ، وأعلن الشيخ عباسي ومدني ونفر من الذين استجابوا للدعوة ، تشكيل (الجهة الإسلامية للإنقاذ) لتشكل تجمعا عريضا يضم كافة الساعين إلى المشروع السياسي الإسلامي .. واستطاعت الجهة أن تشتمل على معظم أوساط الصحوة الإسلامية .. وانخرط في عضويتها المفتوحة الأبواب ملايين الناس بصرف النظر عن أحوالهم ومشاربهم فقد التقوا على دعم مشروع الإسلام السياسي .

- ومع انصرام الإنتخابات البلدية ..تبين أن الجهة الإسلامية للإنقاذ ، قد سحقت أقوى الأحزاب السياسية العلمانية في الجزائر ، وهو حزب السلطة ! حزب جبهة التحرير الوطني وتولت بذلك معظم بلديات الجزائر .. واستفاد جبهة الإنقاذ بذلك للتحضير للفوز بالانتخابات التشريعية (البرلمانية) التي جرت سنة (1990) وتمخض الدور الأول فيها عن فوز الجبهة بأغلبية ساحقة كانت ستمكنها خلال الشوط الثاني من الدورة الإكمالية من الأغلبية الساحقة التي تأهلها لتشكيل الحكومة ولترشح لرئاسة الدولة ..

- وضربت نواقيس الخطر في مشارق الأرض ومغاربها .. وأعلنت الدول الصليبية الكبرى عن استعدادها للتدخل لقطع الطريق على الإسلاميين من الوصول للسلطة. بل صرح (فرانسوا ميتران)، الرئيس الفرنسي في حينها ، أن فرنسا على استعداد للتدخل العسكري للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة . وكان الحل الوحيد أمامهم هو إحداث إنقلاب عسكري مدعوم من قبل الغرب ولاسيما فرنسا.

- وحصل الإنقلاب .واعتقلت قيادات الجبهة ، وقمعت المظاهرات بالعنف ، وفتح النظم العسكري الذي استولى على السلطة وسحق الديمقراطية بدعم من الغرب المنافق السجون الصحراوية لعشرات آلاف المعتقلين من الإسلاميين .. وكان هذا سبب بداية الإنتفاضة الجهادية المعاصرة في الجزائر، والتي تعتبر من أهم التجارب الجهادية الجديرة بالدراسة ، وآخر تجارب

الجهاديين في المواجهة مع الأنظمة ،وآخرها في القرن العشرين . وقد كان لي منذ ابتداء تلك التجربة عام(1989) وإلى عام(1996) ،تماس مباشر و علاقة ببعض مجريات تلك التجربة سأشير إلى أهم مجرياتها في نهاية هذه الفقرة إن شاء الله.. وقد كانت تجربة شخصية مريرة وغنية بالفائدة .. وقد سجلت ذلك كما ذكرت في كتاب فقدته مخطوطا جاهزا أثناء انسحابنا العاجل من كابل إبان الهجمة الأمريكية على أفغانستان بعد أحداث سبتمبر ..وأعدت كتابة ملخصه وسأنشره قريبا ‘ن شاء الله . وأما هنا فأعرض لأهم مناحي تلك التجارب التي عايشتها عن قرب من خلال نقاط موجزة رئيسية ..

تجربة الجماعة الإسلامية المسلحة والجماعات الأخرى في الجزائر (1991-2000) :

- كان عدة مئات من الشباب الجزائري . ربما ناهز عددهم الألفين ، قد نفر للجهاد في أفغانستان .. وسرعان ما أثبتوا كما هو معروف عنهم أنهم من أشد المجاهدين بأسا وشجاعة .. ومع بداية التسعينات أخذ المجاهدون من كل بلد يجمعون أنفسهم ويستقلون بكياناتهم من حيث الخدمات والمضافات ومعسكرات التدريب .. رغم بقاء جبهات القتال مشتركة بين الجميع تحت إدارة التنسيق العربية العامة .. وهكذا سعى الجزائريون من الأفغان العرب لتنظيم أنفسهم .

- برز (القاري سعيد) كما كان يدعى ، كواحد من أبرز قيادات الأخوة الجزائريين وبدأ تنظيم ما عرف فيما بعد باسم (الأفغان الجزائريين) ، وقد ربطني بالرجل خلال تلك الفرة وما بعدها صداقة وتجاوزنا في السكن في بيشاور مكنتني من الإطلاع على تلك التجربة، وقد حدثني - رحمه الله- عن طموحاته بتشكيل تنظيم جهادي للعمل في الجزائر بعد الفراغ من الجهاد الأفغاني في عدة مناسبات .. ولم يكن المشروع مستعجلا ، وإنما كانت أهدافه في إطار التدريب التنظيم والإعداد..
وجاءت أحداث الإنتخابات، وما جرى للجبهة الإنقاذ ، والانقلاب العسكري سنة (1990) ، لتجعل بالأخوة الجزائريين للعودة إلى بلادهم لمواجهة الحكومة الانقلابية الطاغوتية العسكرية .

- وذهب القاري سعيد للاستطلاع في الجزائر، ليعود بقرار ترحيل من معه إلى هناك على مراحل ، ثم عاد إلى الجزائر بعد أن استناب بعض الأخوة في (بيشاور) ليتابع التدريب المكثف وتنظيم عملية الترحيل إلى الجزائر.

- كانت ردة الفعل الطبيعة لأكثر من 5,3 مليون ناخب اختاروا المشروع الإسلامي في الإنتخابات و فازوا فيها، ثم انتزع منهم انتصارهم ، ليساق عشرات الآلاف منهم إلى السجون، كان طبيعيا أن يرحب

أكثرهم بنداءات جهاد السلطات العسكرية التي قطعت عليهم الطريق إلى حصاد نتيجة فوزهم بدعم وتوجيه من الغرب ولاسيما فرنسا ..

- كانت ساحة الصحوة الإسلامية في الجزائر آنذاك تموج بكافة مكونات الصحوة الإسلامية العربية التي من المهم معرفتها لفهم تلك التجربة المتشابكة، وكان من أهم تلك الكتل بحسب حجمها وتأثيرها ما يلي :

<u>أولا: الجهة الإسلامية للإنقاذ</u> :

وتكونت من خليط من مدارس الصحوة و قياداتها والتنظيمات الإسلامية الدعاة المستقلين .. بالإضافة لقواعد عريضة من عوام المسلمين الذين آمنوا بعموميات مشروع الإسلام السياسي دونما منهج محدد اللهم إلا الشعار العام . وكان من أهم مكوناتها الرئيسية :

1. **جماعة الطلبة:** التي كان يرأسها الشيخ محمد السعيد - رحمه لله- ويعود تأسيسها إلى مجموعة من الطلبة الإسلاميين في جامعة الجزائر من الذين تتلمذوا، على المفكر الإسلامي الشهير مالك ابن نبي ، وكانت تقوم في عموميات فكرها مزيج من أفكار الأخوان المسلمين مع مورثات الصحوة الإسلامية في لجزائر من تراث جمعية العلماء المسلمين ، بالإضافة إلى أفكار مالك أبن نبي- رحمه الله -...
2. **حركة الدولة الإسلامية** : وهم بقايا حركة الشهيد مصطفى بو يعلي رحمه الله ، وقد تزعمهم ومثلهم في جبهة الإنقاذ الشيخ سعيد مخلوفي - رحمه الله - وكانت مجموعة جهادية سلفية المعتقد..
3. **شريحة عريضة من أتباع الدعوة السلفية** : وقد تزعمهم ومثلهم في الجبهة رجلها الثاني وخطيبها المشهور الشيخ (علي بلحاج حفظه الله) ...
4. **عدد من رموز الدعوة الإسلامية من المستقلين** ..
5. **قاعدة عريضة من عوام المسلمين** المتعاطفين مع المشروع الإسلامي ..

<u>**ثانيا: الأخوان المسلمون - فرع التنظيم الدولي في الجزائر :**</u>

وكان يرأسهم (محفوظ النحناح)، الذي أطلق على حزبه اسم (حركة مجتمع السلم) ، وقد أبى النحناح الدخول تحت مظلة جبهة الإنقاذ ، وبقي مناوئا لها طوال بقية حياته رغم محنتها .. وشن عن المجاهدين هجوما ضاريا

<u>**ثالثا: الأخوان المسلمون المحليون- وهم حزب النهضة الإسلامية:**</u>

الذي رئسه (عبد الله جاب الله).. وكان فكرهم مزيجا من فكر الإخوان وفكر الصحوة الإسلامية الجزائرية المحلية ..

رابعا: السلفيون:

والذين كان شريحة كبيرة منهم على قواعد (الفكر الجامي المدخلي) الذي يستمد انحرافاته من علماء السعودية الرسميين ، وكان كثير منهم يؤيدون السلطة الجزائرية.

خامسا: الشباب السلفيون المتشددون :

وقد شكل بعضهم - كما بلغني - حركة سميت باسم سلفية العاصمة (الجزائر) .. وكانوا يسمون أنفسهم (جماعة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر).. وقد تفشت فيهم منذ البداية أفكار تتراوح بين التزمت والتكفير والجهل في الدين والدنيا ..

سادسا: جناح من حركة الدولة الإسلامية :

من الدين كانوا مع الشيخ مصطفى بويعلي ولم يرو الدخول في جبهة الإنقاذ لمنهجها الديمقراطي . وكانوا على فكر جهادي سلفي ..

سابعا: (الأفغان العرب الجزائريون) :

كما سموا فيما بعد، وهم الجهاديون المتحركون بين الجزائر وساحة أفغانستان..

كانت هذه أهم مكونات الساحة الإسلامية في الجزائر آنذاك ، بالإضافة لحركات هامشية قليلة التأثير بما حولها كجماعات التبليغ والحركات الصوفية المختلفة ..

- بعيد الإنقلاب العسكري بقليل لاذ عشرات من الشباب بالجبال ، وبدؤوا يبحثون عن السلاح ويعدون لمواجهة الحكومة العسكرية.. ثم مالبثوا وبسرعة كبيرة ، أن بدؤوا الصدام المسلح مع الحكومة .

- أدت حركة الإعتصام الكبير في الجزائر العاصمة ، والذي دعت له جبهة الإنقاذ ، إلى مفاجئة الجميع باعتقال زعيمي الجبهة و شيخيها الكبيرين (عباسي مدني وعلى بلحاج) بشكل مفاجئ ، دونما أي مقاومة ! فيما كانا يقودان اعتصاما جمع مئات آلاف المتظاهرين !!.. وسمعت فيما بعد وأنا أتحرى تلك القضية أن بعض أعضاء مجلس شورى جبهة الإنقاذ ، قد خانوهما ولم ينفذ الأوامر بالمواجهة- والله أعلم - وكنت أحتفظ في ملفاتي المفقودة حاليا عن تلك المرحلة ببعض التفاصيل والأسماء ولكنها ليست عندي الآن.. وبقيت جبهة الإنقاذ بلا رأس ، وعادت مكوناتها الأساسية للعمل بصورة غير مركزية .. وبرز الشيوخ (عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام ومحمد سعيد مخلوفي و محمد السعيد) - رحمهم الله جميعا - كرؤوس لكتل مقاومة مسلحة للحكومة في العاصمة والجبال من حولها .. وعمت الفوضى السياسية المسلحة البلاد ، وبدت نذر حرب أهلية طاحنة ما لبثت أن

اشتعلت بضراوة .وقتل المجاهدون الرئيس الجديد (بوضياف) الذي جاء به الإنقلابيون لتصل الصدامات المسلحة إلى ذروتها ...

- نزل (قاري سعيد) كما ذكرت إلى الجزائر لمدة شهر، وقد حدثني بنفسه بعد عودته عن جهود مضنية قامت لجمع الأفغان العرب،مع و بقايا فرع جماعة مصطفى بويعلي، ببعض الخلايا ذات الفكر السلفي الجهادي هناك في جماعة جهادية واحدة. ثم عاد قاري سعيد.. وهاتف نائبه في بيشاور ليخبر بقيام ذلك الجمع وأنهم أسموه (الجماعة الإسلامية المسلحة)، وكان ذلك في أواخر (1990) أو أوائل (1991) ..

- إنشق جزء كبير من مجلس شورى جبهة الإنقاذ ، وشكل قيادة تفاوضت وتعاونت مع الحكومة العسكرية .. ورفض آخرون على رأسهم(محمد السعيد و عبد القادر شبوطي وعبد الرزاق رجام و سعيد مخلوفي) المهادنة وبدؤوا المواجهة باسم جبهة الإنقاذ .. وسرعان ما أسفر اجتماعهم عن تشكيل ما عرف باسم (جيش الإنقاذ) الذي برز على رأسه (مدني مرزاق) أحد كوادر الجبهة من الذين صعدوا الجبال و اشتمل البيان التأسيسي لجيش الإنقاذ على معظم مكونات الفكر الجهادي السلفي وركز على مبدأ رفض العودة للديمقراطية ...

- وسرعان ما قمعت الحكومة العسكرية حركات العصيان المدني وحظرت الأحزاب السياسية ، وكان في طليعتها جبهة الإنقاذ - وحركة النهضة – و حركة الإخوان (نحناح) - والحركة من أجل الثقافة والديمقراطية (وهي حزب أما زيغي يرأسه آيت أحمد) - وحزب جبهة التحرير الوطني الذي مثله آخر رئيس وزراء مدني هو (عبد الحميد مهري) ..وأحزاب علمانية واشتراكية وشيوعية صغيرة أخرى..حيث إستمرت بالمعارضة ثم قمت وخرج كثير من رؤوسها إلى خارج الجزائر..ووصل عدد المعتقلين من الإسلاميين إلى أكثر من (50 ألف) معتقل ملئت بهم السجون الصحراوية .. وأدى ذلك إلى إرتفاع عدد المسلحين المقاومين في الجبال إلى ما قيل أنه بلغ عشرات الآلاف .. وأصبحت عملياتهم بالعشرات يوميا..

- سيطرت أخبار الجهاد في الجزائر على عناوين الأخبار ووسائل الإعلام خلال تلك الفترة وبرز اسم (الجماعة الإسلامية المسلحة) كأهم وأبرز التجمعات العاملة عسكريا في مواجهة الحكومة العسكرية .. وبرز اسم أميرها الأول (عبد الحق العيايدة).. الذي ما لبث أن اعتقلته السلطات المغربية أثناء سعيه لشراء السلاح وسلمته للجزائر . وخلفه أخ آخر(لا يحضرني اسمه الآن بدقة ولعله جعفر الأفغاني) ثم قتل رحمه الله ، ثم خلفه مع مطلع (1993) أميرها أبو عبد الله أحمد الذي تحققت في عهده إنجازات كبيرة...

- تصاعدت حدة العمليات العسكرية . واعتقل (القاري سعيد) في إحدى الهجمات الكبرى على قيادة القوات البحرية في الجزائر العاصمة . ثم فر مع أكثر من (700) سجين من سجن الجزائر العاصمة بعد عدة أشهر .. ثم بذل وسعه في توحيد الفصائل المقاتلة من جميع الفرقاء .. ثم قتل في ظروف غامضة رحمه الله أواخر(1994) .. وفي هذه الفترة كان عنف الدولة كبيرا، وصل لحد اغتيال مئات السجناء السياسيين في سجن (سركاجي).. أحد سجون العاصمة الجزائرية في واقعة واحدة..

- مطلع (1993) كانت كافة الأصوات المؤيدة للجهاد في الجزائر تنادي المجاهدين بتوحيد الصفوف . وفعلا أدت جهود كبيرة قام بها العديد من القيادات المجاهدة في (الجماعة الإسلامية المسلحة) من القيادات المجاهدة لجيش الإنقاذ، ولكثير من الخلايا الجهادية المحلية ، إلى حصول تلك الوحدة التي عمل لها الأمير الثاني للجماعة الإسلامية المسلحة ولم يرها لأنه قتل قبلها بقليل رحمه الله . وتولى (أبو عبد الله أحمد) قيادات الجماعة من بعده.. وحصلت تلك الوحدة في عهده.. ونشر شريط فيديو في غاية التأثير، وأبهج أوساط الجهاد مشهد بيعة شيوخ الجبهة من قيادات الجيش الإسلامي للإنقاذ (محمد السعيد وعبد الرزاق رجام وعبد القادر بشوطي و سعيد مخلوفي) لشاب في عمر أبناء بعضهم ، أميرا للجهاد الموحد باسم الجماعة الإسلامية المسلحة وهو أبو عبد الله أحمد .. وأدت الوحدة إلى ازدهار الآمال بقرب الانتصار الشامل ...

- رفض أمير جيش الإنقاذ (مدني مرزاق) الوحدة وعارضها ، ونال ممن أقدم عليها ورفض الاعتراف إلا بقرارات الشيخين الأسيرين عباسي مدني وعلي بلحاج لما يخرجون من السجن ! وأصر على البقاء خارج الوحدة .. ولكن عشرات الفصائل والجماعات الثانوية من مشرق الجزائر وغربه وولايات الوسط دخلت الوحدة و صارت الجماعة الإسلامية المسلحة تمثل أكثر من (95%) من المجاهدين المسلحين الذي صار عددهم عشرات الآلاف مع حلول (1994) .

- قتل أبو عبد الله أحمد هو الآخر في ظروف غامضة .. وصدر بيان عن بعض أعضاء مجلس شورى الجماعة الإسلامية المسلحة بتولي (أبو عبد الرحمن أمين) قيادات الجماعة وتوالي البيعات له من قبل قيادات الفصائل.. ولم يكن بوسع المؤيدين للجهاد في الجزائر في الخارج إلا أن يؤيدوهم ويدعوا لهم وكان ذلك أواخر(1994) أو أوائل (1995)...

- ومع تولي أبو عبد الرحمن أمين قيادة الجماعة . بدأت بوادر تغير في منحى السياسات والبيانات والعمليات في الجماعة الإسلامية المسلحة ومن ذلك ..

- فقد كثرة البيانات الصادرة عن الجماعة ، و تصعدت المواجهة مع الشرائح المدنية و الاجتماعية ذات العلاقة البعيدة مع هيكل الدولة أو السلطة .. وتوعدها بالقتل ، مثل أجهزة الإعلام ..بدءا من

الوزير ووصولا إلى باعة الجرائد في الشارع . ومثل قطاع التعليم كذلك.. وصولا للأساتذة والمدارس والطلاب .. وكذلك وزارة النفط وصولا للعمال الذين يملؤون السيارات بالبترول !!.. وهكذا..

- التجرؤ على إصدار الفتاوى باستحلال قتل النساء والأطفال من أسر العاملين في أجهزة الدولة ..
- تصعيد المواجهة مع المليشيات المدنية المرتطبة بالحكومة و اتخاذها هدفا أساسيا ..
- إرتفاع لهجة التكفير في الخطاب العام .. وغير ذلك من هذه التوجهات الخرقاء .

- خلال سنة (1995) ، تداعت قيادات الجبهة الإسلامية للإنقاذ اللاجئة في الخارج ، وقيادات الأحزاب السياسية الإسلامية والعلمانية وحتى الشيوعية إلى مؤتمر برعاية الفاتيكان في روما لتشكيل تحالف سياسي ، يعرض حل أزمة الجزائر سياسيا ، ولكن عناد الحكومة العسكرية أجهض تلك المبادرة الغريبة المشبوهة بتركيبتها ومكان انعقادها..

- أواخر سنة (1995).. تجرأ أبو عبد الرحمن أمين وقياداته المنحرفة المجرمة على اغتيال الشيخ محمد السعيد و المجاهد عبد الوهاب العمارة وغيرهما من المجاهدين المنتمين لجماعة الطلبة والذين كانوا قد دخلوا بموجب الوحدة في الجماعة ، وكانوا يطلقون عليهم اسم (جماعة الجزأرة) وهو اسم كان قد أطلقه عليهم محفوظ النحناح انتقادا لمنهجهم .. فقتلوهم بدعوى تحضيرهم للانقلاب على قيادته وبدعوى الحفاظ على الهوية السلفية للجماعة بزعمهم .. ومن هناك بدأت حقيقة الإنحرافات عن مسار الجماعة تتكشف.

- ثم أتبعت تلك القيادة تلك الجريمة بإصدار كتاب بعنوان (هداية رب العالمين) بتوقيع أبو عبد الحمن أمين على أنه منهج الجماعة الإسلامية المسلحة ..وقد حمل الكتاب من فنون الجهل وألوان التطرف والتكفير والانحراف ما جزم بالهوية المنحرفة الجديدة للجماعة في عهد أميرها هذا ، و وضحت أبعاد الكارثة التي حلت بقيادة الجماعة المسلحة . ثم أتبع عبد الرحمن أمين ذلك بتوجيه مقاتليه إلى المجازر الجماعية في المدنيين في القرى المجاورة لهم بدعوى أنهم انخرطوا في المليشيات الحكومية، فكفرهم واستباح قتلهم وسبي نسائهم ..على أنهم مرتدين..!!!

- إستغلت أجهزة الإستخبارات الجزائرية هذه الأجواء التي تكشف فيما بعد أنها هي التي سعت إليها و أوجدتها ، ودست العملاء في قيادة الجماعة التي ربما كان (أمين) واحدا منهم ..وأتبعت ذلك كما كشف بعض الفارين من الجيش و القوات الخاصة ممن أجبروا على فعل ذلك أو شهدوه قدرا كي لا تضيع قصة تلك المأساة ..

- فأتبعت الحكومة ذلك بتنظيم سلسلة من المجازر المروعة في المدنيين ولم توفر عجوزا ولا امرأة ولا طفلا ولا حتى حيوانا في تلك المجازر الوحشية التي جرت خلال (1996-1997) ، حيث شهدت الجزائر أهوالا وبحورا من الدماء.. وصلت إلى قتل المصلين في رمضان وهم ينصرفون من أبواب

المساجد بدعوى أنهم كانوا قد شاركوا في الإنتخابات فارتدوا بذلك !!!.. وكانت أكبر المجازر تجري في المناطق المعروفة بنجاح جبهة الإنقاذ فيها في الإنتخابات السالفة.. وكان هذا بمثابة تصفية حساب من قبل الحكومة مع من اختاروا المشروع الإسلامي كما كشف هؤلاء الشهود بالوثائق المؤكدة لذلك عبر وسائل الإعلام المختلفة بعد ذلك بعده سنوات..وقد عرضت قناة الجزيرة بعض المقابلات بالغة الأهمية في هذا المجال ..و نشر بعض أولئك العسكريين شهاداتهم في كتب طبعت في فرنسا وأصبح الأمر الآن واضحا..

- ومع تكشف الحقيقة والتوجه الإجرامي والمنحرف للقيادة الجديدة للجماعة الإسلامية المسلحة..انفض عنها المؤيدون في الداخل والخارج . وأصدرت الشخصيات والجماعات الجهادية البارزة التي أيدت الجماعة المسلحة خلال مسارها وصدرت بيانات عديدة بذلك من مختلف الجماعات والشخصيات الجهادية ، وكنت من أوائل من وقف ذلك الموقف كما فصلت في شهادتي في كتاب منفصل . كما بدأت الكتائب والفصائل الجهادية في الداخل تنفض عنها في لتنغمس أكثر فأكثر في حمامات الدم المروعة المخزية.. ثم اشتعل القتال بين الجماعة وبعض تلك الفصائل المنفصلة عنها ..

- قتل المجاهدون من (جماعة جبل الأربعاء) كما كانوا يسمون ، وهم من جماعة الشيخ محمد السعيد رحمه الله ، قتلوا (أبا عبد الرحمن أمين).. وأراحوا الدنيا من شروره ، ليتولى بعده سفاح أكثر إجراما منه قيادة الجماعة الإسلامية المسلحة ، وهو المدعو (عنتر الزوابري)، الذي تابع مسلسل الإجرام ، ولكن بعد أن ضعفت الجماعة وقلت إمكانياتها .. واستمرت في منهجها بعد أن عزلت في مناطق محدودة إلى أن قتل هذا الأخير سنة (2003) فيما بعد في الجزائر ...

- مع تشرذم المجاهدين وتقسمهم ، وبعد انفضاض الناس عنهم وزهدهم بالمشروع الجهادي بل والإسلامي.. وصلت المخططات الإستخبارات الجزائرية والخارجية إلى مبتغاها من سيناريو المجازر الذي خططت له . فأطلقت برنامجا للإستسلام بدعوى العفو عن المسلحين الذين يلقون سلاحهم .. وكان جيش الإنقاذ بقيادة (مدني مرزاق) أول المستجيبين لما عرف بنداء (الوئام الوطني) .. وتبرع عدد من علماء المسلمين في الخارج من أمثال ابن باز وابن عثمين والألباني ،ليدعموا نداء الدولة للإستسلام ، و خرج الألباني بآخر فتاويه قبل أن يتوفى سنة (2000) ، ليعلن أن أحداث الجزائر أكبر شاهد على ما ذهب إليه من قول : (**أن الخروج على الحكام في هذا الزمان ، هو في حقيقته خروج على الإسلام ذاته !!!**) . واختلط الحابل بالنابل في ساحة الصحوة الإسلامية كلها بسبب التجربة الجهادية الجزائرية.. لتصبح شاهدا لكل من يريد أن يدلل على رأيه في فشل خيار الجهاد وليصبح النموذج عبرة لمن يعتبر . بعد أن نجحت الإستخبارات الجزائرية ومن ساعدها من

المخابرات العربية والخارجية ، ومشاركة حثيثة من وسائل الإعلام العربي بهدم الحاجز بين مفاهيم الجهاد وبين أفكار التكفير والإجرام والمجازر وحمامات الدم..!

- خلال عام 1998 وما بعدها تتابعت الأحداث في الجزائر وكنت قد غادرت (لندن) إلى أفغانستان ، حيث لا يمكن مواكبة الأخبار والأحداث كما يجب في ظل عزلة شبه تامة عن وسائل الإعلام ، بالإضافة إلى ابتعادي عن ملف تلك القضية ومتاهاتها منذ مطلع 1996بسبب الدوار العظيم الذي تسببت لي به..

ولكن ومن خلال المعلومات التي بلغتني من بعض المجاهدين الجزائريين الأفاضل ممن لاذوا بأفغانستان في مرحلة طالبان ، ومن خلال متابعتي بحسب الممكن لوسائل الإعلام ، وبعض المهتمين بهذه القضية ، وما اطلعت عليه من بعض البيانات التي صدرت بعد ذلك ووصلتنا..فقد بدا أن الغالبية الساحقة من المسلحين والمجاهدين قد نزلوا من الجبال بفعل ما سمي بمشروع الوئام الوطني ، وبقيت مجموعات هنا وهناك في الجزائر تريد متابعة المواجهة مع النظام الذي خرج يباهي بانتصار باهر علي الإسلاميين و الجهاديين.

ثم ظهرت إلى العلن جماعة أطلقت على نفسها اسم (الجماعة السلفية للدعوة والقتال) بزعامة أميرها (حسن حطاب)..بدا من خلال بياناتها أنها وعت بعض عبر ذلك الدرس القاسي ، فركزت في بياناتها على نفي أفكار التكفير والغلو ، وعلى تركيز المواجهة مع أجهزة السلطة العسكرية والأمنية وإبراز الأهداف العامة من أجل إقامة الدولة الشرعية..إلا أن معظم الأوساط الجهادية بدت حذرة من ذلك ، فقد كانت الصدمة بما حصل هائلة . وقد نقلت وسائل الإعلام ومازالت بعض أخبار عمليات تلك الجماعة ومن أبرزها بعض عمليات اختطاف للأجانب و مفاداتهم بمبالغ ضخمة ..

كما أن المجاهدين الجزائريين الذين أموا أفغانستان ، حاولوا بدورهم تجميع أنفسهم وترتيب أوراقهم لإعادة العمل في قضيتهم ، وشكلوا شبه تجمع كان يصارع ظروفا صعبة من أجل إحياء مثل تلك القضية . و بدت بعض علامات التوفيق والتسديد على بعض الناضجين منهم ..ولكن أحداث سبتمبر عاجلتهم كما عاجلت الجميع بما هو معلوم.. واتخذوا مواقعهم في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة ..ونالوا - تقبل الله - منهم حظا وافرا من البلاء وسجل كثير منهم أسماءهم في قائمة الشهداء والأسرى من ضحايا أخدود سبتمبر مطلع القرن الحادي والعشرين .

(وقد سجلت شهادتي عن تجربة الجهاد في الجزائر في كتاب مستقل لأهمية تلك التجربة وهو بعنوان (مختصر شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989-1996) وأنصح الإخوة بالعودة إليه لأهمية دروس تلك التجربة المريرة .)

9- التجارب الجهادية في اليمن (1990- 1998):

أ. **تجربة الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله (1990- 2001)** .

ب. **تجربة الشهيد أبو الحسن المحضار الجهادية - جيش عدن أبين (منذ 1998).**

لطالما اعتقدت أن اليمن من أكثر مناطق العالم العربي جاهزية لأن تقوم فيها حركة جهادية تتوفر لها معظم عناصر النجاح السببية .. ولاسيما بعد قيام الوحدة.. وقد كتبت في ذلك بحثا خاصا من نحو (40 صفحة)، وهو بعنوان (مسؤولية أهل اليمن عن مقدسات المسلمين وثرواتهم) ، حيث أثبت فيه ذلك وحرضت عليه.

فمساحتها الشاسعة التي تقارب (400 ألف كم مربع) وسواحلها الطويلة التي تزيد على (2500 كم) وتحكمها بمضيق باب المندب، وانفتاحها على السعودية ودول الخليج من جهة وعلى القرن الإفريقي وما يوفره من الذخيرة والسلاح في شرق إفريقيا .. وكثافتها السكانية التي تشكل نحو (70%) من عدد سكان جزيرة العرب، أي زهاء 25مليون من أصل نحو 40 مليون تقريبا، و طبيعتها الجغرافية المتنوعة والوعرة التي تنتشر فيها الجبال وتعتبر من أصلح المناطق لحروب العصابات الجهادية. وكذلك طبيعة السكان المحافظة المتدينة وبنيتها القبلية السليمة من تحطيم الحضارة الحديثة وسلبيات الطابع المدني الصناعي. وانتشار السلاح وارتباطه بتقاليد الحياة الاجتماعية. حيث تفيد الإحصائيات الرسمية بوجود أكثر من (70مليون) قطعة سلاح بيد رجال القبائل والسكان. غير ما لدى الحكومة، أي بمعدل أكثر من (3قطع) سلاح لكل مواطن بما فيهم النساء والعجائز والرضع! كما أن الصحوة الإسلامية فيها قديمة و متجذرة وتعود إلى مطلع الخمسينات كما أنها متنوعة تشتمل على معظم مدارس الصحوة المعروفة من الإخوان إلى السلفية إلى السرورية إلى التبليغ والدعوة إلى الصوفية إلى آخر ذلك. هذا بالإضافة لطبيعة السكان الذين ميزتهم الشكيمة والقدرات القتالية حيث استعصت اليمن على مختلف أشكال الإستعمار زمنا طويلا ولم تتمكن الدول الاستعمارية من الاستقرار فيها، كما حصل للبرتغاليين ثم الإنكليز ثم العثمانيين ثم الجيش المصري في عهد عبد الناصر..

وفي تجربتنا الجهادية العريقة في أفغانستان (1984-1992) كان الشباب المجاهد اليمني يشكل ثاني أعلى إحصائية من بيين الشباب العرب الذين قدموا للجهاد الأفغاني، وكذلك في شوطهم الثاني (1996-2001) .. وقد كانوا مثالا للإقدام والشجاعة وخصال الفروسية و أصالة العروبة .. وكم أدهشني وما يزال يدهشني أن لا يقوم فيها حركة جهادية واسعة.

أما من الناحية الإقتصادية فأكثر من (70%) من السكان يعيشون تحت خط الفقر وسقف القهر، فيما يرتع أكثر باقي سكان جزيرة العرب إلى جوارهم في نعيم مما وهب الله تلك الجزيرة من الثروات التي هي ملك المسلمين عامة وأهل الجزيرة خاصة، وهم سوادها الأعظم.

فكما ترى فإن الأسباب الشرعية والاقتصادية والسكانية والسياسية والجغرافية، وكل ما يعين عادة على تفجرا الثورات الناجحة متوفر فيها، وهنا يكمن العجب من أن لا تقوم فيها مثل تلك الحركة الجهادية، رغم تولي حكومة مهلهلة يقودها طاغوت جاهل منذ سنين طويلة، بل ويحاول أن يولي ابنه من بعده ملكا على الجمهورية الإشتراكية سابقا، الديمقراطية الأمريكية لاحقا !! ولست هنا في محل بحث ذلك وقد بحثته في بحث مستقل كما أسلفت .. والسبب الأساسي في ذلك أن أكثر قيادات الصحوة الإسلامية هم من القاعدين عن الجهاد من ذوي المصالح، وأن أكثر مشايخ الدعوة هم من النفعيين وعلماء السلاطين الذين ألفوا كراسي البرلمانات والاسترخاء في كنف الطاغوت.. بالإضافة إلى هيمنة سلطة زعماء العشائر والقبائل الذين تعودوا منذ عقود وربما قرون أن يبيع أكثرهم دينهم بدنياهم ودنيا غيرهم .. وقد أثبت هذا بكل جلاء .. تولي قيادات الصحوة الإسلامية وزعماء القبائل الذين يشكلون الثقل الأساسي الذي اجتمع فيما سمى (حزب الإصلاح) إفشال إنتفاضة الشارع الإسلامي فيما عرف بأحداث الدستور سنة (1993) ومكافحة كل ما تلا ذلك من محاولات جهادية..

مما جعل القيادات الشبابية المجاهدة الناشئة عاجزة عن إفراز قيادات ميدانية قادرة على سحب قواعد الصحوة الإسلامية والقطاع الكبير ذي الحجم المليوني في اليمن وراءها ..

ومشكلة اليمن كما هيا مشكلة العالم العربي والإسلامي باختصار في كلمتين.. خور العلماء وعجزهم وجهل العوام وضياعهم واستحواذ حب الدنيا وكراهية الموت على الجميع .. إلى أن يأذن الله بالفرج .. ونعود للموضوع:

بعد عودة الشباب المجاهد اليمني من أفغانستان مطلع التسعينات .. وعلى مدى العقد الأخير من القرن العشرين .. قامت محاولات جهادية عديدة في اليمن فشلت كلها لما أوجزت من الأسباب. وكان ابرز تلك المحاولات وأكثرها جدية، محاولة الشيخ أسامة بن لادن منذ (1990) لتكون أرضية جهادية في اليمن ..

وحركة ما عرف بجيش عدن أبين التي تزعمها المجاهد الشهيد أبو الحسن المحضار رحمه الله أواسط سنة (1998)..

أ. نبذة مختصرة عن المحاولات الجهادية للشيخ أسامة بن لادن في اليمن:

- ينحدر الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله من أصل يمني جنوبي من حضرموت .. فهو أحد أبناء محمد بن لادن الذي هاجر من اليمن إلى السعودية مع بداية حكم الملك عبد العزيز .. واستوطنها مكونا أسرة قريبة من آل سعود ، و تمتعت بنفوذ مالي وسياسي واسع فيها منذ ذلك الوقت وإلى اليوم..

- وخلال الجهاد الأفغاني ضد الروس حرص الشيخ أسامة على تكوين مجموعة منظمة حوله ركز فيها على العناصر الجهادية من جزيرة العرب ولاسيما من السعودية واليمن .. وفي التسعينات كانت معطيات التحرك الجهادي ضد الحكم الشيوعي في اليمن الجنوبي قبل الوحدة جاهزة.. فكثير من اليمنيين الشماليين من الإسلاميين والقبائل يؤيدون ذلك، كما أن ذلك يلقى دعما كبير من كبار التجار(الحضارمة) ذوي القدرات الإقتصادية الكبيرة في السعودية، ومن الصحوة الإسلامية عموما، والتي تكن العداء للشيوعية عامة وفي جوارهم في اليمن خاصة.. ومع توافد عدد من المجاهدين اليمنيين من أصل جنوبي أثناء الجهاد العربي في أفغانستان..

- كان المشروع الجهادي الخاص والرئيسي للشيخ أسامة، هو إحداث حركة جهادية في اليمن الجنوبي.. وقد باشر ذلك في سنة (1989-1990) واستمر في محاولته إلى قيام الوحدة .. ورغم أن عددا من الجهاديين المقربين من الشيخ أسامة أيامها- وكنت من بينهم- قد حرض الشيخ أسامة على الشروع في ذلك الجهاد مباشرة .. إلا أنه تردد بانتظار إقناع قيادات الصحوة في اليمن ولاسيما الإخوان المسلمين من أمثال الشيخ اللامع في حينها عبد المجيد الزنداني بالانخراط فيها .. وما كان لأولئك أن يفعلوا .. وضاعت فرصة ذهبية فيما أعتقد.

- ومنذ قيام الوحدة كان مشروع الشيخ أسامة قد تحول إلى المحاولة على مستوى اليمن الموحد. وشكلت مشكلة الصراع على دستور اليمن الموحد، وتناقض الإسلاميين و العلمانيين فرصة لإعلان الجهاد على علي عبد الله صالح وحكومة اليمن الموحد حديثة النشأة .. وقد تحرك الشيخ أسامة لاستغلال تلك الفرصة .. وقدم إليه عدد من مشايخ اليمن كان في طليعتهم الشيخ المعروف (عمر سيف) والذي وضع اسمه على كتاب يثبت كفر الدستور، كان قد كتبه بعض المقربين من الشيخ أسامة، وأثبتوا فيه أيضا كفر الحكومة القائمة عليه وشرعية جهادها .

- وسعى الشيخ أسامة إلى مشايخ اليمن وكبار دعاتها من السلفية وعلى رأسهم الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) .. وإلى الإخوان وزعمائهم.. وبذل أموالا طائلة في تأليفهم وتأليف بعض القبائل على المشروع. ولكن جميع أولئك خذلوه، واستطاع علي عبد الله صالح أن يستميلهم ، ويسند إليهم المناصب ويمنحهم العطاءات والنفوذ والتسهيلات ..

فأما الشيخ الزنداني، فقد أجهض مظاهرة المليون مسلح التي توجهت إلى بوابة القصر الجمهوري، وكان على رأسهم مع زعماء الإخوان وغيرهم .. فقد دخل القصر مع البعض مفاوضا للرئيس .. وخرج إلى المتظاهرين المسلحين المطالبين بسقوط الدستور والحكومة وبتحكيم الشريعة، ليقول لهم (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليعد إلى بيته ..) وانفرط الجمع ليصبحوا في اليوم التالي وقد صار الشيخ الهمام عبد المجيد الزنداني أحد نواب الرئيس واحد حكام اليمن الخمسة الذين شكلوا مجلس الرئاسة برئاسة علي عبد الله صالح!!. وعضوية الاشتراكيين الملحدين بحسب مذهب الشيخ القديم!! وتوزع كبارزملائه في الإصلاح ما بين وزير ونائب برلمان.. تحت الدستور الطاغوتي المشرع من دون الله والذي كتب في أعلاه دين الدولة هو الإسلام والشريعة مصدر الدستور والقوانين)!!

وأما الشيخ (مقبل بن هادي الوادعي) فكان موقفه أنكى وأشد ضراوة .. فقد كتاب كتابا وصف فيه الشيخ أسامة على أنه رأس الفتنة في اليمن. وكانت أشرطته بالغة العداء في الهجوم عليه، وفض الناس عن مشروعه تباع على الأرصفة إثر خطب الجمعة، حيث كان يقول أن بن لادن أرسل له أمولا بدعوى الجهاد ابتغاء الفتنه .. فزوج بها الشباب واشترى كتبا للمساجد!!

كما روى شباب مجاهدون من اليمن أن الوادعي شيخ السلفية!! لم يترك أحدا من رموز الصحوة من شره في حينها.. فهاجم قيادات الإخوان و السروريين والصوفيين و الجهاديين .. في حين كان يثني على (علي عبد الله صالح) ويصفه دائما بالأخ الرئيس .. ويؤكد على طاعته لولي أمر مسلم!! وقد سمعت من الشيخ أسامة أمام بعض ضيوفه ذات مرة قوله، بأنه لو سامح كل من آذاه في حياته، فلن يسامح الوادعي ، ومن يعرف سماحة نفس الشيخ بن لادن حتى مع من آذاه ، يدرك مدى تأذيه من ذلك الذي أفضى إلى ربه !.

وأما أكثر قيادات الشباب الجهاديين الذين جندهم الشيخ أسامة ودربهم في أفغانستان .. فقد استمالهم علي عبد الله صالح بأن أعطاهم رتبا في الجيش اليمني وأدخل من أراد السلك العسكري .. والوظائف المدنية، فركبوا السيارات وتولوا المناصب .. وبلغ بأبرزهم أمثال(الفضلي) و(النهدي) أن يعملا في سلك الإستخبارات والحرس الجمهوري كأقرب المقربين من علي عبد الله صالح !! وتلخص هذه الأمثلة الثلاثة الإخوانية والسلفية و الجهادية في اليمن ، نموذجا للمشكلة الأساسية في اليمن .. التي كان هذا حال أبرز علمائها وقادة صحوتها ومجاهديها . الذين افتقروا إلى التربية المنهجية الجهادية خلال فترات إعدادهم التي اهتمت بالتكوين العسكري وافتقرت لأي فكر أو منهج يحصنهم من مثل تلك الإستدراجات ..

- وقامت الوحدة .. وشكلت الحكومة(ومجلسها الرئاسي الخماسي) والبرلمان من أنصار علي عبد الله صالح وحزبه (المؤتمر الشعبي)، ومن الإسلاميين وعلى رأسهم زعماء الإخوان وبعض رؤساء القبائل الذين كونوا (التجمع اليمني للإصلاح) برئاسة حسين الأحمر و الزنداني، ومن (الحزب

الاشتراكي) من الجنوبيين.. وقد حاول علي عبد الله صالح ونجح في ضرب الطرفين ببعضهما وتقويه نفوذه ثم تقوى بالإسلاميين على الاشتراكيين الجنوبيين .. وقام بعض الجهاديين في تلك الفترة باغتيال لبعض رؤوس الاشتراكيين، الذين خططوا للانقلاب على الوحدة .. ولكن علي عبد الله صالح والإسلاميين .. زحفوا على عدن فيما عرف بحرب الوحدة ... وقضوا على محاولاتهم وفرضوا الوحدة بالقوة. وكان الشيخ أسامة قد أمر أنصاره وأتباعه في اليمن من الجهاديين الذين عادوا من أفغانستان بالدخول في المعركة إلى جانب جيش اليمن الشمالي كما فعل كافة الإسلاميين في الشمال، على إعتبار أن ذلك سيؤدي إلى كسب مرحلة بالإطاحة بالشيوعية. وفعلا لعب المجاهدون من الجهاديين والإسلاميين دورا حاسما وسرعان ما انهارت مقاومة الجنوبيين في عجلة لم تسمح بالتدخل الدولي ولم تستطع السعودية ودول مجلس التعاون الخليجي إنقاذ الشيوعيين في اليمن !! رغم فتاوى ابن باز وهيئة كبار العلماء بوقف الفتنة والصلح بين المسلمين الشماليين برآسة (صالح) والمسلمين (الشيوعيين) في الجنوب!!

وبحسب اعتقادي ورأى كثير من الجهاديين اليمنيين الذين التقيتهم ، فقد كان بإمكان الإسلاميين أن يعودوا إلى الشمال ليفرضوا حكم الشريعة أو يعزلوا صالح ويقيموا الدولة الإسلامية، ولكن الذي حصل هو عودتهم إلى البرلمان وكراسي الوزارات في حكومة علي عبد الله صالح ودستورها العلماني وحكمها المرتد .. وبقى الجهاديون معزولون .. فقد تبع أكثرهم قيادات (الصحوة !!) من السلفية و الإخوانية ! و السرورية !! في حين آثر كثير منهم الرتب العسكرية والمناصب الحكومية والمنافع الشخصية حيث نجح (الشاويش علي صالح....) باستمالتهم إلى الدنيا.

- وكان الشيخ أسامة قد إنتقل إلى السودان.. وانهمكت القاعدة في أعمالها الاستثمارية والاقتصادية فيما اعتقدوا أنها دولة إسلامية تجب نصرتها بزعامة الرئيس البشير و(الإمام) حسن الترابي!! بحسب اعتقاد بعض أعضاء اللجنة الشرعية للقاعدة آنذاك!! كما شارك بعض عناصرها في الجهاد في الصومال إلى جانب الفصائل الإسلامية وشاركوا بفاعلية في إقناع الأمريكان بالانسحاب من أوحال رماله الصحراوية ..

كما كان لأتباع الشيخ أسامة وبعض الجهاديين عمليات محدودة، على بدايات أمريكية لإقامة قاعدة عسكرية في عدن حيث أقنعت عدد من صواريخ الكاتيوشا التي أطلقوها على أعمال الإنشاء الأولية للقاعدة ، أقنعت الأمريكان بالعدول عن المشروع ..

ولم تقم بعد ذلك للجهاديين من أتباع الشيخ أسامة أي محاولة تذكر للتحرك الجهادي في اليمن منذ(1994).. حيث تحول فيما بعد لجهاد أمريكا.

- ولما عاد الشيخ إلى أفغانستان أواسط (1996).. بدأ الشباب المجاهد من اليمن ينضمون إلى الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان .. بمن فيهم أنصار الشيخ أسامة صرح الشيخ أسامة

لجريدة القدس العربي سنة 1997 .بأن محطته القادمة جبال اليمن . وعاد مشروعه للانتعاش في اليمن ولكن من خلال إستراتجيته الجديدة ؛ محاربة رأس الأفعى أمريكا، والإعراض عن الدخول في مواجهات مع أذيالها ومن بينهم الذيل الصغير القزم عبد الله صالح في المنطقة الهامة اليمن .

- وفي سنة(1999) فيما أذكر .. قامت خلية من القاعدة بالهجوم الاستشهادي على المدمرة الأمريكية (كول) التي كانت تتزود بالوفود في الموانى اليمنية .. وصعد هذا المواجهة مع الإستخبارات اليمنية التي دخلت في حرب مكافحة الإرهاب إلى جانب أمريكا .. واعتقل الكثير من الجهاديين ومن بينهم بعض أنصار بن لادن . واشتدت الحرب ضراوة . واضطرت حكومة علي عبد الله صالح إلى الإفراج عن بعض أتباع بن لادن فيما قيل أنه جاء بعد رسالة تهديد منه إلى صالح وتذكيره بأن معركة القاعدة ليست مع الحكومة اليمنية و بإمكانها أن تجعلها كذلك ..

- وفي أواخر سنة (2001) قبيل سبتمبر بقليل جمع بن لادن كبار أنصاره في قندهار ليبلغهم أن يحزموا حقائبهم.. وأنه قد آن الأوان للرحيل إلى اليمن .. وفيما كانت الإشاعات والدهشة والأمل تتداول في ساحة الأفغان العرب حول هذه النقلة .. دوت انفجارات سبتمبر 2001.. ليتبع ذلك..

ضربٌ يزيلُ الهام عن مقيلهِ   ويذهلُ الخليل عن خليلهِ

وتبع ذلك مطاردة الجهاديين في اليمن بدعوى انتماء كل أمة محمد صلى الله عليه وسلم .. وكافة أعداء أمريكا من المخلوقات إلى القاعدة بحسب الإعلام الأمريكي وبرامج مكافحة الإرهاب ..

ونال الجهاديين في اليمن قسط كبير من هذه المطاردة، وسقط العديد من الإخوة من القاعدة وغيرهم بين شهيد وأسير في معارك مكافحة الإرهاب في اليمن بقيادة أمريكا وتنفيذ عبيدها المرتدين من عناصر الجيش والإستخبارات اليمنية.. وتمكنت طائرة أمريكية من تدمير سيارة بصاروخ جو أرض وبموافقة ومعاونة من الإستخبارات اليمنية وجواسيسها العملاء .. فقتلت الأخ الشهيد أبو علي الحارثي وخمسة من إخوانه في إحدى قرى اليمن رحمه الله .. ثم تتابعت أخبار المطاردات التي كان تصل لحد المعارك الطاحنة بين حين وآخر وتحمل نبأ استشهاد أخ هنا واعتقال آخر هناك بزعم أنهم من القاعدة ..

ب. تجربة جيش عدن أبين بقيادة أبي الحسن المحضار رحمه الله منذ(1998) :

- كان الشهيد أبو الحسن المحضار زين العابدين- وهو من أشراف اليمن- يتحلى بنفس جهادي متقد، وبشهامة ومروءة عالية أبت عليه أن يتحمل تلك الأوضاع في اليمن خلال العقد الأخير من القرن الماضي .. وقد سمعت بعض الروايات من أخوة يمنين أنه كان قد التقى الشيخ

أسامة من أجل إقناعه بإشعال شرارة الجهاد في اليمن ولكنه لم يتوصل معه إلى اتفاق حول كيفية وتوقيت ذلك .

ثم طاف أواسط التسعينات على بعض البارزين من علماء الصحوة في (السعودية) لتحريضهم على دعمه في مشروع للجهاد في اليمن ولكن أحدا لم يجبه إلى ذلك.. بل ذهب كبار المشرفين على تدريس العقيدة ورئاسة أقسامها في الجامعات السعودية، والذين ملؤوا صفحات الكتب وأشرطة الدروس العلمية بخصائص العقيدة الصافية ومنهج دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .. ذهبوا في محاضراتهم ومواقفهم إلى التصريح بأن أفضل سبل الدعوة في اليمن هو الخيار الديمقراطي!! كما أيدوا المسار الديمقراطي في تركيا وشمال أفريقيا وسواها .. وهذا من نكبات من عاش في هذه الأزمان رجبا ورأى عجبا..

- ولكن همة ذلك المجاهد الهمام أبت عليه السكون .. وقد كان له صولات وجولات مع الحكومة اليمنية وأجهز أمنها، وكان من ذلك موقفه الشهير المشهود عندما إعتقلت أجهزة الأمن نساء المجاهدين من الأفغان العرب الذين التجؤوا إلى اليمن وأبت إخراجهم إلا بترحيل رجالهم الفارين داخل اليمن عنها، وكان له دور في جمع العلماء والدعاة ورؤوس القبائل يستحثوا فيهم الحمية الدينية والنخوة القبلية ولم يهدأ له بال حتى كان السبب الأساسي في الإفراج عنهم وكشف كربتهم .. وقد بذل في ذلك أموالا واستدان على ذمته مبالغ كبيرة في سبيل حركته ودعوته ونشاطه..

- وفي أواخر (1997) بدأ بشكل مجموعة مسلحة وتنظيما مستقلا باسم (جيش عدن أبين)، تيمنا بالحديث الشريف الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يقول فيه (يخرج من عدن أبين اثنا عشر ألفا هم خير من بيني وبينهم).

ولما تجمع معه عدد من الرجال قيل أنهم بلغوا نحوا من مائتي رجل .. حمل السلاح ومضى برجاله إلى منطقة جبلية وعرة وأنشأ معسكرا له ولجماعته لبدء الحشد لجهاد الحكومة اليمنية ... وقد وصلتنا أخباره إلى أفغانستان ربيع (1998) وكنا نترقب أن يكون ذلك بداية شرارة الجهاد الذي طالما انتظرناه في ذلك اليمن الذي كان سعيدا قبل أن يحكمه أمثال عبد الله صالح ويتولى الدعوة فيه أمثال زعماء الصحوة فيه هذه الأيام ..

ولكن كبار الدعاة ومشايخ ما يسمى بالصحوة ركزوا جهودا كبيرة على إقناعه بالعدول عن خروجه ذلك ووعدوه بالمناصب والأموال من الحكومة إن هو عاد عن خروجه .. ولكنه أبى. فلعب الدعاة من مختلف مدارس الصحوة دورا مهما في خذلانه وإنزال من استطاعوا من أنصاره وإقناعهم بعدم جدوى المحاولة. وبدأ الشباب ينفضون عنه .. وكان أكبر الخذلان الذي أثر في إنزال كم منهم ، ما جاء من طرف بعض الجهاديين وبعض قدماء الأفغان العرب من الإخوة اليمنيين بدعوى أنها حركة متعجلة وغير ناضجة، ولا برنامج لها. وبدل أن يضم الناصحون له من الإسلاميين و الجهاديين

جهودهم إليه لترشيد حركته، كان موقفهم سلبيا ، كما بلغني من عدد من الرواة، وأعتقد أن خروجه كان فرصة لهم ولقضية الجهاد في اليمن..ولكنها ضاعت .

- وفي صيف (1998) إعتقلت الحكومة اليمنية عددا من الجهاديين من شباب اليمن بالإضافة لعدد من الجهاديين من الإخوة العرب اللاجئين إليها فقام أبو الحسن المحضار باختطاف عدد من السياح الأجانب للضغط على الحكومة للإفراج عنهم ولكن الحكومة على عكس عادتها في التراضي مع رجال القبائل الذين كثيرا ما اختطفوا سياحا بهدف الحصول على مطالبهم .. اتخذتها فرصة للقضاء على تلك الحركة الوليدة، فحاصرت المنطقة وصعدت الموقف حتى وصل للاشتباك، وقد دفعت إليه في طليعة وحداتها من استطاعت من الدعاة والإخوة لإنزال من يستطيعون من الجبل وإقناعهم بالاستسلام وحسبنا الله ونعم والوكيل. ولما بدأت الهجوم عليهم لم يكن قد تبقى معه إلا بضعة عشرات من الرجال .. فقتل بعضهم وقتل بعض الرهائن .. حيث وصلت بعض الأخبار إلينا في أفغانستان - والله أعلم بصحتها - أن من معه رفضوا إعدام الرهائن لما بدأت الحكومة الهجوم فلم يقتل إلا واحد أو اثنين منهم، وقبض على أبي الحسن المحضار.. وتولت بريطانيا وبعض الدول الغربية الضغط الشديد على حكومة اليمن من أجل إعدام أبي الحسن المحضار .. الذي أعلن عن إعدامه في صيف عام (2000) فيما بعد .. رحمه الله تعالى ورحم إخوانه وأسكنهم فسيح جناته، وعوض اليمن بهم رجالا صالحين يرفعون راية الجهاد فيها حتى يخرج منهم أولئك الذين بشربهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

<u>علاقتي بالإخوة اليمنيين وملاحظاتي على تجربة الجهاد فيها:</u>

كما قدمت فقد اقتنعت بجدوى الجهاد في اليمن منذ عام (1989) وكنت أيامها قريبا من الشيخ أسامة الذي أطلعني في حينها على بعض مناحي مشروع جهاده في اليمن، وقد بذلت بعد حرب عاصفة الصحراء التي عرفت بحرب تحرير الكويت وسعيت في إقناع الشيخ أسامة بجدوى وضرورة التحرك إلى اليمن، فقد كانت الأجواء مناسبة جدا بعد حضور الأمريكان إلى الجزيرة، ثم ما كان من أحداث الدستور، ولكنه تصور أن ذلك ليس ممكنا بغير معاونة باقي رموز الصحوة ..

- وقد عرفت العديد من الإخوة اليمنيين منذ أيام الجهاد الأفغاني الأول، ولما عدت إلى أفغانستان في الشوط الثاني، اهتممت بالتجارب التي حصلت في اليمن، وسعيت في كتابة تاريخها مع أحد أبرز الشباب الجهاديين من اليمن (وهو الشهيد (مهند) عتش). ولكن الشهادة كانت أسبق إليه رحمه الله.

- وخلال ربيع (1998) وبعد خروج أبي الحسن، حدثني أحد الإخوة من أصدقائه عن حركة المحضار والآمال فيها وضرورة معاونته بالنصح والتأييد والدعم.. وأخبرني أن المحضار كان يستعين ببعض محاضراتي من تراث أيام الجهاد في أفغانستان، وبكتابي (تجربة الجهاد في سوريا) بإلقاء بعض الدروس التربوية على أتباعه، وأن مثل تلك النصيحة سيكون لها أثرا إيجابيا عليه .. وفعلا حملت الرجل رسالة وشريطا مسجلا يتضمن خلاصة أفكاري ونصائحي عن الجهاد في اليمن .. وذهب الرجل وبلغ الرسالة .. وأخبرني هاتفيا بوصولها للمحضار . وبت أنتظر خبرا لعله يفتح لنا خطوة جهادية تقربنا من مركز الصراع في الشرق الأوسط على الخط المقدس الممتد من اليمن إلى الحجاز والشام . وكنت آمل باللحاق به ونصرته . ولكن وسائل الإعلام ما لبثت أن نقلت إلينا أخبار الكارثة التي ذكرت خلاصة قصتها آنفا .

- ثم وصل إلى كابل بعض الإخوة من الذين شهدوا مع أبي الحسن تلك المأساة وأخذت من العديد منهم خلاصة ما جرى . ثم قرأت في بعض الصحف السعودية من أخبار تلك التجربة، أنهم صادروا من معسكر أبي الحسن بعض الكتب والأشرطة التي تحمل فكرنا (الهدام) لطغيان لتلك الحكومات ومن وراءها .. ومن ذلك أشرطة للشيخ (خالد زين العابدين).. وهو الاسم المستعار الذي اتخذته في نشر أشرطة محاضراتي في تجربة أفغانستان ، حيث ربطوا بين ذلك الاسم وكنية الشهيد أبي الحسن المحضار زين العابدين وهو توافق غير مقصود . كما ذكروا أنهم عثروا هناك على نسخ من كتابي (التجربة السوري) . فترحمت عليه وسرني أن يكون ذلك. وسألت المولى جل وعلا أن يشركني في الأجر معهم وأن نلقاهم على حوضه الشريف في طائفة الغرباء .. الفرارين بدينهم إنه سميع قريب كريم ..

- وعبر تجربتنا في الشرط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان أيام طالبان، كان يرتاد المعسكر الذي أنشأته قرب كابل للإعداد وبث فكر المقاومة العالمية ومنهاج التيار الجهادي وتراثه بعض المجاهدين من اليمن .. وحرصت على أن أوليهم عناية خاصة لما لتلك الزاوية من العالم الإسلامي من مكانة عندي وأهمية في آمالي عن الجهاد المقاومة .. وقد كتبت بحثا بعنوان (**أهل اليمن ومسؤوليتهم عن مقدسات المسلمين وثرواتهم**) .. وسجلت عددا من الأشرطة في موضوع الجهاد في اليمن .. وقد علمت أنها وصلت الساحة هناك وتداولها الجهاديون والإسلاميون .. وفي أحد الأيام بلغنا خبر إعدام الشهيد أبي الحسن المحضار فتأثرت لذلك كثيرا .. ولم يكن بالوسع عرفانا لجهاد ذلك الرجل المجاهد الشهم الشجاع .. الذي كان له في عنق الكثير من الجهاديين في اليمن وغيرها حقا واجبا، ولم يكن في الوسع إلا أن ندعو لحفل تأبيني في معسكرنا بمناسبة إعدامه.. حيث ذكرت مآثره وترحم عليه الجميع. فرحم الله رجلا تحاببنا معه عن بعد ولم نره، وأسكنه فسيح جناته..ونسأل

الله أن يرسل في اليمن من يؤسس فيها ويعمل لبشرى خروج الأخيار الذين بشر بهم الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم .

10. محاولات بناء تجمعات جهادية في المغرب منذ(1995) وتجربة (الجماعة الإسلامية المجاهدة في المغرب):

- كما ذكرت آنفا فقد كانت التجربة الجهادية المسلحة في المغرب ضد الحسن الثاني التي قامت بها منظمة (الشبيبة المغربية)، بزعامة الشيخ عبد الكريم مطيع .. إحدى المحاولات المبكرة جدا في العالم العربية. بل لقد سبقت بواكير ميلاد الإرهاصات الفكرية للتيار الجهادي المعاصر. وكما ذكرت في بعض كتاباتي السابقة، فإن المغرب تأتي ضمن القليل من بلدان العالم العربي والإسلامي مثل بلاد وسط آسيا واليمن والجزائر وتركيا. حيث تتوفر فيها معطيات ثورة جهادية من حيث الأسباب والمعطيات.

- فالمغرب الأقصى بلد مترامي الأطراف ، وعر المسالك، يتوفر على عدد من الأرياف والسلاسل الجبلية الوعرة، وتمتد سواحله لأكثر من (3000) كم، ويتحكم بمضيق جبل طارق. ويرزح شعبه تحت حالة من أشد حالات الفقر والعوز وجور السلطان. كما أن لهم تاريخا مجيدا في الجهاد والقتال والتاريخ الزاهر في البأس والشجاعة. وهو شعب متدين بصرف النظر عن تسرب الفساد إلى بعض مدنه الكبرى عبر سياسة الحكومة في الإنفتاح ونشر الدعارة باسم السياحة. فمازال للإسلام حضوره وقداسته. وفيه صحوة إسلامية تعود إلى مطلع الستينيات وتتركب أيضا من معظم مكونات الصحوة الإسلامية المعاصرة ومدارسها، من السلفية إلى الإخوان، إلى الصوفية الحركية، إلى الجهاديين. وقد شهد عدد لا بأس به من شباب المغرب الجهاد في أفغانستان، وعادوا إلى بلدهم دون كبير مشاكل، حيث كانت سياسة الداهية الهالك الحسن الثاني، أن يستوعب الصحوة ولا يستفزها. وقد أثبتت سياسته تلك نجاحات كبيرة في تفريغ الصحوة من داخلها ودفعها أيضا في مجالات الديمقراطية المزيفة الناشئة في المغرب، وجعل كبار الدعاة هناك يتراوحون بين السجون التأديبية و الإقامات الجبرية وكراسي البرلمان. وبعيد انفجار الثورة الجهادية المعاصرة في الجزائر، إثر إجهاض نجاحات الإنقاذ، كان المغرب المعبر الأساسي الذي نزل منه معظم الأفغان العرب الجزائريين إلى بلدهم.

وقد غض المغرب بداية الطرف عن ذلك كرد فعل على تأييد الحكومة الجزائرية لجبهة البوليساريو الانفصالية الداعية إلى استقلال الصحراء الغربية عن المغرب. ولذلك فقد تكونت عدد من الخلايا شرق المغرب وفي منطقة الريف وقدمت الكثير من معونات العبور ونقل السلاح من أوربا وتقديم

الخدمات اللوجيستية للمجاهدين غرب الجزائر. وذلك قبل أن تستحوذ القيادة المجرمة في الجماعة المسلحة على تلك القضية كما روينا.

- وهكذا وبفعل تجربة المجاهدين الأفغان العرب المغاربة من جهة ورياح التأثير من الجزائر من جهة أخرى، بدأت بوادر تشكيل النويات الجهادية في المغرب، الذي توقعت له مراكز الدراسات الإستراتيجية المتابعة لشؤون الإسلام في شمال أفريقيا في أوربا ولاسيما في فرنسا.. توقعت أن تنطلق الثورة الإسلامية في شمال أفريقيا من المغرب أولا. وقد قرأت بعض التقارير الصادرة في فرنسا عدد تعبر عن دهشتها لانطلاقها من الجزائر قبل المغرب.

- وقد جرت بعض المحاولات الجهادية غير الناضجة من قبل البعض بضرب بعض السياح الغربيين والقيام ببعض العمليات النادرة على بعض أعضاء الجالية اليهودية في المغرب والتي تستولي على مراكز النفوذ السياسي والإقتصادي والإعلامي فيه، وتدفع به في خطوات محمومة نحو التطبيع مع إسرائيل.

- ومنذ منتصف التسعينات بدأت محاولات جادة لتشكل خلايا جهادية و نويات تنظيمات داخل المغرب وخارجها .. فقد وصلت رياح التيار الجهادي بقوة إلى المغرب على هامش الجهاد في الجزائر .. كما أن خطوات التطبيع اليهودي والتغريب الصليبي أخذت شكلا جديا ومكشوفا مع وصول الملك محمد السادس ولي عهد أبيه إلى الحكم بعد هلاك والده.

- أواسط التسعينات.. تمكن عدد من شباب التيار الجهادي المغربي من تكوين نواة لتنظيم جهادي للعمل في المغرب .. ويبدو أن بوادره الأولى قد تشكلت في أوساط المهاجرين المغاربة في بعض الدول الأوربية، وقد كان فيهم بعض الأفغان العرب المغاربة، وانتقلت لعدة دول أخرى حيث تشكل الجالية المغربية المهاجرة في أوربا شريحة ضخمة ربما ناهزت خمسة ملايين مهاجر، يتخذ أكثرهم من فرنسا وبلجيكا وهولندا ودول وسط أوربا مهجرا أساسيا، فيما تتواجد جاليات ليست بالقلية في باقي الدول الأوربية، وقد أصدرت الجماعة منهجا وعدد من الأدبيات بصورة أقرب إلى السرية، ونشرتها في أوساط الجاليات المغربية في أوربا، ووزعت على نطاق محدود داخل المغرب. وقد اطلعت على بعض تلك الأدبيات، وهي في مجملها تسير وفق نفس منهج التيار الجهادي الذي ساد تلك الفترة.

- ولما قامت الإمارة الإسلامية في أفغانستان أيام طالبان، ورحل كثير من الجهاديين من ملاذات أوربا إليها، قامت هذه المجموعة بافتتاح معسكر وعدد من المضافات لها في أفغانستان، وبدأت مشوار الإعداد العسكري والتربوي الشامل، وكذلك إعداد وتدريب الكوادر من القادمين من أوربا أو من المغرب ذاتها. وكانت حركة مبشرة.. وقد شارك هؤلاء المجاهدون المغاربة كغيرهم في دعم

الإمارة الإسلامية ومساندتها .. ولما جاء سبتمبر ضمهم الجمع الذي انخرط في معركة الدفاع عن النفس وعن الإمارة الإسلامية، حيث أخذوا حظهم من البلاء، فاستشهد البعض وأسر آخرون وتفرق الباقون مع القليل الذي نجا من ذلك الأخدود. وأسأل الله أن يرعاهم ويفقهم، فقد كان منهم نماذج رائعة...

- وفي أواخر (2003) تناقلت وسائل الإعلام أنباء انفجارات هائلة استهدفت بعض الأهداف الغربية في الدار البيضاء، وقد نفذها إستشهاديون، وقد ذكرت وكالات الأنباء نقلا عن المصادر الحكومية المغربية الرواية الوحيدة للحدث. ونسبته إلى ما أسمته (السلفية الجهادية) .. كما ورد أن المسؤول عنها بعض من وصفتهم بالتكفيريين، على حد زعم تلك الوسائل ولم يمكنني معرفة المزيد عن ذلك..

- ولكن المهم الجدير بالذكر أن أجهزة الأمن المغربية قامت على هامش تلك الأحداث التي لم يتوفر لي عنها روايات يمكن الوثوق بها .. قامت باعتقال مئات الشباب فيما عرف باسم(تيار السلفية الجهادية) وقد أصدرت المحاكم المغربية أحكاما كثيرة من أحكام الإعدام وفترات السجن الطويلة.. كما اعتقل في تلك الهجمة عدد من أبرز الدعاة السلفيين و الجهاديين في المغرب ممن لا علاقة لهم بتلك الأحداث .. فيما بدا أنه عمليات إجهاض مبكر لأي إمكانية مفترضة لتكوّن ظاهرة جهادية تتوفر لها كافة المعطيات في ذلك البلد المنكوب بحكومة طاغوتية من أعتى حكومات البلاد العربية والإسلامية بطشا وجبروتا وعمالة لأعداء الإسلام من اليهود والصليبين..

- وعلى الصعيد الشخصي فقد ربطتني بالكثيرين من الإخوة المغاربة علاقات أخوة صداقة ، منذ أيام إقامتي في فرنسا ثم أسبانيا ثم بريطانيا لكثرة تواجد المغاربة في تلك البلاد وفي أوساط الصحوة الإسلامية في الغرب . ولقد عرفت منهم الكثيرين من الكوادر الرائعة ، إذ ميزهم الإخلاص والصفاء والحماس المتقد ، وكانت آثار معاناة شعبهم من ذلك الفرعون الهالك الملك (الحسن الثاني) ثم ابنه الماجن الملك الحالي (محمد الخامس) وأسرتهم ونظامهم الجاثم على صدور المؤمنين في المغرب بادية الآثار عليهم وعلى رغبتهم في العمل والجهاد .

- وفي الشوط الثاني للأفغان العرب في أفغانستان تعرفت إلى الكثيرين نهم ، وخاصة من شباب الجماعة الناشئة (الجماعة المجاهدة في المغرب) وكانوا أنموذجا للشباب الصادق المتقد حماسا ورغبة في الإنتاج والعطاء.، وكنت أؤمل لتجربتهم الواعدة آمالا عريضة ، لولا أن قدر الله كان أسبق إليهم في أفغانستان ، إذ التهم أخدود سبتمبر الكثير من كوادرهم ليتشرد من أبى في الأرض لاحقين بقافلة الفرارين بدينهم تقبل الله منهم ومن إخوانهم جميعا .

- ولا أنسى أن أسجل بكل الاحترام والتقدير المساهمة الرائعة والأداء المتميز لبعض المجاهدين المغاربة في العملية البطولية التي أسفرت عن إخراج جيش دولة أسبانيا التي شكلت في حرب العراق – أيام حكومة الحزب اليميني بزعامة أثنار - ثالث أضلاع مثلث الحلفاء إضافة لأمريكا وبريطانيا . ورغم أني لم أستطع أن أعرف الجماعة التي انتمى إليها أولئك الأفذاذ ، إلا أن أمة الإسلام بكاملها مدينة لتلك الكوكبة من الإستشهاديين التي يعود إليها شرف بداية تصدع الحلف الأمريكي الصليبي . و المتأمل في تلك العملية إلى نهاياتها البطولية . يكتشف مدى ما في ذلك الشعب المغربي المسلم الكريم ، من طاقات خلاقة تثبت جدارتهم بأجدادهم العظام الذين حملوا مهمة الجهاد في مغرب أمة الإسلام والمسلمين على مر التاريخ الإسلامي المجيد.

11. تجربة الأفغان العرب اللبنانيين في جبال النبطية بقيادة الشهيد أبو عائشة اللبناني – رحمه الله - (1999):

كان المجاهدون اللبنانيون من الأفغان العرب من ضمن الجنسيات التي حضرت منها أعداد قليلة إلى أفغانستان. وقد تميزوا بالإضافة إلى مشاركتهم الميدانية بالدماثة والأخلاق .. وكانوا من بين الجنسيات التي استطاع أصحابها العودة إلى بلادهم دونما كبير مشاكل .. وقد تعرض البعض منهم إلى الاعتقال والتحقيق والسجن إثر إقدام مجموعة صغيرة منهم على اغتيال أحد قيادات الحركة الدينية الشاذة في لبنان والتي تنسب لمؤسسها (حركة الأحباش). وكان القتيل نائب في البرلمان اللبناني .. وبحسب روايات الإخوة اللبنانيين فإن تلك الحركة كانت تقدم خدمات كبيرة للاستخبارات السورية في لبنان وتؤذي الشباب المسلم، كما تميزت بالعدوانية، وطاردت شباب أهل السنة و الجهاديين في مساجدهم وآذتهم. ثم ألقي القبض على تلك المجموعة ونفذ فيها حكم الإعدام، بعد أن أبدى عناصرها بطولة وثباتا نادرا في تصريحاتهم في المحكمة وأمام الصحافة وأثناء عملية الإعدام.. حيث شيعة طائفة السنة أجسادهم الطاهرة في موكب مهيب جسد مشهدا لوحدة صف حركاتها المتعددة في لبنان..

- ثم تابع بعض أفراد تلك المجموعة عمليات الدعوة لأفكارها الجهادية السلفية في مختلف المناطق اللبنانية ولاسيما في منطقة شمال لبنان قرب مدينة طرابلس وجبال النبطية، وكان هدفهم بحسب تصوراتهم التي رسمها أميرهم الأخ (أبو عائشة اللبناني) هي القيام بتأسيس حركة جهادية لشباب أهل السنة تعمل على إقامة ثورة إسلامية تهدف إلى تحكيم الشريعة في لبنان.. وتسعى على الأقل إلى إيجاد شوكة لأهل السنة في لبنان..

- كان الأخ أبو عائشة اللبناني رحمه الله أحد الأفغان العرب القدماء أيام الجهاد الأفغاني .. وكان مهاجرا في الولايات المتحدة وقدم منها إلى أفغانستان .. وعاد بعد انتهاء الجهاد الأفغاني إلى أمريكا ومنها إلى لبنان يحمل في صدره أفكارا وآمالا عن تأسيس حركة جهادية محلية لأهل السنة في لبنان ..

- ونظرا لصداقة وعلاقة تعاون كانت لي به وبعض إخوانه أيام الجهاد الأفغاني، فقد بقى لي شيء من التواصل المتقطع ببعضهم في الفترات التالية، مما مكنني من الإطلاع على أهدافهم. وقد أرسلت له رسالة مع أحد أصدقائي الذي التقى به، ونقل إليه قناعتي بأن فكرته تمشي بعكس الجغرافية والسياسة والتاريخ ومعطيات الواقع ، وأن من الأفضل لهم أن يحاولوا العودة للاستفادة منس أجواء أفغانستان في أيام طالبان لمتابعة التأسيس والإعداد على مهل. كما أوصلت له وجهة نظري بأن معطيات لبنان السياسية والسكانية والإقليمية لا تسمح بأفكاره التي بدت لي غير موضوعية، ونصحته أن يحاول تطوير مشروعه الجهادي إلى فكرة إقليمية أوسع تأخذ بعين الاعتبار ما وصلت إليه الموجهة العالمية بين المسلمين والنظام العالمي الجديد، ولكنه – رحمه الله - بدا مصرا ومقتنعا ببرنامجه، وأرسل لي باختصار قوله: لقد جربتم في سوريا.. وجرب إخواننا في مصر وليبيا والجزائر .. ودعونا نجرب في لبنان..

- وبعد مدة قصيرة يبدو أن كثافة حركة أنصاره الذين ازدادوا من أحاد إلى عشرات، رفع ثقتهم بأنفسهم ودفعهم للتحرك بشيء من العلنية، حيث روى بعض أهالي المنطقة بأنهم كانوا يعرفون بتواجدهم في الجبال ، وأن بعضهم كان يتحرك بشكل شبه مكشوف .. فما لبث الجيش اللبناني أن طوق المنطقة وحصلت معارك إستمرت لعدة أيام .. قيل أن بعض وحدات الجيش السوري قد شارك فيها . وأسفرت عن استشهاد نحو خمسين من الإخوة .. بينهم أبو عائشة رحمه الله وبعض البارزين من إخوانه من قدماء الأفغان العرب واعتقل بعض من كان له علاقة معهم من مختلف المناطق اللبنانية بحسب ما بلغني عن بعض الإخوة ووسائل الإعلام فرج الله عنهم...ورحم الله الشهداء الأبرار

أبرز التجارب الجهادية المعاصرة في وسط آسيا:

12- التجربة الجهادية في طاجيكستان (1992-2000):

- مع انتصارات الجهاد ضد السوفيت في أفغانستان، انتعشت آمال المسلمين في وسط آسيا للتخلص من نير الإحتلال الر وسي الذي بغى عليهم ومنعهم حتى من دينهم. وقد لعبت الأقلية الفرسوانية أو الطاجيكية كما يسمونها في شمال أفغانستان خلال مواجهتها للسوفيت دورا في إيصال بذور الثورة و شعلة الجهاد إلى ما راء نهر جيحون كما سعت عدد من الأحزاب الجهادية الأفغانية وعلى رأسها حزب الجمعية الإسلامية، والحزب الإسلامي الذي تزعمه حكمتيار إلى العمل على ذلك بإرسال نسح من القرآن الكريم، والكتب الدينية المترجمة، إلى الخلايا السرية من بذور الحركة الإسلامية في طاجيكستان ليحرضوهم على الجهاد.

- ومع انهيار الإتحاد السوفيتي، كان الحلم الكبير لدى المخلصين من المجاهدين الأفغان والأفغان العرب هو عبور نهر جيحون لك يواصلوا الجهاد ضد موسكو، وهذا ما فعله البعض إثر انسحاب الجيش الأحمر الذي لعب بعض قادة الأحزاب الأفغانية ولاسيما رباني ومسعود دورا مخزيا في حفظ سلامته أثناء الانسحاب، بعد ما أذاق الأفغان ويلات القتل والدمار الكامل لبلادهم. ولكن عددا من المجاهدين العرب والأفغان و الطاجيك.. عبروا النهر ليكونوا طلائع تجربة جهادية زاخرة إستمرت منذ مطلع التسعينات وإلى نهاية القرن العشرين. ولا أمتلك عن تلك التجربة كبير تفاصيل إلا ما اطلعت عليه من بعض المهتمين بها..

- وخلاصة ذلك أن المجاهدين استطاعوا أن يحرروا مناطق شاسعة من طاجيكستان امتدت من حدودها مع أفغانستان إلى حدودها مع أوزبكستان .. وتمكنوا أواخر التسعينات من تهديد العاصمة دوشنبيه ذاتها، حيث تهدد النظام الشيوعي المدعوم من روسيا فعليا بالسقوط، وبحسب شهادة أولئك المجاهدين من العاملين في تلك القضية، فقد تدخلت الإستخبارات الروسية (KGB) في اللحظات الأخيرة وأقنعت القائد الأفغاني الشهير مسعود ورئيس الرباني الغدر بالقواعد الخلفية لأولئك المجاهدين في شمال أفغانستان وأجبرتهم على الانسحاب عن العاصمة حيث استرد النظام أنفاسه .. وجاءت الطعنة التالية من الحركة الإسلامية الطاجيكية ذاتها وزعيمها الأستاذ (نوري) الذي التقى(يلتسن) في موسكو وصورته عدسات التلفزيون وهو يصافحه بحرارة. وجري الإتفاق بإشراف موسكو بين الحكومة الطاجيكية وحركة النهضة الإسلامية بزعامة نوري على تسوية يستلم بموجبها حزب النهضة بعض الوزارات ومقاعد البرلمان.. وهكذا جمد حزب النهضة جناحه العسكري الذي كان يشارك في حصار العاصمة. وأوجد هذا شرخا في صف الحركة الجهادية المكونة من

الطاجيك و الأوزبك بالإضافة لبعض المجاهدين من وسط آسيا. الذي كان يتزعمهم المجاهد الكبير جمعة باي الأوزبكي.. الذي انسب إلى الجبال بمن معه وواصل القتال .. إلى أن اضطر إلى توقع تسوية تضمن له الانسحاب إلى أفغانستان واللجوء إلى نظام طالبان بأسلحته ومن بقي من جنوده.. وهذا ما تم سنة (2000) حيث حضر إلى أفغانستان وانضم إلى مجاهدي الأوزبك وحركتهم التي أسسوها سنة (1998) وأسموها (الحزب الإسلامي لأوزبكستان)، بزعامة محمد طاهر جان. ليسدل الستار على حركة جهادية نوعية تبقى كتابة تفاصيلها أمانة في عنق من عايشوها عن قرب تلك الفترة ..

13- التجربة الجهادية في أوزبكستان (1998-2001) :

تعتبر أوزبكستان القلب النابض للإسلام في آسيا الوسطى.. وقد استطاع المسلمون فيها أن يحافظوا على دينهم ودين آبائهم عن طريق نظام الحجرات السرية التي كانت تدرس الإسلام خفية، حيث تخرج منه آلاف الحفاظ وطلاب العلم من أوزبكستان وما جاورها من دول الجمهوريات السوفيتية. و يجاوز عدد سكان أوزبكستان (25) مليون نسمة. وفيها أكبر الحاضرات الإسلامية التاريخية مثل بخارى و طشقند و سمرقند و ترمذ.

- بقيت الصحوة الإسلامية فيها حركة سرية إلى أن انهار الإتحاد السوفيتي، وحصل ماسمى بعهد الانفتاح، ولبس الشيوعيون فيها لباس الديمقراطية كما زعم رئيسها كريموف عضو الحزب الشيوعي السابق الذي صار رئيسا للبلاد ولحزب ديمقراطي فيها، مستبدلا الولاء للأمريكان بالولاء للروس..

- وقد قمع كريموف الصحوة الإسلامية التي شبت منذ (1990) ودخل في صراع معها، مما أدى لهجرة الآلاف إلى دول الجوار. وبعد سنة (1995) يمم عدد من الشباب المهاجر المجاهد وجهه شطر الشيشان حيث كان الأخ المجاهد الشهيد ابن الخطاب يعد لمشروع طويل الأمد لإزكاء شعلة الجهاد في القفقاس وسط آسيا والجمهوريات السوفيتية. في حين نزلت مجموعة كبيرة منهم إلى أفغانستان في عهد طالبان، و التحق آخرون بالمجاهدين الطاجيك وقائدهم الأوزبكي جمعة باي رحمه الله .. في حين استخفت مجموعات أخرى داخل أوزبكستان تجهز لانتفاضة جهادية..

- تزعم المجموعة التي نزلت إلى جوار طالبان أحد الدعاة الشباب من جماعة التبليغ وكان متحمسا لمشروع جهادي واسع للانتفاضة على نظام كريموف وكان قد لمع نجمه نتيجة تصديه للرئيس كريموف أثناء احتفال خطابي حاشد. ثم فر إلى أفغانستان، وبايع أمير المؤمنين ملا محمد عمر الذي تبنى مشروعهم واعتبره ظهيرا هاما في الشمال أفغاني حيث تقطن جالية أوزبكية وتركمانية كبيرة يبلغ تعدادها نحو (5) ملايين نسمة ..

- وبالتعاون مع بعض الأفغان العرب الذين تحمسوا للمشروع الجهادي الأوزبكي، وبدعم سخي من طالبان .. نمى مشروع الأوزبك بزعامة محمد طاهر جان بسرعة، حيث تجمع تحت قيادته مئات المقاتلين الأشداء الشباب الذين تخرجوا بداية على يد بعض المدربين من الأفغان العرب ثم طوروا إمكانياتهم وصاروا من أكثر المجموعات الداعمة لطالبان تدريبا وتسليحا.

- انضم جمعة باي بعد خروجه من طاجيكستان إلى محمد طاهر جان وبايعه على الجهاد في أوزبكستان وصار نائبه و مسؤوله العسكري وذراعه الأيمن، وعاد بعد ذلك لتنظيم تواجد المجاهدين الأوزبك على حدود أوزبكستان ودخل طاجيكستان ثانية، ولكن محاولته كشفت، كاد يقتل مع جميع من معه على يد جيش قيرغيزستان ولكنهم استطاعوا أن يخطفوا مجموعة من الخبراء اليابانيين والأجانب وأدت المفاوضات إلى أن يتحصلوا على فدية بنحو (5) ملايين دولار ويعودوا أدراجهم إلى أفغانستان!! مما رفع أسهم الحركة عند طالبان .

- وفي أواخر (1999) نزل عدد من المجاهدين الأوزبك من الشيشان وبالتعاون مع مجموعات سرية هناك قاموا بعدة عمليات تفجير استهدفت منشآت حكومية في أوزبكستان. وردت الحكومة على ذلك بحملة من الاعتقالات فر على أثرها مزيد من الجهاديين والأسر المهاجرة إلى أفغانستان. وقبض على عدد من الجهاديين الأوزبك في عدد من دول وسط آسيا وتركيا .. وسلموا إلى أوزبكستان وحكم على بعضهم بالسجن وعلى بعضهم بالإعدام. وتوافد من نجا منهم إلى أفغانستان، وتجمع أولئك الكوادر حول طاهر جان حيث شكلوا محكما ومنظما وحسن التجهيز. وأطلقوا على حركتهم اسم (الحزب الإسلامي لأوزبكستان).

- ونظرا لضخامة الجالية الأوزبكية المهاجرة منذ أيام الإحتلال السوفيتي في عدد من الدول كتركيا ودول وسط آسيا وأوربا وباكستان وبعض البلاد العربية ولاسيما السعودية. حيث استطاع العديد منهم أن يحترفوا التجارة ويتولوا المناصب بعد أن حصل أجدادهم على الجنسية السعودية منذ أيام الملك فيصل. وقد أدت تلك الجاليات دعما ماديا وبشريا وقدرة على الاتصالات والعلاقات العامة لتلك الجماعة الناشئة التي جهزت عدة مئات من المقاتلين المدربين.

- أواسط سنة(2001) قرار أمير المؤمنين ملا محمد عمر بناء على مشروع دراسة كنت قد قدمته له من أجل تشكيل لواء من جميع المجاهدين العرب والمسلمين من غير الأفغان (من الباكستان والعرب ومجاهدي وسط آسيا).. ووقع اختياره على (جمعه باي) المسؤول العسكري للأوزبك لرئاسة وإدارة ذلك المشروع الذي أطلقوا عليه أسم اللواء (21) وربطوه بالقيادة العسكرية لجيش الطالبان (قول أوردو). وبطبيعة الحال استعان جمعه باي بإدارته العسكرية الأوزبكية لإدارة ذلك اللواء مع نخبة من القيادات من العرب و الباكستان و التركستان.

- وقويت مكانة الأوزبك جدا لدى طالبان، ووضع محمد طاهر جان مشروعا طموحا لتكوين جيل من الدعاة وطلاب العلم الأوزبك لتتحرك ضمن الجالية الأوزبكية والتركمانية الأفغانية الضخمة العدد في شمال غرب أفغانستان. وكان البرامج يهدف لإعداد مئات الدعاة خلال سنتين كي يتولوا الدعوة ثم يشكلوا ميلشيات أوزبكية مجاهدة هدفها القتال إلى جانب طالبان ومن ثم الإعداد للجهاد في بلاد ما وراء النهر. وهو حلم الأفغان الكبير منذ رحيل الجيش الأحمر عن أفغانستان عبر نهر جيحون إلى داخل الإتحاد السوفيتي.

- وقد علق أمير المؤمنين على ذلك المشروع آمالا كبيرة ودعمه بكل ما أوتي من إمكانيات. وهكذا، ومع بداية موسم القتال صيف (2001). كلف أمير المؤمنين اللواء (21) بقيادة (جمعة باي) بمهام قتالية في شمال أفغانستان في ولاية قندوز و تخار. وفيما كان اللواء المشترك الذي زاد عدد مقاتليه على ثلاثة آلاف من المجاهدين الباكستان و الأوزبك والعرب و التركستان يستعد لأخذ مواقعه والتحرك لميدان المعركة، جاءت أحداث سبتمبر وابتدأ الهجوم الأمريكي على أفغانستان. وقدر الله أن تسقط قذيفة طيران في منطقة قرب مزار شريف على نقطة تجمع للمجاهدين من ذلك اللواء ليستشهد جمعة باي مع (12) من قادة اللواء من أبرز قياداته من العرب و الأوزبك قبل سقوط مزار شريف.

- وتتابعت الكوارث. فبعد سقوط مزار شريف وعملية الخيانة في قندز والغدر بمجموعة من المجاهدين العرب الأوزبك في قلعة مزار شريف في الحادثة المشهورة .. قتل مئات من المجاهدين الأوزبك في الشمال وسقط آخرون في معارك الدفاع عن الإمارة في خط كابل ثم في معركة شاهي كوت الشهيرة قرب مدينة (زرمت) في بكتيا حيث قتل مئات الأمريكان في العملية التي أطلق عليها اسم (أنا كوندا). ثم تشرد الباقون إلى باكستان حيث قتل العديد منهم في الحملات المشتركة للجيش الباكستاني و القوات الأمريكية وأسر آخرون. وتوزع آخرون في مرحلة جديدة من الشتات في مرحلة أخدود ما بعد سبتمبر الذي ما زال يتقلب فيه من تبقى من التيار الجهادي إلى أن يأذن الله بالفرج. وهكذا طويت صفحة جهادية من أكثر الصفحات إشراقا وأملا في إحياء الجهاد في بلاد ما وراء النهر حيث بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بخروج الرايات السود من هناك لتحمل رايات المهدي ليملأ الأرض قسطا وعدلا بعد أن ملئت جورا وظلما كما تسير الأحداث باتجاه ذلك هذه الأيام.

- ولقد واكبت شخصيا تجربة الأوزبك في عهد الطالبان من بواكيرها . وربطني بهم صداقة وإخوة وعلاقات عمل. وقد شاركت في برنامج إعداد بعض الكوادر لمشروعهم الكبير وكنت أتردد على مركزهم لإلقاء بعض المحاضرات .. وحضر بيتي عدد من إدارتهم لحضور سلسلة من الدروس

التأهيلية. وقد مكنني ذلك من الإطلاع على جوانب مشروعهم الكبير المبشر كما مكنني من التعرف على صنف من خيرة المجاهدين عبادة وصفاء وأحسنهم خلقا وأكثرهم إنضباطا وطاعة، وأشدهم بأسا وثباتا. فرحم الله شهداءهم وفك أسراهم وحفظ المشردين منهم ومنح المجاهدين في أوزبكستان فرصة لحمل رايات الجهاد الظافرة إنه على ما يشاء قدير..

14. التجربة الجهادية مجاهدي الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية:

بعد قيام حركة طالبان بإعلان لإمارة الإسلامية بقليل، حضر أفغانستان عدد من الشباب التركستاني المسلم الذين كانوا قد فروا من الحكم الصيني الذي يحتل بلاد تركستان الشرقية ويطارد الشباب الملتزم مستمرا في محاولات الصين هوية ذلك الشعب اليوغوري المسلم..

ومثلهم مثل غيرهم من التجمعات المهاجرة والمجاهدة التي نزلت في جوار طالبان بدأوا يتجمعون حيث برز على رأسهم أميرهم الأخ الشهيد أبو محمد التركستاني (حسن معصوم) رحمه الله - الذي كان قد خرج مطاردا من الصين بعد أن سجن هناك خمس أعوام .

وبعد أن بايع الشيخ أبو محمد التركستاني أمير المؤمنين ملا محمد عمر. لاقت هذه المجموعة دعما و احتراما منه .. ولكنه أمرهم بالتؤدة في حركتهم ، والاستخفاء قدر الإمكان لأن الصين كانت على أبواب بداية علاقات توازن مع طالبان تدرس تنفيذ عدد من المشاريع فيها وذلك يحدث توازنا في الصراع على المصالح في أفغانستان ووسط آسيا بين الصين والولايات المتحدة وقد أوشكت الصين على إعادة فتح سفارتها في كابل في عهد طالبان ونمت تلك المجموعة بسرعة لكون عدد من المهاجرين التركستان الشرقيين المتناثرين في دول وسط آسيا الأخرى وتركيا والسعودية وباكستان ليس بالقليل أيضا

وسرعان ما أعدت المجموعة بالتعاون مع بعض المدربين من الأفغان العرب عدد من الكوادر والمدربين الذين مالبثوا أن أنشأوا لأنفسهم معسكرا مستقلا وشاركوا في القتال بفعالية إلى جانب طالبان..

كان أميرهم أبو محمد رحمه الله شعله من النشاط والإخلاص وحسن الخلق وقد انعكس هذا على النمو السريع لتجمعهم كما كان الشباب التركستاني الشرقي من ألين المجاهدين عريكة وأكثرهم إخلاصا وفدائية وحيا لطلب مختلف أنواع العلوم الشرعية والعسكرية

نزل بعض المجهادين التركستان الذين تخرجوا من معسكرات هذه الحركة التي حملت نفس اسم المجموعة التي قامت بآخر المحاولات وانقرض معظم أعضائها (الحزب الإسلامي لتركستان الشرقية) نزلوا إلى الصين للقيام عمليات الحشد والدعاية الذين لا يستطيعون الخروج نتيجة خطر السفر الذي تفرضه الحكومة الصينية على المسلمين التركستان.

كان مشروع التركستانيين الشرقيين واعدا خاصة في ظل النظام العالمي الجديد .. حيث كان الكونغرس الأمريكي قد تبنى مشروعا لتفكيك الصين سنة(1995) وذلك باستخدام النزعات العرقية الدينية فيها وعلى رأس ذلك التيبت و اليوغور المسلمين في شمال غرب الصين في تركستان التي احتلتها الصين وأطلقت عليها أسم (سيانغ يانغ) وتعني الأرض الجديد .. فكان مشروع الجهاد في الصين هو المشروع الوحيد الذي كان له أمل بأن لا يجد مقاومة من هجمة مكافحة الإرهاب. كما أن مجموعات من اليوغور المسلمين التيارات القومية والليبرالية قد استوطن أمريكا وأوربا وتركيا وبعض البلاد العربية وراح بعضها يخطب ود هذه المجموعة المسلحة الناشئة في أفغانستان ولكن قرب المجاهدين التركستان من الأفغان العرب وبيعتهم لأمير المؤمنين وشهودهم القتال إلى جانب طالبان ووقوع بعضهم في الأسر لدى قوات التحالف كاد يطبعهم بطابع المطاردين من أمريكا. وأنضم قسم من المجاهدين التركستان إلى اللواء (21) للمجاهدين غير الأفغان وأخذوا مواقعهم إلى جانب المجاهدين من الجنسيات الأخرى في الجهاد إلى جانب طالبان وفيما كان مشروع المجاهدين التركستان أيضا يشق طريقه دوت انفجارات سبتمبر وأخذ المجاهدون التركستان مواقعهم إلى جانب إخوانهم من الأفغان وغير الأفغان.

وهكذا أخذ المجاهدون التركستانيون حظهم أيضا من الشهداء والأسرى والمشردين تقبل الله منهم وخرجت بقاياهم لتتابع سيرها في قافلة الفرارين بدينهم من الغرباء على الأرض الباكستانية.

ورغم أن فرصة المغادرة كانت متاحة أمام الشيخ أميرهم أبي محمد التركستاني إلا أنه بقى وفيا لأمير المؤمنين وأفغانستان، وفيا لتركستان مصرا على القرب منها. وبقى في منطقة القبائل في سرحد شمال غرب باكستان وقبل كتابة هذه السطور بشهر وفي شهر نوفمبر..قام الجيش الباكستاني مدعوما بوحدات أمريكية بحملة تمشيط وتفتيش عن المجاهدين العرب والطالبان ومن منعهم معهم واشتبكت إحدى المجموعات المجرمة مع مجموعة من المجاهدين كان منهم أبو محمد وإخوانه .. ليسقط شهيدا غريبا مع مجموعة من حراسه وأقرب إخوانه .. رحمهم الله وتقبلهم وأسكنهم فسيح جناته ..

وقد واكبت شخصيا بداية مشروع التركستان الشرقية منذ بدايته.. وكان أميرهم أبو محمد جارا لي في (خوست) رحمه الله .. وقد دعاني لإلقاء بعض الدروس في مركزهم مرارا.. ولما عزمت على بداية مشروع إنشاء معسكر في كابل استقبلني في (قرغة) في معسكره التابع لمعسكر القائد الطالبان سيف الرحمن منصور. حيث بدأت مشروع معسكري إلى جانبهم قبل أن يتطور معسكرنا (معسكر الغرباء) وينشأ مستقلا إلى جانب معسكرهم .

وقد جمعني ومجموعة معسكر الغرباء بالمجاهدين التركستان أكثر من رابطة .. وحضرنا بعض المشاهد الميدانية إلى جانب طالبان معا . وأتذكرهم اليوم ويعجز قلمي حقيقة ‘ن أدائهم حقهم لما

تحلوا به من كريم الصفات ، و يعتصر اليوم قلبي الألم والحزن على تلك الوجوه المنيرة والقلوب الطاهرة وأعجز أن فيهم حقهم من الوصف فقد كانوا أهلا لكل خير أحسبهم كذلك ولا أزكيهم على الله ..ولله در الشاعر الذي قال يخاطب تراب قبور الشهداء :

ثوى فيك الأحبة يا حبيبُ — وقد يؤذي الثواء وقد يطيبُ

شموس في الظهيرة أطفأتها — يد سكرى وملمها الغروبُ

وجوه مازجت قلبي وغابت — فيك فكيف عن قلبي تغيبُ

أ أُوغل خلفها غسلت بنورٍ — وقلبي بعد تغمره الذنوبُ

فرحم الله من لاقاه شهيدا وتقبلهم في الصالحين .. وحفظ المشردين والباقين منهم ونصرهم وأعانهم على حمل مشاعل النور والإسلام . ليعود الأذان نديا حرا في ربوع (كاشغر) وكافة مدن التركستان . رحمهم الله من نسمات تحمل عطر رايات قتيبة بن مسلم الذي حمل نور الإسلام إلى بلادهم . وأنفاس آلاف الصالحين من التابعين ومن تبعهم بإحسان من الذين حملوا مشعل الإسلام إلى تلك الربوع .

اللهم لا تحرمنا صحبتهم في الجنة .. ولا تحرمنا أجرهم ولا تفتنا بعدهم وارحمنا إذا صرنا إليك مثلهم يارب العالمين .

15- تجربة الشيخ أسامة وتنظيم القاعدة في مواجهة أمريكا منذ (1996):

كما لا يخفي فإن هذا العنوان يستأهل كتابا مستقلا. لكثرة جزئياته وأهمية التاريخية وليس في هذا الفصل العام حول التجارب التيار الجهادي خلال النصف الثاني من القرن العشرين محل ذلك .. ولكنني ولكي يتم الفصل ويشمل أهم تلك التجارب ،لا بد وأن أعرض ولو موجزا إلى هذه التجربة التي اِخُتتِم بها ملف تلك التجارب في القرن العشرين وافتتح ملف الصراع في القرن الحادي والعشرين بشكل غير وجه التاريخ والعالم وغير أبعاد المعركة ومعطياتها وأساليبها. وسأعرض لهذه التجربة من خلال فقرات رئيسية مختصرة والله المستعان وهو يهدي السبيل: ولعل الله ييسر لي أن أسهب في التفاصيل إن قدر الله لي التأريخ لتجربة الشوط الثاني للأفغان العرب مع طالبان (1996-2001).

وقبل أن أبدأ ذلك أشير إلى أني تفكرت كثيرا في مسألة تصنيف تجربة القاعدة ضمن تجارب التيار الجهادي. أو تصنيفها أم ضمن تجارب الظاهرة الجهادية ضد العدوان الخارجي . حتى كدت أميل إلى أنها صنف ثالث من أصناف الظاهرة الجهادية لاختلافها من حيث التكوين والمنهج والأسلوب . وبعد طول التأمل .. رأيت أن أدرجها ضمن تجارب التيار الجهادي لاعتبارات عديدة من أهمها :

- المنهج الذي آل إلى تبنيه وإعلانه الشيخ أسامة بن لادن ومعظم أتباعه في آخر المطاف . وهو منهج يمكن اعتباره مستندا إلى أصول ومبادئ منهج التيار الجهادي.

- والأمر الآخر هو أن أكثر كوادر القاعدة ومؤسسيها ومدربيها ورجالها الأساسيين هم من كوادر التيار الجهادي الذي التحقوا بالقاعدة عضويا ، أو أنها استندت إليهم في تكون عناصرها .

- والأمر الثالث هو أن الشيخ أسامة جعل من مواجهة حكومة آل سعود أحد شطري اتجاهه وأهدافه بالإضافة لمواجهة أمريكا وهذا من توجهات تنظيمات التيار الجهادي في مواجهة الطغاة من حكام بلاد العالم العربي الإسلامي . حيث اعتبرهم مرتدين عن ملة الإسلام ، مستندا في ذلك إلى أصول عقيدة الحاكمية و عقائد السلفية الجهادية .

- والأمر الرابع أن الشيخ أسامة قد استطاع جر التيار الجهادي بكامله إلى الساحة التي اختارها والفكرة التي يراها للمواجهة وهي التحول من مواجه الأنظمة والحكومات إلى مواجهة من يسندها ضمن النظام العالمي الجديد وهي أمريكا وكبار حلفائها ..

- والأمر الأخير هو أن أمريكا قد فرضت علينا ولأهدافها الخاصة عن علم وعمد ..فرضت على كافة التيار الجهادي وكثير من مكونات الظاهرة الجهادية الحاليين مسمى القاعدة وعممته عليهم راضين أم كارهين وجعلته اسما شاملا لكافة مكونات التيار الجهادي وجرتهم لحربها كذلك طوعا أو كرها.

بعد طول تفكر وتشاور و استخارة ..

رأيت أن أحذف هذه الفقرة من الكتاب لثلاثة أسباب ، وهي :

أولا : أن تنظيم القاعدة ما يزال يخوض حربا مفتوحة مع أعداء الإسلام ، بقيادة أمريكا ، كما كل الأفغان العرب والتيار الجهادي وكل مخلص في هذه الأمة .
وربما يظن البعض أن في تناول تجربتها وخصائصها الآن ما يفيد العدو . ورغم أني لا أعتقد ذلك لأن الفقرة دراسية نقدية عامة للإفادة من الدروس والتجارب التي مضت . ولا تحتوي أي معلومات تعتبر أسرارا ، خاصة أن كما كبيرا من أسرى القاعدة هو في قبضة العدو أعاننا الله على تفريج كرباتهم . وأظن في عرضها فائدة للمسلمين والمجاهدين . إلا أن هذا كان أحد الأسباب في حذف الفقرة ، دفعا للخلاف حول هذه النقطة .

****

ثانيا : أن التجربة ما تزال مفتوحة ، وتختلف بهذا عما سبق من التجارب التنظيمية التي تناولتها ، والتي انتهت عمليا . وفي تأخير الكتابة عن تجربة ما تزال مستمرة فائدة دراستها فيما بعد أن الدراسة ستكون أشمل وأعمق .
وأرجو أن نكون قد حققنا النصر الموعود إلى حينها بإذن الله .

****

ثالثا : أن التجربة واسعة وتحتاج كي أوفيها حقها كتابا مفردا ، ربما يسر الله لي إخراجه فيما بعد . خاصة أني أفضل إطلاع بعض كبار الإخوان والشيوخ عليه ، وأخذ توصياتهم بعين الاعتبار قبل نشره . الذي أرجو أن يكون قريبا . وبعد تحقق النصر الشامل إن شاء الله .

****

وأعتذر للقراء التواقين للإطلاع على تجربة فذة لأبطال أماجد ، وأحباب عظم المصاب بفقدهم . سجل معظمهم أسماءهم في سجل الشهداء الخالدين ، كما أرجو وأعتقد إن شاء الله .

ثامناً: خلاصة الأساسيات العقدية و الفكرية للتيار الجهادي (1960-2001):

شكل التيار الجهادي مدرسة مستقلة قائمة بذاتها ضمن مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة، وقد حملت معظم تنظيماته ورجاله قواسم مشتركة من الفكر والعقيدة الجهادية والمنهج السياسي الشرعي . سأورد أهم ملامحها بشكل موجز بصرف النظر عن رأيي الشخصي في بعض التفاصيل والأفكار فهي فقرة للعرض وليست للنقاش، و بصرف النظر كذلك عن بعض الأفكار الثانوية التي حملها بعض الجهاديين ولم تكن سمة مشتركة للتيار وتنظيماته ورجاله الأساسيين. ومن أهم الملامح الفكرية عند الجهاديين:

- **حكم الأنظمة:**

إعتبر الجهاديون جميع الأنظمة القائمة في بلاد العالم العربي والإسلامي أنظمة ردة لكونها تشرع من دون الله وتحكم بغير ما أنزل الله، وتوالي الكافرين من أعداء الإسلام والمسلمين .واعتبروا جميع الحكام في العالم العربي والإسلامي بناءً على ذلك كفاراً مرتدين خارجين عن ملة الإسلام.

كما اعتبروا المؤسسات والسلطات الثلاث - إن وجدت - أو ما يقوم مقامها في الأنظمة الديكتاتورية، مؤسسات كافرة. وهذه السلطات هي: السلطة التشريعية و السلطة التنفيذية و السلطة القضائية. واعتبروا كبار القائمين عليها كفاراً مرتدين .

وتقف حدود التكفير العيني عند الجهاديين عند هذا المستوى حيث يعتبرون ما سوى ذلك من الأعوان و نواب هؤلاء و مساعديهم وموظفيهم أعوانا لا يحكم عليهم بالكفر العيني لعملهم بتلك المؤسسات ويجعلونهم من أهل الأعذار.

وهم في ذلك يلتقون مع فكر الصحوة الإسلامية عامة خلال مرحلة الستينات والسبعينات والثمانينات قبل أن تنحو التنظيمات الإسلامية المنحى الديمقراطي وتضطر للحكم بالإسلام على تلك المؤسسات. ومن الجدير بالذكر أن هذه الحقائق التي جهر به الجهاديون وتحملوا في سبيل ذلك المآسي، كانت هي نفس المعتقدات التي يحملها معظم رجال الصحوة الإسلامية من الإخوان والسلفيين و السروريين ودعاة الصحوة من علماء الجزيرة وغيرهم.

- **حكم الأعوان:**

اعتبر الجهاديون من قاتل دفاعاً عن تلك الأنظمة ، وحارب الإسلاميين و الجهاديين كأفراد الجيش والشرطة وقوى الأمن.. طائفة ردة عامة تقاتل على أساس راية الردة العامة لإمامهم

وقائدهم الذي يأتمرون بأمره و يدافعون عنه. بحيث لا يحكم الجهاديون بالكفر العيني لآحاد هؤلاء إلا حال صدر ناقض عن نواقض الإيمان.

- ## مسألة التكفير:

عقيدة أهل السنة والجماعة ويعتبرون كل من شهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله مسلماً ما لم يأت بناقض صريح من نواقض الإسلام. ويأخذون بشروط تكفير المتعين من تحقق الشروط وانتفاء الموانع. من الجهل والإكراه والتأويل وانتفاء القصد. وبهذا يفترقون عن جماعات التكفير والشواذ من بعض من الحق بالجهاديين.

- ## علماء السلطان:

يعتبر الجهاديون كل من وقف من علماء المسلمين إلى جانب تلك الحكومات مدافعاً عنها مسبغاً عليا صفة الإسلام معتبراً من خرج عليهم من رجال وحركات الصحوة ولاسيما الجهاديين من الخوارج.. يعتبرونه من المنافقين . وقد دخل الجهاديون معهم في مساجلات طويلة ، و الجهاديون قسمان في تحديد مستوى نفاق علماء السلطان فمنهم وهم الجمهور يذهب إلى إثبات الإسلام لهم واعتبار نفاقهم في حدود نفاق العمل. ويذهب البعض منهم إلى اعتبار بعض أولئك العلماء كفار مرتدين مثل حكامهم ،لأنهم يعتبرون أولئك العلماء لا عذر لهم بالجهل ولا التأويل ولا بالإكراه لأنهم يسعون برضاهم إلى ذلك النفاق ، الذي وصل إلى حد تأييد غزو بلاد المسلمين ، وإجازة الصلح مع اليهود و بيع أقدس المقدسات المسلمين. و إلى حد الإفتاء ويقتل من خرج بالسلاح على أولئك الحكام ومن ولاءهم من الغزاة الصليبيين . .

- ## مسألة الديمقراطية :

يعتبر الجهاديون الديمقراطية ،فلسفة و نظاماً كفرياً يتناقض مع دين الإسلام جملة وتفصيلاً . ويذهب بعضهم إلى اعتبارها ديناً عصرياً مثله مثل كل أديان الكفر القديمة والحديثة. ويعتبر جمهور الجهاديين الديمقراطيين من الإسلاميين بدخولهم البرلمان والمشاركة في السلطة التشريعية أو الوزرات والحكومات وهي السلطات التنفيذية . يعتبرونهم متلبسين بعمل من أعمال الكفر. ولكنهم لا يحكمون عليهم بالكفر العيني ، ويعتبرونهم معذورين بالتأويل أو حتى بالجهل أحياناً بطبيعة كفر تلك المؤسسات، بسبب حالة استضعاف الصحوة والمسلمين ، ونيتهم في تحقيق ما يمكن من العدل والتعاون على البر والإحسان. ويذهب القليل من الجهاديين إلى تكفير هؤلاء البرلمانيين والوزراء من الإسلاميين بحكم واقع انتمائهم لتلك المؤسسات . ولا يعتبرون جهلهم وارداً وهم علماء أو دعاة ولا تأويلهم مستساغا بعد قيام الحجة وكثرة الحوار.

- **مسألة الشيعة والفرق من غير أهل السنة:**

يعتبر الجهاديون كافة تلك الفرق من ضمن الأمة الإسلامية أو ما يسمي بأهل القبلة . ويعتبرونها من الفرق التي جاء ذكرها في الحديث الشريف بافتراق الأمة على 73 فرقة واحدة ناجية هم أهل السنة والجماعة و الباقون في النار. فيعتبرونهم من فرق الضلال و الزيغ والهوى والانحراف . وكما هو الموقف العام عند أهل السنة يصنفونهم ثلاثة أقسام:

الشيعة الغلاة: مثل الإسماعيلية و النصيرية وأشباهها ويعتبرونهم كفاراً.

الشيعة الزيدية : مثل أكثرية شيعة اليمن. ويعتبرونهم قريبين من أهل السنة على خلاف معهم . **الشيعة الجعفرية (الإمامية):** وهم من مثل غالب شيعة إيران ، والأقليات في لبنان وباكستان وأفغانستان ومنطقة الشرق الأوسط ..

وغالب الجهاديين على اعتبارهم ضلالاً من أهل البدع . في حين ذهبت أقلية من الجهاديين إلى عدم إعطاء هذه المسألة أهمية لأسباب سياسية . في حين ذهب بعض الجهاديين إلى التصريح بكفر الشيعة. إلا أن الجمهور من الجهاديين على اعتبارهم مسلمين من أهل القبلة ضلالاً مبتدعة..

وقد تداخلت المسائل السياسية بالعقدية في هذه المسألة لدى الصحوة الإسلامية السنية عموماً ومنها الجهادية وليس هنا محل بسط ذلك.

- **مسألة السلفية والمذهبية:**

غلب على الجهاديين منذ أواخر الثمانينات المذهب السلفي نتيجة ما أسلفت شرحه . وجمهورهم وسط في مسألة المذهبية يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وعلمائها. وهم وسط في التقليد فلا يتعصبون لمذهب ، ولا يلتزمون به ، ولا ينتقصون من أقدار الأئمة ولا من القيمة العلمية لتراث المذاهب. وقد أثر التيار السلفي المتطرف في ظهور بعض (غلاة جهلة الجهاديين) من المتأخرين ممن ذهبوا مذهب محاربة التقليد والمذاهب لحد الشطط ولكنهم في الجهاديين قلة.

- **مسألة الصوفية:**

تأثر جمهور الجهاديين بمنهج ابن تيمية والمدرسة السلفية في محاربة المدارس الصوفية المنحرفة ، واعتبارها من مناهج البدع والضلال ، وتشدد البعض في هذه المسألة ، في حين اعتدلت الأقلية منهم في تناول مدرسة التصوف والمتصوفين.

- **الموقف من مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية :**

جمهور القدماء من الجهاديين على احترام مدارس الصحوة وقياداتها والالتزام بأدب الخلاف معهم رغم سعة الهوة في الفكر والتطبيق. و جمهور المتأخرين من الجهاديين على حالة عداء وخصومة وتناحر معهم ، نتيجة حالات القهر والخذلان كما سبق لإشارة لذلك.

- **مسألة العلمانية:**

كافة الجهاديين على تكفير المذاهب العلمانية واعتبارها من مذاهب الإلحاد كما هو حال معظم قيادات وعلماء و جماعات الصحوة الإسلامية ، قبل الموجة الأمريكية الأخيرة وموضة الاعتدال المصطنع . ولكن جمهور الجهاديين على اعتبار أتباع الفكر العلماني من عامة المسلمين معذورين بجهلهم في حين يكفرون قيادات التيارات العلمانية في العالم العربي الإسلامي ويعتبرونهم من أئمة الكفر الطاعنين في دين الله..

- **مسألة القومية العربية:**

كافة الجهاديين على اعتبار دعوى القومية والتعصب لها، من دعاوى الجاهلية ، و الجهاديون أمميون ، يدعون إلى وحدة المسلمين ونظامهم الشامل. وبالتالي يذهب الكثير منهم إلى رفض مناهج الأحزاب القومية ، لاسيما وأن كلها أو جلها يضم فكرة العلمانية إلى القومية . ويعتبر الجهاديون الدعوات القومية من أسباب تمزيق الأمة.

- **مسألة الوطنية:**

كما في مسألة القومية ينبذ الجهاديون فكرة القطرية والوطنية والعمل في إطار التعصب للوطن ولاسيما أنها مزجت بالقومية والعلمانية ، ولذلك فهم يعادون دعاتها ويعتبرونها من مذاهب الكفر والضلال.

وفي النقطتين السابقين شيء من التناقض في واقع الجهاديين إذ أن غالب تنظيماتهم عملت على أساس قطري محلي و أتسمت في بعض الأحيان بالغلو في ذلك. رغم أن الفكر لديهم يقوم على أممية الإسلام ودعوة الجهاد.

- **القضية الفلسطينية:**

يؤمن كافة الجهاديين ، بل وعموم الصحوة الإسلامية بأن فلسطين جزء من العالم الإسلامي من النهر إلى البحر ومن الشمال للجنوب.. وأنها حق وواجب في عنق أجيال الأمة . وأن الجهاد فرض لاسترجاعها . وبهذا فهم يرفضون كافة مبادئ الصلح والتطبيع والسلام مع اليهود، ويعتبرون أن جمهور الإسرائيليين باستثناء عدة آلاف من اليهود الأصليين وأحفادهم. غرباء غزاة يجب أن يرحلوا.. و يعتبرون السلطة الفلسطينية برئاسة ياسر عرفات مثلها مثل باقي الحكومات المرتدة في العالم العربي والإسلامي. ولنفس الأسباب بالإضافة للخيانة .

- **مسألة الأقليات الدينية في العالم العربي والإسلامي:**

يعتبر الجهاديون أن هذه الأقليات وغالبها من النصارى يجب أن تعامل في حال قيام الدولة الإسلامية على أسس أحكام أهل الذمة وما جاء منها في كتب الفقه لدى أهل السنة. ولا يعتبرون منهج المواطنة أساساً للتعامل معهم ولا مع من في حكمهم.

- **مسالة المواجهة مع أمريكا والصراع مع الغرب:**

لم تكن جميع التنظيمات الجهادية ،منذ نشأتها في الستينيات وإلى تاريخ بدء حملتها العسكرية على أفغانستان في نوفمبر 2001 قد طرحت أو تبنت مسألة المواجهة العسكرية مع الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت كلها بلا استثناء تقريبا منصرفة لأهدافها الخاصة في مواجهة حكومات بلادها.

ورغم أن معظم أدبيات الجهاديين قد أولت مسألة المواجهة معها حيزا في كتاباتها ، ولاسيما بعد حرب الخليج (عاصفة الصحراء وإطلاق النظام العالمي الجديد ، وبدء الحملة الدولية الأمريكية على الإرهاب. وكذلك بسبب دعم أمريكا للأنظمة التي تقمع الإسلاميين و الجهاديين ، إلا أن ذلك لم يعدوا الأدبيات إلى حيز التوجه الحركي.

ولقد حاول الشيخ أسامة بن لادن كثيرا، خلال الشوط الثاني للأفغان العرب، إقناع الجهاديين بالتحول في العمل تجاه أمريكا (رأس الأفعى) كما كان يصفها، ولكن دون جدوى. فقد سيطر عليهم منهجيا فكرة الصراع مع المرتدين الذين يمثلون العدو الأقرب والأخطر والذي يقف حائلا دون أي جهاد مع الأعداء الخارجيين.كما سيطرت عليهم فكرة الجهاد لإقامة الحكم الإسلامي كمفتاح لحل كل الأزمات.

ولكن أحداث سبتمبر وتداعياتها على الأرض ووصم الأمريكان للتيار الجهادي برمته ووضعه تحت مسمى القاعدة. ومطاردة الجهاديين من كل الأجناس في سياق ما أسمته الحرب على الإرهاب ، وتدمير معظم البنية التحتية للتيار الجهادي ، وما كان من احتلال العراق بعد ذلك ..منذ2001 وإلى اليوم ، وتتالي تداعيات الإنتفاضة ، وإعلان بوش للحملات الصليبية ...إلخ. جعل التوجه العملي الأوحد للجهاديين هو مواجهة أمريكا وحلفاءها الغربيين.

وهكذا نجحت أمريكا في حمل الجهاديين على الإتجاه الصحيح خلال وقت وجيز لينحصر اتجاه جميع أجنحته وبقاياه وبراعمه الناشئة في هذا الإتجاه.

﴿ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ (الأنفال:30) .

تاسعاً: التيار الجهادي وقعر الأزمة في نهايات القرن العشرين 1995- 2000م

كانت الصحوة الجهادية قد خاضت مواجهات حقيقية وواسعة مع بعض الحكومات خلال السبعينيات والثمانينيات حيث تكبدت فيها ضحايا كثيرة واتسعت فيها قاعدتها الشعبية ودخلت في مطاردات أمنية ذات طابع استخباراتي ... وكانت البوابة الأفغانية التي فتحت للجهاد منذ سنة (1984) أمام الصحوة الإسلامية عموما و الجهادية خصوصا قد أغرت معظم قياداتها للذهاب إلى أفغانستان حيث خاضت تجربة فريدة خلال (1984-1992) وقد أسفرت العاصفة الأمنية التي نظمتها أمريكا ونفذتها باكستان وتابعتها الدول العربية والأوربية بعيد سقوط الإتحاد السوفييتي وانتهاء حاجة أمريكا للظهير الإسلامي في مواجهة الروس ... فانتشر معظم كوادر الجهاديين و المطلوبين أمنيا في بلادهم نتيجة مصادماتهم مع حكوماتهم في مجالات اللجوء السياسي التي فتحت في أوربا الغربية وما شابهها مثل كندا واستراليا وغير..أو في بلدان عربية أخرى لا تطالهم فيها أيدي حكوماتهم لعدم قيام علاقات تعاون أمني آنذاك بين تلك البلدان... ولكن الإدارات الأمريكية المتوالية بعد حرب الخليج الثانية (عاصفة الصحراء) وضعت خطة متكاملة لمواجهة التيار الجهادي اصطلح عليها بالمواجهة الدولية لمكافحة الإرهاب والتي أوصلها بوش الابن لتكون حربا عالمية حقيقية فيما بعد سبتمبر كما سنرى إنشاء الله...

وهكذا تتابعت المؤتمرات الأمنية الإقليمية والدولية خلال ذلك العقد بمعدل لا يقل عن مؤتمر أو أكثر كل ستة أشهر فقد تطرق مؤتمر مدريد للسلام بين العرب واليهود من أجل التطبيع 1991 لمسألة الإرهاب وتفرغ مؤتمر شرم الشيخ 1994 لذلك.. وتتابعت من بعد ذلك عشرات المؤتمرات العالمية إلى الآن وقد حضرت الولايات المتحدة الأمريكية كل هذه المؤتمرات بما فيها الخاصة بدول المتوسط (!) وكذلك إسرائيل ومعظم الدول العربية.. وتتابعت مؤتمرات وزراء الداخلية العرب في تونس ولعبت السعودية ووزيرها نايف بن عبد العزيز المتحمس بشراسة لمكافحة الإرهاب دورا بارزا ... ويمكن اختصار برنامج مكافحة الإرهاب العالمي خلال هذا العقد بالنقاط التالية:

الخطوط العريضة للبرامج العالمية لمكافحة الارهاب 1990-:2000

1- تجفيف المنابع المالية:

وقد تضمنت هذه الخطة فرض رقابة صارمة على الموارد المالية للحركات الجهادية والأصولية التي تصفها أمريكا وأذيالها من حكام المسلمين بأنها (إرهابية). واتخذت قرارات و إجراآت لمراجعة الأرصدة في البنوك ومراقبة الحوالات البنكية ومصارف الزكاة وأعمال اللجان الخيرية والمؤسسات الإنسانية الإسلامية واتخذت قرارات في مصادرة أموال ومراقبة حسابات وتجميد أرصدة ... أدخلت معظم الحركات الجهادية في حالة من الضائقة الشديدة وقلصت مواردها لحد كبير...

2- استهداف القيادات والكوادر الجهادية بالقتل والأسر:

فقد افتتحت أمريكا هذه السياسة باغتيال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله باستخدام استخبارات (بنزير/ بوتو) ووزير داخليتها (بابر). وكان قد سبقه قبل قليل حادثة وفاة الشيخ (تميم العدناني) في أمريكا في ظروف غامضة.. ثم اغتيل واختطف عدد من قيادات الجهاد المصري والجماعة الإسلامية من بعض الدول. ثم اغتيل أنور شعبان أمير المجاهدين العرب في البوسنة واختطف أمير الجماعة الإسلامية (طلعت فؤاد قاسم) من كرواتيا وكان لاجئا في الدانمرك ونقلته مروحية أمريكية إلى سفينة في المتوسط حيث اختطف إلى مصر ثم اعتقل الدكتور عمر عبد الرحمن في أمريكا ولفقت له تهم مضحكة ليحكم بالسجن أكثر من 200 سنة وطالت الحملة كوادر جهادية في فرنسا وإيطاليا وبريطانيا وسواها وطال السجن حتى علماء ورموز تؤدي دعوتهم إلى إحياء الجهاد بصورة غير مباشرة في الدول العربية فاعتقل علي بالحاج في الجزائر واعتقل الشيخ (سفر الحوالي) والشيخ (سلمان العودة) ونحو عشرة آخرين من كبار علماء الصحوة في السعودية واختُطف جهاديون من دول متعددة من اذربيجان و تايلند والفلبين وبعض الدول العربية وباكستان و أُودعوا السجون أو لفهم المصير الغامض.وبدا أن الأمر يسير نحو عاصفة أمنية حقيقية.

3- اتفاقيات التسليم وتبادل الإرهابيين (الجهاديين) بين الدول المختلفة:

فعلى اعتبار أن الدول العربية ومعظم الإسلامية لا تكن اعتبارا لحقوق إنسان ولا شرعية لقانون. فقد كانت خطة تسليم كل مطلوب أمني إلى بلاده أنجع السبل في تفكيك الجماعات الجهادية واستهلاك كوادرها وعناصرها. وهكذا تبادلت الدول العربية والإسلامية فيما بينها كثيرا من المعتقلين الجهاديين الذين سلموا إلى المصير المجهول في بلادهم. بل ارتكبت بعض الدول الغربية التي تزعم احترام تلك القوانين والحقوق مثل هذه الأعمال وسلم إخوة أبرياء وأسرهم في بعض الأحيان إلى بلادهم.

4- إلغاء الملاذات الآمنة:

كان أول من أعلن هذا الإجراء بهذه الصيغة الرئيس كلينتون سنة 1995... حيث ابتدأت حملة مطاردات أمنية للجهاديين في أوربا ومختلف دول العالم. وكان معظم كوادر الأفغان العرب والتيار الجهادي قد توزعوا في بعض البلاد الأوربية كلاجئين أو استقروا في السودان أو اليمن أو إيران أو تركيا. واستقر بعض الجهاديين من شمال أفريقيا في سوريا والأردن فيما بقي البعض في باكستان والقليل منهم في أفغانستان... فابتدأت حملة الضغط الأمريكية منذ عهد كلينتون تحت هذا العنوان .. فطرد الشيخ أسامة بن لادن و الجهاديين المصريين والليبيين ومعظم الباقين من السودان وسلمت الحكومة السودانية (الإسلامية)! بزعامة البشير والترابي أخوة ليبيين إلى بلدهم ليعدموا ! وطردت اليمن الجهاديين تحت تهديد اعتقال نسائهم وتوسطت قيادات إسلامية وقبلية واتفقوا مع الحكومة اليمنية على طرد الإخوة بنسائهم وأطفالهم. وقبضت سوريا والأردن وتركيا على أخوة جهاديين وسلمتهم لبلادهم وفر الباقون وتولى الأمريكان إخراج المجاهدين العرب من البوسنة ونزع سلاح من بقي منهم بعد أن أراقوا دماءهم في سبيل إخوة العقيدة والدين. وتولت حكومة البوسنة بنفسها اغتيال قياداتهم! وهكذا ضاقت على المجاهدين الأرض بما رحبت. منذ عام (1995) وخلال ما تلاها من أعوام ..

5- نقل مجالات التعاون الأمني من الإقليمي إلى الدولي:

فقد عقدت الاتفاقيات الأمنية الدولية ذات التفاصيل العملية المعقدة ووضع برامج لمتابعة الاتصالات الروتينية وربط أجهزة الإستخبارات على مستوى المعلومات والاتصالات بخطط تعاون عالية الكفاءة.

6-التوسع في تشريعات مكافحة الإرهاب:

فقد قامت الدول الغربية وأمريكا بتعديل الكثير من تشريعاتها وسن قوانين أسوأ من القوانين العرفية المعمول بها في العالم الثالث لتصفية مجلات اللجوء السياسي وحقوق الأجانب وتوسيع قوانين مكافحة الإرهاب حتى شملت في بريطانيا وفرنسا والدول الإسكندنافية حيث أعرق الديمقراطيات الغربية مجالات الكتابة والنقد وخطب الجمعة التحريضية ضد الحكام الديكتاتوريين لتعتبر جرائم!في هوامش ونصوص قانونية غير محددة قابلة للتفسيرات و التأويلات بحسب أهواء أجهزة الاستخبارات والقيادات الصليبية الحاقدة.

7- الحرب الإعلامية من أجل تشويه المجاهدين عزلهم :

منذ انطلقت الحملة الأمنية والعسكرية لمكافحة ما أسموه (الإرهاب). انطلقت معها جنبا إلى جنب حملة إعلامية ودعائية لتشويه الجهاديين ومبادئهم وممارساتهم بإظهارهم على أنهم مجرد قتلة متعطشون للدماء. ومتشددون دينيون لا يحملون رسالة التسامح والحوار ... إلى آخر التهم ... وقد خرجت الحملة الإعلامية بين الجهاديين والتكفير لعزلهم عن جماهيرهم. وقد لعبت المؤسسات الدينية الرسمية المتحالفة مع الحكومات في بلاد العرب والمسلمين أخبث الأوار وزودت هذه الحملة العالمية بأفتك أسلحتها . كما لعب الطفيليون من أوساط الصحوة الإسلامية (الديمقراطية) الذين صاروا خلال ذلك العقد جزءا من الملأ وحاشية السلاطين وبالتالي جزءا من مكونات النظام العالمي الجديد دورا بالغ السوء ... كما سنأتي على شيء من التفصيل في الفصل الخاص بالصحوة الجهادية إنشاء الله.

وهكذا أسفرت هذه الحملة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا عن تحويل قيادات وكوادر وعناصر الحركات الجهادية إلى عناصر تعيش هاجس (الخوف والجوع)... فالمطاردات و الاغتيالات والخطف والأسر وإغلاق الملاذات... أدخلت أفراد الصحوة الجهادية في هواجس الخوف والمطاردة. وتكلفت خطط تجفيف المنابع بقطع أرزاقهم وقوت أسرهم وأطفالهم التي جابت معهم مشارق الأرض ومغاربها مشتته تكتوي بنيران هذا الأخدود المعاصر للمؤمنين.

ثم جعل الله لتلك الثلة من المؤمنين فرجا إلى حين في قيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان فغدت مهجرا تجمع فيها خلاصة التيار الجهادي قيادة وقاعدة خلال الفترة 1996-2001. ولذلك تركز برنامج مكافحة الإرهاب على ضربها وتدميرها وتدمير الأرضية التي آوتها ممثلة بحركة طالبان وأمير المؤمنين (ملا محمد عمر). وهذا ما نفذوه في سبتمبر 2001 لتبدأ المرحلة التالية من مسار الصحوة في عالم ما بعد سبتمبر كما سنرى إنشاء الله.

وقد فاقمت هذه الأوضاع والأزمات الخارجية المحيطة التيار الجهادي بالإضافة لأزماته الداخلية على مستوى التيار عامة والخاصة بكل تجربة بحسبها في قطرها. وبدأت تلك الأزمات تتضح شيأً فشيئاً للجميع بعد أن كان نذرها قد بدت للبعض منذ مطلع التسعينات ومنذ انطلاق النظام العالمي الجديد. ويمكن إيجاز تلك الأزمات بما يلي:

<u>1- الأزمات الأمنية:</u>

فقد أدى انتقال مستوى مكافحة الجماعات الجهادية من المستوى القطري إلى الإقليمي إلى العربي إلى الدولي. أدى إلى حصار تلك التنظيمات وإنزال خسائر فادحة بها وإجهاض معظم أساليب عملها واتصالاتها وتمويلها، فقد كانت معظم قيادات التنظيمات الجهادية العاملة في بلدها إذا ضاق بها الحال أمنياً في بلدها نتيجة عمليات الاعتقال والتعذيب وفشل التنظيمات الهرمية في الصمود

أمام وسائل أجهزة الأمن الوحشية في الاعتقال والتحقيق وإجهاض العصابات محلياً. كانت تخرج إلى دول الجوار مستفيدة من هوامش أجواء الخلاف بين أنظمة الحكم في تلك الدول.. وقد استطاعت كثر منها أن تحصل لنفسها وقياداتها على هامش ملاذ آن بل قواعد حركة ودعم أحياناً. لقضيتها من قبل الدول المجاورة.. وقد ميز هذا مرحلة (1975-1995) فقد لجأت الطليعة المقاتلة في سوريا وكذلك تنظيم الإخوان المسلمين خلال مواجهتهم لنظام حافظ أسد النصيري إلى العراق منذ وقت مبكر ثم لأردن، ولاقت هناك دعماً كبيراً من حكومتي البلدين، وصل إلى حد التدريب والتسليح والدعم المادي وتسهيل العبور على الحدود ، كما غضت تركيا الطرف عنهم كذلك واتخذوا من أراضيها مجالا للحركة والاتصالات.. واستطاع البعض ولو بحدود أقل بكثير الحصول على موطئ قدم لهم في لبنان وإن كان بشكل محدود نتيجة سيطرة سوريا عليها. بل وصل دعم الجهاد في سوريا إلى أن تدعمه مصر في آخر عهد أنور السادات وتقدم خدمات في مجال التدريب كانت ستتطور لو لا مقتل السادات على أيدي الجهاديين سنة 1981.

كما حصلت بالمقابل تنظيمات عراقية معارضة معظمها من الشيعة على مثل ذلك في سوريا..

و استطاع الجهاديون من مصر أن يتحركوا في معظم دول المنطقة بحرية وأن يتخذوها قاعدة اتصالات وتحصيل دعم بدءاً من دول الخليج ومروراً بسوريا والأردن واليمن وغيرها. ولم يجدوا أي مطاردة.

ومثل ذلك تحرك المطاردون من ليبيا في دول الجوار . وتلقى الجهاديون في المغرب دعماً في ليبيا وتحركوا في المنطقة بحرية..، وعبر الجهاديون في الجزائر من المغرب واتخذوها معبراً للسلاح والمقاتلين واستراحات الجرحى والمقاتلين. كما تحرك تنظيم الجهاد المصري من السودان 1990-1997واتخذ له مواطئ قدم في اليمن مع تنظيمات جهادية أخرى..، وتلقى بعض عناصره التدريب في لبنان في معسكرات حزب الله ، واستطاعت قيادات من الجماعة الإسلامية أن تتخذ من إيران ملجأ وملاذاً.. إلى آخر ما هنالك من الأمثلة .

ولم تقتصر تلك الهوامش على الجهاديين والإسلاميين..فقد استفادت معظم المعارضات السياسية في تلك الحقبة من هذه الهوامش ، وكذلك التنظيمات الفلسطينية القومية والوطنية والإسلامية.. ولكن بعد سقوط النظام العالمي القديم وسقوط الإتحاد السوفيتي وحلف وارسوا.. لم يعد هناك محاور صراع وصار السيد الآمر لتلك الأنظمة واحداً وهو أمريكا ، ولم يعد هناك هامش بين سيدين شرقي وغربي ، وتوجهت الأوامر من السيد الجديد والقطب الأوحد لتلك لأنظمة بإغلاق تلك الملاذات . فبدأت تغلق شيئاً فشيئاً ، وتولي كبر التنسيق الأمني العربي الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودية وأنشأ مؤتمر وزراء الداخلية العرب . وجعل مقره تونس، وصار لوزراء حرب الله ورسوله والمؤمنين (وزراء الداخلية) لقاء كل ستة أشهر، وصار لمعا وينهم لقاءات

دائمة وصار لرؤساء استخباراتهم خطوط هواتف حمراء مفتوحة، وارتفع مستوى التنسيق ليصل إلى مستوى ربط (أرشيفات) المعلومات عبر الكومبيوتر ، وصارت مطاردة الجهاديين على المستوى الإقليمي بين بعض الدول . ثم ما لبثت أن تحولت إلى المستوى العربي. فابتعدت القيادات الجهادية والكوادر المطاردة بمراكز عملها إلى المستوى العالمي بعد انهيار الجهاد في أفغانستان.. واتخذت تلك التنظيمات المختلفة أسلوبا مطوراً للعمل عبر الملاذات الآمنة البعيدة ولاسيما من مناطق اللجوء السياسي في الغرب وبعض الدول الأوروبية، حيث كانت قوانين الحريات الشخصية تشكل سياج حماية للناشطين الإسلاميين و الجهاديين.

ولكن الضغوط الأمريكية و مطالبات الحكومات العربية والإسلامية ودخول عموم الدول الأوروبية وغيرها في ركاب الحملة الأمريكية التي تصرفت مثل ما يتصرف (مايسترو) فرقة موسيقية (سيمفونية) كبرى في كفاح الصحوة الإسلامية ، وطليعتها الجهادية جعل تلك الهوامش تلغى واحدة تلو الأخرى وتدخل أجهزة أمن تلك الدول في هجمة المطاردات أيضاً ، مما جعل كثيراً من الرموز يسقطون أسرى ومعتقلين ، وسلم بعضهم لبلادهم وغادر من نجى إلى أفغانستان مع نهايات 1996.

ولم تنته الأزمة الأمنية لأن أفغانستان التي شكلت ملاذاً، صارت مشكلة جديدة أيضاً ، ومنطقة حجر على الحركة والنشاط يسبب سياسة طالبان من نشاطهم كي لا تزداد الضغوط عليهم و أصبحت مكاناً للإقامة الجبرية. حيث يتخطف الناس من حولها عند كل محاولة للحركة، وقل من نجى من تلك المصائد من المطاردين . ولم تقتصر مسألة إلغاء الهوامش في عالم النظام العالمي الجديد على الجهاديين وتنظيماتهم . فقد تعدى ذلك إلى كافة التنظيمات التي تمارس حروب عصابات سرية في مختلف أنحاء العالم. وهكذا سلم (عبد الله أوجلان) زعيم حزب العمال الكردستاني إلى حكومة أنقرة .و أ سدل الستار على حرب عصابات استمرت أكثر من عشرين سنة ضد تركيا ، لأن النظام العالمي أغلق أمامهم ملاذات سوريا والعراق ولبنان.. واضطر زعيمهم للترحل ثم اعتقل بجهود دولية شاركت في حتى (اليونان) ، عدو تركيا.

كما وجد (الجيش الجمهوري الأيرلندي) نفسه مضطراً لتسوية سياسية وإلى اللقاء السلاح.

وتقهقرت عصابات (الباسك) ومنظمة (إيتا) ، بعد أن أغلقت فرنسا الملاذات الضيقة عنها . فطورد قادتها في أوروبا وأمريكا اللاتينية وغيرها.

وهكذا بدأ ذو الخبرة من الجهاديين يكتشفون أن عالم النظام العالمي الجديد الذي بدأ يعد سقوط الإتحاد السوفيتي قد ألغى إمكانية الثورات القطرية والعمل من خلال الهوامش . فقد صار العالم الجديد أحادي القطب سيداً واحداً يفرض على الدول إغلاق الهوامش ، وخاصة في وجه الأصوليين من المتطرفين الإسلاميين أو الإرهابيين كما صار اسمهم في وسائل الإعلام. وأدرك الفاهمون

منهم أن نظرية الحركة التي أقاموا عليها أعمالهم قد تحطمت مع معطيات هذا العالم.. فضلاً عما كانت السنوات العشر هذه قد أثبتت فشل الثورات القطرية التي أديرت من قبل قيادات غير ميدانية تديرها من المهجر، لعدم إمكانية إدارتها ميدانياً نتيجة عمليات البطش والاعتقال والتعذيب التي فعلتها الحكومات بلا حسيب ولا رقيب.

2- الأزمات المالية :

فقدت أدت سياسة تجفيف المنابع التي فرضتها أمريكا ونفذتها كافة دول العالم وعلى رأسها الأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي إلى وقف معظم طرق الإمداد المالي من التبرعات التي كانت شريان الحياة الوحيد لاستمرار عمل تلك التنظيمات. ولاسيما عندما فرضت دول الخليج بناءاً على أوامر أسيادها سياسات الرقابة على طرق الزكاة وأموال الصدقات والتبرعات ، وأعمال الجمعيات الخيرية . وفرضت على البنوك وأنظمة تحويل الأموال رقابة صارمة كما على فعلت مع البنوك العالمية. وطبقت أمريكا والدول الغربية سياسات صارمة لمنع وصول أي أموال إلى التنظيمات الجهادية أو الجمعيات المتهمة بدعم التطرف كما أسموه ، وهكذا حصرت معظم قيادات الجهاديين في أفغانستان. وتركوا وراءهم مئات أو آلاف الأسر من الذين اعتقل معيلوهم ولم يتركوا لهم من يقوم بأمرهم..

كما وجدت الخلايا المتبقية في تلك البلاد نفسها في ضائقة مالية مقطوعة عن قياداتها المشردة ليس فقط تنظيمياً وإداريا وإنما مالياً كذلك ، فشلت عن إمكانية الحركة والنماء..

3: الأزمات التنظيمية الداخلية:

نتيجة الأزمات الأمنية والمالية تحولت معظم القيادات الجهادية إلى قيادات مهاجرة مشردة مقطوعة عن ساحة عملها. وولد هذا أزمات تنظيمية كثيرة.. فقد سبب ذلك شلل في الإدارة وعدم ديناميكية في الحركة . وأدت هذه المشكلة مع المشكلة الأمنية في الداخل والخارج بالإضافة للمشكلة المالية جراء تجفيف المنابع ،إلى توقف معظم التنظيمات الجهادية عن النمو البشري في داخل ساحات عملها. فأصبح عددها محدوداً وصارت تنفق خسائرها البشرية في الداخل والخارج من مخزون محدود ، فسارت نحو الانقراض . كما أدت الظروف الأمنية وحالات الاختفاء لمن تبقى بالداخل وفرار معظم الكوادر والقيادات القادرة على التوجيه ، إلى توقف برامج التربية والتكوين للعناصر المتبقية أو القليلة الملتحقة بتلك التنظيمات . فلا تجنيد عملياً ، ولا برامج تربية ولا إعداء للمجندين . ولأن الأزمات والهزائم تولد عادة أحوال:

(**فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَلاوَمُونَ**) (القلم:30) . ولأنه وكما قال عمر رضي الله عنه : [**إن هذه الأيدي خلقت لتعمل وإنها إلا تجد لها في الخير عملا وجدت لها في الشر أعمالا**] . بدأت تتفشى ظاهرة الانشقاقات .

إذ حسب بعض اليافعين و بعض قيادات الدرجة الأولى أو الثانية في التنظيم ، أن السبب في حالات الجمود والعجز هو من عجز القيادات القائمة في التنظيم . ولم يدركوا أن مشكلة قوادهم هو حظهم العاثر في قيادة تنظيمات (قطرية سرية هرمية) في زمن النظام العالمي الجديد ، خارج سياق التاريخ، وخارج جغرافية الأمة. فقد فرض النظام العالمي الجديد معطياته ، وصارت الأزمات أكبر من أن تحل . لقد انهار نظام العمل نفسه ، ولم يعد صالحاً. ولكن أولئك المنشقين ظنوا أن بإمكان عطارهم أن يصلح ما أفسد الدهر. فحصلت انشقاقات عديدة وظهر ما أسميته في بعض المحاضرات ظاهرة (التنظيمات الأميبية) ، من كثرة الانقسام و التشظي . حتى لحق ذلك تنظيمات وجماعات وليدة كانت تنقسم وتنشق على نفسها من مراحلها الأولى !! وحصلت هذه الانشقاقات في الداخل في ساحات المواجهة الأصلية للتنظيمات وكذلك في ساحات الخارج . وهكذا لم يعد لأشهر تلك التنظيمات من إمكانيات ، منذ مطلع التسعينات وخاصة منذ 1995

إلا أن تصدر بعض النشرات المنخفضة المستوى في كل منحى ، والمحدودة الانتشار في كل اتجاه . وتحولت إلى تنظيمات إعلامية سيئة الأداء إعلامياً في غالب الأحيان . ولم يكن يسير عملياً في ساحة الجهاد ، إلا أحداث الجزائر المروعة التي ألحقت بفريضة الجهاد والتيار الجهادي أذى لا يقدر حجمه . حيث صارت تلك التجربة حقل تجارب للاستخبارات الجزائرية والعربية والغربية ، كما فصلت ذلك في كتابي (شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989-1996) .

4. الأزمات الفكرية :

يعود وضع الأسس الفكرية للتيار الجهادي كما أسلفنا إلى منتصف الستينات حيث وضع أسسها الشيخ سيد قطب رحمه الله . ولم تضف مختلف الإضافات التي كتبت في إطار مكتبة الإخوان المسلمين أي جديد عمليا ، وكانت مجرد تكرار وتفاسير وإعادة صياغة . ولم تكن في معظمها ذات نفس جهادي . ويمكن تسجيل ما كتب من التفصيلات الفقهية السلفية ، عند ما طرح فقه الإمام ابن تيميه كأساس للفقه الجهادي على يد تنظيم الجهاد والجماعة الإسلامية في مصر ، كحلقة فكرية ثانية في أواخر السبعينات . وكان الإضافة الثالثة ما طرحته مكتبة الأفغان العرب أواخر الثمانينات . وكان عملياً تكراراً للفكر القطبي الحركي ، والفقه السلفي من تراث المدرسة الوهابية ولم تحتو تلك المكتبة رغم شموليتها مفاهيما هامة يمكن أن تكون تطويراً يتناسب مع ما

استجد من أحوال وما طرح من إشكاليات فكرية وثقافية واجتماعية وسياسية في العالمين العرب والإسلامي بعد قيام النظام العالمي الجديد. وبدأت ملامح أزمة فكرية في التيار الجهادي .

كان على رأس تلك الأزمات الفكرية ؛ أن أيا من التنظيمات الجهادية لم تقدم في أدبياتها مشروعاً متكاملاً على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والثقافية لبرنامجها لتغييري ، وبدت للجماهير ولاسيما للقطاع المثقف من الأمة وكأنها تسبح في الماضي في معزل عن مشاكل الأمة المعاصرة . وكان فقه الواقع مغيباً في طروحاتها وأدبياتها إلى حد كبير. ولم يحظ الواقع العربي والإسلامي وإشكالاته نتيجة الجمود الذي طبع عموم المدرسة السلفية المعاصرة - الجهادية السلفية - كجزء منه . وكان ثاني أكبر الأزمات هو التداعيات غير المنضبطة لطريقة الفقه السلفي لدى طلاب العلم الشباب من الجهاديين . فقد سيطر في الصنف الثاني من التسعينات فقه التشدد والتزمت وبسبب جهل بعض المتسلقين على التيار الجهادي لغياب الكتاب الأصلاء فيه في تلك المرحلة ، وبسبب تفشى المنشورات التكفيرية على هامش التيار الجهادي والسلفي ، واستغلال أجهزة الاستخبارات ذلك وتضخيمها لتلك النتوءات . حيث بدأ الهامش الواضح والجدار الفاصل بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري يتضاءل أمام جمهور المسلمين في تلك المرحلة . (وهذه إشكالية سآتي على تفصيلها في نهاية الفصل السابع والأخير من الجزء الأول إن شاء الله) .

ولم تتح الظروف الأمنية الحرجة لكبار الجهاديين ورموزهم أن يتحركوا في ظروف مريحة تمكنهم من الكتابة والردود على تلك الظاهرة الخطيرة ، كما سبب التحاق الكثير من العناصر الجديدة في بؤر تواجد الجهاديين ، ومعظمهم من شباب الواقع العربي المثقل بالإشكاليات والضغوطات النفسية ، مع عدم توفر ظروف مواتية للتربية الفكرية إشكالية كبيرة ، حيث سادت أجواء التطرف والجهل في أوساط الكثيرين من أتباع الجهاديين خلال تلك الفترة ، ولاسيما في مختلف الملاذات في أوروبا وبعض البلدان كاليمن وباكستان وغيرها..

أما الإشكاليات الفكرية الأخرى فكانت في عدم تمكن الجهاديين من تحديد مفاهيم محددة وتفاصيل واضحة ، لمصطلحات ومسائل هامة طرحت بسبب مشروع المواجهة الجهادية مع الأنظمة الجاهلية ومن ذلك:

المفهوم الشرعي للجماعة الجهادية في قطرها، وهل هي بمثابة جماعة المسلمين ؟! ومسألة مشروعية تعدد الجماعات الجهادية في قطر واحد ! وإن كان ذلك غير مشروع كما اعتقدت كثير من تلك الجماعات ! فما مشروعية تعددها إذن في بلدان متجاورة أقيمت الحدود بينها من قبل الأعداء أصلاً ؟! وقد تطرف البعض من الجهاديين إلى الزعم بالحق في تصفية أي محاولة جديدة لإيجاد جماعة جهادية في بلد توجد فيه جماعة جهادية ، حفاظاً على وحدة صف الجهاد !!

كذلك مسألة البيعة في التنظيمات ؛ وتفاصيل قيامها وحلها وتبعاتها من الحقوق والواجبات . فقد ذهب البعض إلى أنها مجرد عهد أو أقرب للقسم يتحلل معطيها من تبعاتها متى أراد ذلك . ويكفيه على أبعد حد صوم ثلاثة أيام كمن تعذر عليه وفاء النذر. في حين ذهب البعض إلى أن بيعة التنظيم مثل بين الإمام الأعظم لا يمكن للعنصر أن يخرج منها إلا أن يرى كفراً بواحا عنده فيه من الله برهان!!

وكذلك مسألة الشورى و الإمارة في التنظيم : وحقوق الأمير وطريقة تعينه، ومدة ولايته، وطرق تغيره ، وحقوقه و واجباته . وكذلك موضوع الشورى ، وطريقة اتخاذ القرار في التنظيم ، وعلاقتها بصلا حيات الأمير ، و الهيكليات المؤسساتية في الجماعة الجهادية وطرق إدارتها لاسيما في ظروف المطاردات الأمنية .

كذلك إشكالية المناهج_السياسية الشرعية والفكرية التي يختارها التنظيم: مع عدم وجود الكوادر القادرة على وضعها في معظم الأقطار. واستيراد ذلك من أفكار تنظيمات مجاورة .

بالإضافة لإشكالية متفرعة عن المناهج ، وهي إشكالية مناهج التربية وآليات تطبيقها على العناصر الجدد . وما توجده الحالة الأمنية و السرية من إشكاليات لتنفيذ أي برامج تكوين وتربية.

إلى آخر ذلك ... حيث لم تستطع التنظيمات الجهادية نتيجة الظروف الأمنية و المطاردات، وقلة الكوادر القادرة على التنظير، وشبة انعدام وجود علماء أو حتى طلاب علم شرعيين أكفاء.. لم تستطع أن تحسم تلك الإشكالات والأزمات الفكرية . وانعكست بالتالي هذه الأزمات الفكرية في كثير من الأحيان على شكل أزمات تنظيمية أضافت مزيداً من الاختناق لسلسلة أزمات الجهاديين في العقد الأخير من القرن العشرين.

5: أزمات سياسية وإشكاليات في العلاقات العامة :

وسط الصحوة الإسلامية وكذلك مع أوساط المعارضات السياسية العلمانية ، حيث وقفت معظم أوساط الصحوة الإسلامية من صراع الجهاديين مع السلطات المرتدة القائمة، موقفاً يتراوح بين الحياد والوقوف موقف المتفرج ، وبين السلبية والعداء للجهاديين وتأييد مواقف الحكام الطغاة ، بدافع الحفاظ على مصالحهم الحزبية أو الشخصية !!

ونتيجة العقلية الثورية لمعظم الجهاديين وطبيعة الانفعال وردود الأفعال على الحصار اتسمت ردود أفعال الجهاديين على أوساط الصحوة وقياداتها وكبار علماء المسلمين في كثير من الأحوال بالتشنج والعنف . وقد كان لردود الأفعال هذه ما يبررها في معظم الأحوال ، تجاه قادة صحوة وعلماء يصفقون للكفر الحاكم ويمتدحونه، ويبررون الإحتلال وغزوات الصليبيين بدعوى

الضرورة و الاستعانة ، ويجوزون التطبيع مع اليهود ...، أو يقفون من ذلك موقف البلادة والتفرج واللامبالاة !!.

ولكن واقع الحال وبصرف النظر عن تبريره أو عدم ذلك ، فقد كان واقع الحال هو عزلة الجهاديين في أوساط الصحوة . ولم يستطع قيادات الجهاديين إلا بعضهم وفي حالات نادرة الحفاظ على علاقات سياسية وطبيعية مع أوساط الصحوة . ودخلت الأدبيات الجهادية في ذلك العقد القاتم من الأزمات (1990-2000) ، دخلت في معارك إعلامية ومهاترات مع مختلف أوساط الصحوة وأحزابها ورجالاتها..

وقل مثل ذلك وأشد منه عن أزمة العلاقات بين الجهاديين وبين أوساط المعارضات العلمانية الوطنية والقومية واليسارية في العالم العرب الإسلامي، فقد قامت علاقة الجهاديين بأولئك على أساس قاعدة التكفير والعداء ، كما هو حال معظم أوساط الصحوة الإسلامية مع الوسط العلماني ولاسيما في العالم العربي . ورغم أن معظم تلك القطاعات العلمانية وأحزابها ورجالها قد عانت وما زالت تعاني من قمع الحكومات ، وتقع مع الإسلاميين و الجهاديين في خندق الاضطهاد ، وكان بالإمكان أن يكسب الجهاديون منهم بعض الشخصيات المعتدلة تجاه الظاهرة الدينية ، أو حتى جرهم لميدان الحياد ، إلا أن التشنج من جهة ، والتوجس من جهة ، وعدم الثقة والعداء التاريخي من جهة أخرى ، بالإضافة إلى عدم وجود الكوادر السياسية المؤهلة في قيادات التيار الجهادي لإقامة مثل ذلك الحوار، وقيام قاعدة التواصل لدى الجهاديين على المفاصلة مطلقا دون اعتبار لهوامش فن الممكن.. وإنما على قاعدة (حمل السلم بالعرض) في سوق ازدحمت فيه الجماعات والشخصيات والبرامج والمناهج..

كل هذا أسفر عن حشد أكبر كمية من الأعداء في مواجهة الظاهرة الجهادية. وقد فاقم هذا من الأزمات والحصار.. ليسفر مع كل ما سبق من الأزمات عن الأزمة الشاملة، وعنوان ونتيجة كل تلك الأزمات هو الأزمة التالية:

أزمة الفشل في تحقيق الهدف وثبوت عقم الوسيلة :

كان هدف جميع التنظيمات الجهادية التي تحركت منذ الستينات وإلى انصرام القرن العشرين هو باختصار: (إسقاط الحكومات المرتدة القائمة في بلادها. وإقامة النظام الإسلامي وتحكيم الشريعة على أنقاضه).

وأما وسيلتها في ذلك فكان العمل المسلح ضد تلك الحكومات عبر تنظيمات ؛ (قطرية المجال – سرية الأسلوب – هرمية البناء).

وباختصار أوصلت التجارب الجهاديين عبر نصف قرن من المحاولات ، ولاسيما بعد تفاقم أزمات العقد المنصرم إلى الفشل في تحقيق تلك الأهداف، وثبوت عقم تلك الوسيلة لأسباب كثيرة.

أسباب أغلبها خارجي، نتيجة تكالب قوى الكفر العالمية والردة الملية عليها . ونتيجة وقوف أكثر علماء الأمة إما في مواجهتها مثل ما فعلت جبهة علماء السلطان ، وأما موقف المتفرج الذي لا علاقة له في ذلك الصراع.وكذلك نتيجة إعراض عامة الشعوب الإسلامية عن القيام بواجبها في مواجهة كل أمواج الظلم والظلمات التي طغت على واقع المسلمين.. بالإضافة للإشكالات والأزمات الداخلية التي ابتليت بها التجارب الجهادية..

وهكذا فشلت كافة التجارب كما مر معنا في الاستعراض التاريخي لأهم تلك المحاولات . فشلت جميعها في تحقيق ذلك الهدف . وكان آخرها فشلا التجربة الجزائرية التي ختمت وبشكل مأساوي تلك التجارب.. كما أثبتت الوسيلة وهي (التنظيمات القطرية السرية الهرمية) عقمها ، وعدم إمكانيتها في تحقيق ذلك الهدف . ولاسيما بعد ما قام النظام العالمي الجديد، الذي أوصل أساليب تلك الوسائل للانهيار وجعلها من مخلفات الماضي ، في عالم العولمة ، الذي عولم عملية المواجهة وجعل تلك الأساليب و المحاولات والأهداف وتكتيكاتها من أرشيف التاريخ .

- **المتنفس في رحاب طالبان والإمارة الإسلامية(1996-2001) والفرصة الضائعة:**

اجتمع في أفغانستان في ظل طالبان منذ مطلع 1997 عدد لا باس به من أبرز كوادر التيار الجهادي من قيادات التنظيمات والشخصيات التاريخية وطلاب العلم وأصحاب الخبرة والرأي والدراية فيه من مختلف الأقطار العربية . وكان جو الأمن و البحبوحة والاسترخاء وكل معطيات الأجواء المناسبة فرصة تاريخية وذهبية لكي يتفكر أولئك الرجال في حلحلة تلك الأزمات والخروج بتصورات تشكل بداية مرحلة جديدة من الانطلاق . فقد اعترف الجميع بوجود الأزمات وضرورة التطلع إلى حلها . وتعتبر المدة التي قضيناها إذاك وهي زهاء 5 سنوات كانت كافية نسبياً لتحقيق عملية إعادة البناء .

ولكن المفاجأة كانت في أن (الفكرة القطرية) و(الحزبية التنظيمية) برزت لتسيطر على المرحلة الجديدة أيضا عبر معسكرات و مضافات وجماعات بنت تصوراتها على أساس (قطري - سري -هرمي) مرة ثانية، حيث جعلت معظم التنظيمات هدفها هو نفس الهدف الذي أثبتت الأيام منذ 1990 وعلى الأبعد منذ 1995 وما جرى في الجزائر وغيرها استحالة تحقيقه في ظل النظام العالم العالمي الجديد .

ولست هنا بصدد التفصيل عن المرحلة ، ولكن أشير هنا إلى أن تلك العقلية (القطرية - الحزبية التنظيمية) أضاعت فرصة ذهبية على التيار الجهادي. ولم يستطع دعاة الفكرة الأممية في المواجهة ، لا الشيخ أسامة والقاعدة ولا غيره إقناع تلك الشرائح والكوادر باقتناص الفرصة وضم الجمع في حالة موحدة أو تنسيقية على الأقل. ورغم أن الشيخ أسامة كان المرشح الأساسي لإقناع الآخرين بذلك إلا أنه فشل بذلك ، وذلك لأسباب تعود عديدة كان من أهمها تصوراتهم القطرية

والتنظيمية من جهة، وافتقار القاعدة للمنهجية الواضحة بحسب مقاييس الجهاديين وكذلك عم وضوح البنية المؤسساتية فيها . فكان هذين العاملين أهم العوامل في ضياع تلك الفرصة. فقد كان من الممكن أن تقوم جهود لمراجعة المناهج والأساليب والأهداف والوسائل في ظل فهم الواقع الجديد ، مستغلين الظروف المواتية ، والالتفاف جميعا حول مشروعية أمير المؤمنين (الملا محمد عمر) . ورمزية الشيخ أسامة العالمية .ولكن ذلك لم يحصل وفشلت جميع الجهود الساعية في ذلك والتي قام بها البعض من المستقلين الذين كنت واحداً منهم – حيث دعوت كبار القوم ولأكثر من مرة في عدة مناسبات لإقناعهم بذلك دون جدوى .وكان أمر الله قدراً مقدورا.

وجاء سبتمبر ليضع حداً لتلك الفرصة الذهبية ويطوى في كنف الغيب سر ما إذا كانت ستتاح فرصة جديدة للجهاديين يكون الجيل القادم منهم قادراً على تحقيق ما عجز عنه أولئك السلف المجاهد الذي أدى دوراً ريادياً في مواجهة أعداء الإسلام وحلفائهم من المرتدين ، ولكن الأزمات والمصائب كانت أكبر من إمكانياتهم في تحقيق الأهداف. ولعل في القدر القادم ما يبشر بتحقيق ما فات من الفرص ، ولكل أجل كتاب.

عاشراً: الأفكار التي طرحت لدى الجهاديين للخروج من الأزمة منذ 1996-2001 :

مع انتصاف العقد الأخير من القرن العشرين،، كان التيار الجهادي بمختلف تنظيماته ومكوناته قد بلغ عمليا قعر الأزمة. وأيقن معظم قياداته وقدمائه أن المسارات الجهادية قد وصلت إلى طريق مسدود. وأن الأزمات المتنوعة قد وصلت قمتها. وأن السير والاستمرار بذلك الأسلوب ومعطياته يبدو مستحيلاً..

فقد تتابع فشل المحاولات الجهادية، وانطفأت معظم شعلاتها الواحدة تلو الأخرى. وتفككت معظم التنظيمات . وساح من بقى على قيد الحياة من قياداتها وكوادرها في مختلف الملاذات والمخابئ العلنية والسرية، مخلفين في بلادهم كميات كبيرة من الأسرى من العناصر المجاهدة ، أو الأنصار والموالين الذي ساعدوهم في حركاتهم بالإضافة إلى كم كبير من أسرا الشهداء ، من النساء والأطفال في أحوال إنسانية بالغة المأسوية. كما تزايدت الأزمات التي أشرنا إليها سابقاً في كافة المجالات الفكرية والسياسية والمالية والتنظيمية.. إلى آخر قائمة الأزمات الخانقة.

وكانت خاتمة الصدمات والأزمات في الكارثة المروعة التي آلت إليها تجربة الجهاد في الجزائر بعد أن تمكنت أجهزة الاستخبارات من تفعيل بذور التطرف والجهل في صفوف بعض المجاهدين الجزائريين ، وذلك بزرع عملاء الاستخبارات، ليدفعوا بالقضية إلى متاهات التكفير والإجرام والمجازر الدموية . وشكلت أخبارها المفزعة المحزنة صدمة هائلة للجهاديين وأنصارهم وكل المؤمنين بفكرة العمل المسلح.

وهكذا.. بدأ كبار الجهاديين ومن تبقى من تنظيماتهم يبحثون عـن الحلـول والمخـارج.. وقـد شهدت مثل هذه المراجعـات والمناقشـات في المـلاذ الآمـن للجهـاديين في أفغانسـتان ،بعـدما هـاجر معظم من تبقى من الجماعات والرموز الهامة في التيار الجهادي إلى الإمارة الإسـلامية التـي أنشـأها طالبان.

ويمكن تقسيم المطروحات والأفكار ومحاولات الخروج من قعر الأزمة لدى الجهاديين إلى ثلاثة مدارس تجلت كل واحدة منها في محاولات عملية. ووجهة حركة جديدة . وكانت على ثلاثـة أقسـام محركة سميتها كما يلي:

1- مدرسة الاستسلام وإلقاء السلاح والمبدأ.

2- مدرسة الثبات على المبدأ و الاستمرار في الأسلوب.

3- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا و حلفاؤها.

ولنتناول كل واحدة من تلك المدارس بشيء من التفصيل:

1 - مدرسة الاستسلام للخروج من الأزمة:

وخلاصة فكرة أصحاب هذه المدرسة: أن أزماتنا كجهاديين جـاءت نتيجـة لحمـل السـلاح ، ولا تزول إلا بزوال ذلك السبب . فالحل هو في إلقاء السلاح والبحث عن طرق عمل أخرى..

والحقيقة أن بوادر هذه المدرسة التي صرح أصحابها بفحـوى دعـوتهم صراحـة مـع منتصـف التسعينات تود إلى أواسط الثمانينات منذ بدأت الحركات الجهادية تتراجع وتواجه الأزمات والهزائم . وكانت غالباً ما تطرح في كل قطر إثر كل هزيمة عملية لمحاولة من محاولات الجهاديين .. فقد كان أول من طرحها قيادة الإخوان المسلمين في سوريا إثر (فاجعة حماة) سنة 1982. وأسموها في وقتها؛ دعوة (الصلح مع النظام). وقد وسط الإخوان السوريون العديد من الوسطاء لمتابعة طـرق أبـواب (حافظ أسد) التي بقيت موصدة أمام تلك الدعوات عملياً . وتابع ابنه بشار من بعده إغلاق الباب.

وكان من تبقى من حطام تنظيم الطليعة المقاتلة في سوريا قـد خطـى خطـوات فعليـة نحـو الاستسلام تحت مسمى الصلح . ونزل العديد من عناصرها تحت عروض الدولة باسم (قانون العفو) ولم يكن لتلك العملية أي تفاصيل سياسية، فقد كانت عمليات استسلام وتوبة فردية تقريبـاً ، نـزل فيها بعض العناصر من الطليعة ، ثم من الإخـوان بشـكل فـردي ، ووقعـوا بيانـات (توبـة) كتـب في أعلاها :

﴿ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ ﴾ (القصص:17) !

ولكن الإخوان المسلمين في سوريا أرادوا الاستسلام بصيغة (نصف مشرفة) ، فعرضوا عروضاً (للصلح) بشكل سياسي ، بين جماعتهم كحزب معارضة سياسية والدولة والنظام . ولكن حكومة حافظ أسد ، ووفق مشورة شيطانية من بعض علماء السلطان فيها، وعلى رأسهم الشيخ (سعيد رمضان البوطي) وغيره ، اشترطوا على الإخوان جملة من الشروط التعجيزية من ضمنها الاعتراف العلني بخطئهم في حمل السلاح! وجرائمهم في مواجهة الدولة ! وكتابة أبحاث سياسية شرعية يدللون فيها بالآيات والأحاديث على خطأ مسلكهم !! ثم النزول تحت قانون العفو بشكل فردي و ليس بشكل يحفظ نصف الكرامة! ولم يكن الوضع ضاغطاً عليهم في ملاذاتهم في العراق والأردن والسعودية والخليج والخارج كي يقبلوا.. واستمرت عروضهم بالصلح وشروطهم بالتقلص إلى أن خرج المراقب العام للإخوان المسلمين في سوريا (علي صدر الدين البيانوني)على وسائل الإعلام وشاشات الفضائيات يعرض الصلح ويعرض طلباته التي تقلصت إلى مطلب واحد وهو (حق المواطنة فقط في ظل الديمقراطية والتعددية السياسية)!! والعودة إلى الوطن بلا شروط ولا برامج . ومع ذلك ما زال النظام يرفض ويقول أنه بصدد عرض عفو عام يطال الأبرياء . مع ضرورة إجراء محاكمات لمن يثبت تورطهم بجرائم في حق الدولة والشعب والوطن. وأما أكثر الأفراد من المطاردين ومعظمهم ممن لم يقم بأي عمل و فعل في الثورة التي استشهد أو أسر معظم من شارك فيها فقد عاد أكثرهم بوساطة الاستسلام للسفارات السورية في أنحاء العالم. تحت قانون العفو وكتب كل واحد منهم تقريراً بتفاصيل حياته منذ خرج من سوريا والجهاد إلى أن عاد. وجاءت الأخبار باعتقال بعضهم مرة أخرى، وباستجواب آخرين. ومنعهم من السفر وإلزامهم بمراجعة دوائر الأمن لتقديم ما يطلب إليهم من معلومات عنهم وعن أقربائهم وجيرانهم ، وتحويل الضعفاء منهم إلى مخبرين لأجهزة الأمن!!

وقد حصل شيء قريب من هذا تحت ما يسمى (مشروع التوبة) للملاحقين في تونس أواسط التسعينات، رغم أن معظمهم من المعارضات السياسية الإسلامية . وقد وضعت حكومة زين العابدين شروطاً مهينة قبلها البعض وتمرد عليها آخرون ، ورفضها الشيخ راشد الغنوشي وكتب في ذلك كتابات جيدة تؤكد على استراتيجية الثبات في مواجهة النظام التونسي وأشباهه من الحكومات الطاغوتية ولو سياسيا على الأقل !..

وفي الجزائر عرض النظام أواسط 1996 بعد أن فكك المجموعات المسلحة واخترقها وحرف مسارها إلى التكفير والإجرام والمجازر، وورط بعض فصائلها فيها ، وقام هو بنفسه بعض المجازر وألصقها بهم . فقام بعرض العفو العام عبر ما سمي مبادرة (الوئام الوطني) . حيث تبرع العديد من فقهاء السلاطين في السعودية وغيرها لدعم المبادرة والإفتاء للمسلمين بالاستسلام والنزول من الجبال . حيث نزلت فصائل كثيرة وألقت السلاح لمبادرات فردية.

ولكن أكبر وأخطر تلك الممارسات و الطروحات الاستسلامية من ضمن التيار الجهادي كانت عبر ما عرف (بالمبادرة) التي قامت بها الجماعة الإسلامية في مصر، وما عرف بمبادرة إلقاء السلاح ونبذ العنف من طرف واحد ، دون طلب مقابل من الدولة إلا دعوتها للإفراج عن الإسلاميين وإنهاء الأزمة واستمرت المبادرة بين مد وجزر من سنة 1996 وإلى أواسط 2003 حيث بدت بوادر تجاوب الحكومة المصرية معها. وقد سبق أثناء استعراض تجربة الجماعة الإسلامية في مصر الإشارة لتلك المبادرة التي كان أخطر ما فيها قيام الرموز الكبار من القيادات التاريخية للجماعة بالتأصيل للاستسلام وكتابة العديد من الكتب والأبحاث يدينون فيها منهج الجهاد المسلح واصفينه بالعنف ، ومعلنين سلسلة من الانتهاكات الفقهية والفكرية للفكر الجهادي والسياسي الشرعي لأصول التيار الجهادي يطول شرحها والتعليق عليها. ويعبر عما فيها من تردي أنها وصلت لاعتبار اغتيال أنور السادات خطأً تاريخياً ووصفه بأنه كان شهيد الفتنة . فصار الطاغوت المرتد شهيدا !! وصار جهاد أسياده اليهود فتنة . وسأحاول إن شاء الله العثور على سلسلة تلك الكتب والأبحاث لدراستها والرد عليها وتفنيد ما فيها إن أعان الله ثم سنح الوقت وكان في العمر بقية. فسد هذه الذرائع من أهم مواطن الدفاع عن التيار الجهادي بصرف النظر عن احترامنا لتاريخ الذي أقدموا عليها وعذرهم في ضروراتهم . ولكنه رد فكري على فكر مطروح بصرف النظر عن قدر أصحابه. حيث أنهم عرضوا ما عرضوا وهم أسرى ، خرجوا من السجون من الأسر الأصغر للأسر الأكبر. ولا عبرة لآراء فاقد الإرادة. وأعانهم الله في محنتهم ، وتقبل منهم ما أحسنوا وتجاوزوا عما قصروا به أو أكرهوا عليه.

ثم تتابعت طروحات هذه المدرسة و استعلن أصحابها بعد سبتمبر 2001 والهجمة العالمية لمكافحة الإرهاب بقيادة أمريكا. متخذين من مبادرة الجماعة الإسلامية وكتاباتها نموذجاً يحتذى في نقض الغزل و الإرتداد على الأعقاب عن ثوابت الفكر الجهادي والأسس العقدية للسياسة الشرعية.تحت ضغط الآلة الإعلامية الرهيبة لأمريكا وأذنابها.

وقد حصل مثل هذه التراجعات عندما قبضت الحكومة السعودية على مجموعة من فقهاء الجهاديين وعلمائهم في السعودية ، وأكرهتهم أو أقنعتهم بالتراجع وبدعوة المجاهدين لها و للقوات الأمريكية على أرض الحرمين بإلقاء السلاح . حيث جندت وسائل الإعلام السعودي عشرات العلماء وكبار الدعاة للترويج لهذه الطروحات وهذه المدرسة.

وهكذا تظهر هذه الطروحات دائماً كما أسلفت إثر الهزائم و الانتكاسات حيث يبحث أصحابها عن الحل في إزالة سبب الأزمة بحسب تصورهم ، وهو (حمل السلاح). ومن الطبيعي كما هو دأب الإنسان دائماً في ترقيع أفعاله وإيجاد المعاذير لعلله وتراجعاته ، فإن أصحاب هذا المنهج لا يسمونه باسمه الصريح ، وهو(الاستسلام) أو (الهزيمة) وإنما يبحثون له عن أسماء وصيغ ألطف ويطلقون سيل التبريرات والفقه الذي تتابع بعد ذلك لتبرير ذلك فيسمونه تارة (قانون العفو) وتارة

(الصلح) وتارة (الوئام الوطني) وتارة (الهدنة) وتارة (المصالحة الوطنية) وتارة (مبادرة نبذ العنف).. وهكذا تعددت العناوين تحت دعاوى الحكمة والتعقل والواقعية. تعددت الأسماء و الاستسلام واحد .

وكانت المصيبة هينة لو أن أصحاب تلك الأحوال أعاذنا الله مما استعاذ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ من الهم والحزن ومن العجز والفشل ومن الجبن والبخل ومن غلبة الدين وقهر الرجال. كانت المصيبة هينة لو امتلك القوم الصراحة والشجاعة و خرجوا للناس ليقولوا: (يا قومنا بذلنا وسعنا ، وقدمنا طاقتنا ، وخَذلنا من خَذلنا ولم نستطيع إلا ما بلغ جهدنا ، وها نحن ندعو للهدنة أو للسلم أو حتى نعلن الاستسلام ، فقد خسرنا الجولة وسيبعث الله لهذا الدين من يقوم بأمره وينصره ولعل فيما تستقبل الأجيال من فرص خير مما عرض لنا). فيحلوا جماعتهم أو تنظيماتهم وينسحبوا من ساحة المواجهة .

ولكن المصيبة كانت أعظم عند ما أطلقت الأسماء الجذابة على حقيقة الاستسلام و وجدت لها التبريرات . وبلغت الطامة مداها عند ما بدأ كتابهم وفقهاؤهم ينظرون و يفتون من أجل الخذلان والاستسلام للأعداء. وينقضون غزلهم وغزل غيرهم مما رسخه المجاهدون في سبيل الله و أثبتوه بدمائهم عبر السنين عبر مسار العذاب والعناء على درب الشهادة و الثبات. حيث تقطع هذه الجهود المهينة الطريق على شباب الأمة القادم كي لا يسير على خطانا كي لا يحاول الكرة تلو الكرة عساه يحقق ما لم نوفق إلى تحقيقه. وهذا بالضبط ما قصد إليه العدو الماكر وأجهزة استخباراته ومراكز دراساته النفسية والأمنية. يريدون أن يقتلوا بذور الثورة على الظلم والاضطهاد، ومحاربة الكفر والاحتلال . وأن يئدوا أفكاره في مهدها. إنها محاولتهم لإطفاء نور الله بأموالهم جاهلين أو متجاهلين بأن الله متم نوره ولو كره الكافرون.

وكم كنت أقف حائراً عندما أقرأ في آثار السيرة. أن أبا جهل بن هشام لعنه الله. لما أثخن في بدر، وعلا صدره الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ليحز رأسه.. فسأله أبو جهل وهو في النزع الأخير: لمن الدائرة اليوم ؟ فقال عبد الله بن مسعود له : لله ورسوله وقد أخزاك الله . فقال ذلك الجبار العنيد: بلغ محمداً أني ما ندمت على عداوته ولا ساعتي هذه !! ثم هلك..

وكنت أعجب.. كيف يأبى ذلك الكافر وقد هزمت رأيته وأزهقت نفسه ورغم أنفه ، وهو يرتحل إلى جهنم ، يأبى إلا أن يثبت كبرياءً وثباتاً ، وعزة نفس وإخلاص لما كان عليه رغم أنه الضلال..

و أتمنى لو أسعفتنا رجولتنا ونخوتنا وكرامتنا. واحترامنا لدماء شهداؤنا ، وعذابات أسرانا ومشردينا ، ودموع أراملنا وأيتامنا ، بل لو تأججت في صدورنا الحمية لديننا ورايتنا ، والحق الذين

جاهدنا لأجله لنقول لأعدائنا إذ خسرنا بعض الجولات ، وانهزمنا في بعض المحطات والمعارك في هذه الحرب الأزلية المفتوحة، أن نقول لأعدائنا :

بلغوا فراعنتكم وأسيادكم ، من الطواغيت ، وأسيادهم من اليهود والنصارى : أننا ما ندمنا على عداوتهم ولا في أشد ساعات الاندحار والتضحيات . وأننا واثقون من أن نصر الله قادم . وسيحمل راياته الظافرة من سيسير على دربنا ، ويهتدي بخطانا كما اهتدينا بخطى القافلة السائرة من قبلنا ، الموصولة بتتابع السائرين والمجاهدين منذ قادها سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم . ونحن على الحق إنشاء الله سواء كنا منتصرين أو مهزومين في هذه المواجهة العقيدية .

فكيف لا نجد مثل هذا الثبات والإباء الذين بذله كافر يستقبل النار!! كيف لا نجده ونحن سنستقبل الجنة إن شاء الله ؟! و نحن نؤمن أن الله مولانا ولا مولى لهم.

آه لو فقه الخائرون بشارته صلى الله عليه وسلم لخباب رضي الله عنه حين جاءه يسأله أن يدعو لهم بالنصر ، وقد أنهكه ما نزل به وبإخوانه - رضي الله عنهم - من العذاب ..فحدثه عن تضحيات من سلف وبشره ، وقال له ولكنكم تستعجلون .

2- مدرسة الثبات والاستمرار على درب الجهاد والمواجهة:

وقد تبنى هذه الطريقة معظم الجهاديين ، من التنظيمات والجماعات الجهادية وكوادر ورموز التيار الجهادي وقياداته وقواعده رغم مسار الغباء والعذاب.. وقد كان هذا موقف معظم تلك الكتل والرجال الذين فاؤوا إلى أفغانستان في عهد طالبان . حيث عادت الهمم الشامخة والنفوس التواقة للعمل والعطاء عبر مسار الأعداد والحركة الدؤوبة. وقد رأى هؤلاء في الثبات فريضة شرعية لا يسع المسلم التخلي عنها، ورأوا في الاستسلام عاراً وفراراً لا يجوز لهم السعي إليه.

ولكني لاحظت من أولئك الثابتين تقبل الله منهم أن ثباتهم كان ذا شقين :

1- ثبات إيجابي 2- ثبات سلبي.

فأما الثبات الإيجابي: فهو الثبات على المبادئ والقيم والراية والأمانة . من أجل كل الدواعي الشرعية الداعية لذلك .ولأجل ما تفرض دواعي الكرامة والعزة والإباء والحمية للمقدسات.

وأما الثبات السلبي: فهو ما لاحظته من ثبات أولئك الأخوة على طرق عملهم السالفة، وأطر عملهم التنظيمية بكل مقوماتها وطرقها. فقد استمرت التنظيمات بالعمل وفق مفهوم (القطرية والسرية والهرمية)، وعملت من أجل نفس الهدف السابق ،وهو الإطاحة بالأنظمة المرتدة لإقامة أئمة تحكم شرع الله في بلادها ، وفق معظم الأساليب التقليدية في الإعداد المنهجي وغير ذلك من مجالات عمل التنظيمات ..

وبدا وكأن كل التغييرات الهائلة التي أحدثها انطلاق النظام العالمي الجديد وأنظمة مكافحة الإرهاب وانهيار الهوامش الأمنية و الملاذات بين الدول وكل ما أسلفنا من الدروس والعبر لم تترك كبير أثر على أساليب عمل معظم الجهاديين!! رغم أن كثيراً من تلك الأساليب والأفكار إما أنها لم تعد تناسب المرحلة أو أنها أثبتت عدم جدواها.

3- مدرسة الاتجاه الأممي نحو جهاد الصائل الخارجي أمريكا و حلفاؤها:

وكان خلاصة هذه طرح المدرسة كما بينت بشي من التفصيل.. أن المعارك مع الأنظمة لا طائل من ورائها، وأن أمريكا و حلفاءها من قوى الصليبية واليهود هم المستفيدون من معارك الاستنزاف تلك رغم الحق الذي فيها. وأن الحل في جهاد رأس الأفعى أمريكا التي سيؤدي زوالها إلى انهيار كل هذه الأنظمة ، وبداية لاستواء الأوضاع وسيرها نحو الصواب ، حيث يسهل بعد ذلك العمل على إقامة الحكم الإسلامي بعد تنظيف المنطق العربية والإسلامية من جبروتها وجبروت أتباعها..

وقد مثل الشيخ أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة أبرز من رأي التحرك في هذا الاتجاه من الجهاديين منذ 1996. وافتتح ذلك بإصدار بيان إعلان الجهاد ضد أمريكا كما حصل في تجربتهم التي لخصتها في الفصل السابق . وأعتقد أن هذا الطرح بشكل عام بصرف النظر عن تفاصيل أداء من عمل له هو طرح صحيح وصائب ويتناسب جداً مع حجم المتغيرات التي شهدها العالم باستيلاء أمريكا على قيادة النظام العالمي الجديد وانفرادها بحكم العالم كقطب أوحد و قوة عظمى متجبرة..

نظرة في محاولات الجهاديين تجاوز أزمة التيار الجهادى خلال نهايات القرن العشرين:

من خلال تقييم الأفكار المطروحة ومقارنتها بخلاصة ما تكون عندي من أفكار، خلصت إلى النتيجة التالية في المدارس الثلاثة آنفة الذكر وهي على الشكل التالي:

أولا: أن طروحات مدرسة (الاستسلام) وإلقاء السلاح و تنكب طريق الجهاد ، تمثل مدرسة ساقطة الأفكار شرعاً عقيمة النتيجة واقعاً . بما تدل عليه نصوص الشريعة ، وما تفيدنا به تجارب الماضي في بلادنا وفي تجارب الأمم كلها .

فما لم نحصله بالجهاد والسيف لن نحصل عليه بالهزيمة و الاستسلام ، لا على مستوى الأهداف ولا حتى على مستوى النجاة الشخصية.

ثانيا : أن مدرسة الثبات على طريقة الجهاديين ، وبحسب طريقتهم القديمة ، لن تقود إلا إلى ما قادت إليه في الماضي من الفشل المتكرر، فقد فشلت آنفا رغم أن ظروف عملنا ومعطيات واقعنا قبل قيام النظام العالمي الجديد كانت أفضل وأكثر ملائمة . ومع ذلك لم تكن تلك الطرق ومناهج

التفكير ووسائل العمل من تحقيق الأهداف ، فما بالك وقد تغير الواقع المحيط ونشبت ظروف عالمية لا يمكن العمل من خلالها بتلك الطرق بحال . وقد أثبتت السنوات الخمس (1996- 2001) عقم تلك الطرق وعدم تمكن التنظيمات الجهادية القديمة أو المحاولات الجديدة من البعض من تحقيق أي نتيجة أو تقدم ، ولم تسفر إلا عن مزيد من الإنشطارات والانقسامات والخسائر والضحايا من الشهداء والمأسورين ، من خلال المحاولات المحدودة التي قاموا بها ، بالإضافة لتفاقم آثار حملات تجفيف المنابع والتشويه الإعلامي والمطاردات الأمنية في عزل تلك الشراذم وما تبقى منها عن بلادها ومجتمعاتها، وتحول من تبقى منهم إلى مجموعات صغيرة تعيش على الذكريات وآمال الماضي ، وأحلام بالمستقبل تزداد خيالية يوماً بعد يوم.

ثالثا : أن الدعوة التي طرحها الشيخ أسامة وعملت على أساسها القاعدة باتخاذ المعركة مع أمريكا تمثل بوابة إلى تصحيح مسار الجهاد وحشد الأمة و التحرك من خلال ذلك إلى ما يلي من أولويات في حلحلة إشكاليات واقع المسلمين. وهي أسلم الطرق وأقربها للواقعية ، ومناسبة ما استجد من ظروف النظام العالمي الجديد.

وقد رأيت فيها أملاً و فرصة تجديد وانطلاقة قوية لتصحيح مسار الجهاد والتيار الجهادي، إن وفقت إلى إحداث توجه جدي نحو التأصيل المنهجي اللازم لذلك ، والتطوير في الإدارة والأسلوب بما يتناسب مع المرحلة . وأملت أن يوفقوا إلى الطرق المناسبة الصائبة في الوسيلة إلى تحقيق ذلك كما وفقوا إلى التحديد الصائب للهدف والطريقة . فقد كان هذا التجديد الكبير والتحول في الهدف وطريقة العمل يحتاج إلى جهود كبيرة في تطوير منهج وأساسيات التفكير كما يحتاج إلى تطوير كبير في أساليب وضع تلك الأفكار على الأرض موضع التنفيذ.. ولكن الأحداث كانت أعجل من أن يمكن تحقيق ذلك وهو أمر يحتاج لوقت أطول.

ومن خلال ذلك الواقع اقتنعت بضرورة إطلاق نظريات عمل جديد ة لتسد جزءاً من الفراغ الكبير الذي يقتضيه ذلك التحول في المواجهة .

وبعد تفكير طويل واستفادة من مخزون تسلسل وتطور تلك الأفكار عندي عبر عشر سنوات كما بينت في المقدمة . طرحت في ساحة أفغانستان ما اعتبرته بداية مدرسة جديدة في محاولات إصلاح مسار التيار الجهادي والعمل على إخراجه من الأزمة وهو ما أسميته:

(**دعوة سرايا المقاومة الإسلامية العالمية**) التي تقوم نظرياتها على أسس ثلاثة:

أولاً – **الثبات** ، ثانياً - **التصحيح** ، ثالثاً - **التطوير**.

وعملت على مناقشة تلك الأفكار مع من استطعت مدارسته من قدماء التيار الجهادي وكوادره خلال فترة (1998- 1999) ثم اقتنت بضرورة إنشاء نواة تجمع جهادي جديد لبلورة أفكار هذه الدعوة ووضعها موضع التنفيذ . وقد ابتدأت مع مطلع عام (2000).

ثم جاءت أحداث سبتمبر..وخلطت جميع الأوراق وبعثرت تداعياتها جميع الجهود وقلبت جميع الأوضاع ووضعت جميع الجهاديين بل الإسلاميين بل جميع المسلمين بل كل العالم ، أمام مرحلة جديدة بمعطيات جديدة قسمت العالم كله إلى معسكرين حددهما رئيس أمريكا وهم يطلق ما أسماه (الحملات الصليبية الجديدة) بكل صراحة ، فقد قال باختصار: (**من ليس مع أمريكا في حربها فهو ضدها .. ولا مكان للحياد**)..

ثم قتل في تداعيات أحداث سبتمبر وأسر معظم من تبقى من كوادر جيل التيار الجهادي الماضي فتلاشت الكيانات وتفككت ، وتبعثر من بقى من الأحياء و تناثروا .

ثم غزت أمريكا العراق ، ووضعت مخططات لاحتلال الشرق الأوسط و السيطرة على العالم الإسلامي وأوجدت أوضاعاً جديدة جعلت المدرسة الجهادية الوحيدة الممكنة عملياً هو جهاد صائل أمريكا وحلفائها كخيار وحيد وإجباري وأقنعتني بأن ما كنت قد توصل إليه سنة 1991 ، من ضرورة إحداث تحول في التيار الجهادي نحو العولمة ، وحصر الجهاد في مشروع مقاومة شاملة لأمريكا وأعوانها ، وما تداعى لدي ولدى أمثالي ممن رأوا ذلك هو التصور الصحيح والذي فرضه الواقع الجديد كإمكانية وحيدة وإجبارية..

منطلقات دعوة المقاومة وآلية استخراج نظرياتها

بعد أن غطى الجزء الأول الذي نشرف على أواخر فصوله هنا، كافة المقدمات التاريخية والسياسية والفكرية والمنهجية التي تبرر وتوضح منطق ما سيلي من أفكار سأفصلها في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله. وهي خلاصة نظريات المقاومة الإسلامية العالمية ودعوتها وطريقتها بحسب ما أعتقد أنها الوسيلة الناجعة للمواجهة في تلك المرحلة إن شاء الله .سأبين في الفقرة التالية الأصول التي انبثقت عنها نظريات عمل المقاومة الإسلامية العالمية كما أتصورها إن شاء الله والله الموفق.

المنطلقات الثلاثة لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية ونظرياتها

الثبات ، والتصحيح ، والتطوير:

تنبثق كافة نظريات دعوة المقاومة من خلال أسس ثلاثة خلاصتها ما يلي:

أولاً : الثبات:

الثبات على طريقة الجهاد كحل أوحد لمشاكل المسلمين عربهم وعجمهم في بلادنا وفي كل مكان . وقد أسلفت في الفصل الثاني من هذا الكتاب المبررات الشرعية والمنطقية والواقعية التي تثبت أن الجهاد المسلح هو الحل .. وأكرر هنا رداً على من زعم من (الجهاديين المتراجعين) وغيرهم من الإسلاميين أن وضع السلاح والعودة إلى الطرق التي يسمونها زوراً (مشروعة) أو (قانونية) ! هو تصور مردود شرعاً، ساقط عقلاً ومنطقاً. فليس لنا بعد أن أثبتت كل الأدلة الشرعية المستندة للواقع أن الجهاد ودفع هذا الصائل وقتال الحملات الغازية وأعوانها من المرتدين والمنافقين هو فرض عين على كل مسلم، ليس أوجب بعد توحيد الله منه ، وهو أشد فرضية من كافة فرائض الإسلام الأخرى بعد الإيمان ؛ لم يعد في وسع مسلم أن يتمحك الأعذار ويبحث عن الحلول الأخرى إذ يقول الله تعالى (**وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم**).

فأما وقد تعينت الفريضة فالثبات على أدائها هو فريضة شرعية ليست محل بحث وأخذ ورد بحسب أفكار العقول وأهواء النفوس.

وحتى عقلا ومنطقا ، فكيف يسوغ رؤية الحل بإلقاء السلاح وقد نشرت أمريكا أكثر من مليون ونصف جندي أمريكي في ما تسميه (منطقة العمليات الوسطى) الممتدة من الجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا و القفقاس وأفغانستان شرقاً إلى سواحل المحيط الأطلسي في المغرب غرباً ،

عبر ما يقارب خمسة وعشرين بلداً تشتمل على كل العالم العربي ومعظم الإسلامي ؟ ، وهاجمتنا بكل أسلحة التكنولوجيا الحربية ، معلنة راية الحملة الصليبية ومجاهرة بأهدافها صراحة ، تلك الأهداف التي تشتمل على احتلال الأرض ونهب الثروات ، وتقسيم الدول وتبديل الأنظمة، وفرض تغير المناهج الثقافية والفكرية والدينية والتاريخية..! يريدون دمار بلادنا ، ونهب أموالنا ، وسفك دمائنا ، ومسخ مكونات شخصيتنا الدينية والقومية والحضارية ! كيف يسوغ مع ذلك أن لا يكون الثبات على مبدأ الجهاد وحمل السلاح هو مقتضى الدين والعقل.. هذه حقيقة تستوجب الإشارة والتأكيد ولا تستدعي الإثبات والبرهان ،لأنها من المعلوم من الدين بالضرورة ومن الثابت بالعقل بإجماع كل العقلاء وأكثر المجانين..

كيف لا يكون الجهاد هو الحل والثبات هو مقتضى الدين ؟! وقد تسابقت الأنظمة المرتدة العميلة إلى وضع كل إمكانياتها العسكرية والأمنية والسياسية والاقتصادية والإعلامية وكل شئ في سبيل خدمة الغزاة.. لهدف واحد فقط هو رضا الغازي عنها وإبقاء أولئك الفراعنة وأبنائهم الذين يصطفون على عروش ولاية العهد في الملكيات والجمهوريات على حد سواء ؟ .

كيف لا وقد اصطفت المعارضات السياسية لتلك الأنظمة تريد إسقاطها ، ليس لمقتضيات الدين والشرف والإباء العربي والإسلامي.! ولكن لكي تعرض على المحتل الغازي خدمات جليلة أكبر من تلك التي تقدمها الأنظمة المرتدة العميلة القائمة؟ . ولو أردنا الاستطراد لإثبات مقومات الثبات وما يفرضه شرعاً وعقلاً لاحتاج المقام إلى مئات الصفحات.. ولكن تكفي الإشارة وما مضى من أدلة شرعية وواقعية..

فالثبات على مبدأ الجهاد والقتال ورفع السلاح في وجه العدو وأعوانه وعملائه من الكفار والمرتدين والمنافقين . هو الأساس الأول لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي ندعو إليها.

ثانياً: التصحيح:

إن من أساسيات معتقداتنا معشر أهل السنة والجماعة أن كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم. فكل أفعال البشر وأقوالهم بمن فهم خيار المسلمين بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاضعة لهذا الميزان. وهناك ثوابت في منهجنا الجهادي هي ثوابت من أصول ديننا ومعتقدنا . وهي غير قابلة للتبديل والتغير وليس لنا ولا لأحد أن يلعب بها. ثوابت تستند على أصول عقائدنا كمسلمين ، وأصول معتقدنا الجهادي كجهاديين ، مما استقر عليه منهاجنا. من أحكام توحيد الحاكمية، وأسس عقائد الولاء و البراء.. إلى آخر تفاصيل ذلك.

ولكن كل ما عدا ذلك من الأفكار والتصورات والآراء التي طرحت في التيار الجهادي والأحكام الاجتهادية والمفاهيم التي انبثقت عنها، وكل أساليب العمل التي جربت ، من وسائل حركة وبرامج

واستراتيجيات ، فنجت حينا وفشلت حينا.. ، كل ذلك التراث من المفاهيم والتجارب ، هو تراث يجب أن يخضع للتقييم والمراجعة الآن ، بعد أن تراكمت لدينا معطيات الفشل ، وحشرنا في قعر الأزمة بل الأزمات

فتكرار الأساليب وتبني المفاهيم التي تبين من خلال المراجعة أنها من أسباب النكبات والنكسات والفشل، إما لخطئها وإما لأنها قد صلحت في زمانها ، ولم تعد تصلح لتبدل الزمان والمكان والبشر، وطباعهم وقوانين حركتهم ومستوى تطور حياتهم؛ يجب أن تصحح أو تعدل أو تلغى ، يحسب ما يقوم الدليل الشرعي أو العقلي المنطقي على وجوب ذلك .

فالمسارات مثل الخطوط المستقيمة بين نقطتين ، لا يمكن بتكرار السير عليها إلا الوصول لنفس المحصلات والمحطات . والمقدمات المتكررة بحذافيرها ، لا يمكن إلا أن تؤدي إلى نفس النتائج. وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بالمحاسبة والمراجعة أثر كل نائبة فقال تعالى:

﴿ أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا؟ قل هم من عند أنفسكم ﴾ (آل عمران 155) .

فأعادنا إلى أنفسنا لنتفكر في أخطائنا ومسارنا . وهذا يصح على كل سبيل ومسار، فردي أو جماعي.. أنفسكم ! "من عند أنفسكم"..!

وفي السنة **كما روي عنه صلى الله عليه وسلم :" الكيس من دان نفسه ، وعمل لما بعد الموت ، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني")** .

الكيس.. الذكي الفطن العاقل من بدأ بإعادة أسباب الخلل والفشل والخطأ إلى نفسه: فـ (دان نفسه) وتفكر في العاقبة والمآل.. فعجل لما بعد الموت بالخير الذي يرضى الله عنه. والله لا يقبل من العبد إلا ما كان خالصاً لوجهه وكان صوابا.. إخلاص و إتباع للكتاب والسنة . واحترام لسنن الله في هذه الأرض وإعداد للاستطاعة وهذا منهج الكيس العاقل.

وأما العاجز فمن أتبع نفسه هواها ، ومن أعظم دواعي الهوى إتباع المألوف ، وتقليد الكبراء ، والسير على ما اعتادت عليه النفوس ، وعدم حملها على تغير مألوفها و محبوبها.. وبعد هذا العجز يتمنى على الله الأماني.. أماني الانتصارات والنجاحات ، ولا يجنى من الشوك العسل . فالعجز لا يعطى إلا الفشل .

وهكذا اعتمدنا مبدأ التصحيح كأساس ثانٍ بعد الثبات . كمنطلق لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية القادمة بإذن الله . كي تقارع هذا العدوان والغزو القادم . وتقاوم وتسقط هذا الطغيان والكفر الحاكم.

ومن خلال مبدأ التصحيح وكأول حلقة في سلسلة مساره.. يأتي الفصل القادم كمساهمة أولى وطرح للحوار والمناقشة وهو (الفصل السابع) :

[حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً (1963-2003) إنجازات يجب أن تستثمر، وأخطاء يجب أن تصحح ، وأساليب يجب أن تطور].

ثالثاً: التطوير:

إن من معجزات ديننا الحنيف ، ولأن نبيه خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم ،ولأن شريعته خاتمة الشرائع.. جاءت قواعد أحكامه على نوعين :

- **ثابتة مفصلة:** لا مجال فيها للتغير والتبديل والتطوير.
- **عامة مجملة:** جاءت بخطوط عريضة، وقواعد عامة يسع ضمن إطارها الاجتهاد والتطوير والتغير بحسب تبدل معطيات الزمان والمكان والأشخاص والظروف..

فمثل أحكام العبادات وتفاصيلها ثابتة لا علاقة لها بتغير الزمان ولا المكان ولا الأشخاص.. ومثل أحكام المواريث لا تتبدل فالأب أب ،والأم أم ،وكذا الأخوة والأبناء ولا تتغير العلاقات بتغير الأزمنة، ولذا فصلت وثبتت أحكام الفرائض والمواريث. وكذا فصلت أحكام الطهارة ، فالطاهر طاهر، والنجس نجس ، والحدث حدث ، وحيض نساء آخر الزمان كحيض نساء أوله.. ولا تتبدل الأحكام.. إلى آخر ذلك من الثوابت . ولذلك جاءت أحكام هذه الأمور مفصلة جزئية كاملة تامة. ولكن كثيراً من أحكام العلاقات العامة ، وما يرتبط بحركة الإنسان ونشاطه مما تتغير ظروفه، قد ضبطت أحكامها بخطوط عريضة، ومن ذلك أحكام السياسية الشرعية.

فأحكام السياسة الشرعية :

أحكام مبنية على شريعة وسياسة ، والشريعة ثابتة وحلالها حلال ، وحرامها حرام . والسياسة متحولة متبدلة .لأن مبناها على حركة البشر ـ وبتبدل أحوالهم تتبدل الأحكام والمواقف منهم. وقضايا الحركة والإدارات، والتنظيم والتدبير، وسياسة الناس ، وأساليب السلم والحرب.. كلها محل اجتهاد. وقد ملأ علماء الإسلام عبر مئات السنين المكتبة الإسلامية بنفيس الإنتاج والاجتهاد. وما يزال الباب مفتوحاً للأكفاء.

فجهاد الأعداء دين وفريضة ثابتة. ولكن كيفيته وأساليبه وأدواته ونظامه..، كلها متغيرات تركت الشريعة الباب فيها مفتوحاً للإبداع والعطاء البشري وفق ما يفتح الله على عباده.. والعبث بثبات الثابت لا يؤدي إلا إلى كوارث أقلها الفشل والهزيمة ، وأسوأها البوار عند الله تعالى جزاء على اللعب بمحكمات دينه تبارك وتعالى.

وتثبيت المتحول بتعطيل سنن الله تعالى في خلقه، والتضييق على عباده ، و اختزال للآفاق التي وسعها الله سبحانه على عباده.

فمثلاً عند ما قال الله سبحانه وتعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة:123) . تحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بغاية الحركية والسعة ، فقاتل أعداءً قريبين وتجاوز عن بعضهم إلى بعيدين . وهكذا بدا أن الذين يلونكم ليست تعني بالضرورة الأقرب مسافةً على وجه الإلزام الشرعي . وإنما تشتمل قرب الزمان وقرب الضرر والأذى . وهذا ما فهمه الفقهاء و لخصه الإمام الشافعي بقوله : في الأم (4/ 177) :

[فإن اختلف حال العدو فكان بعض أنكى من بعض أو أخوف من بعض ، فليبدأ الإمام بالعدو الأخوف و الأنكى ، ولا بأس أن يفعل . وإن كانت داره أبعد إن شاء الله تعالى حتى ما يخاف لمن بدأ به لما لا يخاف من غيره مثلا . وتكون هذه بمنزلة الضرورة ، لأنه يجوز في الضرورة مالا يجوز في غيرها . وقد بلغ النبي صلى الله عليه وسلم عن الحارث بن أبي ضرار أنه مجمع له ، فأغار النبي صلى الله عليه وسلم عليه وقربه عدوا أقرب منه. وبلغه أن خالد بن أبي سفيان بن شح يجمع له فأرسل ابن أنيس فقتله وقربه عدوا أقرب].

فتجميدها على مفهوم المسافة والتتالي المباشر تثبيت لمتحول لا يؤدي إلا إلى الضيق والعنت . وهذا ما ألزم به البعض أنفسهم وقالوا لا نقاتل أمريكا وأعوانها حتى نقاتل العدو الأقرب وهم الحكام ، وجوبا ونصا . ولم يكن الأمر كذلك .

وقل أكثر من ذلك على الأدوات والأساليب والأسلحة والوسائل وطرق المواجهة...إلخ. فهي ليست ديناً ثابتاً ، وإنما وسائل متحولة متطورة .

ومن هنا كان الأساس الثالث لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي طرحناها هو التطوير.. تطوير فكرة الجهاد وأساليبه ووسائله.. وهذا المنطلق هو الذي ولد نظريات المقاومة في مناحي الحركة كلها والتي تشتمل على:

ا- الفكرة .
ب- الوسيلة .
ج- الأسلوب.

وبتفصيلها اشتملت على نظريات مطورة للعمل في المجالات الثمانية التي يقوم عليها العمل والحركة:

1 - **المنهج والعقيدة القتالية.**
2 - **السياسة وآفاقها.**
3 - **التربية وأبوابها وأساليبها.**
4 - **المواجهة العسكرية وأساليبها.**

5 - التنظيم والحركة وبناء الكيانات الجهادية.

6- التدريب والإعداد وطرقها المناسبة.

7 - تمويل الجهاد وطرق تحصيله.

8 - الإعلام والتحريض وأدواته وأساليبه.

وهي النظريات التي سنفصلها في الجزء الثاني من هذا الكتاب إن شاء الله .

وقد ولدت تلك النظريات من خلال آلية توليد ما نعتقده صواباً من خلال دروس وتجارب الماضي، وعبرة ما ثبت لدينا خطؤه ، أو عدم صلاحية استمرار العمل به.

وعلى كل حال وطالما أننا أثبتنا مبدأ التصحيح والتطوير لما سبق من تجارب وأساليب عمل وحركة ومفاهيم ومناهج ومبادئ اجتهادية ، فالمبدأ يبقى سارياً حتى على ما نطرح من أفكار وأساليب عمل وإدارات. نفترض صلاحيتها للمرحلة الحالية والمقبلة في المدى التطور. وهي أفكار من باب (الرأي والحرب والمكيدة) قابلة للتصحيح والتصويب أيضا .

وعلى السائرين على درب المقاومة والمجاهدة لأعداء الله أن يراجعوا أعمالهم في كل مرحلة ويحسب ظروف كل بلد أو مكان ويحسب زمان وتاريخ العمل ويحسب الأشخاص والأقوام العاملين ومن حولهم ويحسب تحول أحوال من حولهم من دوائر الأعداء وأنصار الأعداء والمجاهدين وأنصار الجهاد والعاملين المجاهدين وكل هذه متحولات تقتضي ديناميكية الحركة ورحابة الاجتهاد والتطوير..

وهكذا ونحن نتنسم هذه الروح وعبر دروس تجاربنا السابقة . أرجو أن تتسع الصدور ، وتتفتح الأفهام للحوار . وألفت النظر إلى أن هذه الطروحات تمثل دراسة نقدية من داخل الصف الجهادي ، فالحمد لله فإني ابن هذا المسار وأحد جنوده وأحد العاملين فيه وأرجوا أكون أحد شهداءه في سبيل الله إن شاء الله..

وقد حملت هذه المحاولة النقدية حنان المشفق وهو يتناول العلل ، مع جدية الباحث الذي يلتزم الإنصاف و الموضوعية والعملية . و ارجوا أن أكون قد وفقت لما قصدته من الخير. فما كان من ذلك فهو من الله تعالى وما كان من قصور فهو من نفسي القاصرة والكمال لله..

وقد حرصت على منهج التقييم العام وتجاوزت عن ضرب الأمثلة المحرجة المباشرة قدر الإمكان. كي يؤلف هذا الكتاب أكبر كمية ممكنة من القلوب ولا يحرج أحداً وخاصة أخوة الجهاد ورفاق السلاح و المسار الطويل . فرحم الله من مضى ، وثبت من بقي وأعاننا على نكاية أعدائه و جمعنا وإياهم على خير..

وأعتقد أن هذه الطروحات ستصادف صدوراً رحبة حانية تغفر الزلة . وتأخذ بالنصيحة وتتجاوز عما تعتقده إساءة غير متعمدة . وأرجوا ألا يحمل الكتاب من ذلك شيئاً..

كما أعتقد أنه سيصادف صدوراً ضيقة ستتعامل معها بالتشنج ، إما لرفض مبدأ النقد . وإما لمواقف مسبقة من المؤلف .. فسامحهم الله سلفاً ومن أحرى بالمغفرة والسماح من الإخوة المجاهدين في سبيل الله.

وأسأل الله تعالى العون على اقتحام هذه العقبات الصعبة في مثل هذه الأبحاث ، وأسأله الهدى لما يرضيه . ويجعل منه زاداً للمجاهدين في سبيله ويكتب لنا مثل أجور من انتفع بشيء من هذه النصائح ومضى لجهاد أعداء الله ،لا ينقص وأجورهم شيئاً .

الفصل السابع
حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً
(1963-2003) م

قال الله تعالى:

﴿ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ* رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ *. فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَاباً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴾

روى أبو داود والترمذي من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه قال رسول ﷺ عن هذه الآية :

﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم ﴾.

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**بل ائتمروا بالمعروف. وتناهوا عن المنكر. حتى إذا رأيت شحا مطاعا. وهوى متبعا ودنيا مؤثرة. وإعجاب كل ذي رأي برأيه ... فعليك بخاصة نفسك ودع عنك أمر العوام. فإن ورائكم " أيام الصبر". الصبر فيهن مثل قبض على الجمر. للعامل فيهن أجر خمسين. قلت يا رسول الله :أجر خمسين منهم. قال: أجر خمسين منكم**).

الفصل السابع:

حصاد التيار الجهادي في أربعين عاماً

(1963-2003)م

- **مبدأ المراجعة والتقييم ومعوقات حصوله:** لا شك أن هذا المبدأ هو من منهج القرآن ، و طروحات السنة ، وأساسيات الدين . كما أنه مسلك ثابت للصالحين . وطريقة معتمدة لدى كل العقلاء من كل ملة و دين. فقد نبه القرآن الكريم المؤمنين جماعات وأفراد، في أكثر من آية إلى اتباع هذا المنهج ، ولاسيما بعد الأزمات ودلالات الواقع على وجود أخطاء و اعوجاجات ، أدت لنتائج من البلاء والنوازل أو العقوبات . فردهم إلى مراجعة أنفسهم . قال تعالى يخاطب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بأسلوب صريح.

﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ (آل عمران:165) .

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (آل عمران:135) .

﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾ (القيامة:2) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ ﴾ (الأعراف:201) .

﴿ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَضَالُّونَ * بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ * قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلا تُسَبِّحُونَ ﴾ (القلم:28 / 26) .

﴿ فَلَوْلا إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (الأنعام:43) .

والآيات كثيرة في هذا السياق . ومما في السنة الشريفة:

(الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني)...

وقد قال عمر رضي الله عنه : " **حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم** "

وها نحن نرى اليوم هذا المبدأ معتمداً، لدى جميع الدول والحكومات ، والأحزاب السياسية، و الشركات الإقتصادية، وسوى ذلك من مختلف المؤسسات . فكل هذه المؤسسات إثر كل مرحلة أو خطة مرحلية ، تقيم أعمالها ، ونسب التقدم والتراجع ، وتجري حسابات الربح والخسارة ، وتدرس مستوى الأداء في المراحل التي انقضت . وغالباً ما يفعلون ذلك من أجل التطوير والتحسين بشكل دوري وطبيعي ، حتى من غير مرورهم بأزمات أو خسارات . وأما في حال ذلك ، فإن أجراس الخطر تدق للشروع في البحث في أسباب ذلك . فتبدل البرامج ، و تغير الإدارات ، وتحدد أماكن الخلل والتقصير و المسؤولون عن ذلك، فيستقيلون أو يقالون ، أو حتى يحاكمون في حال ترتب على تقصيرهم ما يضر بالآخرين. بل إن التطرف يصل ببعضهم إلى الانتحار تعبيرا عن الشعور بالمسؤولية، أو للهروب من تبعاتها أمام أوساط لا تغفر التقصير وتبعاته على المجموع.. ومن أهم ما يدعو العقلاء إلى عمليات المحاسبة و تقييم المراحل الماضية ، تغير الظروف المحيطة ببرنامج عمل ما ، بشكل ينذر بعدم صلاحية البرامج والخطط التي وضعت لظروف سابقة تغيرت معطياتها. أو في حال حلول كوارث ومفاجئات تقتضي ما يسمى في علم الإدارة بخلايا الأزمة أو إدارات الأزمة. و يقصر المجال هنا عن ضرب الأمثلة الكثيرة ، من تجارب المسلمين وغيرهم ، وهي شواهد يعرفها كل من يعيش عصره ويحتك به ويطلع على ما يدور من حوله . خاصة من المثقفين ، بل حتى من عوام الناس في عالم اليوم .

● الصحوة و الجهاديون ومبدأ المراجعة والتقييم :

إذا ما عدنا لواقع الصحوة الإسلامية عموماً بمختلف مدارسها ، وإلى التيار الجهادي خصوصاً نجدهم أنهم من أبعد الناس عن هذا المنهج . فقد بدأت مساري في الإخوان المسلمين ، وعشت في هذه الصحوة وفي تيارها الجهادي خاصة ، واحتككت بالكثير من شرائحها ، و اطلعت على كثير من دوائر الصحوة ، وخاصة بسبب كثرة أسفاري وعملي في مجال الفكر والكتابة والإعلام ... ورأيت وللأسف كيف أن أكبر الكوارث و الانتكاسات والأخطاء ،وخصوصاً تلك التي أدت إلى فواجع على صعد كثيرة ، كانت تبرر و يغلق ملفها بأربع كلمات بكل بردود : (**قدر الله وما شاء فعل**) . وهكذا تستخدم هذه الجملة المقدسة الدالة على أحد أركان الإيمان ، بأسوأ طريقة لإطلاق كلمة حق يراد بها الباطل وتبرير العجز والفشل والتخلف.

ولست هنا أيضاً وأنا بصدد التقديم لهذا الفصل في مقام ضرب الأمثلة في مسار الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي ، وهي كثيرة ومريرة ، وتستأهل دراسةً مستقلة هادفة. ولكن الذي أريد أن أشير إليه وأؤكد عليه وهو ما فعلته في كثير من الكتابات والمحاضرات والمناقشات . ولاسيما منذ انصرام الجهاد الأفغاني وانطلاق النظام العالمي الجديد سنة 1990 . وقد كانت خلاصة ما اقتنعت

به ؛ أنه إن كان قد أمكن تجاوز هذا المبدأ الشرعي و الديني والمنطقي العقلي عبر مسار الصحوة الذي أخذ عقوداً من الزمن منذ 1930 وإلى انصرام القرن العشرين ، وعبر مسار الصحوة الجهادية عبر نصف تلك العقود أيضاُ ، وهي مدة غير قليلة. فإن من غير المقبول أن نتجاوز ذلك ، وقد قام النظام العالمي الجديد ، وغيَّر موازين السياسة والواقع ، وابتدأ في الدنيا واقع جديد . ولكن وللأسف فإن القليل جداً من أوساط الصحوة ، و التيار الجهادي فعل مثل تلك المراجعات اللازمة .

ثم جاءت فرصة الشوط الثاني في أفغانستان كما أشرت لذلك . وكانت هناك بوادر لمثل تلك المراجعات لم يتم منها إلا المراحل الأولى ، وهي الاعتراف بوجود أزمات وخلل والاعتراف بالحاجة للإصلاح والتغيرات . ولكن القدر كان أعجل من ذلك في سبتمبر 2001 . وما زال المبدأ قائماً بعد أن بدأت مرحلة جديدة من مراحل النظام العالمي الجديد ، وهي المرحلة التي دعيت (عالم ما بعد سبتمبر) حيث انطلق (القرن الأمريكي) كما أراد المتطرفون الأمريكان وأعوانهم من اليهود والصليبيين في أوروبا والعالم..

● الصحوة والتيار الجهادي والحاجة الماسة للتقييم والإصلاح:

فالحاجة جد ماسة اليوم ،لأن يقوم المعنيون من شيوخ الصحوة الإسلامية وقياداتها. وخاصةً العاملين في جهازها العصبي من الكتاب والمفكرين والعلماء . بتلك المراجعات . وبدراسة الأوضاع المستجدة . و تحليل أسباب الأزمات والنوازل الخارجية والداخلية ، و وضع الحلول الناجعة لها بحسب ما يفتح الله عليهم.

وفي هذا السياق أضع هذا الفصل من كتابي هذا مساهمة من قلب التيار الجهادي ، لتقييم هذا الواقع وأزماته ، بحثا عن الحل . راجياً من الله أن يتقبله برضاه ويهديني فيه للإخلاص والصواب والقبول . ويدخره لي ذخراً وأجراً ويتجاوز عن تقصيري وزللي.

فأظن أن الأمر أوضح من أن يدلل اليوم على أن الدنيا قد تغيرت وتبدل كل شئ بعد سبتمبر وانطلاق الحملات الأمريكية. وأظن أن معظم الحلول والأساليب التي طرحت في الصحوة الإسلامية و الجهادية لم يعد واقعياً ولا صالحاً . رغم أن قطاعات كبيرة من أنصار الجمود والتخلف ما تزال تعمل به وللأسف حتى يقضي الله أمراً كان مفعولاً.

● معوقات على طريقة منهج التقييم والمراجعة والإصلاح والتطوير:

هذه مشكلة قديمة قدم وجود الإنسان على هذه الأرض ، فمنذ أن بدأ العوج وفسدت الأحوال وأرسل الرسل والأنبياء مبشرين ومنذرين ليصلحوا ما أفسد الناس . فدعوهم إلى دعوة الحق والفلاح الواضحة الصريحة التي يشهد بها العقل وتنساق من إليها الفطرة بقولهم (**اعْبُدُوا**

اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) . وجدوا القطاع الأكبر من بني البشر يقودهم الملأ والأعوان و الكهان الذين استخفهم طغاتهم يجيبونهم :) **إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ**) . والشواهد في دعوات الأنبياء كثيرة جداً على هذا الخلل الكامن في طباع أكثر النفوس البشرية الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي.

- **فالمعضلة الأولى** ، والمعوق الأكبر هو إصرار النفوس على البقاء على ما ألفت ، والتمسك بالواقع وتراث الماضي رفض التغير والتطوير. ولاسيما عند ما يتعلق بموروث معتقد أو منهج عمل وسلوك..

- **وأما المعوق الثاني** ، فهو تقديس الرجال وتقليدهم في منهج الدين والدنيا، والتعصب لأفكارهم ومسارهم وأساليبهم.. وتقديس الهياكل و المؤسسات ، سواءً كانت قبيلة أو قوماً أو تنظيماً .على حساب الحق. وكم شهدت من هذه الشواهد في مسار الصحوة الإسلامية . وحتى الجهادية وكم تشكى منها المصلحون في الدعوة . فقد احتج الأستاذ العلم الشهيد سيد قطب على هذه الظاهرة و احتج عليه بقول يكتب بماء الذهب فقال : (**إن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج**) .

وقد صاح شيخ الجهاد ومؤسسه في سوريا الشيخ مروان حديد بقيادة الإخوان المسلمين في سوريا ،الذين رفضوا جهاد البعثيين و النصيرية ، فقال لهم : (**لقد جعلتم من مصلحة التنظيم وثناً يعبد من دون الله**) . وكثيراً ما كررها الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في وجه قيادة الإخوان المسلمين الذين وقفوا عائقاً في وجه توجه الشباب للجهاد في أفغانستان ...

- **وأما المعوق الثالث** ، فهو ممانعة المستفيدين من الأوضاع القائمة لمبدأ التغير والإصلاح والمراجعة . لأنه سيحملهم نتائج أعمالهم . ويغير أحوالاً ، ستذهب على الأقل بمكاسبهم ومراكزهم فيستغلون المعوقين السابقتين من حب البشر لتقديس الموروث و رموزه ، و إلفة النفوس لواقع حالها، وما شبت وشابت عليه. ويحشدونهم للدفاع عن مراكزهم التي تكفل استمرار الفشل والكوارث . إلى أن تغرق السفينة بالكل ، وتغمر الأحزان الجميع ،إلا القبطان المتشبث بدفة القيادة يدير عجلتها في أعلى المقصورة ، أملاً بأن تسلم قمرة القيادة ،غير عابئ بمعظم السفينة التي غمرتها المياه بما حملت من خلق ومتاع .

● تطبيق مبدأ التقييم والمراجعة على واقع التيار الجهادي منذ 1960 وإلى أحداث سبتمبر2001:

بكل موضوعية وجدية واختصار أقول ؛ لو أننا وضعنا تلك المعوقات جانباً.. لا سيما وقد وصلنا إلى قعر الأزمة و الكوارث كجهاديين بعد سبتمبر. وبكامل التسليم بقضاء الله تعالى والرضا بقدره خيره وشره . ثم التفتنا إلى تحليل واقعنا وأسباب ما جرى لنا ونحن نعتقد أننا نحمل خلاصة دعوة الحق ورايته الصافية. وقد قدم المئات من قياداتنا ، و الآلاف من كوادرنا و من قواعد هذا التيار الجهادي المبارك ، جهودهم بكل إخلاص وتضحية. فلما ذا كانت النتيجة هكذا ؟! وما هي حصتنا من قوله تعالى : (**أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا**) ؟ ! (**قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ**) !

(آل عمران:165) .

. وإلى أي مدى من المنطقي والصحيح ألا نحتمل مسؤولية هذه النتائج ؟! وهل بإمكاننا إلقاءها صادقين محقين على عوامل خارجية؟! ونردد مستريحين : قدر الله وما شاء فعل !!

وإلى أن مدى نحن مسؤولون لمخالفتنا السنن ولعدم أخذنا بالأسباب الممكنة ؟!

ليس من هذا من أجل تحديد مسؤولين عن ذلك ومحاكمتهم ومحاسبتهم ومطالبتهم بالتنحي أو إنزال العقاب بهم أو مطالبتهم بالانتحار!!. وإنما من أجل فعل إيجابي، يحفظ للسابقين منزلتهم . وللعاملين عملهم، متخذين من هدى ربنا سبيل رشد إذ يأمرنا بأن نكون من الصالحين:

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر 10) .

إننا نجد في خلاصة مسارنا عبر أربعين سنة ما يمكن تلخيص بكلمتين: (**لقد كسبنا معارك كثيرة ولكننا خسرنا الحرب في كل الميادين**) .

لقد كانت نتيجة عمل التيار الجهادي وتنظيماته هي الفشل في تحقيق الأهداف . وانكسار المواجهة . و قائمة هائلة من الخسائر. وثبوت الفشل في تحقيق الأهداف. والعقم في الوسائل . وهذا يقودنا لسؤال كبير..

هل يجب علينا أن نعترف بالهزيمة؟ ونستسلم للواقع ؟! وأجيب عن ذلك بالتعرض لفلسفة العلاقة بين الفشل والهزيمة والفارق بينهما.

فإني أعتقد أن الفشل هو عدم تحقيق الهدف في إحقاق الحق . وأما الهزيمة فهي التخلي نتيجة الفشل عن السعي لإحقاق الحق . وبالتالي فإن الانتصار منزلتان. انتصار ظاهر وهو تحقيق الأهداف في إحقاق الحق ، وانتصار باطن وجوهري ، وهو الإصرار والاستمرار في السعي لتحقيق

الحق . والدأب في السعي إلى ذلك، إلى أن يوافق من يختارهم الله من السائرين على الدرب قدر الله ، ويجتمع لهم الإذن بحصول النصر الظاهر، بأن وفقهم إلى الإخلاص والصواب.. خلوص السرائر له وحده سبحان ، و صواب في المنهج ، وتوفيق في اختيار وتطبيق الوسيلة.

فإذا ما اجتمع القدر بالنصر إلى صواب المنهج وتوفيق الوسيلة. تحقيق النصر الكامل التام الشامل وهو حصول النصر الظاهر في الدنيا والقبول للعمل في الآخرة :

قال تعالى : ﴿ ۚانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقّاً عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: 47) .

وقد جاء في الأثر : (إن الله لا يقبل من العبد إلا ما كان خاصاً لوجهه كان صوابا)، ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴾ (الأحقاف: الآية16) .

وبهذا نجد الآن أن أهل الصحوة الإسلامية و منهم الجهاديون قد انقسموا فريقين ..

فريق منتصر أثخنته الجراح ولم تنحن هامته ولم تنكسر همته. يناطح القرن الحادي والعشرين ليجعله قرن الإسلام وسيكون إن شاء الله كذلك .

وفريق منبطح طأطأت هامته ، فانكسرت همته ، فانبطح تدوسه سلاسل دبابات أمريكا وأحذية جنودها ، ويصم أذنيه هدير طائراتها وصواريخها ، عن سماع صوت الحق تعالى يصدح : الله أكبر.. حي على الفلاح ..﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ ﴾ **بشرط مهم :** ﴿ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ . ولكنه خائر القوى مهدود العزيمة ! وهؤلاء يستسلمون الآن ، لقد سلموا بأنه القرن الأمريكي . والأمثلة صارخة الوضوح على استسلامهم .

ففي الصحوة الإسلامية عامة ، كما في التيار الجهادي ، ظهر مستسلمون . وفي قطاع الأمة الكبير ، أكثرهم مستسلمون .

ولذلك ولعلمي بمنهجية التيار الجهادي وبنيته ومساره ، بعد إيماني بموعود الله أقول باختصار..

نعم لقد فشلنا معشر الجهاديين ، ولكننا لم ننهزم . وإن كان في محصلة نتيجة مسارنا، إلى جانب قائمة الشهداء والأسرى والمشردين والمعذبين ، بند أسودٌ قد سجل فيه بعض المستسلمين المهزومين من الجهاديين أسماءهم . كما حصل من بعض قيادات الجماعة الإسلامية في مصر. وبعض التائبين من الجهاد في السعودية ! ومن إخوان سوريا وغيرهم ..

ولكن هذا لا يغير من محصلة النتيجة التي يدل عليها دبيب الحياة في جسد الأمة التي خصها الله بوعد جليل:

﴿ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾(غافر:51). فذلك قدر الله كتبه من قال تبارك وتعالى:

﴿ كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾(المجادلة:21)... ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات:173) .

﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ و َعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور:55)

وكل ذلك لسبب عظيم جليل مقدس ، لخصه الشعار الجليل :

(الله أكبر..الله أكبر.... لا إله إلا الله) . ولأن الله أكبر ، ولأنه لا إله إلا الله .. فليعل هبل.. فالله أعلى وأجل.

● أسباب فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه خلال (1960-2000) :

أعتقد أن فشل التيار الجهادي في تحقيق أهدافه يعود لثلاثة أسباب ؛ اثنان خارجيان عنه ، سأذكرهما بإيجاز. وثالث متعلق به وهو ما سأفصل فيه في الفقرات التالية وهذه الأسباب هي:

1- شراسة هجمة الأعداء على الجهاديين واختلال ميزان القوى بشكل صارخ:

فقد استباح أعداء الإسلام في الداخل والخارج كل وسائل البطش والتنكيل بالجهاديين وجماعاتهم وقياداتهم وعناصرهم ، وتجاوزوا ذلك إلى البطش بأسرهم ، والتنكيل بآبائهم و أمهاتهم وأقربائهم ونسائهم وأطفالهم . وقد قام بالقسط الأكبر من هذا الجهد والبلاء أنظمة الردة الحاكمة في بلاد العالم العربي والإسلامي . ثم انضمت إليها قوى الكفر من الصليبيين واليهود وأنواع الملحدين بشكل صريح معلن ، بعد أن دعمتها وقدمت لها الخدمات والأدوات والدعم العسكري والأمني والإعلامي والمادي . فقد حارب أولئك الحكام الكفرة المرتدون وما زالوا ، كل من وقف في وجههم مجاهداً بكل وسائل القتل والتعذيب والتصفية . بالقتل و بالسجون ،وبالتشريد والمطاردة ، وبهتك الأعراض ، وبأخذ الأقرباء رهائن للضغط على المجاهدين ، وبالتجويع والحصار... إلى آخر ما هو معروف .

ومنذ انطلاق المواجهات بدا ميزان القوى بين الجهاديين وهؤلاء الأعداء مختلا ، وما زال بالغ الاختلال عددا وعدةً ووسيلة. ولاسيما في ظل ما أشرنا إليه في الفصل السابق من انبطاح معظم الصحوة الإسلامية وقياداتها عن خوض المواجهة . وفساد القطاع الأكبر من العلماء أو انقماعهم وخورهم في جحور الرخصة . و خوارهم في زرائب النفاق والخذلان ، إلا من رحم الله وقليل ما هم

. وكذلك في ظل إعراض الأمة وعموم الشعوب المسلمة عن البذل والتضحية في هذه المعارك المصرية. وهكذا أدت الحملات العسكرية والأمنية الطاغية مما أشرنا لطرف من وسائلها آنفا إلى اختلال ميزان القوى وعدم تمكن الجهاديين من تحقيق أهدافهم وكان هذا أحد الأسباب الخارجية..

2- الواقع المنكوس للأمة وحالة الخذلان التي أحاطت بالمحاولات الجهادية :

ويمكن تلخيص هذا الواقع المنكوس في ثلاثة مناحي ساهمت بمجموعها في خسارة الجهاديين ، طليعة هذه الأمة ، لكافة المواجهات حتى الآن . وهذا الواقع المرير يتجلى في ثلاثة ظواهر قاتلة:

أ- فساد الشريحة العظمى من علماء المسلمين:

توزع أكثر علماء المسلمين في هذا الزمان على قسمين ؛ إما علماء سلطان وفقهاء ضلالة. وإما علماء منكفئون في جحور العجز متعذرين بالرخصة والضعف وقلة الحيلة.

والشواهد على ذلك أسود من أن يشار إليها، وأكثر من أن تحصى . وقد أشرنا لبعض أطراف هذه الظاهرة آنفا . فماذا أسوأ من أن يتولى علماء هذه الأمة بأنفسهم مواجهة أبنائها من المجاهدين . ويشهدون عليهم بأنهم مجرمون إرهابيون خوارج . و بغاة مفسدون في الأرض.ويفتون بأنهم كلاب أهل النار في الآخرة ، وأما في الدنيا فحكمهم أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض .! حيث يشهدون على حكامهم الفراعنة الطغاة ، المشرعون من دون الله ، الحاكمون بغير ما أنزل الله ، المظاهرون لأعداء الله بالسنان واللسان والجنان ...بأنهم أولياء أمور شرعيون ! مسلمون مؤمنون ! تجب طاعتهم ! وأنهم أهدى من الذين آمنوا وجاهدوا سبيلا ؟!!

بل هل هناك أدهى و أنكى من أن يسبغ علماء المسلمين الخونة ، الشرعية على قوى الاحتلال الغازية ويعطونهم صفة المستأمنين والذميين ، بل الموادعين و المناصرين . هؤلاء الذين جاؤوا بخيلهم ورجلهم يحتلون البلاد وينهبون العباد ويحاربون الله ورسوله ويظهرون في الأرض الفساد.. حتى قال العلامة السعودي المنافق (**عبد المحسن العبيكان**) فض الله فاه : **أن الأمريكان لا يضربون إلا من يعتدي عليهم في العراق ! وأن الكفار لو عينوا على المسلمين حاكما ، فهم ولي أمر شرعي** !!!!!!!!!!!!

والشواهد السوداء المنكرة تحتاج إلى كتب كثيرة لا تستوعبها المجلدات. من أقوال وشهادات وفتاوى الضلال التي يستعلن بها علماء السوء ، وفقهاء البنتاغون اليوم في كل بلاد وأقطار العالم العربي والإسلامي..

وأما شريحة القلة الصالحة من علمائنا.. فهم الساكتون عن الحق الشياطين الخرس.. أصحاب أعذار الذلة وقلة الأعوان ، والرخصة بأن لا يكلف المرء نفسه مالا يطيق.

وهكذا ترك العلماء واجبهم في الأمر والنهي والبيان . وتقلبوا بين منازل كتمان الحق و أو تبديله وتغيره والشراء بدين الله وعهد الله ثمناً قليلاً..

وهذا نكص العلماء عن قيادة الصحوة ، وقعدوا عن قيادة الجهاد . فتاهت الصحوة الإسلامية بسببهم . فراحوا يعيبون عليها تيهها ! وخرجت الأمة من المعركة تبعاً لذلك . وكان هذا السبب القاتل في تعطل صمام الصلاح والأمان في الأمة من أهم أسباب انفراد العدو بالجهاديين وخسارتهم للمعركة.

ب- فساد معظم قيادات مدارس الصحوة الإسلامية:

أحجمت الغالبية الساحقة من قيادات الصحوة عن دخول المعركة ، بل لقد دخلوا بدلا عن ذلك الميادين التي رسمها لهم العدو نفسه. ليصبح أكبر دعاة الصحوة ، دعاةً للدين الأمريكي باسم الديمقراطية و الإعتدال ، والسعي إلى تبديل المناهج لتنافي العنف والتطرف ، وليصبح العديد أكبر رموز الصحوة جزءاً من مؤسسات السلطات المرتدة الحاكمة الكافرة وللأسف .. وزراء و مشرعين في البرلمانات ، وجلساء موائد السلاطين في كل مناسبة .

وهكذا ومنذ أواخر الثمانينات ومطلع التسعينات ولاسيما بعد انطلاق النظام العالمي الجديد.. وخاصة منذ انطلاق عالم ما بعد سبتمبر.. صار معظم قيادات الصحوة الإسلامية من أهم مرتكزات ذلك العدوان في تحقيق الغزو الفكري ، وفي نصرة أوليائه من الحكام المرتدين وأنظمتهم ، وفي إنجاح خطة عزل الأمة عن تأييد المجاهدين لهؤلاء الأعداء..

ج- انغماس أكثرية الشعوب الإسلامية في الفساد وعدم نصرتهم للمجاهدين :

تتميز حياة عامة المسلمين في هذا الزمان بالبعد عن الله ، وفي الانغماس في حياة العبث والفسوق والعصيان ، وفي البعد عن طاعة الله ، واستحقاق أكثرهم لسخط الله وعقابه . فكيف تنتظر نصرتهم للمجاهدين و قيامهم بفريضة جهاد أعداء الله ؟!.

وقد أسهبت في الفصل الأول في وصف أحوال وواقع المسلمين اليوم بما يغني عن التكرار هنا.

والخلاصة أن واقع حياة أكثر المسلمين هو واقع الفسوق والعصيان والجبن والخذلان ، والوهن ؛ حب الدنيا وكراهية الموت ، بسبب ضلال أمرائهم ، وفساد علمائهم ، وعجز وتردي أحوال أكثر من يوصفون بقيادات صحوتهم.. . فأنى لهم أن يرتقوا إلى ذروة سنام الإسلام ليجاهدوا في سبيل الله وينصرون الله ورسوله..

أنى للساهرين على برامج (الفيديو كلوب) و(أكاديمي ستار) ، أن يدفعوا أعداءهم ؟ أنى لجمهور يتربى على برامج القنوات الفضائية ، مثل (روتانا) وأشباهها أن ينصروا دين الله . أنى لهؤلاء الذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم أن يقفوا إلى جانب المجاهدين و يبذلوا التضحيات ؟!

إن وصف واقع المسلمين المخزي يحتاج للمجلدات الكثيرة . وإن وصف طريق الإصلاح والنجاح يحتاج لبرامج جادة لا صلاح ما فسد من أحوال المسلمين في كل مجال..

فأكثر المعتقدات فاسدة. وغالب الأفكار ضالة . وسلوك الأكثرية منحرف . والعادات والتقاليد مستوردة من الكفار. وأكثر المكاسب من الحرام . وقد عم الزنا والفجور. والخلاعة والاختلاط والسفور. وتقنن أكل الربا ، وفشا أكل أموال الناس بالباطل . وظهر الغش والخداع والرذيلة والتبرج . وغدا التسابق في ميادين الميوعة و السفه مألوفا . وصار التيه في ميادين الرفاهية والعبث والبذخ طابع حياة الميسورين ، والحسد والضغينة والنفاق طابع أكثر المعوزين .

وصار المصلون في الناس قلة ، وأكثر الصائمين يفطرون في رمضان على موائد المرح والسهر على المعاصي والفوازير وبرامج الكفر بالله ، وآخر مخترعاتهم فيما أسموه الخيام الرمضانية . حيث تفطر الجموع على ألحان الاوركسترا ، وهز بطون الراقصات ، والمسابقات الفنية والجوائز ..إلى قرب السحر ، حيث يأكلون ما لذ وطاب ثم ينقلبون نائمين جيفا ، يفتتحون نهارهم بترك صلاة الفجر بعد ما ملؤوا ليلهم بالموبقات !! . وصار لا يؤدي من الناس الزكاة إلا أقلهم . ولا يحج فهم رغم الاستطاعة إلا النادر منهم .وأكثرهم نزهة وفخرا وتجارة ..

فأين القوم الذين يسمون (مسلمين) ، من حقيقة شهادة أن لا إله إلا الله و أركان الإسلام ؟! وأين هم من منازل الإيمان بالله وأسمائه وصفاته، وملائكته وكتبه ورسله ؟!. وماذا بقي مما يدل على إيمانهم بالله واليوم الآخر وقضاء الله خيره وشره؟!

ولا يظن ظان ، أو يدلس مبطل ، أنا نعتقد كف ر أمثال هؤلاء الفساق من المسلمين ، كلا ! ولكنه توصيف لأحوال أتت بهذه النتائج . فهم بشكل عام مسلمين ، والله أعلم بحال كل منهم . وليسوا إلا ضلالا فجارا مناكيد ، أصلحهم الله أو أراح منهم .

وهذه حالة أكثرية المسلمين مع الأسف ، وهو ما أخبر بحصوله رسول الله صلى الله عليه وسلم في آخر الزمان . (أنظر مسك الختام ، في آخر الكتاب) . ومهما تكن هذه الحقيقة مؤلمة ومهما أنكرها و أنكر واقعتها علماء السوء والمشايخ العصريون من أصحاب القبة البيضاء وربطة العنق الأوروبية! واللحى المنتوفة .. من دعاة الإسلام الأمريكي ، والجمهور المعجب بـ (ولاويل) العلامة الحليق المهرج عمرو خالد ..

و إلا فما ذا تحتاج هذه الشعوب الإسلامية حتى تتحرك ؟!

هل تحتاج جوعاً أكثر مما هي فيه حتى تتحرك ؟ فهذا أول ما يحرك الإنسان أي إنسان للثورة . وهؤلاء لا يخرجون يقاتلون عن جوعهم وجوع أبنائهم !! ولله در أبي ذر رضي الله عنه عندما قال : عجبت لرجل يبات جائعا ولا يخرج بسيفه على الناس !

أم يحتاجون ذلاً أكثر مما هم فيه ، وهم في حالة من الذل تأباها حتى فطرة أكثر الحيوانات ، فتجدها تركل وتنطح أو تهبش أو تعض ! إذا ما أوذيت تدافع عن نفسها . وهؤلاء لا يتحركون من ذلهم !!

وهل يحتاجون انتهاك للأعراض أكثر مما حصل ويحصل؟! أم هل يحتاجون غزواً خارجياً واحتلالاً ؟! أم عسفاً وظلماً وقهراً ؟! وهل ينقص الأمة من كل هذا شيء حتى تتحرك؟!

والعجيب اليوم ، أن المظاهرات ومسيرات الرفض لاحتلال بلاد المسلمين من قبل شعوب الكافرين هي أكثر مما خرج في بلاد العرب والمسلمين الذين غزا الكفرة ديارهم! فهم في أوربا بالملايين ، وفي بلادنا بالآلاف ، أو المئات والعشرات غالبا !

بل تندهش لما تجد المصادمات بين عشرات آلاف المتظاهرين في اليابان وكوريا وغيرها مع شرطة بلادهم حتى لا يذهب جنودهم لاحتلالنا، في حين ينزل هؤلاء الجنود في مطارات بلادنا المجاورة للعراق وفلسطين وغيرها من البلاد المختلفة وينعمون بكل الهدوء والدعة، بل بالترحيب أحياناً لا أقول من الحكام فحسب بل من بعض الشعوب! بل وحتى بالتمتع بعاهراتنا المرخصات بنص القانون والدستور .

وحتى لا يستغرب مستغرب ، فقد جاء في الأخبار خبر طريف ، مفاده أن مجموعة من راقصات مصر المسجلات رسميا (كفنانات) وعددهن يربو على 5000 راقصة ، تظاهرن احتجاجا على سماح الحكومة المصرية للراقصات المستوردات من روسيا ودول أوربا الشرقية ، بالعمل في (كباريهات)مصر. لرخص أجورهن . وأكثرهن بالطبع عاهرات كحال تلك المتظاهرات .!!

وقد رد وزير مصري على احتجاج أحد الإسلاميين على أخذ ضريبة الدخل ، من العاهرات المسجلات رسميا . فقال الوزير باللهجة المصرية: (ما هيه بتكسب ؟ والقانون عندنا بيقول : في كل كسب ضريبة!!).

وتحتج منظمات حقوق الإنسان الكافرة العلمانية الأجنبية على منع المسلمات من الحجاب في فرنسا . غيرة على الحرية الشخصية . ويقوم كبير علماء المسلمين شيخ الأزهر في مصر المنكوس طنطاوي ليفتي بأن منع الحجاب شأن فرنسي داخلي لدولة ذات سيادة و لا يجوز التدخل به!! وأن الحجاب واجب على المسلمات في بلاد المسلمين وليس في البلاد الأجنبية !! ثم يعتمد حسني مبارك هذه الفتوى في خطابه ، ويطلب من المسلمين في فرنسا الموضوعية والحوار!. لا بارك الله فيه ولا في شيخه الحمار ..

إننا اليوم من أمة وقف كبير هيئة كبار علمائها ابن باز يفتي بجواز بالتطبيع مع اليهود، حتى قام (بيريز) في الكنيست ينوه باعتداله ويثني عليه ، وأعضاء الكنيست من الحاخامات والمجرمين يصفقون له!

وهاهي مآسي الإنتفاضة في فلسطين لم تقدم لها الأمة إلا بضع تظاهرات ما لبثت أن قمعت ، ولم تتكرر. ثم تكرر المشهد في احتلال العراق!! ومن قبل ذلك ذبحت البوسنة أمام سمع المسلمين وبصرهم ، واغتصبت أكثر من 60000 مسلمة ، وضعت منهن من الزنا 30000 ابن سفاح ، أخذتهم مؤسسات التنصير ! في حين كان الحوار دائرا على صفحات جريدة (المسلمون) السعودية حول جواز أن تضرب المغتصبة بطنها حتى تسقط جنينها ، وحرمة وحل ذلك !!. و الشيشان ..وكشمير ..و وزيرستان ..و !!

وهاهي الفضائيات اليوم تضع الأحداث بحذافيرها في كل بيت من بيوت المسلمين ..فماذا تحتاج هذه الشعوب حتى تتحرك ؟!

فهل يرجى من مثل هذه الشعوب اليوم نصرة لدين الله حتى ينصرها الله تعالى ، وهو القائل :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴾ (محمد:7)

﴿ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثاً ﴾ ﴿ أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ ﴾..؟ ﴿ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ ؟! والله إن على أكثر القلوب اليوم أقفالها وسلاسلها.. (كَلا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ونعوذ بالله من أسباب سخطه.

ذات يوم سألت أحد قادة جماعة الجهاد في مصر أيام جمعنا الجهاد ضد الروس في أفغانستان ؛ لم فشل الجهاد في مصر؟ فقال " يا أخي أنت تعرف أن من أهم مقومات حرب العصابات معطيات الأرض ومعطيات الشعب . والمشكلة عندنا في مصر أن الأرض مسطحة والشعب المصري أيضاً شعب مسطح.. فكيف تقوم حرب عصابات جهادية ؟! ". ومع العذر من صلحاء المسلمين في مصر وأرجو أن لا يحزنوا لهذا الشاهد ، لقد أثبتت كل الشعوب في مصر كما في غيرها ، أنهم شعوب مسطحة، قد سطح حكامُها علماءَها و صحوتَها بالسيف والسوط والذهب ، وسطحت الصحوةُ والعلماءُ شعوبَها ، فلم يبرز فيها مقاوماً إلا قلة ممن أنعم الله عليهم .

وها هي بلدي العزيزة سوريا المنكوبة ، بلاد الشام ، عقر دار الإسلام ، قد حول النصيرية عاصمتها دمشق إلى ماخور للزناة باسم السياحة . لتوفر الاستجمام لعرابيد الزناة القادمين من أطراف الأرض ولاسيما من دول الجوار ..كي لا يتكبدوا عناء السفر إلى بانكوك ، ويضربوا لها أكباد الـ (بوينغ) . ولا داعي لمزيد من الإحراج !

وقل مثل ذلك عن المغرب ، وتركيا ..وفنادق دبي .. ومواخير جزر المالديف .. وغيرها وصولا إلى جزيرة بالي الأندونيسية !

وتبقى الحقيقة كما قال تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءاً فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴾ (الرعد: من الآية11) .

إن الحقيقة المرة تثبت كل يوم ،أنه لم يعد لأكثر المسلمين من الإسلام إلا اسمه ومن الدين إلا رسمه. ولم يعد من المسلمين ،على ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ممن وصفهم بالفرقة الناجية إلا القلة ، ولا ينتسب إلى طائفتهم المنصورة المجاهدة التي تقاتل على هذا الدين إلا قليل الآخرين من الرجال والنساء المتناثرين هنا وهناك يعبدون الله قابضين على الجمر معزولين متهمين مطاردين.. فأنى لمثل هذه الشعوب أن تنصر الله ورسوله، وأن تجاهد مع المجاهدين ؟!

رغم أني لا أنسى أن أنوه بكثرة المقهورين الرافضين لهذه الأحوال ، المحصورين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا ..يطيعون الله في أنفسهم ..ويجأرون إلى الله من جور الحكام وحصار فتاوى العلماء الضالين لهم ..ففرج الله كربتهم . ولكن ما وصفت هو حال الأكثرية الساحقة ..

فهناك حقيقة مؤلمة يجب الإشارة إليها ؛ وهي أن انتصار المجاهدين على الأعداء . وانتصار الجهاديين في مشاريعهم وتحقيقهم أهدافهم بالحكم بما أنزل الله ، هو في حقيقته انتصار للأمة والشعوب . ونعمة من الله عليها لما تستأهل ذلك أحوالها .

فهل أحوال هذه الشعوب المسماة (إسلامية) اليوم ، تستأهل فرج الله بنصر طليعتهم المجاهدة لتعمهم هذه النعمة ؟ اللهم كلا..!.

وهل أحوال علمائهم وقادة صحوتهم ، تستأهل مثل فرج الله هذا ونصره لهذه الأمة؟ اللهم كلا ..!

وهل واقع حكامهم المرتدين الظالمين الكافرين الفاسقين يستأهل الفرج والعون ؟ اللهم كلا..!

وأعتقد أن هذا يفسر ما نحن فيه (وما ربك بظلام للعبيد) .

وهكذا انتصر معظم الجهاديين حيث قام جهادً نصراً خاصاً بهم . لقد استشهدوا ولاقوا ربهم شهداء (فرحين بما آتهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون). إن شاء الله تعالى .

لقد أعطى الله المقبولين المخلصين منهم النصر الأعظم . وقربهم إليه. وخلصهم من

هذا الواقع المنكود .

فالنصر الظاهر المشهود، بهزيمة الأعداء الكافرين ، وانهيار الطغاة المرتدين ، واندحار الظلمة والفاسقين ، وتحكيم شرع رب العالمين في الأمة ؛ هو نعمة تتنزل من الله على هذه الشعوب لما تستأهلها وهذا ما تقتضيه السنن ، و تدل عليه شواهد التاريخ .

لقد عم الخطب والعطب . و نحن نسير إلى أن يعم الظلم والفساد الأرض ومن عليها حتى يقيض الله لها الذي يملؤها قسطاً وعدلاً بعد أن سارت وتسير اليوم لتمتلئ ظلماً وجورا. وهكذا وقف المجاهدون في سبيل الله وحيدين في ساحة المواجهة وخسروا معاركهم وهزموا في مواجهاتهم. وهذا الوصف ليس عذراً الأحد كي يقول ؛ إذن ما الفائدة في الجهاد إذا كانت أحوال الأمة تستأهل الهزيمة ؟

فهذه الفكرة نزغة شيطان ونفس ضعيفة. وهذا يوضحه أمران :

أولهما : أن الجهاد فريضة متعينة اليوم ، وهي عبادة شخصية ، على كل فرد مسلم أن يؤديها ، طائعة نفسه أم كارهة . مثلها مثل الصلاة والزكاة والصيام وكل عبادة. فهو مثاب على أدائها. مآخذ على تركها . آثم بالإعراض عنها. كافر بجحودها .

بل إن مواجهة صائل الكافرين والمرتدين وأعوانهم اليوم آكد في فرضيته من كل الفرائض بعد توحيد الله كما سبق وأسلفنا البراهين في الفصل الثاني..

والأمر الثاني: أن أداء المجاهدين لهذه الفريضة يحرك مكامن الصلاح في قطاع الصحوة وقواعدها. ثم في قادتها وعلمائها . ثم يبدأ مسار الصلاح حتى يتعدى عبر طريق التضحيات الجسام ، ومسار العذاب ، والثمن الذي يجب أن تدفعه الأمة ، فيسري الصلاح ، وتبدأ الأمة خطاها الصحيحة إلى أن تستأهل نصر الله..

وما أظن إلا أن يشاء ربي.. أن تنصر الأمة ويتنزل بها الفرج ، وتعلوا راية دينها وتحكم شريعة ربها ، لمجرد تضحيات من سموا إلى علا المجد . و ارتقوا إلى مستويات الشهادة من الاستشهاديين والمقاومين هنا وهناك . من أولئك الذين يقدمون أنفسهم قرابين لهذا الدين حيث وفقهم الله.

إن هؤلاء ينتصرون نصراً شخصياً ذاتياً عاجلاً ، ويمهدون الطريق لنصر الأمة .. لما تتحرك الأمة ! بفعل عمل متراكم سيأخذ زمناً طويلا ، على مسار مرير تعطره دماء الشهداء ، وترويه دموع الأيامى والثاكلات ، وتحدوه آهات المعذبين المضحين في سبيل دينهم وأمتهم..

لا أقول دماء آلاف ، ولا مئات آلاف.. وإنما دماء ملايين الشهداء من هذه الأمة ، حتى نستأهل الفرج والنصر والظفر. ونستأهل موعود الله.

لقد قدم زهرة شباب جيلنا وسعهم ، وقدمنا معهم وسعنا ..والحمد لله ونسأله القبول ..

أذكر الآن أنني عندما كنا في كابل أيام طالبان ، لطالما ردّدت على مسامع زوجتي ، وهي تودعني على باب الدار باكية وقد أحضرتْ أطفالي الأربعة لأقبّلهم قبل أن أخرج إلى خط القتال الطاحن قرب كابل التي كنا نسكنها وندافع عنها . حيث يُسمع دوي القنابل ، وأزيز رصاص المعارك من البيت الذي يبعد 12 كيلومتر فقط عن ساحتها ! فأقول لها :

إنه ليعز علي بكاؤك، ويقطع قلبي هذه النظرة الحائرة في عيون الصغار . ولكني راض مرتاح الضمير لأني أعلم أن خروجي وخروج أمثالي . سيجعل دموعك ودموع مثيلاتك تختصر وتوفر علينا دموع ملايين الباكيات القادمات . وهذه الحسرة في عيون أبنائي ستوفر على ملايين أطفال المسلمين تجرع مرارة اليتم ولوعة التشريد إن شاء الله . إننا نحمل عن الأمة عبئ مصائبها لعلها تُختصر عليهم ..

وكم مرة انسللت من فراشي قبيل أذان الفجر لأتابع أعمالي في التدريب والإعداد والرباط .. فتمسك زوجتي بِكِمي قائلة : انتظر واصبر قليلا فالوقت مبكر جدا . فأقول لها : لو علمت أن أعداءنا ينامون و يُنظِروننا لانتظرت . ولكنهم دائبون في حربنا ولسنا أقل منهم . وقدوتنا صلى الله عليه وسلم من قال الله له : ﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (آل عمران:121) .

فقاتل الله الرياء ، وأعوذ بالله من الفخر . وما أذكر هذا من كثير من الذكريات العزيزة إلا لتحفيز المسلمين بإعلامهم بأحوالنا ، وتشويقهم إليها . ولأنها صور رائعة قرأنا عن مثيلاتها في أخبار من سلف فحفزتنا ..ثم عشناها - والحمد لله - فأود أن أصفها لمن فاتته فلعلهم يتحفزون .

وإلا فأنا أقل من أعرف من المجاهدين حالا وسعيا وقد خاب من افترى . ولا أقول إلا ما كان يقوله السلطان المجاهد نور الدين زنكي (الشامي - الحلبي)، لما كان يرى رحيل الشهداء من حوله في جهاد الصليبيين ، فيتحسر ويقول : (**لو كان لله بي حاجة لأخذني ، وإنما الأعمال بالنيات**). وكم أنا حقيق بهذا القول وقد مضى جلُّ من أعرف ومن أعددتهم للجهاد وبوأتهم مقاعد للقتال ، أو صحبتهم فيه !

و لكني كاتب وعليَّ أمانة . ولو كان من أعرف من المجاهدين المخلصين كتابا وأدباء ، وكتبوا عن أحوالهم ،لأطاروا ألباب من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ..فليس هذا محل فخر . وأي فخر ؟!.. وهل يمكن لرجل من هذه الأمة أن يرفع رأسا بفخر ، وقد خرج صبايا المسلمين ونساؤهم يفجرن أنفسهن باليهود في فلسطين وبالروس في الشيشان ..؟!! ألا لا نامت أعين الجبناء ، ولا تهنأ القاعدون على فراش ..ولا متع الله الخونة بطعام ولا شراب ولا ولد ..

نعم .. لقد خرج ابراهيم ذات يوم من مخبئه ليلا يتجول في أحياء الكوفة متخفيا ، وكان قد خرج وأخوه محمد الملقب بالنفس الزكية وهما إمامان جليلان من آل البيت - عليهم رضوان الله – خرجوا على أبي جعفر المنصور يقاتلون عماله الظلمة في المدينة والكوفة . ثم تواريا اختفيا عن أنظار عماله وجواسيسه .

فرأى ابراهيم ذات ليلة وقد خرج يتجول امرأة تنبش في المزبلة ، وتأخذ منها طائرا ميتا . فسألها عنه، فقالت أنها ستطعمه أيتاما عندها . فقال لها : قد علمتِ أنه ميتة حرام . فقالت له : قد حلَّت لنا .

فبكى رضي الله عنه وقال لها : **إن أمثالك سيخرجونني غدا لتضرب عنقي !**

وهذا ما كان .. ولم يكف خروجه لحل المشكل ! فخرج وقتل شهيدا يرحمه الله .

ومثل هذا بل أشنع منه هو الذي أخرجنا لتضرب أعناقنا . ولنتلظى بحر دمع نسائنا .. وحرمان أطفالنا. وليس عندنا لهم إلا قول الله تعالى : ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ (الأعراف:196)

عملا بأمره سبحانه : ﴿ وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافاً خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً ﴾ (النساء:9) . وليس عندي قول أسدُّ مما أسلفت ، عندما يسألنا الناس لمن نترك أهلنا ؟! .

ولكن هل كفت جهودنا وجهود أمثالنا لحل المشكل ؟ بل المشاكل المتراكمة من الكفر والمظالم ؟! لا ..لم تكف .. لم تكف جهود أمثالنا.. و ليست بكافية والله أعلم .

إن جيلنا هذا ومن سيأتي بعدهم ، سيدفعون فواتير هائلة من تبعات القعود والنكوص ومسار الفساد في كل منحى عبر مئات السنين التي مضت . وخاصة في هذا القرن الأخير . حتى وصلنا إلى ما وصلنا إليه اليوم من حال أسود لا يرضي الله ولا يرضي رسوله صلى الله عليه وسلم ولا المؤمنين .

ومهما ظن الظانون من المصلحين المزعومين ، والعلماء الواهمين القاعدين ؛ مهما ظنوا وزعموا ، أن حملاتهم العالمية الكلامية لدحر العدوان ستحل المشكل . وأنه بغير الجهاد والتضحيات يمكن للأمة أن تنهض ، فهم واهمون ، لأنهم تركوا مقتضى شواهد كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ودروس التاريخ ، وراحوا يبحثون عن الحلول في متاهات الفكر والفلسفات الضالة !!

بل العجب أنهم يبحثون عن نصرة دين الله في ميادين سخطه والشرك به !! في أجهزة حكم السلاطين ! وإدارات المحتلين الغزاة الكافرين ! وبحمل أفكارهم ودعوتهم . ولله الأمر

من قبل ومن بعد. والله غالب على أمره ولكن المنافقين لا يعلمون .

وهكذا تضافرت الأسباب الخارجية الثلاثة ؛ قوة بأس الأعداء وهجمتهم ، وفساد أحوال أكثر العلماء والدعاة ونخبتهم ، ثم انتكاس أحوال غالبية الشعوب المسلمة . لتكون سبباً رئيسياً في عدم حصول النصر والفرج وعدم انتصار مشروع الجهاديين. وعدم تحقيق أهدافهم.

لقد ُخذل ذلك الرهط المبارك ، وأحيط به ، و خسر المعارك والحروب السالفة. وفي موعود الله أمل فيما نستقبل من أيام إن شاء الله.

ولكن هل لنا بصفتنا جهاديين أن نلقى أسباب الخسارة والهزائم و الفشل المتكرر فقط على تلك الأسباب الخارجية آنفة الذكر..؟! كلا!! هناك أسباب داخلية خاصة بالتيار الجهادي ذاته، بسبب القصور والحال الذي اعتراه ، ساهمت بشكل رئيسي في النتائج التي حصلت . وهو ما سنتناوله في هذا الفصل .. إن شاء الله.

وقبل أن نخوض في وجوه الخلل وأسباب الفشل الداخلية في التيار الجهادي يجدر بنا أن نذكر إيجابيات ذلك التيار وإنجازاته عبر تلك السنين العامرة بالإنجازات والتضحيات.

الحصاد الإيجابي وإنجازات التيار الجهادي في أربعين عاماً مضت:

على مدى أربعين سنة من تراكم الجهود والبذل والعطاء ، لمختلف الجماعات والتنظيمات والأفراد في مختلف أنحاء العالم العربي والإسلامي . أنجز الجهاديون إنجازات عظيمة. وحققوا انتصارات كثيرة تسجل في سجلهم المشرف . وإن كانوا قد فشلوا في الوصول إلى الأهداف النهائية التي وضعوها لأنفسهم كما أسلفنا. ويمكن تصنيف هذه الإنجازات في المناحي التالية:

1 - الإنجازات الفكرية والمنهجية:

فقد استطاع التيار الجهادي عبر علمائه وقادته ومفكريه، وعبر مجموع الجهود الأدبية والإعلامية المختلفة ، أن يقدموا التيار الجهادي كمدرسة رئيسية ومتميزة في الصحوة الإسلامية المعاصرة . و تمكنوا من تحديد ملامح منهجها ، عبر الكتب والمؤلفات و المحاضرات ، وأن يخطوا بمداد أولئك العلماء والمفكرين والقادة معالم الطريق للسائرين خلفهم على ذلك الدرب المنير. وقد أضفت دماء آلاف الشهداء ممن قدموا أرواحهم في سبيل الله في مختلف الميادين على تلك الأفكار وذلك المنهج حياة. وجعلوا لها نماذج وقدوة يستلهمها السائرون إلى مرضاة الله على طريقتهم.

2 - الإنجازات الدعوية والجمهور:

وبفضل الله أولاً ، ثم بفضل تلك التجارب، وما قدم الشهداء والصابرون في سبيل الله على ذلك الدرب . و ما لعبه التراث الفكري والجهود الإعلامية و الدعوية للجهاديين على مختلف الأصعدة، وعلى مدى تلك العقود الأربعة الماضية . صار للجهاديين جمهور متميز في الأمة عامة وفي الصحوة خاصة ، و صارت عطاءاتهم مثلاً ونبراساً لكل المسارعين الآيبين إلى ربهم من جموع هذه الأمة.

3 - الإنجازات العسكرية:

وهي الجانب البارز والملموس من إنجازات الجهاديين . فقد استطاع المجاهدون في سبيل الله في هذا الزمان سواءً من الجهاديين من التيار الجهادي ، أومن مختلف مكونات الظاهرة الجهادية من المجاهدين لأعداء الله الخارجين والمحليين . وعلى مختلف الأصعدة الجماعية والفردية . استطاعوا أن يكتبوا بدمائهم وبعناء أسراهم والمشردين في سبيل الله منهم ، أن يقدموا إنجازات لا يستهان بها في المجال العسكري.

فقد قدمت بعض التجارب نموذجاً للثورات المستمرة الطويلة المدى ، كتلك التي حصلت في سوريا والجزائر و طاجيكستان .. وقدموا نماذج لمواجهات نوعية و استطاعوا أن يطيحوا بالعديد من رؤوس الكفر ومرتكزات الأعداء..

فقد تمكن المجاهدون من إعدام الكثير من أعداء الله من الطواغيت . كان فهم الرؤساء والوزراء وكبار أعوان الطواغيت وصغارهم ، واستطاع جند الله المجاهدون أن يردوا صاع العدوان بما يكافئوه في بلدان عديدة..

كما استطاعوا الجهاديون أن يلعبوا دوراً هاماً في مواجهة الهجمة الصليبية المعاصرة على المسلمين في عدد من القضايا ، كان من أهمها الدور الذي لعبوه في الجهاد في كل ساحات المواجهات المفتوحة مع الأعداء الخارجين . من الفلبين إلى إندونيسيا إلى كشمير إلى إريتريا إلى الصومال...إلى العراق حاليا . وكان من أبرزها وأهمها ما قدمه الجهاديون من مشاركتهم الظافرة في الجهاد في الشيشان ضد الملاحدة الروس ، حيث ما تزال المعركة مستمرة . وكذلك بلاؤهم الحسن في البوسنة ضد الصليبيين الصرب والكروات المدعومين من مختلف القوى الصليبية العالمية حيث تمكنوا من إجهاض مشروع الإبادة الذي استهدف المسلمين هناك

ولكن نجاحهم الأكبر كان في المشاركة في الجهاد في ساحة أفغانستان حيث استطاعوا أن يطيحوا بنظام حكم شيوعي دموي عميل ، ثم أن يطيحوا تبعاً لذلك بالدولة العظمى الكبرى (الإتحاد السوفيتي) و يفككوا أوصالها ويطووا علمها ، ويجعلوها أثراً بعد عين.. حيث أسفرت تلك الجهود عن ولادة نواة لدار الإسلام من جديد، بقيام الإمارة الإسلامية في أفغانستان ، وتنصيب أمير للمؤمنين ، رغم كل محاولات المنع والإجهاض . حيث قدمت الإمارة وأميرها على مدى 6 سنين نموذجاً للحكم بالشريعة رغم أنف النظام العالمي الجديد، ونموذجاً للحصن الذي يمتنع به المؤمنون ويعيشون حياتهم وفق قواعد دينهم وأوامر ربهم.. ثم ما كان من النموذج الفذ الذي أفتتح به المجاهدون القرن الحادي والعشرين قرن أمريكا المزعوم.. بنقل المواجهة إلى عقر قلبها النابض .

ثم كان صمود المجاهدين الأبطال من الأفغان العرب في معارك أفغانستان وساحات المواجهة المفتوحة مع القوى العظمى وأتباعها عبر العالم فيما أسموه بالحرب العالمية على الإرهاب.

وهاهم المجاهدون ثم ما تبع ذلك اليوم يتابعون في ساحات المواجهة مع الصليبين وأعوانهم في أكثر من مجال.. وهاهي ساحة الجهاد في العراق مستعرة و بوارق الأمل في أكثر من مكان قادمة.. وإن غداً لناظرة قريب..

وسيستمر العطاء والإنجازات العسكرية الجهادية حتى يتحقق موعود الله لهذه الأمة بالظفر والتمكين ورفع رايات هذا الدين إن شاء الله تعالى.

وقد حفل ذلك المسار الطويل من المواجهات عبر ما يزيد على أربعين سنة ، بآلاف المعارك والمواجهات ، التي أثبت فيها أولئك الأبطال لأعداء الله من الداخل والخارج أنه ورغم مرحلة الانحطاط التي يعيشها عموم المسلمين، إلا أن معجزة رسول الله صلى الله عليه وسلم وإخباره بأنه ما تزال عصابة من أمته ظاهرين على الحق ، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك .هي معجزة مستمرة ، وما تزال متحققة . ولها رجالها حتى في أسود مراحل تاريخ هذه الأمة . ولو عرف الجهاديون كما ينبغي قدر تراثهم وقيمة تاريخهم وتجاربهم ، وشمر القادرون فيهم عن ساعد الجد لكتابة ذلك التراث المجيد، لخلفوا لهذه الأمة تراثاً مجيداً زاخراً بتاريخ التجارب ، وعبر الدروس ، وقصص الأبطال الميامين ، ونماذج الشهداء الربانيين والمجاهدين الصابرين.. ولكن وللأسف لقد طوت الأيام تلك الصحف ، واندثرت عبر الأيام كثير من القصص الرائعة والنماذج الفريدة . فرحم الله أصحابها و أجزل لهم المثوبة.. وكما قال عمر رضي الله عنه عندما سأل عن شهداء الفتوح فقصوا عليه قصص من عرفوا، ثم قالوا وآخرين لم يعرفهم أحد ، فقال رضي الله عنه ما ضرهم أن لم يعرفهم الناس إذ عرفهم الله تعالى.

4- الإنجازات السياسية:

رغم أن الهدف النهائي الذي رفعه الجهاديون وهو إسقاط أنظمة الجاهلية وإقامة النظام الإسلامي على أنقاضها لم يتحقق في كافة الساحات التي عملوا بها كافةً . ولكن وعلى طريق ذلك الهدف وإلى جانب تلك المسارات. حقق الجهاديون إنجازات سياسية كثيرة. من أهمها :

- تهديد مشاريع أنظمة الحكم الجاهلية ، وكشف بطلانها ونزع الشرعية عنها.
- فضح مشاريع التطبيع مع اليهود والغرب الذي سعت فيه الأنظمة التي همت بذلك ، ولاسيما مشاريع التغريب ونشر الإسلام على الطريقة الصليبية .
- كذلك استطاع الجهاديون مواجهة انحرافات الصحوة منهجياً وعملياً وإعلامياً .
- و استطاعوا بفضل الله .الإثبات للغزاة المحتلين أن الأمة رغم انهيارها ليست لقمة سائغة.

و من الإنجازات السياسية التي تتضافر نتائجها مع الوقت حتى توافق قدر الله تعالى في قيام المؤهلين لتحقيق الإنجاز الأكبر في إقامة نواة دار الإسلام الزائلة و الدفاع عنها وتوسيع رفقتها حتى تقوم الخلافة الراشدة الموعودة التي بشر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي لا شك ولا ريب قائمة و آتية و عبر الجهاد ولا شك وليس عبر الحوار والمنتديات الإلكترونية ولا المعارك البرلمانية.

فإن الجد لا يولد من العبث. والحق لا يولد من الضلال. والفضيلة لا تتأتى عن طرق الرذيلة. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم : (بعثت بالسيف حتى يعبد الله وحد. وجعل رزقي تحت ظل رمحي. وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري. ومن تشبه بقوم فهو منهم) .

- **الأخطاء والثغرات والحصاد السلبي للتيار الجهادي عبر أربعين عاماً :**

قد يسأل سائل ؛ إذا كنتم تعتقدون بأن التيار الجهادي قد تمكن من كل تلك الإنجازات التي وردت في الفقرة السالفة؟ فلم ذكر الأخطاء إذن . وأقول: أن ذلك بقصد العافية. وكما قال المتنبي :

ولم أر في عيوب الناس عيباً　　　　كنقص القادرين على التمام

ولكي نقترب أكثر من تحقيق الهدف المنشود الذي انطلق الجهاديون من أجله. وهذا لا يكون إلا بالتصحيح والتطوير وتحسين المسار بعد توفيق الله.

وقد يعترض معترض بأن في سرد العيوب والنقائص كشف للأسرار والعورات مما قد يفيد العدو . وأقول بأن هذه الثغرات معروفة للعدو وللأسف أكثر مما هي معروفه لأبناء الصف ذاته ، وهم المعنيين بالإصلاح فيه. فليس فيها كشف سر. لاسيما وأن أكثرها دروس قد مضت ومضى أصحابها . والحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه ، ولم يترك علماء السلاطين وأجهزة إعلام الطواغيت والأجهزة العالمية نقيصة حقيقية أو مختلقة ، إلا ونسبتها إلينا لتشويه سمعتنا .

ونحن نذكر هذه الأخطاء لتفاديها وإصلاحها.. ونذكر الأساليب البالية المستهلكة من أجل تبديلها. كما نذكر تلك المفاهيم الخاطئة ومعظمها طارئ على التيار الجهادي كي يتم تصحيحها. وهي معرفةً واجبة حتى على قواعد التيار الجهادي فضلاً عن كوادرهم والكبار منهم.. وهذا لا يكون همساً ولا سراً .

إن عمليه النقد الهادف يجب أن تمارس في جو من الحرية والصدق و المصداقية والمصارحة. بين قيادات واعية وقواعد تستأهل المشاركة في المعرفة. لأنهم رجال.. رجال في قمة الرجولة، امتلكوا القرار بالمواجهة في زمن نكصت فيه الهمم. فلا يجوز أن يزج بهم ويضحى بهم ، وفق أساليب بالية جربت وثبت فشلها ، أو مفاهيم خاطئة أدت إلى الفشل بل إلى الكوارث أحياناً..

إن العلاج من الأمراض يمر بثلاث مراحل أساسية ، بعد التوكل على الله وطلب العافية و الشفاء منه.

أولها :الاعتراف بحالة المرض ونية العلاج.

وثانيها: مراجعة الطبيب الثقة الأمين المؤمن . وكشف العيوب و العلل والنقائص عليه، بلا وجل ولا استحياء منها . حتى ولو كانت فيما يستحيا منه من العورات.

وثالثها: تناول الدواء ولو كان مرا ، بهمة وصدق وعزيمة على بلوغ العافية.

إن هذه المراحل يجب أن يقوم المعنيون بأمر شفاء العمل الجهادي من علله بها . وكذلك على مستوى الصحوة كلها ، مدرسة مدرسة ، و جماعة جماعة ، وعلى مستوى المسؤولية الكلية عن الصحوة. وبدون هذه الموضوعية لا يتم - والله أعلم - شفاء ،لأنها السنن التي لا تحابي أحداً.

فما الفائدة في أن يأخذ الأبوان و لدهما المريض للاستشفاء من مرض عضال يكاد يأتي على بدنه. ثم لما يسأل الطبيب عن بأسه، يبدؤون بتعداد خصاله الحميدة ! ولما يسألهم عن علته ، لا يذكرونها أو يذكرون بعضها ويخفون بعضها، حباً وحناناً ولدوافع كلها طيبة!

إن مثل هذا الولد مرشح للفناء إن لم تتداركه رحمة الله . لأن الحنان والحب الذي مورس عليه هو من النوع القاتل. حنان جاهل ومتخلف..

وقد يكون لفت النظر إلى العيوب والنقائص من خارج الصف مزعجاً ، بل قد يكون مرفوضاً إذا ولد شعوراً بنية غير صالحة. فلو قال لك الطبيب أن ولدك قد ألم به (الجرب).. ستتألم وتتقبلها بصدر رحب وتسأله عن العلاج وتنفذه. ولو كان الطبيب صديق من الأسرة لكان أهون لأنك متأكد من العطف وحسن القصد.. وهذا غير أن يقول لك جارك البعيد أن (ابنك جربان)! ستجد نفسك متحفزا لرفض الملاحظة.. وربما أعدت إليه صفة الجرب ، وإلى نصيحته ولم تتقبلها منه..

إن عمليه عرض النقائص والثغرات يجب أن تتم داخلياً وعلى مستوى كل تجمع ومدرسة.

والفقير إليه تعالى ولله الحمد. واحد من أبناء هذا التيار الجهادي.. وهو من بقية من تبقى من جيل قد تحطم وقضى أكثره.. وأسأل الله أن يكون ذلك لخير أراده الله لمزيد من العطاء ولأداء الأمانة وليس لأنا سقطنا من عينه تبارك وتعالى فلم يختارنا فيمن اختار..

ولطالما كنت وما زلت محامياً ومدافعاً وبكل حماس بل و شراسة أحياناً عن هذا التيار ورجاله وأعماله. وذلك في مواجهات غارات الخصوم من أعداء هذه المدرسة المباركة (التيار الجهادي) . و فيما كتبت وحاضرت أكبر برهان على ذلك ولله الحمد. ولكني هنا لست في ذاك المقام ، إني هنا في مقام النصيحة الداخلية ، والنقد البناء لمدرستنا وعملنا وطريقتنا ، بنية استنباط طرق أقرب للصحة والصواب بحسب ما أعتقد. والله الموفق وهو يهدى السبيل.

وهو ما سأحاول استخراجه بحسب ما يوفق الله تعالى في الجزء الثاني من هذا الكتاب . إن شاء الله تعالى.

لقد انتقدنا نحن- معشر الجهاديين - مدارس العمل غير الإسلامي الأخرى ، ورفضنا ها ، ووقفنا منها موقف الرفض والعداء. ثم انتقدنا كافةً مدارس الصحوة الإسلامية غير الجهادية ، من دعوية وإصلاحية ، وإخوانية ، وسلفية.. وغيرها . بدافع التناصح ومن خلال حقنا كأعضاء في عموم الصحوة. لنثبت أن الجهاد هو الحل. أو من باب دفع الغارة المغرضة .

الآن جاء دورنا لنضع أنفسنا أمام المرآة ، ونراجع أعمالنا ونتائجها، ونحاسب أنفسنا قبل أن نحاسب، ولنزن أعمالنا قبل أن توزن علينا . قبل أن يحاسبنا الله تعالى على التقصير في المراجعة والعبرة من أنفسنا وغيرنا . وقبل أن تحاسبنا الأجيال والأمة. ولاسيما من يأتي بعدنا لأننا لم نبصرهم بأخطاء مرحلة مرت. ولم نعطهم دروس تجارب دفعنا زكي الدماء ثمناً لها..

ويجب أن نزن أعمالنا بميزان الإخلاص والصواب.. فأما الإخلاص - اللهم عونك - فكل بحسب ضميره ﴿ بَلِ الإنسان عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ * وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ ﴾ (القيامة:14-15).

وأما الصواب فهو ميزان كتاب وسنة. ثم منطق عقل ودروس تجارب.. لعل الله وعسى أن يوفقنا لما يحب ويرضى ويتقبل منا. ثم يقربنا من النصر على أعدائه.

- **<u>أنواع الأخطاء والثغرات التي طرأت خلال مسار و تجارب التيار الجهادي بحسب تصوري والله تعالى أعلم:</u>**

لو تخيلنا رجلاً يسير في درب نحو هدف معين ووجدناه يسير ويترنح. ويسقط تارة ويقوم أخرى.. ويحيد عن هدفه حيناً ويسير في دربه الصحيح أحياناً. ويضعف تارة ويشتد أخرى. ثم نجده لا يصل إلى هدفه في النهاية . ستقودنا ملاحظته لمعرفة أسباب عجزه وسوء أدائه إلى أحد ثلاث أسباب عامة.

1- خطأ في طريقة التفكير وتصوره للمسار (خلل التفكير) .
2- اخطاء وخلل في بنية جسمه وقصوره عن الأداء الصحيح **(خلل البنية) .**
3- اخطاء في أسلوب السير ورسم الخطوات غير المتناسب مع الطريق **(خلل الأسلوب).**

وهذا ما حصل غالباً لمعظم تجارب العمل الجهادي وتياره عبر نصف القرن المنصرم تقريباً.. وأشير هنا إلى أني بصدد التقييم العام. وليس التعرض لتجربة جماعة معينة أو تنظيم معين أو أشخاص معينين أو تجارب بلد معين.. ولكني أحاول التقييم ، معتبراً التيار الجهادي، وحدة اعتبارية بصفته مدرسة وتجارب . وسأذكر أنواع الخلل والأخطاء التي حصلت في مسار التيار ككل وغني عن الحاجة للشرح أن هذا لا يعني أن تنظيماً معيناً أو تجربة معينة قد تلبست بكل تلك النقائص أو بعضها.. ولكن قد تكون بعض التجارب قد حازت نقيصة أو ثلاث أو أكثر أو أقل مما سأذكر.

وقد يتصور البعض من (الجهاديين) أنه كان على عافية تامة. ولم يتلبس بأي من تلك العلل ولكنه الحظ العاثر. أو كما يرددون كثيراً (قدر الله وما شاء فعل). فليحمدوا الله إذن على العافية التامة التي كانوا عليها ولينعموا بحسن الظن بأنفسهم ويستريحوا.

فأنا هنا بصدد عرض أخطاء وإشكالات تلبس بها معظم مـدارس التيـار الجهـادي. ولـو كنـت بصدد ضرب الأمثلة لبدأت بنفسي والتجارب التي خضتها حتى لا يحزن أحد. ولكني بصدد التعمـيم للفائدة.

فإذا ما عدنا إلى حيث كنا أكرر أن الأخطاء والخلل في مسار التيار الجهادي كانـت عـلى ثلاثـة أنواع:

(1) - أخطاء في المنهج والتفكير.

(2) - أخطاء في البنية والهياكل.

(3)- أخطاء في أسلوب المسير و طريقة العمل.

ولنتناول بالتعداد والتفصيل و شيء من الشرح ما يتيسر من البيان لتلك الأخطاء التي تلبسـنا بها معشر العاملين في التيار الجهادي عبر مسير مبارك استمر زهاء أربعة عقود وأسأل الله أن يتقبل من كل منا ما أحسن ويتجاوز له عما أساء إن أهل التقوى و أهل المغفرة.

أولاً- أخطاء المنهج والتفكير:

ولعل هذا أحد أهم المجالات التي قل فيها مجال الخلل بشكل عام ، وذلك بفضل اللـه تعـالى على المجاهدين وبركـة قولـه تعـالى : ﴿ وَالَّـذِينَ جَاهَـدُوا فِينَـا لَنَهْـدِيَنَّهُمْ سُـبُلَنَا وَإِنَّ اللَّـهَ لَمَـعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (العنكبوت:69) .

وقد سـبق أن عرضـت لأهـم الأساسـيات الفكريـة المنهجيـة لـدى التيـار الجهـادي وجماعاتـه المختلفة.

ولكن بعض الجماعات والتنظيمات والتجارب الجهادية قد عرض لها شيء من الخطأ والخلل في الجانب الفكري المنهجي ، بحسب ما أعتقد والله أعلم. ومـن أهـم تلـك الأخطـاء وجوانـب الخلـل المنهجية التي كانت من المعوقات الداخلية للعمل ما يلي:

1 - تسرب أفكار التشدد إلى مناهج بعض الجهاديين:

فكما سبق وعرضت فإن التيار الجهادي مر فكرياً بمرحلتين بشكل عام .

أ - المرحلة الفكرية الحركية .

ب - مرحلة الفكر الجهادي السلفي .

وقد ذكرت كيف أن المرحلة الثانية قد أكملت الثغرات العقدية والفقهية التي كانت قائمـة في الفكر الجهادي . وذكرت إيجابيـات ذلـك التكامـل . ولكنـي هنـا أشـير إلى أن تلـك الإيجابيـات قـد

صاحبها في بعض الأحيان سلبية كبيرة من خلال سوء التطبيق لدى بعض الجماعات أو الأفراد في بعض التجارب. مما أدى إلى جنوح بعض شرائح الجهاديين إلى مستويات من التشدد والتطرف في الطرح العقدي والفقهي السياسي الشرعي . و جعل بعض أدبيات مناهج الجهاديين تحتوي على تعميمات وقواعد عقدية ، صارت مع توافرعوامل الجهل والحماس والضغوط النفسية لدى بعض الجهاديين متكأً لأفكار "تكفيرية" تجاوزت الضوابط التي قام عليها الفكر الجهادي. ولا أقول هنا أن الفكر الجهادي قد مزج بالفكر التكفيري ، لا.. وإنما أقول أن تلك الطروحات من مثل بعض رجالات التيار الجهادي السلفي ، أو الذين لحقوا به من بعض العلماء أو طلاب العلم المرموقين كانت إما شديدة ومتطرفة ، وإما صيغت بشكل عموميات جعلت بعض المتأخرين من الجهاديين يجنحون إلى التجاوز والتوسع في التكفير.

كما جعلت بعض المنتمين إلى (التيار التكفيري) ، يعتمدون تلك النصوص متكأً لهم ، و يستشهدون بأقوال أصحابها في كتاباتهم . مما جعل الهامش في تلك المواضيع بين (الفكر الجهادي) و (الفكر التكفيري) رقيقاً. ومكن الخصوم من أجهزة الاستخبارات أو علماء السلطان أو أجهزة إعلام الأنظمة من جعلها شواهد لوصم الجهاديين بالتكفير. وهو كما بينت من أنجح الوسائل التي استخدمت لضرب الجهاديين. فكيف تم ذلك ؟!

لقد تم ذلك عندما جرى الخلط (بين **العقيدة السلفية**) و **المنهج لسلفي** المعاصر وأساليبه ، هذا المنهج الذي اختاره غالبية التيار الجهادي منذ أواخر الثمانينات كما أسلفت في مرحلة الشوط الأول للأفغان العرب . وبين (**منهج التيار السلفي المعاصر**) وفقهه وأسلوب علمائه ورواده المعاصرين). ولاسيما من علماء السعودية ومن تربي على مدرستهم . ثم ما تفرع عن هذه المدرسة التي تعود بأصولها في أغلب الأحيان إلى تراث الجيل الثاني والثالث من علماء الدعوة الوهابية .

والحقيقة أن دراسة (المدرسة السلفية التقليدية) وعقائدها وفقهها . ثم مقارنتها مع (السلفية المعاصرة) وأصولها ومدارسها الفكرية و العقدية. يجد فوارق هامة .

فقد تتابع تأثير السلفية المعاصرة وفروعها في العالم العربي والإسلامي. ثم تشعبت في العقدين الأخيرين إلى مدارس وطرق ومذاهب ، تصل في تنوعها وتراثها الفقهي وآراء أصحابها إلى حد التضارب والتضاد في كثير من الأحيان . ضمن ما عرف (بالتيار السلفي).

وهذه مسألة شائكة معقدة وهامة . ويجب دراستها وتمحيصها وهذا يحتاج كتاباً وبحثاً مستقلاً ليس هنا مكانه . وإنما أشير إلى مؤثرات ذلك التيار السلفي المعاصر على الفكر الجهادي ومسار التيار الجهادي سلباً وإيجاباً .

فأما إيجاباً فقد مر في الفصول السابقة . وذلك أن التيار الجهادي الحركي مطلع الثمانينات قد وجد ضالته في حل إشكالاته الفقهية الحركية كما قلت في الفقه السلفي والعقيدة السلفية .

وأما سلباً وهو موضع الفقرة الحالية. فقد أدى إلى لحاق كوادر علمية من التيار السلفي من غير الجهاديين الحركيين بالتيار الجهادي الحركي الذي نشا على الفكر الإخواني والقطبي . كما أدى إلى نشوء طبقة من طلاب العلم في الجهاديين تتلمذوا عليهم في مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطها الأول ، وما تبع ذلك من مرحلة الملاذات . وأخذوا بمنهجهم من دون أهلية في البحث والفتوى و التصدي لعظائم المسائل .

ولأن أحد أكبر بلاء آت الأمة في هذا العصر هي إعراض العلماء الراسخين عن الجهاد وعن مواقف الحق . وعن التصدي لنوازل الأمة السياسية الشرعية الكبرى من مسائل الحاكمية و الولاء و البراء و تطبيقها على واقع هذه الحكومات والمجتمعات وظروف الغزو والاحتلال. مما انعكس على التيار والظاهرة الجهادية بأنه كان تيارا يخلو من علماء كبار راسخين في العلم أو حتى متوسطين إلا في النادر.

وهكذا تسرب إلى التيار الجهادي ظاهرة قاتلة ، ولدت أصلاً في التيار السلفي المعاصر الذي قام على عقيدة صحيحة وفقه أصيل . بالإضافة لممارسات تطبيقية أدت إلى كوارث

انتقلت إلى التيار الجهادي. وزاد الطينة بلة أن الجهاديين أصلاً هم في الغالب من الثوار والمتحمسين للدفاع عن دين الله. فأضيف إلى حماسهم وحماس بعض طلاب العلم فيهم ، إلى تلك الأسس غير المنضبطة للطريقة السلفية المعاصرة . ففتحت الباب لأعاصير عاتية من الفوضى الفقهية في بعض الأحيان . أدت إلى بروز ذلك على شكل فتاوى وآراء بالغة الشدة والتطرف سواء كانت خاطئة أو كانت صحيحة صيغت بشكل معمم ، فأمكن أن يستخدمها جهال التيار الجهادي أو التكفيريين ويجعلوها متكأً للتطرف والتشدد والتكفير بلا ضوابط . وساعد هذا على هدم حاجز يعتبر وجوده مهم جداً بين الفكر الجهادي والفكر التكفيري.

وإن إعادة إبراز هذا الحاجز من أهم أولويات عمليات الترميم في التيار الجهادي في المرحلة المقبلة إن شاء الله.

2- غلو بعض الجهاديين المتأخرين في التعصب المذهبي لمفهومهم عن (السلفية):

هذه المشكلة فرع من سابقتها . وقد اتسمت بعض الأوساط والأفراد من الجهاديين أو من لحق بساحاتهم من المنتمين آنفاً للتيار السلفي بهذه المشكلة..

فالأصل الذي قام عليه التيار الجهادي هو حشد الأمة للجهاد في سبيل الله. ودفع مختلف أنواع الصائلين عنها ، ومع أن الواجب على المجاهدين وقيادتهم وهم يسعون إلى أن يكونوا على منهج الطائفة المنصورة علماً وعملاً . وبالتالي أن تكون عقائدهم على ما كان عليه النبي صلى الله

عليه وسلم وصحابته و من تبعهم بإحسان. وهم سلفنا الصالح الذين يجب أن نقتدي بعقيدتهم ومنهجهم. وأن تكون أصولنا ونهجنا مستندة إلى أصولهم وأصول منهجهم .

إلا أن هناك لفتة في غاية الأهمية ، وقد أسقطها غالب الذين يزعمون انتماءهم للسلفية في هذا الزمان من سلفيين جهاديين وغير جهاديين من الذين يحتكرون هذه الراية وهذا المسمى الشريف . هذه اللفتة هي أن واقع الأمة بمئات ملايينها هو ليس كواقع الصحابة وما تلا ذلك من خير القرون ، بل ولا يشبه واقع معظم التاريخ الإسلامي .فضلا عن بعده عن مقاييسنا معشر الجهاديين والسلفيين .

لقد ألم بنا واقع في غاية التعقيد بعد سقوط الخلافة وما شهده الواقع العربي والإسلامي من التغريب والأزمات الداخلية والخارجية .

والأصل أننا معنيون كجهاديين باستيعاب الأمة ، وجمهور سواد الأمة ، وتوجههم لأداء فريضة الجهاد ضد مختلف أنواع الصائلين من الأعداء الخارجين وأذنابهم من الحكومات الطاغوتية.. ومعلوم أن الملتزمين بدينهم من هذه الأمة وغالبية علماءها وأوساط الصحوة والمتدينين فيها على مستوى الأمة ليسوا بأغلبيتهم على المنهج السلفي. رغم أنه منهجي ورغم اعتقادي أنه الأصح عقديا .

فمعظم الملتزمين وعلماء الأمة (بسعتها كأمة إسلامية) ، وغالبيتهم الساحقة هم من أتباع الفقه المذهبي وليسوا من أتباع الفقه السلفي ، كما أن كثيراً منهم هم على غير المنهج السلفي في الاعتقاد وغالبهم من الأشاعرة هذا في أوساط العلماء وطلبة العلم . وأما في أوساط العوام المتدينين فهم مقلدون لتلك للأوساط . وهذا حال أهل السنة منذ أكثر من ألف سنة. ومن المعلوم أن التيار السلفي المعاصر غير الجهادي ، قد دخل في مساجلات وإشكالات عقدية وفقهية كثيرة مع هذه الأوساط . وصلت إلى حد الجدليات البيزنطية عبر العقود بل والقرون..

ولا شك أن مشكلة نزول الصائلين بنا وفرضية دفعهم تقتضي منا السير مع عقيدة أهل السنة والجماعة في الجهاد مع أمراء المسلمين وعامتهم برهم و فاجرهم ، عالمهم و جاهلهم . وأن مصلحة تأليف القلوب وجميع الصفوف على الجهاد مقدمة بلا شك ولا جدال على المصلحة من إثارة أكثر تلك الجدليات الفقهية والعقدية ، خاصة الآن ونحن في هد الحال. وهذا من صميم منهج السلف الذي يدعيه هؤلاء . وشواهد ذلك كثيرة جدا .

إلا أن بعض الجهاديين ورؤوس طلاب العلم منهم أو من اللاحقين بهم ، جروا الوسط الجهادي للدخول في حالة من الشجار مع تلك لأوساط الإسلامية والمتدينة ، و اشترطوا شروطا تعتبر قياسا لأحوالهم ؛ تعجيزية . وغدت عائقا حقيقيا في التعامل معهم ودعوتهم للجهاد . وقد لعب هذا دوراً كبيراً في إفقاد التيار الجهادي شعبيته. وجعله نخبوياً. و أدخلت كثيراً من شرائحه

وشخصياته في معارك جانبية طبقوا فيها قواعد الولاء و البراء على كثير من المسلمين ، متبرئين منهم بدل أن يستوعبهم التيار الجهادي في صف واحد ، أو على الأقل في حلف واحد ضد أنواع الصائلين لدفعهم . أو على الأقل جعلهم في دائرة الحياد.

ولكن كثيراً من الجهاديين بسبب هذا المنحى المنهجي ضاقت صدورهم بذلك. وأفسد الكثير منهم علاقات ومصالح كان يمكن أن تدفع بالأمة قدماً بشكل أفضل نحو أداء فريضة الجهاد . وذلك بسبب عدم استصحاب الواقع وفقه الأولويات والمصالح والمفاسد في فقه حركتهم الذي اتسم بكثير من الجمود مع النصوص وتطبيقها في غير واقعها .

وأذكر أني دخلت في كثير من المساجلات والمحاورات مع بعض الجهاديين من بعض القيادات والقواعد مؤكداً لهم ضرورة الجمع بين كوننا من السلفية الجهادية ، وعلى منهج السلف الصالح ، وبين كوننا محتاجين أن نترفق بالمسلمين ونجاهد معهم . وندعوهم للجهاد معنا على ما هم عليه من المذاهب الفقهية والعقدية التي هي فيها النهاية ضمن دائرة أهل السنة والجماعة. ولكن وللأسف ، فإني كثيراً ما كنت اكتشف أننا في واد و إخوتنا هؤلاء في واد آخر. بل سمعت في هذه المجالات تهما وتجريحاً و أفكار عجباً..ولاقيت عنتا .

ومن يقرأ كتابات الشيخ عبد الله عزام يقرأ الكثير عن معاناته من هذه المشكلة وأصحابها وهو يخلقون الأزمات مع الأفغان بسبب مشكلة المذهبية والعقائد حتى مع عوام الناس .

ومن عجائب ما أذكره في هذا السياق ، أن أحد هؤلاء الجهاديين السلفيين جدا ! قال لي يوما في سياق الحوار : (**إن الجهاد يجب أن يكون سلفي الراية ، وأن تكون قيادته سلفية التركيب ، وأحكامه سلفية المنهج ، وأن يكون كل شيء بالدليل.. ولو قبلنا أن يجاهد معنا من ليس سلفيا فمن باب الحاجة ، ولكن ليس لهم أن يكون لهم من القيادة شيء و إنما نقودهم مثل البقر لأداء فريضة الجهاد!!**)

ولم أستطع أن أفهم حقيقة كيف سنجاهد مع إخوة الدين والعقيدة إذا كانت علاقتنا بهم علاقةً بقرية تقوم على الجذب من هؤلاء والركل والنطح من الآخرين!!

ولكن هذه الظاهرة لم تكن ضمن دوائر ضيقة وللأسف . حتى أن بعض الجهاديين رفض العمل معنا ذات يوم في مشروع جهادي لأنني كنت مسؤولا عنه قائلاً..كيف نجاهد مع رجل لا يرفع يديه في الركوع.. ويصلى على البدعة! ولا أدري من قال لهم أن من لا يرفع لدليل عنده هو مبتدع ! ناهيك عن أن كل ما في الأمر أني كنت آخذ بفتوى من قال من العلماء بمجاملة أهل المحلة في مذهبهم تأليفاً للقلوب كما قال الإمام ابن عبد البر وغيره.. وكنت لا أرفع في الركوع و الرفع منه يدي عند ما نصلي مع الأفغان ، ومعلوم أنهم من الأحناف وأكثرهم متعصب وجاهل. ونحن وإياهم في وئام كبير وجهاد دفع متعين . وكان كبار قادة المجاهدين العرب من أمثال الشهيد عبد الله عزام

رحمه الله ، والشيخ أسامة حفظه الله يطلبون ذلك ويحثـون المجاهـدين عليـه وقـد لاقـوا في هـذا المجال الكثير من العنت.. وهذه أمثلة لإيضاح الفقرة و إلا فالأمثلة كثيرة..

فكم كان يتعرض من الأئمة الإعلام ، من تلبس بشيء من التأويل أو سوى ذلك مـن أئمـة أهـل السنة الكبار كابن حجر والنووي وسواه في تلـك الأوسـاط. وكـم انتهكـت حرمـة المـذاهب الأربعـة وبعض أئمتها ولاسيما الإمام الجليل أبو حنيفة رحمه الله وغـيره بـدعوى الانتصـار للمـنهج السـلفي والعقيدة السلفية.. ورغم أني في ذات اعتقادي على منهج السلف من دون تعصب وتضـييق وكنـت معروفا بهذا. إلا أن كثيراً من إخواننا هؤلاء كانوا يضيقون ذرعاً حتى بذلك..

ومعلوم أن هذه المشاكل من مشـاكل التيـار السـلفي وليسـت مـن مشـاكل التيـار الجهـادي ولكنها تعدت إليه. حتى أن أحد كبار المجاهدين من الأفغان العرب وكان سلفيا جدا ، وهو سروري سابق . نهرني لأني قلت بعد ذكر الإمام النووي رحمه الله.. وقال لا تقل رحمـه اللـه . فقلـت ومـاذا أقول ؟ فقال : قل غفر الله له ، فإنه لم يكن على السنة!

وذات مرة ، عاتبني إثر بعض محاضراتي بعض هؤلاء المجاهدين وبعضهم قـادة في جماعـاتهم ،لأني ذكرت في السياق الإمام حسن البنا ، وكذلك الشيخ سعيد حوى ، والشيخ عبد الفتاح أبو غـدة بقولي رحمه الله.. وهم يعرفون انتقاداتي لمنهج الإخـوان . وقـالوا لمـاذا تـترحم عـلى أهـل البـدع ؟! فقلت إن مذهب أهل السنة الترحم على من مات وظاهرة مـن المسـلمين . فـرد عـلى أحـد الإخـوة الكبار حفظه الله قائلا : كان الإمام سفيان لا يرى الترحم عـلى مـن مـات عـلى البدعـة!! فقلـت لـه رحمه الله وكان غيره من أئمة السلف يرى ذلك . ويجب أن ينظر للبدعة ونوعها ومستواها و قرائن إحسان المخطئ و مقام ذكر الرحمـة.. ولكـن لم يكـن هنـاك أي فائـدة مـن الحـوار الـذي لـو طـال فستسجل عندهم مع المبتدعة ، بل مع المحامين عن البدع ! ولله الأمر .

لقد كان من أبسط الأمور على أحدهم أن ينهي الحـوار بقولـه : لقـد أبلغتـك مقتضىـ دعـوة التوحيد! وأنا أدين الله بكذا وكذا و أنكر كذا وكذا..

وكم انقطعت من علاقات ، وقامت من خصومات بين هؤلاء وبين كثير مـن المجاهـدين فضـلا عن المسلمين بسبب هذا النهج . وكان هذا من أكبر العلل التي طرأت على المنهج الجهادي بسـبب التأثر بسلبيات التيار السلفي..

وأكرر قولي الآنف الذكر ، بأن الفوائد العظيمة التي جناها التيار الجهادي فكريـا مـن المـنهج السلفي أكثر من أن تحصى . ولكن لم يخل ذلك من آثار جانبية سلبية كان هذا بعضـها.. ولم أتخيـل حقيقة كيف يمكن لهؤلاء الذين لم يستطيعوا التفاهم حتى مع الجهاديين ، والإسلاميين . كيف يمكن أن يقودوا مقاومة يجب أن تكون شعبية ، بكل مـا سـتحتويه كلمـة شـعبية مـن التعـدد واخـتلاف والمشارب .

3- أحادية الطرح في المنهج الجهادي وعدم شموليته واقتصاره على مسائل الولاء و البراء و الحاكمية وضيق أفق المكتبة والإنتاج الأدبي في التيار الجهادي:

بالقياس إلى عموم مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة وبالنظر إلى مكتباتها الشاملة. نجد أن مكتبة التيار الجهادي ،وهي مجموع ما كتب فيه من المناهج والكتب والأدبيات . و حتى ولو أدخلنا فيها النشرات الخاصة بالجماعات والتنظيمات المختلفة والبيانات الدورية أو سواها.. نجد أن المكتبة الجهادية صغيرة الحجم كماً ، وأحادية الطرح نوعاً.. فالكتب معدودة. والنشرات محدودة. ولا يتناسب حجم هذا الإنتاج مع عظم العطاء والأداء ، وضخامة التضحيات وكثرة التجارب . وما كان يمكن أن يكتب فيها ، تاريخاً ودروساً وتحليلاً وعبراً ، وقصص مشاهد ، وسير رجال و شهداء... ولكن وللأسف فالإنتاج ضئيل جداً وشبه معدوم لدى كثير من الحركات . وإذا نظرنا إلى نوع ما طرح فيه نوعاً سنجده مقتصرا على مسائل الحاكمية و أصول قواعد الولاء و البراء والعقائد . فالإبداع فيه قليل ، وأكثره إعادة وتكرار، وأكثره يعتمد على النقول والإعادة لفقه الإمام ابن تيميه وبعض أئمة المدرسة السلفية وتراث المدرسة علماء الدعوة الوهابية رحمهم الله تعالى..

ومع أن النوازل كثيرة. والمجالات السياسية الشرعية والسياسية الواقعية واسعة، والحاجة إلى الكتابة فيها كبيرة . وكذلك في مجالات الفقه و أحكام الجهاد المعاصر، وكذلك في علوم تابعه كعلوم السياسة والإدارة والتربية ..والثقافة العامة التي تلزم المجاهد ، ومناقشة مسائل الأمة الحاضرة والمستقبلة ، وحوار المستجدات والمواضيع الحوارية المطروحة في ساحة الواقع العربي والإسلامي.. ولكن التيار الجهادي عموماً تميز بقلة كتابه. وانشغال المؤهلين من قياداته ورموزه والقادرين على الكتابة بالعمل الميداني . وقد حالت المطاردات الأمنية ، وظروف عدم الاستقرار ، بينهم وبين العطاء في هذا المجال. ولذلك اقتصرت مكتبة الجهاديين إما على الكتب العسكرية ومناهج التدريب والعمل وإما على ما أشرت إليه من مسائل الحاكمية وقضايا الولاء و البراء.

4- ضعف المادة التربوية في مناهج التيار الجهادي:

يعتبر مجال التربية لقواعد التيار الجهادي من أكبر المجالات التي اعتراها النقص وانخفاض المستوى خصوصاً بعد التسعينات. ومنذ ابتدأت المطاردات الأمنية شغل القوم بهجوم لباس الخوف والجوع ، ومستهم البأساء و الضراء والنقص في الأموال والأنفس ، وتقاذفتهم المهاجر و الملاذات في أقطار الأرض الأربعة..

وعلى عكس الجيل الأول والثاني من الجهاديين الذين تمكنوا قبل تلك المواجهات من تحقيق مستوى لا باس به من التربية لكوادرهم الأولى ما بين الأعوام 1965-1985 تقريباً.0 لم يسعف الظروف الجهاديين بعد ذلك من تطبيق برامج تربوية شاملة إلا في نطاق محدود . و الملاحظ أيضاً

أن اعتماد التيار الجهاد في التربية لم يكن على مكتبة ومناهج معاصرة وضعوها وفق احتياجاتهم الحالية . وإنما على كتب التراث ، أو على بعض كتب مدارس الصحوة الأخرى ، والتي لا تخلوا في كثير من الأحوال مما يتناقض مع المنظور الجهادي لكثير من المسائل.

وبعد 1985 غلب على الأوساط الجهادية من المعسكرات والتجمعات وأماكن النشاط مناهج تربوية ذات بعدين كما أسلفت . إما عسكري في حدود المواد العسكرية والدورات التدريبية القتالية. وإما بعض المواد في مسائل الحاكمية والولاء و البراء والعقيدة والمنهج السلفي.

وقد لاحظت خلال الشوط الثاني للأفغان العرب في ظل طالبان ، أن الجيل الثالث من الجهاديين بدأ يميزه الجهل والفاقة التربوية في أكثر شرائحه. وقد زهد بها كثير من الجهاديين في هذه المرحلة 1996-2001 رغم توفر الإمكانية والمعسكرات والملاذ الآمن ، بل والمرفه جداً في كنف طالبان قياسا بملاذات الشتات ومرحلة المطاردة . إلا أن معظم القوم نشطوا في المواد العسكرية واقبلوا عليها ، ولم يعطوا الجوانب التربوية الأخرى الأهمية التي تستأهلها. ولذلك انعكس هذا على تلك المرحلة بكثير من المشاكل و الأزمات الداخلية التي أعتقد أن مردها لانخفاض مستويات السلوك والأخلاق العامة .

وأدى تدفقه الكثير من الشباب من قطاع عوام المسلمين العاديين ، المعبئين بالعواطف والحماس والإخلاص مع انخفاض مستويات العلم الشرعي ، والالتزام الديني ، وأصول الأخلاق والمعاملات الإسلامية وحتى مستوى العبادات . وتميزت كثير من الأوساط الجهادية بمستوى ضحل جداً من المواصفات في هذه المجالات. وانعكست الضغوط النفسية، وآثار المطاردات الأمنية ، ومشاكل الواقع العام للعرب والمسلمين عموماً، والمشاكل الداخلية في أوساط الصحوة الإسلامية ، ومنابذة قياداتها للجهاديين ، وانغماس أ كثرهم في ركاب علماء السلاطين وأجهزة الطواغيت..

أدى كل ذلك إلى أن تكون كثير من أوساط الجهاديين مع غياب منهج التربية متميزة بالقسوة والجفوة وقلة الرحمة ، وغياب النماذج التي طالما تحدثت عنها كتب الرقائق وقصص السلف والخلف من الصالحين في مجالات العبادة و النسك وحسن الخلق ، ولين الجانب مع المسلمين وعذرهم ورحمتهم والأخذ بيدهم.

فقد كانت كثير من الأجواء مشحونة . وتميز العديد من الجهاديين بسلوك أقرب إلى الحالة العصابية منه إلى السلوك المفترض بالمجاهد المؤهل التربي علماً وخلقاً وعبادةً وسلوكاً..

وكان هذا انعكاسا لضعف منهج التربية مادةً وتطبيقاً. وحسبنا الله ونعم الوكيل..

وهكذا كنت ألاحظ أن كثيراً من الجهاديين قد اختصر الإسلام وعقائده وشعائره في فريضة الجهاد، وظنها كل الدين . واختصر الجهاد بأحكامه وآدابه وسلوكياته ومواصفاته التي تقتضيها منزلة ذروة سنام الإسلام ،اختصره بالقتال. واختصر القتال بما يقضيه من صبر و مصابرة وإعداد و

أخلاقيات . بشهود المعارك ذاتها. وحتى أثناء شهود المعارك كنت تلاحظ قلة الصبر و المصابرة ، وتحمل الرباط الطويل . فقد اختصروا مفهوم القتال على إطلاق النار..

وكنت وكثير من قدماء الأخوة.. نلاحظ الأجواء في الأوساط الجهادية قد بدأت في أواخر القرن العشرين ومطلع الحادي والعشرين تشير إلى قرب امتحان وبلاء سينزل ليعيد تلك النفوس الطيبة المخلصة إلى صفائها وحاجتها إلى ربها وإلى أخلاقيات دينها ومكوناته التربوية. وهذا ما جاء مع أحداث سبتمبر وتداعياتها من بعد .

﴿ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: 216) .

5- غياب أثر فقه الواقع في المنهج السياسي الشرعي لدى كثير من الجهاديين :

وقد سبب هذا في نظري ضعف المواد التربوية والدراسات التي تعين على ذلك أو انعدامها. وبالتالي اختلال الموازين في تحديد من معنا ومن علينا . والخلط بين دوائر الأعداء والمحايدين والمناصرين.. وحقوقهم وطرق التعامل معهم.

ففي خلال العقد الأخير من القرن العشرين تعقدت معطيات الواقع بكل إبعاده السياسية و الإقتصادية والاجتماعية والثقافية في العالم العربي والإسلامي ، بل وفي العالم أجمع . وشهدت عموم مجالات النشاط البشري في كل تلك العوالم تعقيداً وتطويراً وتشعباً هائلاً..

وتعتبر المجتمعات في العالم العربي والإسلامي وللأسف مجتمعات متخلفة عموماً عن مواكبة مستويات المعرفة الحضارية ، إلى حدود مؤسفة .

وقد تميزت الصحوة الإسلامية عموماً، وهي ظاهرة منبثقة عن ذلك الواقع بالكثير من مؤثرات ذلك التخلف العام ،وعدم إدراك العصر التي هي فيه. وفي الوقت الذي تقدمت فيه الأحزاب والجماعات الإسلامية من مدرسة الصحوة السياسية وكثير من قياداتها وكوادرها بحكم الوعي والممارسة السياسية. تقدمت في مجالات المعرفة وإدراك الواقع. فإن باقي مدارس الصحوة الأخرى الدعوية والإصلاحية وما اصطلح عليها بالسلفية ، وكذلك المدرسة الجهادية ، تميزت بانخفاض مستوى المعرفة والوعي الحضاري وإدراك الواقع. فأما المدارس اللاسياسية فلانعزالها عن عيش الواقع ، وأما التيار الجهادي ، فلأن غالبيته من قطاع الشباب الذين لم يأخذوا بحكم صغر السن في الغالب وبحكم الظروف الأمنية الصعبة، لم يأخذوا حظهم من المعرفة الحضارية وإدراك الواقع إلا في حالات نادرة في بعض الجماعات والكوادر والشخصيات..

وعلى اعتبار أن المعركة اليوم أصبحت تدار ليس فقط في المجال العسكري والأمني حيث يمكن للجهاديين والإسلاميين عموماً أن يبلوا بلاءً حسناً. وإنما في مجالات السياسة والإعلام والاقتصاد .

وحتى في عالم المواجهة العسكرية والأمنية أصح للمستوى المعرفي والعلمي في المواجهة دور كبير. ولذلك فإن انخفاض المستوى العام عند غالبية الجهاديين في فقه الواقع بكل معطياته وأبعاده انعكس على مناهجهم وأدبياتهم وإعلامهم وفحوى خطابهم وأسلوبه وطريقة إيصاله. ونتج عن هذا اختلال في موازين الأولويات وفهم معطيات الواقع ، وخلط بين دوائر المهم والأهم وما تقتضيه النصوص العامة . وما يضطر إليه الواقع. وكذلك حصل خلط في تصنيف شرائح الناس ، من معنا ومن علينا. واضطراب في تحديد أولويات المعركة.

ونظراً لهزال البنية المؤسساتية في التيار الجهادي عموماً ، وضيق مجالات الشورى و الإستفاده من الكوادر..وتفضيل كثير الأمراء للإمعات ، انضم هذا الجهل لذلك الخلل ليخلف نتيجة مأسوية تجلت في ضعف مستوى إدارة المعركة، وفشل في تحديد سبل المواجهة، والمواءمة بين مجالات المنهج الفكري والعمل العسكري والسياسي والإعلامي . وغاب أثر الواقع في إصدار الأحكام واتخاذ القرارات السياسية والعسكرية و المصيرية. ومعلوم أن صحة الفتوى يعتمد على مرتكزين لازمين معا وهما: معرفة الشرع وفهم الواقع. وعلى افتراض وجود الفهم الشرعي الصحيح في كثير من الحالات. فقد أدى غياب فهم الواقع إلى قرارات أقرب للعرج من وصفها باستقامة المسار.

6- عدم تبني مفهوم جهاد الصائل الخارجي والدخول في دوامة مواجهة الأنظمة :

وقد جر لهذا ابتداء استفزازات الأنظمة . ثم حمل على تبنيه أصل منهجي نتيجة الفهم الحرفي لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾ (التوبة: 123). وحمله على الأنظمة المرتدية الحاكمة. مما أدى للدخول في صراعات حدد العدو طبيعتها ومسارها وصارت الخسائر فيها تنفق من مخزون الأمة دون طائل ولا نتيجة مرجوة .

فقد انطلق التيار الجهادي أصلاً بسبب أزمة المواجهة مع الجاهلية الجاثمة على صدور المسلمين والمتمثلة بأنظمة الحكم المرتدة. وتطور الأمر كما بنيا من الفكر الجهادي المجرد إلى التطبيق العملي .

وقامت التنظيمات الجهادية و اشتبكت في ساحات كثيرة مع أنظمة الحكم تلك. وقد أيد هذا الإتجاه حكم شرعي وواقع قائم. فأما الواقع القائم فهو أن البأس و النكال الواقع على المسلمين عامة والإسلاميين خاصة و الجهاديين على وجه الخصوص، هو من الأنظمة الحاكمة وأجهزتها الأمنية . وهو يقتضي ويوجب المواجهة عقلاً و منطقاً . وكذلك فإن الحكم الشرعي والأمر بالجهاد هو من مقتضى نصوص كثيرة ، منها قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ﴾ . ومن خلال هذا الفقه وهذا الواقع عملت منظمات الجهاد. قرابة ثلاثين سنة 1960-1990 .

ولكن ومع قيام العولمة في كل شيء مع انطلاق النظام العالمي الجديد.. وتطور مستوى الغزو الخارجي والترابط والحلف المتين بين قوى الكفر العالمية والمحلية المرتدة الحاكمة والدولية، وقوى النفاق المرتبطة بها، ومع تطور ميادين المواجهة ، وتطور أساليب مطاردة الجهاديين من المحلية إلى الإقليمية إلى العالمية . كان على الجهاديين أن يدركوا ذلك ويطوروا مناهجهم ، وأسلوب عملهم ولا يبقوا يدورون في حلقات مفرغة، رسمتها القوى الدولية اليهودية الصليبية العالمية وحلفاؤها. بحيث صارت حرب استنزاف لا طائل من ورائها. ولكن جمود المناهج والفهم ،في معظم التيار الجهادي ، لم يسمح بتلك النقلة التي توجب إعطاء فقه مواجهة الصائل حقه المتوجب . وبقي المستند أن الأمر هو بقتال الذين يلونكم من الكفار . وكأن هذا يعني أقرب رجل أمن ، وأقرب حكومة مرتدة جاثمة في منطقة عمل الجهاديين. وكان في هذا من ضيق الأفق ما فيه ، سواءً في فهم تفسير النص ، أو في فهم السنة الحركية التي تبينه ، من مقتضى حروب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوجهه لحرب الروم وحوله من الكفار من هو أقرب منهم. وكذلك الجهل بأقوال صريحة للعلماء في عدم إلزامية هذا الأمر بفهمه الحرفي . وانعكس هذا الجمود المنهجي على ممانعة أكثر الجهاديين في الاتجاه نحو الجهاد الأممي وعولمة المواجهة عند ما طرحت من قطاع محدود من الجهاديين أواخر القرن العشرين.

7- عدم القدرة على تحديد المضمون الشرعي والحركي لعدد من المفاهيم الأساسية :

طرح المشروع الجهادي المعاصر عددا من المصطلحات والمسميات الأساسية التي أعتمد عليها في البناء التنظيمي والسلوك الحركي للجماعات الجهادية . ولكن هذه أوجد إشكاليات لم يستطع الجهاديون حلها وتبيينها ، ومن ذلك :

** **الجماعة المجاهدة:** ما هي؟ وما هو تعريفها ؟ ما طبيعة علاقتها مع ما حولها من الجماعات ؟ وما مشروعية تعدد تلك الجماعات المجاهدة وغير المجاهدة ؟ وما نسبة صلاحياتها وفحواها إلى جماعة المسلمين العامة؟ وما مسوغات و شرعية وجودها؟

****الإمارة والشورى والقرارات:** ما حدود صلاحيات الأمير في علاقاته مع من حوله من القواعد والقيادات ومؤسسات الجماعة ؟ وبالتالي طريقة اتخاذ القرار في الجماعة ؟ والشورى وطبيعتها و إلزاميتها ؟ و هل هي إمارة خاصة أم عامة ؟.

****البيعة والسمع والطاعة:** ما هي طبيعة هذه البيعة ؟ وما فحوى عقدها ؟ وبالتالي الحقوق والواجبات المتبادلة بين الأمير والفرد أو بين الفرد والجماعة؟ وكيف تنحل ؟ وبناءً على ماذا؟

وما ذا يترتب على نقضها؟ ومتى يكون مشروعاً ومتى يحرم ؟ إلى آخر تلك المسائل.. التي لم يتم تحديدها في التيار الجهادي بدقة واختلفت من تنظيم لآخر. وفي حين اعتبر أكثير الجهاديين في

مناهجهم أن جماعتهم هي جماعة من جماعات المسلمين ، وأنها إمارة جهاد. وأن البيعة محدودة بتلك الواجبات . إلا أن واقع الحال جعل بعض تلك الجماعات يتصرف عملياً كأنها جماعة المسلمين في قطرها. وصرح بعض أكابر التيار الجهادي بأن جماعتهم هي الجماعة الشرعية الوحيدة في البلد الفلاني ، وبالتالي قاوموا بشتى السبل ميلاد جماعات أخرى ، أو استمرار وجود سابقات عليها . بل ذهب البعض إلى السعي باستخلاص فتاوى تبيح للجماعة المجاهدة توحيد صف الجهاد بالقوة والعنف لتصفية وجود جماعات أخرى! ووجد بعض الشواذ الذين يفتون بذلك ضمن ما لحق بالتيار الجهادي من بعض طلاب العلم ممن تصدروا للفتوى في التيار الجهادي نتيجة غيبة العلماء عنه. كما اتخذت بعض الجماعات سجوناً وعقوبات ومحاكم تنظيمية دونما تحديد لتلك الحدود والصلاحيات . فقد ولدت إشكالات واقعية في التنظيمات. وقد أضافت السرية والأوضاع الأمنية وضعاً شاذاً عقد من تلك المسائل.

فقد سألت البعض من طلاب العلم من أصلا التيار الجهادي حفظه الله ، عن مشروعية ترك الفرد لجماعة ما إذا لم يناسبه المسار أو رأى عقمه بعد أن دخل فيها . فقال لي لا يجوز إلا أن يرى كفراً بواحاً عنده فيه من الله برهان !! وبالتالي سحب على أمير الجماعة حقوق الإمام الأعظم! فلما سألته ماذا لو رأى عقماً بواحاً. أو فوضى بواحة. أو إفلاساً بواحاً . وتيقن أن ما توخاه من الالتحاق بالجماعة الفلانية لن يحقق أهدافه؟ هل يستمر طول عمره هكذا ! ولا يحل له أن يتحول الجماعة أخرى أو يسعى في جماعة جديدة!؟ فحار الرجل في الجواب لما تفكر بأبعاد المشكلة .

فإذا كانت الجماعة تستطيع فصل عنصر فيها، وإخراجه من الجماعة. فلم لا يحق له فصل نفسه والانسحاب ؟ وكيف نحل في هذه الحالة مشكلة الأسرار التي عنده؟. إلى آخر ذلك من المسائل..

لقد كان هناك إشكاليات حقيقية في تقنين ذلك والإفتاء فيه ؟ وفي العمل على أسس لم تتحدد..

وهي مشاكل ليست موجودة في جماعة المسلمين العامة بشكلها الطبيعي . فأمير المؤمنين لا يستطيع فصل مسلم ما من جماعة المسلمين حتى ولو لم يبايعه ما لم يخرج عليه . ولا يستطيع العنصر في الأمة أن ينسحب منها. ولا يترتب عليه بحكم بيعته وطاعته العامة لأمير المؤمنين من الحقوق والواجبات ما يترتب على العنصر في جماعة ما جهادية أو سواها.

لقد فتحت إشكالية غياب الإمامة العظمى وزوال الهيكل السياسي للأمة إشكاليات كثيرة. ولما قامت جماعات لحل تلك الإشكالية واضطرت للسرية بفعل بطش الأنظمة ، انفتحت إشكالات أخرى لا حل لها . وكان هذا بعض مظاهر ما فيه الأمة بسبب غياب دار الإسلام والإمامة والشريعة

وتوابع ذلك. وكانت هذه الإشكاليات بعض مظاهر خلل المناهج التي طرحت وعجزها ، ليس في التيار الجهادي وحسب . وإنما على مستوى تنظيمات الصحوة كلها.

(ثانياً) - أخطاء وخلل في البنية والهياكل التنظيمية في التيار الجهادي:

النوع الثاني من الأخطاء و العلل التي ظهرت في أساليب عمل التيار الجهادي هي الخلل والقصور في البني التنظيمية وطبيعة الهياكل . وما أفرز من إشكاليات وعلى رأس ذلك.. الإشكالية الكبرى التي بدت أبعادها في العقد الأخير من القرن العشري بعد انطلاق الحملة العالمية على مكافحة الإرهاب. وأثبت الواقع استحالة استمرار العمل الجهادي مع وجود تلك المشكلة البنيوية وهي مشكلة أن كل التنظيمات والجماعات الجهادية بنت بناءها على أساس أنها تنظيمات (**سرية – هرمية – قطرية**).

1 : المشاكل التي تأتت عن السرية:

كان اختيار طريقة العمل السري أمراً إلزامياً ومنطقياً لمواجهة قوى طاغية باغية ظالمة لم يرقب فراعنتها وأعوانهم في مؤمن إلا ولا ذمة. ولست هنا في معرض انتقاد مبدأ السرية في العمل الإسلامي. فهو مبدأ شرعي له أدلته وسابقاته التاريخية بدءاً من السيرة النبوية ومروراً بتجارب كثيرة عبر التاريخ الإسلامي. كما في لست معترضا عليه حركياً ، لأنه كان أسلوباً إجبارياً مارسناه خلال حقبة اضطرارية كما لا يخفى . ولكنني هنا بصدد ذكر الإشكاليات الكبرى التي تأتت عنه بحكم طبائع الأشياء وبحكم انتقال مستويات المواجهة الأمنية إلى مستوى توحشت فيه الأنظمة المرتدة ومن ورائها من قوى الكفر العالمية ، بطريقة جعلت تلك الإشكاليات تجعل الاستمرار في ذلك الأسلوب ضرباً من الإصرار على الفشل العبثي في نهاية المطاف . فقد أدت تلك الأساليب الوحشية إلى إغراق الجماعات المجاهدة في السرية . فقد ولد هذا لها إشكاليات في التربية والإعداد ، وفي التجنيد التمدد ، وفي ضعف الدعاية العامة واتساع الجمهور، وفي محدودية مجالات الحركة بالإنتاج والعطاء .

فمعلوم من تاريخ دعوة الإسلام منذ ظهورها وعبر تاريخ المسلمين ، أن منهج التربية قام أساساً على علاقة المربي بالأتباع . والتي تقوم على التماس المباشر . وهو الوسيلة الأساسية لنقل العلوم والمعارف . وشرح المنهج وتقديم القدوة و السمت و السلوك . ونقل مختلف مجالات التأثير. وهكذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم للصحابة . والصحابة للتابعين . وهؤلاء لتابعيهم من العلماء وورثة الأنبياء. ثم لهؤلاء بتلاميذهم وجمهورهم وصولاً للعامة.

ولكن أسلوب العمل السري لا يسمح بهذا. فكيف تتم التربية؟! وإذا استحالت التربية فكيف يستمر العمل بقواعد لم تتربي على المنهج ولا على برامج الإعداد؟! فالخلايا السرية تعتمد في التربية على لقاء المسؤول عن خلية ما بأتباعه وإعدادهم في مختلف مجالات ما يلزمهم من المعارف الشرعية والفكرية والمنهجية والسياسية والإعداد العسكري والأمني..الخ. وهذا اللقاء يكون دورياً وغالباً ما يكون أسبوعياً ، ويقل مع توتر الأوضاع الأمنية إلى أن ينقطع أحياناً. وهكذا توفرت الطلائع الأولى للجهاد على مستوى راق لأنها أعدت قبل مرحلة السرية. فقد أعدت في المساجد أو في الجماعات الإسلامية العلنية أو شبه العلنية. فكان أداءها الجهادي عالياً يتناسب مع مستويات التربية التي تلقاها أولئك الكوادر. ولكن مع انقراض الطبقة الأولى والتالية تم التالية من الكوادر نتيجة أن مسار الجهاد يستهلك كوادره بالاستشهاد و الاعتقال والهجرة من الساحة ، تلتحق بالصف كوادر وخلايا غير مؤهلة . وغالباً ما كانت من عوام الناس ومن جيل الشباب الذي غالباً لم يسبق له أن تربي في حركة إسلامية. خاصة وأن الحركات الإسلامية من المدارس الأخرى غالباً ما تحصن أعضائها ضد اللحاق بالعمل الجهاد! لأن قياداتها لم تدخله!!

وقد تكررت هذه المأساة في كل التجارب الجهادية. إذ سرعان ما استهلكت الكوادر واضطرت التنظيمات إلى الاعتماد على الكوادر الجديدة غير المؤهلة تربوياً . وخاصة من بعض من يثبتون الشجاعة والكفاءة القتالية ميدانياً. وهكذا تفقد الجماعة مستواها ثم هويتها ، لعدم استمرار مشروع التربية. ويكفي في هذه الإشكالية ونتائجها الكارثية بلاءً لإثبات عقم الطريقة بكاملها. ولكن للأسف لم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة!

كما تفرض الأجواء الأمنية والسرية الإجبارية أجواءً لا تسمح باتساع التجنيد.. فمعظم الجماعات الجهادية بنت نفسها وكياناتها قبل الصدام واشتعال المعركة. فكونت هياكلها و جندت معظم أفرادها. ثم ابتدأ الصدام غالباً قبل اكتمال الإعداد له، نتيجة اكتشاف أجهزة الاستخبارات لمراحل الإعداد لأولى ، أو نتيجة تفجير الأوضاع نتيجة تفاقم الأزمات . حيث يجد التنظيم الجهادي نفسه مجبراً إما على دخول المعركة والاستمرار في الإعداد والبناء من خلالها . وإما على أن تصفيه الحملات الأمنية دون مقابل. فيدخلون المعركة. ومع دخولها يبدأ استهلاك الكوادر والأعضاء . ويحتاج التنظيم للتجنيد. ويحتاج التجنيد للدعاية والحشد والجمهور، كما يحتاج حتى يكون محكما لرصد العناصر المرشحة للتجنيد ودراسة أهليتها وظروفها. ولكن السرية والمشاكل الأمنية لا تسمح بهذا فيضعف التجنيد وتقل الأعداد. ويتحول التنظيم بعد تقطيع أوصاله إلى خلايا عصابات متفككة تستهلكها المعركة شيئاً فشيئاً ، إذا لم ينجح التنظيم في تطور حرب عصابات ينقلها من مرحلة إلى أخرى حتى يتسع التجنيد. ولكن الذي حصل في كل التجارب السابقة بلا استثناء ، أن إعداد الكوادر الجهادية والأعضاء كان قليلاً. ولم يتمدد نتيجة أسباب كثيرة ، أهمها الإشكال الأمني و

أسلوب السرية. وعلى سبيل المثال لم يتجاوز عدد المجاهدين في سوريا وهي أطول المحاولات (نحو عشر سنين) لم يزد في أحسن الأحوال عن 1500 مجاهد عامل ، هذا غير الأنصار. في بلد يبلغ تعداد سكانه في ذلك الوقت زهاء 12 مليون نسوة . وفي مصر لم يزد تنظيم الجهاد عن 2000 عنصر والجماعة الإسلامية ربما عن ضعف ذلك من الأعضاء العاملين غير جماهير المساجد . هذا من أمة كانت تعد أكثر من 60 مليون نسمة . وفي ليبيا ، لم يزد عدد المجاهدين عن رقم متواضع من تعداد سكاني هو في حد ذاته محدود لم يبلغ الـ 4 مليون نسمة . وفي بعض البلدان كتونس . لم يجاوز العدد خانة العشرات وهكذا..

وإما عن ضعف الدعاية وانكماش الجمهور. وانعكاس ذلك على ضعف الحشد نتيجة السرية أيضاً فهذا لا يحتاج لكثير شرح إذا لم توفر الأساليب السرية ما يلزم للحشد الذي يقوم أساسا على الإتصال بالجماهير بالوسائل العلنية .

2 : المشاكل التي تأتت عن البنية الهرمية والإشكالية الأمنية:

بنيت جميع التنظيمات الإسلامية السياسية و الجهادية وما شابها بأسلوب هرمي . فغالباً ما تبدأ الدعوة بأفراد قلائل. يحددون أسس منهجهم وأهدافهم ، وبرنامج عملهم . ويبايعون واحداً منهم أميراً عليهم . فتكون الكوكبة الأولى قيادته ومجلس شوراه . وهكذا يبدأ رأس الهرم. تستمر عمليات التجنيد والحشد . ويكون كل واحد من هؤلاء مسؤولا عن جهاز أو خلية أو مجموعة.. و يتتابع النظام. وهكذا يتشكل من المجموع ما يعرف بالهرم التنظيمي .

إن هذا الأسلوب في البناء الحركي يتمتع بصفة القوة من حيث الإحكام والسيطرة. لأن الأوامر تصدر والبرامج تقرر. وتنزل من الأعلى للأسفل . ثم تتابع بعض الطريقة . وترجع التقارير أو النصائح والمقترحات وغير ذلك بالعكس بمرونة وسرعة.

ولكن مثل هذا البناء يتميز بالضعف الأمني ، وبعدم صموده للمواجهات الأمنية الاستخباراتية خصوصاً بعد ما أثبتت أجهزة الأمن والحكومات الطاغوتية ، ثم قوى الكفر المحاربة للظاهرة الجهادية استعدادها لكل أشكال البطش والتعذيب الجسدي والنفسي . وحتى لاستخدام المخدرات والعقاقير لاستخراج المعلومات.! وهكذا لم يصمد معظم المعتقلون عن الاعتراف بأكثر ما لديهم من معلومات أو بكلها ، أو بالإضافة عليها لإرضاء الذئاب الضارية من الجلادين المتحفزين لانتزاع ذرات المعلومات من قعر ذاكرة المعتقل ، بل من تحت أظافره لو احتاج الأمر وبسلخ جلده إن لم يكف ذلك.

وهكذا كانت في كل التجارب ، عدة ساعات فقط كافية لانتزاع كمية من المعلومات سرعان ما تعمم على أجهزة الأمن لتتسع دائرة الاعتقال. وتعاد الكرة ثم تعاد . لتشتمل الحملة الأمنية الجسد الأعظم من التنظيم السري خلال مدد قصيرة.

وهكذا صار الهرم التنظيمي أشبه بكيس من البلاستيك المنفوخ ، الذي يحتوي سائلاً سيؤدي ثقبه من أي جهة لا فراغ محتواه طال الوقت أم قصر- ولقد حاولت التنظيمات الجهادية التي خاضت مواجهات أن تطور من أساليب عملها بشيء مما يسمى بالبنية الخيطية أو العنقودية ، حيث يستقل العناصر العاملون بعناقيد منفصلة من الخلايا ولكنها في مجموعها تضطر للتحول إلى مجموعة أهرامات تنظيمية تشكل عبر وسائل الاتصالات معالم الهرم الرئيس مرة ثانية.

ولم تنحل المشكلة داخل القطر الواحد. وأدى هذا لاسيما حيث لم توفر معظم البلدان طبيعة جغرافية وعرة تمكن من تحصن القيادات التنظيمية فيها لإدارة أعمالهم. وحتى مع توفرها اضطروا للاتصال بالخلايا العاملة التي عملت أيضاً بنفس الأسلوب.. ثم اضطرت التنظيمات الجهادية مثلها مثل كل العصابات والجماعات السرية إلى أن يهاجر قياداتها إلى مناطق أمان في دول مجاورة . حيث وفرت لها بحكم الهامش القديم للنزاعات الإقليمية بين الدول ملاذاً آمناً أدارت منه أعمالها . ولكن التعاون الأمني كما سبق وبينا ، وانتقاله من المجال الإقليمي إلى الدولي ، ضيق ثم الغى تلك الملاذات. ولم تحل المشكلة الهرمية مع عمليات البطش والتعذيب والخطف والتسليم . وأدت إلى تآكل التنظيمات للأسباب المجتمعة مما وفر في النهاية كل عوامل الاضمحلال و التفكك..

3 : مشكلة القطرية:

معظم إن لم يكن كل التنظيمات الجهادية والجماعات المكونة للتيار الجهادي التي عملت خلال الصنف الثاني من القرن الماضي قطرية في ميدان عملها وأهداف حركتها. وذلك نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والواقعية التي كانت سائدة قبل تفشي العولمة في كل مناحي النشاط البشري ومنها الجماعات الجهادية ذاتها.

وقد كانت قليلة تلك البلدان التي تتوفر على مساحة واسعة تساعدها وعورة جغرافية وتنوع بالإضافة لكبر عدد السكان واتساع الحدود والمنافذ بحيث تتوفر لها العوامل المختلفة لإيجاد معطيات حرب عصابات جهادية يمكن أن تنتقل مراحلها وصولا إلى النجاح. فقد فتت مخططات التجزئة التي قام بها الإستعمار الغربي خلال الحملات الصليبية الثانية العالم الإسلامي والعربي إلى كيانات معظمها صغير عاجز يفتقر إلى معطيات جغرافية أو بشرية أو اقتصادية.

ولكن التنظيمات الجهادية رسمت عملها في حدود مواجهة الطاغوت الخاص بها ضمن السياج الذي نصبه سيكس و بيكو مطلع القرن العشرين. وهكذا وجدت معظم التنظيمات الجهادية

نفسها أمام معطيات لا تمكن في الحقيقة مـن نجـاح ثـورة ولا انطـلاق حـرب عصـابات متكاملـة في غالب البلدان . فماذا يعمل تنظيم جهـادي عـلى مسـتوى البحـرين أو قطـر أو تـونس أو الأردن أو سوريا أو ليبيا ، ضمن المعطيات القطرية ؟! وحتى تلك الدول الكبيرة كمصر والسـعودية ، لم تـوفر لها المعطيات القطرية العوامل الكافية لنجاح مواجهات سريـة مـنظمات هرميـة في حـدود القطـر. وكانت النتيجة النهائية نتيجة تضـافر الأسـباب متناسـبة مـع هـذه المعطيـات . وصـفيت كـل تلـك المحاولات بلا استثناء عبر 40 سنه ومن خلال عشرات التجارب.

وبعد هذه الثلاثية الأساسية من مشاكل البنية والهياكل. كان هناك إشكالات بنيوية أخرى من أهمها.

4 - مشكلة القيادات غير الميدانية:

كما ذكرنا ، اضطرت القيادات الرئيسية للتنظيمات ، الأمير وكبار أعوانه لمغادرة البلاد والهجرة قسراً تحت ضغط الحملات الأمنية . واستقروا في الملاذات القريبة أو البعيدة عـن مواقـع قضـيتهم ، وتعاملوا معها عبر المراسلين أو الاتصالات الخارجية ، المراسـلين..الهاتف .. الفـاكس! وأوجـدت هـذه الطريقة مقاتل للتنظيمات . ونقاط اختراق من قبل الإستخبارات لها .

كما أوجد هذا تلقائيـاً قيـادات ميدانيـة عاملـة عسـكرية. وتحولـت القيـادات الخارجيـة إلى قيادات سياسية وإعلامية وسرعان ما خلق هـذا الواقـع مشـاكل لا تعـد ولا تحصى.. ولقـد شـهدت بنفسي عدداً من التجارب كانت هذه الإشكالية في طليعة ما ساهم في دمار القضايا الجهادية وكانت (الثورة الجهادية في سوريا) التي عايشتها من الـداخل نموذجـاً عـلى هـذه المشـكلة . فقـد اسـتقرت القيادة السياسية للإخوان المسلمين في بغداد وعمان وفي جوار سوريا. وراحت تضع الخطط والبرامج لواقع سياسي وعسكري وأمني داخل سوريا ، وهي لا تعرف عن واقعه إلا النزر اليسير. وسرعـان مـا تبدلت الأوضـاع وقلـت معـرفتهم بالمسـتجدات وصـاروا يرسـمون الخطـط في الفـراغ . ووجـدت القيادات الميدانية نفسها مضطرة للحركة والتصرف .ولكنها كانت مقيدة برباطين غليظـين ؛ البيعـة والسمع والطاعة لقيادة الخارج. والحاجة الماسة لما ترسله من أموال مع الأوامر.

كما شهدت عدداً من القضايا الجهادية من خلال احتكـاكي بأصـحابها وقياداتهـا في عـدد مـن الدول العربية . وقد وجدت لديهم نفس المشكلة. لقد كان على تلك القيـادات أن تتحـول إلى رمـوز شعبية تحـرك الجماهـير وقيـادات سياسـية إعلاميـة ، تاركـة المجـال للعمـل العسـكري والقـرارات الميدانية للقيادات الميدانية. ولكنها تشبثت بتفاصيل القرارات. ولم تثق بقيادات ميدانية شابة. وكان لديها الحق في بعض الحالات. ولكن هذا لم يلغ مشاكل لم تجد حلاً . وكانت بسـبب طبـائع الأشـياء لتنظيمات تعمل بتلك الأساليب في تلك الظروف

5- مشكلة التمويل:

كانت التنظيمات الجهادية محدودة العدد نخبوية غير جماهيرية في معظم أوكل الحالات.. وبالتالي لا توفر لها قواعدها أو جماهيرها ما يكفي من الموارد المالية. فاضطرت إلى اللجوء لمصادر خارجية. وولد هذا إشكاليات كبيرة. ولم تستطيع تلك الموارد في النهاية من جهات ليست أصيلة في تلك القضايا أن تسد الاحتياجات التي تضخمت مع انطلاق العمل وتضخم فواتير المصاريف العسكرية والأمنية ، واحتياجات أسر الشهداء والمطاردين والأسرى...إلخ.

فقد اعتمدت التنظيمات الجهادية إما على دعم جماعات وتنظيمات سياسية دخلت المواجهة مضطرة نتيجة توسيع الأنظمة لدائرة الحرب نتيجة غبائها وطغيانها (كما حصل في سوريا) ، وإما لاستغلال ثورة سيموت فيها الشباب ويستشهد المجاهدون . وستحتاج لقيادات جاهزة لاستلام الحكم بحسب الأحلام في انهيار تلك الأنظمة التي لم تنهار في نهاية المطاف!

وإما اعتمدت التنظيمات الجهادية على دعم بعض الجماعات الإسلامية من أقطار أخرى أو بعض شخصيات المحسنين المؤيدين للجهاد في غير بلادهم غالباً كما كان حال معظم المحسنين للجماعات الجهادية من المصدر الأساسي لمعظم تلك الحركات وهي دول مجلس التعاون الخليجي ولاسيما السعودية والكويت !

فإما وجدت نفسها مضطرة لتقبل المساعدات من بعض الحكومات والأنظمة ذات الأغراض الخاصة في ذلك الدعم .

ولا أريد التفصيل في إشكاليات كثيرة سببها هذا الحال ودخول الجماعات الجهادية للعمل تحت شعار لله يا محسنين . ولكن المحصلة أن برامج تجفيف المنابع. وعدم انتظام تلك المنابع حتى قبل قيام هذه البرامج . سار بالتنظيمات التي اتسعت مصاريفها إلى الإفلاس عمليا . وكان هذا أحد الأسباب الرئيسية للفشل .

6- مشكلة الشورى وغياب المؤسساتية وتعذر قيامها مع المشكل الأمني:

كانت إشكالية الشورى وطريقة اتخاذ القرار من أكبر الإشكاليات التي رافقت العمل في معظم التنظيمات الجهادية. وأدت في كثير من الأحيان إلى الانشقاقات والانقسامات في التنظيمات وتفشي الظاهرة التي أسميتها (التنظيمات الأميبية) التي تنقسم و تنقسم وما تلبث أن تنقسم..

فقد اعتمدت أكثر التنظيمات الجهادية مبدأ الشورى غير الملزمة. حيث تعني أن الأمير مفوض في اختيار ما يرى من قرارات بعد الإطلاع على آراء قياداته ومعاونيه . واتخذ القليل منها مبدأ الشورى الملزمة حيث يلزم الأمير بالأخذ برأي أغلبية مجلس القيادة أو الشورى في مسألة ما.. وهذه مسألة يطول شرحها وتبيان سلبيات وإيجابيات كل طريقة وليس هذا مكان التوسع والبسط. وقد

تلاقت بعض التنظيمات الجهادية هذه الإشكاليات بجعل الشورى على نـوعين ؛ ملزمـة في القـرارات الاستراتيجية العامة والهامة . وغير ملزمة في تكتيكات تنفيـذ تلـك الاسـتراتيجيات. ولكـن كـل هـذه التقسيمات والجهد الإداري مع العواصف الأمنية وتشرد قيادات التنظيمات الجهادية إما في مخابئ داخل بلادها ، وإما في مختلف المـلاذات في دول مجـاورة علنـاً أو سراً . حيـث آل الجميـع للاختفـاء وكثرة التنقل ولم يعد بالإمكان ممارسـة أي نـوع مـن أنـواع الشـورى . وصـار الأمـير العـام والأمـراء الفرعيون يصدرون ما تيسرـ مـن الأوامـر اللازمـة، متـوكلين عـلى اللـه في ظـروف بالغـة المأسـوية. وتحطمت المؤسسات والإدارات وتحولت إلى بعض المسـؤولين عـن أمـور فرعيـة يتصرفـون بحسـب مقتضيات الضرورات الأمر الواقع. وتحول العمل لمجموعة من اليوميات بشكل إجبـاري عـلى كافـة الأصعدة.

7- مشكلة ضعف لأمن الداخلي في التيار الجهادي:

إن مبدأ العمل في تنظيمات سرية تأخذ شـكل عصـابات تعمـل بأسـلوب أمنـي. هـو مبـدأ و نموذج عمل وافـد عـلى المجتمعـات العربيـة والإسـلامية التـي عملـت بسـبب مكوناتهـا التاريخيـة والاجتماعية بطرق تقوم كلها على أسس معاكسة لمبدأ هذا الأسلوب الـذي اضـطررنا إليـه اضـطراراً نتيجة القمع. فالمجمعات العربية والإسلامية مجمعات مفتوحة. تعتمد التربية فيها على التماس مع الجمهور، و يعتمد الحشد فيها على الخطابة والجهر بالدعوة والتأثير في الناس . و تتناقل الأخبـار في مجتمعاتنا بنظام الإشاعة. وجـب إشـاعة الأخبـار مـوروث اجتماعـي قـديم ، والمواجهـات العلنيـة والمبارزات والمقابلات وعرض البطولات كذلك موروث تـاريخي وحضـاري . وهـدر الوقـت ، وحريـة الحركة ، وحضارة البداوة والعفوية ، ما تزال تطبع مجمعاتنا رغم التحولات الصناعية والمدنية.

فأسلوب التخفي والعصابات والسرية، وطريقة عمل المافيات ، والمواعيد الدقيقة والمقابلات القصيرة و الأوامر الصارمة الموجزة ، والتنفيذ الحرفي دون التوسع في الإجتهادات. وعقوبـة المخطـئ، بل وتصفية المفسد في نظام عمل العصابات... كلها أساليب لم تلق استجابة من قبل مجمعاتنـا . ولم تستطع التنظيمات أن تعد لأداء هذه الأساليب إلا كوادر محدودة جـداً ضـمن تنظيمهـا. وطبعـت الصفات الاجتماعية العامة و العلل الموروثة عمـل تلـك التنظـيمات وأدت إلى كـوارث نتيجـة عـدم الانسجام مع هذا الأسلوب.

وكان على رأس تلك الإشكالات انعدام الحسن الأمني . وعدم إمكانية ترقية العناصر والقواعد العاملة في معظمها إلى ضرورات هذا الأسلوب. وقد لاحظت أن معظـم المجاهـدين الأبطـال الـذين عرفـت الكثـيرين مـنهم ، ورأيـت أداءهـم الرائـع في المواجهـات الميدانيـة المفتوحـة والجبهـات في

أفغانستان . كانوا من أفشل العناصر أداءً عندما أوكل إليهم مهام سرية أو اضطروا للحركة الأمنية بعد خروجهم لعالم المطاردات.

فالإشاعة ورواية الأسرار، وكثرة الثرثرة ، وعدم دقة الحركة ، وعدم احترام أمن الاتصالات المختلفة ، من الحركة والهواتف والفاكسات ، والإنترنيت من بعد ، وسوى ذلك كانت أمراضاً عضالاً لم يمكن حلها و دمرت كثير من الخلايا على مر مختلف التجارب. حتى كدت أجزم بأن هذا الأسلوب لا يناسب قومنا ، وأن علينا أن نجد لهم أسلوباً يفجر طاقاتهم بحسب إمكاناتهم وطباعهم ولا يحتاج أساليب لم أر كثيرين استطاعوا أن يعملوا بها ويأخذوا بأسبابها.

(ثالثاً) - أخطاء في أسلوب العمل وإدارة المواجهة:

وسأعتمد في ذكر هذه الأخطاء على التعداد للاختصار ولوضوحها وعدم حاجتها للشرح والتفصيل والله تعالى أعلم فمن ذلك:

1- العجز عن إمكانية وضع استراتيجيات عمل نتيجة عدم توفر معطيات ذلك لأسباب إما خارجية وإما داخلية وتحول العمل لمجموعة من اليوميات والقرارات العشوائية أحياناً.

2- فتح معارك جانبية مع شرائح من مدارس الصحوة الإسلامية أوقع قطاعات مختلفة من الشعب ومكوناتها السياسية أو الاجتماعية دون ضرورة لذلك ، معارك جانبية من قبيل الإشكالات المذهبية والعقدية والسياسية وعدم التحكم في وحدة اتجاه المعركة تجاه العدو الأساسي المتمثل في الحكومات الطاغوتية والصائل الخارجي المتحالف معها .

3- التورط في أسلوب مواجهات طويلة المدى مع أجهزة الحكومات الأمنية تحول إلى حرب استنزاف القاتل والمقتول فيه، والمحق والمبطل ، والعدل والظالم ، هو من مخزون الأمة. ولم تعجز الحكومات عن الزج بأبناء الشعب من قوات الأمن والجيش ومعظمهم إما من الجهلة أو المكرهين ، في هذه المعركة اللامتناهية . فيما بقيت قوى ومصالح الصائل الخارجي سليمة لا يهم فيها أن تستهلك تلك المعارك أبنائنا السنين الطوال . فضار اللعب في ملاعب حددها العدو الأكبر وبطرق رسمها هو و حقق فيها أهدافه . واستنزف الجهاديون قواهم فيها دون جدوى.

4- الفشل في أكثر الأحيان في تحديد مفاتيح للصراع وشعارات للمواجهة ، يمكن حشد الناس عليها ضد الحكومات التي يواجهها الجهاديون. واقتصر الموضوع على تفاصيل الحاكمية وشعاراتها . وكانت معركة خسارة نتيجة صعوبة محتوى الطرح ، وتصدي علماء السلطان له، ونجاحهم في إسقاط أساسه الأساسي وهو إثبات كفر الحاكم ووجوب الخروج عليهم . حيث اثبتوا للشعوب إسلامهم ووجوب طاعتهم . وأننا مجموعة خوارج ، كلاب أهل النار، ومفسدون في الأرض، بغاة مجرمون. ولم يتمكن الجهاديون في الغالب من رفع ستارات تبرز مفاتيح صراع شعبية سهلة الفهم

تثير تأييد العامة. فقد كان هناك مواضيع هامة جداً من الممكن تعبئة الشعوب بها حول الجهاديين ، من قبيل مشاكل الجوع والظلم ، وهدر الكرامات واحتلال المقدسات ، والنهب الاستعماري ، والاحتلال السياسي والاقتصادي. إلى آخر ذلك من الشعارات التي أحسن الوطنيون والقوميون واليساريون وحتى بعض مدارس الصحوة السياسية استغلالها وتحولوا لتيارات شعبية. وكلها مسائل شرعية في أساسها ويمكن طرحها بأسلوب إسلامي وجهادي. ولكن الجهاديين وخاصة بعد تداخل المعطيات الفكرية للتيار المسمى (سلفي!) في منهجهم اختاروا الطرح الأحادي لمشاكل الحاكمية والولاء والبراء. وهي مواضيع كما أسلفت تحتاج لفهم النخبة ويصعب على العوام هضمها.

5- أسلوب خطاب أكثر الجهاديين لم يكن شعبياً . فقد كانت وسائل الاتصال محدودة ومتخلفة في الغالب نوعاً وكماً ، فقد اعتمد الجهاديون على المنشورات والبيانات وبعض الكاسيتات في حالات محدودة جداً . ولم يكن لكثير من الجماعات الجهادية رسالة إعلامية أصلاً. بل إن كثيراً من شعوب بعض الدول لم تكن تعرف عن الجهاديين فيها شيئاً ولا لما ذا يقاتلون ويستشهدون وما هي أهدافهم .

كما تميز خطاب أكثرهم وخاصة بعد التمازج مع الفكر السلفي غير الجهادي ، بالاستعلاء والقسوة وافتقاره للرقائق والمؤثرات العاطفية ، وما يثير الرحمة و الشفقة والتعاطف. واعتمدوا نبذ الناس م ومفارقتهم في كل شيء مما عزل الجهاديين وساعد الحملات الإعلامية على رسم صورة كاريكاتورية منفرة للشخصية الجهادية أكدتها ممارسات الكثيرين منهم عملياً..

رابعاً - أخطاء وإشكالات ومعوقات وأنواع خلل أخرى في أسلوب عمل التيار الجهادي:

وهذه أيضاً سأذكرها كرؤوس أقلام بإيجاز أيضاً وبسبب تنوعها سأذكرها متفرقة على غير ترتيب مقصود فمن ذلك:

1- افتقار التيار الجهادي لعلماء يقودون مسيرته فسيدون ثغرة التربية والفتوى و الكتابة والتوجيه . ويكونون رموزاً شعبية تحشد العامة. مما ساعد على ظهور ظاهرة المفتي الشاب مما اصطلحوا عليه بالإسم الفضفاض :(أخ عنده علم)! وهو مصطلح يصدق حتى على أي جاهل أو علم.. فما من مسلم إلا وعنده علم.

2- انخفاض مستوى العلم الشرعي عموماً في التيار الجهادي وعلى كافة المستويات . حتى ولدت تجمعات جهادية لتعمل في بعض البلدان في المراحل المتأخرة على أيدي كوادر شبابية تتصف بمستويات بالغة التواضع في هذا المجال الأساسي بالنسبة لتيار جهادي أصولي إسلامي.

3- انخفاض مستويات التربية العبا دية والسلوكية والأخلاقية في كثير من المتأخرين ممن لحقوا بالجهاد من الشباب . وبسبب انعدام وجود برامج للتربية ظهرت ظواهر مؤسفة في بعض

التجمعات الجهادية. وكان يمكن أن يلاحظ الفارق الهائل من عاش جيل الجهاد الأول وكتب الله أن يرى تلك النوعيات من متأخري الجهاديين.

4- تفشى الجهل عامة في مختلف مستويات المعرفة فضلاً عن الجهل البشري وانخفاض مستويات التربية السلوكية. فقد طبع كثير من اللاحقين بالتجمعات الجهادية، حالة من السطحية والجهل بالواقع السياسي والأمني والعلمي... ومعظم مناحي مستجدات الواقع ، بل إن المستويات المتواضعة أو حتى السيئة التي ميزت العديد من عوام من لحق بالجهاد من الشباب.. تجاوزت لتكون حالة بعض من تصدى للقيادة والإدارة في بعض التجمعات الجهادية الناشئة أواخر القرن العشرين.!

5- اقتصار مناهج التربية والإعداد في الجبهات والميادين المفتوحة مثل أفغانستان في المرحلتين على برامج التدريب العسكري شبه المحض. حيث غابت برامج الإعداد العلمي الشرعي والتوجيه السياسي والتأهيل الفكري والتربية السلوكية عن تلك المناهج . رغم توفر الظروف من الملاذ والأمان والإمكانيات المادية. فقد اعتمد الغالبية (التربية الإنكشارية) وثقافة المدافع على الطريقة العثمانية. وساهمت تلك الطريقة ومن أشرف عليها بزراعة الجهل و تخريج عينات لا تنتمي إلى التيار الجهادي الذي عرفناه قبل عقدين من الزمن ، إلا بالعاطفة والحماس والإخلاص الذي تذهب تلك العلل بمعظم نتائج فضائله هذه.

6- بروز ظاهرة التنطع والتشدد في المراحل الأخيرة من التيار الجهادي ، بعد منتصف التسعينات ، فقد أدت الظروف العامة ، من المطاردات والقهر والكبت والظلم.. وعلل الصحوة الإسلامية وبلاء علماء السلطان ، وطغيان الحكومات ، وغزوات الأعداء الخارجين ، وما يجري في الأمة من نكبات . مع إعراض أكثرها عن دينهم . أدى إلى ردود أفعال طبعت الكثيرين من قواعد الجهاديين بالعصابية ، وحب التشدد والتنطع ، والتعبير عن التدين بالتشدد ، وعن الالتزام بالعنف والتطرف في أبسط الأحكام والمسائل. وكنت أرى مع بعض قدماء الجهاديين بعد أن كتب الله لنا أن نرى بعض هذه النماذج المتأخرة ، أن الفجوة بين هذه النماذج ومجمعاتها التي انسلخت عنها أصبحت من الهوة بحيث لا يصلحون إلا لمحاربتها . ولا يمكن لهم أن يلتقوا مع مكونات السواد الأعظم من شعوب بلادنا على شيء من القواسم المشتركة .

7- تفشى روح الإمعة وانخفاض مستويات الإبداع. وظهور ظاهرة الإدارة النخبوية النشطة في كل تجمع وتحول الباقين لأتباع تفصلهم فجوة كبيرة من حيث الإمكانيات والتأهيل عن النخبة المحدودة بالدائرة الأولى في بعض التجمعات الجهادية.

8- تدني روح الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، و قلة ظاهرة النقد الذاتي الهادف ، وتدني القدرة على إصلاح الخلل داخل التجمعات الجهادية إلا في دائرة محدودة جداً. وانعدام تحقق

الشورى في الأوساط العامة، وانحصارها بالنخبة في معظم التجمعات ، على عكس ما كانت عليـه في السنة النبوية ومنهج السلف الصالح.

9- تفشي ظاهرة (المجاهد على كيفه) في المتأخرين من الجهاديين. وهذا من آثـار مـنهج (هـم رجال ونحن رجال). خاصة في أفغانستان في شـوطيها.. لا مـذهب.. لا جماعـة.. لا أمـير، لا مـنهج ،لا ضوابط ، حر مطلقاً ،لا منتمي ، متمرد لا يمكن ضبطه ، ولا مرجع لديه .

10- تفشى ظـاهرة جهـاديين لم يجاهـدوا !! ومـع ذلـك تصـدروا كرمـوز ومـوجهين ومفتـين للجهاديين..! وظهور ذلك في أوساط اتباع وأنصار للتيـار الجهـادي متعصـبين جـداً لمنهجـه ورمـوزه بالكلام ، ولكن لا يجاهدون بالفعل ، وخاصة في أوساط الصحوة في بلاد الغرب ، وأوساط أخرى.

11- تفشي ظاهرة من أرادوا الإعداد ولم يريدوا الخروج ! على عكـس مـن لـو أرادوا الخـروج لأعدوا له.. ولكن هؤلاء أعدوا ولم يخرجوا.! آلاف المتدربين بلا فائدة ،لا يمكن معرفة مصيرهم بعـد أن تلقوا ارفع التدريب . وسبب ذلك أنهم تدربوا ولم يربيهم من دربهم ولم يـزرع فـيهم أي عقيـدة قتالية .

12- العمل لحساب الآخرين في قضايا تقاطع المصالح الدولية والإقليمية وعدم قدرة القيـادات المرحلية على صناعة مشروع ذاتي. كما حصل في تجربة أفغانستان الأولى. وتجربة البوسنة.

13- نسيان الأسرى : وهذه من كوارث التيار الجهادي . فقد تـراكم الأسرى بـالآلاف في سـجون الطواغيت . وفيهم العلماء والدعاة وكبار الإسلاميين وقادة المجاهدين وخـيرة كـوادرهم . ثـم تـراكم مئات الأسرى في سجون أمريكا والدول الغربية كذلك ..ولم يبـد التيـار الجهـادي أي حـراك في اتجـاه القيام بعمليات تهدف إلى سراحهم !! وكأنهم نسيا منسيا .

14- فقـدان القـدرة عـلى (الـردع).ردع مختلـف صـنوف الأعـداء حتـى آل أمرنـا لأن نكـون مرهوبين رغم أنهم يسموننا إرهابيين!

وهكذا ..

طويت مرحلة تاريخية هامة من مراحل أهم مدارس الصحوة الإسلامية وأكثرها أثرا في واقع المسلمين . وهي مدرسة التيار الجهادي ، التي استغرقت تجاربها و عطاءاتها زهاء أربعة عقود من الزمن . وقد حاولت في هذين الفصلين السادس والسابع . أن أسجل خلاصة مسارها وخصائصها ، ودروس تجاربها . وعرضت لخلاصة حصادها الإيجابي وإنجازاتها العظيمة . وكذلك عرضت للأسباب الداخلية والخارجية التي أدت لفشل تلك المحاولات في الوصول لأهدافها في النهاية بقدر الله .

وباختتام هذا الفصل ينتهي الجزء الأول من هذا الكتاب الذي تعرض لجذور ما نعيشه من أحاث ، وخلاصة تاريخ ما مر بهذه الأمة من تجارب الصراع مع الروم ، بلاء هذه الأمة ومحنتها الأزلية .

وخلاصة مسار صحوتها الإسلامية و الجهادية وما حفلت به من تجارب وعبر . تجب معرفتها واستلهام دروسها ونحن نستفتح القرن الحادي والعشرين ، ونلج عالم ما بعد سبتمبر.. عالم الحملات الصليبية الصهيونية الكبرى على عالمنا الإسلامي الكبير..

هذا القرن الذي يريدونه أمريكيا صهيونيا ..حيث تداعت علينا الأمم تداعي الأكلة إلى قصعتها ، تماما كما أخبرنا الصادق المصدوق ..

هذا القرن الذي علينا أن نفتتحه بإطلاق المقاومة الإسلامية العالمية لهذا الصائل على الدين والمقدسات والأنفس والأعراض والأموال..وكل مقومات وجودنا كأمة مسلمة.

هذه المقاومة التي لا تنطلق على هدى وبصيرة ، بغير معرفة جذور هذا الصراع وتاريخه وتجاربه وهي ما كتبت الفصول الماضية لسد بعض ثغرته ..

هذه المقاومة التي يجب أن تنطلق على أسس من الهدى والبصيرة والأسس المتكاملة ، التي تبني على ما مضى من عبر ودروس . وتنطلق وفق ما يناسب المرحلة من منهج وأساليب . في ضوء ثوابت هذا الدين والعقيدة الجهادية القتالية لهذه الأمة . وأسس منهج حركي منضبط يناسب ما استجد بنا من نوازل وظروف. وهو ما سأحاول أن أضع على طريقه بعض المعالم في الجزء الثاني من هذا الكتاب والله الموفق وهو الهدي إلى سواء السبيل.

تم بحمد الله

الجزء الأول

(الجذور – التاريخ – التجارب)

ويليه

الجزء الثاني:

(الدعوة - المنهج – الطريقة)

من كتاب

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية

الجزء الثاني:

(الدعوة والمنهج و الطريقة)

بسم الله الرحمن الرحيم

المقاومة الإسلامية العالمية

(الجزء الثاني)

(الدعوة - المنهج - الطريقة)

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ
أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84)

﴿ مقدمة الجزء الثاني ﴾

الحمد لله أهل الحمد والثناء. الحمد لله المحمود في الأرض والسماء. الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عنده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده. الحمد لله الذي أمر رسول صلى الله عليه وسلم أمراً يعم كل مؤمن من أمته صلى الله عليه وسلم . فقال عز من قائل :

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84)

والصلاة والسلام على حبيبه وخيرته من خلقه. نبينا وسيدنا وقائدنا وحبيبنا الضحوك القتال نبي المرحمة ونبي الملحمة. القائل صلوات الله وسلامه عليه " **بعثت بين يدي الساعة بالسيف حتى يعبد الله وحده. وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار و الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم** " صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم.وبعد:

فقبل أن ألج إلى هذا الجزء الهام الذي لم يكن الجزء الأول على طوله و بكل ما فيه ، إلا مقدمات ومتكآت شرعية وتاريخية وسياسية وفكرية و منهجية لما سيحتويه هذا الفصل إن شاء الله.

و قبل ذلك أحب أن أقدم لأبواب هذا الفصل بجملة من النقاط توطئ له وتساعد على مزيد من فهمه إن شاء الله.

أولاً: الثابت والمتحول في الفكر الجهادي ونظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

ذكر المباركفوري في كتابه القيم (الرحيق المختوم) الذي اختصر فيه سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خلاصة ذلك الخبر فقال :

" وتحرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ليسبق المشركين إلى ماء بدر. ويحول بينهم وبين الاستيلاء عليه. فنزل عشاءً أدنى ماء من مياه بدر. وهنا قام الحباب بن المنذر (رضي الله عنه) كخبير عسكري وقال: (يا رسول الله! أرأيت هذا المنزل، أمنزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه؟ أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ قال: بل هو الرأي والحرب والمكيدة . قال: يا رسول الله! فإن هذا ليس بمنزل، فانهض بالناس حتى نأتي أدنى ماء القوم – قريش – فننزله ونغور – أي نخرب – ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضاً فنملأه ماء . ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**لقد أشرت بالرأي**).

وقد حوى هذا الأثر العظيم حكماً عظيمة يعلمنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فوائد عظيمة ومن ذلك..

1. أدب المسلم مع دين الله فما كان وحياً فلا نتقدم ولا نتأخر .

2. ضرورة الاجتهاد فيما كان من مسائل (الرأي والحرب والمكيدة) .

3. أدب الجندي مع قائده في العرض .

4. أدب القائد مع أعوانه عندما تعرض عليه الاجتهادات والإبداعات .

5. وجوب عرض الآراء دون وجل مهما علت منزلة وعلم القائد، وأمامنا مثال عرض فيه الرأي على المعلم الأكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

6.الوضوح والجزم في عرض الرأي بعد أن تأكد أنه من مجالات الاجتهاد : (ليس هذا بمنزل).

7. أخذ القيادة بما تبين صوابه ، وعدم التجاوز على حق ظهر ، بصرف النظر عن صغر قيمة قائلة.

ونذكر منها إشارة تهمنا في هذه المقدمة إلى أنه وضع قاعدة ذهبية للثابت والمتحول التي يجب أن يقوم عليه الفكر الجهادي الحركي ،وفقه العمل والحركة في الصحوة الإسلامية كلها. بل أعتقد بأنه على أساس هذه القاعدة مدار كافة وجوه نشاط وحركة المسلم في حياته كلها .

وهذه الإشارة تقسم القواعد والقوانين محط التفكير والعمل إلى قسمين:

- **ثابت** من أساسيات الدين والمعتقد وقواعد المنهج الراسخة . وهذه فرضية التعامل معها على أساس : " منزل أنزلكه الله تعالى، ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه ".

- **متحول** بحسب الأحوال والوقائع ، وهو ميدان تسابق العقول و الأفهام و الخبرات والتجارب، ومجال الإبداع فيها ، وهو :ما كان من قضايا (الرأي والحرب والمكيدة) .

الحكمة الثانية الهامة من فقه هذا الأثر العظيم هي تعليم القائد والمقود و كل من جاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. كيف يكون التعامل مع مسائل الثابت والمتحول من قضايا الاعتقاد والعمل والتطبيق فعلى كل إنسان أن ُيعمل هذا العقل الذي أنعم الله به عليه وجعله مناط التكليف في كل أمر يستقبله ، وأن يسأل ويتبين إن لم يكن يعلم . يسأل أهل الذكر عما يعترضه من مسائل هل هو من ثوابت الاعتقاد والأحكام الشرعية الثابتة ؟ فيكون حاله معه التسليم والانقياد (فلا يتقدم ولا يتأخر). أم أنه من مسائل الاجتهاد في الرأي والحرب والمكيدة وما شابها من وجوه النشاط الإنساني ؟ . فإن تبين له أنها من هذه ، فليقدم رأيه وخبرته واجتهاده بكل رجولة وأدب ومسؤولية. كما فعل ذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه. وعلى كل قائد ابتلاه الله بحسم القرار.. أن يفسح المجال ويستمع . ويشجع المقود على تحمل مسؤولية التفكير والاقتراح والإبداع . كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو المستغني بالوحي دون من بعده عن كل

ذلك. بل ويتعدى ذلك للنزول على رأي المجتهد الخبير، إن أصاب . وأن يقول إزاء ذلك ما قاله صلى الله عليه وسلم : (لقد أشرت بالرأي) . بل وينقاد لذلك الرأي

وهما مدرستان في القيادة ! مدرسة تقبل المقترحات في ميدان الرأي والحرب والمكيدة.. وتشجيع المبدعين على الشورى ؛ (**لقد أشرت بالرأي**).

ومدرسة الفرعون التي أخبر عنها تبارك وتعالى:﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ) (غافر:29)، وكان كل مستنده في ذلك أنه: ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾ (الزخرف51)

مما أوصله للزعم الفاجر عندما نفخه الشيطان: ﴿ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى ﴾ (النازعات:24) .

وليس هنا مجال الاستفاضة بما تجيش به النفس ويستطرد القلم في كنوز تلك النصوص الإلهية العظيمة . والآثار النبوية الكريمة . وفيما مر من الإشارة كفاية لما نحن بصدده.

وما أقدمه فيما سيتلو من نظريات أضعها كخطوة ، ضمن خطوات أولى يجب أن تحصل اليوم ، قبل فوات الأوان في التيار الجهادي ، و ميدان الفكر العملي في الصحوة الإسلامية المجيدة.. كي نفتح باب التصحيح والتطوير من خلال قرارنا الاستراتيجي العقدي بالثبات.. الثبات على درب الجهاد..

ما أقدمه هو في معظمه أفكار من نوع قضايا (الرأي والحرب والمكيدة) . ولاسيما ما يختص منها بقطاع العمل التطبيقي للجهاد في عالم ما بعد سبتمبر كما أتصورها.

وهناك جانب منها هو من قطاع الثابت بمقتضى اعتقادنا بأساسيات ديننا الحنيف ومعتقداتنا الدينية وأحكامها الشرعية الثابتة . وهي ثوابت منهجية لدينا توارثناها في هذه الصحوة الإسلامية المباركة ، وفي التيار الجهادي المجيد ، عبر عقود متتالية ، عن الثقاة الأثبات من قادتنا وعلمائنا ومشايخنا المجاهدين العاملين . ومعظم هذه الثوابت التي أنقلها ، مبثوثة في هذا الكتاب في الأبواب التي عنت بالفكر والمنهج والعقيدة القتالية، و الأساسيات الثابتة في السياسة الشرعية عند ما نتطرق للنظرية السياسية للمقاومة . بالإضافة للمناحي التربوية الدينية أيضاً.

ويستطيع القارئ تميز ذلك بسهولة . وسأشير إليها في مكانها لتميز ما هو معتقد دين ثابت . أو حكم شرعي موقفنا معه أن لا نتقدم عنه ولا نتأخر وإنما ؛ **سمعنا وأطعنا..**

كما أن هناك اختيارات فقهية أخذنا بها ، وهذه خاضعة للقاعدة الذهبية التي لخصها الإمام الفقيه الجليل الإمام مالك رحمة الله في الأثر العظيم عند ما قال : (**كل إنسان يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب القبر الشريف صلى الله عليه وسلم**) فهي نظريات مطروحة للحوار والنقاش

والتجربة والتطبيق ، من أجل إطلاق دعـوة وطريقـة عمـل ومقاومـة أرى سـاحة العمـل الإسـلامي والصحوة المباركة بأمس الحاجة لمثلها.

وقد أسميتها (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**).. ووضعت لإطلاقها أسسا في مختلف منـاحي ومقومات الحركة ، عبر نظرياتها الثمانية التي تكون الفصل الثـامن ،والـذي يشـغل معظـم مسـاحة الجزء الثاني من هذا الكتاب ، وهو لبه والغاية منه .

أقدم هذه النظريات بعد أن وصلت بحسب ما اعتقد اليوم إلى مستوى كاف في نضجها ، وأقنعتني تداعيات عالم ما بعد سبتمبر، ووقائع سير الحملات الصليبية اليهودية الأمريكية الغربيـة الجديـدة ، وأهدافها الشاملة لكل الصعد والمجالات الحضارية.. أقنعتني و زادتني إيماناً بصواب معظم ما كنت قد ذهبت إليه في تطوير هذه النظريات عبر أربعة عشر عاماً . منذ 1990 وإلى اليوم .

وأرجوا من الله الهدى للحق. وأن يلهمني الإخلاص ، ويهديني للصواب ، ويمن علي بالقبول . فما كان من توفيق للصواب فهو من الله تعالى . وما كان من زلل فهو من نفسي القاصرة ، ومن الشيطان . والقصور طابع عمل ابن آدم . واستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

ثانياً: نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية، نظريات عملية :

في كتابي (الثورة الإسلامية الجهادية في سوريا) الذي كان باكورة إنتاجي سنة 1987 ، ذكرت في الفصل الثالث من الجزء الأول بعض التعريـف المهـم لما اصـطلحت عليـه بـــ (**النظريـة العمليـة**).. وكنت أتمنى لو كان الكتاب بمتناولي ، لأنقل منه تلك الفقرة هنا.

فقد كتبت فيه ما فحواه ؛ أن هناك فرقـا جوهريـا بـين (النظريـات النظريـة) ، و(النظريـات العملية) . فالنظريات النظرية ؛ هي تصورات فكرية يضعها أصـحابها مـن خـلال بنـات أفكـارهم و سبحاتهم الفكرية والفلسفية ، ليثبت الواقع بعد ذلك خطأهـا مـن صـوابها. وكثـيراً مـا تتسـم تلـك النظريات ببعدها عن الواقع ، وبقائهـا متصـفة بصـفات الأبـراج العاجيـة حيـث يجلـس أصـحابها. ولاسيما عند ما يتناولون في نظرياتهم ، مجالات بعيدة عـن مجـالات تجـاربهم العمليـة، وخـبراتهم الواقعية.

أما النظريات العملية. فهي نظريات عمل تولد في مجال الحركة والتطبيق من قبـل أصـحابها ،الذين يولدونها من خلال المسـار العمـلي . ومـن أجـل تصـحيحه والسـير بـه نحـو الأفضـل وصـولاً لتحقيق الأهداف. وفي مجال الجهاد والمعركة.

و يمكن تعريف النظريات العملية بأنها : نظريات تولد في ميدان المعركة والمواجهة . يصوغها المفكرون المجاهدون المتحركون في أرض الواقع . والعلـماء العـاملون في ميـدان المعركـة . وتسـطرها الأقلام المجاهدة الميدانية . ولا تنزل عليهم من فوق ، من قيادات قاعدة ، ولا من علماء قد يبّسـت

مفاصلهم المكيفات ، في جلسات الترف الفكري على الطاولات الفارهة ، بعد عشاء دسم قد حفل بالملذات.

لأن المخلص من أولئك الكتاب - إن وجد فهم مخلصون – يمكنهم أن يكتبوا في فقه الجهاد وأحكامه . ليعيدوا تلصيق النصوص القديمة ، ويعيدوا كتابتها ، ويمهروها بأسمائهم المسبوقة بألقاب الشيخ والأستاذ والدكتور والمفكر.. ثم يسّوقوها في طبقات أنيقة ، على ورق ثمين . ليقرأها جمهور لا يقل عنهم ترفاً . وقد يستفيد مما فيها من حكمة مؤمنون تحركوا بها وبغيرها من آفاق الحكمة في ميادين القتال.

إن نظريات الجهاد العملية ، يولدها أصحابها في ميدان الجهاد والمواجهة وساحات المعركة. تأتي وتولد بعد هضم تجارب الماضي ، واستعراض الأثمان الباهظة لسلسلة تجارب الفشل سعياً إلى التصحيح والتطوير، من خلال استراتيجية الثبات واختيارها كما أسلفت . فالعالمون في الناس قليل. والعاملون فيهم أقل . و العالمون العاملون منهم أنذر من الحجار الكريمة في هذه السلاسل المترامية الأطراف من ركام الحجارة والتراب. والمخلصون في هؤلاء.. ثلة من الأولين وقليل من الآخرين .نسأل الله بجميل كرمه أن يجعلنا منهم.

إإن النظريات العملية مهمة من حملوا على عانقتهم أمانة السيف والقلم . ووفقهم الله لفهم حكمة التجارب والدروس.

و قلت في ذلك الكتاب قبل سبعة عشر عاماً إن لم تنحني الذاكرة ما فحواه :

إن الانتصارات في تجارب المواجهات قليلة ، إذا ما قيست بالتجارب الفاشلة. ولكن دروس الفشل أكثر إغناء من دروس الانتصارات . و أفدح منها ثمناً. وهي بفوائدها تسير بالعامل نحو النصر والنجاح.

إن دروس الفشل مزدوجة الفائدة ، لأنها تعلمنا العبرة من التجربة . وتوجد لنا المجرب. فإذا ما قدر للمجربين الثبات ، فإنهم يتأهلون بموجب تلك الدروس الإنتصارت كبرى بإذن الله.

وفي هذا السياق أقول..

إن نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية التي أضمنها هذا الكتاب ، هي وليدة أمرين اثنين بعد توفيق الله تعالى..

أولوهما : التجربة الميدانية المباشرة على مر نحو ربع قرن من مواكبه تجارب الصحوة الإسلامية تماساً وإطلاعا . ومن العمل الميداني وسط التيار الجهادي منخرطاً في العديد ، منها ، ومحتكاً مع الكثير من روادها وقادتها وعناصرها..

و ثانيهما : توليدها من خلال دراسة فاحصة ، ومراجعة متأنية لتجارب الصحوة الإسلامية الماضية عامة ، والمحاولات الجهادية خاصة . مطلعاً على أدبياتها وتاريخها ومنشوراتها . وروايات

أصحابها مباشرة، حيث لم تتوفر كتابة. ثم اعتماد مبدأ التصحيح والتطوير لتلك التجارب ، بعد تبني خيار الثبات . كمرتكز شرعي ديني وعقدي ، وأساس استراتيجي حركي..

وبهذا تأتي هذه النظريات في التيار الجهادي والصحوة الإسلامية بصفتها نظريات عملية.

لقد أخذت هذه النظريات - بعون الله - آلاف الساعات ، من المطالعة والتأمل والتفكير والمقارنة ، ومتابعة دقيقة ويومية لمختلف وسائل الإعلام للوقوف على مستجدات واقع المسلمين ومخططات أعدائهم . ومثل ذلك الجهد والوقت من الحوار والمدارسة والنقاش ، مع مختلف المستويات في وسط التيار الجهادي ، وغيرهم من رجال الصحوة . ولاسيما في قطاع المفكرين والدعاة والقادة المجاهدين أصحاب التجارب.

وقد يسر الله بعد تلك الساعات الكثيرة من الدراسة والمحاورة ، ولادة كثير من الأفكار الإشراقات ، التي ربما التقطت بعضها من أفواه بعض أفراد المجاهدين العاديين البسطاء من روايتهم وآرائهم عن تجاربهم. أو من قيادات مجربة عاملة ، من غير المهتمين بالتأليف أو القادرين على الكتابة. فصغتها بأسلوبي ووضعتها في سياقها. وجمعتها كما يفعل الصائغ بحبات الجوهر الثمين .

وربما سبب لي حوار مع البعض ، أن تنقدح في ذهني تداعيات فكرة ُطرحت لتتطور عندي وتتداعى تبعاتها الفكرية لتأخذ مكانها في السياق. ويعود كثير من الفضل فيما يبدو إبداعياً ومبتكرا في هذه النظريات ، لعشرات من حاورتهم من الرجال والدعاة والمجاهدين العاملين . وبذلك أستطيع الادعاء بأنها نظريات عملية . وإثبات ذلك. ومن هنا اعتقد أن هذه النظريات تأخذ قيمتها. ولهذا أذكر هذه المراحل في توليدها ، وأسال الله الإخلاص .

ثالثاً: آلية توليد النظريات من خلال منهج الثبات والتصحيح والتطوير:

لقد تكلمت على هذا المنهج في آخر الفصل السادس ومطلع السابع من الجزء الأول ، ما فيه الكفاية عن استراتيجية وخيار الثبات. وعن أهمية التصحيح . واستناده لمبدأ عرض العلة بلا حرج ودراستها. وعن مبدأ استعراض أساليب العمل وتناولها بعيداً عن التقديس لأنها آلة ووسيلة . وتطويرها أو إلغاؤها ، أو استحداث ما يناسب الوقت مما لم يسبق تجربته كأسلوب.

وقد أدى بي ذلك إلى استعراض حصاد تجارب التيار الجهادي بكل انفتاح وحرية ، وبفقه منهج نقد ذاتي يهدف إلى أهداف سامية . وهل هناك أسمى من الجد في البحث عن سبيل للجهاد نرجو أن يحقق النصر وينهض بهذه الأمة من ضحضاح الهزيمة؟.

وقد تناولت مناحي ذلك الحصاد في الفصل السابع ، بعد أن مر مختصر تاريخ التجارب في الفصل السادس . وهو من أطول فصول الكتاب . ولكني هنا أشير إلى آلية توليد النظريات بعد إجراء عملية استعراض علل وأخطاء تلك التجارب والأساليب ، التي لم يكن غالبها خطأً وإنما كانت

أساليبا استهلكت وتجاوزها الزمن . بمعنى أنها لم تكـن خطـأً ولم تعـد صـواباً. ولقـد كـان مـن أهـم الفقرات إفادة للبحث عن نظريات الصواب المفـترض . فقـرة البحـث في الأسـباب الداخليـة الذاتيـة لفشل مشاريع الجهاديين ، وأخطاء المنهج والبنية والمسـار، وأخطـاء طريقـة الأداء التـي عرضـتها في الفصل السابع .

وبعد ذلك قمت بعملية البحث عن الصواب أو عن المناسب المقابل لما اعتقدت أنه خطأ . أو أنه لم يعد مناسباً.

و كما كان مجموع الأخطاء يساوي فشلاً في المحصلة . أو يشكل أهم أسباب الفشـل. شـكلت مجموعة فرضيات الصواب (**نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**).. بهذا الشكل الذي يوضحه هذا الجدول التمثيلي.

خطأ مفترض..	صواب مفترض	النظرية الجديدة
أخطاء منهجية	**تصورات منهجية صحيحة**	**نظرية الفكر والمنهج في دعوة المقاومة**
أخطاء تربوية	**تصورات منهجية صحيحة**	**نظرية التربية في دعوة المقاومة**
أخطاء سياسية تطبيقه	**تصورات سياسية صحيحة**	**نظرية السياسية في دعوة المقاومة**
أخطاء في الأساليب العسكرية أوأساليب استهلكت	**تصورات عسكرية مناسبة**	**النظرية العسكرية لدعوة المقاومة**

وهكذا.. في باقي مجالات نظريات الدعوة ، التي سعيت أن تكون شامة ومتكاملـة. بـدءاً مـن الأساسيات العقدية والفكريـة والسياسـية ، ومـروراً بـالمنهج التربـوي المناسـب ، وانتهـاءً بالأسـاليب التطبيقية للعمل العسكري. وما يلزمه من الإعداد والتدريب والتنظيم والتمويل . من دون أن ننسى الأساليب المناسبة للدعوة والإعلام والتحريض.

رابعاً: اعتماد منهج حشد الأمة من أجل المقاومة دون المساس بثوابت المنهج:

لا يمكن إثبات صحة نظرية ما ، إلا بإثبات خطـأ مـا يناقضـها في مجالهـا. وهـو مـا أسـميته في بعض محاضراتي القديمة بـ (**مبدأ الهدم والبناء**) . وهو مبدأ معتمد في الدعوات كلها.

فأساس دعوة الإسلام يقوم على ذلك:

(فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِـالْعُرْوَةِ الْـوُثْقَى) (البقـرة: 256) . فـلا يمكن أن يبني الإيمان بالله ، إلا على هدم الإيمان بالطاغوت والكفر به. وينسحب هذا المبدأ على مـا

هو أقل مستوى في التناقض . من مجـالات الحـق والباطـل . إلى مجـالات الخطـأ والصـواب . وهــي افتراضات اجتهادية في مجالات العمل والحركة خاصة.

فلا يمكن إثبات أن الجهاد هو الحل للخروج من أزماتنا . إلا بإثبـات أن البرلمـان لـيس الحـل. وقل مثل ذلك عن الأساليب المتعددة المطروحة في سوق الصحوة الإسلامية .

وعند ما يتعلـق الأمـر باسـتعراض التجـارب وتقييمهـا تشـتد حساسـية المسـألة . فالتجـارب دعوات . والدعوات أفكار ومناهج . ونقدها يثير حساسية أصحابها . وأكثر من هذا حساسـية ، أن الدعوات أشخاص ورموز، وأعمال عاملين . وانتقادها يثير حساسية أكبر . بل يثير الشعور بالعدوان ، ويستفز للرد.

وهنا لا بد من العودة إلى أصول الخلاف وأدب الخلاف وفق قواعد الإسلام . فنظريات (**دعوة المقاومة الإسلامية العالمية**) تقف مع مختلف شرائح مكونات خط الحرب المفترض حشـده في هـذه الأمة في مواجهة أعدائها أمام مستويين من التعارض : **مستوى إختلاف** ، و **مستوى خلاف** .

ففي التعرض لما يمس ثوابتنا العقدية والمنهجية الفكرية فنحن ومن يرى غير ذلـك بمـن فـيهم بعض مكونات وحركات الصحوة الإسلامية ومناهجهـا ومدارسـها وإعلامهـا في مجـال خـلاف. خـلاف تضاد . فالفارق مثلا بيننا وبين الإسلاميين (البرلمانيين والديمقراطيين) هو مجال خـلاف تضـاد ولـيس اختلاف تنوع مقبول .

وأظن أن هذا المثال الصارخ الإشكالية يوضح نظائره من المشاكل المنهجية .

وأما ما يمس أساليب العمل ، وآليات المواجهة ، ضمن التيار الجهادي ومدارس العمل الإسلامي ، فنحن في مجالات اختلاف تنوع ممكن ، وربما مفيد . فهو اختلاف في وسائل العلاج .

وهنا ربما تكون الحساسية أقل . أو هذا ما يجب على الأقل.

وقد حرصت رغم الطبيعة الثورية لمثل هذه الأفكار المطروحة في هذا الكتاب . أن ألطّف مـن كافة تبعات هذا الخلاف والاختلاف. لكوننا في حالة مواجهة صائل ليس أوجب بعد توحيد الله مـن دفعه . ويجب رص الصف وتأليف القلوب . رغم صعوبة المسـألة . فـالنفوس جبلـت عـلى تقـديس الأفكار والأشخاص . وهي اكبر المعضلات التي قامت في طريق الأنبياء فمـن بعـدهم ، مـن أتبـاعهم وورثة دعواتهم .

ولكني جهدت وسأجهد في أن لا تؤثر جدية الطـرح ، وعمـق انقلابيتـه وأبعـاده التجديديـة ، على ما أقصده من الحشد للمقاومة .فإني هنا بصدد إنشـاء نظريـات دعـوة . ولـيس إرسـاء قواعـد تنظيم أو تجمع حركي ينافس الآخرين في ميدان العمل . ويصارعهم على تجاذب مقومـات العمـل ، البشرية والمادية . كما حصل و يحصل وللأسف في ميدان الصحوة الإسلامية والتيار الجهادي..

بل لقد ذهبت في هذا الطرح لما هو أبعد من ذلك في رص الصفوف ومحاولة جمع الأمة . وذلك أن مجالات الخلاف والاختلاف ، تصبح مجالات تناقض وعداء ، عندما نخرج من دائرة الصحوة الإسلامية ، إلى مختلف الشرائح والمكونات الفكرية والثقافية والسياسية للأمة الإسلامية ، بمجموعها البشري ، و تركيبها الثقافي والحضاري المعقد. من مثل التيارات ذات الأفكار المستوردة مثل التيارات القومية ، والوطنية العلمانية ، وغيرها التي تشتمل - للإنصاف - رغم تناقضنا مع أفكارها ، وعدائنا لما تحتويه من الإنحراف والضلال .. فإنها تشتمل على قطاع عريض من الشرفاء الذين يريدون بإخلاص الاشتراك في المقاومة لذات أعدائنا. ويقصدون - من حيث لم يوفقوا للصواب - إلى خلاص هذه الأمة ، ويرجون انتصارها ورفعتها.. وقد شاركونا كإسلاميين الكثير من ضرائب العناء مع الأنظمة الطاغية ومن وراءها من القوى الاستعمارية .

فحتى هذا القطاع ، حرصت في نظريات المقاومة ، دون أن أجاوز ما يسمح به المعتقد وثوابت الدين المقدسة ، أن أتألف تلك القلوب ما أمكن . وأن أدخل من بوابات مجالات الإتفاق معها ، معتمداً على ما لديهم من النخوة والشرف والحمية ، والعاطفة الإسلامية عند من تتوفر عندهم . وصولاً إلى كسبهم إلى أن يكونوا على يمين خط حرب المقاومة لأمريكا وإسرائيل وحلفائها من المرتدين والمنافقين . إن لم يكن حلفاً على نصرة الحق ، فحياداً تجاهنا على الأقل.

وهذا من أهم واجبات من يتصدرون لعملية الحشد. حشد الأمة على المقاومة.. وهذا ما سعيت إليه كواحد ممن يرجون الوقوف في هذا الصف.

وأرجوا أن تتسع الصدور جميعها ، وهي تستعرض ما لم أستطع أن أتجاوزه من نقد بعض الأمور . أو ما لم يحالفني الأسلوب المناسب في تناولها . وخاصة من قبل إخوة العقيدة والسلاح من الجهاديين. أو أخوة طريق الصحوة وخدمة الإسلام من الإسلاميين . أو من يجمعنا بهم الهدف النبيل والشرف والنخوة للسعي نحو تحقيقه.

خامساً : خصائص و ملامح في نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

(1) - **تعتمد الدعوة منهج التجديد في أساليب العمل الجهادي و الفكر الحركي للصحوة الإسلامية**

ومرد ذلك إلى التغيرات الجذرية لظروفنا المحيطة ، منذ قيام النظام العالمي الجديد ، وانطلاق الحملات الصليبية الصهيونية واعتمادها على تحالف أنظمة الردة وقوى النفاق في بلادنا معها . ولاسيما بعد ما عرف بعالم ما بعد الحادي عشر من سبتمبر. ثم تكشف برامج الحملات الصهيونية الصليبية الأمريكية على عالمنا الإسلامي . ومشاريعها الحضارية الشاملة لعالمنا الذي أسمته (الشرق الأوسط الكبير) . وهجمت عليه عسكرياً وسياسياً وثقافياً وعلى كل صعيد. فجذرية التجديد اقتضتها جذرية التحولات الناشئة عن الحملات و تركيبة الصف المعادي.

(2) - **<u>السمة الأساسية للدعوة - رغم شمولية المنهج- أنها دعوة مقاومة جهادية للعدو الخارجي أساساً.</u>**

فقد قامت معظم مدارس الصحوة الإسلامية ، ولاسيما السياسية منها ، وخاصة الجهادية من أجل الإطاحة سياسياً أو جهادياً بأنظمة الحكم ، القائمة على غير شرع الله. ومن أجل إقامة الحكم الإسلامي على أنقاضها . وكان هذا هو هدف الصحوة بكل مدارسها . وبسبب هذه الهدف تحددت خصائص المناهج ، وأساليب الحركة ، وكانت كما كانت .

ولكن الهدف الذي تقوم من أجله دعوة المقاومة مختلف الآن . وهو تحديدا دفع صائل العدو الخارجي . وإن كان نجاحنا في تحقيق هذا الهدف ، سيؤدي تلقائياً لنفس الهدف الشامل للصحوة الإسلامية و الجهادية . وهو إقامة دولة الإسلام و تحكيم شريعة الله. ولكن الهدف الاستراتيجي المرحلي الذي فرضه الواقع الآن . ليس إقامة تنظيم أو تنظيمات تطيح بحكومات محلية . سواءً عبر تنظيمات سرية ، أو أحزاب سياسية (قانونية) . لأن الداهية الآن أكبر. والتصدي لها أعجل و آكد.

فهدف دعوة المقاومة هو :

<u>مقاومة صائل الحملات الصهيونية الصليبية الغازية بقادة أمريكا وحلفائها اليهود والصليبين من قوى الكفر الخارجية . ومن قوى الردة والنفاق المحلية المتعاون معها . وبتغير الهدف الإستراتيجي القديم ، وهو مواجهة الحكومات ، تتغير معطيات المناهج المطلوبة والأساليب الحركية المناسبة.</u>

ويجب أن لا يفهم أحد من هذا ، أنه ليس من أهداف دعوة المقاومة (إقامة حكم شرع الله) ، معاذ الله . وهل يكون مؤمناً من لا يكون هذا هدفه؟. ولكننا نعتبر هذا الهدف النهائي نتيجة لنجاح المقاومة في دحر هذه الحملات.. وإسقاط القوة العظمى أمريكا.

لقد بينا فيما مر في الجزء الأول . بما فيه الكفاية . ما أدت إليه الأساليب القديمة . الجهادية منها ، أو السياسية على طريق الصراع مع الحكومات القائمة . وترك القوى الخفية التي دعمتها . وما أدى إليه ذلك من الاحتراب الداخلي ، والدوران في حلقات مفرغة . ومن حسن الحظ ، ولكي تكون المعركة على بينة . جاءتنا تلك القوى اليوم صراحة بخيلها ورجلها ولله الحمد. وإن دحرها سيؤدي تلقائياً إلى سقوط حلفائها المرتدين والمنافقين . ومن يصر على الردة منهم بتحالفه مع الأعداء الغزاة . ولا ينعطف لينضم إلى جموع الأمة المقاومة.

و بحكم طبائع الأشياء ، ستكون القوى السياسية و الجهادية المنتصرة في المقاومة إن شاء الله هي المرشحة تلقائياً لملء ذلك الفراغ . وهل ستملؤه بعد كل ذلك المسار الجهادي من

التضحيات إلا بتحكيم شرع الله وإقامة دولة الإسلام ؟. وهل ستجرؤ قوى محلية ظلامية جديدة ، على الوقوف في وجه ذلك الهدف حينئذ ، مع غياب القوى الدولية العظمى - التي زرعت أحزاب الكفر وجموع العملاء في بلادنا - واستراحة البشرية من شرورها.

إن انتصار مشروع المقاومة وسقوط أمريكا ، بإذن الله . سيبدل موازين القوى. ويجعل الأرض غير الأرض. ولن يحكمنا عندها إلا شرع الله. ولهذا الهدف يجب أن نعمل الآن.

فالهدف الاستراتيجي للمقاومة هو صد الحملات . وجمع الأمة على ذلك . تحت شعار الجهاد ومنهج الإسلام . في دعوة تربوية شاملة متكاملة . ستولد بإذن الله جيلا ً بل أجيالا لا ترضى بغير الله ربا ، وبغير الإسلام دينا ، وبغير القرآن كتاباً ودستورا ، و بغير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وقائداً وإماماً..

(3) - **نظريات دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تحمل في كثير من جوانبها أبعاداً سياسية شرعية.**

والسياسة الشرعية ، كما هو ظاهر من تركيب هذا (المصطلح) هي وليدة :

(شريعة + سياسة). والشريعة أحكام ثابتة ، وخطوط عريضة تحد مجالات السياسة . لتسير وفق الهدى الرباني لسياسة واقع.

والواقع متحول يقوم على حركة بشر، وسلوك متحول يعتمد فن الممكن ، وقلوب متقلبة ضمن أصابع الرحمن جل وعلا يقلبها كيف يشاء .

ولذلك يجب أن تتحرك دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ضمن هذه الآفاق.. بضوابط السياسية الشرعية، بثبات ثابتها ، وتحول متحولها. بانسيابية حركية تناسب التجدد والتقلب الهائل في الظرف والمعطيات . فإن من خصائص النظريات العملية . القدرة على التجديد ومواكبة المتغيرات . من قبل العاملين ذاتهم . واتصال سلسلة السائرين على بصيرة من دينهم . بعد اختيار استراتيجية الثبات والاستمرار بعون الله.

(4) - **إن دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. دعوة لتنظيم جهد المجموع من خلال إبراز دور الفرد.**

فهي مستوحاة من قوله تعالى:

﴿ فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْساً وَأَشَدُّ تَنْكِيلاً ﴾ (النساء:84) .

فدعوة المقاومة هي دعوة قامت كي يستطيع الفرد كفرد ، والمجموعة الصغيرة مهما قلت إمكانياتها ، أن تؤدى فريضة الجهاد العيني لدفع الصائل ، بما يناسب حالها وقناعتها وقدرتها على التجمع والتنظيم . كما قال تعالى :﴿ **فقاتل**﴾ ، ﴿**لا تكلف إلا نفسك**﴾ . فتطلق الفرد للعمل ، إذا لم يجد من لا يضم جهده إليه. فإن وجد من يعينه ، وينضم إليه . فبها ونعمت .

وهو ليس قتال على أي مبدأ كان ! وإنما ﴿ **فقاتل في سبيل الله** ﴾.. وسبيل الله منضبط – باختصار- بشرع الله . وهو معتقد دين . وأحكام شريعة . ينتج سلوكاً ومنهجاً .

وهي إذ تكلف الفرد، كل فرد مهما قل شأنه وإمكانياته ، ما خلا أصحاب الأعذار الشرعية - وليس أعذار القعدة والمنافقين - تكلفه بالقتال . وتضيف تكليفاً آخر لكل بحسب قدرته عامة: ﴿**وحرض المؤمنين**﴾، فتخص أهل الذكر ، وأهل العلم ، ورجال الفكر ، وأصحاب الرأي . تضيف إليهم فريضة أخرى وهي القيام بالتحريض على المقاومة ، ﴿وحرض المؤمنين﴾ . فعليه أن يحرض ويدعو للمقاومة .فضلا عن واجبه القتالي .

ومجال التحريض هو للمؤمنين ، وهم الذين آمنوا ، كل الداخلين تحت مسمى لا إله إلا الله محمد رسول الله. وهم دائرة التحريض العامة .

كل ذلك من أجل هدف تحققه هو بيد الله تعالى توقيتاً وكيفاً . ونحن مكلفون بالسعي إليه. فكل ذلك الجهد والمقاومة والقتال ؛ ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ يكف بأسهم وعدوانهم . ثم ليؤمن كل مجاهد تحقيقه عقدية من أساسيات الإيمان ، وهي قوله : ﴿ والله أشد بأساً وأشد تنكيلا ﴾ .

فهم سيهزمون ببأس الله وسيؤولون في الدنيا والآخرة إلى نكاله .

والعاقبة للمتقين. ﴿ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (المجادلة:21) . ﴿ وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات:173)

وكما قال عليه الصلاة والسلام. وكفى بها شحنة معنوية دافعة : (**ليبلغن هذا الدين ما بلغ الليل والنهار**). فلا إله إلا الله محمد رسول الله والله أكبر ولله الحمد. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وإلى النظريات الثمانية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية نبدؤها.. بأهمها و مرتكزها كما هو مستند كل دعوة وطريقة.. نظرية المواجهة ، (المنهج والعقيدة القتالية).

الفصل الثامن
نظريات المقاومة الإسلامية العالمية

﴿ المنهج والعقيدة الجهادية ﴾

لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

العقيدة القتالية:

هي مجموعة الأفكار والمعتقدات التي يحملها المقاتل في عقله وقلبه ونفسه ، ويتحرك بدافعها للقتال من أجلها ، فتورثه الثبات على تكاليف هذا القتال ، الذي يكلفه كل ما يملك وأعز ما يملك . نفسه وماله وولده وأهله وكل كيانه. كما تشتمل على الأخلاقيات والسلوكيات والقواعد والأحكام التي تلزمه أثناء مسيرته القتالية .

وهذه العقيدة القتالية هي التي حركت الجيوش ، وأزكت الصراعات ، وأقامت الدول عبر التاريخ . وبسببها نهض الرجال ، وثبت الأبطال في ميادين النزال. وببواعثها صبر المصابرون على تكاليف المسار كي يبلغوا أهدافهم في كل زمان ومكان ، وفي كل أمة وملة ونحلة. وبها سار كل إناء بالذي فيه ينضح منذ قديم الزمان.

و في العصور الحديثة حرصت الدول وقيادات الجيوش ، والتنظيمات العقائدية ، والثورات والحركات والأحزاب التي حملت المبادئ ، كما حرص القادة والزعماء على تعبئة جنودهم بعقيدة قتالية تدفعهم إلى البذل والعطاء ، وتقديم الجهد والصبر في ميادين القتال . لتقنعهم بالحق أو بالباطل بعدالة قضيتهم . وبسمو المبادئ التي يقاتلون من أجلها . سواءً كانت ديناً أو معتقداً ، أو حباً للوطن وإخلاصاً للأمة.

ففي كل جيش من جيوش العالم اليوم دائرة هامة من دوائر قيادات الجيش و القوات المسلحة تسمى (دائرة التدريب والتوجيه المعنوي) . أو ما يوازي ذلك من المسميات . حيث يعمل بها المتخصصون من العلماء والأدباء والمفكرين والأطباء النفسانيين . و يقومون بإعداد البرامج والمناهج من المحاضرات والدروس. لزرع الأفكار والحفاظ على مستوى قناعة الجند بعقيدتهم القتالية واحتفاظهم بقيمهم، وروحهم المعنوية .

وتأخذ هذه المواد حيزاً يجاوز في كثير من الأحيان نصف ساعات التدريب العام وبرامج الإعداد . وقد يصل في بعض الحركات الثورية والتنظيمات العقائدية ، إلى أكثر من 80% من الوقت المخصص للعمل والإعداد لدى الأتباع والجنود.

وقد كانت الأديان والمعتقدات الدينية وما زالت منذ قديم الزمان وإلى اليوم ، الباعث الأساسي والأكثر تأثيراً في إيجاد هذه العقيدة القتالية والروح المعنوية لدي المقاتلين . وحتى في التجمعات والدول التي اعتمدت الإلحاد ومذاهب العلمانية - ومعظمها يتهاوى اليوم - يشهد

العـــــــالم عـــــــــودة نحـــــــــو التـــــــــدين والتعصـــــــــب الـــــــــديني . أو أنها حاولت أن تعوض بتلك المذاهب المادية العلمانية عن الأديان بعقائـد مـن وضـع البشرـ لها هيبة الدين وقداسة المعتقد لدى أصحابها .

● الفارق بين المقاتل المحارب.. والمجاهد و الجندي العقائدي:

أسهبت الدراسات التي عنت بالعقيدة القتاليـة وأهميتهـا في الجيـوش الحديثـة بإيضـاح هـذا الفارق. فالمقاتل أو المحارب لغير قضية ، من غير معتقد ، ولغـير هـدف مقـدس سـام عنـده . مثـل اللصوص وقطاع الطرق ، والجنود المرتزقة. يشتركون مع أي جنـدي ومقاتـل عقائـدي يقاتـل لهـدف شريف وعقيدة مقدسة عنده ، بكـل خصـائص المقاتـل إلا العقيـدة . فهـم يشـتركون في كـل وجـوه الإعداد . وفي كل حركات القتال والأعمال العسكرية.

فهم يتدربون ويتقنون استخدام السلاح . وتكتيكات القتال . والفنون الملحقة اللازمـة لـذلك . وربما فاق رجال العصابات و المافيات والمجرمون واللصـوص وقطـاع الطـرق ، أقـدر الجنـود ورجـال الأمن والإستخبارات في إتقان التقنيات القتالية والمعلوم الفنية اللازمـة للقتـال بكـل أشـكاله. وربمـا فأقوهم شجاعة وإقداماً ومراساً في القتال والإصرار. ولكن هنـاك فـوارق جوهريـة بـين هـؤلاء وبـين المقاتل العقائدي . فوارق سرعان مـا يبـدو أثرهـا جلياً مـع اسـتمرار المواجهـة و قسـوة الظـروف . ولاسيما في حالات الهزيمة وتتالي التضحيات .

فالذي لا يقاتل لعقيدة ومبدأ ، لا يصـبر عـلى الهـزائم . ولا يصـبر عـلى اسـتمرار وطـول فـترة المعاناة . وسرعان ما يكون عرضة لأن يبيع ذمته وضميره لعدوه . وربما يعمل لحساب عدوه إذا وفر له نفس غاياته الدنيوية ، أو زاد على من وفرها له ، من قبيل أنواع متاع الحيـاة الـدنيا ، مـن المـال والنساء والجاه والسمعة والرياسة وغيرها. فينقلب ويخون . أو عـلى الأقـل يستسـلم وينسـحب إلى حياته الخاصة مؤثراً السلامة مكتفياً بما حصله وجناه . فرحاً بالنجاة إن لم يظفر بسواها.

لكن المقاتل العقائدي يثبت ، ولا يخون ولا ينقلب ، ولا يكون عميلا لعدوه . ولا يستسـلم إلا مكرها قد أحيط به . ويحاول الفكاك من عدوه ومتابعة العطاء. ويصبر ويحتسب عناءه عند اللـه . ويكون له من راحة ضميره ، أو تصوراته عن مآله وازعاً لذلك الصبر و الصمود. ولو فتر وسكن لفترة مضطرا . تبقى نفسه تواقة وضميره يعذبه ويدفعه لمعاودة الجهاد من أجل أهدافه وقيمـه العليـا . وشتان شتان بين المحارب وبين المقاتل العقائدي.

وقد أدرك المربون من كل ملة ونحلة أثر ذلـك . فـأولوا العقيـدة القتاليـة مكانتهـا في منـاهج الإعداد و التدريب. حيث تزخر المكتبات بالمواد التعليمية والمنهجية والدراسات المتخصصـة في هـذا المجال.

● العقيدة الجهادية لدى المسلمين وأثرها ومكانتها:

نحن المسلمون نسمي قتال أعدائنا ،(جهاداً في سبيل الله) . وبالتالي يكون المصطلح المناسب المرادف (للعقيدة القتالية) عند غيرنا هو مصطلح (العقيدة الجهادية).. ومكانة العقيدة الجهادية عندنا ظاهرة بينة ، تطفح بها نصوص القرآن الكريم ونصوص السنة المطهرة. وتراث له أول وليس له آخر من أقوال العلماء ، وحكم الحكماء ، وأدب الأدباء شعراً و نثراً على مدى القرون المتتالية من تاريخنا المجيد.

وتتميز عقيدتنا الجهادية عن غيرها من العقائد القتالية ، أنها تحتوي فوق ما تحتويه كل تلك العقائد ، من إثارة بواعث الحمية للوطن والأرض والعرض ، ومكامن الرجولة والشرف والإباء ، وآفاق الخلق الحميد والمزايا الرفيعة. فقد ربطت المجاهد في سبيل الله بما وعدته من التمكين والعز في الدنيا له أولمن يأتي من إخوانه وأهل ملته من بعده وعداً أكيداً لهم من الله ، بالتمكين إن هم ثابروا على درب الجهاد والصبر، و المصابرة والمرابطة على جلاد أعداء الله . ووعدته بما هو أسمى وأعز من ذلك وأحبه لنفسه . وهو ما وعده الله به من الجزاء في الآخرة من الثواب والجنة ورضوان الله لقاء جهده وصبره وفتنة بارقة السيوف فوق رأسه . فأوجبت له الجنة لقاء قيامه في الصف مجاهداً لدقائق معدودة - فواق ناقة- (وهو المدة ما بين حلب الناقة وعودة الحليب إلى ضرعها) . فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : **(من قاتل في سبيل الله فواق ناقة فقد وجبت له الجنة ، ومن سأل الله القتل في سبيل الله من نفسه صادقا ثم مات أو قتل فإن له أجر شهيد ، ومن جرح جرحا في سبيل الله أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كنت ، لونها لو الزعفران وريحها ريح المسك ، ومن خرج به خرّاج في سبيل الله كان عليه طابع الشهداء)** (رواه أبو داوود).

وأما لو قتل في سبيل الله فقد وعدته بأجر الشهيد الصابر. ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وقد حفلت نصوص القرآن والسنة بما يجعل القلوب تقفز من بين الضلوع شوقاً، وترقص الأحاسيس طرباً ، وتطير الأرواح رغبةً إلى لقاء الله و موعوده من تفاصيل ذلك النعيم . وما أعد الله له من ذلك ، وفوقه صحبة حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم ، مع من أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين . ثم النعيم الأعظم ، رضى رب العزة ، ورؤيته ، وأن يضحك له ويسقط عند الحساب..

وقد زودت العقيدة الجهادية لدى المسلمين المجاهد، بتفاصيل مفصلة عن كل شيء . عن خلقه ونشأته ومساره في الدنيا . وعن معاده في الآخرة . فلم تترك له سؤالاً بلا جواب في حنايا نفسه.

عقائد مفصلة . وشرائع مقننة. وقوانين متناسقة ، و سبحات روحانية ... فسبحان من لم يخلقنا عبثاً ولم يتركنا سدىً.

فلو قدر لأي مخلوق أن يحتار في أمره . وأن تضيق عليه أقطار نفسه . فقد أنجى الله المؤمن والمجاهد من هذا العذاب في الدنيا والآخرة . فإذا تاهت نفس الملحد حيرة وتلجلج يقول مقالة الشاعر العربي النصراني البائس الذي غنى شعره مطرب بائس مثله وتمايل على ألحانه البائسون التائهون من الضائعين في هذه الأمة عند ما قال..

جئت لا أعلم من أين لكني أتيت ولقد أبصرت قدامي طريقاً فمشيت

كيف جئت أين أمضي لست أدري..

فإن المؤمن والمجاهد خاصة يدري ويعلم . فسبحان الله الذي علمنا قوله :

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا * قَيِّماً لِيُنْذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً ﴾(الكهف:1-2). فكتاب ربنا كما وصفه تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ (النحل:89)

وأما في ميدان الجهاد والعقيدة الجهادية..

فقد بين له الإسلام لِمَ يجاهد؟ ومن يجاهد؟ وكيف يجاهد؟ ولأي غاية يجاهد؟ وكيف يكون سلوك المجاهد وآداب الجهاد. وبين له شرائع ذلك وأحكامه في الدماء والأموال والأعراض.. وتفاصيل أحكام القتل والأسرى والغنائم . وزوده بما يعين على التقوى وما يحليه بالصبر والثبات ، وما يزكي في نفسه مكامن الشجاعة والإقدام . وعلمه آداب الذلة على المؤمنين والعزة على الكافرين وأمره بجهاد الكفار والمنافقين وأن يجدوا منه غلظة. وعلمه أنه جندي لدين الرحمة ونبي الرحمة. إلى آخر ما امتلأت به الكتب ، وحفلت به المكتبة الإسلامية ، لهذا الدين العظيم .

ولو جئنا لنستقصي شيئاً من ذلك هنا لطال بنا المقام وخرج بنا عن المقصود . فسبحان منْ منّ علينا بقوله : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْأِسْلامَ دِيناً ﴾ .

وبسبب هذه العقيدة الإسلامية عامة. والعقيدة الجهادية خاصة. كان لنا في التاريخ نماذج فذة تحتذى ، وأخرج لنا قافلة من النماذج والرجال القدوة الذين كان في طليعتهم من قال فيه ربه سبحانه :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً ﴾ (الأحزاب:21) •

كما حفظ لنا التاريخ قصصاً مجيدة عند ما حضرت تلك العقيدة القتالية في نفوس أصحابها

المؤمنين من انتصار الرهط القليل من المؤمنين على جموع أعدائهم عند ما استعلت فيهم تلك العقيدة.

و قصصاً مريرة و أخباراً مؤلمة مما حل بهم . لما جاءت أجيال خبت في نفوسها جذوة تلك العقيدة الإسلامية والروح الجهادية. أو سيطر حب عرض الدنيا عليهم خلال أوقات المواجهة .. فكانت صفحات مروعة من عكس ذلك عند ما هزمت جموعهم ودكت حصونهم وسقطت قلاعهم ونهبت قصورهم وقتل أشرافهم وسبيت نساءهم في مشاهد غزوات التتار، والحملات الصليبية ، وسقوط الأندلس ،... وغيرها على مر التاريخ . وصولاً لمثل ذلك من تاريخنا المعاصر المليء بالآلام والمآسي . حيث تبرز فيه أيضاً بعض البقع المضيئة من نماذج صبر الصابرين وجهاد المجاهدين المستعلنين بعقيدتهم الجهادية السامية.

● آفاق من العقيدة الجهادية عند المسلمين:

- إن أول ما تعلمنا إياه العقيدة الجهادية لدينا معشر المسلمين ، هو حقيقة أن (لا إله إلا الله محمد رسول الله). وما يتفرع عن ذلك من عقائد هذا الدين وأحكامه ومقتضياته. فنحن لا نعبد إلا الله ولا نطيع إلا ما أمر الله . بالكيفية التي نزلت على رسوله وحبيبه قائدنا وحبيبنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم..
- ومما تأمرنا به عقيدتنا القتالية قوله تعالى بأن نقاتل أعداءنا ومن انتهك حرمات ديننا أو المؤمنين به ، حتى يكون الدين كله لله :
- ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:193).

وتعلمنا وتملؤنا إيمانا أن الحكم لله وحده :

﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ ﴾ (يوسف: 40) . وأن شريعة الله جاءت لتحكم وتسود. ولتضبط حياة المسلمين : ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ (النساء:105).

وتعلمنا أن الإعراض عن ذلك يسبب لنا خزي الدنيا وتداعي الأعداء ، وعذاب الآخرة وسخط الله.

- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية، من هم أولياءنا المؤمنون وتأمرنا بموالاتهم . ومن هم أعداؤنا الكافرون وتأمرنا بالبراءة منهم وجهادهم بما استطعنا.

- وتعلمنا بأن من والى المؤمن فهو المؤمن . وأن من يوالي أعداءنا الكافرين فهو منهم . ومثلهم حكماً في الدنيا والآخرة ، وتأمرنا بقتالهم .
- وتبين لنا عقيدتنا الجهادية وجوب العمل على تحكيم شرع الله ونصب الإمام المسلم وإقامة دولة الإسلام.
- وتأمرنا عقيدتنا بقتال من تولى أعداءنا وقاتل تحت رأيتهم . وتفصل لنا تفاصيل أحكام أصنافهم وأشكالهم من الموالين والجاهلين والمكرهين.
- وتزودنا عقيدتنا القتالية بما يعين على ذلك من الخصال والأخلاق . من الإيمان والصبر، والكرم والشجاعة ، والثبات والرحمة ، والعبادة و النسك ، وبذل النفس والمال والوالد والولد في سبيل الله.
- وتأدب المجاهد في سبيل لله بأخلاق الرحمة والعدل والإنصاف وكل آفاق الأخلاق والآداب الحميدة.
- وتعلمنا كذلك آداب معاملة العدو ذاته . وأحكام ذلك في ميدان المعركة . أو في حالة العهد والهدنة والصلح . فتعلمنا أحكام الذمة والاستئمان كما أمر الله ، لا كما يروج اليوم كهان السلاطين أولياء الكافرين .
- وتعلمنا العقيدة الجهادية طاعة أولياء أمور المسلمين . كما تعلمنا أن لا طاعة لمن عصى الله . وأن الطاعة في المعروف . وتعلمنا أن نناصحهم و نوازرهم و نعينهم على البر والتقوى . لا على الإثم والعدوان . وأن نصبر على زللهم وخطئهم ، وحتى ظلمهم ولو جلدوا الظهر وسلبوا المال . وأن نتجاوز عن كل ذلك ما لم يبلغ مبلغ أفسد الفساد وأفسق الفسق. وتعلمنا ذلك بنص قرآني محكم :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ (النساء:59) .

وتبين لنا من هم أولياء الأمر الذين هم **(منا)** ، ما أقاموا شرائع الإسلام . وتبين لنا بنص محكم أيضا ، أن حكامنا إن تولوا أعداءنا لم يعودوا منا. قال تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51) قال علماء الإسلام : **(منهم)** ؛ [**أي كفار مثلهم**]..

وعندها تعلمنا عقيدتنا أن الفريضة هي الخروج على أئمة الكفر، أولياء أعداء الله ، ومنابذتهم بما رأينا من الكفر البواح الصراح الذي لدينا معه من الله البراهين .

- وتعلمنا عقيدتنا الجهادية فرضية دفع الصائل عن الدين والعرض والنفس والمال والأرض.. وإن كان مسلماً فما بالك لو كان كافراً غازياً.
- وتعلمنا أن المسلم أخوا المسلم ووليه وناصره ومعينه ، وله عليه حق النصر والمعاونة ، حتى ولو كان فاجراً فاسقاً مقصراً.وأن الكافر أخوا الكافر ووليه وأن من والاه ونصره على المسلمين وظاهره في العدوان فهو مثله ولو أدعى الإيمان والإسلام وصام وصلى.
- وتعلمنا عقيدتنا الجهادية الرحمة والشفقة والتعاون على البر والتقوى . وحرمة التعاون على الإثم والعدوان . وأن نتم لكل ذي عهد عهده . وأنه لا تزر وازرة وزر أخرى . أمر الله تعالى . وتعلمنا : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (المائدة: 8) .

وتعلمنا قول حبيبنا المصطفى : (**من خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها فليس مني ولست منه**).

- وتعلمنا كل ما يندرج تحت مكارم الأخلاق . وتنهى عن ضد ذلك ...إلى آخر ما تعلمنا إياه تلك العقائد المتكاملة والأحكام الشرعية المفصلة.
- وتعلمنا ما روي عنه في الأثر عن بن زيد بن أسلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(**لا يزال الجهاد حلوا أخضر ما قطر القطر من السماء وسيأتي على الناس زمان يقول فيه قراء منهم : ليس هذا زمان جهاد فمن أدرك ذلك الزمان فنعم زمان الجهاد ، قالوا يا رسول الله وأحد يقول ذلك ؟! فقال: نعم من عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين**) (السنن الواردة في الفتن - 371).

و صدق رسول الله ..فعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين !!

أثر غياب العقيدة الجهادية عند المسلمين:

إن مما تعلمنا إياه عقيدتنا القتالية وتنذرنا منه ما جاءت الأيام بتصديقه وإثباته معجزة ضمن سلسلة معجزات نبوية لا متناهية .

فقد روى أبو داود عن ثوبان أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (**ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال : حب الدنيا وكراهية الموت**).

وهو ما نعيش اليوم بصورة واضحة .

فقد بين هذا الحديث الشريف والأثر العظيم أثر غياب العقيدة الجهادية على المسلمين وأسباب ذلك مما حل في قلوبهم ، بإيجاز معجز من قبل من لا ينطق الهوى وإنما كلامه وحي يوحى..

فإذا ما خبت جذوة العقيدة عند المسلمين على مر الأزمان كما حصل مرات عديدة.. كانت نتيجتها دائماً واحدة.. أن تتداعى عليهم الأمم كما تتداعى الذئاب الضارية الجائعة إلى فريستها.. فتقطع أوصالها . وتدوس مقدساتها . وتزهق نفوسها . وتنتهك أعراضها . وتحتل أرضها وتنهب ثرواتها و مقدراتها. وكان السبب دائماً واحد.

فإذا ما ضعفت جذوة الإيمان في نفوسهم . ابتعدوا عن عيش حقيقة أحكام دينهم وشرائعه. وتنافسوا في الدنيا و ملاذاتها التي تجرهم إلى التنافس فيها، والتباغض والتحاسد والتقاتل عليها وعلى السيادة فيها . وتدفع كبراء مجرميهم إلى ولاية أعدائهم لأجلها وخيانة أمتهم في سبيلها..

فإذا ما وقع ذلك ، ودب الفساد في صلحائهم ، واحتراف العلم والدين من يشترون به ثمنا قليلا ، عندها يملأ قلوبهم الوهن . الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم ؛ (حب الدنيا وكراهية الموت)..

عند ذلك تحصل النتيجة الطبيعة التلقائية. فينزع الله مهابتهم من قلوب أعدائهم . ويحل بهم الرعب منهم. وتكون النتيجة ما رأينا على مر العصور والأجيال. مما حفظته كتب التاريخ .

واقرؤوا إن شئتم عن حال الأمة أيام غزو التتار ، وكذلك أيام الحملات الصليبية ، وما علمنا عن سقوط الأندلس.

ولماذا نذهب بعيداً وتاريخنا الحديث حافل ماثل بشواهد غياب العقيدة الجهادية عن قلوب معظم هذه الأمة. فهذا تاريخنا الحديث يحدثنا:

فقد انطلقت الحملات الصليبية الرومية الجديدة . فأسقطت الخلافة سنة 1924 . ثم قطّعت معاهدات سيكس بيكو الأمة وأراضيها وشعوبها إرباً إرباً ، وجعلتهم دولاً و إمارات ، وممالك متنازعة متفرقة . واحتلت مقدساتهم ونهبت ثرواتهم . ووطنت اليهود في عقر دارهم . وكان ما روينا طرفاً موجزاً عنه في الفصول السابقة. ولمن لا يعرف التاريخ . ويقصر علمه وفهمه عن دراسته . فهذا حاضرنا الماثل مع الحملات الصليبية اليهودية الجديدة ، بقيادة أمريكا وحلفائها في الناتو من الدول الغربية . ومخططاتها للشرق الأوسط الكبير. لتحتله من أقصاه إلى أقصاه . ولتجند حكامه ليقتلوا نخبة شباب شعوبهم . وتستعمل عساكر المسلمين في ذبح الإسلام والمسلمين. ثم لتصنع برامج حرب الأفكار. فتفرض علينا تغير مناهج التفكير والتربية والتعليم في مدارسنا وحتى خطب

الجمعة ودروس الدين في مساجدنا وتحدد لنا الآيات القرآنية التي يجب أن لا نطبعها ولا ندرسها ولا ننشرها.

فهذا بعض آثار نتائج غياب العقيدة الجهادية. وكل ذلك مما نشاهد من كفر الحكام . وفساد أكثر العلماء . وضلال غالبية العامة . وتملك الجميع الوهن ؛ حب الدنيا وكراهية الموت!

بل أن الأمور تبشر بالأسوأ ، وهو خروج أجيال تقدس عقائد المحتل الغازي الجديد . وتدعوا لأفكاره ونظم حكمه وحياته وثقافته وأتباعه في كل شيء . وها هي الأرض تسير وكأنها تتهيأ لاستقبال الدجال. جموع هائمة على وجوهها لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً..

لقد عرف العدو العلة وأخذ في زرعها ورعايتها . حرب الأفكار وتجفيف مولدات المقاومة والقضاء على عقائد الإسلام . وأهم ذلك جوانب العقيدة القتالية لديها. وهذا هو الداء وبعكسه الدواء. لا بد من التمسك بالدين. وإعادة زرع العقيدة الجهادية في شباب هذه الأمة.

- **العقيدة الجهادية في التيار الجهادي الصحوة الإسلامية المعاصرة:**

بعد سقوط الخلافة.. وإبان أواخر أيامها وصففها ولدت بواكير الصحوة الإسلامية.. وكانت دعوات إصلاح شامل.. وكان جانب العقيدة الجهادية حاضراً في معظمها ولا أول على ذلك من الشعار الشهير في أم الحركات الإسلامية وقلبها ؛ دعوة الإخوان المسلمين وما تولد عنها من حركات في العالم العربي والإسلامي.. فقد قال الشعار في حينها .

(**الله غايتنا.. الرسول قدوتنا.. القرآن دستورنا.. الجهاد سبيلنا.. والموت في سبيل الله أسمى أمانينا..**)

ولا أجد في أدب أديب ولا بيان كاتب في هذه الأمة المعاصر أجمع لمقومات العقيدة الجهادية من هذا الشعار الذي يجمع حذافير الدين و أساسياته و فرعياته.

وقد سارت الصحوة على ذلك الستار صدرها الأول . ولكن ما الذي حصل بعد ذلك على أرض الواقع.. لقد دب الفساد في تلك العقيدة الجهادية . وآلت كثير من الحركات ، ليكون البرلمان غايتها ، والغربُ قدوتها ، والديمقراطية دستورها والانتخابات سبيلها.. والوصول للمشاركة مع الطواغيت في حكوماتهم أسمى أمانيها. هذه هي الحقيقة الماثلة مهما تكن مؤلمة ومهما يشكل كشفها صفعة على وجوه أصحابها.

بل سار الحال إلى الأسوأ. فإن أكثر علماء الإسلام وقادتهم ورموز صحوتهم يسيرون اليوم لتكيف عقائد الإسلام على مزاج الغزاة الجدد تحت دعاوى الإعتدال واحترام الآخر.

إن من أول أولوياتهم اليوم التجاوب مع حرب الأفكار في قطع جذور العقيدة القتالية. لقد صارت العقيدة الجهادية إرهاباً. وفكراً إرهابياً يجب حربه. ويجب أن تنساه الأجيال القادمة. ولو

قدر لهم أن ينجحوا لا قدر الله . ولن ينجحوا بإذن الله . لأنهم يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون.

أقول لو قدر لهم أن ينجحوا فستولد أجيال لا يعرف أكثرها دين ربهم ولا تاريخ أمتهم . بل ولا لغة آبائهم وأجدادهم . وستكون أجيالا بلا عقيدة جهادية تحفظ هذه الأمة من الزوال وتدافع عن بقائها ومقومات وجودها .

أقول بكل بساطة - ومهما تكن الحقيقة مؤلمة- لقد تماوتت العقيدة الجهادية القتالية في مدارس

الصحوة الإسلامية شيئاً فشيئاً منذ مطلع الستينات . ولم يحافظ عليها ويزكيها إلا ما اصطلح عليه باسم (التيار الجهادي) . جماعات وأفراد هنا وهناك.

و لقد ذكرنا طرفاً من تاريخ ذلك في الفصلين الخامس والسادس والسابع من الجزء الأول . وبينا كيف أن معظم مدارس الصحوة ولاسيما المتسيسة منها ، ومن أجل دفع ثمن دخولها مجال (المشروعية القانونية) للممارسة السياسية لدى الحكومات . قامت بالتخلي عن عقيدتها الجهادية القتالية تدريجياً . بل ألتفت كثير من رموزها وقادتها ، لمحاربة أولئك الذين تمسكوا بتلك العقيدة من أبنائهم. وفصلوهم من تنظيماتهم . وضيقوا عليهم . فضلاً عن محاربة التيار الجهادي دعوياً وفكرياً وإعلامياً . بل وأمنياً في بعض الأحيان حيث تولى بعض الدعاة إبلاغ الأمن عن نوايا الجهاديين !!

لقد حمل التيار الجهادي عبر تنظيماته وأدبيات مفكريه وكتابه وإعلامه تلك العقيدة بمقتضى الشعار الأول للصحوة ، قولاً وعملاً . وقامت الجماعات و التنظيمات الجهادية المختلفة على تلك الأسس وتفاوت عطائها و مدى وضوح و تجذر تفاصيل تلك العقيدة في مناهجها .

وبشكل إجمالي يمكن القول أن معظم التنظيمات الجهادية تبنت العقيدة الجهادية وكان لها فكراً ومنهجاً جهادياً مكتوباً وتبعاً لذلك كان لها برنامجها التربوي الذي رسخ تلك العقيدة الجهادية في عقول عناصرها . وقد مرت كافة تلك التنظيمات بمرحلتين من الناحية المنهجية والتربوية وتربية الأعضاء على ذلك.

مرحلة ما قبل الصدام مع السلطات في بلادها. ومرحلة ما بعد الصدام . وبالإجمال استطاعت تلك التنظيمات والجماعات أن تربي في مرحلة الإعداد قبل الصدام كادراً طيباً كماً ونوعاً على تلك العقيدة والمناهج وخرجت نماذج ناضجة نموذجية كمجاهدين عقائديين يحملون عقيدة جهادية راسخة واضحة . وهم الرعيل الأول والثاني في كل حركة وتنظيم جهادي تقريباً. ولكن معظم تلك الجماعات بعد فتح الصدام المسلح عجزت للأسباب التي مر ذكرها عن تربية الطبقات التالية من الأتباع . ورغم أن المناهج معروفة ومدونه إلا أن نوعية ومستوى التربية انخفض فيما بعد..

ولما هاجرت تلك التنظيمات. حاولت استئناف المسيرة واستطاعت أن تبني شيئاً من ذلك ولاسيما من خلال مرحلة الجهاد الأفغاني في شوطين الأول والثاني .

وبالإجمال يشكل عناصر التنظيمات الجهادية النموذج الأفضل للمجاهد العقائدي الذي يحمل عقيدة جهادية في ظاهرة الصحوة الإسلامية المعاصرة .

وفي تجربة الجهاد الأفغاني بشوط الأول . كان تجمع الأفغان العرب تجمعاً غير متجانس. وكانت الشريحة الأكبر منه لا تنضوي تحت تنظيم ولا جماعة ولا أمير.. وكانت معسكرات التدريب العامة المفتوحة تقتصر تقريباً على التدريب العسكري.. ولم تر من الدروس المنهجية القليلة البسيطة فيها ما يمكن وصفه بأنه منهج تربوي يرسخ عقيدة قتالية، باستثناء بعض الدروس القيمة و القليلة التي ألقاها الشيخ عبد الله عزام رحمة الله في الطبقة الأولى من تجمع المجاهدين العرب قبل أن تشغله المشاغل ثم تختطفه يد الردى رحمه الله تعالى رحمة واسعة . وقد ترك الشيخ عبد الله رحمه الله تراثاً هائلاً يحتوي الكثير من مناحي العقيدة الجهادية . وما زال تراثه مظلوما مهملاً يحتاج من يخرج ما فيه من درر .

ورغم تجمع أكثر من 40 ألف مجاهد عربي ومسلم في الشوط الأول للأفغان العرب..مما شكل فرصة نادرة الحصول لتربية تلك المجموع أو طلائعها على عقيدة قتالية جهادية . لمواكبة ما يتربص بالأمة من أحداث وحملات صليبية وشيكة. إلا أن تلك الفرصة ضاعت.

وكان السبب الأول في اعتقادي عدم إدراك القيادة العليا للتجمع الجهادي العربي آنذاك لأهمية تلك العقيدة الجهادية.. وأعتقد أن كثيرا منهم في تلك المرحلة ، لم يكونوا يملكون تلك العقيدة الجهادية أصلاً ولا يقيمون لها وزناً.. بل كانوا يعملون بدافع عاطفة دينية و قناعات جهادية محدودة ومحددة . بل كان بعضهم يحمل أفكاراً متناقضة مع مقتضيات العقيدة الجهادية أصلاً تحمل بصمات ما تربوا عليه من مناهج غير جهادية. ولو لا فضل الله ووجود دعاة جهاديين وبعض العلماء والمفكرين ووجود التنظيمات الجهادية من الذين يحملون تلك العقيدة الجهادية. لاجتمع الجمع وانصرم ولم يخلف وراءه إلا صدى طلقات المعارك ودورات التدريب التي سرعان ما تلاشت. بعد أن قضى لأمريكا حاجتها ووطرها من ذلك الجمع دون أن يدري ودون أن يكون قد استفاد لصالح مسار الجهاد شيئاً لحسابنا الخاص لمسلمين ومجاهدين..

ولكن تلك الكوكبة الواعية الفاهمة بذرت بذور الفكر الجهادي و استطاعتها عبر معسكرات و مضافات التنظيمات الجهادية . وعبر بعض الدروس والمحاضرات التي عقدها بعض المفكرين وطلاب العلم الواعين لعقيدتهم الجهادية وأهميتها فضلاً عن انتشار الأدبيات التي تحمل الفكر الجهادي .

ولكن النجاح في ميدان زرع العقيدة الجهادية على مستوى عشرات الآلاف أولئك كان ضحلاً. وواجه مقاومة شرسة من قبل الأوساط السعودية التي كانت مسيطرة على معظم ذلك الجمع عبر مؤسسات كثيرة . و قد أثبت المردود الواهي لتلك المجموع وعدم مساهمتها فيما تلا من أحداث ، ذلك الفشل الذريع لمشروع تربية أولئك المجاهدين . وإحصائية تقريبية تثبت ذلك بكل وضوح..

لقد تكون الجمع العربي من زهاء 40 ألف مجاهد ، ارتادوا بيشاور ومعسكرات التدريب وجبهات القتال ما بين (1985-1992) . ولا شك أن أكثر من ثلثيهم قد تلقى تدريباً عسكرياً معقولا . وأن أكثر ممن نصفهم دخل جبهات القتال . وأن ربعهم على الأقل شارك في معارك حقيقية بشكل فاعل جعل منه مقاتلاً محترفاً على نحو طيب.

وقد تراوحت النسب التقريبية لجنسيات تلك المجموع بحسب ما تقصيتها قدر ما استطعت..

السعودية	نحو	20000 مجاهد
اليمن	نحو	5000 مجاهد
مصر	نحو	4000 مجاهد
الجزائر	نحو	2000 مجاهد
المغرب (مراكش)	نحو	عدة مئات المجاهدين
ليبيا	نحو	عدة مئات المجاهدين
فلسطين	نحو	عدة مئات المجاهدين
إمارات الخليج العربي	نحو	عدة مئات المجاهدين

أما تونس، العراق وسوريا ولبنان وموريتانيا والصومال فقد جاء من كل منها ، أرقام تتراوح بين المئات وعشرات المجاهدين . وكذلك باقي دول العالم .

هذا بالإضافة لعشرات آلاف المجاهدين الباكستانيين الذين حضروا وشاركوا من خلال تجمعات ومعسكرات مستقلة أو مع الأفغان مباشرة.

ولنبق في إطار المجاهدين العرب. فباستثناء عدة مئات من المطاردين أصلاً في بلادهم . عادت معظم تلك الآلاف المؤلفة إلى بلادها، وقد انطلق النظام العالمي الجديد واحتل جزيرة العرب.. و دمر العراق وحاصرها . و اشتعلت الإنتفاضة .. وزحفت روسيا إلى الشيشان . ووقعت مذابح

الصرب في البوسنة . واستمرت مآسي المسلمين بشكل فظيع مع اقتراب القرن العشرين من نهايته وحملت وسائل الإعلام إلى كل بيت ، ما يفجر القهر والغيظ في ضمير أي مسلم..

فما ذا كان دور تلك الآلاف من المجاهدين الذين أعدوا وتدربوا وأتقنوا استخدام السلاح خفيفة وثقيلة وتعلموا استخدام المتفجرات وكل صنف الأسلحة ؟! ماذا كان أثرهم على تلك المعركة المشتعلة في كل مكان عامة ، وفي الشرق الأوسط الجزيرة والعراق والشام خاصة!

تقريباً لاشيء.. فباستثناء بعض العمليات الجهادية الفردية التي قام بعظمها من لا علاقة لهم أصلاً بذلك الجمع . وباستثناء بعض الذين التحقوا بجبهة البوسنة و الشيشان على نفس الطريقة الأفغانية.. لم تساهم تلك الحشود في المعركة .

لقد تراوحت في مسلكها بين بعض حالات الانقلاب على الجهاد والصحوة أصلاً كما حصل في اليمن من التحاق كوادر جهادية بأجهزة الإستخبارات والجيش اليمني .كان من بينهم مقربون ومعاونون للشيخ أسامة بن لادن ذاته !! وبين حالات العودة التامة للدنيا التي خرجوا منها للجهاد ثم عادوا للانغماس فيها تماماً وكأنه لا كان جهاد ولا إعداد!!!

هذا فضلاً عن بعض حالات الشذوذ والانحراف الفكري والسقوط في متاهات الغلو والتكفير والإحباط نتيجة الحماس وعدم وجود عقيدة جهادية صحيحة !

فلم كان ذلك ؟!

السبب واضح جداً..كان ذلك لأن تلك الجموع لم تتلق أي توجيه وتدريب في مجال العقيدة القتالية الجهادية. ولم تتلق شيئا من المحاضرات الشرعية العقدية . لا في مجال السياسة وفقه الواقع . ولا في نطاق الفكر الحركي والوعي السياسي الشرعي .

تدريب عسكري .. تدريب عسكري .. رياضة.. سلاح . جلسات نشيد .. قتال ..معارك، فقط . لقد قاومت بعض قيادات الجمع العربي المجاهد أي طرح للفكر الجهادي والتوعية السياسية.

لقد كان لذلك أسبابه التي قد أعرض لها إن كتبت عن تاريخ تلك المرحلة.. وليس مكان هذا هنا.

ولكني أشير إلى نتائج غياب التربية والتوعية في مجال الفكر والعقيدة الجهادية بشكل صحيح وكاف. و أضرب مثالاً صارخ الوضوح..

فقد كان التجمع الأكبر للمجاهدين العرب . هم مجاهدوا جزيرة العرب الذين قدموا من دول مجلس التعاون الخليجي واليمن وعلى رأسها السعودية. وكانوا زهاء 25 ألف مجاهد وربما أكثر. وزاد عليهم عدة آلاف ممن أموا البوسنة و الشيشان وغيرها من الجبهات المفتوحة.

لقد عادوا لبلادهم خلال النصف الثاني من التسعينات ليعيشوا حالة الاحتلال شبه العلني من قبل أمريكا وانطلاقها وحلفائها من دول الناتو من أراضيهم لقتل المسلمين في العراق . ودعم و

قتل اليهود في فلسطين.. فضلاً عما لاقوه من الاضطهاد والسجن والتحقيقات على يد أجهزة الاستخبارات في بلادهم ولاسيما السعودية فماذا كان رد فعل على كل ذلك؟ ببساطة لاشيء!!

أين العلماء؟ أين الخطباء؟ أين الدعاة الذين ملؤوا الدنيا حماساً للجهاد والاستشهاد؟ لم يكن لذلك أي أثر!!

فمنذ عام 1991 وإلي2001 وعلى مر عقد من الزمن . لم تتعرض القوات الأمريكية على أرض جزيرة العرب إلا إلى عمليتين يتيمتين في الرياض والخبر.. وإذا قبلنا معظم الإشارات بأن عملية الخبر كانت من فعل أتباع الاستخبارات الإيرانية ومن حزب الله الشيعي . لا يبقى إلا عملية واحدة . وهي تفجير مقر سكن للأمريكان في الرياض في العليا قتل فيه أربعة أمريكان! هذا في عشر سنين !! وهذا يخجل أي أمة تحتل أرضها بمئات آلاف الجنود ثم يكون هذا حجم مقاومتها !! إنه أمر فخزٍ !

هذا في بلد تحيل فيه العدو عقر دار الإسلام الذي يحتوي كعبتهم ومسجد نبيهم صلى الله عليه وسلم . بل وبيت ما لهم الذي يضخ في خزانة أمريكا كل يوم أكثر من مليار دولار كلما أشرقت الشمس وغربت!

وأثناء التحقيق ثبت أن المجاهدين الأربعة الذين أُعدموا رحمهم الله في ذلك الحادث . هم من الذين شذوا عن قاعدة التجمع . وتلقوا فكراً وعقيدة جهادية . على بعض الجهاديين من التنظيمات الجهادية . وقضوا وقتا معهم في أفغانستان .وبدا أثر الفكر والعقيدة الجهادية واضحا عليهم من خلال اعترافاتهم و ما نقل التلفزيون السعودي من مقابلات معهم..

وفي آخر أيام الشوط الثاني للأفغان العرب . بدأت الصورة العامة تتضح أكثر فأكثر للجميع . وبدأت صفاقة أمريكا وهجمتها ، والوقوف الصريح لحكام العرب والمسلمين معها . ومع المشروع الصهيوني تلعب دورا أساسيا في انتشار العقيدة الجهادية . وبدأت فضائح ونفاق علماء السلاطين تدخل مرحلة مزرية لم يعد بإمكان محبيهم ترقيعها . وبدأت معالم الصورة تتضح . و بدأت أسس العقيدة الجهادية تطرح نفسها بتلقائية في أوساط الأمة عموما. وتهيأت الأجواء لفكر جهادي ثوري مبشر .

وجاءت أحداث سبتمبر وما تلاها . ثم احتلال العراق وما تبعه . وأحداث الإنتفاضة وما يجري فيها . لتجعل خيار الجهاد ، وطرح الجهاديين هو الطرح الأكثر جماهيرية ومنطقية في أوساط الصحوة الإسلامية بل أوسط مختلف شرائح الأمة بكافة تكويناتها . وهنا تبدو الحاجة ماسة جدا لإعادة طرح أسس العقيدة الجهادية وتفاصيلها بأسلوب جماهيري يناسب المرحلة.

- **<u>حالة العقيدة الجهادية في الأمة والصحوة والتيار الجهادى اليوم:</u>**

إن حالة العقيدة الجهادية لدى مختلف شرائح الأمة وطبقاتها تمر رغم العواطف الجياشة ، في أزمة حقيقية لا يمكن النهوض بالأمة المواجهة والمقاومة إلا بالبدء بإصلاحها..

وهذا ميدان وجهة من أهم ميادين وأخطر خطوط المواجهة في الحرب التي تخوضها الأمة اليوم ، ويشتد أوارها يوماً بعد يوم . وهذا ميدان هو مسؤولية العلماء والمفكرين والكتاب والأدباء والمثقفين ورجال السياسة والإعلام في هذه الأمة. ولاسيما وعلى وجه الخصوص رجال الصحوة الإسلامية. وبشكل أخص أولئك الذين سيحملون أمانة الجهاد وتوجيه المقاومة والتيار الجهادي في مرحلتين : المرحلة المقبلة الخطيرة الراهنة ، و المرحلة القادمة.

مفارقة خطيرة وحقيقة وهامة:

لقد أدرك العدو أن خط الحرب هذا هو أهم وأخطر خطوط المواجهة. وأدرك أنهم يتفوقون علينا في كل خطوط الحرب الأخرى . عسكرياً وتكنولوجياً وعلمياً وحضارياً، وإعلامياً وسياسياً وأمنياً واقتصادياً.. إن العدو الصليبي اليهودي بقيادة أمريكا وحلفائها اليوم من الكفار والمرتدين والمنافقين.. يتفوقون علينا بشكل ساحق غير قابل للمقارنة في كل تلك الميادين والمناحي . مما يوفر لهم أسباب النصر المادية في كل خطوط هذه المواجهات . ولذلك غزونا في هذا الوقت. ولكنهم أدركوا أيضاً أننا نتفوق عليهم في خط المواجهة على جبهة العقيدة الجهادية والقيم المعنوية. بشكل ساحق غير قابل للمقارنة أيضاً. ولذلك أعلن رامسفيلد الصليبي المتصهين ، وزير دفاع أمريكا ، أن المواجهة مع (الإرهاب) كما يدعونها ، دخلت في مرحلة حرب الأفكار. وأنها من أهم مراحل (استراتيجية الحرب الإستباقية). ولقد مرت حرب أمريكا المعلنة على المسلمين منذ عهد كلينتون أواسط التسعينات بعدة مراحل . ثم حافظ بوش اللعين على استراتيجيتها وأصناف عليها مناحٍ جديدة.

لقد قامت حرب أمريكا مع المسلمين و حملتها الصليبية تحت ستار ما يسمي مكافحة الإرهاب (يقصدون المسلمين) على الأسس التي فصلتها في الفصل السادس وهي :

1 - تجفيف المنابع المالية والمادية للإرهاب .
2- اغتيال الرؤوس و المقاومة أو أسرهم وسجنهم .
3 - تصفية العناصر عن طريق الخطف والتسليم لبلدانهم أو للمعتقلات الدولية.
4 - إلغاء الملاذات الآمنة للإرهاب بإجبار الدول على ترحيل المجاهدين أو تصفيتهم 5- التشويه الإعلامي.
6 - المطاردات الأمنية بالتعاون مع حكومات بلاد المسلمين .

ثم أضاف بوش الابن إلى ذلك مصرحاً ومعلناً عدة محاور وهي :

7 - الزحف العسكري المباشر برايات صليبية يهودية صريحة على بلاد المسلمين. عبر ما أسماه(استراتيجية الحرب الإستباقية).

8 - عقد حلف دولي عسكري للمشاركة في هذا الزحف بقيادة أمريكا.

9 - نقل المطاردات الأمنية للمجال الدولي بإشراف أمريكي مباشر.

10 - تطبيق مبدأ الحرب الاستباقية على خلايا الصحوة الإسلامية و الجهادية وهو ما أسموه (إجهاض المحاولات الإرهابية قبل نشوئها) .

10- وأخيراً ما يهمنا في هذا الفصل الذي وهو ما أعلنه رامسفيلد وأسماه : (حرب الأفكار) . وتتولى الشمطاء كونديليسا رايس مستشارة الأمن القومي في الإدارة الأمريكية المشاركة في التنظير لهذه الحرب التي يشارك فيها حتى شيخ الأزهر وأئمة الحرمين !

● **من تكتيكات (حرب الأفكار) الأمريكية :**

لقد اشتملت هذه الحرب على زخم إعلامي وفكري هائل. فكان من ذلك افتتاح عدة محطات إذاعية باللغة العربية ولغات المسلمين . موجهة وممولة من قبل الحكومة الأمريكية مباشرة.

ثم دخلت أمريكا مجال القنوات الفضائية باللغة العربية وبطاقم إعلامي عربي محترف من المنافقين والمرتدين والعملاء. فافتتحت قناة (**الحرة**) .

كما ألزمت أمريكا الحكومات العربية والإسلامية بتغير مناهج التربية والتعليم ، وفرض رقابة صارمة لحذف كل ما من شأنه أن يزكي روح المقاومة في الأمة . كما صدرت أوامر أمريكية لحكوماتنا ، بالتزام لائحة توجيهات تشمل حصار المساجد والدروس والخطب والتعليم الديني . وتتضمن تفاصيل من الإلغاء والتضييق والتشويه والتحريف..

ومصيبة المصائب أن أمريكا تستعمل كثيراً من قطاعات العلماء ورموز الصحوة الإسلامية بفعل ضغوط الحكومات . وتستعمل هذا القطاع الإسلامي المحترف في معركة الأفكار لتشويه الدين وإتلاف مقومات المقاومة والجهاد فيه عن طريق الفتاوى العميلة المشوهة تحت مسمى مكافحة الإرهاب والتطرف . وعن طريقة بث أفكار الخنوع والذوبان في الفكر والحضارة الأمريكية، تحت مسميات كثيرة . منها : الإعتدال ، والوسطية ، والتعاون والحوار مع الآخر... وغير ذلك من دعاوي الدعاة على أبواب جهنم الذين يلبسون لباسنا ويتكلمون بألسنتنا من أبناء جلدتنا.

وفي وسط هذه الفتن الطامة الطاغية ، يمكن تلخيص حالة العقيدة القتالية لدى المسلمين من خلال رصدها لدى ثلاثة شرائح هي:

- العقيدة القتالية الجهادية لدى عامة المسلمين.

- العقيدة الجهادية لدى مدارس وقطاعات الصحوة الإسلامية.

- العقيدة الجهادية لدى الجهاد بين اليوم بعد أحداث سبتمبر والعراق وما استجد من ظروف .

ونتناول ذلك باختصار . ثم أنتقل إلى لب الباب الأول وهو:

نظرية العقيدة الجهادية والمنهج في دعوتنا : دعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

أولاً: أما عن العقيدة القتالية لدى قطاعات الشعوب العربية والإسلامية اليوم :

فإنه لم يبق لدى معظم شرائح الأمة ، بسبب تتالي العقود على سياسات القمع والخوف والتجهيل . ومحاربة الإسلام و تغيب شرائعه . والتي مارستها الحكومات عبر وسائل الإعلام ، ومناهج التربية التي تعتمد الإفساد والعلمنة ، والقضاء على ما تبقى من مكونات الدين والعقيدة لدى شعوبها في الغالبية الساحقة لبلاد المسلمين.

وبسبب ما ران على قلوب الأكثرية من الوهن (حب الدنيا وكراهية الموت). لم يبق من العقيدة الجهادية لدى مختلف طبقات الأمة ، إلا العواطف وبعض آثار ما تبقى من عقيدة الجهاد لدى النذر اليسير من الأمة..

ولكن حملات أمريكا علينا منذ عقد من الزمن وتتالي استفزازاتها وما فعلته في العراق ثم أفغانستان ثم العراق ثانية.. وما تطرحه اليوم من برامج الإحتلال والعدوان على كافة الصعد. مستهدفة الجميع حكاماً ومحكومين ، دولاً وجماعات ، أحزاباً حاكمة أو معارضات. ودعمها اللامتناهي لإسرائيل وما تثيره القضية الفلسطينية ومجرياتها منذ لانتفاضه خاصة.

جعل أساسيات العقيدة الجهادية تعود للأمة. حيث يشهد رجل الشارع العادي صحوة فطرية طبيعية لا يمنعها من توليد الأعمال والأفعال ، إلا سياسات القمع والخوف والأنظمة البوليسية في كل مكان.

ولكن المبشرات تبدو أكبر بفضل الله، ثم بفضل حمق أمريكا وحلفائها الصليبيين ، ومن ورائها قوى بني صهيون. إن تلك المبشرات تلمس اليوم في كل مكان.

وعلى العكس مما تظنه أمريكا. فإن حملاتها لتغير المناهج وأصول التربية والتعليم ومحاربة التدين . قد جلبت ردة الفعل هائلة حتى في صفوف وأوساط العلمانيين ، الذين لا يجدون لهم اليوم مادة وهوية للمواجهة بدوافع النخوة والشرف ، إلا الإسلام ورايته وهويته . إنه مكر الله .

إن روح العقيدة الجهادية تتسرب إلى الأمة بشكل يبعث على الأمل . بل على الاعتقاد بقرب التحرك نحو الإنتصار. فإن الجماهير تتململ .

لقد سلبت أمريكا دنياهم التي ابتلوا بحبها ، وحببت إليهم الموت كحالة أفضل من ظروف الحياة التي تعدهم إياها. وهكذا تحل لنا أمريكا عقدة حب الدنيا وكراهية الموت !

إن أمريكا تساعدنا اليوم على بغض الدنيا وحب الموت. ويجب أن نشكرهم :
فلا جزاهم الله خيرا . وسلطنا عليهم موتا زؤاما .
وعندما سيصل هذا الإحساس ليكون جماهيرياً .ستلقى الجماهير عن كاهلها الوهن . وستسير الأمور بشكل عكسي. وعندها تعود المهابة منا إلى صدور أعدائنا . ولا نعود غثاء كغثاء السيل لا قيمة لنا. وإنما جماهير مؤمنة تتحرك بالقوة الدافعة لا إله إلا الله محمد رسول الله.

ثانياً: وأما عن حالة العقيدة القتالية الجهادية في أوساط الصحوة الإسلامية:

لقد خلعت مختلف أوساط الصحوة الإسلامية غير الجهادية على اختلاف مدارسها وعلى مدى عقود متلاحق على طريق التسيس، خلعت كل مقومات العقيدة الجهادية عملياً. ولكن ومنذ قيام النظام العالمي الجديد . ولاسيما بعد سبتمبر وإعلان الحملات الصليبية بعد احتلال العراق على الشرق الأوسط الكبير وهو عملياً العالم الإسلامي. منذ ذلك الوقت تشهد الصحوة الإسلامية غير الجهادية حالة فرز وانقسام حادة.

فالأقلية الصالحة من أهل الخير من علماء وقادة ورموز صحوة ، استفزهم الهجوم و أحيا فيهم مكان الدفاع والغيرة . فمالوا للفكر المقاوم ، وإن كان على استحياء . ولكنها صحوة داخل الصحوة تبشر بخير. ولكن أكثرية وللأسف تتحول للعمل كبيادق منافقة من حيث تدري أولا تدري . في خدمة برنامج رامسفيلد لحرب الأفكار.

ويكفي للدلالة على ذلك ولمعرفة الأسماء والهيئات والأشخاص التي تشن الغارة على الإسلام من داخل صفه، أن نقتفي أثر وسائل الإعلام المختلفة من إنترنيت وفضائيات وصحف ومجلات ومؤلفات . لتتابع سيل عمل كتيبة حرب الله ورسوله والطليعة المقاومة في هذه الأمة . تحت دعاوى الحوار والاعتدال والوسطية ونبذ الإرهاب.

لقد وصل الهجوم والسموم لكل مناحي ومبادئ هذا الدين . تحليلاً للحرام . وتحريماً للحلال وحربا الله ورسوله وهكذا تبنى مساجد الضرار بتخطيط رامسفيلد و كونديليسا .

إن مساجد الضرار النفاق تبني محاريبها من جديد . وترفع مآذنها من جديد. إرصاداً لمن حارب الله ورسوله. لتحارب أصحاب مسجد قباء ، الذين أسسوا بنيانهم على تقوى من الله ورضوان من أول يوم..

إن رحى المعركة الداخلية تدور اليوم. وستكون ضارية مع طلائع رامسفيلد المعممة من أصحاب اللحى المنمقة والبطون المكورة التي ملأها سحت الدولارات رغباً ، وروعتها سياط الحكام و وعيدهم رهباً..

فأفرزت لنا أمثال شيطان العلماء (عبد المحسن العبيكان) ، وإمام الحرم المنفوخ ، الحبر السمين (عبد الرحمن السديس) ..وشيخ الأزهر صاحب الطنطاويات . وأمثالهم في كل بلد إسلامي.!

وأما عن حالة العقيدة الجهادية في التيار الجهادي بعد سبتمبر:

فالحال يبشر بالخير الكثير . ولكن هناك إشكاليات تحتاج للكثير من الجهد والعمل .

أما بشائر الخير؛ فإن العدوان الأمريكي جعل كفة الطروحات الجهادية ترجح . وجعل الجماهير المؤيدة للمقاومة أوسع . وهذا يسهل على دعوة الجهاد قيامها بالحشد.

وأما الإشكالات فعدة أمور:

أولها وأخطرها أن حرب أمريكا على أفغانستان ثم على التيار الجهادي برمته قد كبدت التيار الجهادي خسائر بشرية فادحة قتلاً أو أسراً. فإن معظم الكادر الأساسي منه قد قضى في سبيل الله ، وقد سبقت الإشارة لذلك. ولم يبق من حملة رايته ودعوته ، ومن كتابه ومنظريه خاصة إلا النزر الأقل من القليل. حيث تقع على كاهلها مهمة إحياء دعوة الجهاد . ونشر مبادئ العقيدة الجهادية . وإعادة نشر مناهجها.

كما أن التراث الجهادي المكتوب على قلته بالإضافة للتراث الفكري للصحوة الإسلامية الذي يشكل مرجعاً فكرياً وفقهياً للفكر الجهاد من أمثال مؤلفات سيد قطب رحمه الله .وغيره كمؤلفات أخيه الأستاذ محمد قطب وبعض مؤلفات آخرين مما كتب في الستينات والسبعينات . يتعرض اليوم للهجوم وللمصادرة من المكتبات ووسائل النشر. كما يتعرض للطعن والتشويه .

وكذلك فكر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعلماء المدرسة النجدية ، وما بني عليها من تراث المخلصين من دعاة بلاد الحرمين.. كل ذلك يتعرض اليوم للمصادرة والتغييب . والطعن والتشويه .

بل إن الأمر يذهب بعيداً . فد طال الهجوم اليوم تراث أمثال الإمام ابن تيميه وابن القيم ومدرستهم . وغير ذلك على مستوى كل ما من شأنه إن يوفر مادة للعقيدة الجهادية .

إنهم يطاردون حتى بعض النصوص القرآنية في كتب المدارس الابتدائية. إنهم صرحوا في بعض دراساتهم بأنهم لن يسمحوا بتدريس سورة (قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون..) لأنها تقول في نهايتها (لكم دينكم ولي دين) . وهذا يشجع الإرهاب . كيف ؟! الجواب بسيط : فاليوم ليس هناك إلا دين واحد ، دين بوش الذي يريد أن يفرض نفسه على العالم رباً واحداً أحداً لا يقبل معه شريكا .. و خسئ الكلب .

وعلى الناس القرار : إلا معه أو عليه. هكذا قرر المجرم .

فالعقيدة الجهادية مهددة في التيار الجهادي بغياب روادها من جهة و بتغيب أدبياتها وما يدعمها من المكتبة الإسلامية من جهة أخرى.

وهناك مشكلة ثالثة. وهي أن الفكر الجهادي ، بني على الحاكمية ومبادئ المفاصلة مع كل أركان الجاهلية. من أجل إطلاق تنظيمات جهادية نخبوية تحارب أنظمة.وكان له فقهه وأدبياته .وهو تراث يجب الحفاظ عليه ، ولكن مع الانتباه لأمر هام :

إن معركتنا اليوم مختلفة ، فهي معركة دفع صائل الأعداء الكفار مع أوليائهم بطريقة أممية ومقاومة شعبية إسلامية عالمية. وهذا مجال لم يكتب له إلا القليل و يحتاج اليوم فكره ونظرياته وفقهه وأحكامه وأدبياته.

فمن يقوم بهذا وقد عضت السيوف رجال التيار الجهادي ومضوا إلى ربهم شهداء . وسحبت السلاسل إلى غوانتانامو الأمريكية والكثير من (الغوانتاناموات) في البلاد الأوروبية ، بل والعربية والإسلامية المجاهدين بالآلاف وبعشرات الآلاف !.

إن الثغرة شاغرة.. ونسأل الله أن يقبض لها فرسانها. فمن هنا البداية. يجب طرح عقيدة جهادية تناسب مرحلة المقاومة.

وبعد هذه المقدمات والتوضيحات ندخل في صلب الموضوع.

مقومات العقيدة الجهادية والفكر والمنهج في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

ابتداءً نقول بأن العقيدة هي كل لا يتجزأ. وما هذا التقسيم الدراسي إلا لتسهيل الفهم ، والتميز بين أقسام العقيدة ، وتبيان ترابط تلك الأقسام.

(فالعقيدة الجهادية القتالية) ، هي فرع من كل هو (العقيدة الإسلامية) . والتي تشتمل بإيجاز على كل أركان الإسلام والإيمان . والتسليم بقواعد الشريعة والدين . والطاعة والانقياد لحكم الله ورسوله . وكل ما نشأ عن هذا الانقياد والتسليم . من الإيمان بالقلب، والإقرار باللسان ، والعمل بالجوارح . و ما يتبع ذلك من التصرفات والأفكار والأحاسيس . فكل ذلك من العقيدة . وكذلك ما يترتب عليها من السعي في فعل المأمور. وترك المحظور برضى وتسليم .

ولما هممت أن أقدم للعقيدة الجهادية ، بنبذة عن العقيدة بشمولها . رأيت أن اقتطف مما كتبه الشيخ عبد الله عزام. فإن من منهجي في الكتابة أني إذا توصلت لمفهوم ، أو كتبت شيئا ، ثم رأيت لمن سلف إيجازاً حسناً ، أن استغني عنه به) .

فقد عرَّف **شيخنا وأستاذنا الجليل أبو محمد عبد الله عزام غفر الله له و رحمه الله تعالى رحمة واسعة .** فقال في كتيبه الموجز القيم (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) :

[العقيدة: هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات ، ويوجه السلوك ، ويتوقف على مدى انضباطها وإحكامها كل ما يصدر عن النفس من كلمات أو حركات . بل حتى الخلجات التي تساور القلب ، والمشاعر التي تعمل في جنبات النفس ، والهواجس التي تمر في خيال. هذه كلها تتوقف على هذا الجهاز الحساس.

وباختصار فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات. وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط ....]

ثم قال: [وعلى هذا فإن كل الإنحرافات التي نعانيها في سلوكنا ، أفراداً وجماعات، راجعة بكليتها إلى الإنحراف في التصور العقدي . فالناس في هذه الأيام بحاجة إلى بناء العقيدة من جديد . وإلى تصحيح التصور الإعتقادي . فلا بد من إفراد الله سبحانه وتعالى بالألوهية. ولا بد من أن تستقر عظمة الله عز وجل في الأعماق . وأن يعمر النفوس حبه. ولا مناص من أن تحيا القلوب وهي تستشعر هيبته وجلاله. ويقوم هذا الدين على:

1- حقيقة الألوهية .

2- حقيقة العبودية .

3- الصلة بين العبد وربه .

وهذه أمور ثلاثة لا بد من استقرارها في النفوس:

- معرفة الله وقدره .
- معرفة العبد وحده .
- والصلة بين الخالق والمخلوق .

وعلى هذا فإنه من العبث تتبع فروع الشرع ، وطلبها من شخص لا ترسخ في قلبه حقيقة هذا الدين. ولا تستقر في كيانه عظمة الله التي تهيمن على كل سكنه و نأمة وحركة في هذا الكون . والحق أن الناس غابت عنهم حقيقة هذا الدين العظيم . ومثل كثير منهم - حتى الذين يقيمون الشعائر التعبدية - كمثل الأعمى الذي أمسك بذنب الفيل ، ويحسب أنه أمسك بين يديه جسم الفيل ...].

(ثم قال): [وقد أصبح اليوم لدينا شيئا مألوفا ، أن نرى شخصاً يداوم على العبادات وهو في نفس الوقت يزاول أعمالاً تخرجه من إطار هذا الدين . كالاستهزاء بسنة ثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . أو بفرضية وردت في محكم التنزيل. وهولا يعلم أنه بالاستهزاء إنما يهزأ من أوامر الله ويسخر منها. وهذا الذي اتفق أهل الذكر من هذه الأمة ؛ أنه يعني ردة المستهزئ . وخروجه من الإسلام . ومن هذا القبيل سب الدين ، أو سب الله أو رسوله، فمن فعلها حكم عليه بالردة ...].

(ثم قال): [أعود لأقرر الحقيقة الكبرى . أن ا:لناس لا يعرفون حقيقة هذا الدين ويخلطون بين مناهج متعددة في حياتهم ، قسم ضئيل من منهاج حياتهم من دين الله، وأما معظم المنهاج الذي يوجه حياتهم ، فهو من صنع هواه أو هوى غيره من البشر. ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلاً * أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلا كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً ﴾ . (الفرقان /43-44) .

وعلى هذا فإني أرى أن التركيز على مسائل فرعية من الشريعة بالنسبة للناس أمر غير منطقي ، بل محاولة عابثة لاستنبات البذور في الهواء . ولا يمكن أبداً بتجميع أغصان نضرة مع بعضها في الهواء . أن يتكون منها شجرة ذات جذور ضاربة في أعماق الأرض.

لا بد من سلوك المنهاج الرباني الذي رسمه الله لهذا الخلق. فلابد من زرع البذرة في التربة، ثم تعهدها حتى تستوي قائمة على أصولها. ثم تمتد بفروعها وأفنانها . وهكذا بالنسبة لبقية هذا الدين العظيم، لابد من اقتفاء السبيل الذي رسمه الله لهذا الكائن حتى يحمل هذا الدين . لا بد من بناء الأساس بغرس البذرة في أعماق الأرض . أي غرس العقيدة في أعماق القلب.

والعقيدة هي الأساس المكين الذي ترتكز عليه فروع هـذا الـدين كلـه. ومـن العبـث محاولـة إشادة بناء ضخم بلا أساس . ومن هنا: فإن محاولة تتبع فروع الشريعة بالتفصيل والتعليل ، هـو اشتغال بالمهم عن الأهم. ولا يمكن أن تؤتي المحاولة أكلها التـي نرجـوا، والـثمار التـي نأمـل . ومـن الأولى أن نتبع المنهاج الرباني في بنـاء هـذا الـدين للـنفس البشريـة. وذلـك بترسـيخ العقيـدة أولاً في الأعماق. ثم مطالبة النفس بعدها بأوامر الشريعة كلها. إذ أن المنهاج الرباني في تربيـة الـنفس جـزء من العقيدة ذاتها .

ولا ننسى أن الداعية إلى رب العالمين، لابد أن يتمثل فيه المنهاج الإلهي كاملاً، ولا بـد أن يكـون مصحفاً يمشي على الأرض، يتحرك فيتحرك بحركته القرآن . فالداعية يطالب بالشريعة كاملـة. ولكنـه في الوقت نفسه ، لا يطالب الناس بفروع الشريعة قبل أن يعلمهم هذا الـدين، ويشـد أنظـارهم إلى إطاره الكامل الشامل ، وبعد أن يرسموا في أذهانهم الصـورة الكاملـة . يـدخل معهـم داخـل الإطـار ليعلمهم تفاصيل هذا الدين وتفريعاته . وهكذا قام الإسلام أول مـرة في النفـوس البشريـة، وهكـذا يقوم في كل مرة يحاول فيها بناء هذه النفوس بالإسلام. ولا مناص من اقتفاء هـذا السـبيل ولا مفـر من انتهاجه. فكما أن هذه الأوامر والنواهي فريضة من عند اللـه ، واتباعهـا فـرض لازب في رقابنـا ، فكذلك اقتفاء المنهج الرباني في بناء النفس فرض كذلك . وكل محاولة لإقامة هـذا الـدين بغـير هـذا المنهج الرباني لابد أن تبوء بالفشل . وذلك لأن هذا الدين لا يكون ولن يكون إلا كما أراد اللـه. ولـن يبنى إلا بنفس المنهج الذي رسمه رب العالمين. وكـل مـنهج بشري نسـتعمله لإيصـال حقيقـة هـذا الدين إلى الناس هو فاشل لا محالة. وهو عبث و ملهاة ولعب.

لابد من إتباع المنهج الرباني القيم الذي رسمه رب العالمين. وسلكه سيد البشريـة محمـد صـلى الله عليه وسلم لإيصال دين الله إلى قلوب البشر ـ ولابـد مـن البـدء بالعقيـدة. مـن تعريـف النـاس بإلههم الحق، وبحقيقة وجودهم على هذه الأرض ، والمهمة المنيطة بهم إبان مرورهم بهذه الـدنيا. من المسؤول عنهم؟ أي منهج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله ، مكانـة هـذا الكائن من الكون ، وبعبارة أقصر إقرار جلال الله ورهبته وهمينته في أعماق قلب الإنسان وطريقـة الوصول إلى رضاه.

ومن ثم وفي هذا الوقت ، فإني لا أرى تتبع الجزئيات من هذا الدين في سلوك الناس. كالشرب باليمين، وترك التدخين ، والشرب جالساً، إلى غير ذلك من هذه التفاصيل التي لا تحتملهـا ولا تطيـق الدوام عليها إلا نفوس بنيـت عـلى العقيـدة، وجبلـت بعظمـة الإيمـان . لا بـد أن نبـدأ مـع الـنفس البشرية من حيث هي ، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه. ثم نسير معها صـعدا نعطيها الإيمان جرعة جرعة. نواكبها في نموها ونقيل عثراتها. ونردها من هنـا ونهـذ بهـا مـن هنـاك، حتى تشب قائمة على عمودها ، صلبة لا تهزها الزلازل والأعاصير. وهنـا فقـط نطلـب منهـا كـل مـا

يريده الله منها، فتنفذ وهي راضيه مستسلمة مطمئنة أن الخير كله فيما نفذت . لأن الخير كله منحصر في منهج الله والشر كله الشر في الخروج عن منهاج الله .

﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدىً فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلا يَضِلُّ وَلا يَشْقَى * وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ (طه 124/126) .

وأعود فأذكر أن النفوس التي تقدم الإسلام للناس ، لا مناص لها من أن تكون شريعة تدب على الأرض، وتأخذ بالعزائم . ولا بد لها من أن تكون المرآة الصافية التي تعكس حقيقة هذا الدين أصوله وفروعه، إذ لابد لها من أن يكون لحمها و دمها هو هذا الدين الذي إليه تدعوا، والمنهاج الذي تهتف بالناس أن ينهجوا. ﴿ هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾ (ابراهيم:52) ...] .

(ثم يقول) :

[فالعقيدة تمثل الأساس للبناء، والعمارة الضخمة لابد لها من أساس مكين وقاعدة صلبة حتى يستقر فوقها البناء. وهنا يبرز عامل آخر ينبثق عن هذه الحقيقة، وهي أنه لابد من بناء الأساس قبل الشروع برفع البناء ، و إلا فسينهار البناء كله. لابد من البداية مع أي نفس ندعوها إلى هذا الدين أو نريد تربيتها على أساس الإسلام من الإيمان أولا ، وقبل كل شيء، خاصة في هذا العصر الذي بهت فيه مفهوم العقيدة في نفوس أبناء هذا الجيل المنتسب إلى الإسلام ، لابد من انتهاج نفس الطريق الذي انتهجه رسول الله صلى الله عليه وسلم من تثبيت العقيدة في النفس ثم مطالبتها بالفروع .لابد أن نعرف الناس بربهم وعظمته و هيمنته على الكون، فهو مالك الملك، وهو الذي بيده ملكوت كل شيء. وهو القاهر فوق عباده، وهو الذي إليه يرجع الأمر كله، وهو الخالق الرازق.. لابد من هذه البداية. أما أن نبدأ فنطالبهم بتطبيق فروع الشريعة وهم لم يعرفوا صاحب الخلق والأمر، فهذا عبث ومحاولة لاستنبات البذور في الهواء.] .أهـ انتهى النقل من كلامه رحمه الله تعالى.

والآن وبعد أن أسهبت في النقل لأقدم لموضوع العقيدة الجهادية بهذه الكلمات التي عبر بها شيخنا الشهيد عما أردت التعبير عنه بأفضل بيان يحمل في طياته أنفاس وأسلوب الشهيد المعلم سيد قطب - رحمه الله - الذي تمتلئ كتاباته بهذه المعاني و الاصطلاحات .. وما أريد أن أعقب به هنا.. لربط الفرع بالأصل . أي ربط (العقيدة الجهادية القتالية) التي نحن بصددها في هذا الباب ، بالعقيدة الكلية ، وهي (عقيدة الإسلام) بشمولها وكمالها.

أقول أن هذا الربط بين الأصل والفروع . أدركه العدو في هذا الزمان أكثر من إدراك أكثر أهل الملة الإسلامية له. فقد علم وهو يشرع بالغزو والاحتلال أنه ستكون (مقاومة) ، وهذا بدهي..

وعلم أن أهم جهات المقاومة وأشدها وأعصاها على المواجهة ، هي المقاومة النابعة من (**العقيدة الجهادية القتالية**) لدى المسلمين عامة ، والإسلاميين خاصة، و الجهاديين على وجه الخصوص .

ولأن هذا العدو المعاصر ذكي محترف للعدوان على مر العقود والقرون ، ولأنه يقيم أعماله على الدراسات الاستراتيجية وآراء الأخصائيين ؛ فقد علم هذه المعادلة وفهمها بعمق على بساطتها ، فهما أعجم وللأسف على أكثر المسلمين ، بل حتى على أكثر قواد الصحوة وعلماء هذا الزمان من المسلمين .

وهذه المعادلة التي فهمها العدو هي ببساطة:

(المقاومة هي وليدة عقيدة جهادية ، والعقيدة الجهادية القتالية هي فرع من شجرة العقيدة الإسلامية الشاملة) .

ولذلك يعمل العدو اليوم من أجل أن لا تنضج ثمرة المقاومة ، على أن يجفف غصن العقيدة الجهادية وذلك بقطع جذور العقيدة الشاملة ، كمنهج اعتقاد وعمل وإحساس، كمنهج فكر و حركة لدى أهل ملة الإسلام المعاصرين .

فأعلن بوش و وزير دفاعه ما أسموه (**حرب الأفكار**) و(**الحرب الاستباقية الفكرية**) بعد الحرب الإستباقية العسكرية. وجاءنا بمشاريع (**تغير المناهج**) ، وتعديل أساليب التربية والتعليم ، العام والديني ، وضبط خطاب المساجد وطرق التربية فيها . ثم أتبع ذلك بمشروع لخصه الإستراتيجيون الأمريكان في أكثر من 1000 ورقة ، وعنونوه باسم (مشروع الشرق الأوسط الكبير . والذي يضع قواعد التغيير الشامل في العالمين العربي والإسلامي على كل الصعد ، السياسية والاقتصادية ، والثقافية والدينية ، والتاريخية واللغوية، والاجتماعية و الفنية ... و مكوناتنا الحضارية كأمة ، شعوبا و حكاما ومحكومين .

ومن هنا يجب أن ندرك وهذا ما أشرت إليه بمقدمة هذا الجزء الثاني من الكتاب وكذلك في مقدمة الجزء الأول عن(**محاور المقاومة ومستويات المقاومة**) . وأعيد هنا ما له علاقة بالفقرة وهو قولي :

لابد لكي تحصل المقاومة التي نطمح إليها ، من نموا لعقيدة الجهادية القتالية . ولا يمكن لهذه أن تنبت إلا في نفوس قد امتلأت إيماناً بالمناحي الشاملة للعقيدة الإسلامية . والتي أساسها الانقياد التام لمعني لا إله إلا الله ، بالمفهوم المحدد لمعنى محمد رسول الله . فاستعدت كي تبني منهج حياتها ، بكل التسليم والانقياد و الرضى لمعني هذه الشهادة . مدركة تماماً معني قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ (الأحزاب:36). وقوله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ (النساء:65) . إن على علماء

الأمة وقيادات الصحوة ، أن يعملوا على ترسيخ أسس العقيدة الشاملة الكاملة لدفع المسلمين إلى التمسك بأصول دينهم ، عقيدة وسلوكاً . وإبراز ملامح عقيدتهم الجهادية وإزكائها.

ومن أجل التكامل الذي نشير إليه بين الأصل والفرع ، سأشير إلى مختلف مناحي العقيدة أولا . ثم أركز على الجانب الذي نحن بصدده ، وهو (العقيدة الجهادية القتالية) وما يتعلق بها من مسائل عقدية وسياسية شرعية و مبادئ تربوية أخرى. وسأتناول ذلك بعون الله على الشكل التالي:

(1) - موجز في المناحي العامة للعقيدة الإسلامية لأهل السنة والجماعة.

(2) - المناحي العامة للعقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

(3) - بعض التفصيل في نقاط أساسية من العقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية .

أولا: موجز في الأساسيات والمناحي العامة لعقيدة أهل السنة والجماعة [1]:

جاء في الحديث الشريف الصحيح مما رواه مسلم - رحمه الله – عن عمر رضي الله عنـه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عندما جاءه جبريل عليه السلام يسأله :

(**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله . وتقيم الصلاة . وتـؤتي الزكـاة . وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا**) . قال فأخبرني عن الإيمان . فقال صلى اللـه عليه وسلم : (**أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره**) .قال فأخبرني عن الإحسان . فقال صلى الله عليه وسلم : (**أن تعبد الله كأنك تـراه ، فـإن لم تكـن تراه ، فإنه يراك**).

وقد جمع هذا الحديث خلاصة أركان الإسلام . وأساسيات الإيمان . ومراتب الإحسان والمعرفة.

وقد فصل علماء الإسلام قديماً وحديثاً ، في أبواب علوم العقائد والتوحيد ما يشـفي و يكفـي . واستقرت عقيدة أهل السنة والجماعة على أساسيات ننقل هنا منها ما أختصر به عقيدتي . وهي :

عقيدة أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية بإذن الله:

(1) - فنحن نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله.

(2) - ونؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، واليوم الآخـر والبعـث مـن بعـد المـوت فيـه ، ونـؤمن بالقدر خيره وشره.

(3) - نوحد الله بربوبيته ونؤمن أنه الخالق الرازق المبدئ المعيد مالك الملك لا رب للكون سواه.

(4) - ونوحد الله بألوهيته ونؤمن أنه الإله المعبود حقاً لا معبود سواه جل جلاله.

(5) - ونوحد الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلا . ونؤمن بما وصـف بـه سـبحانه ذاتـه في كتابـه الكريم ، وما جاء على لسان رسوله الأمين ، صـلى اللـه عليـه وسـلم . مـن غير تحريـف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل . فهو سبحانه كـما وصـف نفسـه : " لـيس كمثلـه شيء وهـو السميع البصير".

(6) - ونعتقد مذهب الصحابة ومن جاء بعدهم من السلف الصالح بالإيمـان بأسـماء اللـه تعـالى وصفاته . وهم الذين علموا تلك الأسماء والصفات ، وفوضوا الكيفية والكنـه إلى اللـه عـز و جل . وآمنوا بالله على مراد الله. واعتقدوا أنه سبحانه وتعالى موصوف بهذه الصـفات حقـاً لا مجازاً . على النحو و الكيف الذي يليق بجلال الله تعالى . الذي ليس كمثله شيء . ونؤمن بذلك كما أوجز الإمام مالك رحمه الله تعالى منهج أهل السنة والجماعة والفرقـة الناجيـة ،

---

[1] [اعتمدنا في صياغة هذا الموجز على كتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل للشيخ الشهيد عبد الله عزام ، وكتاب شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ، وكتاب شرح العقيدة الواسطية للإمام ابن تيمية بشرح ابن عثيمين].

عندما قال لما سأله سائل عن معنى استواء الله تعالى على عرشه وكيفيته، فقال : (الاستواء معلوم. و الكيف مجهول. والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة). فنحن نؤمن بأن لله تعالى كما أثبت لنفسه ، يداً وبصراً وسمعاً يليق بجلاله . ليس كأيدينا وأبصارنا . ونؤمن أن الله تعالى ينزل إلى لسماء الدنيا نزولاً يليق بجلاله ، دون معرفتنا لكيف ذلك . وأنه تبارك وتعالى يضحك كما يليق بجلاله . وأنه تبارك وتعالى منزه عن الحدود والغايات والأركان والأعضاء والأدوات. ونؤمن بالعرش والكرسي واستغناء الله عنه. وأنه تعالى محيط بكل شيء وفوقه.

(7) - ونؤمن بأنه تعالى مستوى على عرشه. بائن عن خلقه . فوق السماء السابعة. مع تنزيهه سبحانه وتعالى عن أن يحده زمان أو مكان. ونؤمن أنه مع خلقه بسمعه وبصره وعلمه.

(8) - ونؤمن بالملائكة . وأنهم خلق من خلق الله . موكلون بأعمالهم التي كلفهم الله سبحانه بها . ومنها حفظ البشر وحمايتهم وإحصاء أعمالهم . و نؤمن بما جاء في السنة الثابتة من أعمالهم ، تفصيلاً لما ورد في القرآن . فمنهم الموكل بالوحي . ومنهم الموكل بقبض أرواح البشر. ومنهم الموكل بالقطر. والموكل بالجبال . وهم يحضرون مجالس الذكر ويرفعون الأعمال . ومنهم الحفظة الموجودون مع الإنسان ...

(9) - ونؤمن بكتب الله التي جاء ذكرها في القرآن والسنة الثابتة . فنؤمن بصحف إبراهيم . وبالتوراة المنزلة على موسى، وبالزبور الذي نزل على داوود ، وبالإنجيل الذي نزل على عيسى ، وبالقرآن الذي نزل بخاتمة الرسالات على خاتم الأنبياء نبينا محمد عليه وعلى أنبياء الله أجمعين الصلاة والسلام . مع الإيمان بأمرين هامين:

أ- أن الكتب السابقة للقرآن نزلت من عند الله ثم نالها التحريف والتعديل على أيدي البشر.من الأحبار والرهبان . إلا القرآن الذي حفظه الله تعالى خاتمة الكتب والشرائع . ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ (الحجر:9) .

ب- أن القرآن جاء ناسخاً لما قبله ومهيمناً عليه . وأن شريعة الإسلام جاءت بعقيدة التوحيد . وهي عقيدة جميع الأنبياء . وبالشريعة الخاتمة الناسخة لما قبلها .

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ (المائدة/48) .

﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الأِسْلامِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران85) .

(10) - ونؤمن بأنبياء الله ورسله أجمعين . وأنه لا يصح إيمان من جحد رسالة أحدهم : ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (البقرة:285) .

فنحن نؤمن بهم ونحهم ونصلي عليهم أجمعين.

(11) - ونؤمن باليوم الآخر يوم القيامة. يوم يبعث الله الأولين والآخرين من بعد موتهم للحساب . فيؤول المؤمنون إلى الجنة ، والكافرون إلى النار. ونؤمن بأن الله حرم الجنة على المشركين. وأن عصاة المؤمنين إما يغفر الله لهم برحمته وعفوه . أو يعذبون بذنوبهم ما شاء الله ، ثم يؤولون إلى الجنة برحمة الله.

(12) - ونؤمن بقدر الله خير وشره . ونؤمن بأن الله قد قدر كل شيء، وكتب كل شئ . وأن نفساً لن تموت حتى تستكمل رزقها وأجلها المحتوم المقسوم. ونؤمن بأن الأمة لو اجتمعت ، إنسها وجنها فإنهم لا يضرون أو ينفعون أحداً إلا بما كتب الله ، فقد رفعت الأقلام وجفت الصحف . كما جاءت بذلك نصوص القرآن وصحيح السنة . وأن على المؤمن الرضى بقدر الله خير وشره . وأنه من رضي فله الرضى . ومن سخط فله السخط . كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونؤمن بذلك بأن الله خلقنا وخلق أفعالنا ، مع أن العبد مختار لأفعاله يحاسب عليها. ونؤمن أن الله قادر على كل شيء قدير. فعال لما يريد ، لا يكون شيء في هذا الكون إلا بأمره وقدره . فعقيدتنا - عقيدة أهل السنة والجماعة - وسط بين القدرية الذين أسندوا الأفعال إلى العباد ونفت القدر وجعلت المخلوق خالقا لأفعاله من خير وشر. وبين الجبرية الذين نفوا الاختيار عن العبد وجعلوه مجبرا على فعله خيره وشره قدرا .

(13) – ونعتقد عقيدة سلفنا الصالح ، بأن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح والأركان . وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية .

(14) – ونعتقد في ذنوب المؤمنين ومعاصيهم عقيدة وسطا . فلا نكفر أصحاب المعاصي والكبائر كما فعلت الخوارج، ولا نقول بأنه لايضر مع الإيمان معصية كما قالت المرجئة . ولا نجعل ذلك كما قالت المعتزلة في منزلة بين المنزلتين بين الإيمان والكفر. فنرجوا الرحمة والفضل من الله للمحسن ، ونعتقد أن المسيء من المؤمنين ، مآله إما إلى عفو الله ، وإما إلى عقابه . فإن شاء عذبه بذنبه ، وإن شاء غفر له برحمة الله الغفور الرحيم .

(15) – ونعتقد بفضل الصحابة كلهم ، ولا نغلوا في أحد منهم . ونتولاهم جميعا . ونستغفر لهم ونحبهم ونذكر محاسنهم ونكف عن مساوئهم وما شجر بينهم . ونقر بفضلهم وأنهم

جميعا ثقاة عدول رضي الله عنهم . ونعتقد أن أفضل الصحابة أبا بكر ثم عمر ، ثم عثمان ثم علي. ثم باقي العشرة المبشرين بالجنة (سعد وسعيد وطلحة والزبير وأبا عبيدة وعبد الرحمن بي عوف). ثم أهل بدر ثم بيعة الرضوان ، ثم باقي الصحابة رضي الله عنهم أجمعين . ونحب آل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتولاهم ، ولا نغالي فيهم ونعرف فضلهم وقرابتهم . ونحب أمهات المؤمنين أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم ونتولاهن جميعهن رضي الله عنهن جميعا .

(16) - ولا نكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ، أو يعمل عملاً لا يحتمل إلا الكفر. كمن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة ، أو استحل حراماً مجمعاً على حرمته ، أو حرم حلالاً مجمعاً على حله. أو فعل فعلاً لا يحتمل إلا الكفر. كسب الله تعالى ، أو رسوله صلى الله عليه وسلم ، أو لبس الصليب ، أو إهانة القرآن . ونذهب مذهب أهل السنة والجماعة في كفر من تحققت فيه الشروط وانتفت عنه الموانع . كما جاء تفصيل ذلك عن الأثبات من سلف الأمة وعلمائها الصالحين.

(17) - ونؤمن بكرامات الأولياء . وأن كل المؤمنين أولياء الله . وأقربهم إليه وأكرمهم عنده أتقاهم له ، وأتبعهم للكتاب والسنة . وأنه من حصلت له الكرامة نظرنا في اتباعه للكتاب والسنة . فإن كان عليها كانت كرامة ، و إلا فهي استدراج له من الله تعالى . كما يحصل لبعض السحّار والمشعوذين فتنة لهم ولمن فتن بهم.

(18) - ونؤمن أنه لا يعلم الغيب إلا الله تعالى . الذي أطلع أنبياءه صلوات الله وسلامه عليهم بوحيه على بعض غيبه. ومن أدعى علم الغيب من الإنس والجن فقد افترى على الله الكذب . ولا نأتي كاهناً ولا عرافاً ولا ساحراً. ولا نصدقهم .

(19) - ونؤمن أن أهل الكبائر والذنوب من الموحدين لا يخلدون في النار ما لم يشركوا بالله . وهم في مشيئة الله وحكمة إن شاء غفر لهم برحمته وإن شاء عذبهم بعدله.

(20) - ونعتقد صحة الصلاة خلف كل بر و فاجر من أمراء المسلمين وعامتهم . ونصلي على من مات منهم . ونأكل ذبيحتهم . فنؤمن أنه من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا ، فذلك المسلم ولا نشهد على مسلم بكفر ولا نفاق ولا شرك ، ما لم يظهر منهم قرينة ذلك وندع سرائرهم إلى الله تعالى. ونكره أصحاب البدع ونبر أمن بدعهم و ضلالاتهم .

(21) - ونؤمن بفتنة القبر ونعيمه وعذابه. وببعث الناس للحساب يوم القيامة . ونؤمن بما جاء في القرآن والسنة الثابتة ، من نصب الموازين ونشر الدواوين يوم القيامة. ونؤمن بالصراط الذي ينصب على شفير جهنم ، حيث يمر الناس فوقه بسرعات على قدر إيمانهم وأعمالهم .

ونؤمن بحوض رسول الله صلى الله عليه وسلم و بشفاعته. ونؤمن بأن الجنة والنار حق. موجودتان ولا تفنيان . ونؤمن برؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة لا يضارون في رؤيته.

(22) - ونؤمن بأن القرآن منزل من عند الله كلام الله غير مخلوق منه بدأ وإليه يعود أنزله على عبده و رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، بواسطة أمين وحيد جبريل.

(23) - ونؤمن بأن الاستغاثة بالعبيد والمخلوقات والأموات والقبور، واعتقاد النفع والضر منهم شرك . وأن التوسل بشيء من مخلوقات الله لا يجوز. ونرى أن بناء القبور على غير هدي السنة وبناء القباب عليها ورفع الإعلام واتخاذ المزارات بدعة نهى الشرع عنها . تجب إزالة مظاهرها . بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لم يؤد ذلك لمنكر أكبر منه لدى القدرة على ذلك.

(24) - ونؤمن أن الجهاد ماض إلى يوم القيامة لا يمنعه جور جائر ولا عدل عادل . وهو مع عامة المسلمين وأمرائهم برهم و فاجرهم . وأنه فرض كفاية عموماً إذا قام به البعض سقط عن الآخرين إلا في مواطن ثلاثة حيث يصبح فرض عين :

أ- إذا التقى صف العدو بصف المؤمنين وجب الجهاد و حرم الانصراف.

ب- إذا استنفر الإمام الشرعي الحاكم بما أنزل الله الذي يوالي المؤمنين ويعادي الكافرين ، وجب الاستجابة والنفير للجهاد في سبيل الله معه.

ج- إذا دخل العدو الصائل أرض المسلمين ، أو هددهم في دينهم أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم . وجب الجهاد وصار فرض عين كما هو هذه الأيام.

(25) - ونؤمن أن نصرة المؤمنين واجبة في الدين على ما كان منهم من المعاصي و النقصان في الدين لحق العقيدة وإخوة الإسلام . فإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر. ونؤمن أن المؤمن ولي المؤمن ، وأن الكافرين والمنافقين بعضهم أولياء بعض . فأن من تولى الكفار والمرتدين والمنافقين فهو منهم كما قال تعالى : (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**). وأن مظاهرة الكفار على المسلمين كفر بدين الله . وأن من أقام بين المشركين بغير إكراه ولا ضرورة فقد أثم ، وقد برئ منه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(26) - ونؤمن بأن توحيد الحاكمية جزء أساسي ، وركن ركين من توحيد الألوهية وواجبات العبودية. وأن من شّرع من دون الله بغير ما أنزل الله كفر و ارتد وخرج عن ملة الإسلام . وأن الحكام الحاكمين بغير ما أنزل الله جميعهم ، كما وصفهم تعالى :(فأولئك هم الكافرون) و (الظالمون) و (الفاسقون) . قد اجتمعت لهم كل هذه الصفات و مترتباتها . وهم مرتدون وإن زعموا أنهم مسلمين بسبب تلبسهم بالتشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

(27) - ونؤمن بأن دفع صائل الكفار الذين يغزون بلاد الإسلام ويعتدون على المسلمين، وكذلك المرتدين الذين يشرعون من دون الله ويحكمون المسلمين بغير ما أنزل الله . و دفعهم عن المسلمين اليوم ، فرض عين على كل مسلم . وأن على كل مسلم جهادهم ،لا يكلف الله نفساً إلا وسعها . فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن ، وذلك أضعف الإيمان . وأنه لا عذر لأحد في القعود عن الجهاد ، إلا من عذر الله من أصحاب الأعذار الشرعية كالأعمى والأعرج والمريض ، والذين لا يجدون ما ينفقون ، و المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، إذا انصحوا الله ورسوله ما على المحسنين من سبيل . وكل امرئ حسيب نفسه والله رقيب عليه.

(28) - ونؤمن بكل ما جاء في كتاب الله وصح عن رسول الله جملة وتفصيلاً.

رضينا بالله تعالى رباً وبالإسلام ديناً وبالقرآن إماماً وبسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولا. و أستغفر الله العظيم وأتوب إليه.

وقبل أن أغادر هذه الفقرة التي لحضت فيها خلاصة عقيدة أهل السنة والجماعة. وهي عقيدتي التي أدين الله تعالى بها وله وحده المنة والفضل وأسأله الثبات على ما يرضيه.

أحب أن أنوه إلى مسألة حرجة طالما أرهقت المسلمين في تاريخ الإسلام وهي إحدى الإشكالات الكبيرة التي لها بالغ الأثر على مسألة وحدة المسلمين في وجه أعدائهم ، كما لها بالغ الأثر على مسألة (العقيدة الجهادية القتالية) ، ومبادئها الأساسية التي سنعرض لها لاحقاً إن شاء الله.

هذه المسألة الشائكة هي افتراق أهل السنة والجماعة على مذهبين في بعض مسائل (العقيدة) وعلى رأيين في مسألة (المذاهب الفقهية) وتفصيل ذلك الموجز وخلاصة رأيي فيه أسأل الله الهدى والتوفيق والرشاد لما يرضيه سأورده في الفقرة التالية إن شاء الله .

● من آثار وجود العقيدة الإسلامية حية في قلب المسلم وتطبيقها في واقع الحياة:

هذا موضوع كبير.. كتبت فيه الكتب الكثيرة . و حتى لا يخرج بنا البحث عن غرضه أشير إلى بعض ذلك على سبيل الذكر والإشارة ، لآثار أركان الإسلام والإيمان في نفس وسلوك المسلم .

● فإن المؤمن إذا شهد حقاً وصدقاً أن **لا إله إلا الله و أن محمد رسول الله** . و امتلأ قلبه بها ، وسرت أنوارها في عقله وكيانه . وانعكست على معتقداته وأفكاره وأخلاقه وسلوكه . تحول إنساناً عجيباً في سموه ورقيه . وصار خيراً في ذاته مشعاً للخير على من حوله.

فهو باعتقاده بأن **لا إله إلا الله** ، لا خالق لهذا الكون ولا رب له إلا الله ولا معبود بحق إلا الله . انعكس فهمه لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا عليه. فعلم أن الله هو مالك الملك . وبيده تصريف كل شيء . وأنه لا شيء في هذا الكون ينفع ويضر إلا بإذنه . وأنه الخلاق الرزاق ، المحي المميت ، الحكم العدل ، الغفور الرحيم ، العزيز الجبار المتكبر... وآمن أنه هو وحده الخافض الرافع ، المعز المذل ، القوي القهار القيوم.. الذي لا تأخذه سنة ولا نوم . ولا يغيب عنه مثقال حبة من خردل ، في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس. وأنه له الأمر والخلق . وأنه مطلع مدبر لخلقه سميع بصير.. إلى آخر أنوار أسماء الله الحسنى وصفاته العلا ؛ اطمأنت نفسه وسكنت روحه . ولم يعد يرجوا النفع ويخشى الضر إلا منه وحده . وغدا إنسان عزيزاً كريماً سوياً . لا تستهويه الشهوات ولا يستزله الشيطان . فإذا ما انزلقت قدمه بشيء من ذلك لضعف بشري ، علم أنه له رباً تواباً رحيماً غفوراً فتاب وأناب من قريب . وإذا أحسن في عمله ، علم أن له رباً شكوراً حليماً كريماً فاستزاد وسعى .

وإذا امتلأت روحه بأنوار **محمد رسول الله..** علم أنه رسول الله الأمين . أنزل عليه القرآن من ربه هدىً للناس ورحمة ونوراً.. وأنه الصادق المصدوق ، الذي لا ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحي يوحى .

فإذا حصل له ذلك ؛ امتلأت نفسه إيماناً بكتاب الله ، وسعى يلتمس على هداها خطاه . يحل حلاله و يحرم حرامه، ويهتدي بهداه. ويتخذ من سيد المرسلين محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قدوته وأسوته فيستن بسنته ويقتفي أثره ويتصبر بصبره.. وكفى بها أسوة ونموذجاً رفيعاً ، لنبي أنقذ الله به البشرية و أخرجها من الظلمات إلى النور بإذنه وهداها صراطاً مستقيما.

- وإن المؤمن إذا أقام إلى الصلاة . وحلّق في سبحاتها . وأداها على وجهها . فنهته عن فحشائه ومنكره. وكانت له موعداً متكرراً على مائدة الله خمس مرات في اليوم والليلة ، عدا ما يتنفل به لله سبحانه. خمس مواعيد يقف فيها بين يدي الله ويستشعر عظمته. ويكرر في كل ركعة ؛ فيحمد الله رب العالمين . ويعلم أنه الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين . ويتوجه إليه بالعبادة ويسأله الهداية قائلاً (**إياك نعبد وإياك نستعين**) ، (**اهدنا الصراط المستقيم**).. ويطلب من الله السير على أثر سلفه الصالح وأن يجعله معهم ومنهم راغباً (**صراط الذين أنعمت عليهم**).. سائلاً المولى أن يجنبه دروب أهل الشقاء من المغضوب عليهم والضالين . المغضوب عليهم من الذين عرفوا الحق وهجروه كما كان حال اليهود. والضالين الذين زاغت قلوبهم فلم يهتدوا للحق أصلاً كما هو حال النصارى . فإذا ما استرسل يتلوا آيات الله . وشعت أنوارها في قلبه .وركع وكبّر وهلّل وسبح وحمد. ثم جلس ، فقرأ التحيات لله ، وصلى وسلم على نبيه ، وعلى صحبه الكرام . وأحس بالانتماء إليهم ، والسعي في آثارهم ، والقرب منهم فحياهم ، (**السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين**). ثم وتشهد

بشهادة التوحيد موقنا مؤمنا ثم وصلى على حبيبه سيد الأولين والآخرين وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

فكانت له الصلاة بذلك موعداً متجدداً بين يدي الله . يذكره أن يجد في سلوكه الحسن . و خلقه الطيب . فيستحيي مما اقترف من المعاصي والآثام . ويفرح بما غسلت الصلاة أدرانه .

- وكما الصلاة . فللزكاة آثارها في تزكية النفس ، وطهارة الروح ، وقهر الشح والبخل . والإحساس بالتكافل والتضامن مع عباد الله المحتاجين ، و المسؤولية تجاه رابطة الأخوة في الله معهم .

- وللصيام آياته وآثاره النفسية و البدنية . وانعكاساته على قوة الإرادة وطهارة النفس والروح . وصفاء الذهن والإحساس بأحاسيس الآخرين من الجياع في هذه الدنيا .

- وللحج وآياته ومعانيه آثارها في تكوين المؤمن . يستشعر بها أخوة الإيمان مع هؤلاء الذين جاؤوا من كل فج عميق . من كل جنس ولون . وطرحوا عنهم زينة الدنيا ، ولزموا الزي الواحد البسيط الذي يحمل كل معاني المساواة و الدعة والسلام . ووقفوا بين يدي الرحمن ، في مجمع يذكرهم بيوم الحشر الأكبر . فيكون هذا دافعاً للغرم على بداية طريق الخير من جديد .

- و إن القلب إذا امتلأ بأنوار أركان الإيمان . وعاشت الروح والنفس فيوضها ورحماتها . ملأ الإيمان بالله وأسمائه وصفاته النفس ، و ا نعكس عليها بطيب الأخلاق . وحدا بها إلى سلوك الخوف والرجاء لله وحده . وانخلع بذلك الإنسان عن كل ما سواه. وأوجد له هذا شخصية متوازنة كريمة جادة رحيمة.

- و إن الإيمان بكتب الله و رسالاته وأنبيائه أجمعين صلوات الله وسلامه عليهم.. ومعرفة المسلم لأطراف من سيرتهم ، وعذابهم وعنائهم في سبيل الله ، وصبرهم على إبلاغ دعوة الله ، يجعل المؤمن يحس بالانتماء لهذه الأمة الواحدة . وهذه القافلة المجيدة السائرة قدماً منذ وجود البشر على هذه البسيطة . من آدم إلى نوح ..إلى إبراهيم وموسى وعيسى ، إلى خاتم الأنبياء محمد عليهم جميعا الصلاة والسلام . وما كان بينهم من دعوات ونبوات وأمم مجاهدة صابرة على مر التاريخ..

- وأما الإيمان باليوم الأخر.. فهو نعمة من أكبر نعم الله على المؤمن . تشعر الإنسان بتمام العدل الإلهي . وأن ما تعلق من أمور و مظالم لم يستوفى فيها الحساب والعقاب في الدنيا ، سيتم الفصل والعدل فيها يوم يضع الله فيه الموازين القسط ليوم القيامة. فيملؤه هذا خشية من الله أن يظلم أو يتجاوز أو يخطئ في حق ربه أو في حق نفسه أو في حق الآخرين . كما يملؤه طمعاً في رحمة الله وجزيل عطائه وعدله . فيملؤه هذا رغبة في الاستزادة من الخير، ورجاء الأجر والثواب . فيهم بالعمل عبادة ونسكاً وصلاة وصياماً وزكاة وحجاً ، و جهاداً وأمراً بالمعروف ، ونهياً عن المنكر،

وفعلاً للخير واجتناباً لشر. إن الإيمان باليوم الآخر طمأنينة وسعادة ورحمة تورث السكينة والرضا. وتدفع على البذل والتضحية والعطاء.

- وأما الإيمان بالقضاء والقدر . وأن ما شاء الله كان . وما لم يشأ لم يكن . وأن لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم . وأن الله على كل شيء قدير. وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً.

فالإيمان بالقدر، من عظيم نعم الله على نفس المؤمن . لأنه يورث الرضا و السكينة والتسليم . ويورث القوة والشجاعة. والكرم والثبات . وعدم خشية الناس .وعدم الرغبة إليهم وإلى ما في أيديهم. عندها تنبعث في نفسه أنوار سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والتي جاء في بعضها :

" يا غلام.. احفظ الله يحفظك. احفظ الله تجده تجاهك . إذا سألت فاسأل الله . وإذا استعنت فاستعن بالله. وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك . وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء كتبه الله عليك. رفعت الأقلام. وجفت الصحف ".

أي والله.. رفعت الأقلام وجفت الصحف. ولن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون..

فأي قوة تورثها هذه الأنوار في النفس البشرية الضعيفة . وأي رجاء وأي أمل بالله . وأي انقطاع عن السعي لذلك لدي غيره من الضعفاء المخلوقين.

إن هذه الأركان من عبادات الإسلام وحقائق الإيمان متى شعت أنوارها في كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم . تورث كل خير وتصرف عن كل شر.

والكلام في هذا يطول ،لأن المجال رحب واسع طيب. ونذكر طرفا من ذلك على سبيل الإيجاز:

فإن مما تورثه وبقدْر إيمان المرء بها وقدرته على السعي فيها . تورث الطهارة والنظافة طهارة الروح ، ونظافة الجوارح ظاهرا وباطنا. و تورث الاستعداد للتضحية في سبيل الله ، و في سبيل دفع الضر عن المؤمنين . وتورث السعادة في الحياة..

تورث بر الوالدين . وصلة الأرحام وحب الأسرة. والعطف على الضعفاء. والوفاء للزوج والزوجة، ورحمة الأولاد، والسعي في خيرهم وتربيتهم على مكارم الأخلاق .

تورث الوفاء والإخلاص للأصحاب. وحب الوطن وحب الأمة . وبغض الأعداء والظلمة والمجرمين والمفسدين.

إنها تورث السلوك السوي والخلق الرفيع . وتورث الصبر واليقين . وتورث الرضا والتسليم . وتورث الشجاعة والكرم . وتورث التأسي بالقدوة الحسنة . والسعي لأن يكون المؤمن قدوة لمن حوله ومن بعده . وتورث الإحساس بمعية الله والانتماء لقافلة الخير المختارة وصفوة البشر الذي رضي الله

عنهم ورضوا عنه. وتورث القوة والاستعلاء على الباطل . وتورث السكينة والخشية واللين . والإحسان وحسن الخلق . والحلم والأناة والرفق والرحمة.

كما تورث الذلة على المؤمنين ، والعطف عليهم. وتسم المسلم برقة القلب ودمعة الخشية والرحمة والتوبة.. وتورثه الشدة على الكفر وأهله والغلظة على الكفار والمنافقين . مع طلب الهداية والرحمة لهم والعدل في معاملتهم . والقسط مع الخلق في الرضا والغضب..

وتورث الصدق والعفاف عما في أيدي الناس . وتورث حب الله وحب خلقه وعياله ، والسعي في برهم ونفعهم . و تورث عقيدة الولاء للمؤمنين ، والبراءة من الكافرين .

وتورث حب لقاء الله. وتورث التواضع لخلقه.

و تورث كل مكارم الأخلاق وتبعد المرء عن كل أضداد ذلك من مساوي الخلاق والأفعال والسلوكيات والعادات. والبحث رحب واسع وتكفينا منه الإشارة.

- ثم إن الإيمان بصدق موعود الله ونصرة وتمكينه ومؤازرته لعبادة المؤمنين . ذلك الوعد الحق الذي جاءت به الكثير من نصوص القرآن وثابت السنة.. يعطي اليقين . اليقين بالنصر والظفر في الدنيا والآخرة . وبالتمكين لهذا الدين وبزوغ شمسه لتملأ العالم ، وتصل ما بلغ الليل والنهار ، وبنصر أصحابه وأوليائه يوم القيامة وفوزهم برضوان الله. وهذا اليقين يولد الصبر والعزم على المسار. لأن الصبر ابن اليقين .

- ويأتي الإيمان بحسن أجر العاملين . وبعظم أجر المجاهدين المخلصين . ومصير الشهداء الصابرين المقبلين غير المدبرين . لتجعل من هذا المؤمن الموقن الثابت جبلاً لا تهزه الرياح ، ولا تحركه العواصف وذلك بتثبيت من الله . فهو يعلم أنه إن لاقي ربه شهيداً فإنه حي يرزق في مقعد صدق عند مليك مقتدر. وأنه يسعى إلى رفقة الرفيق الأعلى مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً . فتهون عليه المشاق . ولا تهمة الصعاب . ويمضي واثقاً نحو إحدى الحسنيين إما نصر وإما شهادة.

العقيدة والنماذج :

إن هذه العقيدة لم تكن في تاريخ الإسلام مجرد نصوص جميلة . ومثاليات مسطورة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب العلماء وحسب. لقد تحققت نماذجها على الأرض منذ اللحظة الأولى وتحركت حية على الأرض . فكان سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم ، قدوة في كل شيء . ونموذجاً في كل شيء . وكفى به أسوة وقدوة. ومنذ ذلك اليوم ، ومع الرعيل الأول ، بدأت تتوالي النماذج .

فكانت خديجة رضي الله عنها، ثم أمهات المؤمنين رضي الله عنهن . وكان الصحابة تلاميذ المدرسة المحمدية على صاحبها الصلاة والسلام . فكان نموذج أبي بكر وعمر و عثمان وعلي رضي الله عنهم .

وكانت نماذج أهل بدر والرضوان. وكان المهاجرون والأنصار. ومن مدرسته صلى الله عليه وسلم مدرسة هذه العقيدة ، تخرج الأبطال الفاتحون خالد وأبو عبيدة وعمرو شرحبيل وأسامة بن زيد.. ومن تلك المدرسة تخرج علماء الصحابة معاذ وابن عباس وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب.. رضي الله عنهم وعن صحابة رسول الله أجمعين..

لقد كانت عقيدة و مدرسة ، خرجت نماذج ونجباء رضي الله عنهم من طليعة خير القرون.. ثم كان التابعون.. فكان فهم القادة الفاتحون والعلماء الأفذاذ والدعاة القدوة الذين نشروا هذا الدين وساروا على درب أسلافهم.. ثم جاء تابعوهم بإحسان.. ووصل معهم الإسلام إلى تخوم الصين والسند والهند وخراسان وما وراء النهر شرقاً.. وإلى القفقاس وأسوار القسطنطينية شمالاً وإلى شمال أفريقيا والأندلس وسواحل المحيط الأطلسي غرباً. فكان القادة والعلماء والنماذج الفذة.. وكانت نساء المؤمنين الصابرات المحتسبات اللواتي سرن على خطى أمهات المؤمنين والصحابيات الكريمات الرائدات.. وتتابعت النماذج عبر التاريخ في كل زمان ومكان .

فحيثما التزمت النفوس هذه العقيدة ، فنشأت على أنوارها وسارت على هدي سلفها ؛ رأيت النماذج بازغة ساطعة. و حفل بها التاريخ الإسلامي ، فكان الخلفاء والسلاطين والملوك والأمراء الصالحون من عرب وعجم . فكان عمر بن عبد العزيز، وهارون الرشيد ، و نور الدين زنكي التركماني ، وصلاح الدين الأيوبي الكردي ، ومحمود سبكتكين الغزنوي الخراساني ، وألب أرسلان السلجوقي ، ومحمد الفاتح التركي ..وطارق بن زياد البربري ، ويوسف بن تاشفين المغربي .. وسواهم كثير.

وكان من العلماء أبو حنيفة ومالك والشافعي وأحمد بن حنبل . وسفيان الثوري و الأوزاعي والشعبي ، و سعيد بن جبير وابن المسيب وأبو حازم ، و طاووس ، و محمد بن أسلم الطوسي ، وابن المبارك ، و الجويني ، و أبو حامد الغزالي ...وسواهم وغيرهم كثير رحمهم الله .

وكان الزهاد العباد الفقهاء الأعلام.. فكان الحسن البصري ، وابن أدهم و الجنيد و بشر الحافي ، وحاتم ، و السقطي ، و البسطامي ، و الهروي .. وغيرهم وسواهم كثير.

وكان من النساء الصالحات العابدات ما ازدانت بسيرهم الكتب أيضا.

وقدمت هذه المدرسة نماذج للتجار الأمناء الذين كانوا دعاة لهذا الدين ، فأوصلوه إلى قلب أفريقيا و مجاهلها وجزر البحار البعيدة .. فوصل الإسلام معهم إلى الفيليبين وإندونيسيا ، وجنوب شرق آسيا وسواحل أفريقيا الشرقية كلها.. وهكذا لو رحنا نستقصي قصصهم ونماذجهم وعبرهم لما كفتنا المجلدات .

والحمد لله فقد حفظت المكتبة الإسلامية تراثاً ذاخراً. مـن نمـاذج العلـم والعمـل والجهـاد والخلـق والسلوك والصلاح والاستقامة ما لم تأتي به أمة من الأمم قبلهم ولا بعدهم . ومـا كـان ذلـك إلا أثـراً لتلك العقيدة الشاملة الكاملة الربانية عندما صبغت في حياة الناس.

● من آثار غياب العقيدة الإسلامية عن البشر أو ضعفها في قلوب المسلمين:

أما آثار عدم وجود مثل هذه العقيدة عند بني البشر.. فلك أن تقـرأ سـير الأمـم والحضـارات غير المسلمة وما فعلته من الظلم والاستعباد والقهر والعسف للأمـم والشـعوب ممـن كـانوا تحـت حكم الأكاسرة والأباطرة والفراعين وأشباههم.

ولك أن تقرأ في كتب مؤرخي تلك الأمم في تاريخها وحاضرها إلى اليوم . عن تفسخ مجمعاتهم واعتلالها برذائل الزنا والفجور والخمور والربا والقلق والضياع . ولأن جهـل تـاريخهم جاهـل . فلـن يخطئ البصر بأحوالهم اليوم عاقل . ويكفي التجول في إحصـائيات الجـرائم والأمـراض الاجتماعيـة ، ونسب الطلاق و الانتحار، والقلق والمظالم والحروب. والكوارث التي أحلتها تلك الحضارات الكافرة بشعوبها وبشعوب العالم أجمع قديماً وحديثاً.

بل و حتى العرب أنفسهم هذه الأمة التي صارت بالإسلام بتلـك العقيـدة خـير أمـة أخرجـت للناس. ماذا كان حالها قبل الإسلام ؟ وإلى ماذا صار يوم هجرته بعد أن رفعها إلى قمم المجد ؟!

هل كـان العـرب إلا شراذم متنـاحرة يأكـل قـويهم ضـعيفهم . يعـاقرون الخمـور، ويمارسـون الرذائل و الزنا . ويسجدون للأحجار والمنحوتات . ويئدون البنات ، ويقطعون السبيل و الأرحام .

لا شأن لهم ، ولا وزن لهم بين الأمم . مثل غيرهم من الأمم الكافرة في الضياع بيد أنه لم يكـن لهم ما كان لتلك الأمم من الحضارة والمجد والسلطان والقوة . ثم ولمن أخطأ فهم التاريخ وأحاطـت به الجهالة به. لينظر في واقع الأمة العربية والإسلامية وبعدها عن دين الله ، وما أورثها إياه بعد أن عزت به وسادت وعلت قمم المجد و آفاق العز والحضارة شرقاً وغرباً .

ألسنا اليوم أهون الأمم وأكثرها تخلفاً ؟ أليس حكامنا مثالاً للظلمة الكفـرة الفجـرة الخونـة ؟ أليس أكثر علمائنا الذين اشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، نماذج للأحبار والرهبـان الـذين يـأكلون أمـوال الناس بالباطل ويكتمون ما أنزل الله من البينـات والهـدى ؟ ألـيس كـبراء النـاس وأغنيـاءهم نمـاذج للفساد والرذيلة والإنحلال إلا نادر النادر ممن عصم الله ؟ ألم تنخر في هذه الأمة أمـراض الفجـور و العلل الاجتماعية ، لما سارت وراء الغرب ، واعتلت بأسباب علله فاعتلت مثلما اعتلوا وأكثر.

ذاك الذي أسلفنا قبلا كان نموذج حياة العقيدة. وهذا الحاضر الـذي نعيشـه نمـوذج لغيابهـا. وتكفي الإشارة عن النماذج والتفاصيل والإطالة.

وقبل أن انتقل إلى الفقرة التالية وهي لب الباب (العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة). أشير إلى ملاحظة طالما كررتها في بعض دروسي ومحاضراتي و محاوراتي في أوساط المجاهدين.. ملاحظة طالما أتعبني أن تستولي على واقع التيار الجهادي وما آلت إليه. وهي التي دعتني أن أقدم للعقيدة الجهادية القتالية بالأسس الشاملة العامة لعقيدة الإسلام.. وهذه الملاحظة هي:

لقد لاحظت من طول احتكاكي بالمجاهدين وصحبتي وعضويتي في التيار الجهادي .أنه غلب على المتأخرين منهم ، ولاسيما في تجارب الحشد الركامي ، كما حصل في ساحات الجهاد المفتوحة كأفغانستان وغيرها. حيث لم تعر قياداتها وللأسف أهمية للتربية العقدية الشاملة ولا الجهادية كما أشرت..

لقد سيطر على أكثر المجاهدين الشباب شعور بأن القتال هو الجهاد . وأن الجهاد هو الإسلام !!. وأورثهم الإحساس بأنهم يمارسون شعيرة ذروة سنام الإسلام ، بأنهم في غنى عن باقي ذلك الجسد الكامل المتكامل . لقد ضعفت لدى الكثيرين من المجاهدين أسس العقيدة بتمامها وشمولها التي أشرت إشارة عامة لمناجيها في هذه الفقرة .

وكثيراً ما ضربت المثال لإخواني و أعيده هنا..

لقد أسيء فهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن (**الجهاد ذروة سنام الإسلام**) من قبل كثير من المجاهدين . ويجب أن نعود لتمام الحديث الذي وردت فيه هذه الجملة الشريفة منه صلى الله عليه وسلم ..

[<u>عن معاذ رضي الله عنه قال</u>: **(قلت يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني عن النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من يسره الله تعالى عليه تعبد الله لا تشرك به شيئا وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة الصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار وصلاة الرجل من جوف الليل ثم تلا تتجافى جنوبهم عن المضاجع ... حتى بلغ يعملون . (السجدة) ثم قال ألا أخبرك برأس الأمر و عموده وذروة سنامه قلت بلى يا رسول الله قال رأس الأمر الإسلام و عموده الصلاة وذروة سنامه الجهاد ثم قال ألا أخبرك بملاك ذلك كله قلت بلى يا رسول الله فأخذ بلسانه قال كف عليك هذا قلت يا رسول الله وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به فقال ثكلتك أمك وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم**] رواه الترمذي وقال حديث حسن صحيح.

والحديث أوضح من أن يفسر.

فأصل الأمر الإسلام . كل الإسلام . بأركان الإسلام وأركان الإيمان . و عموده (الصلاة) . بتمام إقامتها وآفاقها . و(لا صلاة لمن لم تنهه صلاته عن فحشائه ومنكره) ، كما قال صلى الله عليه وسلم .ثم الصدقة ، ثم النوافل وقيام الليل ، ثم ذروة سنامه الجهاد في سبيل الله . قمة الجمل فوق

جسده و عموده وما يحمله . ثم جماع ذلك : (حفظ اللسان) . وهذا رمز لحسن الخلق . لأن (اللسان) باب إلى الخير أو إلى الشر.

قلت وأعيد الذكرى هنا : **ذروة سنام** ، فشبه الجسد بالجمل . فهل يستطيع الراحل على الراحلة السفر على مجرد سنام حتى ولو ارتقى ذروته ؟! ؟! وكيف يرتحل على قطعة شحم ، إذا لم يكن السنام مستوياً على جسد متكامل ، قائمً على أعمدة راسخة ؟!.

الأمر بين.. وهنا أصل إلى الخلاصة :

لا جهاد كما أمر الله تعالى بلا عقيدة جهادية قتالية.. ولا عقيدة جهادية قتالية صحيحة سليمة ، ما لم تبنَ على أسس العقيدة الإسلامية الشاملة الكاملة . بطريقة تربوية شاملة كاملة صحيحة .

وهذا ما غاب عن كثير من المكونات التنظيمية للتيار الجهادي ، ولاسيما في أشواطه الأخيرة .

والآن وقد مضى معظم الرعيل الأول من الجهاديين فإننا بأمس الحاجة إلى إعادة البناء الجهادي في المرحلة المقبلة على أسس سليمة . وهو بناء العقيدة الإسلامية بشمولها وكمالها في النفوس وجعلها راسخة قوية. وبناء العقيدة الجهادية القتالية كفرع منها عليها . و إلا فإنها والله الكوارث ما لم تتداركنا رحمة الله .

إن غياب العقيدة الجهادية القتالية عن الأمة سيجعلها قاعدة ، خائرة ، غثاءً . قصعةً تتناهبها الذئاب الضواري والكلاب العوادي من هنا وهناك . بعد أن تداعت الأمم إلى قصعتها ، لأن سوادها الأعظم ، حكاماً ومحكومين ، علماء وجهلاء.. صاروا غثاء كغثاء السيل . قد ضربهم الوهن ؛

(حب الدنيا وكراهية الموت) . ولن تحيا هذه الأمة وتقاوم ، إلا بعقيدة جهادية قتالية يحملها العلماء والدعاة والمشايخ، والكتاب والأدباء ، والمفكرون والمثقفون المسلمون ، ويزرعونها في هذه الأمة التواقة للنهوض . ليقود هؤلاء النخبة مسيرة الشباب على علم وبصيرة ، وبقدوة حسنة .

وإن وجود مقاومة وممارسات جهادية ، أو بالأحرى ثقافة قتالية عسكرية ، وعواطف وردود أفعال نتيجة الكرامة والشرف والنخوة والحماس لدي شباب الأمة ...

إن وجود ثقافة ومبادئ قتالية جهادية ، لم تبن على أسس صحيحة من شمول العقيدة والدين وتمامه، في ظل ظروف القهر والاحتلال ؛ لينذر بكارثة أشد من كوارث القعود عن الجهاد أحيانا ..

إن وجود السلاح في أيدي مقاتلين يضربون العدو ، ويرتكبون في مسارهم أفظع المصائب.، نتيجة الجهل بالعقيدة وغياب التربية المتكاملة . من الممكن أن يعود بالضرر على الأمة والجهاد والمقاومة وكل ما نصبو إليه.

وقد تسير الأمور إلى الهرج والفتن ، واختلاط الحابل والنابل . وقد يسبب حصول الخيانات والتراجعات. والضرب غير الواعي على غير بيان . و قد أمر الله تعالى : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا..**﴾ .

إن الظروف صعبة . والعدو يقظ والصف الإسلامي منخور. وعملاء العدو في كل قطاع . من حكام و علماء ومثقفين وأصحاب الأغراض كثر.. أكثر من أن يشار إليهم .

وإذا دبت الفوضى فستقوم الثارات ، وتقع ردود الأفعال ، ويتعصب الناس ويجرون وراء كل ناعق . ولن تستقيم مع ذلك مقاومة ولا جهاد .

فلا قتال بلا عقيدة جهادية صحيحة ، بنيت على أسس متينة من عقيدة إسلامية شاملة . تثبت اليقين و تضبط الأحكام ، وتحفظ الأخلاق ، أخلاق القتال وأحكام وآداب وشرائعه مع العدو والصديق . إنه دين كامل.. فإما جهاد على أسس دين . وإما قتال هرج وملاحم فتن أعاذنا الله منها .

وهنا تأتي مسؤولية العلماء ، وقادة الصحوة الإسلامية ، بالنزول لساحة قيادة الجهاد والمقاومة . وكل امرئ حسيب نفسه..

اللهم قد بلغنا فاشهد.. اللهم أعنا على البلاغ والدعوة على بصيرة . والعمل على بصيرة . والجهاد على بصيرة . والشهادة في سبيلك على بصيرة.

ورغم حرصي على عدم استطالة أبحاث الكتاب ، آثرت أن أقدم للعقيدة الجهادية بأسس العقيدة الشاملة . فهو الأساس الذي تبني عليه . و بدونها لا تكون . وأرجو أن تكفي اللبيب الإشارة والاختصار. وأن يقيض الله لحملة الأقلام من العلماء العاملين والدعاة الصادقين أن يكفوا الأمة مؤونة البيان وبناء العقيدة وأسس الدين. لنتفرغ لقتال أعداء الله . وليروا منا ومن المجاهدين في سبيل الله بإذن الله ما كانوا يحذرون.. والله الموفق.

● ثانياً: المناحي العامة للعقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية:

سأتناول بعون الله تعالى هذه المناحي في هذه الفقرة على سبيل العناوين والإشارة دون التطرق للأدلة الشرعية على تلك المبادئ السياسية الشرعية أو الفكرية المنهجية أو الجهادية الحركية. وسأختار من بينها بعض الأساسيات الأساسية ، التي يبني عليها ما تبقى ، وأفصل في أدلتها الشرعية وآفاقها في الفقرة التالية إن شاء الله تعالى.

وابتداءً أقول بأن كثيرا من المناحي المنهجية مما يحوي هذا الكتاب بكل فصوله ورسائله، وما سأحاول أن الحق به من رسائل دعوة المقاومة ، إن شاء الله وأعان عليه . هو من العقيدة الجهادية القتالية. سواءً كان عقائد دينية ، أو أحكاماً شرعية ، أو قواعد سياسية شرعية ، أو أفكار

منهجية ،أو معلومات تاريخية ، أو أفكار حركية. أو مواقف سياسية . فكل ذلك منهج تفكير متكامل . ودعوة مترابطة الأركان . وكل ذلك من العقيدة الجهادية القتالية ، التي تكون ثقافة متكاملة ، ومعلومات متعاضدة ، تورث إيماناً وفكراً ومعتقداً ، وخلقاً وسلوكاً ، يوجد المجاهد المقاتل العقائدي ، الذي أرجو وجوده للقيام بأداء مهمة المقاومة وجهاد أعداء الله

فمن العقيدة الجهادية القتالية ، التي إن وسع المجاهد العادي أن يعلمها بعمومها فقط .فإن على كوادر المقاومة وقيادات الجهاد أن تعرفها على وجه التفصيل والفهم .منها ما يلي:

(1)- **يجب أن يدرك المجاهد العقائدي الذي سيتصدى لفعل المقاومة جهاداً في سبيل الله . واقع المسلمين وما وصلوا إليه** ، في كل واقعهم الديني والسياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي . وكل مناحي واقع المسلمين الحاضر، وما يعيشونه تحت ظروف هذا العدوان والغزو الصليبي اليهودي الداهم.. وهذا ما تولاه الفصل الأول في هذا الكتاب.

(2)- **يجب أن يعلم المجاهد أحكام شريعة الله في هذا الواقع** . وعلى رأس ذلك وخلاصته أمران اثنان :

أ- أن الجهاد المسلح والمقاومة المسلحة هي الحل الأوحد لهذه الإشكالات.

ب - أن هذا الحل هو فرض عين عليه تجب عليه ممارسته ما لم يكن من ذوي الأعذار الشرعية كالأعمى والأعرج والمريض والعاجز والمحصور الذي حيل بين وبين هذه الفريضة.

وهذا ما تولاه الفصل الثاني في هذا الكتاب بالإجمال ويأتي تمام ذلك وتفصيله إن شاء الله في الفقرة التالية من هذا الباب بعون الله.

(3)- **يجب أن يدرك المجاهد جذور هذا الصراع الذي نحن فيه، ومسار تاريخه** منذ فجر التاريخ وإلى اليوم على سبيل الإجمال . وذلك من أجل لفهم تاريخ هذا الصراع ، وحقيقته ، وأطرافه إلى أن آل صراعاً بينا نحن المسلمين مع أمريكا وحلفاءها من الروم المعاصرين . كما كان صراعاً بين أجدادنا العظماء ، وأجدادهم من بني الأصفر قدماء الروم وقرونهم المتتالية ، ومراحل ذلك . وكذلك شكل النظام الدولي الحالي وأطرافه، وجذوره والمراحل التاريخية التي أدت إلى وصوله لهذه الصورة .وهذا ما تولاه الفصل الثالث من هذا الكتاب.

(4)- **يجب أن بفهم المجاهد العقائدي على وجه التفصيل تاريخ هذا الصراع مراحله مع الروم وحملاتهم الرئيسية علينا ومعادلات تلك الحملات والأطراف التي اشتبكت فيها .** بعد أن اطلع على وجه الإجمال المسار التاريخي لصراع الحق والباطل ولاسيما منذ انطلاق الإسلام .فيجب أن يعرف كيف كان أداء المسلمين في مراحل النصر والهزيمة في الصراع مع الروم ، من حيث الأسباب . ما أسباب انتصارنا لما انتصرنا وما أسباب هزيمتنا لما انهزمنا . ليصل عبر الفهم الدقيق لسنن الله في

ذلك المسار إلى فهم المعادلة النهائية اليوم وأطرافها. ويستنتج كيفية مواجهة كل طرف منهم ووسائل ذلك. وهذا ما تولى الفصل الرابع تفصيله .

وهذا الفصل من أهم مرتكزات العقيدة الجهادية وأسسها الأساسية . وهو معرفة من نحن ومن أعداؤنا . ومن معنا ومن علينا في هذه المواجهة . و إلا اختلطت الموازين على المجاهد فلم يميز عدوا من صديق . ولم يعرف وسيلة جهاد كل عدو. ومن نجاهد بالسنان من الكفار والمرتدين أعوانهم . ومن نجاهد بالبيان من المنافقين والمنحرفين والضلال وأشياعهم . وكيف يكون ذلك .

(5)- **بعد ذلك يجب على المجاهد العقائدي أن يعرف جذوره التاريخية كمجاهد** يقاوم أعداء الله مطلع القرن الحادي والعشرين . و يقاوم طلائع الحملات الصليبية اليهودية الثالثة التي دفعت إلينا بها الحضارة الغربية النكدة . ويعلم أن له سلفاً أوصلوا إليه راية هذا الجهاد والمقاومة وأن الحلقة الأخيرة . وليست النهائية في سلسلة من حلقات هذه الصحوة الجهادية . التي هي وليدة صحوة إسلامية شاملة يناهز عمرها قرناً من الزمن تقريباً. بصرف النظر عن صواب و خطأ السائرين العاملين المخلصين الذين بذلوا وسعهم واجتهدوا فأخطؤوا وأصابوا.. فيعرف لكل أولئك فضلهم عليه. فيتعامل معهم بقول تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلّاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ (الحشر:10)

هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ليفهم تاريخ تجاربهم وفشلهم نجاحهم وخطئهم وصوابهم. وهذا ما تناوله الفصل الخامس عن مسار الصحوة الإسلامية منذ ثلاثة أرباع قرن من الزمن . فذلك من أهم وجوه ثقافة المقاوم المجاهد العقائدي ولاسيما القيادات والكوادر التي أرجو أن يولد فيها نخبة من المفكرين والكتاب الذين يأطرون وينظرون لهذه المقاومة التي أظنها ستأخذ معنا صدر هذا القرن الحادي والعشرين على الأقل والله أعلم.

(6)- **يجب أن يطلع المجاهد العقائدي على تاريخ التجارب الجهادية المعاصرة** ولو موجزاً ، بعد الإطلاع العام على تاريخ الصحوة ومدارسها. فيعرف أسباب نجاح تلك التجارب الجهادية وفشلها ، كي يقتنع بأسلوب المقاومة الذي توصلنا إليه . ويكون لدي القدرة على التطوير واختيار الأسلوب الذي يناسب مرحلته . ولكي لا يكرر دروس الفشل وأسباب الفشل . ولكي يعرف أنه سائر على طريق سقط فيه عشرات آلاف الشهداء . وعاني فيه عشرات آلاف الأسرى والمعذبين والمشردين. وليعرف قدر من أوصل إليه الراية . وفكرهم وتراثهم ومناهج عملهم وليسير على بصيرة وخبرة. قد تولي الفصل السادس والسابع من هذا الكتاب هذا الأمر و به ختم الجزء الأول .

(7)- **يجب أن يتسلح المجاهد العقائدي بعقيدة الجهادية القتالية الخاصة ومنهج عمله الحركي .**

بعد أن أدرك ما سبق على سبيل المعارف الحركية والتاريخية السياسية الشرعية العامة. وكما أسلفت يجب أن يبنى ذلك على أساس متين من العقيدة الإسلامية بشمولها ، القائمة على أساس أركان

الإسلام والإيمان . ويجب أن يتولى غرس ذلك منهج تربوي متكامل أشرت إلى وجه مناحيه في أول هذا الباب وسيتتولى الباب الثالث .

(8) - يجب أن يفهم المجاهد العقائدي أن صراعه هذا : (<u>ديني الحقيقة</u> . <u>سياسي الطابع</u> . <u>عسكري الوسيلة</u> . <u>أمني الأسلوب</u>.)

وبالتالي فعليه أن يتسلح بعقيدته في هذه المواجهة وهذا سبقت الإشارة إليه. وعليه أن يفهم ويدرك الرابط بين ثوابت أصولية المبادئ . و واقعية الحركة السياسية ومعطياتها.

وهذه مهمة القيادات الجهادية . التي يجب أن تدرك نظريتها السياسية. وتفهمها ما أمكن لمقاتليها. وعلى المقاتلين أن يسلموا لقياداتهم في إدارة هذه اللعبة السياسية المتشابكة لهذه المواجهة . وهي أصعب ميادينها وأكثرها تعتقداً. فإن الغالبية العظمى للانتصارات في هذا العصر تحسم سياسياً . وما الوسائل العسكرية اليوم إلا لتدعيم برامج السياسيات وتدعيم المواقف . فعلى قيادات المقاومة أن تدرك واقع الأمة الضعيف اليوم . وتضع له سياسات من خلال فقه الواقع والضرورات وموازين المصالح والمفاسد.. وهذا ما سيتولى الباب الثاني وضع بعض الخطوط عريضة فيه . ورسم معالم نظريتنا السياسية . بعون الله و هديه إن شاء الله.

(9)- ثم يجب أن يعرف المجاهد دور التربية، وآفاقها المتكاملة، وأساليبها المناسبة، لأشير بأن دعوة المقاومة دعوة للأداء الفردي والجهد الفردي . وسيلعب المجاهد العقائدي الدور الأساسي في بذل الجهد في تربية نفسه ومن معه ، على هذه المناهج والمعارف والعلوم الشرعية والسياسية والعسكرية والأمنية الحركية.

إن الموجه يستطيع أن يوجه المجاهد إلى النسك والعبادة والقرآن والذكر وقيام الليل و يضع له المنهج التربوي . ولكن على المجاهد الإشراف على تزكية نفسه وبذل الجهد. إذ يستطيع المرشد أن يرشده للمراجع والكتب وييسر له تناول الأبحاث . ولكن عليه أن يطلع ويتعلم بنفسه .

كما يستطيع المدرب أن يعده ويدربه ، ولكن عليه أن يطور إمكانيات القتالية بنفسه .

ويستطيع الكتاب أن يرشده للجهاد و يحبب إليه الشهادة و يذكره بما أعداء الله له. ولكن عليه أن يتقدم ويعمل متوكلا على الله .

إن دعوة المقاومة دعوة تعلم الفرد المجاهد المسؤولية الأولى عن نفسه وعمن معه وعن الأمة بكاملها ..

وستتولى باقي الفصول مساعدته على ذلك والله الموفق .

وهنا أنتقل إلى تحديد المحاور الأساسية في العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية . وألخصها في نقاط موجزة:

العقيدة الجهادية

و

﴿ دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ﴾

يرتكز دستور دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ، وينطلق من أساسيات العقيدة الإسلامية ، وأحكام السياسة الشرعية ، المنطلقة من خلال فهم الواقع السياسي الحاضر للأمة ، ومن خلال قاعدة درء المفاسد واستجلاب المصالح ، وفقه الضرورات ، واعتبار الأولويات . وأخذ المترتبات بعين الاعتبار . بناء على فهم دقيق لواقع المسلمين وواقع العالم من حولهم.

وسنورد هنا مختصراً عن أسس العقيدة الجهادية القتالية لدعوة المقاومة حيث ستشتمل الفقرة التالية على التفصيل والأدلة الشرعية لأهم هذه لأسس إن شاء الله.

- **المادة 1:**

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ليست حزباً، ولا تنظيماً ، ولا جماعة محدودة محددة . فهي دعوة مفتوحة . هدفها هو دفع صائل القوى الاستعمارية الصليبية الصهيونية الهاجمة على الإسلام والمسلمين. و يمكن لأي تنظيم أو جماعة أو فرد اقتنع بمنهجها وأهدافها و طريقتها ، الدخول فيها . بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر .

- **المادة 2:**

عقيدة دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. هي عقيدة أهل السنة والجماعة بكافة مدارسهم ومذاهبهم الفقهية. وهي دعوة للتعاون مع كل المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. ويعتبرون أن القرآن كتابهم والكعبة قبلتهم . وأمة الإسلام أمتهم .

فهي **تجاهد مع أهل السنة . وتتعاون مع أهل القبلة . وتستعين بكل مخلص في نصرته للمسلمين** في دفع هذا العدو الصائل عليهم . من خلال ضوابط السياسة الشرعية .

- **المادة 3:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية بمشروعية الجهاد مع كل بر و فاجر من أمراء المسلمين وعامتهم ، من أجل دفع صائل الكفار على المسلمين وهذا من أسس العقيدة عند أهل السنة الجماعة.

- **المادة 4:**

تعتقد دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الحملات الصليبية الصهيونية الهاجمة على المسلمين تتكون من تحالف يضم المكونات التالية:

(1) - اليهود و قوى الصهيونية العالمية و زعمتها إسرائيل.

(2) - قوى الصليبية الدولية. و زعيمتها أمريكا . ثم روسيا ودول حلف الناتو ومن تحالف معهم من الدول الصليبية.

(3) - قوى الردة، وعلى رأسها الحكام والأنظمة القائمة في العالم العربي والإسلامي.

(4) - المنافقين: وعلى رأسهم المؤسسات الدينية الرسمية وعلماء السلطان . ومن تبعهم من فقهاء النفاق . وأجهزة الإعلام والأوساط الثقافية الداعمة للأعداء في حملتهم على المسلمين.

وأن مختصر ومعادلة الصراع اليوم هو:

اليهود والصهيونية وزعيمتها إسرائيل + الصليبية العالمية بقيادة أمريكا و بريطانيا و دول الناتو وروسيا + الأنظمة المرتدة و قوى العلمانية المحاربة للإسلام + المنافقون من علماء السلطان وأصحاب الفكر المحارب للإسلام. × قوى المقاومة المسلحة المجاهدة .

المادة 5:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهاد هذا الحلف الدولي من اليهود والصليبين والمرتدين والمنافقين . **فرض عين على كل مسلم** يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله . يثاب بأدائه ويأثم بتركه.

المادة 6:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الجهاد المسلح والقتال (**جهاد السنان**) الوسيلة الأساسية لمواجهة الأطراف الثلاثة الأولى من الحلف (اليهود والصليبيون والمرتدون) ومن قاتل معهم

. وتعتبر أن (**جهاد البيان**) والحجة والكلمة هو وسيلة مواجهة قوى النفاق مـن علـماء الاسـتعمار وفقهاء السلاطين ووسائل إعلامهم.

المادة 7:

تتخذ دعوة المقاومة الإسلامية العالمية من قول الله تعالى: ﴿ **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين** ﴾

شعارا لها . وتعتبر أن مقاتلة الغزاة وحلفائهم والدعوة إلى ذلك فريضة في عنق كل مسلم . وتعتبر مبدأ ثابتا في حركتها وهو أن :

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هي معركة الأمة المسلمة وليست صراع النخبة المجاهدة فقط.

المادة 8:

تعتبر دعوة المقاومة كافة أشكال تواجد أمريكا وحلفائها المحاربين لنا ، في كافة بلاد المسلمين اليوم أهداف مشروعة للجهاد . سواءً كانت تواجدا عسكرياً أو دبلوماسيا أو اقتصادياً أو أمنياً أو ثقافياً أو مدنياً أو بأي شكل كان . وتطالبهم بالمغادرة وتنذر من بقي القتل والتصفية .

المادة 9:

تعتبر دعوتنا كافة حكام بلاد المسلمين ،الذين يوالون أعداء المسلمين من الأمريكان وحلفائهم من اليهود والصليبين . ويحكمون بلاد المسلمين بغير ما أنزل الله . ويشرعون لهم أحكاماً من دون الله . تعتبرهم كفارا مرتدين قد سقطت ولايتهم الشرعية . قال تعالى: [(ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم) (الكافرون) (الظالمون) (الفاسقون) ولم يعد لهم حظ من قوله تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله وأولي الأمر منكم**) . فقد أمرنا الله تعالى بطاعة أولي الأمر (**منكم**) وهؤلاء ما عادوا (**منا**) . بل صاروا (**من أعدائنا**) وقد بين تعالى ذلك فقال : (**ومن يتولهم منكم فإنه منهم**) قال كافة أهل التفسير و أثبات العلماء. قالوا : (**منهم**) أي: [**كفار مثلهم**] ..

وكما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:

[دعانا رسول صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال صلى الله عليه وسلم (**إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)**] رواه مسلم. وهل أشد بواحاً في الكفر من

موالاة الأعداء . ومظاهرتهم على المسلمين . وتمكينهم من ثغور المسلمين . وإمدادهم بالعدد المدد لقتال الإخوة قي الدين ؟! .

وهل أظهر في الخروج من ملة الإسلام من حكم المسلمين بشرائع الكفار، و تبديل أديان الأمة ومناهجها وكل مقوماتها طاعةً لهم . وقول الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واضح في حكم خلعهم ، والخروج عليهم . بل وقتلهم كما أمر صلى الله عليه وسلم : (**من بدل دينه فاقتلوه**) . وهو ماسنسعى إليه بعون الله .

المادة 10:

تسقط دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ، مشروعية أي عهد أو أمان أو معاهدة أو ذمة قدمها حكام بلاد المسلمين للكفار . وذلك بسبب ردتهم عن ملة الإسلام وسقوط ولايتهم . ولأنهم أولياء لهم ومناصرون لهم على المسلمين . فلا شرعية لهم ولا لعهودهم وأمانهم ومعاهداتهم . إلى أن يقوم أئمة شرعيون . يؤمنونهم وفق مواثيق ومعاهدات شرعية وعلاقات متبادلة في إطار شريعتنا الإسلامية.

المادة 11:

كل من ظاهر أعداء المسلمين الغزاة من الأمريكان وحلفائهم على المسلمين . فقاتل معهم وأعانهم على المسلمين بقتال أو دلالة أو مساعدة أو مشورة أو رأي ينصرهم به على المسلمين فهو مرتد كافر خارج من ملة الإسلام ، يجب قتاله أو يعود عن ذلك ويتوب إلى الله منه.

وما دام في فعله فله كل أحكام المرتدين من انفساخ عقد زواجه ، وانقطاع الميراث بينه وبين ذويه من المسلمين . وعدم الصلاة عليه ، وعدم دفن في مقابر المسلمين... وكل ما فصله فقهاء من أحكام المرتد . وحكم قتال هؤلاء بين الوجوب والجواز . وأما ممارسة ذلك فخاضع لقواعد المصالح والمفاسد. وليعلم كل مسلم أنه يرتد بهذا الفعل سواء قاتله المجاهدون أم تركوه.

المادة 12:

كل من ظاهر الحكام المرتدين وقاتل المسلمين والمجاهدين معهم ، من جنودهم و شرطتهم ورجال أمنهم وأعوانهم الذين يدافعون عنهم ويأتمرون بأمرهم في قتل المجاهدين و مطاردتهم ، لا نحكم بكفر كل أحد منهم عيناً . و يقاتلون على أنهم طائفة ردة عامة بصرف النظر عن جاهلهم ومكرههم و متأولهم . لاسيما وقد أدرك القاصي والداني والعالم والجاهل ، وقوف أولئك الحكام في خندق أمريكا وحلفائها ومحاربتهم لشباب المسلمين المجاهد تحت رايتها و أمرها.

المادة 13:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية. **دعوة جهاد للغزاة المستعمرين وأعوانهم . وليست دعوة تكفير للمسلمين.** فكل من شهد (أن لا إله إلا الله محمد رسول الله) فقد عصم دمه وماله إلا بحقها وحسابه على الله. وليس من مهام دعوة المقاومة التصدي لأعيان المسلمين من الضُلال والمنحرفين وتكفيرهم و تبديعهم وتفسيقهم .فهذه مهمة من تأهل لذلك وانصرف لها من الدعاة والعلماء . وليست من أعمال المقاومة المتجهة لحرب الصائل.

المادة 14:

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية استراتيجية قتال جنود الإحتلال وكافة أشكال تواجد الدول المحاربة للمسلمين ومصالحهم في بلاد المسلمين هجوماً ودفاعاً وبكل أشكال المقاومة المسلحة.

في حين تتبنى استراتيجية قتال رجال أمن حكومات بلاد المسلمين وجنودها وأعوانها دفاعاً عن النفس فقط. رغم حلّة قتالهم هجوما ، وبكل وسيلة مشروعة دفعاً وطلباً. وذلك من أجل مصالح لا تخفى وتهدف إلى توحيد صف الأمة في وجه الغزاة الكفار ، والرفق مع جميع أبنائها ، حتى يتبين لهم الحق ، ولكي يفيؤوا إلى صف أمتهم و يقاوموا عدوها . ومن أجل سد باب الفتن والاحتراب الداخلي دون طائل . ولقطع الطريق على من يقيم الحواجز بين المجاهدين وعامة الأمة من دعاة الضلالة وأجهزة إعلام الطواغيت.

ولذلك تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية قوى الجهاد والمقاومة إلى تحاشي قصد رجال الجيش والشرطة وقوى الأمن في بلادنا بالقتل . والاقتصار في ذلك على عملية الدفاع عن النفس.. وتدعوهم لعدم قتل أسراهم وجرحاهم . والإحسان إليهم ودعوتهم بالحسنى للانضمام إلى صفوف الأمة في قتال أعدائها... كما تدعوا رجال الأمن والجيش والشرطة إلى عدم طاعة قياداتهم في العدوان على المسلمين ومناصرة أعداء المسلمين من الكفار وتدعوهم إلى قتال أعدائهم الكفار ورؤسائهم من كبار المرتدين وليس إلى المسلمين الأبرياء..

وهذا اجتهاد خاص بدعوتنا بناءً على قواعد استجلاب المصالح ودفع المفاسد ، واستفادة من تجاربنا الماضية . وهذا من المبادئ الحركية الأساسية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية بعد مبدأ جهاد المحتلين الغزاة بالسلاح ومقاومتهم بكل وسيلة مشروعة ممكنة بكافة أشكالهم .

(أما أولئك الجنود العاملون مع قوات الإحتلال الكافرة ، مثل الجيش والشرطة في العراق وما شابهها، كالمحاربين للمسلمين في جيش الهند في كشمير . .. فهؤلاء مرتدون يقاتلون قتال المحتلين .)

المادة 15:

تتبنى دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبدأ دفع الصائل على الدين والـنفس والعـرض والمـال. ولو كان مسلماً لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح :(**من قتـل دون مالـه فهـو شـهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون أهلـه فهـو شـهيد**) رواه أحمد وأبو داود. وروى عنه صلى الله عليه وسلم: (**من قتـل دون مظلمتـه فهـو شـهيد**) رواه النسائي. وبهذا فهي تـدعو المجاهـدين والمقـاومين إلى عـدم تسـليم أنفسـهم إلى مـن قصـدهم مـن عساكر الطواغيت وعملاء الإستعمار بالقتـال والأذى . بـل تـدعوهم إلى قتـالهم وقـتلهم دفاعـاً عـن النفس . والتزام سياسة الدفاع هذه دو ن التحول إلى جهادهم هجوماً كما أشرنا إلى ذلك آنفاً.

المادة 16:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل حكومة يقيمها الاستعمار وقوى الاحتلال [من قبيل ما حصل في العراق (مثل مجلس الحكم) أو (الحكومة المعينة)] . تعتبرها حكومة احتلال باطلة يجب جهادها وإسقاطها . وأقل ما يجب نحوها ، اعتقاد عدم مشروعيتها ، وعدم التعاون معها. ولا تقبل أي اعتذارات في ذلك من قبيل ما يزعم من مصلحة البلاد والعباد وتسيير أمور الناس. وتعتبرها أعذارا باطلة شرعاً ، ومرفوضة عقلاً. فلا يأتي الإستعمار إلا بالشر ولا يرضى إلا عمن تبعوا ملته كما قال تعالى :

﴿ **وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ** ﴾ (البقرة: 120)

المادة 17:

لما كانت دعوة المقاومة الإسلامية العالمية تعتقد كفر الحكام الحـاكمين بغـير مـا أنـزل اللـه ، الموالين لأعداء المسلمين وردتهم . مثل جميع الحكام القـائمين في بـلاد المسـلمين اليـوم. فإنهـا تعتـبر الانتساب إلى مؤسسات حكومتهم وسلطاتها الثلاثة:

- التنفيذية : الحكومة والوزارات.
- التشريعية : البرلمان أو مجلس الشعب أو مجلس الشورى.
- القضائية : المحاكم الحاكمة بغير ما أنزل الله.

عملا محرما ، وفعلا من أفعال الكفر، يأثم صاحبه على الأقل أو يكفر. وذلك بحسب مسؤوليته وجرمه ، ونصيبه من العذر والتأويل . وسيأتي بيان ذلك في الشرح ، في الفقرة التالية إن

شاء الله . وتدعوا كافة المسلمين عامة ، والعلماء والإسلاميين خاصة . إلى اجتناب الطاغوت من أجهزة المستعمرين والمرتدين. وتدعوهم أن لا يفتنوا المسلمين بوجودهم في تلك الأجهزة الطاغوتية

المادة 18:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية مبادئ الديمقراطية كفراً بالله تعالى . ومعتقداً مناقضاً لمقتضيات شهادة أن لا إله إلا الله . وتعتبر الدعوة إليها وممارستها عملاً من أعمال الكفر. يأثم صاحبه . إنما قد يصل إلى خروجه من ملة الإسلام . وذلك بحسب طبيعة اعتقاده بها . ونوع ممارسته لها . ونصيبه من أعذار الجهل أو التأول .

وهي تدعوا كافة الإسلاميين إلى عدم السعي إلى المشاركة فيها و الدعوة إليها . سواءً بالتعاون مع سلطات الإحتلال ، أو سلطات الحكام المرتدين . كما تدعوا المسلمين إلى عدم المشاركة فيها ، ومقاطعتها وعدم التصويت من خلالها لمصلح أو لمفسد . وتدعوا الإسلاميين و دعاة الإصلاح إلى النشاط من خلال المؤسسات الأهلية غير الحكومية . ومنظمات المجتمع المدني . في مختلف وجوه النشاط السياسي والاجتماعي و الثقافي وغيره . مما يهدفون إليه من الإصلاح . ومن غير الوقوع بالدناسة بدخول أجهزة الكفر . والغرض من ذلك اجتناب الطاغوت . وعزل شريحة الفساد و العمالة ، اجتماعياً وسياسياً وعلى كل صعيد.

المادة 19:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية جهود كل المخلصين في الصحوة الإسلامية ؛ الدعوية والإصلاحية والعلمية والدينية ... وغيرها . من الممارسات المشروعة شرعا ، والتي تقوم بها كافة مدارس الصحوة من الدعوة والتبليغ ، والسلفية ، والإخوان المسلمين ، وحزب التحرير... وغير ذلك من مدارس الصحوة الإسلامية . وكذلك جهود العلماء والدعاة والمصلحين المستقلين . على امتداد ومساحة طيف الصحوة . جهوداً مشكورة لحفظ دين المسلمين ، وإصلاح أحوالهم . وتدعوهم جميعاً إلى التعاون على البر والتقوى ودعم المقاومة . وتعتبر جهودهم في الدعوة لدين الله دعماً وتقوية لجذور المقاومة في الأمة ، وحفظاً لمكوناتها . وتدعوا الجميع إلى تجاوز نقاط الخلاف في هذه المرحلة التي يتعرض فيها وجود المسلمين كله إلى الخطر على كافة الصعد الحضارية.

وتعيد التذكير بقناعتها ، بأن مجاهدة القوى الصليبية واليهودية ومن والاها وأعانها وقاتل معها بالجهاد المسلح ، فريضة شرعية متعينة على كل مسلم قادر من غير ذوي الأعذار الشرعية ، لا يسقط عنه فرض العين هذا ما يقوم به من أعمال البر والخير ، مثلما لا تغني الزكاة عن الصلاة .

المادة 20:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم يقول (لا إله إلا الله محمد رسول الله) على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم ، ضمن دائرة الإسلام العامة التي دعاها الفقهاء (أهل القبلة) . وتعتبر الخلافات العقدية والمذهبية والطائفية مردها لأهل العلم للفصل فيها. وأن مجالات ذلك هي الحوار بالحق ، والبيان بالحكمة والموعظة الحسنة . كما قال تعالى : (فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله وإلى الرسول) . وتنهى عن الفتن والاقتتال بين المسلمين . وتدعوا كل المسلمين من أهل القبلة ؛ مذاهب وجماعات وأفراد . إلى التعاون على دفع الصائل و جهاد العدو الكافر الذي يدهم بلاد المسلمين. وتدعوا الجميع إلى نبذ دواعي الاحتراب الداخلي . الذي لا يستفيد منه في مثل هذه الأحوال إلا العدو الكافر الغازي لبلاد المسلمين.

المادة 21:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مبادئ المذاهب العلمانية من شيوعية و اشتراكية وديمقراطية وقومية ... وغير ذلك من أوجه الإنتماء الفكري والعقدي لغير ملة الإسلام وهوية الإسلام ؛ تعتبرها دعوات كفر وضلالة ، كلاً بحسبها وفق موازين الشريعة . ولكنها تعتبر أن أكثر أتباع هذه المذاهب من أبناء هذه الأمة هم من المسلمين الجهلة بدينهم المغرر بهم فكريا ، تبعاً لظروف التغريب الفكري والغزو الحضاري ، الذي تعرضت له الأمة . وكثير منهم يكن العاطفة لهذا الدين ، ويشعر بالاحترام لمكوناته ، كما يكن عداءً لقوى الاستعمار، وإرادة عالية لمقاومة الغزو الخارجي . و تدعو دعوتنا كافة مدارس الصحوة الإسلامية ، وشرائح المقاومة الإسلامية المختلفة ، إلى حسن الحوار والدعوة في أوساط هذه الشرائح. كما تدعو كافة القوى القومية والوطنية وكل الشرفاء في هذه الأمة إلى دراسة دينهم وفهمه على حقيقته. التعاون على جهاد القوى الغازية الكافرة ومن يتعاون معها . والالتفاف جميعاً تحت شعار الإسلام للدفاع عن المسلمين ودينهم وحضارتهم.

المادة 22:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كل مسلم قال (**لا إله إلا الله محمد رسول**) ، معصوم الدم والمال إلا بحقها وحسابه على الله . وتعتبر دم المسلم من أقدس المقدسات . وحفظه من أعظم الفرائض والأوامر التي شددت فيها الشريعة الإسلامية.

وتعتبر أن ما جاء في خطبة الوداع من قوله صلى الله عليه وسلم : (**فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد**

الغائب) . دستوراً إلهياً ونصاً نبوياً قطعياً، يدعوا كل مسلم عامة ، وكل مجاهد خاصة إلى حفظ دم وعرض ومال كل مسلم .

وتدعوا كل مجاهد في سبيل الله يبذل جهده ونفسه وماله في سبيل الله ويجاهد الكفار الغزاة من قوى الصليبية والصهيونية بحلفائها. إلى قول الله تعالى :

﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا** ﴾ (النساء: 94) . وتدعوهم أن يتحاشوا أذى كل مسلم .وليتقوا الله ويتأملوا قوله صلى الله عليه وسلم : (من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات مات ميتة جاهلية. ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبية ويدعو لعصبية أو ينصر عصبية فقتل فقتلته جاهلية. **ومن خرج على أمتي يضرب برها و فاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده فليس مني ولست منه.**) رواه مسلم .

المادة 23:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الطوائف الدينية من غير المسلمين من المواطنين في بلادنا كالمسيحيين وغيرهم . مواطنين كفلت الشريعة الإسلامية احترام حقوق مواطنتهم وسكنهم بين المسلمين في إطار قواعد شرعية معروفة مفصلة ، يُتعامل بها معهم عندما يحكم شرع الله . وينصب الإمام المسلم .

أما الآن فلا تعتبرهم دعوة المقاومة الإسلامية العالمية هدفاً للجهاد ، ما لم يتعاونوا مع الغزاة . وإنما الجهاد للقوى الغازية من القوى الصليبية الصهيونية ومن يتحالف معها.

حتى ولو ادعى الإسلام . وتدعو دعوة المقاومة تلك الطوائف من المواطنين الأصليين إلى التعبير عن رفضهم للاستعمار والقوى الغازية ، و دعوة أبناءها لعدم التعاون معهم . كما تدعوا المجاهدين إلى عدم فتح معارك جانبية في مثل هذه المسائل التي تحول دون التركيز على المنحي العام للمقاومة ودفع الصائل .

المادة 24:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية ساحة الجهاد الأساسية ضد أمريكا و حلفائها من الصليبيين والصهاينة هي بلاد المسلمين . التي يحتلها هؤلاء المستعمرون الغزاة بشكل مباشر أو غير مباشر . وفيها تتمركز قواتهم وقواعدهم العسكرية ، أو منها تعبر برا وبحرا وجوا . وفيها تتم عمليات النهب و الاستعمار الاقتصادي. وفيها تنتشر مختلف المؤسسات الاستعمارية المختلفة من أمنية وسياسية وثقافية.. وغير ذلك. وهي الأهداف الاستعمارية التي يجب أن يستهدفها المجاهدون في طول العالم الإسلامي وعرضه .

المادة 25:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن حربها أساسا هي مع حكومات البلاد التي دخلت في حلف العدوان الصليبي اليهودي الذي تقوده أمريكا . وتعتبر كل دولة تشاركهم في المجهود الحربي وتعينهم على المسلمين هدفاً للمقاومة . وفي مقدمتها حلف الناتو الذين يرتبطون بالتزامات دفاعية معها . وكذلك ضد كل دولة تعتدي على المسلمين في أي بلد أو مكان . وأما البلاد الكافرة التي لم تتورط في العدوان على الإسلام والمسلمين ، فهي ليست مجال حرب وقصد من قوى المقاومة الإسلامية العالمية .

المادة 26:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية حربها مع حكومات الدول المحاربة أساسا وليس مع شعوبها. وهي إذ تعتبر بلاد المسلمين ساحة الجهاد والدفاع الأساسية ، تدعوا المجاهدين إلى ممارسة الجهاد ضد الحكومات والدول الاستعمارية الغازية وحلفاءها في بلادها بضوابط سياسية شرعية تقتضيها أصول الشريعة، وأحكام الجهاد ، وبناءً على نتائج مترتبات الأعمال من المصالح والمفاسد على الإسلام المسلمين . ومن تلك الضوابط:

(1)- عدم ممارسة القتال والاستهداف العام في بلاد الدول المحاربة إلا في حدود الردع والمعاملة بالمثل . وليس (هدفاً أساسياً وساحة قتال رئيسية) فساحة الجهاد الأساسية هي الدفع في بلاد المسلمين .

(2)- تحاشى قتل نساء وأطفال الكفار، وكذلك من جاءت نصوص الشريعة بتحاشي قصدهم بالقتل . مثل الرهبان ، ودور العبادة ، وتحاشى قتل غير المحاربين من المدنيين إذا انفردوا ما أمكن.

والتركيز في حال عمليات الردع و المعاملة بالمثل في بلادهم على الأهداف العسكرية والسياسية والاقتصادية . مع مراعاة تحاشى من تقدم الإشارة إلى تحاشيهم ما أمكن .

المادة 27:

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إلى تركيز جهد المجاهدين والتنظيمات الجهادية وقوى المقاومة لمواجهة الصائل العدوان الخارجي . وعدم فتح مواجهات مع أنظمة الردة والعمالة القائمة في بلاد المسلمين في ثورات شاملة وفق التصورات القديمة للتيار الجهادي . رغم قناعتنا بردتهم . و الاقتصار على استهداف كبار المرتدين من أئمة الكفر لتعاونهم مع قوى الإحتلال والغزو الخارجي .

والغرض من ذلك جمع الجهود على دحر العدو الصائل ، الذي ستنهار بعد النصر عليه بإذن الله كافة القوى العميلة التابعة له في بلادنا إن شاء الله.

المادة 28:

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين والمقاومين إلى عدم الانشغال في التصدي بالقتال لمظاهر الفساد والفسوق والعصيان والبدع ومظاهر الإنحراف الدينية ... إلخ ، في أوساط المسلمين بأعمال جهادية.. فهذه مظاهر لداء حكم الطاغوت الذي تفرضه وتثبته قوى الكفر الغازية الخارجية الصائلة. والانتباه لأمور ثلاثة هامة :

(1)- حرمة دم المسلم ولو كان فاسقاً عاصياً مهما تلبس به من ذلك ما لم يكفر.

(2) - أن تنفيذ الحدود والأحكام الشرعية على مرتكبيها من أفراد المسلمين هو للإمام الشرعي الممكن . و هو ليس موجود الآن . وإنما هدف المقاومة بعد دفع الصائل هو إقامته.

(3) - أن الهدف الآن و والفريضة الشرعية الأولى ، هو دفع الصائل الكافر عن ديار المسلمين.

المادة 29:

تعتمد الحملات الصليبية الغازية في بلادنا بالإضافة إلى القوى العسكرية الداعمة لها المقاتلة معها على دعامتين هامتين :

(1)- دعاة للاحتلال يرحبون بها و يدعون لأفكارها وحضارتها ، ويnددون بالإسلام ودعاته .

(2)- دعاة للانحلال والرذيلة والفسق والمجون ، ونشر الاختلاط و الزنا والفواحش بدعوى الحرية الشخصية ، والعيش على النموذج الأمريكي .

وأكثر هؤلاء هم من قطاع المثقفين و الكتاب والمفكرين والفنانين والصحفيين والشعراء والأدباء ، ورجال الإعلام ...

وتدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المجاهدين ، إلى تصفية كبار رؤوس هؤلاء الدعاة الاستعماريين ورؤوسهم. وكذلك كبار دعاة الرذيلة والإنحلال الذين يعملون على أن تشيع الفاحشة في اللذين آمنوا .

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ ﴾ (التوبة: 12)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾

(النور: 19).

وقال عز من قائل : ﴿ لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلا قَلِيلاً* مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلاً ﴾ (الأحزاب: 61/60) .

فهذا الطابور الخبيث المنافق المجاهر بالكفر هم من أهم ركائز الإستعمار في بلادنا . ومن أهم العاملين على قطع جذور المقاومة والانتماء لهذه الأمة . ونعيد التوضيح : المطلوب اغتيال (**كبار أئمة الكفر والفساد**) . وتصفية مؤسساتهم . وليس خدمهم والعاملون المرتزقة بالفجور معهم ولا أعيان فساق المسلمين .

المادة 30:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية الوجود الإسرائيلي الصهيوني ، في كل شبر وذرة تراب من أرض فلسطين ، وما جاورها من أراضي المسلمين باطلاً وغير شرعي . ومثل ذلك كل احتلال لأراضي المسلمين أينما كان . وتعتبر دولة إسرائيل دولة غير شرعية ، وكيان مستعمر دخيل يجب إزالته و تطهير وجه الأرض من وجوده.

ولا تعترف بأي معاهدة سلام . أو اتفاقية تفرط بأي حق من الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني المسلم. وتعتبر المسألة الفلسطينية ، قضية إسلامية وليست عربية ولا فلسطينية فقط .

ولا تعترف بمشروعية السلطة الوطنية الفلسطينية ، وتعتبرها سلطة مارقة حكمها حكم كافة الأنظمة العربية والإسلامية في الردة. وتعتبر معظم أركانها الكبار مجموعة خونة وتجار دماء ، وعملاء لليهود وعبيد لشهواتهم ومصالحهم .

وتعتبر أن الجهاد المسلح هو الحل الوحيد لتحرير فلسطين . و تشد على أيدي المجاهدين المسلمين من المنظمات المجاهدة . وتدعوا كافة المناضلين والمقاومين في المنظمات الفلسطينية المسلحة من القوميين والوطنيين واليساريين إلى الجهاد تحت شعار الإسلام ونبذ مبادئ الكفر والضلالة التي أدت دائما وما زالت تؤدي إلى هزيمة الأمة ، وإلى عدم قبول الشهادة عند الله . قال صلى الله عليه وسلم (**من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله**) (أخرجه الخمسة). (**ومن قاتل تحت راية عميه يدعو للعصبة وينصر العصبة فمات فميتته جاهلية**) . و تدعوا شباب فلسطين أن لا يفرطوا بدمائهم بالعمل تحت تلك الرايات الجاهلية ، وإنما مع من رفع شعار الإسلام والجهاد . لأن من مات ميتة جاهلية فهو في النار . ولا يبارك الله في عمله. وتدعوا المسلمين في كل مكان إلى جهاد الصهاينة وأعوانهم وأشياعهم في فلسطين وفي كل مكان.

المادة 31:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة التطبيع مع اليهود والكيان السرطاني (إسرائيل) ، دعوات باطلة . وتعتبر من يدعوا إليها خائناً كافراً مرتداً عميلاً للاستعمار. وخاصة إذا كان من علماء المسلمين المزعومين . أو حكامهم العملاء .

وتدعو المجاهدين في كل مكان إلى جهاد كافة أشكال التطبيع ، ومؤسساته ، ورجاله ودعاته واستهداف كل منشآته السياسية والثقافية والاقتصادية ... وغيرها . وتدميرها واغتيال القائمين عليها . والانتباه لعدم أذى المسلمين خطأً أثناء ذلك.

المادة 32:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية كافة مؤسسات التنصير والتبشير الصليبي في بلاد المسلمين من أخطر مرتكزات الاستعمار و أخطر مكامن الفتنة للمسلمين. وتعتبرها أهدافاً مشروعة وتدعو المجاهدين إلى استهدافها وتدمير منشآتها . وتعتبر كل أمان وترخيص لهذه المؤسسات في بلاد المسلمين ترخيصا باطلا. وأمانا غير شرعي .

وتدعو المجاهدين والمقاومين إلى عدم الخلط بين هذه المؤسسات ، وبين الكنائس ودور عبادة النصارى والمسيحيين من المواطنين المقيمين بين المسلمين . وكذلك التميز بين مؤسسات التنصير والتبشير الأجانب . وبين رجال الدين والرهبان المحليين المشرفين على إدارة شؤون طوائفهم الدينية ، ولا يعملون في فتنة المسلمين عن دينهم ، ومعاونة الغزاة المستعمرين .

المادة 33:

دعوة المقاومة الإسلامية العالمية دعوة أممية لا تعتبر هوية ولا انتساباً إلا إلى (لا إله إلا الله محمد رسول الله) . بصرف النظر عن الجنس و القوم ، أو اللون والوطن ، أو اللغة ..أو أي فارق..

وتعتبر ساحة عمل كل مجاهد ومقاوم حيث هو، وحيث يقيم ويتحرك ، و حيث يكون أداؤه أجدى وأنفع و أنكى لأعداء الله.

المادة 34:

يجري الآن إطلاق عملية تطبيع مع الصليبيين والمستعمرين الأمريكان في بلاد المسلمين . وهو تطبيع أشد خطراً بكثير من مسألة التطبيع مع إسرائيل والصهيونية . حيث تتشعب مكونات هذه الظاهرة اليوم في كافة مجالات الحياة والنشاطات السياسية والاجتماعية والثقافية والعلمية والرياضية.. وغير ذلك.. مشاريع معلنة كثيرة وأخرى بأغطية شتى ومن ذلك :

- **في المجال السياسي:** العمل على إنشاء مراكز ومؤسسات بإشرافهم مباشرة ، في بلادنا وفي أمريكا ، من أجل تخريج النخب السياسية والفكرية التي تحمل مشروعهم ، لتقوم على تلك المشاريع في غضون السنوات العشر القادمة للوصول لمراكز القرار والقيادة .
- **في مجال الاقتصادي:** مشاريع مشتركة (أمريكية - محلية) يقوم عليها رجال أعمال أمريكان ومؤسسات عملاقة ويشاركهم فيها رجال أعمال محليون و تجار وسماسرة..
- **في المجال العلمي:** إنشاء جامعات ومعاهد ومراكز بحث علمي (من قبيل ما أنشؤوه قبل فترة في (وادي عربة) ، بالتعاون مع الحكومة الأردنية والمؤسسات العلمية فيها وهو مشروع بين أمريكا وإسرائيل والأردن .
- **في المجال الثقافي:** إنشاء الكثير من المراكز الثقافية والفنية والرياضية وغيرها من وجوه النشاط الثقافي بإشراف أمريكي ومشاركة محلية .
- **في المجال الاجتماعي:** نشر الكثير من المؤسسات تحت غطاء ومساعدات اجتماعية ومراكز توعية تحت مزاعم الحريات ..والأقليات ..وحرية المرأة..ورعاية الطفولة .. ونشر الديمقراطية.. والمؤسسات الصحية.....الخ..

وهذا الغزو الخطير الهائل أشد خطراً في تدمير الأمة وتفكيك مكوناتها ، من حملات (شوارزكوف ، وفرانكس ، وجون أبي زيد..) ، وأساطيلهم العسكرية.

وعلى المجاهدين والمقاومين استهداف هذه الأهداف كلها ونسفها وتصفية إداراتها الأجنبية ، وكبار العاملين عليها محلياً . و الانتباه جداً إلى تحاشي سفك دماء المسلمين من روادها ، وحتى العاملين فيها لأن أكثريتهم من المسلمين الجهال بأهدافها ومقاصدها.

ويجب أن يرافق المجهود الحربي في مواجهة مراكز التطبيع الصهيوني و الصليبي ، مجهود في التوعية يقوم به العلماء والدعاة بشكل مرادف لعمل خلايا المقاومة في تدمير هذه الأهداف.

المادة 35:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية أن الأحكام الشرعية للديار، هي كما بينها الفقهاء ، على ثلاثة أقسام:

أ- ديار الإسلام: وهي البلاد التي تحكمها الشريعة الإسلامية.

ب- ديار الكفر: وهي البلاد التي تحكمها شرائع الكفر ولا تحكم بما أنزل الله.

ج- الحالة الخاصة: وهي ديار الإسلام التي غلب عليها حكم الكفار. بعد أن كانت دار إسلام . ومازال أهلها مسلمون .

وعليه فإن الديار تنقسم في واقع العالم اليوم إلى أربعة أقسام بناءً ذلك:

1- ديار إسلام أهلها مسلمين:

وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها مسلمون . وهذا الصنف غير موجود اليوم وسيقوم قريباً بإذن الله.

2- ديار إسلام أهلها كافرون:

وهي البلاد التي تحكمها شريعة الله وأكثر أهلها غير مسلمين . وهي كالبلاد التي فتحها المسلمون الأوائل ولم يدخل أهلها في الإسلام .

3- ديار كفر أهلها مسلمون:

مثل حال جميع بلاد المسلمين التي تحكمها الأنظمة المرتدة اليوم بقوانين الكفر . والمسلمون أكثرية شعوبها.

ديار كفر أهلها كافرون :

مثل عموم بلاد الدنيا غير بلاد العالم الإسلامي اليوم .

ويترتب على هذا اليوم أحكام شرعية كثيرة تجب معرفتها ، نظراً لغياب الكيان السياسي للمسلمين وعدم وجود الإمام المسلم . ومن أهم تلك الأحكام :

- أ - **للمسلم في أي من تلك الديار، في كل مكان ؛ حصانة الدم والمال والعرض** بشهادته أن (**لاإله إلا الله محمد رسول الله**) . لا تحفز ذمته ولا يعتدي عليه.
- ب - **يجب العمل على نصب الإمام المسلم في ديار المسلمين** وطاعته في المعروف حيث وجد.
- ج - **ليس للحكام بغير ما أنزل الله في ديار المسلمين اليوم أي شرعية وأي طاعة** وأي ذمة أوأمان. ويحرم التعاون معهم وجباية الأموال إليهم طوعاً . ويجب التقرب إلى الله بعصيانهم . والعمل على خلعهم . واستبدالهم بالإمام المسلم حيث أمكن ذلك . وتوفرت القدرة علية.

المادة 36:

تعتبر دعوة المقاومة الإسلامية العالمية إقامة المسلم في بلاد الكفار، وبين ظهراني المشركين محرمة إلا لضرورة. وقد جاءت نصوص السنة الصحيحة الصريحة المفصلة بالنهي عن ذلك .

ففي الحديث الحسن الذي رواه أبو داوود عن سمرة مرفوعا "**من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله**". وفي الحديث الحسن الذي رواه النسائي : " **لا يقبل الله من مشرك عملا بعدما أسلم أو يفارق المشركين** ".

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : (**برئت الذمة ممن أقام مع المشركين في ديارهم)**.

وقد ترتب على إقامة المسلمين هناك مفاسد عظيمة عليهم في دينهم ودين ذراريهم. واليوم تشتعل الحرب الصليبية ، و تجاهد سرايا المقاومين المجاهدين في سبيل الله جيوش الصليبيين في بلادنا ، وتصل عملياتها إلى بلادهم . وقد ترتب على هذا ردود فعل من تلك المجمعات أدت إلى ظلم المسلمين وتعرضهم للفتنة في دينهم ومظاهره وحجاب نسائهم .. وقد صار بعض المسلمين يميلون إلى ترك أساسيات من دينهم خوفاً من الكفار. ويظهرون موالاتهم لهم . والبراءة من المجاهدين في سبيل الله . وبناء على ذلك :

تدعو دعوة المقاومة الإسلامية العالمية المسلمين المقيمين في بلاد الغرب وديار الكفر والكافرين إلى أمرين اثنين:

أولاً: الهجرة من بلاد الكفر والشرك إلى بلاد المسلمين ، ولو أدى ذلك إلى خسارة في الأمور الدنيوية، والتعرض لظلم حكومات الردة . فإن مصلحة حفظ الدين ودين الأبناء ، مقدمة على حفظ الدنيا ورفاه العيش . لمن لم يكن مضطرا أمنيا لذلك.

ثانياً: تذكر دعوة المقاومة كل مسلم مقيم في ديار الغرب **وحتى من أهلها الأصليين** ، بأن فريضة جهاد حكومات تلك الدول الكافرة الغازية الداخلة في حلف الأمريكان واليهود ، هو **فرض عين عليه** ، مثله مثل كل مسلم في كل مكان. و أداؤه أسهل عليه من المجاهدين غير المقيمين الذين يقصدون تلك البلاد لردع حكوماتها عن العدوان عن المسلمين. فعليهم مقاومة تلك الحكومات وجهادها وضرب مصالحها واستهداف حكامها وقواها السياسية والاقتصادية. بضوابط أحكام الشريعة والتميز بين من يستحق الاستهداف ومن لايستحقه.

ونكرر لهم النذير.. إن كل مسلم مسؤول أمام ربه عن دينه ودين عياله ، وحفظ أنفسهم وأعراضهم فالسلامة السلامة.. والنجاة النجاة . فلا توردوا أنفسكم موارد الهلاك.

﴿ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ (الزمر: 15).

انتهى .

ثالثاً: تفاصيل وأدلة شرعية في بعض النقاط الأساسية للعقيدة الجهادية لدعوة المقاومة الإسلامية العالمية.

- أولا : بلاد الإسلام اليوم في حالة احتلال مباشر أو غير مباشر من قبل الأعداء . وجهادهم فرض عين على المسلمين بالإجماع .

- ثانيا: حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله . وولائها للكفار و خيانتها لله ورسوله والمؤمنين.

- ثالثا: الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا فرض على المسلمين بالإجماع .

- رابعا: أحكام الشريعة الإسلامية تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون مع الكفار وأعانهم على المسلمين وتوجب قتاله.

- خامسا: أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم . حتى ولو كان مسلما.

****

- سادسا:أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين.وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

- سابعا: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص. والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم .

- ثامنا: مسألة الديمقراطية و تجارب حركات الصحوة الإسلامية فيها .

- تاسعا : مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة .

- عاشرا : مسالة (التكفير) ، أحكام التكفير العامة ، وقضية تكفير المعين.

ولنتناول هذه الأحكام بشيء من التفصيل في أدلتها :

أولا: بلاد الإسلام في حالة احتلال وعدوان وغزو من قبل الأعداء، وجهاد الغزاة اليوم فرض عين على المسلمين بالإجماع :

كما أثبتنا في الفصل الأول تحت عنوان (واقع المسلمين اليوم) فإنه قد صار من المسلم به اليوم لدى كل عاقل مبصر،أن بلادنا كلها من أقصاها إلى أقصاها محتلة إما مباشرة من قبل الأعداء. وإما بالنيابة من قبل نوابهم المرتدين،مع تواجد عسكري كثيف للصليبيين بانتشار قواعدهم في جميع أرجائها.مع احتلال اقتصادي كامل عبر سيطرة الاحتكارات الإقتصادية .وبانتشار شبكات استخباراتهم ومراكزهم الأمنية.

وهاهي أمريكا اليوم تعيد احتلال العالم الإسلامي من جديد جهارا نهارا. فقد احتلت أفغانستان مباشرة . وبسطت سيطرتها على باكستان ووسط آسيا . وهاهي قد احتلت العراق ، ووزعت مئات آلاف الجنود في جزيرة العرب وتركيا وجنوب الشام فضلا عن ما تنشره في مصر والقرن الإفريقي وشمال أفريقيا وما حول هذه المناطق من بحار.وهاهو بوش يعلن أنه يقود على بلاد المسلمين حملة صليبية ومعه حلفائه في حلف الناتو من البلاد الأوروبية بالإضافة للحليف الرئيسي (إسرائيل) التي تحتل فلسطين، وتستعد لهدم المسجد الأقصى وطرد من تبقى فيها من المسلمين.

فما حكم الشريعة في مثل هذه الأحوال؟ وماذا تفرض أحكام الدين على كل مسلم تجاهها؟

الجهاد عبادة وفريضة، فرضها الله على المسلمين. وهي ثابتة بتواتر الآيات في كتاب الله والأحاديث في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يغني عن إيراد الشواهد هنا، فهي أشهر من أن تذكر وأكثر من أن تحصر.

جاء في كتاب (الدفاع عن أراضي المسلمين أهم فروض الأعيان) للشيخ المجاهد الشهيد عبد الله عزام شيخ المجاهدين العرب في أفغانستان أيام جهاد الروس – رحمه الله – ما نقتطف منه ما يلي:

(وجهاد الكفار نوعان:

1- جهاد الطلب (طلب الكفار في بلادهم) بحيث يكون الكفار، لا يحتشدون لقتال المسلمين. فالقتال فرض كفاية.وأقل فرض الكفاية سد الثغور بالمؤمنين لإرهاب أعداء الله...الخ.) ثم قال رحمه الله وهو مكان الشاهد:

-2 جهاد الدفع (دفع الكفار من بلادنا) وهذا يكون فرض عين، بل أهم فـروض الأعيـان، ويتعين في حالات:

أولاً: إذا دخل الكفار بلدة من بلاد المسلمين.

ثانياً: إذا التقى الصفان وتقابل الزحفان.

ثالثاً: إذ استنفر الإمام أفرادا أو قوما وجب عليهم النفير.

رابعاً: إذا أسر الكفار مجموعة من المسلمين).

ثم تحدث الشيخ عبد الله رحمه الله عن الحالة الأولى وهي نزول الكفار في أرض من أراضي المسلمين فقال :

(ففي هذه الحالة اتفق السلف والخلف وفقهاء المذاهب الأربعة، والمحدثون والمفسرون في جميع العصور الإسلامية إطلاقا. أن الجهاد في هذه الحالة يصبح فرض عين على أهل هذه البلدة التي هاجمها الكفار، وعلى من قرب منهم. بحيث يخرج الولد دون إذن والده، والزوجة دون إذن زوجها، والمدين دون إذن دائنه. فإن لم يكف أهل تلك البلدة أو قصروا، أو تكاسلوا، أو قعدوا. يتوسع فرض العين على شكل دوائر، الأقرب فالأقرب. فإن لم يكفوا أو قصروا، فعلى من يليهم ثم من يليهم. حتى يعم فرض العين الأرض كلها).

ثم أوجز الشيخ رحمه الله مختصر الأدلة على ذلك عند مذاهب أهل السنة وعلمائهم فقال:

أولاً: فقهاء الحنفية:

قال ابن عابدين في حاشيته ج3 ص238:[**وفرض عين إذا هجم العدو على ثغر من ثغور الإسلام، فيصير فرض عين على من قرب منه. فأما من ورائهم ببعد من العدو فهو فرض كفاية إذا لم يحتج إليهم. فإن احتيج إليهم بأن عجز من كان بقرب العدو عن المقاومة مع العدو. أو لم يعجزوا ولكنهم تكاسلوا، ولم يجاهدوا، فإنه يفترض على من يليهم، فرض عين كالصلاة والصوم، لا يسعهم تركه، وثم وثم ، إلى أن يفترض على جميع أهل الإسلام شرقا وغربا على هذا التدريج**] إهـ

.وبمثل هذا أفتى الكاساني في بدائع الصنائع ج7 ص72. وكذلك ابن نجيم في البحر الرائق ج5 ص191. وكذلك ابن الهمام في فتح القدير. من أئمة الأحناف.

ثانياً: عند المالكية:

جاء في حاشية الدسوقي. الجزء الثاني ص 174:[**ويتعين الجهاد بفجئ العدو: أي توجه الدفع بفجئ (أي مفاجأة) على كل واحد وإن امرأة أو عبدا أو صبيا، ويخرجون ولو منعهم الولي والزوج ورب الدين**].

ثالثاً: عند الشافعية:

جاء في نهاية المحتاج للرملي. في الجزء الثامن الصفحة 58: [**فإن دخلوا بلدة لنا، وصار بينهم وبيننا دون مسافة القصر، فيلزم أهلها الدفع، حتى من لا جهاد عليه، من فقير وولد وعبد ومدين وامرأة**].

رابعاً: عند الحنابلة:

جاء في المغني لابن قدامة في الجزء الثامن الصفحة 345 : [**ويتعين الجهاد في ثلاث مواضع:**

1- **إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان.**
2- **إذا نزل الكفار ببلد يتعين على أهله قتالهم ودفعهم.**
3- **إذا استنفر الإمام قوما لزمهم النفير] .**

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية:

(وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه، فلا يشترط له شرط (كالزاد والراحلة)، بل يدفع بحسب الإمكان ونص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم).

ويقول ابن تيمية في الجزء الرابع من الفتاوى الصفحة 608:(**إذا دخل العدو بلاد الإسلام فلا ريب أنه يجب دفعه على الأقرب فالأقرب، إذ بلاد الإسلام كلها بمنزلة البلدة الواحدة، وأنه يجب النفير أليه بلا إذن والد ولا غريم ونصوص أحمد صريحة بهذا**).

ثم أضاف الشيخ عبد الله عزام إثر هذه الأدلة قوله:

[وهذا يعرف بالنفير العام ثم قال وأدلة النفير العام:

1. قال الله عز وجل : ﴿ انْفِرُوا خِفَافاً وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (التوبة:41)

وقد جاءت الآية قبلها ترتب العذاب والاستبدال جزاءا لترك النفير، ولا عذاب إلا على ترك واجب أو فعل حرام، قال تعالى في سورة التوبة الآية 39: ﴿ إِلاّ تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً وَيَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ وَلا تَضُرُّوهُ شَيْئاً وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله : أمر الله تعالى بالنفير العام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عام غزوة تبوك لقتال أعداء الله من الروم الكفرة من أهل الكتاب وقد بوب البخاري رحمه الله:(باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية) وأورد هذه الآية، وكان النفير العام بسبب أنه ترامى إلى أسماع المسلمين أن الروم يعدون على تخوم الجزيرة لغزو المدينة. فكيف إذا دخل الكفار بلاد المسلمين، أفلا يكون النفير أولى؟ قال أبو طلحة رضي الله عنه في معنى قوله تعالى{خفافا وثقالا}، كهولا

وشباب ما سمع الله عذر أحد) الجزء الثاني ص144. مـن مختصرـ تفسـير ابـن كثـير، وقـال الحسـن البصري: في العسر واليسر.

ويقول ابن تيمية في الجزء 28 ص 358 (**فأما إذا أراد العدو الهجوم على المسلمين، فإنه يصير دفعه واجبا على المقصودين كما قال تعالى :**

﴿ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ ﴾ (الأنفال: 72). **كما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بنصر المسلم سواء كان الرجل من المرتزقة للقتال أو لم يكن ، هذا يجب بحسب الإمكان على كل أحد بنفسه وماله مع القلة والكثرة و المشي و الركوب ، كما كان المسلمون لما قصدهم العدو عام الخندق. لم يأذن الله في تركه لأحد**) وقال الزهري: خرج سعيد بن المسيب إلى الغـزو وقـد ذهبـت إحدى عينيه، فقيل له إنك لعليل، فقال (إستنفر الله الخفيف والثقيل، فإن لم يمكني الحرب كـثرت السواد وحفظت المتاع) رواه القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج8 ص150.]

ثم يتابع الشيخ عبد الله عزام رحمه الله أدلة النفير العام فيقول:

[2- **ويقول الله عز وجل** ﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ (التوبة: 36). قال ابن العربي : كافة يعنى محيطين بهم من كل جانب وحالة. رواه القرطبي في الجامع.8 – 150.

3- **ويقول عز وجل** : ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال: 39). والفتنـة هي الشرك. كما قال ابن عباس و السدي. ذكره القرطبي الجزء 253-2.2.وعند هجوم الكفار، واستيلائهم على الديار فالأمة مهددة في دينها. وعرضة للشك في عقيدتها، فيجب القتال لحماية الدين والنفس والعرض والمال.

4- **قال صلى الله عليه وسلم (لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا)** رواه البخاري، فيجب النفير إذا استنفرت الأمة.وفي حالة هجوم الكفار فالأمة مستنفرة لحماية دينها. ومدار الواجب على حاجة المسلمين و استنفار الإمام. كما قال ابن حجر في شرح هذا الحديث، جاء في فتح الباري الجزء(6- ص20)، قال القرطبي (كل من علم بضعف المسلمين عن عدوهم وعلم أنه يدركهم ويمكنه غياثهم لزمه أيضا الخروج إليهم).(....).

قال الإمام الجصاص في أحكام القرآن ج1 ص242 :(لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق. أن على المسلمين قتله). وفي هذه الحالة – الصيال – إذا قتل الصائل فهو في النار ولو كان مسلما، وإذا قتل العادل فهو شهيد. هذا حكم الصائل. فكيف إذا صال الكفار على أرض المسلمين، حيث يتعرض الدين والعرض والنفس والمال للذهاب والزوال؟! ألا يجب في هذه الحالة على المسلمين دفع الصائل الكافر والدولة الكافرة.(....)

7- **قتال الفئة الباغية:** يقول الله عز وجل ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ (الحجرات:9)

فإذا فرض الله علينا قتال الفئة الباغية المسلمة حفاظا على وحدة كلمة المسلمين وحماية دينها وأعراضها وأموالها. فكيف يكون الحكم في قتال الدول الكافرة الباغية؟ أليس هذا أولى وأجدر.

8- **حد الحرابة:** قال تعالى:﴿ إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (المائدة:33)

هذا حكم المحاربين من المسلمين الذين يخيفون عامة المسلمين ويفسدون فى الأرض ويعبثون بأموال الناس وأعراضهم، فكيف بالدول الكافرة التي تفسد على الناس دينهم ومالهم وعرضهم، أليس قتالها أوجب على المسلمين وأحرى؟!.

هذه بعض الأدلة والمبررات للنفير العام، إذا دخل الكفار أرض المسلمين، أن دفع العدو الكافر هو أوجب الواجبات بعد الإيمان.] **انتهى النقل عن كتاب الدفاع عن أراضي المسلمين. باختصار طفيف.**

وأقول : فإذا تأملنا أحوال المسلمين اليوم. لوجدنا أن الجهاد قد تعين عليهم من الوجوه الأربعة. في كل الأرض. وأوضح وجوه فرضيته هو الباب الأول (وهو نزول الأعداء في أكثر بلاد المسلمين).

فما من بلد من بلاد المسلمين اليوم، إلا وهو محتل من قبل أنواع الكفار، من اليهود كبلاد فلسطين وأجزاء من بلاد الشام، أو من قبل الصليبين، كبلاد البوسنة والبلقان، و الشيشان و القفقاس ، والجمهوريات الإسلامية في وسط آسيا والفلبين... وغيرها . أو من قبل الوثنيين مثل كشمير التي يحتلها الهندوس وتركستان الشرقية وأجزاء من جنوب شرق آسيا التي تحتلها الصين...وغير ذلك.

وكل هذه البلاد قد عجز أهلها ومن جاورهم، ثم من جاورهم. ثم جميع من تلاهم وجاورهم، عجزوا أو تكاسلوا أو فرطوا. فعمت الفريضة العينية بالجهاد كل أهل الإسلام.

وأما باقي البلاد الإسلامية والعربية. بما فيها عقر دار الإسلام و كعبتهم ، ومسجد نبيهم صلى الله عليه وسلم. فمحتلة بصورة غير مباشرة من قبل الصليبيين واليهود، بنيابة الحكام المرتدين، وأعوانهم المنافقين الذين وضعوا جيوشهم في خدمة الكفار. بزعامة أمريكا وسيدتها إسرائيل وحلفائهم الصليبيين، الذين ملؤوا البلاد بالقواعد العسكرية البرية والبحرية والجوية. واحتلوا البلاد بهذه الطريقة الحديثة، بتجميع قواتهم فيها في قواعد مركزة، بدل نشرها، واكتفوا بنشر المرتدين

لجيوشهم من المنافقين و الجهال والمكرهين والضائعين... الذين يقومون بدور المحتل بالنيابة، حيث يخرج الصليبيون قواتهم من مراكزها وقت الحاجة. ويكفى أن نعلم أن لأمريكا وحلفائهم الصليبيين فوق أرض جزيرة العرب أكثر من مائتي ألف جندي.وسلاحا وعتادا مخزنا يكفي لمليون جندي، يمكن نقلهم خلال أسابيع وقت الحاجة ... وبهذه الطريقة الخبيثة. بتجميع القوات في قواعد مركزية، والاعتماد على قوات المرتدين في الخدمات التفصيلية. يتفادى المحتلون الجدد استفزاز المسلمين للجهاد. ويسمحون للحكام المرتدين بادعاء الإستقلال. ولعلماء السلاطين بصرف الناس عن الجهاد ودعوتهم لطاعة أولياء الأمور المرتدين!

فالمآل واحد، فالبلاد محتلة، والثروات منهوبة، والكافرون يسومون المؤمنين ألوان الذل والهوان على أيدي أعوان المرتدين، وشريعة الله معطلة، وكلمة الكفار هي العليا، والصالحون نزلاء السجون وأقبية التعذيب. والناظر في أحوال بلاد الحرمين والشام ومصر وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان وأفريقيا وأسبابها يرى ذلك بأوضح صوره.

وأما إذا جئنا للبند الثاني من فريضة الجهاد العيني. وهي (التقاء صف المؤمنين بصف الكافرين). لوجدناها متحققة في كل بلاد المسلمين بأشرس صورها، ولكن بصورة خبيثة أيضا، فقد نشر الكافرون الصليبيون، والكفار المرتدون، قواتهم ورصوا صفوفهم وأكدوا حضورهم في كل شبر من بلاد المسلمين. عبر مئات الآلاف من الجيش والشرطة والإستخبارات ورجال الأمن والجواسيس والمخبرين...ناهيك عمن ذكرنا من آلاف الجنود الصليبيين المجمعين في مراكزهم وقواعدهم العسكرية في كل بلد. بحيث أنه ما من مسلم يقف موقف الدفاع عن دينه والالتزام به والدفاع عن قضايا أمته، إلا وتخطفته أيدي تلك العساكر و ترصدته عيون أولئك الجواسيس!! فهل التقى صف الكافرين بصف المؤمنين أم ليس بعد؟ أم يحتاج مشايخنا حتى يبصروا ذلك ويفتون به، أن يتجمع كل أولئك العساكر والمخابرات والجواسيس في صف واحد أمام المساجد وأمام أبوب بيوتهم؟!

وأما إذا جئنا إلى البند الثالث وهو (استنفار الإمام) فلله المشتكى وله الحمد على كل حال. فليس للمسلمين على وجه الأرض اليوم إمام شرعي واحد، وما فيهم اليوم إلا محارب لله ورسوله ساع في الأرض الفساد. فكلهم معتمد على ألوان الكفار من اليهود الصليبيين والوثنيين، ومن اشترى ذمتهم من المنافقين. فليس هناك إمام شرعي يستنفر للجهاد. بل هناك أئمة الكفر والردة يستنفرون الأراذل على المؤمنين!! فهل سقط الجهاد لغياب الإمام الشرعي؟! فمن يدفع الصائل اذن؟

والحقيقة أن حجة الله قد قامت على عباده المسلمين في أكثر بلاد الدنيا. فما من بلد من بلاد المسلمين إلا وقام فيه دعاة للهدى. من علماء عاملين، أو دعاة صادقين أو أمراء جهاد مخلصين. دعوا الناس للجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، واستنفروهم. وحتى لو خلا بلد من البلاد عن مثل

هؤلاء الأئمة، وأمراء الجهاد الصالحين. على فرض ذلك. فأمة الإسلام واحدة. ولا إعتبار من وجهة نظر الإسلام للحدود التي رسمها الصليبيون بين بلادنا، وما اخترعوه من جنسيات وتابعيات وأعلام وجوازات سفر... فأمة الإسلام واحدة وتبقى واحدة. ولم تخل عن أمراء جهاد دعوا المسلمين واستنفروهم. وعلى المسلمين إجابتهم والنفير معهم لدفع الصائل. ومن أمثال هؤلاء وقت غزو الروس لأفغانستان الشيخ عبد الله عزام رحمه الله. ومن وقف معه في الدعوة للنفير العام بالجهاد من علماء باكستان و أفغانستان وغيرهم. ومنهم كافة شيوخ وأمراء الجماعات و الدعوات الجهادية في مختلف البلاد الإسلامية .. ومن هؤلاء اليوم الشيخ أسامة بن لادن حفظه الله، الذي يستنفر المسلمين لجهاد الأمريكان واليهود اليوم ، ومثله العديد من العلماء ودعاة الجهاد ضدهم من بلاد العرب والعجم في العراق و الشيشان وفلسطين والفلبين وإندونيسيا وغيرها. وعلى المسلمين إجابتهم للنفير.

وأما إذا جئنا للوجه الرابع من فريضة الجهاد العينية وهو (إذا أسر العدو بعض المسلمين)، فماذا نقول؟ وماذا نعيد؟ وأين نعد؟ وماذا نزيد؟

- فأسرى الشباب المسلم المخطوف من مختلف بلاد الدنيا إلى سجن غوانتانامو الأمريكي المخزي قد جاوز اليوم 700 أسير من مختلف الجنسيات بحسب المصادر الأمريكية ذاتها.ومثل هذا العدد في السجون الأمريكية في أفغانستان وباكستان.
- وأكثر من هذا العدد مجموع أسرى الشباب المسلم في سجون أوروبا الغربية(بريطانيا-فرنسا-أسبانيا- ألمانيا- بلجيكا-إيطاليا-...).
- (وأما في روسيا فبالآلاف. وقل مثلها في كشمير والفلبين و إرتريا وبلاد إفريقيا. وبلاد وسط آسيا وبلاد التركستان..).
- وأما سجون طغاة بلاد العرب والمسلمين من أمثال حكام السعودية ومصر وبلاد الشام وشمال أفريقيا وتركيا و الباكستان.. فالأرقام المنشورة عبر منظمات حقوق الإنسان، وتقارير منظمة العفو الدولية تذهب إلى عشرات الآلاف فى البلد الواحد أحيانا!! فلا شك أن الأرقام عن أسرى الشباب المسلم في تلك البلاد يجاوز مئات الآلاف!! وهذه حقيقة موثقة وليست مبالغات موهومة.
- وأما عن فلسطين فالأخبار العالمية تطالعنا في كل يوم عن قتل المئات وأسر الآلاف. فقد أسر اليهود في يوم واحد من أيام الإنتفاضة أكثر من ألف أسير.!

  وقد طال الأسر في عموم تلك البلاد النساء والفتيات وحتى الأطفال.

وأما عن حوادث القتل والتعذيب والاغتصاب وهتك أعراض الرجال والنساء. فلا تكاد تخلوا بلد منها!! فهل وجب الجهاد أم لم يجب بعد؟! وعلماء المسلمين قد أفتوا بأنه إذا سبيت امرأة

مسلمة في المشرق وجب على أهل المغرب تخليصها. وأن على المسلمين إنقاذ أسراهم ولو استنفذوا في ذلك جميع أموالهم.

ولعل بعض المنافقين أو بعض الجهال ، ينفي حالة الإحتلال عن بعض بلاد المسلمين ، ويحرم مقاتلة الغزاة بدعوى أنهم قدموا بموجب اتفاقات مع حكام بلاد المسلمين . فينبغي أن نثبت لهؤلاء أن هذا لا يجوز لحاكم مسلم لو كان مسلما . وأن نبين لهم أن هؤلاء الحكام قد فقدوا شرعيتهم بكفرهم وردتهم وخروجهم من ملتنا .

وهو ما ستبينه الفقرة التالية :

ثانياً : حكومات بلاد المسلمين اليوم مرتدة كافرة لتبديلها الشرائع وحكمها بغير ما أنزل الله . وولائها للكفار و خيانتها لله ورسوله والمؤمنين:

- عندما يشهد كل مسلم بلسانه، معتقدا بقلبه قائلا ((أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله))، فهو يعترف باختصار: بأنه يعتقد أن لا إله يعبد بحق إلا الله، وأنه يعبد هذا الإله الأوحد بمقتضى ما أنزل الله على نبيه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولهذه الشهادة الخطيرة مقتضيات يعتبر جحودها قولا أو عملا من مقتضيات الكفر بالله، والخروج من ملة الإسلام والعياذ بالله. وقد غُيبت كثير من هذه المقتضيات عن الناس حتى جهلها الكثيرون، فالحقيقة أن كثيرا من الناس يعلمون أن لهم رباً ويعتقدون به في قرارة قلوبهم، حتى ولو أنكروه أحيانا بلسانهم. ولكن الأقل منهم يعبد هذا الإله. وفي هذه الفقرة نتناول شيئا من محتوى هذه الشهادة بإيجاز. ولمن شاء التفصيل أن يعود للكتب التي فصلت في عقائد التوحيد:

- لقد أخبرنا سبحانه أن أكثر المؤمنين به إلها مشركون به ربا. وأن أكثر الكافرين به إلها لا ينكرون ربوبيته.. وقد دلنا سبحانه على أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها لا ينكرون ربوبيته.. وقد دلنا سبحانه على أن الإيمان به ربا، لا ينفع صاحبه إن لم يعبدوا إلها ولا يشرك به شيئا .قال تعالى:

﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ (يوسف:106) .

لقد آمن معظم البشر بأن لهم ولهذا الكون ربا قد خلق ورزق وهو يدبر وينعم . وباستثناء حفنة من الملحدين، الشاكّين بإلحادهم ولاسيما في وقت الضيق . فإن معظم بني آدم على مر العصور آمنوا بهذا الرب . ولكن اختلفت مذاهب شركهم وكفرهم به إلها يعبد ،فالنصارى والمجوس و

الهندوس و اليهود وسواهم آمنوا بالله ربا ،ثم كفروا به عبادة ، وأشركوا وعبدوا غيره من دونه أو معه ،وقد أثبت القران للكفار هذا الإيمان به ربا والشرك به إلها فخاطبهم قائلا: ﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴾ (يونس:31) .

أي أفلا تتقون ربكم سبحانه ، فتعبدونه ولا تشركوا به كما تفعلون؟!. وتكرر هذا السؤال والإنكار في قوله:

﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ* قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ* سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ *قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ المؤمنون (84 -89) .

﴿ **أفلا تذكرون** ﴾؟﴿ **أفلا تتقون** ﴾؟﴿ **فأنى تسحرون** ﴾؟ أي كيف تؤمنون ثم تشركون ؟!

لقد تسرب العديد من أنواع الشرك بالله إلى معتقدات الكثير من المسلمين مع تتالي الأزمان حتى وصلنا إلى هذه الأزمنة التعيسة المتأخرة .

ومن ذلك ما حصل من الكثيرين من عبادة غيره من دونه، ومعصيته وإنكار أحكامه مع طاعة غيره وطاعة أحكامهم، وترك ولايته وولاية أوليائه ، ثم ولاية أعدائه من دون أوليائه .

فكل مسلم يعتقد و يعترف ويدعى الإيمان بأن الله هو الخالق ، وأنه هو الرزاق ، وأنه هو المحيي ، وأنه هو المميت ، وأنه الضار النافع ، وأنه الخافض الرافع ، وأنه الحكم العدل .. ، إلى آخر أسماء الله وصفاته. ولكن كثيرا من المسلمين في واقعهم يتوجهون في جلب النفع ودفع الضر وطلب الرزق، والخوف والرجاء، والتحاكم والتشريع، والتحليل والتحريم.. على غير ما أمر الله به، إلى البشر من أمثالهم . وخاصة من الحكام والكبراء ، والأحبار والرهبان والعلماء والمشايخ، ومن يعتقدون فيهم من الرجال!

وهذه هي حقيقة العبادة وحقيقة الطاعة ، التي تنقض زعمهم الإيمان بالرب الخالق كما يدعون . الرب الذي لا يتم الإيمان به إلا بملازمة عبادته إلها، وطاعته وحده لا شريك له في أحكامه ، تماما كما يجب الإيمان به ربا خالقا رازقا ...

إن من أعظم وجوه عبادة الله وطاعته، التزام أحكامه وأوامره ونواهيه وشرائعه وهذا بديهي... فهل ثمة تكذيب أكبر من أن يدعي رجل الإيمان بالله ، ثم ينكر تشريعاته و يتنقصها ! ويدَّعي عدم صلاحيتها للعصر! وأنها سبب تخلف المسلمين!! ويقدم غيرها من شرائع البشر عليها عمليا! ويحكم الناس بها ويقهرهم على قوانينها بالقوة!

إن هذه الطاعة لا يتقبلها أحدهم من زوجته، ولا ولده، ولا خادمه ـ ولله المثل الأعلى ـ فهل يقبل رب البيت من زوجته ادعاء حبه وهي تطيع غيره وتنفذ أوامر غيره في بيته؟! وهل يقبل من ولده ادعاء طاعته ثم يطيع جاره و يعصيه ؟ وهل يقبل من خادمه وعامله الذي يأكل من رزقه ، أن يدعي سيادته ، ثم يتحرك وفق توجيهات غيره ! فهم لا يقبلون ذلك على أنفسهم ولله المثل الأعلى . ولهذا جاءهم الخطاب أفلا تتقون ؟! أفلا تذكرون ؟! فهذا ادعاء باطل وعمل منكر.

إن كون الحاكمية لله وحده. وأن التشريع منه وحده. وأن الطاعة له وحده، وأن الحلال ما أحله الله، وأن الحرام ما حرمه، وأن ما أمر به نافذ، وأن ما نهى عنه يُترك. هي أمور من صميم توحيد الألوهية وعبادة الله وحده. وقد أثبت القرآن هذا، وأثبت الكفر لمنكره. كما أثبتته السنة واستقر عليه إجماع هذه الأمة، وسادة علمائها وفقهائها عبر الأزمان والعصور. ولا يكون الدين كله لله في الحقيقة إلا هكذا، والآيات متواترة على هذه المعاني متعاضدة. ومن ذلك قوله تعالى:

- ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف:40) .
- ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ﴾ (الأنعام:57) .
- ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيماً ﴾ النساء 105.
- ﴿ وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ الرعد 41.
- ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾ الجاثية 18.
- ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ] الشورى 21.
- ﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾ المائدة 49 ـ 50 .

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره : [**وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم**). أي فاحكم يا محمد ، بين الناس عربهم، وعجمهم ، وأميهم، وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم] ثم قال: [(**ولا تتبع أهواءهم**): أي آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله. ولهذا قال تعالى : (**ولا تتبع أهواءهم**). أي لا تنصرف عن الحق الذي أمرك الله به بأهواء هؤلاء الجهلة الأشقياء]. ثم قال ـ وانتبه إلى هذا الأثر العظيم الهام ـ قال ابن كثير رحمه الله:[وقوله تعالى ﴿ **أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون** ﴾ :

ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله المحكم، المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء، والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله. كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الضلالات و الجهالات، مما يضعونها بآرائهم وأهوائهم وكما يحكم بها التتار من السياسات الملكية المأخوذة من ملكهم (جنكيز خان) الذي وضع لهم (الياسق) وهو عبارة عن كتاب مجموع من أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية وغيرها. ومنها كثير من الأحكام أخذها من مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعا متبعا يقدمونه على الحكم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. **فمن فعل ذلك منهم فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير.** قال تعالى:(أفحكم الجاهلية يبغون) أي يبتغون ويريدون ، وعن حكم الله يعدلون؟ وقوله تعالى:(ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون) أي: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وآمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم بخلقه من الوالدة بولدها، فإنه تعالى هو العالم بكل شيء القادر على كل شيء. العادل في كل شيء] اهـ.

ومما قاله ابن كثير عن (الياسق) في تاريخه (البداية والنهاية)، قال:[ثم ذكر الجويني نتفا من (الياسا)، من ذلك: أنه منه زنى قتل، محصنا كان أو غير محصن، وكذلك من لاط. قتل ومن تعمد الكذب قتل، ومن تجسس قتل ، ومن بال في الماء الواقف قتل ، ومن انغمس فيه قتل (...) وفي ذلك كله مخالفة لشرائع الله المنزلة على عباده الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فمن ترك الشرع المحكم المنزل على محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء، وتحاكم إلى غيره من الشرائع المنسوخة كفر. فكيف بمن تحاكم إلى الياسا وقدمها عليه. من فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين] **اهـ.**

قلت:

و(الياسا): هو دستور ومجموعة قوانين، وضعها جنكيز خان، (الملك التتري) لما اجتاح المشرق، ورأى تعدد الأديان والفلسفات، فوضع بمشاورة المشرعين عنده هذا الدستور، مما استحسنوه بعقولهم ومن وحي تجاربهم، وخلطوها بأحكام من الإسلام و النصرانية وأديانهم الوثنية.

وهو نفس الفعل الذي يقوم به اليوم حكام المسلمين بمساعدة مشرعيهم وبرلماناتهم، حيث بنوها أساسا على القوانين الفرنسية والإنجليزية، ذات الأصل الروماني، وخلطوا فيها شيئا من الشريعة الإسلامية، وما أملته عليهم أهواؤهم ! ثم كتبوا في أعلاها كما في بعض البلاد الإسلامية:(الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع والتقنيين!!) وفي بعض البلاد بخلوا حتى بهذه العبارة الشركية الكاذبة.

فإذا كان ابن كثير قد نقل إجماع المسلمين على كفر من حكم بالياسا أو سواه من جهالات البشر، فكيف بمن حكم بهذه الشرائع الوضعية في المسلمين وأجبرهم عليها بقوة وقهر السلاح!!

ويكفي لكل من أراد أن يطلع على حجم الكفر والفسق والظلم، وتبديل الشرائع، واتخاذ آيات الله هزوا، أن يطلع على نسخة من دستور بلاده، والقوانين المعمول بها في المحاكم، والمراسيم التشريعية التي تصدر عن حكومة بلاده كل يوم. وهذه هي الحالة في باكستان وكافة بلاد المسلمين. تماما كما أخبر صلى الله عليه وسلم فيما روى عنه الأمام أحمد:(لينقضن عرى الإسلام عروة فكلما انتقضت عروة عروة تشبث الناس بالتي تليها. وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة). فلا شك أن من حكّم هذه القوانين كافر يجب قتاله بإجماع المسلمين.

وفي قوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلالاً بَعِيداً ﴾ (النساء:60) .

يقول ابن كثير رحمه الله:

[هذا إنكار من الله عز وجل، على من يدعي الإيمان بما أنزل الله على رسوله وعلى الأنبياء الأقدمين. وهو مع ذلك يريد أن يتحاكم في فصل الخصومات إلى غير كتاب الله وسنة رسوله] ثم قال:[فانها-أي الآية – ذامة لكل من عدلوا عن الكتاب والسنة وتحاكموا إلى ما سواهما من الباطل وهو المراد هنا بالطاغوت. ولهذا قال : ﴿ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ ﴾ : أي كما قال في نفس سورة النساء بعد بضع آيات في قوله تعالى : ﴿ فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ﴾ : [أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن فيسلمون لذلك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة. كما ورد في الحديث:(**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به**)]اهـ.

وفي قوله تعالى من سورة الأحزاب الآية 36 :﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً مُبِيناً ﴾ .

قال ابن كثير رحمه الله:[فهذه الآية عامة في جميع الأمور. وذلك أنه إذا حكم الله ورسوله بشيء فليس لأحد مخالفته ولا اختيار لأحد هنا ولا رأي ولا قول (.....) ولهذا شَدد في خلاف ذلك فقال:[ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا] وكقوله تعالى [فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم] اهـ.

- قال الإمام أبو بكر الجصاص في تفسير قوله تعالى:[فلا وربك لا يؤمنون...] الآية السابقة:(وفي هـذه الآية دلالة على أن من رد شيئا من أوامر الله تعالى أو رسوله صلى الله عليه وسلم، فهـو خـارج مـن

ملة الإسلام، سواء رده من جهة الشك فيه، أو من جهة ترك القبول و الانقياد و الامتناع عن التسليم. وذلك يوجب صحة ما ذهب إليه الصحابة في حكمهم بارتداد من امتنع عن أداء الزكاة) أحكام القرآن ج2 ـ ص212.

- وقال الإمام ابن تيمية رحمه الله تعالى:

﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (النور 51) .

قال:[فبين سبحانه أن من تولى عن طاعة الرسول وأعرض عن حكمه فهو من المنافقين وليس بمؤمن. وأن المؤمن هو الذي يقول سمعنا وأطعنا. فإذا كان النفاق يثبت ويزول الإيمان بمجرد الإعراض عن حكم الرسول وإرادة التحاكم إلى غيره مع أن هذا ترك محض، وقد يكون سببه قوة الشهوة فكيف بالتنقص ونحوه] اهـ (الصارم المسلول، ص 38).

- كذلك نقل شيخ الإسلام اتفاق الفقهاء فقال: (والإنسان متى حلل الحرام ـ المجمع عليه ـ أو حرم الحلال المجمع عليه ـ أو بدل الشرع ـ المجمع عليه ـ كان كافرا مرتدا باتفاق الفقهاء) الفتاوى ج3 ص267.

- وقال رحمه الله في الفتاوى ج35 ص406:(ومن حكم بما يخالف شرع الله ورسوله وهو يعلم ذلك فهو من جنس التتار الذين يقدمون حكم الياسق على حكم الله ورسوله).

- ويقول أيضا في منهاج السنة ج3 ص22:(فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه عدلا من غير إتباع لما أنزل الله فهو كافر).

- وفي الفتاوى الكبرى ج4 ص515:(ومعلوم بالإضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ إتباع غير دين الإسلام أو إتباع غير شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فهو كافر).

- ويقول الإمام ابن القيم رحمه الله: عند قوله تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴾ النساء 59.

قال:[وهذا دليل قاطع على أنه يجب رد موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس، من الدين كله، إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم. لا إلى أحد غير الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، فمن أحال الرد إلى غيرهما، فقد ضاد أمر الله ، ومن دعا عند النزاع إلى حكم غير الله ورسوله، فقد دعا بدعوى الجاهلية، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله، ولهذا قال تعالى:[إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر] وهذا مما ذكر آنفا، أنه شرط ينفي المشروط

بانتفائه، فدل على أن من حكّم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجا عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.وحسبك بهذه الآية العاصمة القاصمة بيانا وشفاء.فإنها قاصمة لظهور المخالفين لها، عاصمة للمستمسكين بها، المتمثلين ما أمرت به] اهـ (الرسالة التبوكية).

- وفي نفس هذه الآية (النساء 59) قال ابن كثير رحمه الله:[فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة ولم يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله ولا باليوم الآخر] اهـ (تفسير ابن كثير).

- ويقول ابن القيم رحمه الله:(ثم أخبر سبحانه أن من تحاكم إلى غير ما جاء به الرسول فقد حكم الطاغوت وتحاكم إليه.والطاغوت كل ما يتجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع، فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه غير الله ورسوله أو يعبدونه من دون الله أو يتبعونه على غير بصيرة من الله). إعلام الموقعين ج1 ص5.

- وقال رحمه الله في مدارج السالكين 1ص 337): إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه حكم الله فهذا كفر أكبر).

- يقول القاضي أبو يعلي في أصول الدين ص 271:(ومن اعتقد تحليل ما حرم الله بالنص الصريح، أو من رسوله أو أجمع المسلمون على تحريمه، فهو كافر،كمن أباح شرب الخمر ومنع الصلاة والصيام والزكاة. وكذلك من اعتقد تحريم شئ حلله الله أباحه بالنص الصريح أو أباحه الله عز وجل. والوجه فيه أن في ذلك تكذيب لله تعالى ولرسوله في خبره، وتكذيب للمسلمين في خبرهم. ومن فعل ذلك كفر بإجماع المسلمين).

- قال الإمام القرطبي في تفسيره عند قوله تعالى:[وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون] التوبة 12. قال:(استدل بعض العلماء بهذه الآية على وجوب قتل من طعن في الدين إذ هو كافر، والطعن أن ينسب إليه ما لا يليق به، أو يعترض بالاستخفاف على ما هو من الدين لما ثبت من الدليل القطعي على صحة أصوله واستقامة فروعه) ج8 ص82.

فانظروا اليوم في خطابات وتصريحات هؤلاء الرؤساء وأعوانهم،وما فيها من طعن بالدين واستخفاف بشعائره.

وقال رحمه الله:(إن حكم بما عنده على من أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر) ج6 ص191.

وقال:(إن طلب غير حكم الله من حيث لم يرض به فهو كافر) تفسير القرطبي.

ونكتفي بهذه الآثار. والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.
والشواهد كثيرة جدا، من أقوال الأئمة والعلماء ونصوص الكتاب والسنة.

فهذه الآيات البينات والآثار الواضحات، تدل بكل نصاعة على أن القضية تَمُسُّ طبقتين من الناس هما:

1 ـ الحاكم. 2 ـ المحكوم.

فأما المحكوم:

فواجبه الانقياد لشرع الله. واختيار الحكم به.و الرضا بنتيجته سواء له أم عليه. وأن لا يجد في نفسه أي غضاضة. وأن يسلم تسليما مطلقا لحكم الله.. وأن إيمان المسلم ينقص ويجرح (مع بقاء حكم الإسلام في الظاهر عليه) بقدر ما يجد في هذا الحكم من كراهة أو غضاضة، وأن هذا النقص في الإيمان قد يكبر بقدر عدم تسليمه لشرع الله ونوع رفضه له،حتى إذا ما بلغ في المحكوم أن يرفض حكم الله لعدم الإيمان به، أو انتقاصا له، أو عدم قناعته بصلاحيته، وتقديم وتفضيل أحكام البشر عليه، فهذا ينقض الإيمان بالكلية، ويفضي إلى الكفر بصاحبه والعياذ بالله.

وأما الحاكم:

الذي تولى رقاب الناس، وأشركه الله في حكمه. فإنه شخص يفترض فيه العلم وعدم الجهل. إما بذاته وإما بوجود الأمر والنهي والإرشاد من أهل العلم والدين. كما يفترض فيه القدرة لأنه صاحب السلطان. فهو ليس مكرهاكما قد يكون حال آحاد الرعية. وهذا الحاكم للمسلمين يستمد مشروعيته أصلا من كونه الأمين على تطبيق شرع الله في المسلمين. والآيات والسنة والآثار متواترة على أن المستبدل لشرع الله بأحكام البشر والراغب عنها، مستعيضا بها غيرها،فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى شرع الله فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. كما مر معنا في قول ابن كثير رحمه الله. وقد جمع الله لفاعل ذلك في القران كل صفات الكفر به فقال تعالى في سورة المائدة:

- ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة/44) .
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (المائدة/45).
- ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (المائدة/47) .

وقد نالت هذه الحقيقة العقدية الهامة وهي (كفر الحاكم بغير ما أنزل الله المبدل لشرع الله،من التلبيس والجحود والتلاعب بآيات الله، وإخراجها عن مضمونها، إرضاء لرغبات السلاطين والملوك الناكبين عن شرع الله، ما لم تنله غيرها من الآيات والأحكام. وذلك منذ بدأ يطرأ النقض والنقص على شعيرة الحكم بما أنزل الله. تماما كما أخبر صلى الله عليه وسلم. فبدأ الملوك والسلاطين

الحاكمون بشرع الله يتهربون من تطبيق بعض الأحكام، على أنفسهم وعلى المقربين منهم لأهواء نفسية، أو محاباة شخصية. وبدأ هذا النقص يكبر ويكبر إلى أن وصل بسقوط الخلافة الإسلامية إلى استبدال كلى لشرع الله. ووصل العدوان على سلطان الله العظيم. إلى استلاب حق التشريع وإعطائه للبشر. فصار حكام المسلمين يشرعون من دون الله أصالة، ويبدلون الشرع ويحرفونه تقنينا وتشريعا، ويأخذون ما يشاؤون ويدعون ما يشاؤون.

وهذه قفزة جديدة إلى الكفر،من ذلك الجور والضلال الذي ارتكبه الملوك الأوائل، مع حكمهم بالشريعة عموما. وهذا الموضوع طويل. وقد تناوله العلماء المعاصرون والكتاب المسلمون وفصلوا فيه وردوا عن الحقيقة الشرعية مماحكات الجهال، و تلبيسات المبطلين من بعض علماء السلاطين وأجهزة النفاق والمؤسسات الدينية الرسمية، الذين أرادوا أن يرقعوا كفر حكامهم المعاصرين وأن يلبسوهم زورا وبهتانا سربال الإسلام.

ولا يسمح الإيجاز الذي يحكم هذا الكتاب، بمزيد من الشواهد والتفاصيل، إلا أني ألفت نظر القارئ المسلم، إلى نقاط مهمة لفهم حقيقة كفر حكام بلاد المسلمين اليوم:

أولا: قد يسأل سائل، فيقول: إذا كان الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا، فلماذا أطلق القرآن الكريم لفظة (الفاسقون) و(الظالمون) عليه ولم يقتصر على قوله (الكافرون) عند قوله: ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم...﴾؟ وجواب هذا من وجهين والله تبارك وتعالى أعلم:

1. أن الحكم بغير ما أنزل الله، قد يكون فسقا، وقد يكون ظلما، غير مخرجين من ملة الإسلام إلى الكفر وقد قال هذا بعض السلف في حكامهم الأوائل من أمثال بعض خلفاء بني أمية وبني العباس. وذلك إذا كانت واقعة الحكم بغير ما أنزل الله، هي في حالات محدودة، أسبابها الهوى أو المحاباة مع التسليم بحكم الله ومعرفته، واعتقاد أفضليته ووجوبه، واعتقاد ذلك الفاعل بأنه مذنب مقصر، من دون أن يصرح أحد منهم بالحكم بغير ما أنزل الله، أو باستبداله على سبيل التشريع، فهذا الذي يحصل اليوم ليس له سابقة في تاريخ المسلمين كله، إلا في هذه الأزمنة التي نصت فيها دساتير الحكام وقوانينهم على أن أحكام السرقة و الزنا والقتل سواها من أحكام الدماء والأموال والأعراض، وقوانين الإدارة في السلم والحرب والقضاء والسياسات... إلخ. ليست المنصوص عليه في الشريعة الإسلامية. وإنما أحكام وضعوها هم و اقتبسوها من قوانين الكفار.فهذا الحال هو تبديل لشرع الله، وتشريع من دون الله، وليس فقط حكم بغير ما أنزل الله في واقعة محدودة. فقد كان ذاك عند السلف فسق وظلم وأما هذا التبديل والتشريع فهو عندهم كفر بالإجماع. كما نقل ابن كثير وغيره ممن ذكرنا. كفر ينقل صاحبه عن الملة ويوجب قتاله بلا خلاف، عند السلف والخلف وأئمة الفقه والتفسير وأهل الحديث.. وهو حالة حكام بلادنا اليوم. لأن دساتيرهم وقوانينهم

مصرحة بلا مواربة بتبديل شرع الله واستبعاده. ومن المعلوم اليوم أن معظم الحدود الشرعية قد استبدلت بأحكام من السجن والغرامات المالية في القانون الوضعي في بلاد المسلمين، هذا غير ما أحل من المحرمات، كالزنا والربا والخمر، بإجازات وتراخيص حكومية بالإضافة إلى بناء السياسة الداخلية والخارجية على أحكام تضاد ما أنزل الله، وبناء السلطة القضائية على دساتير مستمدة من فلسفات أوروبا الرومانية، وبناء السلطة التشريعية على أساس حق التشريع من دون الله، وهذا هو حال دساتير الدول الإسلامية.

وهذا ليس له سابقة في التاريخ القديم إلا ما فعله جنكيز خان وأحفاده المغول لما حكموا بلاد المسلمين، وزعموا الإسلام، وصلوا وأذنوا. ولكنهم حكموا بالياسا فكفرهم علماء المسلمين وقاتلوهم.

*وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

*يقول الشيخ محمد رضا رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُوداً﴾ النساء:69

(و الآية ناطقة بأن من صد وأعرض عن حكم الله ورسوله عمدا ولاسيما بعد دعوته إليه وتذكيره به فإنه يكون منافقا. لا يعتد فيما يزعمه من الإيمان وما يدعيه من الإسلام) تفسير المنار ج 5 ص227.

وقد تكلم في هذه المسألة جمع من علماء المسلمين المعاصرين الذين عاشوا واقع كفر حكامنا في هذا العصر، وبينوا أن ما يصدر عنهم من تشريع وتبديل لشرع الله وحكم بغير ما أنزل الله هو كفر أكبر. وننقل ههنا طائفة من أقوالهم:

* قال الشيخ محمود الآلوسي في تفسيره : (لا شك في كفر من يستحسن القانون ويفضله على الشرع، ويقول هو أوفق بالحكمة، وأصلح للأمة، ويتميز غيظاً ويتعصب غضبا إذا قيل له في أمر الشرع فيه كذا . كما شهدنا ذلك في بعض من خذلهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم. فلا ينبغي التوقف في تكفير من يستحسن ما هو بين المخالفة للشرع منها، ويقدمه على الأحكام الشرعية منتقصا للحق) [روح المعاني ج 28 ص 20].

* وقال الشيخ محمد أمين الشنقيطي رحمه الله :(ومن لم يحكم بما أنزل الله معارضة للرسل وإبطالا لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كله مخرج من الملة) [أضواء البيان ج2ص104.]

*وقال في تعليقه على حديث عدي بن حاتم وقول النبي صلى الله عليه وسلم:(**ألم يحرموا عليكم ما أحل الله ويحلوا لكم ما حرم الله فتبعتموهم ؟ قال بلى، قال فتلك عبادتهم**).قال رحمه الله : (وهذا التفسير النبوي:أن كل من يتبع مشرعا بما أحل وحرم مخالفا لتشريع الله أنه عابد له، متخذه ربا،مشرك به كافر بالله. هو تفسير صحيح لا شك في صحته، واعلموا أيها الأخوان أن الإشراك

بالله في حكمه، والإشراك به في عبادته كلها بمعنى واحد ولا فرق بينهما البتة، فالذي يتبع نظاما غير نظام الله، وتشريعا غير تشريع الله، وقانونا مخالفا لشرع الله، من صنع البشر معرضا عن نور السماء الذي أنزله الله على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من كان يفعل هذا هو ومن كان يعبد الصنم ويسجد للوثن، لا فرق بينهم البتة بوجه من الوجوه فهما واحد، كلاهما مشرك بالله، هذا أشرك في عبادته، وهذا أشرك في حكمه) أضواء البيان.

* ويقول في نفس التفسير:(وبهذه النصوص السماوية التي ذكرنا يظهر غاية الظهور أن الذين يتبعون القوانين الوضعية التي شرعها الشيطان على لسان أوليائه مخالفة لما شرعه الله جل وعلا على ألسنة رسله، أنه لا يشك في كفرهم إلا من طمس الله على بصيرته وأعماه عن نور الوحي مثلهم).

*ويقول رحمه الله (وأما النظام الوضعي المخالف لتشريع خالق السموات والأرض فتحكيمه كفر بخالق السموات والأرض. كدعوى أن تفضيل الذكر على الأنثى في الميراث ليس بإنصاف، و أنهما يلزم إستواؤهما فى الميراث،ودعوى أن تعدد الزوجات ظلم وأن الطلاق ظلم للمرأة ، وأن الرجم والقطع ونحوهما،أعمال وحشية لا يسوغ فعلها بالإنسان ونحو ذلك، فتحكيم هذا النوع من النظام في أنفس المجتمع وأموالهم وأنسابهم وعقودهم وأديانهم، كفر بخالق السموات والأرض) أضواء البيان ج4ص84 .

* قال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله ، وهو إمام محدث معاصر توفى سنة 1958، وكان قد عمل في مجال القضاء الشرعي في مصر ثم اعتزله، قال في تعليقه وتحقيقه لمسند الإمام أحمد عند الحديث رقم 7747:(ومن حكم بغير ما أنزل الله عامدا عارفا فهو كافر. ومن رضي عن ذلك وأقره فهو كافر، سواء أحكم بما يسميه شريعة أهل الكتاب أم بما يسميه تشريعا وضعيا. فكله كفر وخروج من الملة، أعاذنا الله من ذلك).

ومما جاء عنه رحمه الله:(أفيجوز مع هذا في شرع الله أن يحكم المسلمون في بلادهم بتشريع مقتبس عن تشريعات أوربا الوثنية الملحدة، بل بتشريع تدخله الآراء والأهواء الباطلة.يغيرونه ويبلونه كما يشاؤون . ولا يبالي واضعه أوافق شرع الإسلام أم خالفه، إن المسلمين لم يبتلوا بهذا قط إلا في عهد التتار) إلى أن قال (ما أظن رجلا يعرف دينه ويؤمن به جملة وتفصيلا(...) ما أظنه يستطيع إلا أن يجزم غير متردد ولا متأول ، بأن ولاية القضاء في هذه الحالة باطلة بطلانا أصليا لا يلحقه التصحيح ولا الإجازة.إن الأمر في هذه القوانين الوضعية واضح وضوح الشمس هي كفر بواح لا خفاء فيه ولا مداراة ولا عذر لأحد ينتسب لأهل الإسلام كائنا من كان في العمل بها أو إقرارها)

عمدة التفاسير ج4ص171.

2. إن لفظة (الفسق) و(الظلم) في لغة القرآن الكريم، يعبر بها في كثير من المواضع عن الكفر الصريح، المناقض للإيمان. وشواهد هذا في القرآن كثيرة، ومن ذلك:

- إطلاق لفظ الفسق على صريح الكفر، مثل قوله تعالى في سورة الكهف، الآية28: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ﴾ ومعلوم أن إبليس كفر بفسقه هذا واستحق اللعنة والطرد فسمى كفره (فسقا).

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا يَمَسُّهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ الأنعام 48- 49 .
وواضح أن الذي كذب بآيات الله قد كفر، فقال عنهم (يفسقون)

وفي سورة البقرة الآية 99:﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلا الْفَاسِقُونَ ﴾. وهذا لا يحتاج الى شرح.

- إطلاق لفظ الظلم على الشرك والكفر: قال تعالى في سورة لقمان:﴿ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لقمان13 وهذا واضح ، فسمى الشرك ظلما. وقوله تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً ﴾ النمل-14. والجحود كفر فسماه ظلما.

- كما جمع الله صفات الظلم والفسق مع الكفر والنفاق في أكثر من موضع منها: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً ﴾ النساء/168. ﴿ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴾ البقرة-99.

﴿ فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلاً غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزاً مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴾ البقرة-59.

- وفي سورة التوبة بعد حكمه بالكفر على المنافقين المستهزئين بالدين في الآية 66 قال في الآية 67:

﴿ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا ﴾ وشواهد القرآن كثيرة، وما زعموه من أن كفر الحكام الحاليين هو مجرد فسق أو ظلم مردود. والصواب أنهم: كافرون،ظالمون فاسقون في آن واحد. والله تعالى أعلم.

ثانيا: ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله: ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾ التوبة

[31] فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم رضي الله عنه، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسلم وكان نصرانيا، وجده يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم لم يعبدوهم. فقال صلى الله عليه وسلم: (**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم)** ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة الآية والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم : ﴿ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي ﴾ القصص – 38.

﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى﴾ النازعات – 24.

لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى:﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ الزخرف-54.

فكيف لا يحكم بكفرهم ؟ ! وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع،بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل و المرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...الى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ثالثا: يجدر بنا لفت النظر الى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم (الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنين). ثم التشريع والتقنين من دون الله تحت هذا العنوان.كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان

واليمن...فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من علماء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه جل جلاله، وقال في الحديث القدسي:(من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: ﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ (الأنفال/39). وقال تعالى: ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ * أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ الزمر-3.

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال : ﴿ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلا إِيَّاهُ ﴾ يوسف-67. والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى:

﴿ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ الأنفال-39 :[عن ابن عباس: يعني لا يكون شرك]، [وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: حتى لا يفتن مسلم عن دينه]،[وعن محمد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:(كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغيير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر. إذ الزيادة و النقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر)الاعتصام.

وقال الإمام ابن تيمية:

(فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى [يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله]وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد إتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو

عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله) . ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة:

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام ؛ مسلمين صالحين، وأولياء أمور شرعيين. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

فبصراحة ووضوح، وبحق الشهادة لله الذي أمرنا بقوله:[لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلا تَكْتُمُونَهُ]. فإنه يجب علينا أن نقول:

إن من الخطأ، إنزال بعض العلماء مقولة بعض السلف عن سلاطين المسلمين الأوائل الذين كانوا يحكمون بما أنزل الله، ويجاهدون في سبيل الله، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر وكان فيهم جور وظلم، كبعض ملوك بني أمية و بني العباس، فقالوا عن بعض حالات حكمهم بغير ما أنزل الله، أنها (كفر دون كفر) أو (كفر أصغر). إن من أعظم الغلط إنزال هذا القول على حكام المسلمين اليوم، الذين وصفنا فيما سبق حالهم وحال قوانينهم، وسلطاتهم التشريعية!!

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرِّع) هكذا باللفظ الصريح..

ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!.

فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه!

ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

والآن تطرح علينا مسألة هامة اشتط فيها قوم وأفرطوا حتى كفروا المسلمين. وفرَّط آخرون حتى أسلموا الكافرين وشهدوا على المرتدين بالإسلام.هذه المسألة هي:

من هم المرتدون الكفار في حكومة الحاكم الكافر أو المرتد؟

يقول الله تعالى:[**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**]. و كما هو معلوم من لغة العرب، فإن لفظة (**من**) اسم موصول، بمعنى (**الذي**)، وهي من صيغ العموم والشمول. فقوله (من لم يحكم) تعني الذي لم يحكم، وتشمل كل من لم يحكم.

فإذا كان النظام قائما على حكم فرد مطلقا، بدون مؤسسات حاكمة معه، كما كان حكم الفرعون، وكما هو حكم الحكام المستبدين. فالكافر هو الحاكم وحده ولفظة (من) أي (الذي) تخصه وحده. وأما أعوانه المنفذون فهم (**طائفة كفر أو ردة**) بشكل عام. يأثمون بقدر مشاركتهم التي قد تصل للكفر وقد تكون إثما.

وأما إذا كان الحكم عبر مؤسسات، تباشر الحكم بشكل جماعي، كما هو حال معظم حكومات العالم اليوم، فالمؤسسات المباشرة للحكم وكبار القائمين عليها كفار.

وفي الحالة المعروفة اليوم، فالحكومات الدستورية، تقوم على سلطات ثلاثة:

1.السلطة التنفيذية: وهم الرئيس ونوابه. والوزراء ونوابهم.

2. السلطة التشريعية: وهم نواب البرلمان، أو من يعادلهم من المختصين بتشريع المراسيم وسن القوانين.

3. السلطة القضائية: وهم الادعاء العام أو النيابة العامة، وأنواع القضاة، والمحاكم المختلفة: العامة، الاستئناف، التمييز المحكمة العليا...الخ.

وأما إذا كانت الحكومة، دكتاتورية(عسكرية، أو أسرية، أو حزبية....) فالحكومة تقوم على مؤسسة واحدة مؤلفة من الحاكم الديكتاتور وأعوانه المباشرين للحكم والسلطة والتشريع والقضاء.

وفي كلتا الحالتين. فالقاعدة هي ذاتها:[**ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون**].

وعليه :

ففي الحكومات الدستورية ، وبحكم عموم اللفظ **(من)** ، **فالكفار المرتدون هم:**

1. 1- السلطة التنفيذية: الرئيس(أو الملك) ونوابه، و الوزراء ونوابهم.

2- السلطة التشريعية: نواب البرلمان، وأعضاء مجلس الشورى، (من الذين يشرعون مواد الدساتير، أو نصوص القوانين، على غير ما أنزل الله. أو يقرونها. أو يصادقون عليها. أو يقبلونها .)

3- السلطة القضائية: القضاة الذين يحكمون بغير ما أنزل الله.

وفي الحالة الدكتاتورية ، وبحسب نفس القاعدة ، **فالكفار المرتدون هم:**

1- الحاكم الدكتاتور ونوابه.

2- كبار أعوانه المباشرين وأعضاء حكومته أو إدارته أو وزرائه المباشرين للسلطة، من حكم وتشريع وقضاء.

وقد نشأت بسبب الانقلابات العسكرية على حكومات دستورية. أنظمة حكم جديدة، يمكن تسميتها: (دكتاتوريات دستورية!!) (وهذا اسم نطلقه ليس على سبيل الفكاهة). فهي دكتاتورية على وجه الحقيقة. ودستورية من حيث الادعاء والضحك على عقول الشعوب (وهذه هي الحالة في بلدان العالم العربي والإسلامي).

وفي هذه الحالة تبقى القاعدة هي ذاتها :

[من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون]. فالكفار المرتدون هم: الحاكم الدكتاتور، وأعوانه المباشرون للسلطة والحكم بالكفر وللتشريع وللقضاء بغير ما أنزل الله.

ومن الأدلة الناصعة في القرآن والسنة، على كفر من أعطى نفسه حق التشريع من التحليل والتحريم، وتبديل الشرائع والعدوان على حاكمية الله، وجعل نفسه بذلك ربا يعبد، ما أخبر به سبحانه عن كفر اليهود والنصارى، في قوله:

﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ (التوبة:31) .

فقد روى الإمام أحمد والترمذي وابن جرير عن طريق عدي ابن حاتم رضي الله عنه، كما نقل ذلك ابن كثير في تفسيره، أن عديا لما جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليسلم وكان نصرانيا، وجده

يقرأ هذه الآية.فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: إنهم لم يعبدوهم. فقال صلى الله عليه وسلم:(**بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام. فاتبعوهم. فذلك عبادتهم إياهم**)

ومعلوم أن تفسير القرآن بالسنة الثابتة هو من أصح التفاسير. ودلالة الآية والحديث واضحة تماما،تدل على أن من شرع فحلل وحرم، فقد جعل نفسه ربا. وعلى أن من أطاعه فقد عبده، وهذه هي عبادة قوم فرعون لفرعون. فهو لما قال لهم [**ما علمت لكم من إله غيري**] القصص – 38. [**فقال أنا ربكم الأعلى**] النازعات – 24.لم يطلب منهم أن يعتقدوا أنه هو الذي خلقهم ورزقهم وخلق الكون ودبره، فقد كان للمصريين في عهده آلهة يعبدونها بهذه الصفة، وإنما عبدوه إلها مشرعا بالطاعة. وهو نفس الدور الذي يقوم به حكام المسلمين اليوم ومشرعوهم، وبرلماناتها الكافرة الظالمة الفاسقة. وقد قال تعالى:[**فاستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين**] الزخرف-54.

كيف لا وهم في مراسيمهم وبرلماناتهم يحلون الخمور، تصنيعا وبيعا وترخيصا، ويقبضون عليها الرسوم والمكوس، وكذلك دور الزنا وبنوك الربا، ويساوون في حق التصويت على التشريع،بين المؤمن والكافر، وبين البر والفاجر، وبين الرجل و المرأة، وبين العالم والجاهل... ويعقدون الأحلاف المحرمة، ويبرمون المعاهدات الباطلة، ويمنعون مساجد الله أن يذكر فيها اسمه، ويسعون في خرابها، ويحرمون في مقابل ذلك مما أحلوا. الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والجهاد، والجزية ، والاحتساب، وأنواعا من البيع الحلال... ناهيك عن القوانين التي تبيح المكوس الظالمة، وتقنن لقتل وسجن وتشريد الناس ظلما وعدوانا...إلى آخر ما شرعوا وقننوا وأحلوا وحرموا، قاتلهم الله أنا يؤفكون.

ويجدر بنا لفت النظر إلى أمر هام. وهو أن بقاء رسوم من أثار الشريعة. ونتفا من أحكامها طي سجلات القوانين الوضعية، كبعض أحكام الأحوال الشخصية، والزواج والطلاق والميراث، في بعض البلاد الإسلامية، لا يجعل الحكم يوصف بأنه حكم الشريعة. كما أن التزوير والضحك على عقول البسطاء بعنونة الدستور بالكلمة الفارغة الخادعة، وهي قولهم(الشريعة الإسلامية هي مصدر التشريع والتقنيين) أو (الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسي للتشريع) كما في بعض البلاد، أو حتى بالمبالغة بالدجل بالقول (الشريعة الإسلامية هي المصدر الوحيد للتشريع والتقنيين). ثم التشريع والتقنيين من دون الله تحت هذا العنوان.كما في بعض البلاد كالسعودية والسودان واليمن...فهذا لا يجعل الحكم شرعيا، ولله المشتكى كم يستخفون بعقول شعوبهم، باستخدام بعض العلماء من عملاء السلطان. فمن يقبل أن يشتري قارورة خمر، كتب عليها (حليب) على أنها حليب، أو زيت!!! وهل يطهر الخمر بالكتابة علية؟!. هذا من جهة. ومن جهة أخرى، فإن من المعلوم في ديننا أن النجاسة تلغى الطهارة، والله أغنى الأغنياء عن الشرك، كما أخبر عن نفسه جل جلاله، وقال في

الحديث القدسي:(من عمل عملا أشرك فيه معي غيري تركته وشركه) رواه مسلم. والله لا يقبل إلا أن يكون الدين كله لله، قال تعالى: [وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله](الأنفال/39). وقال تعالى:[إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين* ألا لله الدين الخالص] الزمر-3.

والعبرة ليست في كبر وعظم هذا الشرك بالتشريع، أو بحجم ما خلط بالحكم بغير ما أنزل الله. وإنما باستحلال هذا الفعل والإقدام عليه، والعدوان على حاكمية الله الذي قال :[إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه]يوسف-67. والفتنة التي نحن فيها هي أن الدين في بلادنا لم يعد كله لله. قال ابن كثير في قوله تعالى:[وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله] الأنفال-39.:[عن ابن عباس: يعني لا يكون شرك]، [وعن عروة وغيره من علمائنا [حتى لا تكون فتنة]: حتى لا يفتن مسلم عن دينه]،[وعن محمد بن اسحق: ويكون التوحيد خالصا لله ليس فيه شرك. ويخلع ما دونه من الأنداد].

قال الإمام الشاطبي رحمه الله:(كل بدعة وإن قلت بتشريع زائد أو ناقص أو تغير للأصل الصحيح، كل ذلك قد يكون ملحقا بما هو مشروع، فيكون قادحا في المشروع. لو فعل أحد مثل هذا في نفس الشريعة عامدا لكفر.

إذ الزيادة و النقصان فيها أو التغير قل أو كثر كفر فلا فرق بين ما قل أو كثر) الإعتصام .

وقال الإمام ابن تيمية:(فإذا كان بعض الدين لله وبعضه لغير الله وجب القتال حتى يكون الدين كله لله. ولهذا قال تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ فإن لم)فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ (البقرة:279) .

بحرب من الله ورسوله] وهذه الآية نزلت في أهل الطائف لما دخلوا في الإسلام، والتزموا الصلاة والصيام، ولكنهم إمتنعوا عن ترك الربا وبين الله تعالى أنهم محاربون له ولرسوله. فإذا كان هؤلاء محاربين لله ورسوله يجب جهادهم، فكيف بمن يترك كثيرا من شرائع الإسلام وأكثرها كالتتار؟! وقد اتفق علماء الإسلام على أن الطائفة الممتنعة، إذا امتنعت عن بعض الواجبات الإسلامية، فإنه يجب قتالهم، إذا تكلموا بالشهادتين وامتنعوا عن الصلاة والزكاة، أو صيام رمضان أو حج البيت العتيق أو عن الحكم بينهم بالكتاب والسنة أو عن تحريم الفواحش أو الخمر أو نكاح ذوات المحارم، أو استحلال ذوات النفوس والأموال بغير الحق، أو الربا أو الميسر، أو الجهاد للكفار، أو عن ضربهم الجزية على أهل الكتاب...ونحو ذلك من شرائع الإسلام، بأنهم يقاتلون عليها حتى يكون الدين كله لله)ج 28 مسألة 217.

فالخلاصة :

أنه اذا ما اختلط دين الله بدين غيره، وتشريعه بتشريع غيره، وحكمه بحكم غيره، كانت الفتنة عن دين الله، ووجب القتال حتى لا تكون فتنة. وهذا هو الحاصل اليوم وما جناه حكامنا علينا من فساد في الداخل. وعدوان من الخارج وضنك في الحياة العامة. وذل على يد الأعداء.

ولقد سمى ربنا سبحانه وتعالى أمثال هؤلاء الحكام (الكافرون، الفاسقون، الظالمون)، فجاء من عملاء السلاطين من يسمى هؤلاء الحكام مسلمون صالحون، وأولياء أمور شرعيون. وكأن عندهم قرآنا خاصا بهم كتبوا فيه: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم المسلمون المؤمنون الصالحون !!!.

سبحان الله!! كيف وقد أوجدوا مختصين بالقانون الوضعي، درسوا في بلاد الصليب الكافرة في الغرب، وأسموا واحدهم(مشرع) هكذا باللفظ الصريح.. ناهيك عن ما يفعله هؤلاء الملوك والرؤساء والأمراء من سن القوانين وتشريع المراسيم، بما في ذلك حل أجهزة التشريع ذاتها (البرلمان) اذا خطر لهم ذلك!. فالحاكم تارة يعبد المشرع ويطلب من الناس عبادته، وتارة يسجنه، وإذا أراد أن يقتله قتله!!! كما كان عباد الأصنام يصنع واحدهم إلها من تمر ثم يأكله! أو إلها من خشب ثم يحرقه ليطبخ عليه! ناهيك عن وجوه الكفر الأخرى التي تلبسوا بها من ولاء الكافرين، وقتل المؤمنين ، وأوجه نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال.

هذا عن كفر حكام بلاد الإسلام في هذا الزمان من باب التشريع من دون الله والحكم بغير ما أنزل الله.

ولكن هؤلاء المحاربين لله ورسوله لم يكتفوا بكفرهم من هذا الوجه ، فأضافوا إليه كفرا أشد وضوحا، وأسهل إثباتا. وهو ولاؤهم لأعداء المسلمين ومعاونتهم للكفار ومظاهرتهم على شعوبهم وأهل ملتهم . فلنتأمل في بعض التفصيل الموجز في الحكم الشرعي في جريمتهم الأخرى هذه .

عقيدة الولاء و البراء. وحكم موالاة الكافرين وأنواعها. وحكم قتال المسلمين إلى جانب الكفرة والمرتدين.

بصرف النظر عن أجناس البشر وألوانهم ، واختلاف لغاتهم وشعوبهم ، وغناهم وفقرهم ، أو أي اعتبار آخر. فقد اعتبرت الشريعة لهم نسبتان فقط هما:

(مؤمن) و (كافر). وقررت بالنصوص الواضحات من الكتاب والسنة ، أن أهل الإيمان إخوة، ويشكلون أمة واحدة. فقد قال تعالى:[إنما المؤمنون إخوة] الحجرات 10.

كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (ملة واحدة). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (أهل الإيمان) و (أهل الكفر).

وقال عز وجل: ﴿ **وإن هذه أمتكم أمة واحدة** ﴾ المؤمنون – 52. وقررت بينهم رابطة الولاء و واجباتها. وقررت أن التفاضل بينهم على أساس التقوى. وقررت أن: ﴿**الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور**﴾ البقرة – 257. كما قررت أن الكفار على اختلاف مذاهب كفرهم، وأجناسهم، وشعوبهم، ولغاتهم (**ملة واحدة**). وبهذا الوضوح تقرر أن أهل التكليف إنسهم وجنهم في هذه الأرض أمتان (**أهل الإيمان**) و (**أهل الكفر**).

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (**عقيدة الولاء و البراء**). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

ولم تقم أمام عقيدة الولاء و البراء ولم تعتبر أي رابطة أخرى.. حتى ولا أشد أواصر القربى. فقد قطع الله تلك الأواصر مع أصحابها الكفرة. فقطع الربطة بين سيدنا إبراهيم عليه السلام وأبيه الكافر فتبرأ منه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴾التوبة-114. وقطع الرابطة بين سيدنا نوح صلى الله عليه وسلم وابنه فقال ﴿ قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ ﴾ هود-46. كما قطعها بين آسية المؤمنة وزوجها فرعون الكافر: ﴿ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتاً فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ التحريم-11. كما قطعها بين سيدنا نوح و لوط عليهما السلام وزوجتيهما الكافرتين ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئاً وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴾ التحريم – 10.

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بكل وضوح المؤمنين بموالاة بعضهم بعضا، والبراءة من الكافرين، وعلى هذا بنيت (عقيدة الولاء و البراء). وليست هذه القضية، قضية فرعية من قضايا الإيمان. بل هي قضية أساسية، مرتبطة بأساس التوحيد، إذ يبنى عليها الإيمان أو الكفر، ونسبة الإنسان لإحدى هاتين الأمتين.

وقد قال تعالى : ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22) وأخبر بقوله:﴿ والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض﴾ التوبة – 81. ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ الأنفال – 73. ﴿ والمنافقون والمنافقات بعضهم من بعض ﴾ التوبة – 67.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴾ الجاثـية: 19. فهما نسبتان وجنسيتان، و آصرتان ورابطتان فقط، (مسلم يوالي مسلما)...و(كافر ومنافق يوالون بعضهم بعضا).

وقد أمر الله باعتقاد هذه العقيدة، وأخبر أننا إن لم نفعلها ﴿ تكن فتنة في الأرض وفساد كبير﴾ الأنفال : 73. والناظر في آيات القرآن الكريم، يجد أنها غطت مسألة الأمر بولاية المؤمنين وما يترتب عليها، والنهي عن ولاية الكافرين والأمر بالبراءة منهم وما يترتب عليها، بكل التركيز والوضوح. ويمكن أن نورد طرفا من ذلك بالإيجاز من خلال استخلاص الأحكام و التقريرات القرآنية كما يلي:

1. **<u>المؤمن ولي المؤمن:</u>**

قال تعالى: ﴿ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ (التوبة: 71) .

2. **<u>الكافر ولي الكافر:</u>**

قال تعالى: ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض ﴾ الأنفال – 72. ﴿المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف﴾ التوبة – 67.

3. **<u>النهي عن ولاية الكافرين:</u>**

قال تعالى : ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾ آل عمران:28 ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين﴾ النساء-144.

4. **ولاية المؤمن للمؤمن هي ولاية لله ورسوله وهي نصر وغلبة:**

قال تعالى: ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾ المائدة – 55. ﴿ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون﴾ المائدة – 56.

5. **ولاية المسلم للكافرين هي ولاية للشيطان،ودخول في حزبه:**

وهي خسارة وسخط من الله تعالى يوجب الخلود في النار : قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (المجادلة:14)

إلى قوله تعالى: ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (المجادلة:19) كما قال تعالى: ﴿ تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80). وقال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيّاً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء: 119)

6. **ولاية المسلم للكافرين واهية وسيتبرأ الشيطان من ولايتهم بعد أن ورطهم في الكفر:**

قال تعالى: ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ (العنكبوت:41) وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَاناً مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (العنكبوت:25) وقال تعالى:﴿ كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الحشر:16) .

7. **ولاية المسلم للكافرين تجعله منهم وتحبط عمله وتفضي به إلى الردة:**

قال تعالى: في سورة المائدة : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ (المائدة:51) .

ثم قال بعدها: ﴿ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا أَهَؤُلاءِ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ

أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ المائدة – 54-51.

وبعد أن قال: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً ﴾ (النساء:144) قال بعدها:﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا﴾ النساء – 145.

8.النهي عن اتخاذ الأقرباء والقوم والعشيرة أولياء إن كانوا كافرين:

وأن ودهم مع كفرهم بسبب القرابة مناقض للإيمان: قال تعالى:﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْأِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (*)قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ (التوبة – 24-23).

وقال تعالى: ﴿ لا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْأِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (المجادلة:22).

9. النهي عن اتخاذ الكفرة بطانة وأعوانا وقد بدت البغضاء من أفواههم:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران:118)

10.النهي عن ولاية من قاتلنا وأخرجنا من ديارنا:

قال تعالى:﴿ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ (الممتحنة:9) •

11. النهي عن ولاية من اتخذ ديننا هزوا ولعبا:

قال تعالى:﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُواً وَلَعِباً مِنَ الَّـذِينَ أُوتُـوا الْكِتَـابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ (المائدة:57) .

12. التشديد في النهي عن ولاية اليهود والنصارى خاصة من بين الكافرين:

إن الناظر في أسباب نزول معظم آيات النهي عن ولاية الكافرين، يجد أنها نزلت في النهي عن ولاية اليهود و النصارى. ومع ذلك فقد سمتهم آيات القرآن صراحة من بين الكافرين المنهي عن ولايتهم جميعا قال تعالى:[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء] المائدة – 51 . وقال تعالى:[يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء] المائدة-.57

13. الأمر بالأخذ بملة إبراهيم بالبراءة الكاملة من الكافرين وبغضهم ومعاداتهم:

قال تعالى:﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَداً حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّـهِ وَحْـدَهُ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِـنْ شَيْءٍ رَبَّنَـا عَلَيْـكَ تَوَكَّلْنَـا وَإِلَيْـكَ أَنَبْنَـا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ (الممتحنة:4)

14. حددت الآيات القرآنية أعذار من يتولى الكفار من المسلمين ويقعون في النفاق أنها إما من أجل طلب العزة أو للخوف من الأذى والدوائر:

وقد رد القرآن على هذه الأعذار وأبطلها، وحكم على أصحابها بالنفـاق والـردة والانتسـاب للكفـار، وذلك بسبب مرض قلوبهم وأن عاقبتهم الندم في الدنيا والآخرة وأن مصيرهم إلى النار. قال تعالى:﴿ بشر المنافقين بأن لهم عـذابا ألـيما * الـذين يتخـذون الكـافرين أوليـاء مـن دون المـؤمنين أيبتغـون عنـــدهم العــــزة فــــإن العــــزة للـــــه جميعــــا ﴾ النســـاء-138-139. وقـــال تعـــالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ * فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُـونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِـالْفَتْحِ أَوْ أَمْـرٍ مِـنْ عِنْـدِهِ فَيُصْـبِحُوا عَـلَى مَـا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِـهِمْ نَادِمِينَ﴾ المائدة- 51-52 .

ومن أخطر مظاهر موالاة الكافرين :

1- التشبه بهم في الملبس والسلوك والعادات والأسماء على سبيل الإعجاب والاستحسان والتبعية. وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم (**بعثت بالسيف حتى يعبد الله لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الصغار والذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم**).رواه أحمد.

2-السكن مع المشركين في ديارهم ومساكنهم من غير ضرورة. قال صلى الله عليه وسلم.(**لا تساكنوا المشركين ولا تجامعوهم فمن ساكنهم أو جامعهم فهو مثلهم**) رواه الترمذي.

3- الاحتفال بأعيادهم ومناسباتهم، وتهنئتهم بها، وتبادل الهدايا معهم: وقد شدد علماء الإسلام في قضايا الولاء والمحبة للكافرين.

وهذه الأمور السالفة الذكر من التشبة بالكافرين و مساكنتهم بغير ضرورة شرعية معتبرة، والإحتفال بأعياد المجوس واليهود، والنصارى، قد أصبحت متفشية في المسلمين حتى وكأنها من عاداتهم ودينهم، وكأنه لا يترتب عليها الإثم والغضب من الله تعالى: فأكثر المسلمين اليوم يظنها من مظاهر التمدن والحضارة، وأنها من مزايا علية القوم وأكابرهم. فاللباس الأجنبي والصرعات الغربية في الأزياء، وموديلات قص الشعر، وعادات الطعام والشراب، وهيآت الفرش، والقيام والقعود، والموسيقي والرقص، والسلوك الأوروبي والأمريكي، قد صارت محل سباق وتنافس بين مختلف طبقات المسلمين إلا من رحم الله.

وأما السكن والإقامة في بلاد الكافرين، فالناظر في أعداد المهاجرين لبلاد الكفار. والمقيمين معهم، والمتزوجين منهم، والقاضين حياتهم ومماتهم وحياة ذريتهم في بلاد الكافرين، يدهش من كثرتهم. بل لقد أصبح الناس في بلادنا ينظرون اليهم على أنهم من أصحاب الحظ والفوز اليوم. فالناس يتسابقون ولاسيما الشباب، ويصطفون على أبواب سفارات الكفار ولاسيما أوروبا وأمريكا وأستراليا، ليحظى واحدهم بـ(فيزا) عمل أو هجرة. والناظر في حياة عشرات الملايين من المسلمين في الغرب، يرى العجب العجاب، ولاسيما في أولادهم وأحفادهم، مما يتفطر القلب له، فقد فشا فيهم الزواج بالكافرات بل لقد فشا زواج بناتهم برجال الكافرين، ووجدوا من علماء المسلمين من يفتى لهم بهذا السفاح.!

كما يربى الأولاد تربية الكافرين في مدارسهم، ولا يعرفون لغات آبائهم المسلمين، بل صار بعضهم يدخل جيوش الكفار وأحزابهم! والناظر في أحوال 40 مليون مسلم في أوروبا، ونحو نصفهم في أمريكا وأستراليا، يجد أن الغالبية منهم لم يذهبوا إلى هناك لضرورة سياسية أو أمنية أو إكراه، وإنما لكسب العيش وتحسين مستوى الحياة. فلما إنقضت حاجتهم، استطابوا العيش، ورضوا بالحياة الدنيا، واطمأنوا بها. وما اهتموا لإنسلاخهم أو ذراريهم من دينهم، ولا لانخراط أكثرهم في عداد الكافرين وأما احتفال المسلمين في بلادنا بأعياد الكفار، ولاسيما النصرانية والغربية، فقد صارت عادة رائجة عند أكثر المسلمين في بلادنا. فالاحتفال بعيد الميلاد النصراني، وعيد رأس السنة المسيحية، والأعياد التي اخترعوها، مثل عيد ميلاد الشخص،وعيد الأم، وعيد الأب، وعيد الشجرة، وعيد الزواج، وعيد العشاق، وعيد العمال.. فقد أصبح الاحتفال بها من قبل المسلمين وحكوماتهم ووسائل إعلامهم أمرا عاديا، وبلغ ببعض المسلمين أن ينصبوا في بيوتهم شجرة عيد الميلاد المزينة، ويقدموا لأولادهم الهدايا ليلتها، ويحتفلون بها مثل أعيادنا الفطر والأضحى وأكثر...

وكل ما سبق محرم في الشريعة، يأثم فاعله وهو من مظاهر الفسوق والعصيان. وقد جاءنا نتيجة للهزيمة النفسية الروحية والعقدية والسياسية والعسكرية والاقتصادية أمام الغرب الكافر.

4- الجلوس مع الكفرة والمرتدين والمنافقين وهم يستهزئون بآيات الله وشعائر دينيه وعباده المؤمنين: قال تعالى: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140) .

طاعة الكفار فيما نهى الله عنه ولو بشيء قليل: قال تعالى في سورة محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴾ (محمد:25/26) .

فطاعة الذين كرهوا شريعة الله، في أمرهم ولو بشيء قليل طريق للردة.

5-اتخاذ الكفرة بطانة و مستشارين، وناصحين و معاونين، ووضع المسلمين تحت أمرهم ونهيهم، فهذا شكل من أشكال ولايتهم التي نهى الله عنها.

6-النصيحة للكفار ودلالتهم على ما يقويهم ونصرتهم بالرأي على المسلمين.

7-التحاكم إلى قوانينهم وشرائعهم، هو من أكبر أشكال ولايتهم، قال الإمام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ج199/28:[**ومن جنس موالاة الكفار التي ذم الله بها أهل الكتاب والمنافقين، الإيمان ببعض ما هم عليه من الكفر، أو التحاكم إليهم دون كتاب الله. كما قال تعالى:**

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيباً مِنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلاءِ أَهْدَى مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلاً ﴾ النساء – 51.

- **إلا أن أخطر ذلك وأوضحه ردة هو :**

8- القتال معهم وتحت رايتهم وفي خدمة مصالحهم، وهذه أعظم أشكال الولاية، حيث يضحي المرء بروحه في سبيل الكفار، وهو كفر مخرج من ملة الإسلام، وانتماء إليهم بنص القرآن: ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. وقد برئ الله منه: ﴿ فليس من الله في شيء﴾ البقرة-28. وقد قال تعالى:﴿ الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت ﴾ البقرة-76. وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَداً أَبَداً وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾

(الحشر:11) .

ومن الآثار التي وردت في تفسير بعض النصوص القرآنية السابقة:

- قال ابن حزم رحمه الله ينقل الإجماع :(صح أن قول الله تعالى﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ إنما هو على ظاهره، **بأنه كافر من جملة الكفار** ، **وهذا حق لا يختلف فيه اثنان من المسلمين**) المحلى ج13 ص25.
- قال الطبري في تفسيره ج1 ص277: (من تولى اليهود والنصارى من دون المؤمنين فإنه منهم، **أي من أهل دينهم وملتهم** ، فإنه لا يتولى متول أحد إلا وهو به وبدينه وما هو عليه راض وإذا رضيه ورضي دينه فقد عادى ما خالفه وسخط **وصار حكمه حكمه**).
- وقال ابن جرير في تفسير{من اتخذ الكفار أعوانا وأنصارا وظهورا يواليهم على دينهم ويظاهرهم على المسلمين فليس من الله في شيء أي قد برء الله منه بارتداده عن دنه ودخوله في الكفر).ج3 ص228.
- وقال ابن القيم في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص67:(إن الله حكم ولا أحسن من حكمه أنه من تولى اليهود والنصارى فهو منهم{ومن يتولهم منكم فإنه منهم } **فإذا كان أولياؤهم منهم بنص القرآن كان لهم حكمهم**).
- قال ابن كثير في تفسير سورة المائدة الآية 53-50.:

[ينهي تبارك وتعالى عباده المؤمنين عن موالاة اليهود والنصارى الذين هم أعداء الإسلام وأهله قاتلهم الله. ثم أخبر أن بعضهم أولياء بعض. ثم تهدد وتوعد من يتعاطى ذلك فقال: ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ المائدة-51. قال ابن أبي حاتم[(...)إن عمر أمر أبا موسى الأشعري أن يرفع إليه ما أخذ وأعطى في أديم واحد، وكان له كاتب نصراني فرفع إليه ذلك، فعجب عمر وقال: إن هذا لحفيظ، هل أنت قارئ لنا كتابا في المسجد جاء من الشام؟ فقال: إنه لا يستطيع، فقال عمر أجنب هو؟ قال لا، بل نصراني: قال: فانتهرني، وضرب فخذي وقال: أخرجوه ثم قرأ: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾.

حدثنا محمد بن الحسن(...) قال عبد الله بن عتبة:[ليتق أحدكم أن يكون يهوديا أو نصرانيا وهو لا يشعر، قال: فظنناه يريد هذه الآية].

قال ابن كثير :[وقوله تعالى:﴿**فترى الذين في قلوبهم مرض**﴾. أي شك وريب ونفاق. ﴿يسارعون فيهم﴾ أي يبادرون إلى موالاتهم، ومودتهم في الباطن والظاهر﴿ يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة﴾ أي: يتأولون مودتهم وموالاتهم، لأنهم يخشون أن يقع أمر من ظفر الكافرين بالمسلمين، فتكون له أياد عند اليهود والنصارى فينفعهم ذلك. عند ذلك قال تعالى ﴿**فعسى الله أن يأتي بالفتح**﴾ قال السدي: يعني فتح مكة. قال غيره يعنى القضاء والفصل ﴿ **أو أمر من عنده** ﴾ قال: السدي: يعنى ضرب الجزية على اليهود والنصارى ﴿فيصبحوا﴾ أي الذين والوا اليهود والنصارى من المنافقين. ﴿ **على ما أسروا في أنفسهم** ﴾ من الموالاة ﴿نادمين﴾ أي على ما كان منهم مما لم يجد عنهم شيئا، ولا دفع عنهم محذورا. بل كان عين المفسدة. فإنهم فضحوا وأظهر الله أمرهم في الدنيا لعباده المؤمنين، بعد أن كانوا مستورين لا يدر كيف حالهم. فلما انعقدت الأسباب الفاضحة لهم تبين أمرهم لعباد الله المؤمنين]-

(سبحان الله كأنما تحكى هذه الآية وتفسيرها حالة حكام بلاد المسلمين الذين يعاونونها كمشرف وحكومته الباكستانية في موالاتهم لأمريكا لأنهم يظنون أنها ستنتصر على المسلمين فيكون لهم عندهم مكانة. واعتذارهم عن ذلك بخوف الدائرة والمصيبة منها، والرغبة في طلب العز منها، وما سيندمون عليه من افتضاح أمرهم وخسارتهم وعقوبتهم على أيدي المؤمنين لما يأتي نصر الله).

وفي قوله تعالى :﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾ آل عمران-28.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى:[نهى تبارك وتعالى عباده المؤمنين أن يوالوا الكافرين، وأن يتخذوهم أولياء يسرون إليهم بالمودة من دون المؤمنين. ثم توعد على ذلك فقال تعالى: ﴿**ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء**﴾ أي: ومن يرتكب نهي الله هذا فقد برئ الله منه(...) ﴿**ويحذركم الله نفسه**﴾ أي: يحذركم نقمته في مخالفته وسطوته وعذابه لمن والى أعدائه وعادى أوليائه].

وفي قوله تعالى من سورة آل عمران ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ (آل عمران: 118) .

قال ابن كثير: ﴿ يقول تبارك وتعالى ناهيا عباده المؤمنين عن اتخاذ المنافقين بطانة، أي يطلونهم على سرائرهم. وما يضمرونه لأعدائهم والمنافقون. بجهدهم وطاقتهم لا يألون المؤمنين خبالا أي يسعون في مخالفتهم وما يضرهم بكل ممكن وبما يستطيعون من المكر والخديعة. ويودون ما يعنت المؤمنين ويحرجهم ويشق عليهم.

- وكما ذكرنا فالآيات والأحاديث والآثار وأقوال العلماء متضافرة بهذه المعاني.

وهذه الحقائق هي من أولويات الإسلام وأساسيات العقيدة، التي يلخصها بكل إيجاز ووضوح، خطاب القرآن الصريح لكل مسلم:

{من يتولهم منكم فإنه منهم}{ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء} وهذا واضح. فمن يتولى الكفار فهو كافر مرتد مثلهم قد برئ الله منه.

- **وقد عد الشيخ محمد بن عبد الوهاب مظاهرو الكفار على المسلمين في نواقض الإسلام العشرة التي ذكرها وهي :**

1- الشرك بالله ، الذبح لغير الله وللقبر.
2- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم.
3- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم .. كفر.
4- من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه ، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه فهو كافر.
5- من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم – ولو عمل به – فهو كافر.
6- من استهزأ بشيء من دين الرسول أو ثوابه أو عاقبه كفر ، والدليل: ﴿ **قل أبالله وآياته ورسوله كنت تستهزئون** ﴾ (التوبة:65).

-7 السحر، فمن فعله أو رضي به كفر. ﴿**وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر**﴾ (البقرة:102).

-8 **مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين:** ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ (المائدة:51) **وهي محل الشاهد.**

-9 من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلى الله عليه وسلم، كما خرج الخضر عن شريعة موسى عليه السلام فهو كافر.

-10 من أعرض عن دين الله –لا يتعلمه ولا يعمل به- ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون﴾ (الأحقاف :3).

- **قال سليمان بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب:** (اعلم رحمك الله أن الإنسان إذا أظهر للمشركين الموافقة على دينهم خوفا منهم ومداراة لهم ومداهنة لدفع شرهم – فإنه كافر مثلهم ، وإن كان يكره دينهم يبغضهم و يحب الإسلام والمسلمين ، هذا إذا لم يقع منه إلا ذلك.

فكيف إذا كان في دار منعة واستدعى بهم ، ودخل في طاعتهم ، وأظهر الموافقة على دينهم الباطل . وأعانهم عليه بالنصرة ، ووالاهم ، وقطع الموالاة بينه وبين المسلمين ، فإن هذا لا شك مسلم أنه كافر من أشد الناس عداوة لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا يستثنى من ذلك إلا المكره . و قد أجمع العلماء على أن من تكلم بالكفر هازلا فإنه يكفر ، فكيف بمن أظهر الكفر خوفا وطمعا).

وساق الشيخ عشرين دليلا على قوله منها: ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾ (البقرة:120) ﴿ولا يزالون يقاتلونكم﴾ (البقرة:217). (لا يتخذ المؤمن الكافرين أولياء من دون المؤمنين) (آل عمران:28) (وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدو ا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم) (النساء:140) ()تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ * وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴾ (المائدة:80-81) . الحديث (**من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله).**

قال الشيخ سليمان عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب إن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الاجتماع والنصرة والمنزل معهم يعده المشركين منهم فهو كافر مثلهم ، إن ادعى الإسلام ، كالناس الذين أقاموا في مكة و ادعوا الإسلام بعد الهجرة ، وخرجوا في بدر فظن بعض الصحابة إنهم مسلمون وقالوا: قتلنا إخواننا ، فأنزل الله تعالى: ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ (النساء:67).

(من ظهرت منه علامات النفاق الدالة عليه كارتداده عند التحزيب على المـؤمنين وخـذلانهم عنـد اجتماع العدو ، يجوز إطلاق اسم منافق عليه).

إذن، وللشهادة لله نقول:

إن من أعظم التلبيس والظلم والافتراء على الله الكذب.. ومن أعظم تبديل آيات الله واتخاذها هزوا. ومن بيع الدين بالدنيا والشراء بآيات الله ثمنا قليلا، أن يحاول المدلسون أن يصوروا هذا الولاء الكامل الحاصل من حكام المسلمين، وهذا الحلف المتين القائم بينهم وبين اليهود والنصارى، من أمريكان و أوروبيين وسواهم من الكفار على أنه قضية ضرورات ومصالح مشروعة. أو حالات إكراه، بعد أن تبدى النفاق منهم، وتنوعت أشكال ولائهم للكفار. بل بلغت أعلاها، من القتال معهم والدفاع عنهم. وبنصرتهم على المسلمين مهما كلف ذلك من خراب ديار المسلمين، وزهق أنفسهم وسفك دمائهم وبيع أراضيهم ونهب ثرواتهم. مما لا يمكن تسميته إلا أنه خيانة وعمالة لهم وولاء للكافرين وبراء من المؤمنين.

والحقيقة التي لا غباش فيها، هي أن الردة المتأتية عن هذا الولاء للكفار، التي تلبس بها أكثر حكام المسلمين اليوم، وجروا إليها أنظمتهم وحكوماتهم، وجروا إليها، جودهم ورجال أمنهم والعاملين في حكوماتهم. هي من أوضح وجوه كفرهم ونفاقهم.

وهي بالإضافة لما تلبسوا به من الكفر الصريح لتبديلهم شرائع الإسلام واستبدالها بشرائع الكفر والطاغوت، من فلسفات وشرائع أعداء هذا الدين، الذين والوهم. تكون شاهدين يدمغان هؤلاء الحكام بالردة والكفر والخروج من ملة الإسلام.

ولا يدفع هذا الحكم عنهم تدليس المدلسين الذين نصبوا من أنفسهم خصماء عن هؤلاء الخونة رغم قوله تعالى:{ولا تكن للخائنين خصيما}.

فقد قال تعالى:﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما) إلى قوله تعالى: {ها أنتم جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة أم من يكون عليهم كفيلا ﴾ (النساء 105-109).

فسبحان الله! ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ ؟ وما أظنها إلا الاثنتين معا.. قلوب مقفلة ولا تتدبر القرآن . بسبب ما ران على تلك القلوب من السحت وأكل أموال السلاطين. مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: **(من أتى أبواب السلاطين افتتن. وما زاد عبد من السلطان قربا إلا ازداد من الله بعدا)**

أبعدهم الله ..

● ثالثاً : الخروج على الحاكم إن ارتد عن الإسلام أو كان كافرا واجب على المسلمين بالإجماع:

ماذا يترتب شرعا على كفر الحاكم للمسلمين أو ردته عن الإسلام..؟ :

كما ذكرنا آنفا، فان كافة مصائب المسلمين وما نزل بهم من كوارث داخلية مردها في الحقيقة إلى غياب شرع الله عنهم، وحكمهم بغير ما أنزل الله، وكفر حكامهم، وولائهم للكفار. فالأصل في الشريعة أن (الإمام جُنَّة) يقاتل من ورائه ويدفع به العدوان، ويقوم به العدل والقسط، وتقضى به الحقوق، فتتوازن الأمة داخليا، وتدفع عدوها خارجيا. وبقدر فساد الحاكم تفسد أحوال الرعية، والعلماء هم ضابط الحكام. وبقدر فسادهم يفسد الحكام. فكما جاء في الأثر :(**صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس، وإذا فسدا فسد الناس، العلماء والأمراء**). والحقيقة أن بحث مسألة إسلام حكامنا أو كفرهم وردتهم، بعدما آلت الأحوال إلى ما نراه اليوم، هي مسألة في غاية العظمة والخطورة.لأنها بوابة البحث عن مخرج لمشاكل المسلمين اليوم. فهي مسألة ديننا ودنيانا. وبالاختصار. فإن الحكم الشرعي بإسلام الحاكم، أو كفر الحاكم، يترتب عليه من اللوازم والنتائج، أحد فقهين متناقضين تماما.

وقبل الخوض في مترتبات إسلام الحاكم أو كفره، نذكر بأمر هام جدا، وهو مفصل الهدى والضلال في هذه المسألة، هذا الأمر هو: أن إسلام الحاكم أو كفره مرتبط تماما بقضية حكمه بالشريعة التي يحكم بها، بمعنى:

- إذا كان الحكم لله، والشريعة قائمة، فالحاكم مسلم، ما لم ينقض إسلامه.
- وإذا كان الحاكم مسلما، فمن لوازم ذلك أن يحكم بما أنزل الله.

فليس هناك حكم بما أنزل الله إن كان الحاكم كافرا، ولا يكون الحاكم مسلما إذا حكم بغير ما أنزل الله. فهما مترادفتان:

حاكم مسلم = حكم بما أنزل الله .

وعكسها بعكسها :

حكم بغير ما أنزل الله = حاكم كافر.

وهذا أوضحناه في الفقرة السالفة، عندما تكلمنا عن الحاكمية والولاء.

- **<u>من لوازم ونتائج كون الحاكم مسلما يحكم بشريعة الله ويوالي المؤمنين ويعادي الكافرين:</u>**

1- وجوب السمع والطاعة له في كل ما يأمر به، ما لم يكن معصية، في المنشط والمكره، والصبر على الأثرة، وأن لا ينازعه أمره قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.

2- وجوب احترام المسلمين لعهوده، وعقوده ومعاهداته واتفاقاته وأمانه وذمته، مادامت فى حدود الشريعة.

3- وجوب النفير معه إن استنفر المسلمين للجهاد فى سبيل الله، ضد الكفار او المرتدين، أو البغاة أوالمفسدين فى الأرض.

4- وجوب نصيحته، والتعاون معه على البر والتقوى والمعروف قدر الاستطاعة، وعدم الافتئات عليه ما لم يفرط بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

5- وجوب الصبر عليه، وطاعته، وإن أخذ مالك، وجلد ظهرك، وإن تلبس بالفسق فى نفسه، والجور في حكمه. ما لم يتلبس بكفر فيه من الله برهان. والأحاديث الدالة على هذه الأمور كثيرة.

هذا كله مادام الحاكم مسلما لم يتلبس بناقض من نواقض الإيمان، أو كفر فيه من الله برهان كما في الحديث الصحيح المتفق عليه، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال:[<u>دعانا رسول صلى الله عليه وسلم فبايعناه فكان مما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة فى منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله، قال صلى الله عليه وسلم **(إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم فيه من الله برهان)**</u>] وهذه رواية مسلم.

- **<u>وجوب جهاد الحاكم الكافر أو المرتد:</u>**

- نقل الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم عند شرح هذا الحديث عن القاضي عياض الإجماع على الخروج على الحاكم إن كفر. فقال :[قال القاضي عياض: <u>أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر. وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل. وقال وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها. قال القاضي عياض: فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة، خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك. فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر ولا يجب فى المبتدع إلا إذا ظنوا القدرة عليه فإن تحقق العجز لم يجب القيام ويهاجر المسلم عن أرضه ويفر بدينه</u>] (صحيح مسلم بشرح النووي ج12-ص229.)

- قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري شرح صحيح البخاري :
(إنه-أي الإمام-ينعزل بالكفر إجماعا فيجب على كل مسلم القيام في ذلك فمن قوي على ذلك فله الثواب، ومن داهن فعليه الإثم، ومن عجز وجبت عليه الهجرة من تلك الأرض)ج13ص154.

- قال أبو يعلى:(إن حدث منه ما يقدح في دينه نظرت فإن كفر بعد إيمانه فقد خرج عن الإمامة وهذا لا إشكال فيه لأنه خرج عن الملة ووجب قتله).

- قال الأستاذ عبد القادر عودة رحمه الله في كتابه(الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه): (وأن إباحة المجمع على تحريمه كالزنا والسكر واستباحة إبطال الحدود وتعطيل أحكام الشريعة وشرع ما لم يأذن به الله إنما هو كفر وردة وأن الخروج على الحاكم المسلم إذا ارتد واجب على المسلمين وأقل درجات الخروج على أولي الأمر هو عصيان أوامرهم ونواهيهم المخالفة للشريعة) .

وقد استنبط العلماء والمفسرون من قوله تعالى لسيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة:124) . أن الإمامة لا تنعقد لكافر بل ولا لفاسق أو ظالم ابتداء. وكذلك استنبطوا من قوله تعالى: ﴿ ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ﴾. أي لا يجعل الله للكافرين على المؤمنين سلطة وقهرا وتحكما. ومن أعظم السلطة ولاية الحاكم، فهي الإمامة العظمى، وأعظم سبيل للطاعة والقهر بل لقد منع العلماء بيع الرقيق المسلم لكافر، وكذلك منعوا المناصب والولايات التي يكون فيها المسلم تحت الكافر، ومن هذا الوجه حرم زواج المسلمة بالكافر، لأن ولاية البيت للزوج. وستكون المسلمة في أمر كافر. في حين أباح العكس. فالخلاصة كما نقل النووي الإجماع على بطلان ولاية الحاكم الكافر أو من ارتد وطرأ عليه الكفر ووجوب الخروج عليه وخلعه.
جاء في كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة (تأليف عبد الله الدميجي) في الفصل الثالث تحت عنوان (عزل الإمام والخروج على الأئمة) ص 465 ما ننقل منه باختصار مايلي:
[من المتفق عليه بين العلماء أن الإمام ما دام قائما بواجباته الملقاة على عاتقه في تدبير شؤون رعيته، عادلا بينهم فلا يجوز عزله ولا الخروج عليه، بل ذلك مما حذر منه الإسلام وتوعد الغادر بعذاب أليم. لكن هناك أموراً عظيمة لها تأثير على حياة المسلمين الدينية والدنيوية منها ما يؤدي إلى ضرورة عزل الإمام المرتكب لها. وهذه الأمور منها ما هو متفق عليه بين العلماء ومنها ما هو مختلف فيه. والآن نستعرض هذه الأسباب لنرى آراء العلماء فيها:

الأول : الكفر والردة بعد الإسلام:

أول الأمور وأعظم الأسباب الموجبة لعزل الوالي هو الردة والكفر بعد الإيمان، فإذا ما ارتكب الإمام جرماً عظيماً يؤدي إلى الكفر و الإرتداد عن الدين فإنه ينعزل بذلك ولا يكون له ولاية على مسلم بحال.

قال تعالى{**ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا**} النساء 141. وأي سبيل أعظم من سبيل الإمامة؟ وفى الحديث الذي رواه عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال (بايعنا – أي رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا وأثره علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان) متفق عليه. قال الخطابي: (معنى – بواحا – يريد ظاهرا (باديا) (وعندكم من الله برهان) قال الحافظ بن حجر في شرح البخاري(أي نقص آية وخبر صحيح لا يحتمل...) التأويل) وقال النووي في شرحه لمسلم :(المراد بالكفر هنا المعصية، ومعنى الحديث لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام). ومن مفهوم هذا الحديث أنه لا يشترط أن يعلن هذا الحاكم الردة عن الإسلام أو الكفر، بل يكفى إظهاره لبعض المظاهر الموجبة للكفر. قال الشيخ أنور شاه كشميري في كتاب (إكفار الملحدين)ص22 في نسخة (المجلس العلمي في كراتشي):(ودل – أي هذا الحديث-أيضا على أن أهل القبلة يجوز تكفيرهم وإن لم يخرجوا عن القبلة، وأنه قد يلزم الكفر بلا التزام وبدون أن يريد تبديل الملة، و إلا لم يحتج الرائي إلى برهان).

فظاهر الحدث أن من طرأ عليه الكفر فإنه يجب عزله وهذا أهون ما يجب على الأمة نحوه، إذ الواجب أن يقاتل ويباح دمه بسبب ردته لقوله صلى الله عليه وسلم (من بدل دينه فقتلوه).- ثم نقل الدميجي كلام القاضي عياض وكلام ابن حجر والقاضي أبو يعلى الذي أسلفناه- ثم قال: قال السفاقسي:(أجمعوا على أن الخليفة إذا دعي إلى كفر أو بدعة يثار عليه) إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري. ج 10 ص 217.

الثاني: ترك الصلاة والدعوة إليها. (...).

الثالث: ترك الحكم بما أنزل الله: والذي يدل على أن هذا السبب موجب لعزل الإمام بجميع صوره المكفرة والمفسقة هو ورودها مطلقة فى الأحاديث النبوية الصحيحة الآتية:

1- عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **(إسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة ما أقام فيكم كتاب الله)** رواه البخاري.

2- عن أم الحصين الأحمسية رضي الله عنها قالت: (حججت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حجة الوداع...إلى أن قالت ثم سمعته يقول **(إن أمر عليكم عبد مجدع – حسبتها قالت أسود –**

يقودكم بكتاب الله فاسمعوا له وأطيعوا) وفي رواية الترمذي والنسائي سمعته يقول **(يا أيها الناس اتقوا الله وإن أمر عليكم عبد حبشي مجدع فاسمعوا له وأطيعوا ما أقام فيكم كتاب الله).**

فهذه الأحاديث واضحة الدلالة على أنه يشترط للسمع والطاعة أن يقود الإمام رعيته بكتاب الله، أما إذا لم يحكم فيهم شرع الله فهذا لا سمع له ولا طاعة وهذا يقتضي عزله، وهذا في صور الحكم بغير ما أنزل الله المفسقة، أما المكفرة فهي توجب عزله ولو بالمقاتلة كما سبق بيانه في السبب الأول. والله أعلم].أهـ.

- **وقد وقفت على كلام في غاية الأهمية كشاهد معاصر في موضوعنا هذا ، فقد**

جاء في كتاب (تكملة فتح الملهِم – في شرح صحيح مسلم) لشيخ الإسلام في باكستان (الشيخ **محمد تقي العثماني**) : عند شرح هذا الحديث الشريف :

[عن جنادة بن أبي أمية ، قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض فقلنا : حدثنا أصلحك الله بحديث ينفع الله به سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : **دعانا رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعناه ، فكان فيما أخذ علينا أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا ، وعسرنا ويسرنا ، وأثرة علينا ، وأن لا ننازع الأمر أهله** . قال : **إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان.**

(قال الشيخ تقي عثماني):

[**قوله:** " وأن لا ننازع الأمر أهله" أي لا ننازع الأمير في إمارته ، وزاد أحمد من طريق عمير بن هانئ عن جنادة: (وإن رأيت أن لك في الأمر حقا فلا تعمل بذلك الظن ، بل اسمع وأطع ، إلى أن يصل إليك بغير خروج عن الطاعة) وزاد في رواية حبان أبي النضر عند ابن حبان وأحمد: (وإن أكلوا مالك وضربوا ظهرك) كما في فتح الباري (8/13).

قوله: " **إلا أن تروا كفرا بواحا** " بفتح الباء الواو ، يعني ظاهرا باديا ، من قولهم: باح بالشيء يبوح به بوحا و بواحا: إذا أذعه وأظهره ، و وقع في بعض الروايات: " براحا" بالراء بدل الواو ، وهو قريب من هذا المعنى ، وأصل البراح: الأرض القفراء التي لا أنيس فيها ولا بناء ، وقيل : البراح: البيان ، يقال برح الخفاء إذا ظهر . ووقع عند الطبراني في الحديث: " كفرا صراحا " بصاد مضمومة ثم راء . هذا ملخص ما في فتح الباري (8/13).

مسألة الخروج على أئمة الجور:

وبهذا الحديث استدل جمهور العلماء على أنه لا يجوز الخروج على السلطان الجائر أو الفاسق إلا أن يظهر منه كفر صريح . قال الحافظ في الفتح (7/13) (قال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان ولو جار . وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب والجهاد معه ، وأن طاعته خير من الخروج عليه لما في ذلك من حقن الدماء وتسكين الدهماء ، وحجتهم هذا الخبر وغيره مما يساعده ، **ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من السلطان الكفر الصريح ، فلا تجوز طاعته في ذلك ، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها**).

وربما يفهم منه بعض الناس أن الإمام الجائر لا يجوز الخروج عليه في حال من الأحوال مادام متسميا باسم الإسلام . وليس الأمر على هذا الإطلاق ، ولاسيما على مذهب الإمام أبي حنيفة رحمه الله تعالى .

يقول الإمام أبو بكر الجصاص رحمه الله في أحكام القرآن (70/1) تحت قوله تعالى : **(ولا ينال عهدي الظالمين):** " وكان مذهبه (**يعني أبا حنيفة**) مشهورا في قتال الظلمة ، وأئمة الجور ، ولذلك قال الأوزاعي: " احتملنا أبا حنيفة على كل شيء حتى جاءنا بالسيف " يعني قتال الظلمة ، فلم نحتمله .... وقضيته في أمر زيد بن على مشهورة ، وفي حمله المال إليه ، وفتياه الناس سرا في وجوب نصرته والقتال معه ، وكذلك أمره مع محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن).

أما الذي أشار إليه الجصاص من قضية زيد بن علي ، فما ذكره أصحاب التواريخ أن زيد بن علي لما خرج على بني أمية أيده الإمام أبو حنيفة بماله ، وقد أخرج الموفق بسنده: (كان زيد بن علي أرسل إلى أبي حنيفة يدعوه إلى نفسه ، فقال أبو حنيفة لرسوله: لو عرفت أن الناس لا يخذلونه ويقومون معه قيام صدق ، لكنت أتبعه وأجاهد معه من خالفه ، لأنه إمام حق ، ولكني أخاف أن يخذلوه كما خذلوا أباه ، لكني أعينه بمالي فيتقوى به على من خالفه ، وقال لرسوله : (ابسط عذري عنده ، وبعث إليه بعشرة آلاف درهم) . ثم قال الموفق (وفي غير هذه الرواية اعتذر بمرض يعتريه في الأيام حتى تخلف عنه ، وفي رواية أخرى : سئل عن الجهاد معه ، فقال: **خروجه يضاهي خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر** ، فقيل له: فلم تخلفت عنه ؟ قال: لأجل ودائع كانت عندي للناس عرضتها على ابن أبي ليلى ، فما قبلها ، فخفت أن أقتل مجهلا للودائع ، وكان يبكي كلما ذكر مقتله) راجع مناقب الإمام الأعظم للموفق المكي(260/1 و261).

وأما قصته مع محمد النفس الزكية وأخيه إبراهيم بن عبد الله ، فإنهما خرجا على المنصور ، وذكر المكي في المناقب (84/2) أن أبا حنيفة كان يحض الناس على إبراهيم ويأمرهم بإتباعه ، وذكر قبل ذلك **أنه كان يفضل الغزوة معه على خمسين حجة** ، وذكر الكردي في مناقبه (22/2) أن الإمام

أبا حنيفة منع الحسن بن قحطبة أحد قواد المنصور من الخروج إلى إبراهيم بن عبد الله ، ويقال: إن المنصور سم أبا حنيفة من أجل هذا ، حتى توفي رحمه الله .

وكذلك قصة سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنه مع يزيد بن معاوية معروفة ، وخرجت جماعة من المتقين على الحجاج بن يوسف .

فالذي يظهر لهذا العبد الضعيف عفا الله عنه بعد مراجعة النصوص الشرعية وكلام الفقهاء والمحدثين في هذا الباب – والله أعلم – أن فسق الإمام على قسمين: الأول ما كان مقتصرا على نفسه ، فهذا لا يبيح الخروج عليه ، وعليه يحمل قول من قال : إن الإمام الفاسق أو الجائر لا يجوز الخروج عليه . والثاني: ما كان متعديا وذلك بترويج مظاهر الكفر ، و إقامة شعائره ، وتحكيم قوانينه ، واستخفاف أحكام الدين ، والامتناع من تحكيم شرع الله مع القدرة على ذلك لاستقباحه ، وتفضيل شرع غيرالله عليه . فهذا ما يلحق بالكفر البواح . ويجوز حينئذ الخروج بشروطه.

وأحسن ما رأيت في هذا الموضوع كلام نفيس لشيخ مشايخنا حكيم الأمة **أشرف علي التهانوي** رحمه الله رسالته " جزل الكلام في عزل الإمام " وإنما مطبوعة في المجلد الخامس من إمداد الفتاوى (ص119 إلى 131).

وإن خلاصة ما ذكره رحمه الله في تلك الرسالة أن الأمور المخلة بالإمامة على سبعة أقسام:

القسم الأول: أن يعزل الإمام نفسه بلا سبب ، وهذا فيه خلاف ، كما في شرح المقاصد (282/2).

والقسم الثاني: أن يطرأ عليه ما يمنعه من أداء وظائف الإمامة ، كالجنون ، أو العمى ، أو الصمم أو البكم ، أي صيرورته أسيرا لا يرجى خلاصه ، وهذا ما ينحل به عقد الإمامة ، فينعزل الإمام في هذه الصور جميعا.

والقسم الثالث: **أن يطرأ عليه الكفر ، سواء كان كفر تكذيب وجحود ، أو كفر عناد ومخالفة ، أو كفر استخفاف أو استقباح لأمور الدين . وفي هذه الصورة ينعزل الإمام ، وينحل عقد الإمامة ، فإن أصر على بقائه إماما ، وجب على المسلمين عزله بشرط القدرة ولكن يشترط في ذلك أن يكون الكفر متفقا عليه** ، بدليل قوله عليه السلام (في حديث الباب) : " إلا أن تروا كفرا بواحا عندكم من الله فيه برهان " وكما يشترط قطعية الكفر ، يشترط أيضا أن يكون صدوره منه قطعيا كرؤية العين ، ولا يكتفى في ذلك بالروايات الظنية ، بدليل قوله عليه السلام: " إلا أن تروا " المراد به رؤية العين بدليل تعديته إلى مفعول واحد.

ثم قد تختلف الآراء في كون الصادر من السلطان كفرا ، أو في دلالته على الكفر ، أو في ثبوته بالقرائن الحالية و المقالية، أو في قطعية الكفر الصادر منه . فكل من عمل عند وقوع مثل هذا الخلاف برأيه الذي يراه فيما بينه وبين الله يعتبر مجتهدا معذورا ، فلا يجوز تفويق سهام الملامة إليه.

على أن وجوب الخروج في هذه الصورة مشروط بشرط القدرة ، وبأن لا تحدث به مضرة أكبر من مضرة بقاء مثل هذا الإمام . يقول الشريف الجرجاني في شرح المواقف (353/8) :

(وللأمة خلع الإمام وعزله بسبب يوجبه ، مثل أن يوجد منه ما يوجب اختلال أحوال المسلمين ، وانتكاس أمور الدين ، .... وإن أدى خلعه إلى فتنة احتمل أدنى المضرتين).

فيمكن أيضا أن يقع الخلاف في تعيين أدنى المضرتين ، فكل يعمل بما يراه فيما بينه وبين الله . فلا يجوز لواحد أن يلوم الآخر . وعلى مثل هذه الأمور الاجتهادية يحمل اختلاف الصحابة والتابعين ومن بعدهم في الخروج على بعض الأئمة في زمنهم .

القسم رابع: أن يرتكب السلطان فسقا مقتصرا على نفسه ، كالزنا ، وشرب الخمر وما إلى ذلك . وحكمه أنه لا ينعزل به بنفسه ، ولكنه يستحق العزل ، فعلى الأمة أن تعزله إلا أن تترتب على العزل فتنة . قال في الدر المختار ، باب الإمامة (يكره تقليد الفاسق ويعزل به إلا لفتنة) وقال ابن عابدين تحته: (قوله: ويعزل به ، أي بالفسق لو طرأ على ، المراد أنه يستحق العزل كما علمت آنفا ، ولذا لم يقل ينعزل) . وقال ابن الهمام في المسايرة: (وإذا قلد عدلا ثم جار وفسق لا ينعزل ، وإن لم يستلزم ، ولكن يستحق العزل ، وإن لم يستلزم فتنة).

و حاصله أنه لا يجوز الخروج عليه في هذه الصورة بما فيه سفك الدماء وإثارة الفتنة (...)

والقسم الخامس: أن يرتكب فسقا يتعدى أثره إلى أموال غيره ، بأن يظلم الناس في أموالهم ، **ولكن يتأول في ذلك بما فيه شبهة الجواز** ، مثل أن يحمل الناس الجبايات متأولا فيها بمصالح العامة . وحكمه أنه لا ينعزل به ، وتجب إطاعته ، ولا يجوز به الخروج عليه . كما سيأتي في عبارة ابن عابدين.

والقسم السادس: أن يظلم الناس أموالهم ، وليس له في ذلك تأويل ، ولا شبهة جواز . وحكمه أنه يجوز للمظلوم أن يدفع عنه الظلم ، ولو بقتال ويجوز الصبر أيضا بل يؤجر عليه ، وأن هذا القتال ليس للخروج عليه ، بل للدفاع عن المال ، فلو أمسك الإمام عن الظلم وجب الإمساك عن القتال . قال ابن عابدين ناقلا عن فتح القدير: (ويجب على كل من أطاق الدفع أن يقاتل مع الإمام إلا إن أبدوا ما يجوز لهم القتال ، كأن ظلمهم ، أو ظلم غيرهم ظلما لا شبهة فيه، .... بخلاف

ما إذا كان الحال مشتبها أنه ظلم ، مثل تحميل بعض الجبايات التي للإمام أخذها وإلحاق الضرر بها لدفع ضرر أعم منه).

وهذا حكم المظلوم الذي يقاتل دفعا للظلم عن نفسه . أما غيره فهل يجوز له أن ينصر هذا المظلوم ضد الإمام ؟ اختلفت فيه عبارات القوم ، فذكر في فتح القدير أنه يجب على غير الظلوم أن يعين هذا المظلم و المقاتل حتى ينصفه الإمام ويرجع عن جوره ، وذكر في جامع الفصولين والمبتغي والسراج أنه لا ينبغي للناس معاونة السلطان ولا معاونتهم . ووفق ابن عابدين بين القولين بأن وجوب إعانتهم إذا أمكن امتناعه عن بغيه ، و إلا فلا . راجع رد المحتار ، باب البغاة (341/3).

وأما كون الصبر أولى في هذه الحالة ، فلما سيأتي عند المصنف من حديث حذيفة ابن اليمان رضي الله عنهما أخبر فيه عن أئمة الجور ، وفيه: (قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك ، فاسمع وأطع) فالمراد من قوله عليه السلام: (فاسمع وأطع) نهيه عن الخروج .

وأما القتال لدفع الظلم فجوازه مبني على الأحاديث التي تبيح عن القتال عن النفس وعن المال ، وبما أن هذا القتال يشابه الخروج صورة ، فتركه أولى استبراءا للدين.

والقسم السابع: أن يرتكب فسقا متعديا إلى دين الناس ، فيكرههم على المعاصي ، وحكمه حكم الإكراه المبسوط في محله ، ويدخل هذا الإكراه في بعض الأحوال في الكفر حقيقة أو حكما ، وذلك بأن يصر على تطبيق القوانين المصادمة للشريعة الإسلامية ، إما تفضيلا لها على شرع الله ، وذلك كفر صريح ، أو توانيا ، وتكاسلا عن تطبيق شريعة الله ؛ بما يغلب منه الظن أن العمل المستمر على خلاف الشريعة يحدث استخفاف لها في القلوب ، فإن مثل هذا التواني والتكاسل ، وإن لم يكن كفرا صريحا بحيث يكفر به مرتكبه، ولكنه في حكم الكفر . بدليل ما ذكره الفقهاء من أنه لو ترك أهل بلدة الأذان حل قتالهم ، لأنه من أعلام الدين ، وفي تركه استخفاف ظاهر به ، راجع باب الأذان من رد المحتار(384/1).

وحينئذ يلحق هذا القسم السابع بالقسم الثالث ، وهو الكفر البواح ، فيجوز الخروج على التفصيل الذي سبق في حكمه.

ثم إن وجوب الخروج في القسم الثالث والسابع مشروط بالقدرة والمنعة ، وجواز الخروج فيهما مشروط بأن يرجى عقد الإمامة لرجل صالح فيه شروط تواجد فيه شروط الإمامة ، وأما إذا صار الأمر من جائر إلى جائر ، أو استلزم ، مثل استيلاء الكفار على المسلمين ، فلا يجوز الخروج في هاتين الصورتين أيضا.

وما روى من خروج سيدنا الحسين بن علي رضي الله عنهما على يزيد بن معاوية ، وتأييد الإمام أبي حنيفة زيد بن علي ، ومحمد النفس الزكية وإبراهيم بن عبد الله في خروجهم على أئمة زمنهم محمول على القسم الثالث أو السادس أو السابع . وقد ذكرنا أن الآراء يمكن أن تختلف في تعيين ما يبيح الخروج ، والله سبحانه وتعالى أعلم.] أهـ[1]

فكما أسلفنا فإننا أمام حالة كفر حكامنا بواحا من بابين عظيمين من أبواب الردة وهما:

1- التشريع من دون الله واستبدال شرع الله بشرائع البشر والحكم بها بغير ما أنزل الله.
2- ولاية الكفار من اليهود والنصارى وغيرهم وقتال المسلمين معهم وفى سبيل مصالحهم.

هذا غير ما تلبسوا به من أشكال مكفرات الأقوال والأفعال وما أتوا به من أسباب الخروج من ملة المسلمين. مما يوجب الخروج عليهم ومقاتلتهم وقتلهم إجماعا كما تقدم من الأدلة.

من لوازم و مترتبات كفر الحاكم. أصلا أو ردة:

1- سقوط ولايته وبطلان إمامته.
2- وجوب الخروج عليه بالسلاح وخلعه.
3- وجوب قتله لردته. قال صلى الله عليه وسلم:**(من بدل دينه فاقتلوه)**. رواه أحمد.
4- وجوب أو جواز مقاتلة طائفته إن منعوه بالسلاح.
5- وجوب عدم السمع والطاعة وجباية الأموال له.
6- وجوب عدم معاونته، ولا العمل لديه ولا مشاركته جريمة الحكم بغير ما أنزل الله بأي منصب أو أي شكل.
7- بطلان جميع عهوده ومواثيقه، ومعاهداته وأمانه... لأنه لا يمثل المسلمين.
8- وجوب العمل فوراً على نصب إمام مسلم بدلا عنه وطاعته بما تقدم من الحقوق والواجبات.

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدماء والأموال والإعراض وما يترتب على ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظالمين وسيادة المفسدين والفاسقين. وتسلط الأعداء الخارجين من الكفار والملحدين وتعاون المنافقين معهم. وما يترتب على ذلك من ضياع البلاد والعباد. ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تعالى يقول:{ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء }.النحل-89.

---

[1] (تكملة فتح الملهم ج3/ ص 326-331) .

فهي مسألة رئيسية وإن أهملها أكثر الناس اليوم عامتهم و خاصتهم.

كما يجب لفت النظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم. وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدلة الشرعية إلى كفر الحاكم اليوم. وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم. فإن هؤلاء لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة على كفر الحاكم. فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التشريعية والقضائية والتنفيذية. بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المسلمين وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس!.

وهذا من البلاء الذي عم و طم في أكثر بلاد المسلمين. ولأسباب مردها في النهاية لدى عامة المسلمين و خاصتهم إلى الجهل أو العجز. فهم لا يخرجون على هؤلاء الحكام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القتال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه صلى الله عليه وسلم في كلمتين، لقد أصاب الأمة:(الوهن) الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم ففي الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه **: (ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله في قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت)**. لقد أحب الناس الدنيا عامتهم و خاصتهم إلا من رحم الله. وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم.. وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا على أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قال تعالى:﴿ ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا ﴾.

مسألة أحكام الديار. هل هي دار إسلام؟ أم أنها دار كفر؟

تجدر الإشارة إلى أمر خطير يترتب على كفر الحاكم وغياب الحم بشريعة الله، وهو أمر أجمع عليه أهل الإسلام واتفقت عليه المذاهب الأربعة لأهل السنة. وهو أن البلاد التي يحكمها كافر بغير شرع الله تزول عنها صفة دار الإسلام. وإن كان عموم أهلها مسلمين، والناظر في تصنيف فقهاء الإسلام رحمهم الله يخرج بنتيجة واضحة موجزة، وهي أن حكم الديار، هل هي ديار إسلام أم ديار كفر، هو تبع للأحكام التي تعلوها.

فإن علتها أحكام الإسلام كانت ديار إسلام وإن علتها أحكام الكفر كانت ديار كفر.

بصرف النظر عن دين أهلها، ومما قاله فقهاء الإسلام في ذلك:

- قال الكاساني الحنفي، في بدائع الصنائع ج 9/ص4375قال:

(إن كل دار مضافة إما إلى الإسلام وإما إلى الكفر. وإنما تضاف الدار إلى الأسلام إذا طبقت فيها أحكامه، وتضاف إلى الكفر إذا طبقت فيها أحكامه).

- وقال القاضي أبو يعلى الحنبلي:

(كل دار كانت الغلبة فيها لأحكام الكفر دون أحكام الإسلام فهي دار الكفرة).(المعتمد في أصول الدين ص276).

- وقال الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، في كتابه أحكام أهل الذمة ج1ص166:

(قال الجمهور: دار الإسلام هي التي نزلها المسلمون، وجرت عليها أحكام الإسلام، وما لم تجر عليها أحكام الإسلام لم تكن دار إسلام وإن لاصقها).

فالديار من وجهة نظر الإسلام نوعان، وكل نوع قسمان.

1- ديار إسلام أكثر أهلها مسلمون تحكم بشرع الله.

2- ديار إسلام أكثر أهلها كافرون تحكم بشرع الله.

3- ديار كفر أكثر أهلها مسلمون لا تحكم بشرع الله.

4- ديار كفر أكثر أهلها كافرون لا تحكم بشرع الله.

- فالنوع الأول : كبلاد الإسلام أيام كانت تحت الحكم الشرعي، ومثل ما حصل في أفغانستان تحت حكم الشريعة أيام حكومة طالبان.

- والنوع الثاني: كالبلاد التي افتتحها المسلمون، وحكموها بالإسلام، وبقي أهلها على دينهم الكافر يدفعون الجزية، ويحكم بهم بشرع الله، وهذا ليس له مثال اليوم.

- النوع الثالث: هو كسائر بلاد المسلمين اليوم. أكثر أهلها مسلمون وحكامهم كفرة مرتدون يحكمـون بشرع الطواغيت ويوالون أعداء الله.
- النوع الرابع: كعموم بلاد الكفار الأصليين اليوم، بلاد أهلها كفار ويحكمـون أنفسـهم بشرائع الكفـر المختلفة. مثل أوروبا وأمريكا والهند والصين، وغيرها..

فمسألة ارتداد الحاكم وما يترتب على ذلك من ضياع الحقوق وفساد أنظمة الحكم في الدماء والأموال والإعراض وما يترتب على ذلك من طغيان الكافرين واستعلاء الظالمين وسيادة المفسدين والفاسقين. وتسلط الأعداء الخارجين من الكفار والملحدين وتعاون المنافقين معهم. وما يترتب على ذلك من ضياع البلاد والعباد. ليست مسألة فرعية ثانوية ليس للشريعة فيها أحكام وواجبات وأوامر ونواهي؟ كيف والله تعالى يقول:{ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ }.النحل-89.

فهي مسألة رئيسية وإن أهملها أكثر الناس اليوم عامتهم و خاصتهم. كما يجب لفت النظر إلى حالة خطيرة متفشية بين كثير من أهل العلم وأتباعهم. وهي أنهم لو اهتدوا وفق الأدلة الشرعية إلى كفر الحاكم اليوم. وهو حال أصبح العميان يبصرونه بحواسهم وجوعهم وأحوالهم. فإن هؤلاء لا ينتقلون إلى الإقرار بالمترتبات السالفة على كفر الحاكم. فتراهم يقرون بكفر الحاكم، ولكنهم يعملون عنده، ويتسلمون المناصب، ويدخلون مؤسساته الكافرة، التشريعية والقضائية والتنفيذية. بل قد يقاتلون في صفه وتحت رايته ولو ذبح المسلمين وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس!.

وهذا من البلاء الذي عم و طم في أكثر بلاد المسلمين. ولأسباب مردها فى النهاية لدى عامة المسلمين و خاصتهم إلى الجهل أو العجز. فهم لا يخرجون على هؤلاء الحكام الكفرة المناصرين لأعداء الله ولا يقاتلونهم، فهم إما جهلة بوجوب هذا القتال، وإما أنهم يقرون بالوجوب ويدعون العجز.

وفى التحقيق في أسباب ذلك وما يدعونه من العجز تجد أن الحقيقة عكس ذلك، وأن السبب الذي يظهر بكل جلاء هو ما أوجزه صلى الله عليه وسلم في كلمتين، لقد أصاب الأمة:(الوهن) الذي أخبر عنه صلى الله عليه وسلم ففي الحديث الذي رواه أبو داوود في سننه :

(ثم يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها فقال قائل ومن قلة نحن يومئذ قال بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم كغثاء السيل ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم وليقذفن الله فى قلوبكم الوهن فقال قائل يا رسول الله وما الوهن قال حب الدنيا وكراهية الموت).

لقد أحب الناس الدنيا عامتهم و خاصتهم إلا من رحم الله. وكرهوا الموت فتداعت عليهم الأمم.. وأعقبهم ذلك عيشا ضنكا على أيدي حكامهم، عيش الموت أرحم منه كما قال تعالى: ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكا﴾.

رابعاً :أحكام الشريعة تقرر بالإجماع كفر وردة من تعاون من المسلمين مع الكفار وأعانهم على المسلمين،وتوجب قتاله :

لكل جمع ورابطة تقوم بين فئة من الناس مقومات تربط بينهم من أهمها. فكرة يعتقدونها وصفة اجتمعوا عليها ومصلحة توحد بينهم. وقيادة أو رأس اجتمعوا عليه يأتمرون بأمره. ويصدرون عن مشورته. وراية يقاتلون تحتها. وهدف مشترك يسعون لتحقيقه.. فإذا ما توفرت مثل هذه المواصفات لجمع من الناس أطلق عليهم اسم جماعة. أو اصطلح عليهم شرعا باسم (طائفة). فإن كان لهم منعة وشوكة وقوة يدافعون بها سموا (طائفة ممتنعة ذات شوكة). فإن اجتمعت هذه الطائفة على الإسلام والإيمان سميت (طائفة إيمان وإسلام). وإن التقوا على ناقض من نواقض الإسلام، سموا (طائفة ردة) كما كان حال المرتدين أيام أبي بكر رضي الله عنه . وإن كانوا كفاراً أصلا سموا (طائفة كفر). وإن خرجوا على إمام شرعي مع تمسكهم بالإسلام، وبغوا عليه سموا (طائفة باغية). وإن خرجوا للسلب والنهب والقتل سموا (طائفة فساد) وهكذا..

ومن البديهي أن هذه الطائفة تسمى بصفة الغالب عليها. مع وجود من لا تنطبق عليه صفاتها معهم.كأن يكون أحدهم جاهلا بهم، أو مكرها على الوجود معهم، أو جمعته إليهم مصلحة ذاتية أو عصبية قرابة أو غير ذلك...فلا شك أنه يوجد منافقون في طائفة الإسلام ليسوا منهم. وقد حصل هذا في غالب تاريخ المسلمين ولم يسلم منه حتى جيش رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكذلك قد يوجد في صف المسلمين، المنتفعون والمنتسبون للإسلام لأجل الدنيا..وكذلك قد يوجد في طائفة الكفر مسلم أكره على الوجود معهم. أو جاهل بحالهم تلبس أمره عليهم. وينطبق هذا الاستثناء في وجود من ليس من الطائفة فيها على طوائف البغاة والمفسدين والمرتدين والكافرين..ووجود هؤلاء الشواذ عن الطائفة لا يكون له حكم الغالب، أو حكم الراية أو الرابطة التي اجتمعت عليها. ولا يتغير اسمها ولا حكمها الشرعي بسبب هؤلاء الشواذ. وفي حكم الشريعة، فلكل طائفة من هذه الطوائف حكمها الشرعي. فالواجب تجاه طوائف أهل الإيمان الولاء والنصرة. وتجاه طوائف الردة والكفر البراءة والمعاداة.وتجاه أهل الشر والفساد الدفع والقتال ضدهم إن صالوا على دين أو عرض أو مال أو نفس لأهل الإسلام..وهكذا..

فإذا ما اتضح لنا مفهوم الطائفة، وحكمها الغالب على من فيها من الشواذ عنها، انتقلنا إلى الحديث عن مشكلة أعوان الكافرين والمرتدين من المنتسبين للإسلام، والذين يقاتلون المسلمين مع طوائف الكفر أو الردة أو سوى ذلك.. خاصة أولئك العاملين في مجال السلطة والدفاع عنها. يقاتلون المسلمين بأوامر الحكام المرتدين، مثل العاملين في أجهزتهم العسكرية والأمنية كالجيش والدرك والشرطة وأجهزة الأمن وما يتبعها من القوات المسلحة وشبه المسلحة وما يخدمها من أجهزة تابعة..

فما الحكم الشرعي الواجب اعتقاده في هؤلاء المنتسبين أصلا لملة الإسلام؟ ويدينون بدينهم ويتسمون بأسمائهم وقد يؤدي بعضهم بعض شعائر الإسلام، ثم يأتي المسلمين فيقاتلهم ويطاردهم ويحاربهم، تنفيذا لأوامر أسياده من الحكام المرتدين. ولا يمنعه إسلامه أن يقاتل حتى إلى جانب الكفار الأصليين بأوامر أولئك الحكام الذين أعلنوا موالاتهم ونصرتهم للكفار، والدفاع عن مصالحهم و قبول أوامرهم؟

فنقول والله المستعان وهو يهدي السبيل:

إن هذا الجندي أو رجل الأمن أو الشرطة، المدافع عن الطاغوت، العامل عنده، المحارب للمسلمين معه ومع أوليائه الكفار، له إحدى حالات:

أولاً: أن يكون هذا التابع موافقا لسيده الحاكم الكافر، فيما ذهب إليه من عداء الإسلام وموالاة الكافرين والعدوان على شريعة الله، عارفا بأحوال رئيسه متفقا معه مقتنعا بما هو عليه من حرب الإسلام والمسلمين.

ثانياً: أن يكون هذا التابع يعمل ويقاتل مع سيده وهو غير موافق لسيده في محاربة الإسلام والمسلمين . وهذا له إحدى ثلاث حالات:

1- أن يكون جاهلا بالأمر كله لا يدرك ما يقوم به ولا يفهم أنه حرب للدين وللمسلمين، جاهلا بردة سيده وكفره ونفاقه للكافرين، فهو (**جاهل**).

2- أن يكون مكرها على تنفيذ أوامر سيده، بتهديده بالعقاب أو السجن أو القتل، إن هو لم ينفذ الأوامر، تهديدا فعليا لا يستطيع الفكاك أو الهرب منه. فهو (**مكره**).

3- أن يكون عارفا بأحوال سيده، وليس جاهلا ولا مجبرا مكرها، وإنما اتخذ موقعه معهم لمصلحة دنيوية من الكسب والوظيفة، أو لعصبية قرابة عائلية أو حزبية أو مذهبية، أو أي سبب دنيوي فهو (**مرتزق أو متعصب**).

أما من الناحية العملية:

فإن هؤلاء الأصناف الأربعة :

1-العارف القاصد . 2- المكره 3 . - الجاهل . 4- المرتزق بالباطل.

لا يختلفون عمليا فيما يقومون به من محاربة الله ورسوله والمؤمنين وقتل وسجن ومطاردة وأذى الذين يأمرون بالقسط من الناس... فهم يَقتُلُون ويقتَلون بأوامر أسيادهم وأمرائهم ورؤسائهم، ويحاربون شعوبهم أوغيرها.

وخلاصة الحكم الشرعي في هؤلاء نوجزه في نقاط مختصرة لا تخرج عن إيجاز هذا الكتاب، وينقسم الحكم الشرعي إلى مسألتين وهما:

الأول: هل ما زال هؤلاء على حكم الإسلام؟ أم أنهم كفروا وخرجوا من ملة الإسلام؟

والثاني: هل يجوز قتالهم وقتلهم أم لا يجوز؟

فأما الأول: وهو المقتنع بما عليه أسياده من محاربة الإسلام والمسلمين وولائهم للكافرين. فهو مثلهم في الحكم الشرعي. منافق مرتد كافر، أصالة وقناعة بالكفر وليس تبعا لأسياده. ولنفس الأدلة السالفة الذكر في حقهم. أما النوع الثاني: وهم الذين لا يوافقون أسيادهم، ولكن يقاتلون معهم، وهم الجاهل، والمكره والمقاتل للدنيا ومكاسبها وروابطها. فهؤلاء يرتكبون بفعلهم هذا، عملا من أعمال الكفر. وهو قتال المسلمين مع الكافرين، فهم بهذا ينتمون إلى طائفة الردة، إن قاتلوا بقيادة مرتد، وإلى طائفة الكفر، إن قاتلوا تحت راية كافر أصلي. وهذا ثابت لقوله تعالى : ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76) ، وهذه الآيات تثبت أن المؤمن يقاتل في سبيل الله، والقتال في سبيل الله علامة انتماء لطائفة الإيمان. وأن الكافر يقاتل في سبيل الطاغوت وأن القتال في سبيل الطاغوت علامة انتماء لطائفة الطاغوت. وأن فاعل هذا ولي للشيطان أمر الله بقتاله وبشر بالنصر عليه، والآية صريحة واضحة.

وفي آية أخرى أخبر سبحانه عن فرعون وطائفته، وما هم عليه من الكفر وحرب المؤمنين. فقال:

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴾ (القصص: 8). فجمع لفرعون ووزيره ومعاونه ونائبه هامان ولجنوده نفس الصفة: (خاطئين). ومعلوم أن خطيئة فرعون هي الكفر بالله وحرب المؤمنين. فهو، أي فرعون، جعل نفسه ربا يشرع ويعبد واستخف قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوما فاسقين، فشملتم الصفة:

وأما الحكم التفصيلي لهؤلاء الجنود الذين يقاتلون اليوم: الجاهل/المكره/المقاتل للدنيا عن علم/. فهو مايلي والله تعالى أعلم:

1- **الجاهل جهلا حقيقيا يمنعه من إدراك ما هو عليه من الحال، وما عليه حال رؤسائه**[هذا على افتراض وجود مثل هذا الجهل]. وكذلك المكره إكراها حقيقيا فعليا، مهددا بالقتل والأذى، لا يستطيع فرارا من عمله، ولا هجرة من مكان إجباره. فهؤلاء قد نص علماء أهل السنة والجماعة، على أن جهلهم وإكراههم (إن كان حقيقيا) يعتبر لهم عذرا شرعيا و فيبقى لهم حكم الإسلام على ظاهره مع بقاء حكمهم العام، (أنهم من طائفة الكفر) لأنهم معهم. ولا يعنى هذا كفرا عينيا لكل واحد من طائفة الكفر.

2- **وأما المقاتل للدنيا للكسب والوظيفة أو الارتزاق ، أو لعصبية للقوم أو الوطن أو الحزب أو القبيلة أو أي رابطة عصبية**. وهو يعرف أنه يقاتل المسلمين، مع حاكم كافر ظالم يوالي

الكفار ويعاونهم. فهذا الجنـدي لـيس جـاهلا بـالأمر ولا مكرهـا بالتهديـد، بـل هـو مختـار يستطيع ترك عمله، أو الفرار منه، أو عدم الدخول فيه أصلا لـو أراد. وقـد دخلـه للأسـباب الدنيوية، فهذا منافق اشترى الدنيا بالآخرة، وقاتل المسلمين من أجل الدنيا، فهو كافر يقاتـل تحت راية الكافرين. لا عذر له من جهل أو إكراه.

وأما قصد الدنيا والمكاسب فليس من الأعذار الشرعية في فعل الكفـر. فهـذه الأعـذار معروفـة عند أهل السنة والجماعة وهي (الجهل، والإكـراه، والتأويـل، وعـدم القصـد للفعـل)، وهـذه سـيأتي شرحها إن شاء الله.

ففي أمثال هؤلاء الذين اشتروا الدنيا بالآخرة يقول تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَـذْنَا مِيثَـاقَكُمْ لا تَسْـفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِـنْ دِيَـارِكُمْ ثُـمَّ أَقْـرَرْتُمْ وَأَنْـتُمْ تَشْـهَدُونَ * ثُـمَّ أَنْـتُمْ هَـؤُلاءِ تَقْتُلُـونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَـيْهِمْ بِـالإِثْمِ وَالْعُـدْوَانِ وَإِنْ يَـأْتُوكُمْ أُسَـارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَـلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَـوْمَ الْقِيَامَـةِ يُـرَدُّونَ إِلَى أَشَـدِّ الْعَـذَابِ وَمَـا اللَّـهُ بِغَافِـلٍ عَـمَّا تَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَـنْهُمُ الْعَـذَابُ وَلا هُـمْ يُنْصَرُونَ ﴾. البقرة/84-86.

وقد روى الإمام مسلم رحمه الله من حديث أبي هريرة رضي الله عنـه عـن النبـي صـلى اللـه عليه وسلم أنه قال: **(من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية. ومـن خـرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ولا يتحاشى مـن مؤمنهـا ولا يفـي لـذي عهـد عهـده فلـيس منـي ولست منه).**

هذا من حيث حكمهم الشرعي النظري، هل يحكم لهم بالكفر أم بالإسلام.

<u>وأما المسألة الثانية: وهي حكم قتال هؤلاء المنتسبين للإسـلام المقـاتلين للمسـلمين مع الكافرين، فهو إيجازا كما يلي والله تعالى أعلم:</u>

كل من قاتل المسلمين مع الكافرين فقتاله واجب على المسلمين، ولا يجب على المسـلم، ولم يكلفه الله ما لا يستطيع، من تمييز الجاهل من القاصد، ولا المكره من العامد.

بل قال تعالى: ﴿ وقاتلوا في سبيل الله الذين يقـاتلونكم ولا تعتـدوا ﴾ البقـرة – 190. وقـد اسـتدل العلماء بحديث عائشة رضي الله عنها الذي جاء فيه أن رسول الله صلى الله عليه وسـلم أخـبر عـن جيش يغزو الكعبة، حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسـف بـأولهم و آخـرهم، فقالـت عائشـة: يـا

رسول الله كيف يخسف بأولهم و آخرهم وفيهم عبيدهم وأسواقهم ومن ليس منهم، فأخبرها رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه يخسف بأولهم و آخرهم ويحشرون يوم القيامة على نياتهم. وفي رواية أم سلمة رضي الله عنها كما جاء في صحيح مسلم، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم)** فقلت: فكيف بمن كان كارها؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **(يخسف به معهم ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته)**. فاستدل العلماء بهذا الحديث على قتل الجاهل والمكره وغير القاصد، ممن قصد المسلمين بالحرب مع الكافرين، ويبعثه الله على نيته معذورا إن كان له عذر.

فقال العلماء: إذا كان الله-وهو القادر لو شاء على تمييز المكره والجاهل – لم يميزه من الخسف، فكيف لعبيد الله أن يميزوه من الكافرين وهو يقاتل معهم؟!

فهذا الخسف به أو قتله معهم، هو من العقوبة القدرية على وجود المسلم في سواد الكافرين أو الظلمة، فيأخذه العقاب معهم، ولا يظلمه الله فيبعث على نيته، إن كانت صالحة نفعته في الآخرة.

وعلى كل حال، فالهاجم على المسلمين يريد بهم الأذى، هو فى أحسن أحواله (مسلم صائل) وقد تكلم العلماء في حكمه الذي سنشير إليه في آخر هذه الفقرة.

فالخلاصة:

نحن لنا الظاهر والله يتولى السرائر. فظاهره مقاتل مع الكافرين، فيجب قتاله أو يجوز. وسريرته إلى الله، إن كانت صالحة نفعته يوم القيامة. فقد روى البخاري رحمه الله تعالى فى كتاب الشهادات من صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

<u>(إن أناسا كانوا يؤخذون بالوحي في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم. وإن الوحي قد انقطع، وإنما نأخذكم الآن بما ظهر لنا من أعمالكم، فمن أظهر لنا خيرا، أمناه وقربناه. وليس إلينا من سريرته شيء، الله يحاسب في سريرته. ومن أظهر لنا سوءا لم نأمنه ولم نصدقه، وإن قال أن سريرته حسنة).</u>

فالحكم العام له أنه من (طائفة الكفر) إن كان مع الكفار. وأنه من (طائفة الردة) إن كان مع المرتدين. وأنه من (طائفة البغاة)إن كان معهم وهكذا. وسيأتي التفصيل عن أعذار المكرهين والجاهلين في الفقرة التالية إن شاء الله.

<u>ولمزيد من الوضوح نقول والله المستعان :</u>

إن هؤلاء الذين يزعمون أنهم مسلمين، ويتسمون بأسمائهم ويلبسون لباسهم، وربما صلوا أو صاموا، من الذين يعملون في جيوش حكام المسلمين أو شرطتهم أو استخباراتهم..ثم ينفذون أي

أمر صدر إليهم من رؤسائهم، حلالا كان أم حراما، ويطيعونهم عن قناعة أو جهل أو إكراه ، وقد رباهم أسيادهم على ذلك وأخذوا عليهم العهود والمواثيق. فإنهم كما هو معلوم، يدافعون عن حكام كفرة ظلمة فسقة، ويقاتلون إلى جانب جيوش الكافرين، كما هو حاصل اليوم من جيوش تركيا وباكستان وبعض البلاد العربية والإسلامية، ويعملون إلى جانب أجهزة أمن واستخبارات اليهود والنصارى من الأمريكان و الأوروبيين وغيرهم من الكفار، ويحرسون قواعدهم العسكرية. ومراكزهم الدبلوماسية، والتجارية، بل ومراكز تنصير المسلمين، ومراكز نشر الدعارة والفساد والمجون...ولا يبالون في سبيل تنفيذ أوامر أسيادهم، هل قتلوا مسلما، أو روعوا مؤمنا، أو شردوا امرأة مسلمة، أو يتموا طفلا، أو انتهكوا حرمات بيوت وأعراض المستضعفين..

بل تراهم مستعدين لأن يحارب بعضهم بعضا، وأن يضرب بعضهم رقاب بعض، في الانقلابات الداخلية، أو في الحروب الأهلية الناشبة بين حكامهم الطواغيت في البلدان المتجاورة! حيث كثيرا ما تتحارب دول إسلامية أو عربية مع بعضها. فترى هؤلاء الجنود (المسلمين!) يخلصون في سفك دماء بعضهم، وفي أسر وإفناء بعضهم! وهم يدّعون الإسلام! وعموم قتالهم هو على سلطان ملوكهم، أو على الصراع على الأراضي واختلاف السياسات، لتكون العزة لفلان أو فلان. وليس لاستعلاء حق، أو اندحار باطل. لأنهم تربوا على طاعة الملوك والرؤساء والولاء للوطن أو القوم أو الحزب.

فالحقيقة الشرعية الناصعة – والله تعالى أعلم – أن هؤلاء المقاتلين إجمالا لهم حكم راياتهم وطائفتهم. كما أسلفنا، فمن قاتلنا تحت راية حاكم مرتد، نقاتلهم بصفتهم طائفة ردة، ومن قاتلنا تحت راية الأمريكان والكفار نقاتلهم بصفتهم طائفة كفر..

وعلى هذا فلا يجوز أن يصلى على قتلاهم، ولا يدفنون مع المسلمين، مع التنبيه المهم جداً على أننا لا نحكم بالكفر العيني على كل فرد منهم، كما تقدم إلا إذا علمت منه بينة بأنه ليس جاهلا ولا مكرها وإنما عامد قاصد . ومن علم منه أنه موافق لأسياده المرتدين، موال لأسيادهم الكفار من أمريكان وغيرهم فهذا نحكم بكفره وردته حيا وميتا، ويأخذ أحكام ذلك، فزواجه من مسلمة باطل، ولا يرث مسلما ولا يورثه... إلى آخر أحكام المرتدين.

يقول الشيخ أحمد شاكر محدث الديار المصرية، المتوفى سنة 1958.في فتواه الشهيرة بقتال الإنجليز والفرنسيين ومن شابههم ممن اعتدى على بلاد المسلمين، وحكم من أعانهم من المسلمين والتي نشرها في مجلة الهدي النبوي:

[أما التعاون مع الإنجليز، بأي نوع من أنواع التعاون، قل أو كثر.فهو الردة الجامحة، والكفر الصراح. لا يقبل فيه اعتذار، ولا ينفع معه تأول، ولا ينجي من حكمه عصبية حمقاء، ولا سياسة خرقاء، ولا مجاملة هي النفاق. سواء أكان ذلك من أفراد، أو حكومات أو زعماء. كلهم في الكفر

والردة سواء.إلا من جهل أو أخطأ ثم استدرك أمره وتاب، وأخذ سبيل المؤمنين، فأولئك عسى الله أن يتوب عليهم، إن أخلصوا من قلوبهم لله لا للسياسة ولا للناس (...) ألا فليعلم كل مسلم، في أي بقعة من بقاع الأرض إذا تعاون مع أعداء الإسلام، مستعبدي المسلمين، من الإنجليز والفرنسيين وأحلافهم وأشباههم، بأي نوع من أنواع التعاون، أو سالمهم فلم يحاربهم بما استطاع، فضلا عن أن ينصرهم بالقول أو العمل على إخوانهم في الدين إن فعل شيئا من ذلك ثم صلى فصلاته باطلة، أو تطهر بوضوء أو غسل أو تيمم فطهوره باطل، أو صام فرضا أو نفلا فصومه باطل، أو حج فحجه باطل، أو أدى الزكاة المفروضة، أو أخرج صدقة تطوعا، فزكاته باطلة مردودة عليه، أو تعبد لربه بأي عبادة فعبادته باطلة مردودة عليه، ليس له فى شيء من ذلك أجر، بل عليه الإثم والوزر. ألا فليعلم كل مسلم أنه إذا ركب هذا المركب الدنيء فقد حبط عمله، من كل عبادة تعبد بها لربه قبل أن يرتكس، في حمأة هذه الردة رضي لنفسه. ومعاذ الله أن يرضى بها مسلم حقيق بهذا الوصف العظيم. ذلك بأن الإيمان شرط في صحة كل عبادة. وفى قبولها كما هو بديهي، معلوم من الدين بالضرورة، لا يخالف فيه أحد من المسلمين. وذلك بأن الله سبحانه يقول :

﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (المائدة: 5) **(...) ألا فليعلم كل مسلم كل مسلمة، أن هؤلاء الذين يخرجون على دينهم ويناصرون أعداءهم. من تزوج منهم فزواجه باطل بطلانا أصليا، لا يلحقه تصحيح، ولا يترتب عليه أي أثر من آثار النكاح، من ثبوت نسب وميراث وغير ذلك. وأن من كان منهم متزوجا بطل زواجه كذلك، وأن من تاب منهم ورجع إلى ربه وإلى دينه، وحارب عدوه ونصر أمته، لم تكن المرأة التي تزوج بها حال الردة، ولم تكن المرأة التي ارتد وهي فى عقد نكاحه زوجا له، ولا هي في عصمته. وأنه يجب عليه بعد التوبة أن يستأنف زواجه بها. فيعقد عليها عقدا صحيحا شرعيا كما هو بديهي واضح. ألا فليحتط النساء المسلمات اللاتي ابتلاهن الله بأزواج ارتكسوا في حمأة هذه الردة أن قد بطل نكاحهن،وصرن محرمات على هؤلاء الرجال،ليسوا لهن بأزواج حتى يتوبوا توبة صحيحة عملية،ثم يتزوجوهن زواجا صحيحا.ألا فليعلم النساء المسلمات أن من رضيت منهن بالزواج من رجل هذا حاله وهي تعلم حاله،أو رضيت بالبقاء مع زوج تعرف فيه الردة فإن حكمها وحكمه في الردة سواء. ومعاذ الله أن ترضى النساء المسلمات لأنفسهن ولأعراضهن، ولأنساب أولادهن شيئا من هذا.**

ألا إن الأمر جد (...) فلينظر كل امرئ لنفسه ، وليكن سياجا لدينه من عبث العابثين وخيانة الخائنين.] انتهى الشاهد من كلام الإمام المحدث رحمه الله. نقلاً عن كتابه (كلمة الحق – أحمد شاكر).

<u>فهذه الأحكام الشرعية، ذات الصلة بالعقيدة وأصول الدين.من قواعد الحاكمية لله،والولاء و البراء في ذات الله، ليست مسائل فرعية.وإن الأمانة كما كررنا متعلقة فى أعناق علماء كل بلد أن</u>

يبينوها للناس ولا يكتمونها، رغبة في ما عند السلاطين أو رهبة مما لديهم. ذلك أنها مسألة إيمان وكفر قد تطال مئات الآلاف من البشر الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت ويحسبون أنهم مسلمين.

ويجب الإجابة على أسئلة هامة. وبصدق وصراحة ورجولة. خاصة من قبل كل عالم وقائد وداعية مسلم:

- هل نريد أن ننهض بأمتنا؟ هل نريد أن نتحرر من مستعمرينا؟ هل نريد أن نرقى باقتصادنا ونستثمر ثرواتنا ونسترد حقوقنا؟ هل نريد أن ندافع عن أنفسنا ضد مختلف أنواع الكافرين؟

- وقبل ذلك هل نريد أن نحكم بشريعة الله؟ ونتخلص من شرائع النصارى و قوانين الكفار التي تحكمنا؟

- فإذا كان جواب أحدهم على هذه الأسئلة بالنفي! فهو ليس معني بما يهم المسلمين من مسائل هذا الكتاب. بل لا يكون مدرجا على قائمة المسلمين.

- وأما إذا كان الجواب كما هو مفترض من كل مسلم بنعم، فإن المسائل السابقة وعلى رأسها مسألة كفر وردة الحكام الموالين للكفار، ومسألة قتالهم مع أوليائهم، وبالتالي قتال جنودهم تأتي على رأس تلك المسائل وفي مقدمتها، ولا شك شرعا وعقلا ومنطقا في ذلك.

وإن من نافلة القول، ومن المعلوم من العقل والبصر بالضرورة، أن نعلم أن الأمريكان اليوم لا يحاربوننا مباشرة، ولا يواجهوننا على الأرض بجنودهم إلا قليلا ! وهم يدفعون بالآلاف من المنتسبين للإسلام من هؤلاء الضلال و الجهال والمكرهين والمرتزقة والمنافقين، يقاتلون من بين أيديهم ومن خلفهم، عن أيمانهم وعن شمائلهم، بأمر من أسيادهم المرتدين، كما حصل معنا في أفغانستان ، ويحصل اليوم معنا أيضا في باكستان. وكما حصل في حرب الكويت، حيث دخلت الجيوش العربية والإسلامية تفتح الطريق للأمريكان. وكما تفعل أمريكا اليوم في العراق بالجيش والعملاء العراقيين، وبخدمات جيوش دول الخليج العربي، والأردن وباكستان وسواها . وأما على صعيد مطاردة الأمريكان، للعلماء والشباب المسلم، فيعرف كل عالم، وداعية إلى الله، وكل شاب مجاهد، أن الذي يضرب عليه الباب ليلا ويجره بثياب النوم إلى السجن، ويكشف سوأة بيته وأهله، ليس أمريكيا وإنما من بني جلدته! فهل الجلاد الذي يستقبله بالضرب والركل والشتم في السجن؟وهل القاضي الذي يحكم عليه بغير ما أنزل الله، بالإعدام أو السجن؟وهل الذين ينفذون هذه الأحكام؟؟ هل كل من سبق من هؤلاء هم من اليهود والأمريكان؟؟ أم من الذين يزعمون أنهم مسلمين؟! إنهم من المرتدين والضلال من بني قومنا. فهل سنقاتلهم، أم سنسلم إليهم ديننا وأعراضنا، ونبيح لهم أموالنا ودمائنا؟ وبالتالي يضرب اليهود والأمريكان والصليبيون جذورهم في بلادنا ويفعلون بنا ما يشاؤون.

يجب أن نقاتلهم دفاعا عن دين الله والمستضعفين. وأمر الله واضح:

* ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا﴾ البقرة – 190.

* ﴿ وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً * الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفاً ﴾ (النساء:76/ 75). ونلفت النظر إلى أننا هنا بصدد معرفة الحكم الشرعي لقتال هؤلاء ، ولسنا بصدد قضايا الرأي والحرب والمكيدة، من قتالهم هجوما أم دفاعا، وتقديم ذلك أو تأخيره عن قتال الأمريكان والكفار فذلك متروك لقادة الجهاد وأمراء الحرب من المسلمين، بحسب مقتضيات الضرورة والمصلحة.

- **أعذار الجهل والإكراه والتأويل وعدم قصد الفعل. للمسلم الواقع في عمل من أعمال الكفر. عند أهل السنة والجماعة. هل هي عذر لمن يعاون العدو من جنود المسلمين ! وأعيانهم!؟**

لقد فصل علماء أهل السنة والجماعة في مسألة غاية في الأهمية، وهي أن المسلم قد يقع في عمل من أعمال الكفر الناقضة للإيمان، ويكون له عذر مقبول شرعا، يحفظه من الحكم عليه بالكفر والخروج من ملة المسلمين. وكما قلت فلسنا في هذا الكتاب بصدد نقل المطولات الفقهية، ولكني أوجز إجمالا بأن العلماء قد جعلوا هذه الأعذار الشرعية أربعة أقسام، وهي:

1. **الجهل:** وهو جهل فاعل فعل الكفر بأن فعله كفر يخرجه من الملة الإسلامية، وهو عذر شرعا ما لم يكن الجهل في أمر معلوم من الدين بالضرورة.
2. **الإكراه:** وهو أن يقدم المسلم على فعل من أفعال الكفر، وهو يعلم بأنه كفر، ولكن يفعله مجبرا تحت قوة التهديد.
3. **التأويل:** أن يقدم على عمل كفري، متأولا جواز ذلك شرعا لدليل شرعي عنده، يظن أن الشريعة تحتمله. فالتأويل هو ظن غير الدليل دليلا.
4. **عدم قصد الفعل المكفر:** وهو أن يقع منه العمل المكفر من دون قصد ولا معرفة. كمن يطأ المصحف الشريف وهو لا يعرفه ويظن أنه شيء آخر. فهو لم يقصد وطء المصحف.

للعلماء تفصيلات مهمة، بإمكان المهتم بها العودة إليها في كتب الفقه والعقائد.

ولكن من المهم أن نذكر:

- أن عذر الجهل يزول بالعلم والبيان، فمن كان جاهلا فعلم وبين له فلم يقبل الحق، لم يعد جهله عذرا.
- أن عذر الإكراه (إن كان إكراهه حقيقيا)، يزول بزوال الإكراه، أو بقدرة المكره على الفكاك أو الهروب من الإكراه.
- أن عذر التأويل يزول بقيام الحجة الشرعية على المتأول بفساد دليله، فإن قامت الحجة عليه لم يعد التأويل عذرا له.
- أن عذر عدم القصد يزول بالبيان، فإن عاد الفاعل لفعله المكفر، بعد البيان صار عامدا.

وبالخلاصة:

فإن من ارتكب فعل الكفر ولم يكن عنده عذر شرعي، أو زال عذره، حكم بكفره، ومن المهم جدا أن نعلم أن الحكم بالكفر على معين يكون من قبل كفؤ لديه الأهلية الشرعية على القضاء وتبين الأحكام، وتفهم الأعذار وزوالها، وأن يكون له قدرة على إقامة الحجة والبينة على المعين المحكوم عليه.

وما يهمنا هنا تحت هذا العنوان هو بحث دعوى العذر بالجهل أو الإكراه من قبل هؤلاء الجنود المنتسبين للإسلام وهم يقاتلون المسلمين مع الكفار والمرتدين وتحت قيادتهم ورايتهم.ولا حاجة لبحث عذر التأويل ولا عدم القصد لأنه لا يخصهم في هذه الحالة.

وننبه على أن بحث عذرهم هو من أجل معرفة الحكم بكفرهم أو عذرهم. وليس من أجل عدم قتالهم، فقتالهم واجب كما بينا الدليل الشرعي بمجرد قصدهم لقتال المسلمين مع الكافرين حتى ولو كانوا مسلمين.

1- بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالجهل:

أما العذر بالجهل، فهو كما قلنا أن يقدم المسلم على فعل الكفر، جاهلا بأنه فعل محرما يترتب عليه الكفر. أي في حالة مثالنا أن يقدم هذا الجندي المسلم على قتال المسلمين، معتقدا أن رئيسه ولي أمر مسلم، وأنه يقاتل ناسا غير مسلمين، أو مسلمين مستحقين للقتال (بغاة ، مفسدين). بحيث يكون جهله هذا حقيقيا. وكأن يجهل أنه يقاتل مع الكفار ، أو يظن أنهم كفار جاؤوا لمساعدة رئيسه المسلم ضد من يجوز قتالهم شرعا.

فان توفر مثل هذا الجهل المفترض لهذا الجندي ، فقاتل المسلمين مع الكافرين وهو لا يدري حال رئيسه ومن معه ولا حال المسلمين المظلومين الذين يقاتلهم ... فهذا قد يعذر بجهله عند الله، لا نحكم بكفره عينا . لو ثبت لدينا له مثل هذا الجهل.

فهل يتوفر مثل هذا الجهل اليوم، لهؤلاء الجنـود والضـباط والشرطة والإسـتخبارات المقـاتلين للمسلمين والمجاهدين، بأوامر هؤلاء المرتدين إلى جانب وبقيـادة جيـوش اليهـود والنصـارى؟! هـل يعقل هذا مع انتشار وسائل الإعلام المختلفة، من الإذاعات ، والتلفزيونات، و الدشـوش ، والصحف والمجلات؟! بالإضافة إلى قيام المسـلمين بالمظـاهرات في الشـوارع، والخطبـاء في المسـاجد ، وحـديث الناس في كل مكان عن هذه القضايا! حتى يمكـن القـول اليـوم بـأن طبيعـة المعركـة بـين المسـلمين والكـافرين، وفسـاد الحكـام وكفـرهم وفجـورهم، وسـفور نسـائهم وفضـائح أبنـائهم وأقربـائهم ، وحكمهم بغير شريعة الإسلام وولائهم للكفـار، ومحـاربتهم للمسـاجد والعلـماء والشـباب المسـلمين المجاهدين...الخ. قد صارت معلومة لكل أحد، في كـل بـلاد المسـلمين ومنهـا باكسـتان. فـإن كـان فى هؤلاء الجنود من بلغت به البلاهة أن يجهل هذه الأمور!! فهـو معـذور بجهلـه واللـه تعـالى أعلـم. نقاتله وجوبا أو جوازا ، وقد ينفعه عذره عند الله ، ويبعث على نيته.

بحث عذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه:

هل يعذر الجندي المقاتل للمسلمين مع الكافرين بالإكراه ؟ :

سنتوقف مع هذا العذر، بشيء من التفصيل- رغم رغبتنا بالإيجاز – لأنه الأهم، ولأنه العذر الشائع. فمعظم هؤلاء الجنود والضباط العاملين في الجيش والشرطة وقوى الأمن، يعترفون بإدراكهم للواقع. ولكن يعتذرون أو يعتذر من يدفع عنهم صفة الردة والكفر، بأنهم مكرهون ومجبرون على قتال المسلمين بأوامر أسيادهم المرتدين أو الظالمين، إلى جانب وبقيادة الكافرين . كما حصل في بعض الدول العربية والإسلامية، حيث ساقت أمريكا عبيدها الحكام لقتال المسلمين، فساقوا عبيدهم الجنود لذلك.

فهل يمكن قبول عذر هؤلاء بالإكراه ؟! فلنر ذلك:

الإكراه شرعا:

هو الإجبار، والمُكره هو المجبور على فعل أو قول شيء لا يريده،ولا يفعله في حال زوال الإكراه عنه.

يقول الإمام ابن حجر في كتابه الجليل، فتح الباري في شرح صحيح البخاري، في باب الإكراه، ج12 ص 385: [الإكراه: هو إلزام الغير بما لا يريده. وشروط الإكراه أربعة:

الأول: أن يكون فاعله قادرا على إيقاع ما يهدد به. والمأمور عاجزا عن الدفع ولو بالفرار.

الثاني: أن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك.

الثالث: أن يكون ما هدده به فوريا، فلو قال له: إن لم تفعل كذا ضربتك غدا، لا يعد مكرها. ويستثنى ما إذا ذكر زمنا قريبا جدا، أو جرت العادة بأنه لا يخلف.

الرابع: ألا يظهر من المأمور ما يدل على اختياره. كمن أكره على الزنا فأولج وأمكنه أن ينزع ، ويقول: أنزلت ، فيتمادى حتى ينزل.] ا هـ

فالمستخلص من كلامه رحمه الله، أن المكره هو : من أجبر على فعل مالا يريد، بحيث:

أولاً: أنه لا يريد هذا الفعل باختياره وإنما بالإجبار الحقيقي.

ثانياً: أنه لا يستطيع عدم الاستجابة، عاجز عن دفع الإكراه.

ثالثاً: أنه لا يستطيع التخلص ممن أكرهه بفرار أو بهجرة أو نحوها.

رابعاً: أنه يتيقن وقوع التهديد قريبا وبالتأكيد..

خامساً: أن لا يتمادى بالفعل إن زال عنه الإكراه، لمصلحة أو شهوة.

فهل تنطبق هذه الشروط على هذا الذي يزعم أنه مسلم، ثم يقصد قتال المسلمين، فيسفك دماءهم، ويهتك أعراضهم، وينهب أموالهم، بأوامر المرتدين وصحبة الأمريكان والكافرين؟! يجب أن

يسأل هذا الجندي أوالشرطي أو رجل الأمن، بضع أسئلة. ليعلم هل هو مكره أم غير مكره، أسئلة تحدد إجاباتها، تبرأته إن كان معذورا في فعلته المكفرة هذه أو الحكم عليه بعدم العذر.

1. هل دخل هذا الجندي الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، باختياره أم مجبرا؟ وهذا يختلف من دولة إلى أخرى فهناك دول تجند الشباب إجباريا في هذه القوات، وهناك دول يكون دخول هذه القوات اختيارا، بل يحتاج إلى الواسطة والرشوة! لما فيها من المكاسب وفرص الرشوة والنهب والغصب لأموال الناس.
2. هل يستطيع هذا الجندي الاستقالة و الانسحاب من عمله هذا، بعد أن رأى ما يكره عليه، أم لا يستطيع؟
3. هل يستطيع الفرار من عمله إذا لم تمكنه الاستقالة، بالاختفاء في بلده، أو الهجرة عنها إن لزم الأمر أم لا يستطيع ؟
4. هل هو مهدد فعلا، إن لم ينفذ الأوامر، ومتيقن بوقوع العقاب به أم لا ؟
5. هل يتمادى بالقتل والنهب وهتك الأعراض! تحقيقا لرغباته ومصالحه أم للإكراه.

• أمور أخرى يجب بيانها في قضية الإكراه :

أولاً: عندما قام مدعي الإكراه بهذا العمل مختارا متطوعا- أي دخل الجيش والشرطة باختياره- وليس عبر التجنيد الإجباري-هل كان يعلم أن عمله يقتضي إكراهه على فعل ما حرم الله أم لا؟ فإذا كان يعلم أنه سيكره على تنفيذ الأوامر! حلالها وحرامها بحكم نظام الجيش والشرطة والأمن. ثم أكره من بعد، لم يكن إكراهه عذرا له، لأنه أقدم مختارا على ما يعلم أنه سيكره فيه على الكفر أو الظلم أو ما حرم الله، وذلك من اشتهار حال هذه المؤسسات وأعمالها! وقد ضرب العلماء مثلا لهذه الحالة، بمن دخل أرض قوم يكرهون من ساكنهم على الكفر، وهو يعلم قبل أن يدخل بذلك، ثم دخل فأكرهوه.. لم يكن الإكراه عذرا له . فهل يعلم من يتطوع في هذه القوات مختارا، أنه سيقدم على هذه الأعمال أم لا يعلم؟ فإذا كان يعلم ما سيكلف به، قبل أن يكره، لم يكن عذره بالإكراه مقبولا، ولو أكره فعلا على عمل يكرهه.

ثانياً: المكره نوعان:

الأول: من يكره على قول أو عمل كفري لا يؤذي به غيره من المسلمين:

وإنما يقدم على ما ينتقض الدين بفعله أو قوله، وهو كاره كما أكره سيدنا عمار بن ياسر تحت التعذيب على النيل من رسول الله صلى الله عليه وسلم مجبرا، بعد أن قتلوا أباه وأمه و غطوه في البئر حتى كاد يهلك من التعذيب. فقال كلمة الكفر، فعذره رسول الله صلى الله عليه

وسلم وأجازه. وجعلها رخصه للمسلمين، فقال:(إن عادوا فعد). وبين أن العزيمة والصبر أولى في حالة الإكراه وأكثر أجرا، وأن الإكراه عذر لمن فعله وقلبه مطمئن بالإيمان. في حين لم يقبل العلماء العذر ممن هدد بالعذاب، ولم يتيقن وقوعه. وهكذا لم يقبل الإمام أحمد بن حنبل عذر العلماء الذين أجابوا الحاكم للقول بخلق القرآن لما هددهم واعتذروا يقول الله تعالى: ﴿ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ ﴾ (النحل: 106) وبحديث عمار رضي الله عنه، قال الإمام أحمد : (إن عمارا ضربوه وأنتم قيل لكم سنضربكم)ولما احتج يحيى بن معين، وهو إمام جليل من المحدثين، كان قد ضعف للتهديد، واستجاب واعتذر بهذا العذر.. رفض الإمام أحمد حجته وقال: (يقول لي أكره ولم يضرب سوطا واحدا). ولم يكلمه بقية حياته، ولم يرد عليه السلام لما سلم عليه ابن معين، والإمام أحمد على فراش الموت!! رحمه الله وأكثر في أمتنا من أمثاله! وقد روي:عنه قوله (لا إكراه إلا بالسيف) وعن غيره من العلماء أن الإكراه هو بالتهديد بالقتل، أو ببتر عضو، وذهب بعضهم بأنه مطلق العذاب الذي لا يطيقه، ولا يستطيع الفرار منه.

وقد يقول البعض ويعتذر عن فعل حكومة الباكستان أو الكويت والسعودية والأردن ..مثلا بمعاونة الأمريكان، بأن الله قد أباح التقية من الكافر، ويقولون : نحن نقاتل معهم اتقاء لشرهم علينا وعلى بلادنا . فهذا زعم مردود. فان الله تعالى قال في سورة آل عمران الآية (28): ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴾ .

قال ابن كثير في تفسيرها [أي إلا من خاف في بعض البلدان والأوقات من شرهم فله أن يتقيهم بظاهره لا بباطنه ونيته.

كما قال البخاري عن أبي الدرداء إنه قال:(إنا لنكشر في وجوه أقوام وقلوبنا تلعنهم) وقال الثوري:(قال ابن عباس: ليس التقية بالعمل، إنما التقية باللسان .] ا هـ

الثاني: هو المكره على فعل يؤذي به غيره من المسلمين :

كمن يأمر بقتل مسلم أو هتك عرضه أو نهب ماله، أو أذيته، وقد نص العلماء على أن المسلم لا يعذر أن يوقع بغيره الأذى إن هدد هو به، فلا يجوز له إن هدد بأخذ ماله إن لم ينهب غيره من المسلمين، أن يدفع عن ماله بنهب مال مسلم آخر، ثم يقول أنا مكره.

وأخطر من ذلك ، لا يجوز له أن يقتل مسلما، إن هدد بالقتل إذا لم يقتله، فقال العلماء: ليس حفظ نفسه مقدم على إزهاق نفس مسلم، بل يجب عليه ألا يقتل مسلما ولو قتلوه، فيقتل صابرا محتسبا، وبهذه النية يكون شهيدا إن شاء الله.

فهل يفعل هؤلاء الجند (المكرهون بزعمهم) هذا؟! هل لو رفض هذا الجندي قتل المسلمين، يقتل؟ أم يسجن؟ أم يقطع مرتبه ومعاشه؟ أم يطرد من وظيفته في الجيش أو الشرطة فقط؟.

فيقدم على قتل المسلمين، وقد جعل الله زوال الكعبة أهون عنده من قتل امرئ مسلم! كما أخبر صلى الله عليه وسلم. وقد قال الله تعالى: ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً ﴾ (النساء:93). هذا إن قتله في شجار على الدنيا، أو نزغة شيطان، فكيف بمن قتله لأنه مؤمن مهاجر مجاهد في سبيل الله، إرضاء لأمريكا ؟!.

فهؤلاء الجنود الذين يظنون أنفسهم مكرهين، يقتلون المسلمين، حتى لا يطرد واحدهم من وظيفته، أو يناله بعض العذاب. فهذا ليس حاله حال المكره، وإنما كمن قال الله تعالى عنهم:{**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا عن الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**}. فهناك فرق بين من أكره فنطق بكلمة الكفر وقلبه مطمئن بالإيمان. وبين من شرح بالكفر صدرا، فقال كلمة الكفر، وفعل فعل الكفر، حفاظا على حظه من الدنيا. وقد بين القرآن الكريم هذا صراحة: إذ قال الله تعالى في سورة النحل: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآياتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ* مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ* ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ * لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (النحل:110/105) .

فهل هؤلاء الجنود في الجيش والشرطة والأمن والإستخبارات، والسجانين والجلادين الذين يعذبون الناس حتى الموت.. مكرهون؟! نعوذ بالله من قول الزور وشهادة الزور!! هل هؤلاء المجرمون مكرهون؟! ، أنظر في حالهم وسلوكهم واحكم عليه بمقياس الإسلام ، أنظر في صلاتهم، وصيامهم، وأدائهم لشعائر الإسلام؟ ثم أنظر في كسبهم السحت من الرشاوى وما يظلمون الناس ، ويقبضون المكوس على الطرقات ، وفى الأسواق وعلى أبواب البيوت! ثم انظر في تسابقهم على الوظيفة في هذه المؤسسات الظالمة النجسة من الشرطة والإستخبارات والقيام على السجون والمعتقلات!!.

نعم.. قد يكون هناك من لا يتلبس بذلك ممن التحق بالجيش للدفاع عن البلاد وقتال أعداءها ولم يكن بعلمه ولم يدر بخلده أن يزج به أسياده في قتال المسلمين إلى جانب الكافرين، ولكن هل يعذر هذا بالقتال تحت قيادة وراية الكافرين، والأمريكان والإنجليز، لسفك دم المؤمنين. ثم يقول: أنا مجبور مكره!

فهل تطوع بالجيش وهو يعلم حال قيادته ورئاسته وما هم عليه من الـردة، بتبـديل الشرائع والعمالة للكفار والفساد والرشوة و البغي والظلم، أو لا.؟؟

وهل دخل الجيش دفاعا عن الوطن والأرض والقوم؟ هذه كلها ليست من سبيل اللـه فى شيء ما لم تكن لتكون كلمة الله هي العليا بل هي نوايا عصبية جاهلية!

فإن كان قد دخل بنية الجهاد في سبيل الله، لأنه قد دلس عليه بعض العلماء المدلسين، بأن هذه الحكومة ورؤساءها مسلمون وأولياء أمور شرعيون. وأن مفاسدهم لا تخرجهم عن الإسلام!. وانطلت عليه هذه الخديعة الضالة، ثم وجد نفسه أمام الحال الجديد .. فهذا قد يعذر بجهله لوجوده في مثل هذا الجيش، وقتاله تحت رايته بقصد الدفاع عن المسلمين، ولكن هل يعذر بجهله، وبالإكراه فى قتل المسلمين إرضاء للكافرين، وتحت رايتهم وقيادتهم؟! اللهم لا.

هذا واجبه الاستقالة من هذا الجيش، أو على الأقل رفض الأوامر من هذا النوع، والفرار من القتال ولو سجن أو عذب أو طرد من وظيفة. وهذا العقاب في حقه نعمة من الله يخرجه من الضلالة ومن غضب الله عليه – فإن خُيِّر و أُجبر على قتل مسلم أو يقتل، فواجبه أن يختار القتل صابرا محتسبا على أن يقتل مسلما، وليس له أن يقتل مسلما ثم يقول أنا مكره، هذا ليس بعذر إكراه شرعي، فليس من الإكراه أن يقدم على قتل المسلمين وهتك حرماتهم ثم يقول : إذا لم أفعل طردت من عملي، أو قطع راتبي أو وضعت على عقوبات مالية! إن واجب هذا الجندي إن وجد نفسه مكرها على قتال المسلمين من قبل أسياده المرتدين، أو أسيادهم الأمريكان والإنجليز والكافرين...أن يستدير بسلاحه لقتال من يكرهه على فعل الكفر، ويجاهده بسلاحه ويقتل شهيدا صابرا مجاهدا وليس أن يتلطخ بدم المسلمين وأعراضهم ويظن نفسه مكرها.. فإن لم يمكنه الخلاص إلا بالفرار من الجيش وعجز عن قتالهم لضعفه أو لقلة من معه، وجب عليه الفرار والهجرة عن بلده. وأرض الله واسعة وعندها يكون مهاجراً في سبيل الله صابرا فارا من الفتنة بدينه. والهجرة والفرار من حكومة كهذه القائمة في باكستان، فرض على من وجد نفسه أمام الفتنة في دينه والاضطرار لفعل الكفر بالقتال تحت قيادة وراية الأمريكان إن عجز عن قتال هذه الحكومة وقد أخبر القرآن الكريم، وبينت السيرة النبوية الشريفة، ونصوص السنة عن قوم مسلمين بقوا في مكة بعد أن هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ولم يهاجروا لأن لهم في مكة مصالح، من أهل ومساكن وتجارة. فلما كانت غزوة بدر بين المسلمين ومشركي مكة ، أكرهوا على الخروج مع كفار مكة إجبار أو حياء من قومهم. فقتل بعضهم فى المعركة فتأسف المسلمون على قتلهم وقالوا قتلنا إخواننا! فأنزل الله تعالى فيهم قوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا

يَهْتَدُونَ سَبِيلاً * فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوّاً غَفُوراً * وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَاغَماً كَثِيراً وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً ﴾ . النساء (97-100) .

وقد بينت هذه الآيات بصراحة كما شرحها المفسرون أحكاما هامة منها:

1. وجوب الهجرة من ديار الكفر والفرار من فتنها. خاصة لمن يتعرض للفتنة إلى حيث لا يفتن فى دينه.
2. أن من أكره وخرج للقتال مع الكافرين. لم يتقبل عذره لأنه كان عليه أن يهاجر بدل البقاء حتى يكره للخروج لقتال المسلمين مع الكافرين. وأن من قتل منهم كان مصيره إلى جهنم ولم يقبل عذره.
3. أن الله عذر المستضعفين الذين لم يهاجروا لأنه لا حيلة لهم، ولا يهتدون إلى طريق للهجرة، ولا سبيل لديهم إليها. فهؤلاء معذورون بعدم الهجرة،(وليس العذر للقتال مع الكفار) ووعدتهم الآية بالعفو والمغفرة عن تقصيرهم بعدم الهجرة.
4. ثم بشر القرآن المهاجر فى سبيل الله بكفالة الله له بسعة الرزق فى الدنيا، وأنه إن مات فإن الله ضامن لأجره في الآخرة.

فأين هذه الأحوال، من هؤلاء المنتسبين لهذه الجيوش الظالمة.

هل هم مكرهون مهددون بالقتل إن لم يقتلوا المسلمين؟ لا. وحتى لو كان ذلك، فليس هذا بعذر وعليهم حينها الهجرة والفرار ممن أكرههم.

ولكن الحقيقة المرة، هي أن أكثرهم يقدم على فعل الكفر هذا بقتال المسلمين مع الكافرين حرصا على ما توفره له الوظيفة فى الجيش أو الشرطة أو الاستخبارات، من البيوت الفارهة، والسيارات الفخمة، والمرتبات العالية المنهوبة من ثروات المسلمين، والمكوس الموضوعة على ضعفائهم..ثم يعتذرون بأنهم فى الجيش والشرطة للدفاع عن الوطن، وأنهم مكرهون على قتال المسلمين بحكم الوظيفة.

فهذا ليس بإكراه لا شرعا ولا عقلا..أيقبل عذر واحدهم بالإكراه على قتل مسلم؟ ولا يقبل عذر المسلم المهاجر المجاهد فى سبيل الله بقتل هؤلاء دفاعا عن نفسه؟ وهم الذين قصدوه بالعدوان و جاءوه بصحبة الجنود الأمريكان ودهموا بيته عليه وعلى زوجته وأولاده.

فكما أسلفنا هذا ليس بإكراه وإنما هو حال وصفه الله سبحانه وتعالى بقوله:﴿**ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين**﴾.

وأما حال المكره المعذور شرعا من الذين يقاتلون المسلمين فهو كما يلي:

1. أنه أكره على التجنيد إجباريا فى جيش يقاتل المسلمين وليس باختياره.

2. أنه عجز فعلا عن الفرار أو الهجرة.

3. يجب عليه أن يورى فى القتال ولا يمد سلاحه لأذى المسلمين بل يعطل سلاحه ولو قتل بيد الكفار أو المسلمين، وهو بهذه النية شهيد.إن شاء الله. فإن كان فى جيوش الطواغيت و شرطتهم ممن قاتلوا المسلمين، أو فيمن فعل فعلتهم، جندي تنطبق عليه مواصفات هذا المكره فهو معذور. و إلا فلا عذر له.

خامساً : أحكام الشريعة تقرر وجوب أو جواز قتال الصائل على دين المسلمين أو أنفسهم أو أعراضهم أو أموالهم ولو كان مسلما.

قد يصر مكابر، رغم الأدلة الواضحة، بأن هؤلاء الجنود المقاتلين للمسلمين مع الكافرين والمرتدين، هم مسلمون، يصلون ويصومون، ويشهدون ألا إله إلا الله، محمدا رسول الله، ولا يكفرون بقتالهم للمسلمين. فلمثل هذا حتى نكون عمليين وحسما لجدل فارغ لا يقوم بالأدلة وإنما بالعواطف والأهواء نقول: هب ذلك،فإن للمسلم الذي يحمل السلاح على المسلمين، بغيا، أو فسادا في الأرض، أحكاما بينها العلماء تحت عنوان **(دفع الصائل المسلم)** . فقد بين العلماء أن كل دين نزل من عند الله، جاء للحفاظ على الضرورات الخمسة (الدين – النفس – العرض- العقل- المال) ولذا فيجب المحافظة على هذه الضرورات بأي وسيلة مشروعة، ومن هنا شرع الإسلام دفع الصائل.

<u>**والصيال شرعا**</u>: كما عرفه العلماء هو الوثوب على الشيء المعصوم بغير حق، والمعصوم هو النفس أو العرض أو المال.

<u>**والصائل كما عرفه العلماء:**</u> هو كل معتد على ما كان معصوما شرعا سواء كان مسلما عصم بحق الإسلام أو عصمته ذمة المسلمين. فالقتال لدفع هذا المعتدي مشروع شرعا بالدفع عن الحرمات بل يصير واجبا في كثير من الحالات. قال تعالى : ﴿ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم ﴾ .

<u>**أما الصائل على الدين:**</u>

فواجب بقوله صلى الله عليه وسلم **(من قتل دون دينه فهو شهيد.)**. قال ابن تيمية رحمه الله :**(وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعا فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لاشيء أوجب بعد الإيمان من دفعه)**. الفتاوى الكبرى ج5ص530.

<u>**وأما الصائل على العرض:**</u>

فيجب دفعه باتفاق الفقهاء ولو أدى إلى قتله وإن كان مسلما. قال النووي:(وأما المدافعة عن الحريم فواجبة بلا خلاف). وقال الشيخ عبد الله عزام رحمه الله:(قد يسأل سائل : أو يجوز لنا أن نقتل شرطيا يصلي ويصوم، من أجل أنه يريد أن يأخذني إلى قسم البوليس؟ فقال:(وأما رأي الفقهاء بالإجماع أنه لا يجوز لأحد أن يستسلم لإنسان يريد أن ينتهك عرضه(...) إتفق الفقهاء جميعا على أن دفع الصائل عن العرض واجب بالإجماع. فإذا أنت تركت الشرطة يقتحمون بيتك في وهن من الليل، وزوجتك عارية في ثياب النوم يكشفون عنها غطائها ليبحثوا أنك نائم عندها فعرضك منتهك

وأنت آثم عند رب العالمين فهنا الظلم. والصلاة والصيام من مثل هذا الشرطي لا تمنع عنه قضية القتل) الجهاد فقه وإجتهادج3 ص139.

<u>وأما الصائل على النفس:</u>

فيجب دفعه عند جمهور العلماء. وقد ذهب البعض للجواز دون الوجوب، ولو كان مسلما وفى الحديث الصحيح :(من قتل دون ماله فهو شهيد،ومن قتل دون دمه فهو شهيد،ومن قتل دون دينه فهو شهيد،ومن قتل دون أهله فهو شهيد) رواه أحمد وأبو داود. وروى عنه صلى الله عليه وسلم:(من قتل دون مظلمته فهو شهيد) رواه النسائي.

قال الإمام الجصاص بعد هذا الحديث فى أحكام القرآن ج1ة ص 242 :**(لا نعلم خلافا أن رجلا لو شهر سيفه على رجل ليقتله بغير حق أن على المسلمين قتله).**

قال الشيخ الشهيد عبد الله عزام رحمه الله:(وفى هذه الحالة– الصيال – إذا قتل الصائل فهو فى النار ولو كان مسلما وإذا قتل العادل فهو شهيد.

<u>وأما الصائل على المال:</u>

فقد ذهب جمهور علماء المسلمين إلى جوازه واعتبره البعض واجبا. عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا قال: يا رسول الله: أرأيت إن جاء رجل يريد أخذ مالي. قال صلى الله عليه وسلم **(لا تعطه)** قال أرأيت إن قاتلني، قال صلى الله عليه وسلم**(فقاتله)** قال: أرأيت إن قتلني. قال صلى الله عليه وسلم **(فأنت شهيد)** قال أرأيت إن قتلته، قال صلى الله عليه وسلم**(هو فى النار)**. رواه مسلم.

ويقول الإمام ابن تيميه فى مجموع الفتاوى ج28 ص45:[(والسنة والإجماع متفقان على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل وإن كان المال الذي يأخذه قيراطا من دينار. ففي الصحيح (من قتل دون ماله فهو شهيد)].

قال الشافعي رحمه الله:(إذا دخل الرجل منزل الرجل ليلا أو نهارا بسلاح فأمره بالخروج فلم يخرج، فله أن يضربه وإن أتى على نفسه ، أي إذا قتل المدفوع) الأم ج6 ص33.

قال ابن تيمية رحمه الله (السنة والإجماع متفقين على أن الصائل المسلم إذا لم يندفع صوله إلا بالقتل قتل). الفتاوى الكبرى ج 28.

هذا مختصر أحكام دفع الصائل المسلم على أحاد المسلمين. فكيف به لو جاء يريد الدين أو النفس أو العرض أو المال.. أو كل ذلك،تحت راية وقيادة الأمريكان والمرتدين.؟!

سادسا: أحكام الشريعة تقرر حرمة دماء وأموال وأعراض المسلمين.وتقرر أن جميع أشكال تواجد المعتدين الكفار (دماءهم وأموالهم) في كل مكان حلال هدر للمسلمين.

_خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. فكان مما قاله:(أي شهر هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم. فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال:[أليس هذا ذا الحجة]؟ قلنا بلى، قال:[فأي بلد هذا]؟ قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال:[أليس البلدة الحرام]؟ قلنا بلى. قال فأي يوم هذا؟قلنا الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، فقال:[أليس يوم النحر؟] قلنا بلى، قال:[فان دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا في شهركم هذا. وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض. ألا فليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعى له من بعض من سمعه] ثم قال: ألا هل بلغت؟ ألا هل بلغت؟ قلنا نعم قال: اللهم اشهد) متفق عليه.

وقد لخص هذا الحديث الشريف المتفق على صحته لدى عموم المسلمين قاعدة حرمة المسلم. دمه، وماله، وعرضه. حرمة كلية لا يحلها إلا ما جاء في الحديث الصحيح، المجمع على صحته لدى عموم المسلمين أيضا، وهو قوله صلى الله عليه وسلم:(**لا يحل دم امرء مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة)**متفق عليه.

وقد عظم الإسلام حرمات المسلمين، و نهى عن العدوان عليهم ، ونهى عن ظلمهم وأنه سيقتص من الظالم في كل كبيرة وصغيرة.

- وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال :(**إن رجالا يتخوضون في مال الله بغير حق فلهم النار يوم القيامة)** رواه البخاري.
- وقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال:(**المسلم أخو المسلم لا يظلمه، ولا يسلمه)** متفق عليه.
- وقال صلى الله عليه وسلم:(**المسلم أخو المسلم، لا يخونه، ولا يكذبه، ولا يخذله، كل المسلم على المسلم حرام، عرضه، وماله، ودمه)**رواه الترمذي.
- وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :(**اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة)** رواه مسلم.
- وقال صلى الله عليه وسلم :(**اتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)** متفق عليه.

- وعن أبي أمامة إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :**(من اقتطع حق امرئ مسلم بيمينه فقد أوجب الله له النار وحرم عليه الجنة) فقال رجل :وإن كان شيئا يسيرا يا رسول الله فقال صلى الله عليه وسلم :(وإن قضيبا من أراك)** رواه مسلم. والأراك هو: السواك.

وقد شدد الإسلام في حرمة المسلمين ودمائهم وأموالهم وأعراضهم. التي لا تحل إلا بالردة التي تزيل عن صاحبها الإيمان وعند ذلك فلا حرمة له، وهو مهدور الدم مباح المال. وهذا هو الحكم الأصلي لدم الكافر وماله، فقد نص العلماء على أن الأصل فى دم الكافر وماله الحل. كما أن الأصل في دم المسلم وماله الحرمة... وكما أن هذه الحرمة تزول عن دم المؤمن وماله بالكفر فإن العلماء نصوا على أن دم الكافر وعرضه حلال، لا يحرم إلا بإحدى حالتين يصبح فيهما معصوم الدم والمال، وهما:

1. **إما الدخول في الإسلام.** وعند ذلك يكون له ما للمسلمين وعليه ما عليهم. إذ أنه صار منهم فيحرم ماله ودمه وعرضه، كما نصت على ذلك آيات القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم.
2. **وإما بالأمان الذي يعطى له من قبل الحاكم الشرعي.**حيث يكون (من أهل الذمة) وتوضع عليه الجزية المنصوص عليها شرعا. إذا كان من المقيمين بين أظهر المسلمين.كأهل الكتاب ومن في حكمهم ممن يعيشون في ديار الإسلام. وإما بالأمان المؤقت الذي يعطى للكفار الذين يعبرون أراضي المسلمين دون أن يقيموا بها، بقصد التجارة أو الإقامة المؤقتة، وعند ذلك يؤدون ضريبة على ما يحملون من تجارة، ويكون لهم أمان مؤقت تعصم فيه دماءهم وأموالهم.

وما عدا حالتي الذمة والأمان فإن الكافر يكون دمه وماله حلال للمسلمين.ومن البديهي القول بأن حق إعطاء الذمة والأمان، لا يكون للحاكم الكافر المبدل للشريعة، الحاكم بغير ما أنزل الله، الموالي لأعداء الله. بل هي من حقوق الحاكم الشرعي إمام المسلمين. إذ أن الحاكم الكافر لا أمان له بنفسه. فهو مهدور الدم والمال، يجب قتاله وقتله،والخروج عليه،ومحاربة طائفته في حال القدرة.أو الهجرة عن دياره فى حال العجز عن ذلك. أو التربص به والإعداد لخلعه وقتاله. فكيف يؤمن غيره، وهو غير مؤمن في دين الإسلام والمسلمين. وهذه هي حالة حكام بلاد المسلمين اليوم، فقد فقدوا حقوق الحاكم المسلم لردتهم. ومنها حق إعطاء الذمة والأمان فلا أمان بذلك للكفار الذين يدخلون بلادنا اليوم بأي شكل من الأشكال.

فهم محاربون ينتمون لأمم محاربة تتراوح أهداف وجودهم فى بلادنا بين الحرب ومقاصد الحرب، والإفساد والضلال ونشر الرذائل.. وأما الادعاء بأمانهم من قبل حكوماتنا فدعوة ساقطة. لسقوط شرعية حكوماتنا، الغير شرعية أصلا .. وخصوصا من كان تواجدهم لأهداف عسكرية أو أمنية أو سياسية أو تنصيرية. أو أي وجه من وجوه الإفساد في بلاد المسلمين.

فالخلاصة باختصار في أحكام دماء وأموال المسلمين والكافرين في بلادنا اليوم:

1. أن جميع من في بلادنا الإسلامية اليوم من المسلمين ممن شهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولم ينقضوها بمحاربة الإسلام والمسلمين، والمظاهرة عليهم ولم ينقضوه صراحة بناقض معتبر للإسلام، هم معصومو الدم والمال والعرض. بقولهم لا إله إلا الله وحسابهم على الله تعالى. وإن تلبسوا بما تلبسوا به من المعاصي فحسابهم على الله. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**أمرت أن أقاتل الناس،حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله فقد عصم مني ماله ونفسه إلا بحقها، وحسابه على الله**). رواه البخاري.

2- أن جميع أشكال تواجد الكفار في بلادنا، حلال الدم والمال. لا تعصمهم الأمانات المزورة. والذمة الباطلة التي أعطاهم إياها أولياؤهم من حكامنا المرتدين الذين هم حلال الدم والمال أصلا، كما بينا آنفا.

3- أن الكفار في بلادهم (ديار الحرب) ، حلال المال والدم كما هو معروف، وليس هناك أي إعتبار لما يسمى بالاتفاقات الدولية، لأنها لم تبرم أصلا مع أولياء أمور شرعيين للمسلمين، فضلا عما فيها من البنود الباطلة، التي تعطل الجهاد في سبيل الله، وتعطي الحقوق للكفار المعتدين، بدعوى مكافحة الإرهاب، بل وتجعل دفاع المسلم عن دينه ونفسه وعرضه وماله، جريمة وإرهابا، وتجعل عدوان الكفار علينا عدلا ونظاما دوليا.

عصمة دم المسلم، وحرمته عند الله:

شدد الإسلام في عصمة دم المسلم، وهدد وتوعد قاتله عمدا باللعنة، وهي الطرد من رحمة الله، وبالخلود في النار والعذاب الأليم. فقد روى البخاري رحمه الله من حديث ابن عمر رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**لن يزال المؤمن في فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما**). أي ما يزال لديه الأمل بالمغفرة ما لم يقتل مسلما عامدا متعمدا.. وروى البخاري أيضا عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال :(**من حمل علينا السلاح فليس منا**)

ويكفي في حرمة دم المسلم وسوء مصير قاتله عمدا ما قاله الله تعالى مما يهز القلوب. ويردع كل من كان في قلبه لدين الله حرمة، عن الإقدام على هذا الجرم الشنيع، وهو قوله تعالى في سورة النساء الآية (93): ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما**﴾. ومما قاله الإمام ابن كثير رحمه الله تعالى في تفسيرها:[وهذا تهديد شديد، ووعيد أكيد. لمن تعاطى هذا الذنب العظيم الذي هو مقرون بالشرك بالله تعالى. في غير ما آية في كتاب الله حيث يقول تعالى في سورة الفرقان:

﴿**والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التي حرم الله إلا بالحق**﴾(...)والآيات والأحاديث في تحريم القتل كثيرة جدا. فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**) وفي الحديث الآخر الذي رواه أبو داود... عن عبادة بن الصامت قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(**لا يزال المؤمن معنقا صالحا ما لم يصب دما حراما. فإذا أصاب دما حراما بلح**). وفي حديث آخر:(**لزوال الدنيا أهون عند الله من قتل رجل مسلم**) وفي الحديث الآخر (**لو أن أهل السماء وأهل الأرض اشتركوا في دم مؤمن لأكبهم الله تعالى في النار**) وفي الحديث الآخر (**من أعان على قتل المسلم ولو بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله**). وقد كان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن لا توبة لقاتل المؤمن عمدا، قال البخاري: حدثنا آدم ...قال (ابن عباس):نزلت هذه الآية ﴿**ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم**﴾ هي آخر ما نزل وما نسخها شيء (...) عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عباس عن قوله ﴿ **ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم** ﴾ قال: إن الرجل إذا عرف الإسلام وشرائع الإسلام، ثم قتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم. ولا توبة له فذكرت ذلك لمجاهد فقال إلا من ندم (...) عن سالم بن أبي الجعد قال: كنا عند ابن عباس بعد ما كف بصره فأتاه رجل فناداه. يا عبد الله ابن عباس، ما ترى فى رجل قتل مؤمنا متعمدا فقال: جزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما. قال أفرأيت إن تاب وعمل صالحا ثم اهتدى؟ قال ابن عباس ثكلته أمه: وأنى له التوبة والهدى؟ والذي نفسي بيده لقد سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم يقول (**ثكلته أمه قاتل مؤمن متعمدا جاء يوم القيامة آخذه بيمينه أو بشماله تشخب أوداجه من قبل عرش الرحمن. يلزم قاتله بشماله وبيده الأخرى رأسه يقول يا رب سل هذا فيما قتلني؟**) وأيم الذي نفس عبد الله بيده، لقد أنزلت هذه الآية فما نسختها أية حتى قبض نبيكم (...) عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(**يجيء المقتول متعلقا بقاتله يوم القيامة آخذا رأسه بيده الأخرى، فيقول:يا رب سل هذا فيما قتلني؟ قال فيقول:قتلته لتكون العزة لك.فيقول فإنها لي.قال و يجيئ آخر متعلقا بقاتله .فيقول:رب سل هذا فيما قتلني.قال فيقول :قتلته لتكون العزة لفلان،قال فإنها ليست له، بؤ بإثمه. قال: فيهوي في النار سبعين خريفا**)رواه النسائي (...)حديث آخر قال الإمام أحمد: حدثنا ..... سمعت معاوية رضي الله عنه يقول: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:(**كل ذنب عسى الله أن يغفره إلا الرجل يموت كافرا أو الرجل يقتل مؤمنا متعمدا**).] اهـ.

<u>هذا كله في المسلم يقتل مسلما متعمدا في شجار أو نزاع على شيء من الدنيا أو في غضبة و نزغة شيطان وجاهلية.. وأما ذلك الذي يقتل المسلم لأنه يقول ربي الله، ويقتل المجاهدين في سبيل</u>

الله بأمر رؤسائه المرتدين، أو يقتلهم تحت قيادة الأمريكان أو الكافرين، فذلك شأنه شأن آخر. لأنه تولى الكافرين وقاتل في سبيلهم. فماذا يقول جنود جيوش البلاد الإسلامية و شرطتها ورجال أمنها ، من هؤلاء القتلة، الذين يقتلون المؤمنين، إذا تعلق المقتولون ظلما من المؤمنين بهم يوم القيامة، وأوداجهم تشخب دما، وجأروا إلى الله قائلين لهم (ربي سل هذا فيما قتلني؟) هل سيقولون: قتلناهم لتكون العزة لجورج بوش؟! أم يقولون قتلناهم لتكون العزة لأمريكا، أم لأي طاغوت من طواغيت المسلمين؟.

ألا ثكلتهم أمهم. وقبحهم الله. لو كانوا يدركون، أو يعقلون، في أي واد من وديان الكفر والردة يهيمون. قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ آل عمران 22-21.

قال ابن كثير فى تفسيرها:[قال ابن أبى حاتم:(...)عن أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه: قال: قلت: يا رسول الله. أي الناس أشد عذابا يوم القيامة؟ قال:(رجل قتل نبيا، أو من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر) ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم{إن الذين يكفرون بآيات الله].

وكما بينا بأن الأصل في المسلم عصمة الدم والمال لا يحل منه ذلك إلا بخروجه من الملة. وأن الكافر حلال الدم والمال لا يعصم ذلك منه إلا الدخول في ملة الإسلام أو الأمان الذي يعطى إليه من قبل حاكم شرعي مسلم.. هذا من دون أن يكون الكافر محاربا للمسلمين. فكيف به وهو محارب لهم معتد عليهم؟!.

وكما هو معروف اليوم، فإن الأمريكان والإنجليز وحلفائهم الأوروبيين، من دول الناتو، ومن معهم مثل روسيا، فرنسا ، أسبانيا، البرتغال، بلجيكا، ألمانيا، إيطاليا، كندا، أستراليا.. هم في حالة حرب معلنة من قبل أمريكا وأسيادها اليهود، على المسلمين. وهم يقتلون شباب الإسلام. ويطاردونهم في كل مكان ويرتكبون المجازر في حقهم، دون تفريق بين مدني ولا عسكري ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة.. كما يحصل اليوم في فلسطين والعراق وأفغانستان.. وحيثما شاءت أمريكا. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن أشكال عدوانهم قد تعددت أساليبها وأدواتها. فجيوشهم تأتي بشكل سافر برا وبحرا وجوا، ومخابراتهم مثل(FBI)(CIA) الأمريكية، وما يعادلها من مخابرات الدول الغربية، تأتي علنا تارة، وتارة تأتي تحت غطاء المؤسسات التجارية، وتارة تحت غطاء المشاريع السياحية أو الثقافية...، أما مؤسساتهم التنصيرية فمستعلنة حينا، ومتسترة أحيانا. وأما مؤسساتهم المالية الاقتصادية فهي مؤسسات نهب لاقتصاد المسلمين. وأما من جاء منهم للسياحة والنزهة، فهم أقل أشكال العدوان ، نماذج للسفور والرذيلة، لا يحترمون أعراف المسلمين ولا دينهم ولا تقاليدهم ويسعون للفساد ودمار الأخلاق حيثما حلوا. فكل أشكال التواجد الغربي هو وجود محارب للإسلام والمسلمين. ولذلك فكافة أشكال وجودهم نساء ورجال في بلادنا حلال الدم والمال للمسلمين وهو

هدر. وقد أفتى علماء المسلمين بمثل هذا في حق المستعمرين الإنجليز والفرنسيين أيام الإستعمار القديم لبلادنا، كذلك أيام الإحتلال الروسي لأفغانستان ومن ذلك ما قاله الإمام المحدث الشيخ أحمد شاكر أيام احتلال الإنجليز لمصر والسودان وباكستان والهند. قال:

(فإن الواجب أن يعرف المسلمون القواعد الصحيحة في شريعة الله في أحكام القتال وما يتعلق به معرفة واضحة. إن الإنجليز أعلنوها على المسلمين في مصر حربا سافرة غادرة حرب عدوان واستعلاء. وأعلنوها على المسلمين في السودان حرب مقنعة مغلفة بغلاف المصلحة للسودان وأهله، مزوقة بحلية الحكم الذاتي.... وقد رأينا ما يصنع الإنجليز في منطقة قناة السويس وما يقاربها من البلاد، من قتل المدنيين الآمنين والغدر بالنساء والأطفال...فأعلنوا بذلك عداءهم صريحا واضحا، لا لبس فيه ولا مجاملة ولا مداورة.

فصارت بذلك دماؤهم وأموالهم حلالا للمسلمين. يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدوا – مدنيين كانوا أو عسكريين – فكلهم عدو، وكلهم محارب (واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم) وقد نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل النساء في الحرب وهو نهي معلل بعلة واضحة: أنهن غير مقاتلات. أما الآن ونسائهم مجندات يحاربن مع الرجال جنبا إلى جنب، وغير المجندات منهن مسترجلات ، يطلقن النار على المسلمين دون زاجر أو رادع فإن قتلهن حلال للدفاع عن النفس والدين والبلد إلا أن تكون امرأة ضعيفة لا تستطيع شيئا. وقد قلنا:(يجب على كل مسلم في أي بقعة من بقاع الأرض أن يحاربهم وأن يقتلهم حيثما وجدا مدنيين أو عسكريين) ونحن نقصد إلى كل حرف من معنى هذه الجملة فأينما كان المسلم ومن أي جنس كان من الأجناس والأمم، وجب عليه ما يجب علينا في مصر والسودان. حتى المسلمين من الإنجليز في بلادهم إن كانوا مسلمين حقا يجب عليهم ما يجب على المسلمين من غيرهم ما استطاعوا فإن لم يستطيعوا، وجبت عليهم الهجرة من بلاد الأعداء أو من البلاد التي لا يستطيعون فيها حرب العدو بما أمرهم الله. فإن الإسلام جنسية واحدة، وهو يلغى الفوارق الجنسية والقومية بين متبعين.فليسمع هذا وليضعه نصب عينيه كل مسلم في مصر والسودان والهند و الباكستان، وكل بلد يحكمه الإنجليز الأعداء أو يدخل في نطاق نفوذهم من سائر أقطار الأرض. وأما التعاون مع الإنجليز في أي نوع من أنواع التعاون قل أو كثر، فهو الردة الجامعة والكفر الصراح لا يقبل فيه اعتذار. ولا ينفع معه تأول.. سواءا أكان ذلك من أفراد أو حكومات أو زعماء كلهم في الكفر والردة سواء.

وأظن كل قارئ لا يشك الآن، أنه من البديهي إن شأن الفرنسيين في هذا المعنى شأن الإنجليز. بالنسبة لكل مسلم على وجه الأرض. فإن عداء الفرنسيين **للمسلمين** وعصبيتهم الجامحة في العمل على محو الإسلام أضعاف الإنجليز فهم والإنجليز في الحكم سواء: دمائهم وأموالهم حلال في كل

مكان..وإن التعاون معهم حكمه حكم التعاون مع الإنجليز....) انتهى نقل كلام العلامة أحمد شاكر باختصار طفيف.

ولا شك أن علة الحكم ومناط القياس بين الأمريكان والروس واليهود وكل أعداء المسلمين اليوم مع ما كان عليه عداء الفرنسيين والإنجليز هو واحد، بل إن هؤلاء بالإضافة للإنجليز والفرنسيين صاروا حلفاء علينا فلا شك أن دمائهم وأموالهم نساء ورجالا، حلال هدر في كل مكان وخاصة في بلادنا.

سابعاً: وجوب نصرة المسلمين في الدين إن اعتدى الكفار عليهم بصرف النظر عما تلبسوا به من المعاصي والنقائص. والجهاد المشروع قائم مع كل بر وفاجر من أئمة المسلمين وعامتهم:

- **ففي القرآن الكريم:**

شواهد عديدة على وجوب نصرة المسلم نذكر منها قوله تعالى في سورة الأنفال الآية الثانية والسبعين والثالثة والسبعين بعد أعوذ بالله من الشيطان الرجيم : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ (الأنفال:72)

قال ابن كثير رحمه الله في معرض تفسيرها في الجزء الثاني ص 516 (وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر) الآية . يقول تعالى وإن استنصركم هؤلاء الأعراب الذين لم يهاجروا في قتال ديني على عدو لهم فانصروهم . فإنها واجب عليكم نصرهم لأنهم إخوانكم في الدين .. وهذا مروي عن ابن عباس إلى أن قال في آخر نفس الآية (إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير) أي إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل " .انتهى كلام ابن كثير رحمه الله .

وقال القرطبي رحمه الله في تفسيره الجامع لأحكام القرآن . الجزء الثامن ص 36 : قوله تعالى " وإن استنصروكم في الدين " يريد إن دعوا هؤلاء المؤمنون الذين لم يهاجروا من أرض الحرب عونكم بنفير أو مال لاستنقاذهم فأعينوهم . فذلك فرض عليكم فلا تخذلوهم . إلا أن يستنصروكم على قوم بينكم وبينهم ميثاق فلا تنصروهم عليهم ولا تنقضوا العهد حتى تتم مدته . قال ابن العربي : إلا أن يكونوا أسراء مستضعفين فإن الولاية معهم قائمة والنصرة لهم واجبة حتى لا تبقى منا عين تطرف حتى نخرج لاستنقاذهم إن كان عددنا يحتمل ذلك . أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم حتى لا يبقى لأحد درهم . كذلك قال مالك وجميع العلماء فإنا لله وإنا إليه راجعون على ما حل بالخلق في تركهم إخوانهم في أسر العدو وبأيديهم خزائن الأموال . وفضول الأحوال والقدرة والعدد والقوة والجلد .

وقال الشيخ سيد قطب رحمه الله في الظلال الجزء الثالث ص 1558 :[فهؤلاء الأفراد (يقصد المسلمين الذين لم يهاجروا معكم إلى دار الإسلام) ليسوا أعضاء في المجتمع المسلم ومن ثم لا تكون بينهم وبينه ولاية ولكن هناك رابطة العقيدة . وهذه لا ترتب وحدها على المجتمع المسلم تبعات

تجاه هؤلاء الأفراد اللهم إلا أن يعتدي على دينهم فيفتتنوا مثلاً عن عقيدتهم فإذا استنصروا المسلمين - في دار الإسلام - في مثل هذا كان على المسلمين أن ينصروهم في هذه وحدها ..] أ.هـ .

فأقول والله الموفق : جاء الأمر في نصرة هؤلاء المسلمين في الدين وهم لم يهاجروا ويلتحقوا بالمسلمين مع قيام دولتهم وربما في بعضهم ضعف وعذر وربما فيهم من نزل فيه وعيد شديد بأن مأواهم النار لعدم هجرتهم مع قدرتهم عليها في قوله تعالى في سورة النساء : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ (النساء:97) .

فهؤلاء رغم معصيتهم التي تدخل من لا عذر له في النار لم يسقط حقهم كونهم من أهل لا إله إلا الله . وإن استنصروكم في الدين فيجب أن ينصرهم المسلمون . فهم لهم هذا الحق كونهم من أهل لا إله إلا الله . بل إن الله جعل عدم نصرة المسلم تؤدي إلى فتنة في الأرض وفساد كبير . وهذا ما نشهده في أيامنا هذا لقعود المسلمين عن نصرة دينهم ونصرة بعضهم بعضاً وعن نصرة المستضعفين فيهم بدعاوى شتى منها أن دينهم فيه خلل . علماً أن كل آيات وأحاديث حقوق المسلم لم تخصص مسلماً كما الإيمان ، ولم تفرق بينه وبين أي مسلم كما أنه لم يخرج من ملة الإسلام هذا في القرآن.

- **وفي السنة:**

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه . قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **المؤمن للمؤمن كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً وشبك بين أصابعه** " . رواه البخاري في كتاب الأدب فصل تعاون المؤمنين ورواه مسلم في كتاب البر باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم .

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " **مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** ". وهو حديث متفق عليه جاء في أبواب الحديث السابق . ذكر الإمام النووي رحمه الله معلقاً على هذا الحديث في كتاب نزهة المتقين شرح رياض الصالحين : المراد بالتراحم : أن يرحم المؤمنون بعضهم بعضاً وأن يمدوا يد العون والمساعدة لبعضهم عند الشدائد والنوازل " ج(1) ص(246) .

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " **المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه** " .. من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة " . متفق عليه .

وقد ذكر القسطلاني في إرشاد الساري شرح صحيح البخاري في الجزء الرابع الصفحة 255 معلقاً على هذا الحديث فقال " (لا يظلمه) خبر بمعنى النهي لأن ظلم المسلم للمسلم حرام ولا يسلمه أي لا يتركه مع من يؤذيه بل يحميه وزاد الطبراني ولا يسلمه في مصيبة نزلت به . " جزء 4 ص 255 .

وقد شرح هذا الحديث الإمام النووي في شرحه لصحيح مسلم فقال " وأما لا يخذله فقال العلماء الخذل ترك الإعانة والنصر ومعناه إذا استعان به في دفع ظالم ونحوه لزمه إعانته إن أمكنه ولم يكن له عذر شرعي (إرشاد الساري شرح مسلم على حاشية شرح البخاري جزء 9 ص 457).

نقول وهذا في دفع المظلمة عن المسلم ولو جاءت من مسلم صال عليه ظلماً فكيف إذا جاءت من كافر صائل أو من مرتد أو مسلم ضال استنصر الكفار على أخيه المسلم .

وغني عن القول أن أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام في وجوب نصرة المسلم وعدم خذلانه والدفاع عنه لم تخصص مسلمي خير القرون فقط، أو خيار المسلمين من كل زمان بل جاء الأمر في الكتاب والسنة بنصرة المسلم مع علم الله وإخبار رسوله صلى الله عليه وسلم بأن الدين يرق في آخر الزمان وقال عليه الصلاة والسلام : " **لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده شر منه حتى تلقوا ربكم** " رواه البخاري . بل مازال دأب الصحابة والتابعين والسلف من بعدهم يشتكون من قلة الدين في الناس وتغير الأحوال إلى الأسوأ، ومع ذلك كان دأبهم النصح للمسلمين، ودفع الأذى عنهم ولاسيما دفع غائلة الصائل على الدين والأرض والعرض و الحرمات ولو كانت قضية النصرة لا تكون إلا لمن هم على دين وحال خير القرون وهي مائة سنة على الأكثر، لما قام جهاد ونصرة ودفع عن المسلمين على مر التاريخ الإسلامي، وهو أكثر من ثلاثة عشر قرناً تلت ذلك . فها هي كتب التاريخ ما زالت تروي فساد حال المسلمين، من انتشار البدع، والبعد عن السنة و فشو المعاصي والخمور والقيان والمظالم إلى غير ذلك ومع ذلك وجدنا كما سنبين كبار السلف والعلماء يدعون وينهضون للغزو مع كل بر وفاجر ويدفعون الصائل عن الإسلام والمسلمين ويفرحون لفرحهم، ويغتمون لكرباتهم، وهي عقيدة أهل السنة والجماعة خلافاً لمنهج الخوارج وغيرهم في أهل البدع المارقين .

وإذا كانت كلمة لا إله إلا الله تنجي أقواماً عند الله يأتون في آخر الزمان وهم لا يدركون من معناها شيئاً كما في صحيح الترمذي فيما رُوى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف لا تكون لهم علينا حقوق ونحن إخوانهم بسبب هذه الكلمة بصرف النظر عما تلبسوا به من النقص الذي لا يخرجهم من ملة أهل لا إله إلا الله . ولك أن تتصور حال من لا يدرك من معنى لا إله إلا الله شيئاً وقد رأينا أمثال هؤلاء في أطراف العالم الإسلامي من بعض سكان بلاد التركستان ووسط آسيا و القفقاس والبوسنة وغيرها . فإذا كان هذا حق المسلم العادي .. فكيف يكون حق من يجاهد ويدفع العدو من أهل الإسلام من بقايا الظاهرين على الحق في هذا الزمان . والله سبحانه وتعالى يقول : " **فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا** "

ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " من قتل دون دينه فهو شهيد " وكلنا سمع بكلام ابن تيمية رحمه الله وفتواه الشهيرة في دفع الصائل وهي قوله " وأما قتال الدفع فهو أشد أنواع دفع الصائل عن الحرمة والدين واجب إجماعاً فالعدو الصائل الذي يفسد الدين والدنيا لا شيء أوجب بعد الإيمان من دفعه فلا يشترط له شرط ويدفع بحسبه الإمكان . وقد نص على ذلك العلماء أصحابنا وغيرهم) . ذكرها في الفتاوى الكبرى الجزء الخامس ص530 .

وهذا الصائل الذي قصد بلاد المسلمين اليوم كما حصل في العراق مؤخرا وقبلها وكثيرا من بقاع بلاد المسلمين قد قصد الدين والأنفس والأموال والأعراض ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : (**من قتل دون دمه فهو شهيد . ومن قتل دون عرضه فهو شهيد. ومن قتل دون ماله فهو شهيد**) رواه أصحاب السنن الأربعة . وقد روى عنه عليه الصلاة والسلام قوله (**من قتل دون مظلمة فهو شهيد**) أخرجه النسائي .

وقد صنف علماء المذاهب الأربعة وأئمة التفسير و شراح السنة أبواباً في دفع الصائل حتى لو كان مسلماً واستشهدوا بهذه النصوص ولهم كلام نفيس لا ننقله هنا بغية الاختصار وكله في الصائل ولو كان مسلماً فما بالك بهذا المزيج النجس من الصائل اليوم من يهود وروس وأمريكان و روافض وأحلافهم المرتدين و الفسقة ..

وربما هناك من يقول نعم هذا في الدفاع عن المسلمين الصالحين ولكن هؤلاء اليوم فيهم وفيهم مما ذكرنا من السلبيات . نعود للقول لهذا الأخ سبق البرهان و الإتفاق على أنهم مازالوا عندي وعندك مسلمين .من أهل لا إله إلا الله في كثير منهم بدع وغير ذلك وما ينقص من عدالتهم، وكثير منهم صالح فانظر معي إذن إلى مذهب أهل السنة في القتال مع المسلمين ولو تلبسوا في هذه الأحوال في جهاد الطلب فضلاً عن جهاد الدفع ودفع الصائل الذي لا يشترط له شرط بل يدفع بحسب الإمكان كما قال ابن تيمية ملخصاً إجماع العلماء .

وعند عودتنا للمراجع من كتب التفسير وشروح الحديث والمجموعات الفقهية للمذاهب الأربعة أو للمراجع المعتمدة كفتاوى ابن تيمية والإمام ابن حزم الأندلسي وغيرها . نجد في مختلف أبواب الجهاد أو الجهاد والسير كما ترد أحياناً بل وفي متون العقيدة عند أهل السنة، فصولاً تدور حول الجهاد مع كل بر وفاجر وأحياناً بعنوان الجهاد مع كل أمير، وأحياناً الجهاد مع الأمراء، كلام يدور حول إجماع أهل السنة خلافاً للخوارج والرافضة وغيرهم من فرق الضلال وقد جمعت مما تيسر لي من المراجع هذه نصوصاً وشواهد عديدة. ثم يسر الله أني نظرت في الكتاب النفيس " كتاب العمدة في إعداد العدة " لشيخنا الدكتور عبد القادر بن عبد العزيز . ذكره الله بخير ونفع به وفك أسره . فوجدته قد لخص ما ورد في معظم هذه المراجع بطريقة موجزة جميلة فاستغنيت بهذا الإيجاز النافع عن إطالة نقل الشواهد ، لأن فيها الزبدة وكفاية فسأورد ما جاء فيها ثم أذكر بعدها بعض ما عثرت

عليه مما لم يرد بها في الموضوع ، وإليك أخي الحبيب ما جاء في العمدة جزى الله صاحبه خير الجزاء عن الإسلام والمسلمين وأهل الإعداد والهجرة والجهاد جاء في الصفحة (9-10) :

(ونأخذ من هذا كثيراً من العبر منها أن ساحة الجهاد قد تجمع المنافق والفاجر وفاسد النية وأقواماً لا خلاق لهم . وكل هؤلاء كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وسلم . ومن العبر أيضاً أن وجود هؤلاء بساحة الجهاد ليس بمبرر للقعود عن الجهاد بحجة أن بالصف مجروحين . فقد قام الجهاد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود هؤلاء، وسيأتي مزيد بيان لهذا وفتوى ابن تيمية فيه) . ثم قال (وإذا كان هذا قد حدث في حياة النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه . فما بالك بالحال الآن ؟ وقد قال صلى الله عليه وسلم : " لا يأتي عليكم زمان إلا والذي بعده أشر منه حتى تلقوا ربكم) رواه البخاري.

ثم فصل تفصيلاً نفيساً في الصفحات (58-63) والتي عقد فيها فصلاً بعنوان " مسألة الغزو مع الأمير الفاجر وأنصح الإخوان أن يراجعوها كاملة ويراجعوا إن أمكن لهم الشواهد التي أتى بها جزاه الله خيراً في مصادرها فبعضها فيه تفصيل وسأنقل موجزاً ما يلزم هنا لإثبات موضوع الجهاد مع المسلمين وأمراءهم، ولو كانوا غير عدول متلبسين بالبدع والفجور والفسوق و الغلول وغير ذلك من نواقض العدالة طالما أنها لم تخرجهم من ملة الإسلام . كما كان حال معظم المسلمين وأمرائهم في أكثر من 90% من تاريخنا الإسلامي على مر أربعة عشر قرناً .

جاء في هذا الفصل من العمدة : (الفاجر : هو غير العدل . والعدالة هي : استواء أحواله في دينه وقيل من لم يظهر منه ريبة . ويعتبر لها شيئان :

الصلاح في الدين وهو أداء الفرائض برواتبها واجتناب المحرم لا يأتي كبيرة ولا يدمن على صغيرة.

استعمال المروءة : بفعل ما يجمله ويزينه . وترك ما يدنسه ويشينه). منار السبيل صفحة 487-488.

ثم قال أسفل صفحة 58 : ثالثاً : فإن كان الأمير فاجراً . ولم يوجد غيره . أو لم يتيسر العمل مع غيره إما بسبب عدم العلم بوجود الأصلح أو المشقة الشديدة في الالتحاق بالأصلح وبالتالي فإن ترك العمل مع الفاجر يفوت المصلحة الشرعية في التدريب أو الجهاد فالكلام هنا من وجهين : وينبني على سؤال وهو هل فجوره في نفسه أو فيما يتعلق بمصالح الإسلام والمسلمين ؟ .

الوجه الأول : وهو إذا كان فجوره في نفسه . كمن يشر الخمر أو المخدرات أو يغل من الغنيمة أو به فسق أو بدعة (لاحظ جيداً – به فسق أو بدعة -) فهذا يغزى معه . طالما كان فجوره هذا لا يخل بقتاله للعدو ولا يضيع قضية الجهاد . مع الاستمرار في نصحه ووعظه وتعليمه بما يناسب حال مثله (لاحظ : بما يناسب حال مثله) لعل الله يصلح حاله وهذا الذي ذكرته أصل مقرر في اعتقاد أهل

السنة والجماعة ومذكور في فقه الجهاد وهذا الوجه الأول هو المقصود بالغزو مع البر والفاجر (...) ودليل ما ذكرنا من الغزو مع الفاجر في نفسه ما يلي :

ما ذكره ابن قدامة الحنبلي قال (مسألة : قال ويغزى مع كل بر وفاجر . يعني مع كل إمام قال أبو عبد الله (يعني الإمام أحمد ابن حنبل رحمه الله) وسئل عن الرجل يقول . أنا لا أغزو . ويأخذه ولد العباس . إنما يوفر الفيء عليهم . فقال سبحان الله هؤلاء قوم سوء . هؤلاء القعدة مثبطون جهال . فيقال أرأيتم لو أن الناس كلهم قعدوا كما قعدتم من كان يغزو ؟ أليس كان قد ذهب الإسلام ؟ ماذا كانت تصنع الروم . وقد روى أبو داود بإسناده عن أبي هريرة : قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم " الجهاد واجب عليكم مع كل أمير براً كان أو فاجراً " وبإسناده عن أنس قال . قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثلاث من أصل الإيمان) : الكف عمن قال لا إله إلا الله لا تكفره بذنب ولا تخرجه من الإسلام بعمل والجهاد ماض منذ بعثني الله إلا أن يقاتل آخر أمتي الدجال . والإيمان بالأقدار " ولأن ترك الجهاد مع الفاجر يفضي إلى قطع الجهاد وظهور الكفار على المسلمين، واستئصالهم وظهور كلمة الكفر وفيه فساد عظيم . قال الله تعالى: ﴿ وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ (البقرة: 251) . هذا عن المغني والشرح الكبير الجزء 10 ص 371 انتهى . وقد وجدته عندي في صفحة 365 .

ثم أضاف صاحب العمدة (فك الله أسره ، ولعن الخونة المجرمين) **:** قلت : بل قد ذكر ابن تيمية عن أحمد كلاماً أشد من هذا في المفاضلة بين الأمير الفاجر القوي والصالح الضعيف . فقال ابن تيمية " اجتماع القوة والأمانة في الناس قليل . ولهذا كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : اللهم أشكو إليك جلد الفاجر وعجز الثقة . فالواجب في كل ولاية الأصلح بحسبها . فإذا تعين رجلان أحدهما أعظم أمانة والآخر أعظم قوة . قدم أنفعهما لتلك كان فيه فجور على الرجل الضعيف العاجز وإن كان أميناً . كما سئل الأمام أحمد عن الرجلين يكونا أميرين في الغزو وأحدهما قوي فاجر والآخر صالح ضعيف مع أيهما يُغزى ؟ فقال الفاجر القوي . فقوته للمسلمين وفجوره على نفسه وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه على المسلمين يغزى مع القوي الفاجر . وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " إن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر " وروي بأقوام لا خلاق لهم وإن لم يكن فاجراً كان أولى بإمارة الحرب ممن هو أصلح منه في الدين إذا لم يسد مسده هذا في مجموع الفتاوى الجزء 28 ص 254 . ثم أضاف صاحب العمدة .

وابن تيمية في فتواه بقتال التتار . ذكر الغزو مع الأمير الفاجر فقال:ـ" **فإن اتفق أن يقاتلهم على الوجه الكامل فهو الغاية من رضوان الله . وإعزاز كلمته وإقامة دينه وطاعة رسوله . وإن كان فيهم فجور وفساد نية بأن يكون يقاتل على الرياسة أو يتعدى عليهم في بعض الأمور وكانت**

مفسدة ترك قتالهم أعظم على الدين من مفسدة قتالهم على هذا الوجه كان الواجب أيضاً قتالهم دفعاً لأعظم المفسدتين بالتزام أدناهما . فإن هذا من أصول الإسلام التي ينبغي مراعاتها .

ولهذا كان من أصول أهل السنة والجماعة الغزو مع كل بر وفاجر فإن الله يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر وبأقوام لا خلاق لهم . كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لأنه إذا لم يتفق الغزو إلا مع الأمراء الفجار أو مع عسكر كثير الفجور فإنه لابد من أحد أمرين:

- إما ترك الغزو معهم فيلزم من ذلك استيلاء الآخرين الذين هم أعظم ضرراً في الدين والدنيا .
- وإما الغزو مع الأمير الفاجر فيحصل بذلك دفع الأفجرين . وإقامة أكثر شرائع الإسلام . وإن لم يمكن إقامتها جميعا . فهذا هو الواجب في هذه الصورة وكل ما أشبهها . بل كثير من الغزو الحاصل بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه . وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم " الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة " الأجر والمغنم . فهذا الحديث الصحيح يدل على معنى ما رواه أبو داوود في سننه من قوله صلى الله عليه وسلم " الغزو ماضي منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال . لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل " وما استفاض عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال " لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم إلى يوم القيامة " إلى غير ذلك من النصوص التي اتفق أهل السنة والجماعة مع جميع الطوائف على العمل بها في جهاد من يستحق الجهاد مع الأمراء أبرارهم وفجارهم بخلاف الرافضة والخوارج الخارجين عن السنة والجماعة .

هذا مع إخباره صلى الله عليه وسلم بأنه (سيلي أمراء ظلمة خونة فجرة فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم فليس مني ولست منه ولا يرد الحوض. ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد الحوض) .

فإذا أحاط المرء علماً بما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم من الجهاد الذي يقوم به الأمراء إلى يوم القيامة. وبما نهى عنه من إعانة الظلمة على ظلمهم أن الطريقة الوسطى التي هي دين الإسلام المحض جهاد من يستحق الجهاد كهؤلاء القوم المسئول عنهم . مع كل أمير وطائفة هي أولى بالإسلام منهم . إذا لم يمكن جهادهم إلا كذلك واجتناب إعانة الطائفة التي يغزو معها على شيء من معاصي الله. بل يطيعهم في طاعة الله. ولا يطيعهم في معصية الله . إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق .

وهذه طريقة خيار هذه الأمة قديماً وحديثاً . وهي واجبة على كل مكلف وهي متوسطة بين طريقة الحرورية وأمثالهم ممن يسلك مسلك الورع الفاسد الناشئ عن قلة العلم وبين طريقة المرجئة وأمثالهم ممن يسلك مسلك طاعة الأمراء مطلقاً وإن لم يكونوا أبراراً . ونسأل الله أن يوفقنا وإخواننا المسلمين لما يحبه ويرضاه من القول والعمل والله أعلم وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم. مجموع الفتاوى ج 28 ص 506 .

وراجع كلام ابن تيمية رحمه الله في آخر صفحة 212 من الجزء 28 في مجموع الفتاوى .

ثم قال صاحب العمدة : وقال شارح العقيدة الطحاوية قوله : " والحج والجهاد ماضيان مع أولي الأمر من المسلمين برهم و فاجرهم إلى قيام الساعة لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما) . الشرح : يشير الشيخ رحمه الله إلى الرد على الروافض حيث قالوا : لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلم ، وينادي منادٍ من السماء : اتبعوه ! وبطلان هذا القول أظهر من أن يستدل عليه . ثم يتابع صاحب العمدة فيقول :

وقد أفرد الإمام البخاري رحمه الله لهذه المسألة باباً مستقلاً . ولما كانت الأحاديث التي نصت على الغزو مع البر والفاجر لا تخلو من مقال فضلاً عن أن تكون على شروط في الصحة . فقد استنبط رحمه الله هذا الحكم جرياً على عادته في دقة الاستنباط – من حديث الخيل معقود في نواصيها الخير . فقال رحمه الله في كتاب الجهاد من صحيحه . (باب الجهاد ماض حتى مع البر والفاجر .

ثم نقل صاحب العمدة شرح ابن حجر في الشرح إلى أن قال : (لقول النبي صلى الله عليه وسلم الخيل معقود .. إلخ) سبقه إلى الإستدلال بهذا الإمام أحمد . لأنه صلى الله عليه وسلم ذكر بقاء الخير في نواصي الخيل إلى يوم القيامة . وفسره بالأجر والمغنم ، والمغنم المقترن بالأجر إنما يكون من الخيل بالجهاد ، ولم يعتبر ذلك بما إذا كان الإمام عادلاً . فدل على أن لا فرق في حصول هذا الفضل بين أن يكون الغزو مع الإمام العادل أو الجائر . وفي الحديث الترغيب في الغزو على الخيل وفيه أيضاً بشرى ببقاء الإسلام وأهله إلى يوم القيامة . لأن من لازم بقاء الجهاد بقاء المجاهدين وهم المسلمون ٬ وهو مثل الحديث الآخر " لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق " الحديث . (فتح الباري) ج6ص56 .

ثم قال صاحب العمدة : قلت :

والأمير الفاجر كما يجب الجهاد معه تجب كذلك الصلاة خلفه وفي هذا قال شارح العقيدة الطحاوية : " اعلم رحمك الله وإيانا ، أنه يجوز للرجل أن يصلى خلف من لم يعلم منه بدعة ولا فسقاً ، ولا أن يمتحنه فيقول : ماذا تعتقد ؟ بل يصلي خلف المستور الحال . ولو صلى خلف مبتدع يدعو إلى بدعته أو فاسق ظاهر الفسق وهو الإمام الراتب الذي لا يمكنه الصلاة إلا خلفه كإمام الجمعة والعيدين ، والإمام في صلاة الحج بعرفة ونحو ذلك ، فإن المأموم يصلي خلفه عند عامة السلف والخلف ، ومن ترك الجمعة والجماعة خلف الإمام الفاجر فهو مبتدع عند أكثر العلماء . والصحيح أنه يصليها ولا يعيدها ، فإن الصحابة رضي الله عنهم كانوا يصلون الجمعة والجماعة خلف الأئمة الفجار ولا يعيدون (...) إلى أن قال .. وفي الصحيح أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما حصر صلى بالناس شخص فسأل سائل عثمان . إنك إمام عامة وهذا الذي صلى بالناس إمام فتنة ؟ فقال يا بن أخي إن الصلاة من أحسن ما يعمل الناس. فإذا أحسنوا فأحسن معهم وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم إلى قوله :

"وأما إذا كان ترك الصلاة خلفه يفوت المأموم الجمعة و الجماعة فهذا لا يترك الصلاة خلفه إلا مبتدع مخالف للصحابة رضي الله عنهم (...) إلى أن قال فلا يجوز دفع الفساد القليل بالفساد الكثير ولا دفع اخف الضررين بحصول أعظمهما . فان الشرائع جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها بحسب الإمكان . فتفويت الجمع والجماعات أعظم فسادا من الإقتداء فيها بالإمام الفاجر ، لاسيما إذا كان التخلف عنها لا يدفع فجورا.

فلا ينبغي تعطيل المصلحة الشرعية بدون دفع لتلك المفسدة . شرح الطحاوية طبعة المكتب الإسلامي صفحة 422-423 .

ثم ختم صاحب العمدة جزاه الله خيرا ملخصا فقال : (قلت : مما سبق تدرك ان هذه المسالة مبنية على عدد من النصوص و القواعد الشرعية منها :

1. قاعدة (الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف) ومعلوم بداهة انه إذا لم يتيسر إلا هكذا فالعدو الكافر وهو الضرر الأشد يدفع بالأمير المسلم الفاجر وهو الضرر الأخف ، وتصاغ هذه القاعدة أحيانا بلفظ (يختار أهون الشرين) . انظر مجموع الفتاوى ج 28 ص 212 .
2. حديث (إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى) متفق عليه . فإذا كانت نيتك صالحة وهي انك تجاهد لتكون كلمة الله هي العليا ، فلا يضرك أن تكون نية الأمير فاسدة ، فلكل نيته وأجره بحسبها ، كأن يكون الأمير يقاتل لنصرة عصبة أو من اجل الرياسة ، أو من اجل المال و نحو ذلك .
3. وقوله تعالى " وتعاونوا على البر و التقوى ولا تعاونوا على الإثم و العدوان " المائدة .

فتعاون الأمير الفاجر في الطاعة ، ولا تطيعه ولا تعاونه في المعصية وفعله المعاصي ، كما سبق ليس بمبرر لتركك معاونته على الطاعة بالجهاد معه ،{ قلت : وهذا كله في الوجه الأول وهو إذا لم يكن الجهاد مع الأمير الفاجر أما إن كان فجوره يتعدى إلى الأضرار بالإسلام و المسلمين فهو الوجه الثاني}. ثم تابع صاحب العمدة جزاه الله خيرا مبينا بأنه لا يجوز الجهاد مع من كان فجوره بسبب ضررا للمسلمين او خيانة للإسلام ، انتهى.

أقول وقد وجدت مثل ذلك في كتاب السير الكبير للإمام محمد بن الحسن الشيباني تلميذ أبي حنيفة رحمهما الله تعالى ، وكتابه هذا من أوسع المجموعات الفقهية في أحكام الجهاد جاء في الجزء الأول في باب الجهاد مع الأمراء ، ما يؤيد ما سبق ذكره من الأدلة وقد خلص إلى إثبات نفس مسألة القتال مع الأمراء بررة أو فجرة والجهاد مع كل بر وفاجر ولاسيما في جهاد أهل الضلالة وأهل الشرك وقد جاء هذا في الفقرات(159-160 –161) في الصفحة (156-160) من الجزء الأول ، ولا أنقلها هنا لأن البحث استطال بنا خشية ملل البعض ، ونذكر في ختام أدلة هذه المسألة أن مسألة الجهاد مع كل أمير وجماعة من المسلمين برا كان أو فاجر هي في جهاد الطلب ، وجهاد الدفع سواء كان الجهاد في ذلك فرض كفاية أو فرض عين ولكن نذكر انه في جهاد دفع الصائل اخص وآكد، فقد

اجمع فقهاء الأمة والمذاهب الأربعة وعموم أئمة الإسلام وأهل التفسير و الحديث على أن الجهاد يتعين ويصير فرض عين على كل مسلم في مواضع أهمها وآكدها إذا نزل العدو بلدا من بلدان المسلمين فقد توجب دفعه وفرض الجهاد عينا على الحر والعبد و الرجل والمرأة بلا إذن سيد ولا والد ولا صاحب دين ولا زوج وإذا عجز أهل ذلك البلد أو كسلوا أو تهاونوا وجبت الفريضة على من جاورهم ثم من جاورهم حتى تعم إن لم تحصل كفاية عموم أهل الإسلام الأقرب فالأقرب ، فالجهاد عند ذلك مع المسلمين وأمرائهم عدول وغير عدول ، لدفع ذلك الصائل آكد من جهاد الطلب الذي جاءت فيه أقوال العلماء السابقة ، والله اعلم ..

ونذكر ختاما بعد أدلة هذه المسألة الأولى من النصوص الشرعية للعلماء دليلا تاريخيا يعتبر بما تواتر من مواقف علماء المسلمين ومجاهديهم على مر العصور دليلا شرعيا هو الأخر بل دليلا واقعيا وشرعيا من انصع الأدلة لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، فكما قال الإمام ابن تيمية رحمه الله فعلا وقد عاش في القرن السابع فإن كثيرا من الغزو بعد الخلفاء الراشدين لم يقع إلا على هذا الوجه ولو شئنا استخراج القصص و الشواهد من كتب التاريخ كالبداية و النهاية وابن الأثير وتاريخ الطبري وتاريخ ابن خلدون . سواء من كتب التاريخ أو ما تناثر من قصص مواقف العلماء في مغازي المسلمين ونوازلهم في كتب التراجم و السير، لوجدنا مئات الأدلة الناصعة . وسأذكر بعضها على سبيل الذكر وأنصح الإخوة أن يعودوا لتلك الكتب لمطالعتها فالتاريخ هو حياة هذه الأمة وكتاب سيرة سلفها.

فمنذ ذهبت الخلافة الراشدة وجاء ملك بني أمية بدأت البدع ومظاهر الفساد ودخول الدنيا وما تدخله معها من الفساد والمعاصي والفجور والتنافس والأثرة كما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وجدت بعض التابعين يقول للناس وهم في القرن الأول ، لو قام فيكم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأنكروا منكم كل شيء إلا القبلة. وكانوا يقولون لهم إنكم لتاتون أشياء تعدونها من الصغائر كنا نعدها في زمن النبي عليه الصلاة و السلام من النفاق ، وكثيرا ما تجد على السنة السلف وفي كتبهم مع تتالي القرون الثاني و الثالث إلى ما بعده حتى قرأت الشاطبي كلاما يذكر تعريض احد التابعين بذهاب الدين وفشو البدع فقال قال الإمام احمد ، فكيف لو كان في زماننا ؟! قال الشاطبي فكيف لو كان احمد في زماننا؟! رحمهم الله. وانظر في كتاب الشاطبي رحمه الله الاعتصام يتحدث عن البدع وفشوها، وشكوى السلف منها وظهور الفسوق و العصيان و الانحرافات لاسيما في الأمراء و الأسر الحاكمة ومع ذلك انظر في سيرتهم رحمهم الله في الغزو والجهاد ، وسأذكر اختصارا بعضاً مما يحضرني من الذاكرة.

فهاهم السلف غزوا مع الحجاج وما أدراك ما لحجاج وأمثاله من أمراء الجند و الحرب في بني أمية. وفي القرن الأول ارتد بربر شمال إفريقيا مرات ولم يجد أهل السنة احدا يدفعون إليه

رايتهم ذات مرة إلا قائد معروفا من الخوارج وتساءل بعض الناس فكان شعار علماء شمال أفريقيا من أهل السنة إذ ذاك (نقاتل مع أهل القبلة من ليس من أهل القبلة)، وما ذلك إلا لدفع تلك الضرورة ثم جاء بنو العباس وقامت فتنة خلق القرآن ، فلم يكن المأمون ومن تلاه المعتصم ثم الواثق فالمتوكل حتى انتهت الفتنة ومن معهم من الحكومة و الحاشية من بني العباس آنذاك مجرد مبتدعة ! لقد كانت بدعتهم هي قضية خلق القرآن ولم يكونوا يدعون إليها فحسب بل كانوا يمتحنون العلماء عليها و يعذبونهم ويقتلونهم ، فهل ترك السلف وعلى رأسهم إمام أهل السنة الصلاة وراءهم والقتال معهم ؟! كلا! بل ورد نصه يقول : أن من يقول بذلك قعدة مثبطون جهلة لو فعل كل واحد هذا ماذا يفعل الروم؟! ولأوشك ان يذهب أهل الإسلام .

بل العجب إن اشد مراحل محنة ابن حنبل كانت في عهد المعتصم ، فقد ضُرب احمد رحمه الله بين يديه وعذبه بنفسه ، ولفوه بالحصير وداسوه حتى لما رأى الإمام السياف قال قلت جاء الفرج !

فلما خرج المعتصم لفتح عمورية في القصة المشهورة لاستغاثة المرأة بقولها وامعتصماه ووقف تلك الوقفة الظافرة التي أرخها الشاعر أبو تمام في القصيدة المشهورة التي مطلعها :

السيف اصدق أنباء من الكتب　　　　في حده الحد بين الجد و اللعب .

نقل عن الإمام احمد التحريض على القتال معهم في جهاد الطلب (انظروا ليس جهاد دفع) فهم الذين قصدوا الروم في عمورية من بلاد الأناضول ، نقل عن الإمام احمد انه قال : اللهم أحللته من إثم ضربي لما فتح الله عليه وعلى من معه من المسلمين فتأمل .

ثم قفزة أخرى بعد العباسيين إلى السلاجقة وماذا كان السلاجقة هم من الترك ومن أجداد هؤلاء الأفغان و الأوزبك وأهل آسيا الوسطى ، جهال بدين الله انتشر فيهم بعض آثار الأديان القديمة والتصوف وكان طابعهم الجهل ، ففتح لهم العلماء المدارس مثل ما كان زمان الإمام أبي حامد الغزالي و الإمام الجويني رحمهما الله تعالى . فعلموهم ونصحوهم واحتسبوا عليهم بشدة، وصلّوا خلفهم وغزوا معهم . وانظر في غزوات السلاجقة وملوكهم الصالحين مثل ألب أرسلان وموقعته الشهيرة التي تُبكي من قراءة تاريخها (موقعة ملاذ كرد) . وكان السلاجقة من أجهل الأسر التي حكمت بلاد الإسلام وأكثرهم بدعا وتصوفا وجهلا ، ومع ذلك حفظ الله بهم حوزة أهل الإسلام .

ثم قفزة أخرى إلى أيام التتار وقد وقف فيمن وقف في مرحلتها إمامين جليلين من أعظم أئمة الإسلام أولهما ابن تيمية ، حرض الناس على قتالهم وقاتل بنفسه ، ومع من؟ مع المماليك وأمراء المماليك من جيش مصر والشام ، وما المماليك؟ انظر تاريخهم وانظر انتشار الجهل ، والبدع والتصوف وحجهم للقبور وتعظيمهم لقبر البدوي في مصر ، وسوى ذلك من انتشار القتل والظلم

وسفك الدماء وظلم أموال الناس والفسوق والقيان والطنابير والخمور في زمانهم ، حتى لقد أنكر بعض الناس حالهم وسألوا الإمام ابن تيمية عن حكم القتال مع أمراء مصر والشام وفيهم ما فيهم . فقال لا ينكر القتال مع هؤلاء إلا جاهل . فكيف يصنع أهل الإسلام إذا ترك الجهاد معهم؟ بل ذهب في فتاويه إلى اعتبار جند الشام وجند مصر هم الطائفة المنصورة ! التي يحفظ بها الله دينه في ذلك الزمان ، ومع ذلك كان كثير الاحتساب على أمراء المماليك وعلمائهم. وقصص أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر وسجنه في ذلك مشهورة ، بل هو مات في سجونهم رحمه الله .

وفي دول الطوائف لما قامت دولة الأتابكة في الشام وجنوب تركيا ومن ملوكهم وأمراءهم المجاهدين عماد الدين زنكي وابنه نور الدين الشهير بالملك الصالح فماذا كان حالهم من التصوف وانتشار البدع في ذلك الزمان ؟. والمفاسد مذكورة موجود في كتب التاريخ. وقد أثنى العلماء كلهم عليهم ثناءً عطراً ، وجاهدوا معهم ، ثم جاء من بعدهم الأيوبيون . وقام الملك الصالح صلاح الدين رحمه الله بجهاد الصليبيين وكان كما معظم ملوك عهده شافعياً أشعرياً . ولم ينكر سلفيو ذلك الزمان الجهاد معه ولم ينالوا منه كما ينال منه اليوم و يتنقصه المنتسبون زوراً لمذهب السلف الصالح . ولما مات رحمه الله اقتسم أبناؤه الملك وقاتلوا بعضهم واستنصر بعضهم بالنصارى حتى جاء أخوه الملك العادل وعزلهم وأخذ الملك ، ثم جاء بعده ابنه الصالح اسماعيل فملك الشام، وعمه نجم الدين أيوب فملك مصر ، وتصارعا على الملك وحالف ملك الشام إسماعيل النصارى وأعطاهم حصون المسلمين وقصته مع سلطان العلماء العز بن عبد السلام مشهورة وليس هنا مكان ذكرها خشية الإطالة ، وخرج من عنده بعد أن أفتى بما يفيد خلعه وعدم شرعيته لذلك السبب . ونزل الشيخ العز بن عبد السلام على نجم الدين في مصر ، فهل كان نجم الدين على حال خير القرون ؟ كلا ، كان له فضيلة قتال الصليبيين على ابن أخيه الخائن ملك الشام . فوقف العز بن عبد السلام معه وعظمت منزلة الشيخ عنده ولكن نجم الدين كان جباراً طاغوتاً انتشرت في عهده المظالم والخمور والفسوق ، وكان للشيخ معه مواقف عظيمة من الاحتساب . أما جهاد العدو معهم فكان كما كان حال علماء أهل السنة دائماً . ثم ذهب الأيوبيون وقامت دولة المماليك ، فاحتسب عليهم العز بن عبد السلام حتى بلغ به أن يبيعهم في القصة المشهورة من أجل تحريرهم من الرق، ولكن لما حضر قتال التتار ماذا كان منه رحمه الله ؟.. لقد حرض الجيش وندب الناس للقتال معهم وكانت موقعة عين جالوت ، وقصته في تحريض جيش مصر على مواجهة التتار التي آلت إلى موقعة عين جالوت الظافرة مشهورة تحت راية قطز وبيبرس من المماليك . وحال المماليك معروف . حتى يكفينا أنه لم تكد عين جالوت تنجلي عن نصر المسلمين حتى قتل بيبرس أميره قطز ليظفر بملك المماليك ويأخذ اسم نصر المعركة ، ثم غزا بيبرس هذا - قاتل أميره - غزا التتار والصليبيين . وقصص العلماء في الاحتساب عليه كما قصة الإمام النووي مع بيبرس مشهورة ليس محل ذكرها الآن ..

وذهب المماليك وجاء العثمانيون. وما العثمانيون ؟ لقد طبعهم الجهل والظلم والبطش . ولقد حفظ الله بهم الإسلام ، وفتح على أيديهم عاصمة الروم قسطنطينية كما بشر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرفعوا فيها الأذان فصارت عقر دار الإسلام وعاصمة الخلافة إلى أيام آبائنا إلى أن زالت خلافتنا منذ سبعين سنة فقط !. فهل ترك أئمة الإسلام الجهاد معهم لأنهم أحناف صوفية؟! هل تركوا جهاد الأعداء معهم طلباً ودفعاً ..؟!

يكفي العثمانيين أن من أحد مفاخرهم أنهم كانوا لا يسمحون لسفن النصارى أن تعبر مضيق باب المندب من اليمن إلى خليج السويس لأنهم سيمرون قرب بحر جدة وهو من الحرم ، فكان البحر الأحمر كله عندهم حرم لا يدخله النصارى! وكانت سفن العثمانيين تتسلم بضائع التجار النصارى عند اليمن وتنقلها لهم إلى خليج السويس وتسلمهم إياها في المتوسط ، ومن آخر ملوكهم السلطان عبد المجيد في القرن السابع عشر ، كان يسمى البحر المتوسط البحيرة العثمانية ، فسأله صحافي إنجليزي إذا كان المتوسط وشاطئه الشمالي كله لأهل الصليب بحيرة عثمانية؟ فما البحر الأسود الذي يحيط به ملك الإسلام وجيوش الخلافة العثمانية فعلاً ؟ ، فقال السلطان العثماني: البحر الأسود هو مسبح قصري! هكذا كان على أيديهم مجد الإسلام ، وقد جاهد المسلمون معهم وقصصهم مشهورة.

وبقي الأمر كله كذلك حتى زالت دولة الخلافة ، وجاءت جيوش الروم في الموجة الصليبية الثانية في القرن التاسع عشر والعشرين . وعلى رأسهم إنكلترا و فرنسا و دول أوربا وروسيا في وسط آسيا . فمن جاهدهم على مر نصف قرن ومن أخرجهم من مشرق العالم الإسلامي ؟ لقد جاهد علماء الهند و الباكستان من الديوبندية والصوفية والأحناف . جاهدوا الإنجليز 130 سنة وأخرجوهم ، وكذلك فعل الأحناف الصوفية في أفغانستان ، وأوقعوا في الحشد الإنجليزي مذبحة ذات مرة أتت على حملة من عشرة آلاف رجل وقيل ثلاثين ألف رجل، لم ينجو منهم إلا رجل واحداً ! تركوه حتى يقص القصة لملكة بريطانيا ، أما الأحناف الصوفية في وادي فرغانة (في وسط آسيا من بلاد أوزبكستان) فقد أذاقوا الروس الويل ، فقد جاهدهم كذلك الإمام شامل الشافعي الأشعري الصوفي الروس ستين سنة في القفقاس ، وقصته شهيرة تروى رحمه الله .

وأما في بلاد الشام فقد قام المشايخ الصوفية الأشاعرة وعلماء المذهب الحنفي والشافعي فجاهدوا الفرنسيين ثم الإنجليز. وأما في ليبيا فقد قامت ثورات على يد المشايخ المالكية الصوفية الأشعرية ومن أشهرهم عمر المختار رحمه الله، وكذلك شيوخ الطريقة السنوسية قبله وبعده ، وفي السودان قامت الصوفية بالثورة المهدية التي أخرجت الإنجليز ، وفي الجزائر قامت ثورات كثيرة على يد الصوفية المالكية الأشعرية أشهرها ، ثورة أبو عمامة وثورة عبد القادر الجزائري . وفي تونس مثل ذلك ، فقد قام علماء الزيتونة وهم مالكية أشعرية قاموا على الفرنسيين. وفي المغرب قام عبد

الكريم الخطابي وهو مالكي صوفي أشعري بثورة انتهت بإقامة جمهورية إسلامية استمرت حتى عام 1963 وللأسف فربما لا يعرفون الأكثرون هذا ؟! وقد انتصر في معاركه الشهيرة على جيوش خمس دول أوربية مجتمعة ، و أسر في واحدة منها وتسمى معركة أنوال الشهيرة أكثر من عشرة آلاف أسير فيهم مائة جنرال ومارشال من جيوش الأوربيين حتى تدخلت أمريكا وقالوا عاد الإسلام ليفتح أوربا .. وهذا الرجل قد ظلم تاريخه وقد قرأت من العجائب مرة قولاً لماوتسي تونغ (الذي يعتبر من أشهر منظري حرب العصابات) يقول في كتابه (ستة مقالات عسكرية) عن الخطابي : أنه من أعظم أساتذته العسكريين في حرب العصابات !! وهو لم يره ولكنه درس تجاربه . في حين لا يسمع بالخطابي معظم أبنائنا اليوم ، ولكنهم يعرفون غوار الطوشة ونجوم أكاديمي ستار ، وقصة حياة مارادونا ، ومغامرات مادونا وفكاهات فيفي عبده !

وفي إفريقيا السوداء قصص عظيمة لم تصلنا لجهلنا بتاريخنا . وقد دخل الإسلام أفريقيا من ليبيا والجزائر والمغرب والسودان عن طريق الصوفية الذين قارعوا الاستعمار زماناً ، وهذا هو الحال في دول شرق آسيا وماليزيا، ومن الفلبين حتى إندونيسيا . ثم كان من آخر جهاد المسلمين ما كان في أفغانستان على أيدي الأحناف الصوفية الذين لم يعجبوا كثيرا من إخواننا وعلماء العقيدة السمحاء ! في الجزيرة وغيرها؛ حيث أعجبهم التطبيع مع اليهود واحتلال الأمريكان للحرم وحكم المرتدين!

حتى قال لهم الشاعر يصف المأساة :

وفينـــا مـــن يقـــول لهـــم	**عقيـــــدتكم بهـــا خلـــــل**
معــاذ اللـــه هـــذا الإفــك	**مــــما لـــيس يحتمـــــل**
فيـــا أحبابنـــا الأفغــــان	**مـــن ضـــحوا ومـــن بـــذلوا**
لأنـــتم في الحيـــاة شـــذا	**ونحــــن الثـــوم والبصـــل**
ونحــن عــن الجهــاد الحــق	**ذاك العـــــاذل النكـــــل**

وفي النصف الثاني من القرن العشرين رأى الاستعمار أنه لا جدوى من محاربة أهل هذه الملة ، فجلا عن بلادنا ، وخلف وراءه طوائف المرتدين من الملوك والأمراء والرؤساء والأحزاب العلمانية ، فسيطر علينا منذ الستينات إلى التسعينات ، حتى جاءتنا في سنة 1990 الحملة الصليبية الثالثة بزعامة أمريكا . حيث قال أحد كبارهم : (جئنا لنصلح خطأ الرب أن جعل النفط في بلاد لا تحتاجه ولا تقدره وكان عليه- أي الرب سبحانه- أن يجعله في البلدان الصناعية) تعالى الله عما قال هذا الخنزير علواً كبيراً ..

. فانصرف علماؤنا ليملأوا الفضائيات عن حقوق النصارى وغير المسلمين في بلاد الإسلام وقوانين السماحة مع أمثال هذا الخنزير ! وهاهم شباب الإسلام يحملون السلاح وهاهم مقدمتهم المجاهدون الأفغان العرب ومن بقى منهم ممن ينتظر وما بدلوا تبديلاً. وها هي الجماعات المجاهدة العربية وغير العربية تقوم بحمل العبء في أكثر من مكان . ولعل من أخطرها بعض المفاهيم العوجاء التي تسللت إلينا.. ومن أهمها هذه المصيبة التي نحن بصددها .. استنكار البعض كيف نجاهد مع أصحاب بدع ومذاهب وعقائد مجروحة ، وأصحاب تصوف وما أدري ماذا ؟ !

فهل يكفي إخواننا الصالحين هؤلاء غفر الله لنا ولهم ما أوردنا من أدلة عقيدة أهل السنة ؟ وهل يكفيهم ما أوجزنا من تاريخ الإسلام والمسلمين مع كل بر وفاجر من أمراء المسلمين وعامتهم طلباً ودفعاً ؟ وقواعد دفع الصائل بالممكن لا يشترط له شرط إجماعاً وهو أوجب الواجبات بعد الإيمان بالله .. أرجو أن يكون فيما سردت كفاية ونفعاً لطالب حق ، وأرجو أن يكون لنا فيه الأجر يوم لا ينفع مال ولا بنون ..

ولو راجع إخواننا هؤلاء ما كتب الشيخ الشهيد إمام المجاهدين الأفغان العرب عبد الله عزام رحمه الله في هذه الأمور من التراث النفيس الذي لم يقدر حق قدره إلى اليوم، لما احتاجوا لهذا التكرار مني ، ولكنها الذكرى التي تنفع إن شاء الله إخواننا المؤمنين ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ..

ثامناً- مسألة الديمقراطية و تجارب حركات الصحوة الإسلامية فيها :

كما قلت فيما سبق فإن الصحوة قد آلت منذ العقد الأخير في القرن العشرين لأن تكون في معظمها من حيث العاملين بها وجمهور مؤيديها سياسية. فكما قلت فقد أدى الفتح المدروس لممارسة الإسلاميين للديمقراطية من قبل الحكومات وأسيادها في الغرب إلى تسييس القطاع الأكبر من مدارس الصحوة الغير سياسية. ومع الوقت اندثرت المدرسة الشاذة لظاهرة التكفير أو كادت ولم تجد لها جذورا في الأمة ولا في الصحوة. كما حوصرت ظاهرة الجهاد المسلح و تشرذم التيار الجهادي وأدخلت جماعاته وأفراده في أخدود معاصر . ولم يعد من مجال للتنفيس عن مظاهر الصحوة الجامحة كرد فعل من قبل الشعوب المسلمة على ما يجري من وقائع إلا في مجال الصحوة السلمية عبر ما يتاح من بوابات الديمقراطية رغم أن الحكومات والغرب قد رسموا لها شكلا خاصا عندما رفعوا شعار (ديمقراطية بلا إسلاميين في بلاد العرب والمسلمين).

ونظرا لاتساع ظاهرة الممارسات (الديمقراطية) للإسلاميين يجب أن نلفت النظر هنا في هذا الفصل التقيمي الموجز للصحوة إلى هذه المسألة. أولا من منظور حكمها الشرعي بالشكل الذي مورست به وآلت إليه. وثانيا من منظور ما حققته من نتائج وما دفعت فيه من ثمن وما آلت إليه من موقع حدده لها النظام العالمي الجديد بكل دقة وسيطرة.

والحقيقة أن هذا موضوع من الأهمية والعظمة بمكان بحيث يجب أن تكتب فيه الكتب الكثيرة وتخصص له الأبحاث المستفيضة. بل وأن تعقد له المنتديات الواسعة على أعلى المستويات ليدعى إليها كبار الثقاة من العلماء والمفكرين الإسلاميين وقيادات الصحوة وأصحاب التجربة والسابقة في هذا الميدان. ليعاد تقييم تجارب عبر نحو ثمانية عقود من المحاولات الديمقراطية للإسلاميين . لتقييم في ضوء أحكام الشريعة وفق نصوص الكتاب والسنة والإجتهادات النزيهة بعيدا عن التعصب للأحزاب والنظر للمصالح الشخصية أو الفئوية وبعيدا عن تأثيرات الحكومات وقوى الإستعمار.ولا شك أن موضوعا بهذه الضخامة ليس محل التفاصيل به هنا وليس لي أن أخراج عن سياق الكتاب و الغرض منه. ناهيك عن الحاجة من أجل ذلك إلى كمٍ ضخم من الوثائق والإحصائيات والمعلومات الدقيقة عن تلك التجارب ولا يتيسر لي هذا الآن.

وفي حدود ما تسمح به هذه اللفتة أوجز في نقاط رئيسية مستعينا بالله :

إبتداءا عندما نقول (ديمقراطية). فإننا نستخدم مصطلحا أجنبيا يدل على مفهوم محدد عند أصحابه ومن وصفوه. ونحن ملزمون بهذا المفهوم. ولا يحق لنا من حيث المنطق والأمانة أن نزعم – كما يفعل بعض الإسلاميين- أن نزعم معنى آخر كقولهم نحن نقصد الشورى. أو نوعا من الديمقراطية وفق الضوابط الشرعية الإسلامية ! لأننا لو نظرنا لحقيقة (الشورى) وفق مفاهيم

السياسية الشرعية وحدودها وأهلها وطريقة ممارساتها لوجدناها نظاما آخر لا علاقة له بالديمقراطية بل يتناقض معه في كل المجالات وأما تخصيص معنى إسلامي لها فيخرج عن حدود المنطق لأنه يخرج المصطلح عن مدلوله المعروف علميا كمصطلح قانوني دستوري سياسي له فحواه.

فمن البديهي أن المصطلحات لها مداليل محددة ولا يجوز أن تضاف إلى معنى لا يتحمله المصطلح الأصلي. فعندما نقول (حليب) يفهم السامع الدلالة على مادة معينة ويحتمل أن نخصص منه مالا يخرج عن جنسه كقولنا (حليب دسم) أو (حليب خالص) أو (حليب ممزوج بالماء) ..ولكن لا نستطيع أن نقول (حليب أحمر) أو(حليب غازي) أو(حليب مسكر) ويزيد هذا الضبط عندما يكون للمعنى بعد شرعي محدد..

فعندما نقول (خمر) نستطيع أن نقول (خمر مركز) أو (خفيف) ولكن لا نستطيع أن نقول (خمر طاهر) أو (خمر إسلامي)! لأن الله تعالى قال(إنما الخمر والميسر و الأنصاب و الأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وكذلك ربا فلا يوجد (ربا إسلامي) و(لا ربا مشروع) و(لا ربا حلال) .. ويمكن أن يوجد (ربا مركب) أو (ربا بسيط) أو(ربا نسيئة)... لأن الله تعالى يقول(وأحل الله البيع وحرم الربا..)

فهل يسع شرعا ومنطقا القبول بما يشاع من مصطلح (الديمقراطية الإسلامية!) أو (إسلاميون ديمقراطيون..)؟! لعل النقاط القادمة تساعدنا على فهم الجواب من خلال البحث في مجالات محددة..

ما هي الديمقراطية عند من اخترعها؟ وكيف تمارسها الحضارة الغربية المعاصرة؟ ما هي الديمقراطية عندنا؟ وكيف تمارسها الحكومات في العالم العربي والإسلامي؟. ما هي أشكال ممارسة الإسلاميين من مدارس الصحوة الإسلامية ومفاهيمهم الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي؟ وما وقائع هذه الممارسات وشروطها ونتائجها؟.

ما هي وجوه التوافق والتناقض بين الديمقراطية وبين النظام الإسلامي القائم على مبدأ الحاكمية لله والشورى بين الحاكم والمحكوم؟.

ما هو الحكم الشرعي لممارسة الإسلاميين للديمقراطية بشكلها المطروح وما مدى جواز ذلك ... هذا ما سنحاول أن نعرض له بإيجاز في النقاط التالية إنشاء الله.

أولا: نشأة الديمقراطية المعاصرة ومفهومها وكيف تمارسها الحضارة الغربية:

كما هو معروف فإن الجذور القديمة للنظام الديمقراطي تعود إلى مئات السنين قبل الميلاد عندما نشأت في حضارة اليونان ثم ورثها الرومان عنهم. أما الديمقراطية الغربية في العصور الحديثة فتعود إلى تجاربها التي امتزجت بالطبقية إلى بريطانيا حيث طبق نموذج فيها يقوم على سيادة

النبلاء منذ القرن الخامس عشر. أما مبادئ الديمقراطية المعاصرة المعمول بها الآن في الغرب فتعود بلورة أفكارها عمليا إلى الثورة الفرنسية وما تلاها من تحولات سياسية واجتماعية أي منذ مطلع القرن الثامن عشر.حيث بدأ فقهاء التشريع والقانون في الغرب يطرحون مبادئ ومفاهيم مثل (سيادة الأمة) و(سيادة الشعب) و(الشعب مصدر السلطات) و (الاقتراع الشعبي العام) و(النظام النيابي) و (الحريات العامة) و(المساواة) و(حقوق الإنسان) ..و (الشرعية الدستورية)..وكانت بداية المسألة منذ أواخر القرون الوسطى حيث استعر الصراع بين البابا(السلطة الدينية) والملك (السلطة الزمنية)أي بين البابا في الفاتيكان ومختلف ملوك أوربا الذين ضاقوا ذرعا بعدوان الكنيسة على سلطاتهم المطلقه ليس من أجل تخفيف ذلك لصالح العدل بالرعية وإنما من أجل استلاب حق الطغيان ليقوم به رجال الدين الذين امتلكوا الإقطاعيات الهائلة وحازوا الكنوز العظيمة ووضعوا ضرائب مكوس وقرابين على الأحياء والأموات وامتلكوا نواحي البلاد والعباد وباعوهم حتى صكوك الغفران و أقطعوهم أراضي جنات الآخرة بأثمان باهظة! وقد أدى هذا الصراع إلى طرح مفهوم السيادة ولمن تكون أواخر العصور الوسطى. وكتب فقهاء القانون الموالون للملوك النصوص الدستورية الأولى لمفهوم (السيادة) التي جعلوها للذات الملكية وأضفوا عليها من الصفات والحقوق ما عرف بالحق الإلهي المقدس للملوك حيث واجهوا بهذه المفاهيم التي ظهرت أول ما ظهرت في فرنسا للدفاع عن سيادة الملك ضد المنازعات الخارجية والداخلية التي تعرض لها الملوك من البابوية في الخارج ومن نبلاء الإقطاع في الداخل.

فعرف فقهاء القانون الفرنسيون والأوربيون السيادة بأنها:

(الحق في إصدار الأوامر إلى كل الأفراد المقيمين على أراضي الدولة) وقد عرفها (بودان) بأنها: (سلطة عليا على المواطنين والرعايا لا يحدها القانون) وقالوا : (السيادة إرادة عليا تتميز بخصائص لا توجد في غيرها من الإرادات) . و(وجماع هذه الخصائص هي أنها الإرادة التي تحدد نفسها بنفسها. فصاحب السيادة لا يمكن أ ن تلزمه أي إرادة أجنبية عنه للتصرف على نحو معين. فهي سلطة مطلقة).

وقد أجمل فقهاء التشريع والقانون خصائص هذه السيادة في ستة خصائص:

[1. الإطلاق 2. السمو 3. الوحدانية والتفرد 4. الأصالة 5. عدم القابلية للتملك 6. العصمة من الخطأ].

وخلاصة هذه المفاهيم كما يلي:

1. **الإطلاق** : فصاحب السيادة سيادته مطلقة. لا يفرض عليه قانون بل القانون هو التعبير عن إرادته وليس لأي إرادة خارجية عنه أن تلزمه بالتصرف على نحو معين لأنه لا توجد إرادة تساويه أو تساميه. إرادته آمرة دائما وليس لأحد قبله حقوق وعلاقته بغيره علاقة السيد بالرعية أو المتبوع

بالتابع . وعلى الرعية أو التابع تنفيذ ما يصدر عنه من أوامر ليس بسبب مضمونها أو فحواها ولكن لأنها صادرة عن إرادة هي بطبيعتها أعلى من إرادتهم!.

2. **السمو**: فهي مجالها إرادة تعلو جميع الإرادات وسلطة تعلو كافة السلطات لا توجد فيما تنظمه من علاقات سلطة أعلى منها ولا سلطة مساوية لها .
3. **الوحدانية والتفرد**: فلا يوجد في الإقليم الواحد إلا سيادة واحدة إذ لو وجدت في إقليم واحد سيادتان لفسدت أحوالهما وهذا بدهي .(ومن هنا ترسخ مفهوم الدولة القومية في أوربا).
4. **الأصالة**: أي أنها قائمة بذاتها لم تتلق هذا العلو من إرادة سابقة عليها أو إرادة أعلى منها ولكنها نابعة منها أصالة.
5. **عدم القابلية للتملك**: فإذا اغتصبها من ليس أهلا لها وفرض على الناس سلطانه مدة من الزمن طالت أو قصرت فإنه لا يستطيع أن يدعي شرعية سلطته أو سيادته مهما طال الأمر. فغصب السيادة لا يثبت بالحيازة ولا يبرره التقادم.
6. **العصمة من الخطأ**: تعتبر هذه النظرية إرادة صاحب السيادة معادلة للقانون ومطابقة لقواعد الحق والعدل. فينسبون إلى القانون المنبثق عن السيادة العصمة من الخطأ و الفوقية حتى على المنطق والضمير كما قال (باذلي): **(حينما يتكلم القانون يجب أن يصمت الضمير).**

على هذا استقر مفهوم السيادة لدى فقهاء القانون الغربيون الذين اعتمدوا أساسا الفلسفة الفرنسية ومشرعيها.

فكما قامت الثورة الفرنسية وانتشرت مبادئها وكتابات فلاسفتها الأوائل تحولت هذه السيادة بكامل مواصفاتها من الملك إلى الأمة. فصارت السيادة للأمة وصارت الأمة مصدر السلطات. وصارت هي السلطة العليا التي تفردت وحدها بالحق في إنشاء الخطاب الملزم المتعلق بالحكم على الأشياء أو الأفعال. أو هي السلطة العليا المطلقة التي تملك وحدها الحق في إنشاء الخطاب المتعلق بأفعال المواطنين على سبيل التكليف أو الوضع. التكليف بالفعل أو الترك أو التخيير بينهما. فهي التي تملك جعل الفعل واجبا أو محرما أو مباحا وتملك جعل الشيء سببا أو شرطا أو مانعا. ثم انبعثت كلمة ديمقراطية وتعني (حكم الشعب) عن مفهوم سيادة الأمة لتعبر عن فحواها. فالسيادة هي التعبير القانوني والديمقراطية هي التعبير السياسي: وعلى هذا فسيادة الأمة هي التعبير القانوني عن الديمقراطية. وزال المفهوم الذي كان سائدا قبل الثورة الفرنسية بأن ذات الملك تعبر عن الأمة والدولة حتى عبر عن ذلك لويس الرابع عشر عندما قال (أنا الدولة) أو (أنا فرنسا) فصارت السيادة ملكا للأمة وأخذت فكرة سيادة الأمة طريقها للقانون العام الفرنسي ومنه تفرعت لتدخل معظم دساتير العالم.

فجاء في المادة الثالثة من إعلان حقوق الإنسان الصادرة في 26/ أغسطس/1879 النص على أن السيادة للأمة وأن القانون هو تعبير عن إرادة الأمة.

وبعد الثورة الفرنسية صار لهذه النظرية جانبان . سلبي وإيجابي.

أما السلبي: فهو أن الملك لم يعد صاحب الحق بالسيادة. فصارت إرادة الأمة مطلقة ولا تعتمد على إرادات أخرى. وأما الإيجابي: فهو ممارسة الأمة هذه السيادة من خلال ثلاث سلطات هي: الإنتخابات – التشريع – التنفيذ.

1. **الانتخاب:** وهو أولى السلطات. لأن إرادة الأمة وسيادتها تستقر كما تقرر لغة الأدب السياسية بطريقة الاقتراع العام لاختيار السلطة التشريعية.
2. **التشريع:** وهو آكد مظاهر السيادة وأبرز علاماتها. فسلطة التشريع هي مطلقة لا تحدها حدود ولا تقيدها قيود ولا تلتزم بالتصرف على نحو معين إلا إذا أرادت الجهة صاحبة الحق بالتشريع باسم الأمة ذلك أصالة عن نفسها.
3. **التنفيذ:** وهذه سلطة تتعلق بالحكم والإرادة.

ولما استقرت النظرية على هذا الشكل وجد لها انتقادات عديد من فقهاء القانون والمدافعون عن الحقوق المدنية وأهم ذلك بأنها:

1. تضيق دائرة الحرية. 2. تضيق دائرة الاقتراع العام.

فطورت نظرية سيادة (الأمة) ليعبر عنها (سيادة الشعب) من علاج تلك الانتقادات. فأدى ذلك إلى الأخذ بمبدأ (الاقتراع العام) وهنا حول فقهاء القانون الغربي (الانتخاب) من وظيفة للمواطن إلى (حق له) وثم توسيع قاعدة المشاركة الشعبية. وأتاحت الفرصة للمشاركة المباشرة للحرية السياسية عن طريق الاستفتاء.

فخلاصة تلك المراحل إذن هي على الشكل التالي:

الصراع بين الملوك والكنيسة على السلطة ← ولد نظرية السيادة للملوك والحق الإلهي المقدس لهم بها ← أدى الصراع بين الملوك والشعوب الأوربية نتيجة الاضطهاد إلى رفض السلطتين معا الإلهية (البابا) والزمنية (الملك) ← وأدى هذا إلى إعطاء السيادة للأمة .

ثم تبلور ذلك بفكرة سيادة الشعب الذي صار مصدر السلطات من تشريع وتنفيذ وتحاكم. وهنا ولد الفعل الشنيع للملوك والباباوات فعل أشنع منه وهو ولادة العلمانية التي قامت على رفض الدين والاعتقاد وجحود الإيمان بالله وبناء الحياة وقوانينها بعيدا عن كل ذلك. وهو جوهر العلمانية بالمفهوم الغربي التي نقلت كما نقلت كل المتاهات السابقة إلى المسلمين فيما بعد.

وهكذا إذن **ولد النظام السياسي الديمقراطي الذي قام على أركان أساسية هي:**

1. المساواة بين أفراد المجتمع من حيث الحقوق السياسية كالترشيح والانتخاب بصرف النظر عن الدين والمعتقد أو العرق واللون أو اللغة أو العلم أو الجهل أو الجنس من ذكر أو أنثى أو أي فارق.
2. الحرية الشخصية المطلقة من حيث الاعتقاد والتعبير والنشاط في حدود الدستور والقانون الذي كفل هذه الحريات.
3. ممارسة الأمة لسيادة الشعب من خلال الانتخاب والاحتكام للأغلبية في إقرار التشريعات والقوانين وتشكيل السلطات الثلاثة.
4. مبدأ تداول السلطة بين الكتل السياسية والأحزاب من خلال الاقتراع و سيادة الأغلبية أيضا.

وصارت الصورة السياسية لسيادة الشعب هي ممارسة الدولة للحكم من خلال السلطات الثلاثة وهي:

- **السلطة التشريعية**: وهي الجهة المنتخبة من قبل الأمة والمخولة بوضع الدستور وإصدار التشريعات وسن القوانين في ضوئها. ويمارسها نواب منتخبون من قبل الشعب يمثلون البرلمان أو ما يعادله من الأسماء المصطلح عليها (كمجلس النواب) أو (مجلس الأمة) أو (مجلس الشعب). وهذه السلطة هي التي تملك تعديل الدستور أو إضافات تشريعات إليه. وسن القوانين أو المصادقة على ما يرفع منها من قبل الحكومة لتكون نافذة.
- **السلطة التنفيذية**: وهي الحكومة التي يرأسها رئيس الدولة أو رئيس الوزراء المكلف وتشرف وزاراتها على تسيير شؤون الدولة الإدارية والتنفيذية.
- **السلطة القضائية**: وهي الجهة المخولة بمهمة فض الخصومات والمنازعات القائمة بين مختلف طبقات الشعب أو بين جهات السلطات ذاتها بموجب القوانين والتشريعات التي صدرت باسم الشعب وباسم سيادة الأمة من خلال نواب الأمة أو غالبية نواب الأمة أو عن طريق الاستفتاء العام.

وهكذا تعارف الغرب على هذه الأنظمة التي تعود جميع نظمها لهذه الأصول مع خلافات في تطبيق الديمقراطية من مدرسة لأخرى بحسب البلاد وتوجهاتها وهكذا ارتضى أولئك القوم لأنفسهم هذه المبادئ...

فما ارتأته الأمة من خلال نوابها ومشرعيها حلالا وسويا صار كذلك بعد التصويت عليه من خلال الأغلبية. ولو صعدت أغلبية أخرى مع الوقت فرأت ما كان حلالا سويا لا يصح وأنه عوج وخطأ، صار بموجب الأغلبية ضلالا وعوجا يعاقب عليه القانون...وتتولى السلطة القضائية ومن بعدها التنفيذية إنفاذ هذه الإرادات...

<u>كيف يمارس الغرب فعليا عملية سيادة الأمة وحكم الشعب أو ما يسمونه (الديمقراطية).</u>
<u>من الناحية العملية:</u>

كان ما سبق هو خلاصة نظرية سيادة الأمة وفحوى الديمقراطية من ناحية أصولها النظرية. ولكن التطبيق العملي في الواقع للديمقراطية يختلف عن هذه الصورة. في كل مكان طبقت فيه كما يتفاوت من بلد لآخر في الغرب ذاته. أما ديمقراطيات العالم الثالث فمهازل من نوع آخر.

يقوم النظام الديمقراطي في العالم الغربي اليوم عموما على نظام الأحزاب السياسية. حيث توجد في كل بلد تيارات سياسية تنتمي في مجموعها إلى الفلسفات التي سادت أوروبا خلال القرن الماضي من الليبرالية والاشتراكية والرأسمالية والشيوعية وغير ذلك .. ومع أن الدستور يسمح بتشكيل الأحزاب ويجعل من حق الترشيح حقا شخصيا لكل أحد إلا أن الواقع جعل في كل دولة من تلك الدول عددا محدودا من الأحزاب لا يتجاوز عددها أصابع الكف تتولى عملية المنافسة على السلطة و تتداولها فيما بينها. وغالبا ما يؤول الصراع إلى الحزبين الرئيسيين بحيث لو حاز أحدهما الأغلبية المطلقة بحسب ما حدده (مثلا ثلثي الأعضاء) أو(النصف + 1) تمكن نوابه في البرلمان من تشكيل الحكومة (السلطة التنفيذية) منفردين وتحول الحزب الذي خسر السباق الانتخابي إلى المعارضة التي تتشكل منه أو من باقي الأحزاب الصغيرة أو الأعضاء المستقلين في البرلمان معه. وفي أغالب الأحيان ونتيجة تقارب البرامج والأطروحات البرلمانية وحب الناس للتنوع. غالبا ما يحظى أحد الحزبين بأغلبية بسيطة تظطره للتحالف مع أحزاب صغيرة لتوفير الأغلبية البرلمانية مما يضطره لإعطائها بعض المكاسب في السلطة التنفيذية أو الإدارات المحلية. وهكذا تعاد هذه اللعبة التي تقوم بها النخب السياسية في المجتمعات الغربية بصورة دورية كل أربعة أو خمس سنوات . وتتكرر بصورة متشابهة من دولة لأخرى ففي بريطانيا يتسابق (المحافظون والعمال) وفي فرنسا (الديغوليون الذين يمثلون يمين الوسط) و(الاشتراكيون) و(أحزاب اليسار الشيوعي).و(الجبهة الوطنية الذين يمثلون اليمين المتطرف) وفي أمريكا (الجمهوريون والديمقراطيون) وفي أسبانيا (الاشتراكيون) و(الرأسماليون- حزب الشعب اليميني) وهكذا في باقي الدول كألمانيا وكندا واستراليا...فتبدأ الإنتخابات الأولية على مستوى البلديات لانتخاب مرشحي الأحزاب. ثم تبدأ الإنتخابات البرلمانية.ثم يشكل الحزب الفائز لوحده أو عن طريق الائتلاف السلطة التنفيذية. في حين تتكون السلطة القضائية من مؤسسة مستقلة يعين كبارها من قبل البرلمان أو رئيس السلطة التنفيذية.وفي بعض البلدان كأمريكا يقترع الناس لاختيار الرئيس في معزل عن البرلمان (الكونغرس) .. ولهم نظام آخر لا يهم بسطه هنا... ولا يؤثر على هذا السياق سواء كان النظام جمهوريا دستوريا رأسيا كما في فرنسا أو ألمانيا أو كان ملكيا دستوريا كما في أسبانيا وبريطانيا وبلجيكا وغيرها... لأن

الملك يملك ولا يحكم وهو رمز أمة أكثر منه رجل سلطة حيث يتولى رئيس الوزراء رئاسة السلطة التنفيذية....ولكن المهم الذي نلفت النظر إليه :

- أن عملية الديمقراطية في الغرب عملية نسبية أيضا ومسرحية إلى حد كبير.فالسياسات الحقيقية ترسمها اللوبيات الضاغطة في البرلمان والأحزاب وغالبا ما يسيطر اليهود أو أعضاء المنظمات اليهودية مثل (الماسون) أو أعضاء المنظمات المسيحية المتطرفة كمنظمة (ثلاثي الأضلاع) و غيرها من أجهزة الضغط من كبار رجال السياسة والإعلام ورجال المال وكبار الرأسماليين و مافيات الجريمة في بعض الأحيان الذين يحولون الحملات الانتخابية على السياسات العامة في حين تبقى عملية الإنتخابات عملية ضرورية إلى حد كبير... وتلعب الرشاوى والأموال التي تمول الحملات الانتخابية دورا عظيما في شراء الذمم والضمائر والتحكم في سير الانتخابات وإبراز المرشحين فالنظام في عمومه رأسمالي يعتمد اقتصاد السوق أو الاقتصاد الحر والمجتمع في عمومه يتبنى الهوية النصرانية على قاعدة شعبية عريضة من الإلحاد. ولم يبق لهم من النصرانية إلا التعصب الديني والخمر والخنزير وشيء من الطقوس والعادات وقد تهمش دور الكنيسة حتى صارت أشبه بمؤسسة اجتماعية أو نادي ثقافي لا أكثر خاصة بالنسبة للشباب. ومن فترة لأخرى تكشف الصحافة عن فضائح الابتزاز والرشاوى لتكشف مدى زيف هذا النظام الذي وصفه أحد كبار ساسته رئيس وزراء بريطانيا المشهور(ونستون تشرشل) عندما قال: (الديمقراطية أفضل الطرق السيئة للحكم)! ولا شك أنه بالمقارنة مع الأنظمة الديكتاتورية والفاشية فإنه يحق له أن يقول ما قال .. ولكن فكرة (سيادة الشعب) وسيادة الأمة فكرة نظرية لأبعد الحدود ... والحقيقة هي سيادة النخب السياسية الرأسمالية المتحكمة بمصائر شعوب حازت قدرا عظيما من حرية العبث والإباحية وتمتعت بحياة استهلاكية مرفهة قياسا بغيرها ... وتركت خطامها لأولئك اللاعبين بمصيرها يضحكون عليها باسم الديمقراطية ...

- أمر هام أيضا طغى في الفترة الأخيرة على السطح وهو تحكم الدول الأكبر بسياسات الدول الأصغر ودعمها للوبيات الداخلية والأحزاب المؤيدة لسياساتها لتنجح في الإنتخابات والإمساك بزمام السلطة فأمريكا .. زعيمة (الناتو) تتحكم إلى حد كبير في سياسات الدول الغربية وأوربا واستراليا وكندا وقد ازداد هذا الضغط والتأثير جدا في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق .. وتلعب بريطانيا قدرا كبيرا من التأثير داخل العائلة الأوربية لصالح السياسة الأمريكية.كما تمارس الدول الأوربية الكبرى وعلى رأسها فرنسا وألمانيا ضغوطا وتأثيرا على سياسات دول الاتحاد الأوربي وعلى تلك الراغبة باللحاق به . وتتقاطع سياسات دول أوربا الغربية من أعضاء الناتو مع أمريكا في مجالات وتختلف في أخرى لتلقي بظلالها على الدول الأوربية الصغيرة وشعوبها لتترك بصماتها الواضحة في تشويه واقع الديمقراطيات .. والأمثلة على ذلك كثيرة يخرج بنا إيرادها عن الإيجاز المفترض للفترة فعندما تود

تلك اللوبيات الداخلية أو الخارجية خلق مناخ معين للإنتخابات تنفق الأموال وتركز أجهـزة الإعـلام حملاتها في الأيام والساعات الأخيرة على قطاع الجمهور الانتخابي الأكبر في المجتمعات الغربيـة وهـم (اللامنتمون) ذلك القطاع الذي تظهر أكثر عيناته الحيرة أين تضـع أصـواتها حتـى الـدقائق الأخـيرة. وتكشف وسائل الإعلام والمقابلات التلفزيونية في الشوارع مع الناس في كثير من الأحيان عـن الأميـة السياسية العظيمة في تلك المجتمعات التي تخدع الجاهل بها. ولقد اطلعت خلال هجرتي وإقـامتي في أوربا الغربية لأكثر من أربعة عشر سنة عشت فيهـا ثـلاث سـنوات في فرنسـا وثـلاث في بريطانيـا والباقي أكثره في أسبانيا على نماذج كثيرة وأمثلة حية تبت زيف الدعاوى الديمقراطية في عقر دارها . وكما أسلفت يضيق المجال على إيراد الأمثلة والشواهد هنا.

أما ما يجري في ديمقراطيات العالم الثالث في آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية حديثة العهد بالاستقلال وبالدكتاتوريات فمهازل شبيهة إلى حد كبير بالنماذج الديمقراطية الحاصـل بعضـها في العـالم العـربي والإسلامي. مع فارق يجعلها تأتي قبلها في سلم المهزلة حيث لم يشـترط الغـرب عـلى بعـض الشرـائح السياسية عدم الوصول إلى السلطة كما في حالة (الإسلاميين) في بلادنا. وإنما ينحصر تأثيره الذي يصل لحد التدخل السافر وممارسة الابتزاز والرشاوى في إيصال صنائع استعمارية له تكفل استمرار نزيف ما يمكن استنزافه مـن خـيرات العـالم الثالـث لصـالح الـدول الاسـتعمارية تحـت مسـمى الاسـتقلال والحرية والديمقراطية والاقتصاد الحر.

أما أسفل نمـاذج الديمقراطيـة في تلـك التـي تـم استنسـاخ أجنـة مشـوهة منهـا في مراكـز دراسـات الإستخبارات الغربية وصنائعها الاستعمارية في بلادنا لتطبق على شعوبنا المغلوبة على أمرهـا كخيـار يضحك على عقولها المرهقة بقمع الأنظمة الديكتاتورية والملكيات المستبدة والجمهوريـات الوراثيـة آخر ابتكارات الأنظمة العربية المهترئة.

وقبل أن نعرج على استعراض سريع في التجارب الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي يجدر بنـا أن نتوقف مع فقرة مهمة حول مفهوم السيادة والحاكمية في الشرـيعة الإسـلامية وتناقضـها التـام مـع مفهوم الديمقراطية والعلمانية كي يظهر لنا البون الشاسع بين ديننا الحنيف وبين الفكر الـديمقراطي بجملته. بالإضافة لظهور مناقضة النموذج العربي والإسلامي للديمقراطية لأصول الديمقراطية ذاتها.

مبدأ السيادة والحاكمية في الدين الإسلامي:

في الحقيقة لا عجب من أن تكافح الشعوب الأوربية وأن يعمل فلاسفتها وفقهاء القانون فيها عقولهم يمينا وشمالا كي يستنبطوا تشريعات تقربهم من الحق والعدل بعد طول معاناتهم من الملكية والبابوية والكنيسة ومن طغاة السياسات المعاصرين ... إلى أن توصلوا إلى ما يعتقدون أنه أفضل الطرق السيئة للحكم كما قال (تشرشل). ولكن العجب في أن يقوم في الأمة المحمدية التي

أنعم الله عليها بخاتم الأنبياء عليه الصلاة والسلام وبآخر الشرائع وأرقاها ووصفها بالكمال والتمام بقوله تعالى:

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإسلام دِيناً ﴾... أن يقوم من أبنائها من يبدل نعمة الله كفرا ويحل قومه دار البوار ويذهب لينكش في زبالات ما تفتقت عنه أذهان البشر ليبحث عن دساتير و قوانيين ليحكم بها المسلمين الذين جعلهم الله (خير أمة أخرجت للناس) وحدد لهم السيادة ولمن تكون والحاكمية ولمن تكون والربوبية والألوهية ولمن تكون وحق التشريع ولمن يكون ... بل وتفاصيل كل شيء.

أما السيادة المطلقة في دين الإسلام فباختصار وبكل بساطة لله سبحانه وتعالى: (روى البخاري في الأدب المفرد وكذلك أحمد وأبو داوود وغيرهم وصححه غير واحد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير قال: **انطلقت في وفد بني عامر إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : أنت سيدنا. قال : السيد الله. قالوا: وأفضلنا فضلا وأعظمنا قولا. قال: فقال: فقولوا بقولكم ولا يستجرنكم الشيطان).**

قال الحليمي في تفسير (السيد) من أسماء الله الحسنى قال[السيد: هو المحتاج اليه بالإطلاق. فإن سيد الناس إنما هو رأسهم الذي يرجعون إليه وبأمره يعملون وعن رأيه يصدرون. ومن قوله يستهدون. فإذا كانت الملائكة والأنس والجن خلقا للباري جل ثناؤه. لم يكن بهم غنية عنه في بدء أمرهم إذ لو لم يوجدهم لم يوجدوا. ولا في الإبقاء بعد الإيجاد ولا في العوارض المعارضة أثناء البقاء. كان حقا له ثناؤه أن يكون سيدا وكان حقا عليهم أن يدعوه بهذا الاسم].

والمفسرون عندما يصلون إلى تفسير اسمه تبارك وتعالى. يفسرون (السيد) ويقولون: (هو السيد الذي يصمد إليه بالنوازل والحوائج. وهذا ما رجحه القرطبي اعتمادا على اللغويين. وقد ورد في معاني السيد [هو الذي انتهى سؤدده في أنواع الشرف والسؤدد] وقيل [هو المستغني عن كل أحد والمحتاج إليه كل أحد]. وقيل [هو الذي يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد] وقيل [هو الكامل الذي لاعيب فيه].

قال القاري في شرح هذا الحديث في عون المعبود : [السيد الله: أي الذي يملك نواصي الخلق. أي الذي يتولاهم سبحانه وتعالى. وهذا لا يتنافى مع سيادتهم المجازية] فهو لا ينافي سيادة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد ولد آدم. ولكن مع معرفته بذلك صلى الله عليه وسلم حدد من هو السيد بإطلاق فقال[إنما السيد الله]. وهذا موضوع من أخص مواضيع العقيدة عند المسلمين.(اهـ بتصريف. عن محاضرة: إنما السيد الله. من المنشورات الصوتية لجماعة الجهاد في مصر 1989)

فإذا عدنا لصفات السيادة التي وضعها فقهاء القانون الغربي كما نجدها في حقيقتها لا تنصرف إلا لله الواحد الأحد السيد الفرد الصمد وفق موازين العقيدة الإسلامية. وصرفها لغيره هو الشرك

المحض بالله لا أكثر ولا أقل سواء صرفت للشعب أو للأمة أو لأكثرية البرلمان أو للملوك أو لأي مخلوق من البشر أو سواه من المخلوقين.

ولذلك أقول : هل يحق لمسلم أن يعتقد ما دوّن في صدور دساتير معظم البلاد العربية والإسلامية من قولهم (الشعب مصدر السيادة) و(الأمة مصدر السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية).؟

إن مقتضى دين الله أن من اعتقد أن للشعب أو للأمة أو لنوابهم في برلماناتهم أو لملوكهم ورؤسائهم شيء من السيادة ، بحيث يشرعون على خلاف ما جاء به هدي محمد صلى الله عليه وسلم مما شرعه الله تعالى في كتابه وسنة نبيه. فهو كافر مشرك بالله قد خلع ربقة الإسلام من عنقه ولحق بعبدة الأوثان وعبد الطاغوت.

سواء كان ذلك باسم الدستور أو باسم الديمقراطية أو بأي دعوى من الدعوات.. هذا هو خلاصة مفهوم السيادة في الإسلام .

فهي لله. ومن جعلها بمفهومها المطلق لغيره فهو كافر. هكذا بكل صراحة وحسم فالموضوع يمس صلب العقيدة والتوحيد. ولا يسع الإبهام والتمتمة فيه..

<u>وأضيف:</u> وأما الحاكمية في شريعة الله فهي لله وحده. وقد أوردنا في الفصل ما يغني عن الإعادة هنا وخلاصة ذلك (إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم) ... ومن اعتقد أن للشعب أو للأمة أو نوابهم أو برلماناتهم أو لملوكهم أو رؤسائهم أو قضاتهم أن يحكم في الدماء والأموال والأعراض والمنازعات وفق ما شرع شياطين البشر وأهواء العقول على غير ما أنزل الله تفضيلا لهذا الحكم عما شرع الله أو زهادة بشرع الله أو اعتقادا بعدم صلاحيته للعصر أو منافاته لحقوق الإنسان والحضارة أو اعتقد أنه مخير بالحكم بشرع الله أو بغيره من تشريعات البشر. فهو كافر فاسق ظالم. وقد سبقت الأدلة على ذلك حيث اشرنا. فإذا ما وضح هذا نعود لموضوعنا.

الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي:

وصلت طلائع الغزو الفكري الغربي للعالم الإسلامي مع طلائع الحملة الفرنسية بقيادة نابليون إلى مصر مطلع القرن التاسع عشر وانتشرت المطابع وبدأت بذور التأثر بالمذاهب الفكرية الغربية تنتشر في أوساط بعض المثقفين في العالم العربي. كما ساهمت دول الاستعمار الاخرى ولاسيما بريطانيا في نشر تلك الأفكار حيث ذهبت لاستعمار المسلمين ووسط صدمة الانبهار بالحضارة الغربية في أوساط العرب والمسلمين حتى لدى بعض المنتسبين لرجال الدين في ذلك العصر ... لاقت هذه الأفكار شيئا من الرواج. كما تصدى لها بعض علماء الدين والمصلحين في ذلك الوقت ..ولكن مع انهيار الخلافة العثمانية وتقاسم الدول الأوربية ولاسيما بريطانيا وفرنسا لإرثها المكون من بلاد

العالم العربي والإسلامي كما مر معنا حكمت الدول الاستعمارية بلاد المسلمين بدساتيرها وتشريعاتها. ومع انصرام فترة الاحتلال. كان الغرب قد ربى أجيالا من المستعمرين فكريا ونفسيا ممن درسوا في بلاده أو فيما أقام من الجامعات وما زرعه من الأفكار في بلادنا. فتولت حكومات الاستقلال من بعده استبعاد الحكم بالشريعة الإسلامية لتبني دساتيرها على أسس التشريعات الأوربية والقانون الفرنسي أو البريطاني. ووجدت مفاهيم السيادة والديمقراطية وما انبثق عنها من مفاهيم سيادة الأمة وسلطة الشعب والسلطات الثلاثة .. الخ طريقها إلى دساتير بلاد المسلمين وقوانينهم. وأقصيت الشريعة الإسلامية ليحل محلها شرائع الرومان المعاصرين وما زال الحال على ذلك كما مر في الفصل الأول بشيء من التفصيل حيث لم يبق في بلاد المسلمين من آثار الشريعة إلا نتفا من بعض قوانين الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والمواريث مع تشويه وإلغاء ما زال يعتريها مع الزمن إلى يومنا هذا ... وقد أخذت دول قليلة أخرى كالسعودية والسودان واليمن مثلا بنصيب أكبر من الشريعة الإسلامية إلا أن كثيرا من التشريع الوضعي وجد طريقها لكثير من القوانين واللوائح والتنظيمات بحيث يمكن القول بكل بساطة ووضوح أنه لم يعد اليوم على وجه هذه البسيطة دولة واحدة تحكم بشرع الله كما أمر الله على الإطلاق.

وهذه هي الحقيقة مهما بدت قاسية لبعض من يجهلها أو يريد للناس أن يجهلوها وهذا ثابت يسهل إقامة الدليل عليه من خلال مراجعة بسيطة للموسوعة الدستورية العربية مثلا التي تضم نسخة عدد دساتير البلاد العربية أو مراجعة أي من دساتير الدول الإسلامية الاخرى. هذا من حيث التشريع والتقنين وقواعد الحكم نظريا.

أما من حيث التطبيق فكما في الغرب يخالف واقع الحال ما دونه في الدساتير و القوانين ولكن بما يتناسب مع حجم التخلف وسيطرة الدكتاتوريات البشرية .. ففي سائر البلاد العربية والإسلامية نصت الدساتير على خلاف الأصل من فصل السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية. حيث أعطت تلك التشريعات الملوك والرؤساء والأمراء الحاكمين وهم رأس السلطة التنفيذية نصيبا من السلطة التشريعية إن بشكل صريح كما في الأنظمة الملكية والأميرية من مثل ما جاء في دستور المغرب (للملك حق إصدار القوانين) أو الأردن (تناط السلطة التشريعية بمجلس الأمة والملك). أو البحرين:(لا يصدر قانون إلا إذا أقره المجلس الوطني ووافق عليه الأمير) . أو بشكل مبطن كما في الجمهوريات الديكتاتورية كمصر وسوريا وتونس والجزائر وليبيا وما شابه حيث نصت الدساتير على أن الرئيس هو رأس السلطة التنفيذية ويشارك أو يشرف على السلطة التشريعية كما جاء في المادة 74 من الدستور المصري على سبيل المثال (لرئيس الجمهورية اذا قام خطر يهدد الوحدة الوطنية أو سلامة الوطن أو يعوق مؤسسات الدولة عن أداء دورها الدستوري أن يتخذ الاجرآت السريعة

لمواجهة هذا الخطر ويوجه بيانا للشعب ويجري استفتاء على ما اتخذه من إجراآت خلال60 يوما من اتخاذه...)

كما أن الدساتير نصت في معظم البلاد العربية والإسلامية على حق الرئيس أو الملك في حل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية والنيابية . وإعادة فتحها بالشكل والوقت الذي يحلو له. هذا ناهيك عن الانقلابات العسكرية التي تعلق الدساتير وتخضع كثيرا من بلاد العرب والمسلمين لقوانين الطوارئ والأحكام العرفية كما في سوريا حيث لا زال يعمل بقانون الطوارئ والأحكام العرفية منذ أكثر من أربعين عاما وكذلك في مصر ما زال إلى الآن ومنذ 25 سنة !!

أما حق الرؤساء والملوك في التشريع فيما بين دورات البرلمان أو حق الاقتراح أو التعديل أو رد التشريعات التي شرعتها السلطة التشريعية وإحالتها إلى البرلمان ليصوت عليها من جديد...

ومهازل حكام العرب والمسلمين أكثر من أن يأتي عليها حصر ولو أفردت لها المجلدات فمما يحضرني من الأمثلة السريعة، تعديل الدستور السوري لتخفيض العمر الأدنى للرئيس من (40) سنة كما هو في الدستور - منذ أنشأوه - إلى عمر بشار الأسد عندما أراد أبوه أن يستخلفه وهو (36) سنة حيث استغرق تصويت البرلمان السوري على هذا التعديل نصف ساعة حيث أقروه بالإجماع وكانت (أولبرايت) في دمشق تنتظر النتيجة وترتب الأمور حيث صرحت بعد هلاك حافظ الأسد وتثبيت السلطة لبشار وقمع معارضيه حتى من الطامعين بالعرش من النصيرية فقالت للصحفيين وهي تغادر: (إن أمريكا راضية عن انتقال السلطة في سوريا). وكذلك تعديل الدستور الأردني حول مواصفات ولي العهد لتناسب الملك عبد الله الحالي عندما استخلفه أبوه وهو على فراش الموت وأقصى أخاه الأمير الحسن ولي العهد التاريخي للأردن بأمر من أمريكا أيضا.

أما إذا جئنا لنستقصي المؤسسات الأمنية وهي الحاكم الفعلي في البلاد العربية والإسلامية وهياكلها وسلطاتها الثلاثة :

(السلطة التعذيبية ، والسلطة الإعدامية ، وسلطة المقابر الجماعية) والمؤسسات التابعة لها كأجهزة مكافحة الشعب وقمع المظاهرات ، ومؤسسات الاعتقال ، ناهيك عن سيطرتها على الوزارات المستقلة عنها كوزارة تحريف شرع الله والشؤون الدينية ووزارة الإعلام والطبل والزمر للرؤساء والملوك ... فلذلك قصص مشوقة أخرى في التطبيق العملي للتصور الدستوري والعلماني لمفهوم سيادة الشعب المقهور وسيادة الأمة المقموعة وديمقراطية (الكرباج)! وأظن أن أخبار الأحوال انتشارها ،حتى عبر وسائل الإعلام اليوم يغني عن الأمثلة المضحكة المبكية التي تفطر الأكباد في تلك البلاد.

بقي أن نشير إلى أن أغلب المعارضات السياسية في الأنظمة الحاكمة في العالم العربي و الإسلامي هي ديمقراطية في منهجها وعلمانية في معتقداتها ونزيهة في تصوراتها وفق مفاهيم الغرب

، ولكن إلى أن يحصل لها استلام السلطة لتعود إلى الأصل وهو تكرار النموذج لتتولى السلطات البائدة أو المعارضات الجديدة دور المطالبة بالنزاهة المقبلة. وأما التطبيق العملي للديمقراطية ونظام الانتخابات في البلاد العربية والإسلامية أصحاب 99.99% في كافة الاستفتاءات على الدساتير والتشريعات ومشاريع الوحدة ومشاريع الولاية الثانية والثالثة ومشاريع استخلاف الأبناء وولايات العهد في الجمهوريات الملكية كما في سوريا وبوادر ذلك في مصر واليمن وليبيا... فمظاهر لا تحتاج لنقاش .. وقد شهدت بنفسي بعض الانتخابات البلدية والبرلمانية في سوريا والأردن وباكستان ورأيت بعيني كيف يشحن الرجال في السيارات من القرى والأحياء الفقيرة في المدن يحمل كل واحد منهم بطاقته الشخصية وبطاقة بعض نسائه اللواتي يحق لهن الانتخاب .. ويشحنون إلى المراكز الانتخابية عبر وسطاء وسماسرة يدفعون نيابة عن المرشحين والأحزاب التي نظمت هذه المظاهر الديمقراطية! ثمن الصوت ما يعادل (10 سنت) أي (0.1) دولار أمريكي. وكأسا من الشاي! وقد يتكرم بعض المراكز فينحر الخراف وتقدم مناسف الرز واللحم في مواسم انتخابية لو رآها فقهاء القانون في الثورة الفرنسية لطالبوا بعودة الحق الإلهي المقدس للملوك ، و لعاودوا البحث عن شراء صكوك الغفران الكنسية لتكفير خطاياهم في التنظير للديمقراطية.

هذا ناهيك عن الإشتباكات المسلحة والاغتيالات وحوادث العنف التي ترافق الروح الديمقراطية في عالمنا العربي والإسلامي فضلا عن الطعونات وفضائح التزوير والغش .. لأمة حصل لها ما حصل للغراب الذي أراد أن يقلد مشية البلبل فلم ينجح فلما أراد أن يعود لمشيته نسيها ... فصار يعرج وينط لا هو غراب ولا يشبه البلابل فصار مضحكة للطيور... (ومن يهن الله فما له من مكرم).

وبعد هذه النبذة عن الديمقراطية عند أهلها وعندنا ولسنا من أهلها – والحق يقال – نأتي إلى موضوعنا وهو:

مفهوم الديمقراطية عند (الإسلاميين الديمقراطيين) وتجارب الصحوة في ممارسة الديمقراطية ومسارها خلال الربع قرن الأخير:

من المفيد بحث هذه الظاهرة من زاويتين:

1. من حيث الفكر والمنهج والمعتقد في الديمقراطية.
2. من حيث التطبيق والتجارب.

أولا: الفكر والمنهج والمعتقد الديمقراطي عند الإسلاميين الديمقراطيين:

من خلال اهتمامي بهذه الظاهرة ودخولي معترك التصدي لها عبر الكتابة والمحاضرة منذ مطلع التسعينيات وإلى اليوم. حيث الزمني ذلك بمتابعة تجاربها وكتابات أصحابها من الإسلاميين أستطيع التمييز بين عدة أنواع من الديمقراطيين الإسلاميين وبصرف النظر عن أسماء الجماعات

والأشخاص وهو أسلوب اعتمدته ما أمكن في هذا الكتاب على غير عادتي من أجل الغاية الأساسية لهذا البحث وهي حشد الصفوف من أجل مشروع المقاومة وجدت أن أنواع الديمقراطيين الإسلاميين على الشكل التالي:

1. إسلاميون ديمقراطيون يعتقدون – بحسب تصريحاتهم وكتاباتهم- أن الديمقراطية لا تناقض الإسلام. وذهب أحد أقطاب هذه المدرسة للقول (الديمقراطية بضاعتنا ردت إلينا). وذهب آخر للقول (الديمقراطية هي الشورى الملزمة). واقترح ثالث (النحناح - الجزائري) الذي أفضى إلى ما قدم من قريب أن يدعو الإسلاميون منهجهم بـ (الشورقراطية) ! . وقد عبر (الغنوشي)أحد منظري هذه المدرسة في كلمة له أثناء جلسة عشاء جمعتني به شخصيا في (مدريد) بقوله (نحن ارتضينا بالديمقراطية والصناديق حكما بيننا كإسلاميين وبين خصومنا من الأحزاب العلمانية في تونس. فإذا الشعب اختارنا حكمنا بالإسلام. وسمحنا للكفر بأن تكون له أحزابه وصحفه لأن الإسلام لا يخشى عليه من الحرية. وإذا الشعب اختار الأحزاب العلمانية ، رضينا بحكم الكفر لأن الله تعالى قال:(لا إكراه في الدين).! وسهرتنا تلك مسجلة على كاسيت ! .. وكتابه (الحريات السياسية في الإسلام) أشد صراحة من هذا. وله مقالات كثيرة في هذا المضمار.

وقد انتشر هذا المذهب في أكثر بلدان العالم الإسلامي ولاسيما في السودان وشمال أفريقيا وفي أوساط الصحوة الإسلامية في المهجر في أوربا وأمريكا والعالم الغربي عبر المراكز الإسلامية والصحافة الإسلامية المهاجرة.

2. إسلاميون ديمقراطيون يطرحون تصورا إسلاميا للديمقراطية ويقولون نأخذ منها ونمارس ما لا يتعارض مع أصول السياسة الشرعية وينهجون منهجا توفيقيا ترقيعيا لإنتاج نظريات(ديمقراطية - إسلامية) في آن واحد. وأنه يمكن الخروج بما أسموه (فقه برلماني) يشكل نظرية لديمقراطية إسلامية بضوابط معينة . تجعلهم بحسب تصورهم في حل مما تحمله النظرية السياسية والدستورية للديمقراطية الغربية من إلحاد وشرك وكفر أكبر. ولا يرون بأسا من الانتماء للسلطة التشريعية عبر الديمقراطية كمعارضة بحيث لا يوافقون إلا على ما تجيزه الشريعة (كما هو رأي بعض البرلمانيين الإسلاميين في الأردن) . وهناك ن هؤلاء من لا يرى بأسا من تسلم الوزارات في السلطة التنفيذية على ما يزعمون من دليل في مذهب يوسف عليه السلام ووزارته لدى الفرعون !!.(كما في الأردن والكويت و الباكستان وتركيا وكثير من البلاد غيرها) !

3. النوع الثالث يصرحون بأن الديمقراطية بمفهومها الأساسي تناقض الإسلام وأنه ليس هناك إشكالية شرعية في ممارسة المعارضة في (البرلمان) . ولا يجيزون لأنفسهم أن ينتقلوا بالشوط لآخره بدخول السلطة التنفيذية ، لأن ذلك سيدخلهم في دائرة الحكم بغير ما انزل الله بحسب القوانين المعول بها في عموم بلاد المسلمين ! ويعتقدون أن الشريعة الإسلامية تسمح بمزاولة الديمقراطية في حدود

المعارضة ونيابة البرلمان ! بحيث يوافقون على ما وافق الشريعة ولا يجيزون ما لا يوافقها وأنهم لا ينتقلون إلى ممارسة السلطة إلا إذا كانوا أغلبية وتمكنوا من الحكم بالشريعة . وأنهم في البرلمان لإقامة الحجة وإيصال صوت الحق ، وتحقيق بعض المصالح الشرعية للمسلمين . وهذا النوع قلة اليوم في الصحوة .

4. الفريق الرابع يصرح صراحة بأن الديمقراطية كفر بالله وأن مبادئها تقوم على الشرك به والإلحاد في ألوهيته سبحانه. وأنهم يمارسونها في حدود حالات الاستضعاف التي تمر بها الصحوة. وأنهم لا يدخلون البرلمان إلا كأكثرية حيث سيتولون أول أعمالهم تشكيل حكومة تحكم بالشريعة. وإلغاء العمل بالديمقراطية بمفهومها الغربي. ولعل أوضح وأصرح هذا النموذج جبهة الإنقاذ في الجزائر لاسيما من خلال تصريحات شيخها علي بلحاج فرج الله عنه وأحسن خلاصة . وهذا النوع من الديمقراطية اقل الأنواع انحرافا وأندرها وجودا.

5. هناك نوع أخير لا يطمح بالوصول للسلطة ولا أمل له فيها بحكم ظروف بلاده ويعتبر المشاركة النيابية نوع من إيصال صوت الحق للناس عبر هذا المنبر. ويعتبر السلطات خارجة عن الشريعة وأن الديمقراطية مفهوم غير إسلامي. وأنه معهم في البرلمان هناك لتحقيق ما يمكن من المصالح للمسلمين وأن ليس بالإمكان أكثر مما كان في مثل حالة الاستضعاف هذه.

والجدير بالذكر أن مواقف (الإسلاميين الديمقراطيين) تتنوع تجاه مفهوم السيادة والحاكمية والمبادئ والمصطلحات الدستورية والمواقف من كفر الحاكم وإسلامه وكذلك الحكم على النظام ومؤسساته وهناك الكثير من الضبابية والتلون والباطنية والمواقف الإعلامية والكلام في الجلسات الخاصة. والتذبذب في المواقف من المسألة بين حوار وآخر وتصريح وآخر بحسب الأجواء والظروف أو الشجاعة الشخصية... الخ ولكن هناك واقعا يجدر ذكره وهو أن جميع الإسلاميين الديمقراطيين بلا استثناء وهم يدخلون في هذا المجال يقرون إما اعتقادا أو موافقة للحال بجملة من الأشياء ويلزمهم بذلك النظام الدستوري النيابي وقوانين الانتخابات ومن ذلك :

1. <u>الاعتراف بشرعية النظام وشرعية الحاكم سواء كان رئيسا أو ملكا أو أميرا.</u>
2. <u>الاعتراف بالدستور المعمول به في البلاد والقسم بالشرف والمعتقد على صيانته واحترامه والعمل به.</u>
3. <u>الاعتراف بالمبادئ الأساسية للدولة والنظام القائم و أسس تكوينه بحسب حالته.</u>
4. <u>الاعتراف بمبدأ المساواة في الحقوق السياسية من حيث حق الترشيح والانتخاب والتصويت داخل المجلس بصرف النظر عن الدين أو الجنس أو المعتقد أو أي اعتبار آخر.</u>
5. <u>الاعتراف بمبدأ تداول السلطة وحق الجميع في المنافسة والتمثيل النيابي.</u>

6. الاعتراف بمبدأ الالتزام بقرارات الأغلبية ونفاذها دستوريا وقانونيا بصرف النظر عن الموقف الخاص أثناء التصويت منها واعتبارها نافذة في الأمة بمجرد صدورها بالأغلبية.
7. الاعتراف والتوقيع على قانون الإنتخابات المعمول به بحسب كل حالة والتي تفصل فيها السلطات دائما القوانين بحيث تكون النتائج كما تشتهي.
8. الاحتكام للدستور والمحاكم الرسمية والقوانين المعمول بها حال المنازعات في أي إشكال بين السلطات التشريعية والتنفيذية والقضائية أو داخل مكونات أي من تلك السلطات.مع العلم المسبق بحق الرئيس أو الملك بحل البرلمان وتعليق الحياة الدستورية من اجلها كما في معظم الحالات. وهناك شروط أخرى يلزم بها المشاركون في العملية الانتخابية في بعض الحالات الخاصة ببعض البلدان كمنع تشكيل الأحزاب على أساس ديني مثلا كما في معظم البلاد العربية والإسلامية كالحالة في مصر. وكالاعتراف بعلمانية الدولة أساسا وبنية كما في تركيا مثلا وكالاعتراف بواقع الاحتلال المباشر كما في حالات مثل فلسطين والعراق اليوم.

ثانياً: الحصاد العملي لتجارب الإسلاميين الديمقراطيين عبر مسار الصحوة:

ليس للتجارب البرلمانية الديمقراطية للإسلاميين ما قبل الربع قرن الأخير أهمية كبيرة. فهي محدودة في بعض البلدان فقط حيث مارس الإسلاميون بعيد الإستقلال نشاطا ديمقراطيا في حكومات الإستقلال الوليدة ولمدة وجيزة ولم تكن الأمور قد تبلورت بعد . ولم تكن الدساتير قد وضعت بتفصيلاتها . ولم تكن تجارب الحكومات الوليدة قد نضجت بعد لحصار الإسلاميين وتكبيلهم بقوانين انتخابات معقدة لشل حركتهم.

ولعل أهم ما في هذا الملف هو مشاركة الإخوان المسلمين وبعض العلماء والإسلاميين في الإنتخابات والمجالس النيابية في كل من مصر وسوريا و الباكستان أو آخر الأربعينيات. وخلال الخمسينيات من القرن الماضي . إذ ما لبثت الانقلابات العسكرية في هذه البلاد أن عصفت بالتجربة وطوت صفحة الديمقراطية التي لم تعد إلا عندما قرر الغرب حصار المد الجهادي أو ما سماه (الإسلام المتطرف) بالمد الإسلامي الديمقراطي أو ما سماه (بالإسلام المعتدل) منذ أواسط الثمانينيات وخلال التسعينيات.

حيث قامت تجارب تستأهل العبرة منها و من دراستها للحكم على العملية واقعيا بعد معرفة حكمها الشرعي. لنخرج بعبرة مفادها بأن الحكم من منظوره الشرعي ومنظور الواقع التجريبي لممارسة الإسلاميين للديمقراطية يفيدان نفس النتيجة . وهي تأكيد لقاعدة أن مقتضى صريح العقل لا يتعارض مع مقتضى صريح النقل. وسبحان العليم القدير الذي يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير.

ولعل من التجارب المهمة خلال هذه الفترة في العالم العربي تجربة الإخوان المسلمين في مصر ، والتي افتتحت المسار تقريبا منذ أواخر عهد السادات أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات. ثم تجربة الحركة الإسلامية القومية في السودان بالتحالف مع نميري أواسط الثمانينيات. ثم تجربة الإخوان المسلمين في الأردن أواخر الثمانينيات. وكذلك تجربة الإتجاه الإسلامي في تونس الذي تحول إلى حزب النهضة في نفس الفترة. ثم تجربة الجبهة الإسلامية للإنقاذ أواخر الثمانينيات ومطلع التسعينيات. وتجربة بعض الدول الخليجية ولاسيما الكويت مطلع التسعينيات. وتجربة الإخوان المسلمين في اليمن مطلع التسعينيات. بالإضافة للتجارب الهامة للجماعة الإسلامية والإسلاميين وجماعات العلماء في باكستان منذ الاستقلال (1947) وإلى اليوم . وكذلك التجربة الهامة لحزب السلامة بزعامة أربكان في تركيا منذ مطلع الستينات وإلى اليوم. ولا أملك في ظروفي الحالية الوثائق والأرقام والتواريخ والوقائع الخاصة بكل تجربة من تلك التجارب وقد كنت قد جمعت منها شيئا كثيرا . ولا مجال للتفصيل في هذا البحث بطبيعة الحال . واكتفي بذكر عموميات ما عرفته عن تلك التجارب التي تفيد جميعها مؤدى واحد من النتائج كما سنذكره إنشاء الله. ونبتدأ بالتجارب الأقل أهمية لنختم بأهمها وأوضحها دلالة وهيا. التجربتان الجزائرية والتركية. كأفضل نموذجين على الديمقراطية وتطبيق الإسلاميين لها في العالم العربي والإسلامي فهما تمثلان سقف ما وصل إليه وحلم به الإسلاميون عبر هذا المسار.

- **من تجربة الإخوان المسلمين في مصر منذ عهد السادات:**

دخل الإخوان المسلمون البرلمان على عهد السادات. وكان أقصى ما حصلوا عليه 8 مقاعد ضمن 52 مقعد للمعارضة فيما كانت بقية مقاعد البرلمان البالغة أكثر من 460 مقعدا الحزب السادات الحاكم. ولم يتجاوزا حجم الأقلية المسحوقة ضمن أقلية معارضه غير فاعلة. وفي عهد مبارك حظر دخولهم بصفة مستقلة على أنهم حزب ديني فدخلوا من خلال التحالف مع الأحزاب العلمانية وحمل هويتها مرة مع حزب الوفد ومرة مع حزب العمل. وخرج فريق من شباب الإخوان فشكل حزب (الوسط) على أنه حزب غير ديني و أدخل فيه بعض النصارى والنساء !! . وتابعت الدولة العنت ووضع الخطوط الحمراء وتنقل الإخوان بين البرلمان والمعتقلات وما زالوا كذلك إلى يومنا هذا . وتابعوا التنازلات والرضوخ حتى رشحوا امرأة من الإخوان على قوائم تحالفاتهم في الإسكندرية مؤخرا ،.. و زداوا في تصريحاتهم انحرافا ولم يفد ذلك شيئا. ورغم أن الإخوان التزموا بكل الاعترافات المطلوبة من النظام إلى الدستور إلى قوانين الانتخابات التي فرضتها الحكومة .. ولكن دون أي فائدة أو جدوى. وما يزال مسلك الإخوان كما عبر عنه أحد قياداتهم رحمه الله في كتابه الذي جعل عنوانه (من السجن إلى الدعوة) ولو عاش لأضافا إليه ومن الدعوة للسجن ، وطبعه في مؤسسة (وهكذا دواليك) لتكتمل الحلقة المفرغة ..

- **من تجربة الإخوان المسلمين في الأردن:**

الإخوان المسلمون حزب رسمي مرخص له مكاتبه المعلنة في عمان وكافة المدن الأردنية ويعمل بصورة مشروعة رسمية. وقد قرر الإخوان دخول الإنتخابات وخوض التجربة منذ أواخر الثمانينيات. وكانت سياسة الملك حسين هي إفساح المجال لهم كلما أحاطت به الملمات إلى أن مات !. فكان عام 1990 ذروة أزمة بالنسبة له بسبب حرب عاصفة الصحراء وموقفه المؤيد للعراق فافسخ لهم المجال. وأعلن الملك عن أنه شكل لجنة من 65 (مشرع وقانوني !) هكذا باللفظ ..! لكتابة (الميثاق الوطني الأردني) وأن الأردن تجاوز مرحلة الضغوط التي حال بها العدو الصهيوني بين الأردن وبين مزاولة الديمقراطية ! !

وخاض الإخوان الإنتخابات البرلمانية وحازوا كتلة برلمانية كبيرة وأصبح رئيس البرلمان عضو الإخوان المسلمين (عبد اللطيف عربيات) وافتتح أولى جلساته بقوله (مولاي الملك حسين المعظم .. لقد أثبت أنك هاشميا أصيلا كما كنت دائما يعربيا أصيلا) .... وشكل الملك حكومة من الإخوان المسلمين فيها خمس وزراء. أذكر أنه كان من بينهم الأستاذ شاعر الدعوة الكبير يوسف العظم وزيرا للشؤون الاجتماعية. وتسلم الدكتور ماجد نجل الأستاذ عبد الرحمن خليفة المراقب العام للإخوان المسلمين وزارة العدل ! (أي وزارة الحكم بالقانون الفرنسي والإنجليزي بغير ما أنزل الله!..).. وانجلت أزمة الملك فأغلق المجال وعاد الإخوان لحجمهم المعهود .. ودخلوا في تحالفات إسلامية عريضة وشكلوا مع إسلاميين آخرين(جبهة العمل الإسلامي) ومنذ ذلك الحين مازالت الجبهة تدخل المحاولات البرلمانية وكان آخرها الإنتخابات التي حصلت أواسط 2003 حيث شرعت الدولة للإنتخابات طريقة الصوت الواحد للدائرة الإنتخابية فخرجت الأغلبية من المؤيدين للملك ولم تحصل الجبهة إلا على 15 مقعد ... وطعنت في مشروعية الإنتخابات ولكن بقيت في المجلس المطعون بهِ !

وخلال هذه التجارب كتب عدد من دكاترة الشريعة وعلماء الأردن عددا من الكتب والبحوث التي تؤطر وتنظر للفقه البرلماني المعاصر ! فذهب البعض لجواز دخول البرلمان (الهيئة التشريعية) وحرمة دخول التنفيذية لأنها حكم بغير ما أنزل الله . وذهب البعض لحل دخول الوزارة لأنها وظيفة وحرمة البرلمان لأنه تشريع من دون الله ! وذهب فريق ثالث لحل الوجهين .. وأفتى فريق رابع بحرمة الأمرين ،ولكنه على رأي الجماعة ! وعلى شباب الصحوة أن يصبروا فمن يتصبر يصبره الله! والدين يسر !

- **تجربة الإخوان المسلمين وحزب التجمع اليمني للإصلاح:**

ما أذكره أنهم خاضوا أول انتخابات قامت بعد الوحدة سنة 1993 بعد مصادمات كبيرة ومظاهرات من أجل وضع كلمة (**الشريعة هي المصدر الأساسي للتشريع**) في مقدمة الدستور العلماني والقانون الوضعي ! وبعد أن خرج أكثر من مليون مسلح في تظاهرات تحتج على الدستور وساروا إلى القصر الرئاسي . خرج لفيف من قيادات الإخوان والعلماء وعلى رأسهم الشيخ الزنداني وأعادوا الناس إلى بيوتهم درءا (**للفتنة**).! وكانت سياسة علي عبد الله صالح تقريب الإسلاميين من أجل كسر شوكة الاشتراكيين الشيوعيين القادمين من الجنوب مع الوحدة. ففتح الباب للإسلاميين وصار التجمع اليمني للإصلاح ثاني حزب في البلاد من حيث القوة. وكان قد وضع نظام! لحكم اليمن الموحد عبر مجلس رئاسي من 5 أعضاء. يرأسهم علي عبد الله صالح وبعضوية رئيس اليمن الجنوبي (علي سالم البيض) وعضوية (الشيخ عبد المجيد الزنداني) !

وأدت سيطرة الإصلاح لحصار الجنوبيين في البرلمان. فبدؤوا يعدون للانفصال بدعم من دول مجلس التعاون الخليجي والسعودية مما أدى للحرب التي أدت إلى خروج الاشتراكيين وسيطرة اليمن الشمالي على الجنوبي حيث قام الإخوان والإسلاميون عموما بالدور الأساسي للمجهود الحربي. فلما تمكن الرئيس صالح بعد الحرب عادت وقضى الرئيس منهم وطرا .. عادت السياسة إلى تقليص دور الإسلاميين فعادوا كتلة برلمانية محدودة . وفي دورة 1996. فاز حزب المؤتمر الذي يرأسه علي عبد الله صالح بأغلبية ساحقة أكثر من 70% وتقلص حجم الإصلاح كثيرا. وفي الدورة الأخيرة 2003 تكرر السيناريو .

أما في تونس:

فقد أدى نجاح حزب النهضة بأكثر من 86% من مقاعد الانتخابات التمهيدية أواخر الثمانينيات . إلى حل الحزب ومطاردة شيخه الغنوشي وعودة علي زين العابدين للنظام الديكتاتوري بدعم أمريكي وتحول الإسلاميون إلى مجموعة مطاردين في المهجر. وها هو زين العابدين قوم في إجراء انتخابات رئاسية خلال شهر أوكتوبر 2004 ، فاز فيها بطريقة ديمقراطية خالصة بنسبة 95,96 % . فقد غرم به الشعب إثر ولايتين مضتا وها هو يعشقه حتى الموت !

- **وفي الكويت:**

دخل الإخوان والسلفيون وبعض المستقلين من الإسلاميين انتخابات مجلس الأمة ودخلوا في صراعات مسائل الفساد وبعض الأمور الداخلية .. ، حيث لا يصل نفوذ المجلس إلى الأمور السيادية من السياسات الداخلية والخارجية التي تنحصر بالإرادة الأميرية التابعة للأمريكان و... وأذكر أن الحياة البرلمانية علِّقت في الكويت أكثر من مرة وحل البرلمان ... وفي آخر دورة انتخابية في أغسطس

2003 حصل الإسلاميون من مختلف الفصائل كالإخوان والسلفية على أكثريه في البرلمان .. والتجربة قيد الامتحان في عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق .لتثبت ما أثبتته دائما .

- **أما في باكستان:**

فقد دأبت الجماعة الإسلامية على لعب دور إكمالي في الصراع بين الحزبين العلمانيين الكبيرين في باكستان.. حزب الشعب الذي كانت ترأسه العلمانية الشيوعية الفاجرة (بنزير بوتو) . و حزب الرابطة الإسلامية الذي أسسه (نواز شريف) بعد مقتل ضياء الحق الذي كان قد عطل الحياة الدستورية. وقد تبادل الحزبان السلطة عدة مرات كان آخرها حكم نواز شريف للباكستان حيث برمجت أمريكا انقلاب (برويز مشرف) عام 2000 لتعطيل الحياة البرلمانية ثانية ثم أعاد مشرف شكلا من أشكال الحياة البرلمانية وتجمع الإسلاميون من الصوفية والجماعة الإسلامية وبعض علماء الديوبند وبعض الشيعة وغيرهم في (مجلس العمل المتحدMMA). وحازوا المراكز الثالث في الحجم حيث فاز أحد أجنة حزب الرابطة بالأغلبية وفاز بعده حزب بوتو وجاء مجلس العمل في المرتبة الثالثة إلا أنه حاز المركز الأول في ولاية سرحد حيث تتكون باكستان من أربع ولايات ترتبط فدراليا بإسلام أباد وتتمتع حكومات الولايات باستقلالية داخلية.. وما يزال المد والجزر بين مجلس العمل من جهة ومشرف من جهة أخرى و حيث خصفت له الحكومة السياسية. وسرعان ما دخلت في فلك مشرف والسياسة الأمريكية واقتصر دور الإسلاميين على الإصلاح الجزئي في بعض القوانين الإسلامية البسيطة في دائرة سرحد. وعلى الاحتجاج والتظاهر والصياح في المسيرات الغاضبة على سياسات مشرف التي جعلت من باكستان مستعمرة أمريكية بالكامل. (راجع كتاب باكستان مشرف - المشكلة والحل والفريضة المتعينة – للمؤلف) .

إلا أن أبلغ العبر كانت في المثال التركي والجزائري الذي كان يجب أن يشكل نهاية للآمال الديمقراطية لدى الإسلاميين ونقطة لإعادة تفكير قيادات الصحوة الإسلامية في جدوى الطريق البرلماني كسبيل لإعادة حكم الشرعية بما أنزل الله ولوضع حلول لمشاركة الأمة وقد عايشت هاتين التجربتين عن قرب وعن كثب ولاسيما في الجزائرية. وإليك الخلاصة:

- **التجربة الديمقراطية للإسلاميين في تركيا:**

تمكن حزب السلامة الإسلامي التركي بزعامة البرفسور نجم الدين أربكان من الفوز عبر الانتخابات والوصول إلى منصب نائب رئيس حكومة سنة 1969 فيما اذكر.. وقد أدى تمدد الإسلاميين إلى انقلاب عسكري أطاح بالتجربة الديمقراطية في تركيا وعاد بالبلاد إلى حكم العسكر. وبعد مد وجزر عاد السياسيون لتسلم زمام الأمور في السلطة مع الاعتراف بهيمنة العسكر على

السياسات العامة. ولكن حظر حزب السلامة الذي غير اسمه وعاد إلى معاودة المحاولة تحت اسم (حزب الرفاه) .. وعلى مدى عقد من الجهود تمكن (حزب الرفاه) من إحراز الأكثرية النسبية في انتخابات 1996 البرلمانية حيث حاز لوحده على نسبة 21% من مجموع الأصوات حيث لم يحرز اكبر الأحزاب العلمانية بعده أكثر من 18%. وقامت الدنيا وما قعدت واعتبرت هذه النتيجة في الغرب ناقوس خطر. وشكل أربكان وزارة ائتلافية برآسة لم تعمر إلا سنة واحدة .. ورغم أنه استجاب لكل الضغوط وحصلت في عهده تنازلات رهيبة مثل التوقيع على التعاون العسكري مع إسرائيل وسوى ذلك ، إلا أن ذلك لم يغير من النتيجة فقد تمكن العلمانيون من عمل انقلاب سياسي دبر لأربكان والرفاه خلالها تهما ملفقة حكم بموجبها عليه بإبعاده عن السلطة وحل (حزب الرفاه) ومنع أكبر قياداته من بينهم أربكان من مزاولة العمل السياسي.. وعاود الإسلاميون الكرة وشكل فلول (حزب الرفاه) حزبا جديدا باسم (حزب الفضيلة) الذي خاض الإنتخابات مرة ثالثة وتحول إلى أقلية ثم تعرض للحظر والمضايقات للمرة الثالثة.. ليشكل (رجب طيب أردوغان) أحد أعوان أربكان (حزب العدالة للتنمية) على أسس (علمانية إسلامية) وليخوض الإنتخابات مرة ثالثة ويفوز عام 2002 بأغلبية كبرى 36% من مقاعد البرلمان حيث تمكن من تشكيل حكومة ما تزال تعلن صباح مساء عن علمانيتها وتدخل في مد وجزر مع السياسات الأمريكية التي رسخت أقدامها في المنطقة حيث تحاول الحكومة التركية (**العلمانسلامية**) التوفيق بين جذور هويتها ومطالب الشارع الإسلامي وبين الضغوط الأمريكية من الخارج وتهديدات العسكر وضغوط العلمانيين من الداخل.

- **<u>التجربة الديمقراطية للإسلاميين في الجزائر:</u>**

في سنة 1989 أعلن الرئيس الجزائري الشاذلي ين جديد بعد (مظاهرات الخبز) الشهيرة سياسة للإصلاح جعل من أولياتها إطلاق حرية الأحزاب وإلغاء سياسة الحزب الواحد .. وسارع الإسلاميون من مختلف التيارات إلى تشكيل ما عرف باسم (الجبهة الإسلامية للإنقاذ) التي ضمت كامل الطيف الإسلامي تقريبا في حين بقي تجمعان من الإخوان المسلمين يعملان بصفة مستقلة هما (جماعة الإخوان) وجماعة (النهضة الإسلامية) المحلية في حين كان الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطنية) هو القوة الرئيسية في البلاد إلى ذلك الوقت منذ الإستقلال .. وخلال الإنتخابات البلدية اكتسحت جبهة الإنقاذ المجالس البلدية بنسبة أكثر من 85% واستطاعت عبر تماسها بالجماهير وقاعدتها الشعبية التي تجاوزت 3.5 مليون ناخب أن تدخل الإنتخابات البرلمانية بقوة أواخر سنة 1990 وتكتسح الأغلبية الساحقة في الدور الأول. مما أكد فوزها الساحق بالدور الثاني الذي سيتم مطلع 1991 وبالتالي تأهلها لأن تشكل الحكومة بشكل مستقل وأعلن زعيما الجبهة (عباسي مدني وعلي بلحاج) عزمها على إقامة حكومة إسلامية تحكم الشريعة .. استنفر الغرب عموما وفرنسا خصوصا

وهدد الرئيس الفرنسي ميتران بالتدخل العسكري إن لزم الأمر للحيلولة دون وصول الإسلاميين للسلطة .. وعلى عجل رتب الغرب انقلابا عسكريا مطلع 1991 قضى على الجبهة الإسلامية وسجن زعماءها واقتاد عشرات الآلاف من أنصارها للمعتقلات الصحراوية. مما فجر حركة جهاد واسعة الانتشار ودخول أطراف كثيرة على خط الصراع وتحول المواجهات إلى أعمال عنف وحرب أهلية دامية راح ضحيتها إلى اليوم أكثر من 150 ألف إنسان.

واليوم يعلن زعماء الغرب في تصريحات مختلفة مبدأ واحدا.. (نريد تطبيق الديمقراطية في العالم العربي والإسلامي ولكن بلا إسلاميين ولا أصوليين) وتحول هذا الطرح بعد سبتمبر إلى قولهم: (كل إسلامي هو أصولي متطرف وليس هناك معتدلون) وازدادت شروط العنت حتى أخرجت ما يسمى بديمقراطية وحياة دستورية نيابية عن فحواها من حيث الواقع وما زال بعض الإسلاميين يراها المجال الوحيد لتقديم ما يمكن تقديمه.

(راجع كتاب : ندوة روما في ظلال صليب الفاتيكان – وكتاب : شهادتي على الجهاد في الجزائر 1989- 1996 – للمؤلف) .

<u>خلاصة ما يستفاد من التجارب العملية للإسلاميين في الديمقراطية:</u>

1. أن الشعوب الإسلامية تعيش صحوة إسلامية حقيقية رغم مظاهر الفساد والإنحلال وألوان الفسوق التي تفرضها أو تسهلها السلطات لمحو معالم الدين من حياة المسلمين. وقد أثبتت التجارب أن أي بلد عربي أو إسلامي يخوض فيه الإسلاميون انتخابات ديمقراطية حقيقية فإنهم سيفوزون بالأغلبية.
2. أثبت الغرب ونوابه من الحكام في بلاد العرب والمسلمين أنهم مصممون على وضع العراقيل والخطوط الحمراء على طريق مشاركة الإسلاميين ومنع وصولهم لتحقيق كتل فاعلة في السلطات الثلاثة. كما ثبت أنهم مستعدون فيما لو لم تؤد هذه الموانع إلى تحجم دور الإسلاميين و تهميش وجودهم إلى اللجوء إلى الانقلابات السياسية أو العسكرية أو المؤامرات للحيلولة دون ذلك. وهكذا حالوا بين الإسلاميين و السلطة في الجزائر قبيل وصولهم بقليل وأطاحوا بهم بعد وصولهم بقليل في تركيا ونجحوا في تضييع جهودهم في باقي التجارب.
3. أثبت معظم (الإسلاميون الديمقراطيون) أنهم مستعدون لتقديم التنازلات تلو الأخرى بلا حدود ولا ضوابط . لا من الشرع ولا من المنطق . ولا من الكرامة السياسية المعقولة ، إزاء عنت السلطة و تلاعباتها. مقابل ممارسة ما يمكن ممارسته من هذا (العبث الديمقراطي المهين)..
4. أثبت كثير من الديمقراطيين الإسلاميين استعدادهم لأن يكونوا جزءا من السلطة عبر انتمائهم لأجهزتها التشريعية وجزءا من جهاز الحكم عبر تسلمهم الوزارات بصرف النظر عن مناقضته ذلك لصريح الدين ولوازم ذلك مما لا يسوغه دليل ولا يقوم عليه برهان .

5. أثبت كثير من (الإسلاميين الديمقراطيين) اشتراكهم إلى جانب حكوماتهم التي صاروا جزءا منها ومن سلطاتها الثلاثة أو بعضها أنهم مستعدون تحت شعار (مصلحة الدعوة) إلى محاربة التيار المجاهد والنخبة المقاومة للحكام وأعوانهم المستعمرين في الأمة. وذهب بعضهم إلى أمثلة مخزية نعرض عن ذكرها هنا للحفاظ على المنهج الذي اخترناه للكتاب..

6. حقيقة الأمر أنه وكما كنت قد توصلت إلى ذلك وأعلنته في محاضرة لي بعنوان (المعادلة السياسية للنظام العالمي الجديد) ألقيتها في بيشاور في مركز النور في جمع من المجاهدين العرب صيف 1990 ..فقد أثبت الإسلاميون الديمقراطيون أنهم مستعدون لأن يكونوا جزءا من قوى النظام العالمي الجديد وأن يسيروا في ركاب مخططاته من حيث شعروا وأرادوا أو جهلوا ولم يدركوا ما يفعلون بسبب انخراطهم في هذا الفخ الديمقراطي الخطير.

وفي الختام هنا يجدر بنا أن نعرض لبعض اللفتات السياسية الشرعية في موضوع ممارسة الديمقراطية من قبل الإسلاميين والتي تشكل خلاصة وجهة نظرنا في هذا الموضوع:

ممارسة الإسلاميين للديمقراطية في ميزان السياسة الشرعية الإسلامية.

باختصار ومن خلال ما سبق يمكن القول بأن (الديمقراطية) بصفتها فلسفة ومعتقدات فكرية وبصفها نظام حكم له تفاصيله وقوانينه، تتناقض تناقضا كاملا مع عقيدة الإسلام. وتصادم بشكل واضح جوهر عقيدة توحيد الألوهية كما سبق بيانه. حيث أن عقيدة الإسلام تجعل حق التشريع والتحليل والتحريم والإباحة والمنع لله سبحانه وتعالى. وتجعل له وحده حق الحكم النافذ الملزم الذي تستوجب طاعته الثواب ومخالفته العقاب في الدنيا والآخرة. في حين أن الديمقراطية تنص صراحة على جعل هذا الحق للبشر. وتجعل أحكامهم نافذة واجبة التطبيق بمقتضى إرادة الأغلبية التي تعبر عن إرادة الشعب وممارسة الأمة لحق السيادة المطلقة كما بينا آنفا. سواء وافق هذا شرع الله أم خالفه . فمبادئ الديمقراطية من هذه الوجهة هي إما كفر بالله أو شرك به. وهذه النقطة هي أساس حرمتها و مصادمتها لدين الإسلام وهي التي تفرعت عنها من بعد كل مناحي تناقضاتها مع عقيدة التوحيد.

وأما عن وجوه تناقض الديمقراطية مع دين الإسلام. فمن ذلك:

أولا: تعطي الديمقراطية لكل مواطن حرية الاعتقاد والتفكير . فله أن يعتقد بما شاء ويكفر بما شاء.. وأن يبدل معتقده و قناعاته بحسب هواه وآرائه الشخصية.

وهذا مناقض تماما لمفهوم الحرية في شريعة الله. فالإنسان في دين الإسلام ، ليس حرا في أن يكفر بالله ويشرك به.. فالمسلم حكمه إن ارتد عن الإسلام في شريعة الله القتل كما روي عنه صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح (**من بدل دينه فاقتلوه**). ولم يقبل رسول الله صلى الله عليه

وسلم وخلفاؤه الراشدون من بعده من العرب إلا الإسلام أو السيف. وأمر الله تعالى رسوله والمؤمنون أن يقاتلوا الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون . وأن يخيروهم بين ثلاث (الإسلام أو الجزية أو الحرب).. فقال تعالى:

﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ التوبة/29.

وقال: ﴿ قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِنْ تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْراً حَسَناً وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَاباً أَلِيماً) الفتح/16.

وليس هنا محل الاستطراد والشواهد كثيرة في نصوص القران والسنة والسيرة وتاريخ صدر الإسلام.

<u>ثانيا</u>: تعطي الديمقراطية للإنسان حق التعبير عما شاء بما شاء كيفما شاء ومتى شاء! .. عبر كافة وسائل التعبير من كتابة وخطابة وإشارة وصحافة وغير ذلك..

في حين تقنن الشريعة الإسلامية وبدقة وتفصيل كبير حق التعبير. هذا فليس للإنسان أن يستعلن بالكفر وليس له مسلما أو ذميا أن يستعلن بالاعتداء على الدين وشعائره ومقدساته.. والتفاصيل كثيرة جدا جدا. ففي دولة الإسلام؛ من استهزأ بشعائر الإسلام من المسلمين ارتد فيستتاب أو يقتل.. ومن شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل بلا استتابة ومن فعل ذلك وكان ذميا نقضت ذمته وقتل. ولا يبيح الإسلام كما يزعم بعض زنادقة الدعاة من (الإسلاميين) كما يسمونهم! تحت دعاوى الحريات السياسية في الإسلام أن تكون للكفر صحفه ودعاته في دولة الإسلام

وليس للإباحيين أن يكون لهم صحف عري ودعارة.. وليس لمحطات التلفاز والصحف أن تستعلين بالغناء والطرب والمجون والاختلاط وعروض الأزياء و..و..و...

فحرية التعبير مصانة في حدود الشريعة وما أحل الله وما حرم ..كما كل صغيرة وكبيرة في دولة الإسلام . ووجه التناقض بين ما تتيحه الديمقراطية وما يسمح به الإسلام لا يمكن استقصاؤه في هذه اللمحات الموجزة ولكنه أوضح من بيانه هنا..

<u>ثالثا</u>: تستند الديمقراطية في أساس مبادئها إلى مبدأ (المساواة المطلقة) بين البشر بصرف النظر عن العرق أو الجنس أو اللون أو الدين أو العلم أو غيرها من الفوارق ..

ولكن المساواة في مفهوم الإسلام هي على أساس التفاضل في الدين ، ثم في التقوى والعلم وما خص الله به الرجال على النساء من حقوق وواجبات. وغير ذلك..

فالديمقراطية تسوي في حقوق الترشيح للمناصب أو التصويت عليها أو على أي تشريع بين الناس .. بين الكافر والمسلم .. والمؤمن والملحد والبر والفاجر و الخلوق والفاسق والعالم والجاهل والرجل والمرأة والعدل وساقط العدالة.. إلخ ولكن للإسلام منظورا آخر.. قال تعالى :

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ * مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾ (القلم:35-36) . وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ ﴾ (الزمر: 9) ، وقال تعالى : ﴿ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَاالأُنْثَى ﴾ (آل عمران: 36) ..وقال عز من قائل:

﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللَّهُ ﴾ (النساء: 34). وروي عنه صلى الله عليه وسلم قوله: (**من بدل دينه فاقتلوه**) .(**ما أفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**) .

ونصوص الشريعة لا تبيح الإمامة – أي شكل من الإمامة على المسلمين – لكافر أو مرتد ، بل ولا لظالم مبتدع من المسلمين إبتداءا . قال تعالى : ﴿ وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَاماً قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (البقرة:124) . كما تنقض إمامته لو طرأ عليه الكفر والردة إجماعا . وبالفسق والظلم بحسبه على خلاف بين العلماء .

كما تكفل الشريعة للذمي الكافر حقوقه الدينية والشخصية . وألا يُعتدى على دمه وماله وعرضه وذمته ، ما لم ينقضها بعدوان .

ولكن الشريعة لا تجيز استعمال الكافر في أي من أمور الدولة ، ولا تبيح أن يكون في مكان يكون له فيه يد على مسلم . قال تعالى : ﴿ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء:141) . بل إن الشريعة تجرد المسلم الفاسق المجاهر بالمعصية من عدالته ، وتنزع منه حتى حق الشهادة ..

وإدارة الدولة في الإسلام لأهل الحل والعقد من أولي الأمر من العلماء والأمراء المسلمين المؤمنين ولا حق فيها لكافر ولا مجاهر بفجور من المسلمين . وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم قوله :(**ليليني منكم أولي الأحلام والنهى**).. فالمسؤوليات ليست حتى لعوام المسلمين فضلا عن الفاسقين غير العدول منهم بله الكافرين .

ولما رأى عمر رضي الله عنه اجتماع الناس من القبائل والأعراب على باب سقيفة بني ساعدة ، فيما كان سادات المهاجرين والأنصار من الصحابة مجتمعين لبحث خلافته صلى الله عليه وسلم . خرج إليهم رضي الله عنه و سألهم فيم اجتماعهم وعما جاء بهم، فأجابوه بأنهم جاؤوا ليشاركوا في الأمر ، أمر الولاية بعده صلى الله عليه وسلم . فقال لهم :(ليعد صاحب المصنع إلى صناعته

وصاحب العمل إلى عمله. إنما الأمر للمهاجرين والأنصار من أهل المدينة والناس بعد ذلك لهم تبع) هذا بعض وجوه تناقض الإسلام والديمقراطية في المساواة ..

رابعا: تعطي الديمقراطية لنواب الأمة في البرلمان حقا زائدا من الحصانة في التعبير والإدلاء بآرائهم وتعفيهم من المتابعة والمقاضاة تبعا لما يصرحون به من آراء.

وعلى هذا نصت معظم دساتير الدول الديمقراطية . وحتى الهمجية الديكتاتورية التي تزعم الديمقراطية في بلاد المسلمين ..

ومن هنا يحق لكل ملحد وعلماني وصليبي ومارق ، ما دام عضوا في البرلمان أن يتفوه بما يريد.. ويدعوا للتشريع لما يريد .. ويجحد ما يريد .. ويدعو لقداسة ما يريد ، وللتحليل والتحريم برأيه.. وفي هذا ما لا يخفى من جحود الشريعة والاستهزاء بها بصورة مباشرة أو غير مباشرة ، والدعوة لتحريم ما أحل الله ، وتحليل ما حرم الله ، فضلا عن الهزء بشعائر الدين ومقدساته وما إلى ذلك ..

فكيف بالمسلم عضو البرلمان أن يجلس في هذه المجالس والله تعالى يقول: ﴿ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً ﴾ (النساء:140) . لا إله إلا الله .. و سبحان من أحاط علما بالأولين والآخرين وما كان وما سيكون..

خامسا: تنص مبادئ الديمقراطية والفقه الدستوري المنبثق منها على أن التشريع يأخذ مشروعيته من وجود أغلبية مؤيدة وأقلية معارضة.. وينصون على أن لا دستورية لقانون بغير حق معارضة..

ومن هنا يأخذ التشريع قيمته الديمقراطية. إذ لو امتنع حق المعارضة لصار تشريعا ديكتاتوريا ومفروضا لا يستحق أن يأخذ صفته الدستورية لأن الأمة (صاحبة السيادة والجلالة) وفق هذه الفلسفة لم يستوف أفرادها حقهم في المعارضة . وعلى هذا فالتشريع انبثق عن تأييد ومعارضة.. أي بمعنى أنه قد شارك في التشريع من أيد بتأييده . وشارك فيه من عارض بمعارضته. فلما غلبت أكثرية المؤيدين أقلية المعارضين أخذ التشريع طريقه للإقرار ومشروعيته من خلال وجود أقلية معارضة.

فالمعارض شريك المؤيد في صناعة التشريع.. وهذا ما قاله رئيس البرلمان المصري الهالك (رفعت المحجوب) لمندوب عن الاخوان المسلمين في البرلمان المصري عندما صاح الأخير معارضا أحد التشريعات بأنه وحزبه لا علاقة لهم بذاك التشريع المخالف لشريعة الله .. فصفعه رئيس المجلس بهذه القاعدة ، وأفهمه أنه شريك بمعارضته في التشريع – ورحم الله من عرف اللغة التي يجب

محاورة المحجوب بها فأطاح برأسه وحجب عنه الحياة . إذ تجرأ أن يحجب حكم الله تعالى . فقتله المجاهدون في مصر- فلينظر الإسلاميون إلى دورهم في إقرار ما خالف شرع الله رغم معارضتهم له.

سادساً: وهذه النقطة من أعظم مظاهر حرمة المشاركة في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان.

إذ تنص الديمقراطية على التزام جميع الأعضاء في المؤسسات الديمقراطية وعلى رأسها البرلمان على مبدأ حرية تأييد أو معارضة أي تشريع أو قانون أو قرار مطروح للتصويت. ولكن ...

وضع ما شئت من الخطوط الحمراء تحت هذه الـ (لكن) :

يقر الجميع سلفا بمبدأ دستورية أو مشروعية أي قرار وأخذه قداسة التشريع حال التصويت عليه بالأغلبية. وإلزام الأمة به بصفته حلالا صوابا واجب الإنقاذ على جميع أفراد الأمة .. بدءا من رأس الدولة (نظريا) . وانتهاء بأصغر فرد في الأمة (فعليا) مرورا بأعضاء البرلمان أنفسهم بمن فيهم من أيده أوعارضه.

فلو طرح مشروع لتقنين الربا أو أي محرم من المحرمات الصريحة.. أو السياسات المحرمة أو الخيانية مثلا. وهذا مثال قد تكرر كثيرا في جميع برلمانات البلاد العربية والإسلامية .. فقد وقف (الإسلاميون الديمقراطيون) بالطبع موقف المعارضة.. وفازت كل تلك التشريعات المحرمة شرعا بالأغلبية نظرا بسبب لأغلبية العلمانية كما هو واقع الحال دائما حتى الآن. وهنا يأخذ التشريع صفته الدستورية من الأغلبية المؤيدة والأقلية المعارضة كما أسلفنا. وقد سلم (الإسلاميون)! كما كانوا قد أقروا سلفا بحكم قوانين اللعبة الديمقراطية، بإلزام الأمة بهذا التشريع. وبالرضا به وبالالتزام به والعمل على إنفاذ في الأمة والحكم به بغير ما أنزل الله..

فمن أين استباح من يسمون أنفسهم (إسلاميون) هذا!. ولكي يزداد الأمر وضوحا نأتي بمثال (شنيع) حتى يحصل الفهم بالصدمة!

فلو اجتمع نفر من الرجال. ليصوتوا - ديمقراطيا - على أن يزني كل واحد بزوجة الآخر وأن يجعلوا ذلك تشريعا يبيح أو يلزم الأمة بذلك!! وكان فيهم (أخيار) و(فجار). واتفقوا على حرية التصويت والاختيار والتعبير. ولكن على أن يلتزم الجميع بفعل ذلك إن خرجت نتيجة التصويت بالأكثرية ومنعه إن غلب المعارضون..

فما حكم أن ينتسب شريف لمثل هذه الجلسة. مع علمه المسبق بأن أكثرية الحاضرين من (الدواويث)؟!. وهل يكفيه أن يقول: أنا أرى أن مصلحة الدعوة والمساهمة في إخراج تشريعات لعمارة المساجد والأمر بالمعروف من هذا المجلس، تقتضي أن أشهد التصويت على هذا القرار !

فهل يمكن أن يسمى من يقبل مثل هذا ويلتزم بإعارة (زوجته) وتقنين هذه الموبقة وإلزام المسلمين بها كي تشيع الفاحشة في الذين آمنوا وفقا لرأي الأغلبية ، مع الاحتفاظ (بشرف) حق الرفض أثناء التصويت ، فهل يسمى من يقبل هذا، إلا ديوثا.. بل شيخ الدواويث المعمم !

وأرجو من القارئ ألا يستغرب المثال ! فهل فظاعة واقعة اغتصاب حق التشريع من الله سبحانه ، أو عشرات وقل مئات التشريعات وآلاف القوانين والقرارات التي تصدر عبر البرلمان من تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله وإقرار السياسات الخبيثة والقرارات الخيانية الداخلية والخارجية؟! أقل فظاعة عند واحدهم من فظاعة تقديم عرضه! على مائدة التصويت لأغلبية الدواويث ؟! أما لدين الله وعرض الأمة حرمة تستأهل الغيرة .

فقد أقسم الجميع بشرفهم ومعتقداتهم ، وربما على القرآن عندما ترشحوا وعندما فازوا بعضوية الإنتماء إلى البرلمان أو الحكومة على احترام الدستور. وقوانين الأغلبية هذه و إنفاذها.

وأظن أن الأمر واضح. بل بالغ الوضوح. ولكنها كما قال تعالى : ﴿ فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ الحج/46.

وبالله أقسم غير حانث - إن شاء الله - أن الغالبية العظمى من علماء وفقهاء الديمقراطيين الإسلاميين هؤلاء .. يعلمون هذا الحق الذي أسلفت . وهم الذين علمونا إياه لما التحقنا بصحوتهم الإسلامية قبل عقدين ونصف من الزمن ، ولكنهم يخالفونه اليوم للهوى . كما قال تعالى : ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (النمل:14) .

سابعاً : وهذه خاتمتها .. وختامها (زفت) !

تنص الديمقراطية البرلمانية. ومبادئ سيادة الأمة وحكم الشعب والمؤسسة الدستورية ذات (السَلَطَات) الثلاث. التشريعية والتنفيذية والقضائية.

تنص على الاحتكام للدستور. وللسلطة القضائية ومؤسساتها، من المحاكم المتنوعة وعلى رأسها المحكمة الدستورية العليا. حال الاختلاف بين أعضاء السلطة الواحدة أو السلطات المتعددة.

من أجل فض المنازعات والخصومات والطعون المقدمة من النواب بين بعضهم أو بين البرلمان والوزارات أو بين أي مستوى و آخر على مستوى المواطنين والمؤسسات ..

ومن الواضح والمعروف أن الدساتير كلها وضعية والقوانين علمانية لا دينية. وسيكون التحاكم بين الإسلاميين والسلطات حال الإختلاف إلى الدستور إلى تلك القوانين التي فصلت على أيدي الأعداء والخصوم عبر محاكم السلطات ذاتها ووفق قوانينها!!.. ولا أصلح لو صف هذا الحال من قول المتنبي المشهور جدا..

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

فلا يكفي أنهم قد تحاكموا إلى الطاغوت ! وبغير ما أنزل الله ! ليكتمل البلاء بأنها محاكمة للخصم وإليه !.. وإلى قضائه ودستوره ومحاكمه.. ثم انتظار إحقاق العدالة والوصول كما يحلمون

إلى تحكيم الشريعة . من خلال هذه النجاسات المتراكمة ! التي تزكم أنف من كان له أدنى فطرة سليمة .

ومن هنا يتبدى للباحث المنصف عدم مشروعية ولا منطقية مصطلح:

(**ديمقراطية إسلامية**) أو (**إسلاميين ديمقراطيين**).

فالديمقراطية عقيدة متكاملة مستقلة. قد صار لها عبر العصور القديمة والحديثة تفاصيلها الدستورية والقانونية في كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية والدينية وغير ذلك وهي بلا شك (**دين معاصر ونظام حياة**) يتضمن تفاصيلا وأركانا أوضح بكثير وأشمل من (دين النصرانية) فضلا عن سائر الأديان الوثنية وغيرها..

ويعد معتقدوها في العالم اليوم أكثر من تعداد أي دين آخر .. فقولهم :

(**ديمقراطية إسلامية**) هو من حيث المنطق كالقول (**نصرانية إسلامية**) أو (**يهودية إسلامية**) أو (**بوذية إسلامية**) كمصطلح.

وأما إطلاق مصطلح (**إسلاميين ديمقراطيين**) فكلام لا معنى له ، يناقض أوله آخره وآخره أوله.

وهو لا يختلف من حيث منطق الدلالة والتناقض على قولنا (**إسلاميين مسيحيين**) أو سوى ذلك من الخلط غير الممكن لا منطقا ولا شرعا..

بل إن كلمة (**إسلاميين ديمقراطيين**) تعني إذا فهمنا المدلول بحسب دلالة ومحتوى كل كلمة تعني (**مسلمين مشركين**) لأن مدعي هذه الصفة ينتمي إلى الإسلام بشهادة لا إله إلا الله محمد رسول الله ... ثم يشر ك وينتمي من حيث دلالة الشطر الثاني من المصطلح إلى من يشرك البشر مع الله في حق التشريع والتحليل والتحريم بحسب ما مر معنا من تفاصيل.

لأن مقتضى الديمقراطية بحسب فحواها هو انتزاع حق السيادة والتشريع من الله - سبحانه وتعالى عن جحود الجاحدين - وإعطائه للبشر أو إشراكهم معه في هذا الحق الإلهي..

فإن معتقدي هذه العقيدة (الديمقراطية) صاروا عبدة لطواغيت البشر وعبدوا الناس لهم طوعا أو كرها.

وهناك ملاحظة هامة جدا وهي:

إن بعض أقوال الإسلاميين الديمقراطيين وأعمالهم هي من أقوال الكفر و أعمال الكفر يقينا . وأما إسقاط حكم الكفر العيني على آحاد مرتكبي ذلك ، فله ضوابط معتبرة لدى أهل السنة والجماعة . من قبيل إقامة الحجة و انتفاء الجهل ، وتحقق الشروط و انتفاء الموانع ...

وهذا يكون من قبل من له أهلية القضاء . وليس من قبل عوام الناس ولو كانوا من المجاهدين أو الدعاة الإسلاميين ، فضلا عن الجاهلين والمتخوضين بغير علم .

<u>وهذا الحكم الشرعي العام لا يعني كفر كل ديمقراطي إسلامي كفرا عينيا .</u>

هذه هي الحقيقة شرعا ومنطقا بحكم مدلول دين الإسلام ومعتقد الديمقراطية على حقيقتها. مهما تبدوا هذه الحقيقة والصراحة مفجعة. ومهما تصادمت مع أهواء البشر والناس وما تعود تقديسه اليوم.

فلعل كلمة (ديمقراطية) من أكثر الكلمات تداولا اليوم في وسائل الإعلام من بين مصطلحات السياسة وعلى كافة موائد الحوارات ومن أكثر الكلمات والمبادئ قداسة واحتراما..

وهناك تمحكات كثيرة. وشبه متعددة وردود يثيرها هؤلاء الذين يسمون أنفسهم (إسلاميون معتدلون) أو(ديمقراطيون) .. ولا أريد الاستفاضة باستقصائها والرد عليها هنا ..

ولكن أهمها اثنتان واحدة يتخذون منها حجة للإنتماء للبرلمان أي (السلطة التشريعية) التي تنازع رب العزة جل جلاله في حق التشريع. والأخرى يجعلون فيها دليلا للإنتماء إلى (السلطة التنفيذية) وتسلم الوزارات والمناصب الرسمية. فينتمون بها إلى الكيان الحاكم بغير ما أنزل الله.

<u>أما الأولى:</u>

فهي أنهم يجعلون من قوله تعالى :(**وشاورهم في الأمر**) وقوله تعالى :(**وأمرهم شورى بينهم**) وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بفعل **الشورى**. دليلا على جواز أن يضم البرلمان من هب ودب من المسلمين والعلمانيين والملحدين والمؤمنين والرجال والنساء و الجهال والعلماء والعدول والساقطين.. ليكونوا محل شورى لولي الأمر..بل محل تشريع بالأغلبية!! ورد هذه الشبة السخيفة أوضح من أن يتجشم بيانه.

ولله در العلامة المحدث أحمد شاكر عندما شرح في كتابه عمدة التفاسير بعض ما يتعلق بقوله تعالى : ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بينهم ﴾ (الشورى: 38) ، وقوله تعالى: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ (آل عمران: 59) .

قال ما أستفيد منه كشاهد هنا وأشرحه موضحا بما يلي :

قال بأن الضالين و الجهال ، في هذا الزمان قد اتخذوا من هاتين الآيتين هزوا ليثبتوا ما يذهبون إليه من ضلالهم ، فاعتبروها دليلا على مشاركة كل بر وفاجر. وكافر وزنديق في عملية الشورى وحق السلطة بدعوى الديمقراطية . وأوضح رحمه الله بأن الآيتين صريحتين بقوله تعالى (وأمر**<u>هم</u>**) ، (بينـ**<u>هم</u>**) ، والـضمير : (**<u>هم</u>**) عائد على المسلمين المؤمنين ، الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر ، وهي مبينة بقوله صلى الله عليه وسلم : (**ليليني منكم أولو الأحلام والنهى**) . أي أصحاب الدين والخلق والعقل والرأي السديد الراجح من وجوه القوم . وهي لا تشمل بحال ؛ العصاة و الفساق من المسلمين ناهيك عن الكفار والملحدين والزنادقة من علمانيين وشيوعيين ، (ولا حتى النساء

حتى المؤمنات المأمورات بما خصهن الله به من القدر والرفعة والعفاف واعتزال مجامع الرجال) . ناهيك عن ملحدات النساء من المسترجلات المتزندقات .

فأما الذميون من الكفار فهم رعية منصرفون إلى شؤونهم تحت رقابة الدولة محل العدل معهم لذمتهم ، ومحل الذلة والصغار لكفرهم .

وأما ملاحدة المسلمين فمكانهم – كما قال الشيخ رحمه الله – محلهم تحت السوط أو السيف . أي لتأديبهم بالسوط كي تشفى أدمغتهم من نزغات شياطين الإنس والجن . أو لقتلهم و إراحة البشرية من شرورهم ودنسهم . وليس محلهم المشاورة في مصالح المسلمين ..

فهذا الذي بينه الشيخ وشرحته بالمزيد ليفهم من عضل فهمه ..هو من بديهيات دين الإسلام وشريعة الرحمن ..وقد صار في هذا الزمان (البوشي الرامسفيلدي الكونديليسي - العبيكاني السديسي ..) التعيس ، صار من غرائب القول ..

هذا ناهيك عن أن المشورة هي في مواضع الفكر والاجتهاد وليس فيما أثبتته نصوص الشريعة والأحكام. فهذه محلها الانقياد لها والقول (سمعنا وأطعنا) ... وأما هذا الإلحاد الذي يدور في ردهات البرلمانات في بلاد المسلمين . فليس من الشورى وإنما هو من الكفر بالله والإشراك به ، وهي جلسات أقل مما يتوجب على المسلم أن يبتعد عنها ويكفر أهلها ويعاديهم.. ﴿ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى ﴾ (البقرة: 256) .

<u>وأما الثانية:</u>

فهو زعمهم حل تسلم الوزارات والمناصب في حكومات الفراعنة والطواغيت بدليل أن سيدنا ونبينا (يوسف) عليه السلام طلب هذه الوزارة وتسلمها من الفرعون عندما قال له (قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ) (يوسف:55) . وللأسف فقد كان شيخنا سعيد حوى – غفر الله له – من أوائل من أطلق هذه الفرية في كتابه (دروس في العمل الإسلامي) ، مطلع الثمانينات . ثم تتابع خرز المسبحة لما انفرطت ..!

وهذا زعم باطل من وجوه كثيرة. وأوضح أدلة البطلان لو سلمت النفوس من الأهواء. ومن احتراف استغلال نصوص القران في غير مواضعها.. يتبين من وجوه عديدة ومن ذلك :

أولا: نسأل هؤلاء (الإسلاميين الوزراء) في حكومات البلاد العربية و الإسلامية اليوم. **هل تسلمون بأن حكامكم هؤلاء فراعنة. كفار؟ مرتدون؟ .** لأن دليلكم وزعمكم هو(على جواز استلام الوزارة في حكومة الحاكم الكافر الفرعون ؟) ... فإن قالوا لا. وحكامنا مسلمون فلا داعي للاستشهاد بهذه الحجة . لأن تسلم الوزارة عند ولي الأمر المسلم جائز من حيث المبدأ. وإن كان البعد عن الفجار والظلمة منهم هو المأمور به شرعا.

وإن قالوا نعم : فنطالبهم بإعلان ذلك . وإعلان وجوه كفر حكامهم وردتهم ثم براءتهم منها . ثم بيان وجهة نظرهم في المصلحة في عملهم عندهم وأدلة جواز ذلك بعد ذلك .

وليعلنوا كما أ علن نبينا يوسف – عليه السلام- أن حكامنا فراعنة كفار.. فقد قال يوسف : ﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ * مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إلا لِلَّهِ أَمَرَ أَلا تَعْبُدُوا إلا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾ (يوسف: 39-40) .

فأين قول يوسف عليه السلام وإعلانه أس التوحيد وأساسه ، من نعيق الديمقراطيين الإسلاميين بمديح الفراعنة والطبطبة عليهم ، ووصفهم بالملك صاحب الجلالة والعظمة !وأمير البلاد المعظم ، وسيادة الرئيس ..والسادة الوزراء أصحاب المعالي! وتدليس أحوالهم وأحوال دساتيرهم الكافرة والاحتكام إليها . !

ثانيا: فإن قالوا. نعم وأقروا بكفر حكامهم وأنهم فراعنة مرتدون ، ننتقل لإسقاط حجتهم هذه من وجوه عديدة..

1- إنه لو جاز لسيدنا يوسف أن يفعل هذا فهو من أحكام شريعة من قبلنا. التي لا تعتبر شريعة لنا إذا نسختها شريعتنا.. وشريعتنا ناسخة لهذا .. فالله تعالى يقول: ﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾ (المائدة: 44) بصفة العموم (من) أي كل من.. ولقوله تعالى: ﴿ لا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ ﴾ (آل عمران: 28) . وقوله : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (المائدة: 51)...

وقد بين علماؤنا المفسرون أن فاعل ذلك كافر مشرك من جملة الكفار بصريح اللفظ الذي حكم بأنه منهم

2- على فرض جواز ذلك بشروطه ووجوه قياسه الصحيحة. فليُنظر إلى تفاصيل استلام سيدنا يوسف عليه السلام لتلك الوزارة المزعومة عند الفرعون في كتب الآثار وأقوال السلف من المفسرين في ذلك :

** نقل بعض السلف أن فرعون مصر الذي كان في زمن يوسف عليه السلام قد أمن بدعوة نبي الله يوسف للتوحيد لما كلمه. نقل ذلك عن مجاهد في تفسير الطبري ج11/8 (<u>قال مجاهد: أسلم الملك الذي كان معه يوسف</u>). كما نقله ابن كثير عن مجاهد أيضا (أنظر ابن كثير تفسير الآية 56 من سورة يوسف)

** أن الله سبحانه وتعالى ذكر صراحة أن الملك قال ليوسف : ﴿ وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ ﴾ (يوسف:54) .

ووصف الله حاله بقوله: ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (يوسف:56) . وأشار القران إلى أن يوسف استطاع تطبيق شرع الله في مصر عندما حكم بأخذ أخيه فقال تعالى ﴿ كَذَلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ (يوسف: 76).

أي بحسب شريعة الملك ونظامه. ولكن يوسف طبق شريعة دينه ودين آبائه يعقوب وإسحاق و إبراهيم عليهم السلام وهي دين التوحيد.

فأين إذا وجه القياس بين فراعنة حكام بلاد المسلمين الذين يستوزر عندهم هؤلاء الدعاة الأدعياء وعلماء السلاطين ، وبين ملك مصر الذي :

- إما أنه أسلم كما دلالة ظاهر النصوص وروايات بعض السلف .
- وإما أنه مكن ليوسف وأسلمه مقاليد الحكم . حتى صار مكينا أمينا يتبوأ من الأرض حيث يشاء..

فهل هذا حال الدعاة الذين يتنقلون بين البرلمان والسجون ! فيتركهم الطاغوت تارة ، وينزعهم أخرى ! ويسجنهم تارة و يتيح لهم الترشيح أخرى ! يتبوؤون من السجون حيث يشاء الطاغوت وقت ما شاء. وليس كحال يوسف عليه السلام يتبوأ من الأرض حيث يشاء..

فهل تولى أحد من الدعاة وزارة أو حكما ممكنا تمكين يوسف في الأرض حتى يجعل فعله عليه السلام شاهدا لهم ؟!

هذه أهم استدلالات هؤلاء الزائغين من دعاتنا وعلمائنا وللأسف وقد بان سقوطها.

وأما غير ذلك من الاحتجاجات والمزاعم فمن ذلك: احتجاجهم بولاية النجاشي للحبشة من غير قدرة على أن يحكم بشرع الله.

و منها ادعائهم أنهم عندما يقسمون بالله على احترام الدساتير والقوانين الكفرية إنما يبيتون (سرا) ! نية استثناء الباطل والقسم على الحق فقط!

ومنها أنهم لم يدخلوا بنية التشريع وإنما بنية الإصلاح!

وغير ذلك فكلها متكآت متهافتة لا تثبت أمام دليل شرعي ولا تفسير منطقي ولا تحتملها مداليل اللغة العربية ولا لغة الهنولولو ! ..

ويضيق المجال عن سرد الردود على تلك الخزعبلات ، وليس محله هنا . وأعتقد أن مما أوردنا في هذا البحث الموجز من بيان حقيقة الديمقراطية وجوهر مبادئها. وعن حقيقة تطبيقها لدى

أهلها وتناقضهم مع مبادئها ذاتها ثم حقيقة وصور تطبيقاتها المضحكة في العالم الثالث ومنه الإسلامي والعربي في بلادنا .. وفي بيان حقيقة مفهوم السيادة في الديمقراطية والعلمانية وتناقضه مع مبادئ الحاكمية في الشريعة الإسلامية.. وفي نقلنا لبعض صور نتائج تجارب الإسلاميين مع الديمقراطية. وفيما ختمنا به من بيان تصادم حقيقة الديمقراطية مع جوهر دين الإسلام. ووجوه حرمة ممارستها.. في هذا كفاية لإيضاح الأمر. وألفت النظر إلى نقطتين هامتين وأكرر:

أولا: لا يعني اعتقادي وقولي بأن مدلول مصطلح (إسلاميين ديمقراطيين) يعني قولنا (مسلمين مشركين) من حيث دلالة كل كلمة في المصطلح على فحواها. لا يعني ذلك أني أعتقد بكفر كل من يدعون لأنفسهم هذا المسلك والمنهج من الإسلاميين الذين يمارسون الديمقراطية .. فأما المصطلح فهذه دلالته بحسب فحواه وليس لرأينا أن يزيد أو ينقص بدلالات المعاني .. وأما (اعتقاد الديمقراطية) فأمر آخر. وأما (ممارستها) فأمر ثالث . وأما الحكم العيني على أصحابها فأمر رابع. وأنا على اعتقاد من أدركت من سلفنا ومشايخنا وقادتنا في الصحوة الإسلامية الأصولية . وفي التيار الجهادي المبارك . بأن الاعتقاد بفحوى مبادئ الديمقراطية وتتقبله وتقديمه على النظام الإسلامي ، أو اعتقاد عدم مصادمته له ، وأن الديمقراطية هي الشورى ، ولا تناقض معها والاعتقاد . والتصريح بإعطاء حق السيادة للأمة والتشريع للشعب والحكم للأغلبية مهما ارتأت ... إلى آخر ما مر معنا تفاصيله. فهو كافر مشرك مرتد. وإن زعم أنه مسلم وأدى بعض الشعائر. فقد نقض اعتقادُه وإيمانُه بالديمقراطية أبسطَ حقائق ومقتضيات شهادته ألا إله إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ..ثم ينظر بعد ذلك بانتفاء الموانع للأعيان .

وأما من يمارس الديمقراطية فهم أشكال وأنواع . وبالتالي تختلف أحكامهم ..

ولكن بالعموم أنا على مذهب من يعتقد بأن من يعتقد كفر الديمقراطية ، ومناقضة فحوى فلسفتها وتشريعاتها لمعتقد الإسلام ودين التوحيد. ولكن من يمارسها من باب تأول حال الاستضعاف ، وأنها السبيل الوحيد المتاح لتحقيق مصالح يرجوها للدعوة والإسلام والمسلمين . وأنها السبيل الممكن للوصول إلى تحكيم الشريعة في مثل هذه الظروف ، ثم إبطال ما يتناقض معها. أو أنها السبيل الممكن للجهر بالحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإيصال صوت الحق للأمة .. إلى آخر ذلك فالمخلصون من هؤلاء معذورون بالتأويل في ممارسة الديمقراطية ودخول مؤسساتها. وإن كنت أعتقد أنهم مخطئون وآثمون . والله تعالى أعلم .

ولو ذهبت لأسرد أسماء من هم على هذا الرأي من العلماء لطال بنا المقام .. وهم أعيان ومشايخ وقادة الصحوة الإسلامية وعلمائها في هذا العصر .. ومنهم ذكرا لا حصرا : (جمهور المفسرين المعاصرين من أمثال الشيخ أمين الشنقيطي والشيخ أحمد شاكر والقاسمي والآلوسي ...

ومن العلماء : كافة علماء الدعوة في بلاد نجد والحجاز بدءا من الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وانتهاء بالمتأخرين – حتى علماء السلطان منهم - فهم في هذه المسألة سواء .

وكذلك علماء ودعاة الصحوة المعاصرون في بلاد الحرمين من أمثال الشيخ الطريري والشيخ سفر الحوالي الذي بين ذلك في كتابه الشهير – العلمانية – وكذلك الشيخ سلمان – رزقه الله - العودة . في كتبه وأشرطته . والشيخ محمد سعيد القحطاني . وأقرانهم مثل ناصر العمر والدويش والتويجري ....ومن الأردن الشيخ محمد نعيم ياسين ..وغيرهم .

كذلك كافة علماء الإخوان المسلمين قبل مرحلة الانحراف : مثل الشهيد عبد القادر عودة من مصر، والشيخ سعيد حوى والشيخ عبد الفتاح أبو غدة والشيخ عبد الله علوان رحمه الله . من سوريا ، والدكتور محمد عادل أبو فارس والدكتور أحمد نوفل والشيخ محمد نعيم ياسين من الأردن ، والأستاذ محمد أحمد الراشد وغيره من العراق ، والأستاذ فتحي يكن من لبنان.. والشيخ الزنداني وعلماء الإخوان في اليمن . والشيخ علي بالحاج من الجزائر..وكافة علماء ودعاة السلفية في العالم العربي والإسلامي..

ومن علماء ودعاة التيار الجهادي الشهيد سيد قطب . والشهيد عبد الله عزام . وكذلك علماء ودعاة الجماعة الإسلامية في مصر- قبل نقض الغزل أنكاثا - وعلى رأسهم الدكتور عمر عبد الرحمن والشيخ رفاعي طه ، وكذلك جماعة الجهاد في مصر وشيخهم الجليل عبد القادر بن عبد العزيز. [الذي أسرته اليمن وغدرت به وسلمته إلى مصر في مارس(2004)]. والدكتور الشيخ المجاهد أيمن الظواهري . ومن سوريا الشهيد مروان حديد وتلامذته وغيرهم من العلماء والدعاة . ومن الأردن الشيخ أبو محمد المقدسي..

وكتب ومنشورات التيار الجهادي بكافة تنظيماته وجماعاته طافحة بهذا المعتقد ...).

هذا ما حضرني من الذاكرة والقائمة تطول. فيمن يعتقد كفر الديمقراطية وكفر معتقديها اعتقادا .

فإن التلبس بذلك فعل من أفعال الكفر ينظر في حال فاعله وحظه من أحد الأعذار الأربعة المعتبرة شرعا عند أهل السنة والجماعة وهي: **الجهل، والإكراه، والتأويل، وانتفاء القصد.**

ولعل لهؤلاء حظ بأن يكون لهم بـ(التأويل) أو بـ(الجهل) عذر فيما تلبسوا به يخرجهم من مغبة الوقوع بالكفر.

وأعتقد أنهم بهذا المسلك ليسوا في موقع المجتهد المأجور بأجرين إن أصاب وأجر إن أخطأ.. و إنما هم عصاة آثمون لإتباعهم سبيل الباطل من أجل إحقاق الحق – إن صلحت نيتهم- وابتغاء نصرة دين الله بما حرم الله. فقد تعبدنا الله بالوسائل المشروعة كما تعبدنا بالأهداف الشرعية. هذا بالعموم .. ولهذا تفاصيل كثيرة ليس محلها هنا.

فإن صحت نية من يدعي خدمة دين الله بطريقة الديمقراطية. وسلم من الأهواء والمصالح الشخصية في أن تكون سببا لدخوله هذا المنزلق. ولم يقع في مزالق نواقض الإيمان من الأقوال والأفعال. ولم يتحول إلى أن يكون ضمن دائرة السلطة الحاكمة بغير ماأنزل الله باستلامه وزارة أو منصبا يكون فيها جزءا من الجهاز الحاكم بغير ما أنزل الله.. هذا إن سعى إلى أن يعارض كل تقنين أو تشريع يخالف شرع الله صراحة. فعند ذلك يكون له والله أعلم عذر بالتأويل يدفع عنه حكم الكفر. ولكنه ولا شك عندي أنه ضمن دائرة الإثم والمعصية لمخالفته ما شرعه الله من سبيل الهدى ودين الحق.والله تعالى أعلم .

فباختصار ذلك بكلمات قليلة أقول:

بأن من يمارس الديمقراطية من الإسلاميين ليس مجتهدا مأجورا ، وإنما هو مخطئ بين الكفر والوزر أو العذر . والله أعلم .

ويؤكد ذلك ما ترتب عبر تجاربهم خلال أكثر من نصف قرن من الفشل والتقهقر وترسيخ أقدام حكم الكفر والكافرين والمرتدين والظالمين وتمرير سياسات الطغاة وأسيادهم المستعمرين. دون تحقيق أي فائدة أو نتيجة معتبرة بل على العكس كان وجودهم ضمن دائرة (الملأ) في مؤسسات الفرعون شهادة زور حية متحركة على صلاح الفرعون وملئه بالشرعية أمام العامة . عامة المسلمين الذين يكنون للإسلام والمسلمين والعلماء والدعاة ورجال الصحوة التقدير ويعتقدون فيهم القدوة والصلاح.

[**وألفت النظر أني في كل ما أسلفت متبع لمذهب من يرى ذلك من العلماء والدعاة ولست صاحب الفتوى في ذلك وقد فصلته ونقلته وحسب**]..

أما غير الإسلاميين ، من الديمقراطيين العلمانيين ، فما علمناه ممن أدركناهم من جميع مشايخنا وأساتذتنا في الصحوة الإسلامية ثم الجهادية ، الإخوانية ثم السلفية .. أنهم كفار ملاحدة مرتدون . وليتأكد العلمانيون المذكورون هؤلاء - إن لا يصدقوني - من أساتذتنا الذين يجامعونهم

[1] تحت قبة البرلمان ، ليسألوهم عن رأيهم فيهم خلال جلسات الاستراحة ، على هامش اجتماعات التشريع من دون الله . فربما يصدقونهم ، وربما يُغَنُّوهم (موَّالْ) : (لِسَّهْ فاكرْ ؟ كان زمان !) ..

فلأساتذتنا هؤلاء فقه جديد يصلح له هذا الشاهد الطريف .

الأمر الثاني: أن هذا الكلام الصريح المباشر يأتي ممن يقوله كأمثالي اليوم مستغربا ومنكرا من قبل عموم الناس ، بل حتى في أوساط ما يسمى صحوة إسلامية معتدلة اليوم . نظرا للمكانة التي حققتها الديمقراطية عند جماهير المسلمين نتيجة جهود وسائل الإعلام والساسة من أعدائنا الخارجيين وأعوانهم المنافقين فينا. ولاسيما بعد ما صار زعم الاعتدال في أوساط الصحوة أسهل السبل للفرار من تهمة الأصولية والتشدد و بالتالي الإرهاب أو ربما حمل وشم الانتماء للقاعدة أو غيرها من الجهاديين (الإرهابيين) بحسب وصفهم وبحسب التصنيف الأمريكي..

ولكني أريد أن أذكر بأني أدركت عموم علماء الصحوة وقادتها وزعماءها وعموم دعاة الإسلام يوم انتسبت وأقراني من جيل الشباب لهذه الصحوة الإسلامية عامة و الجهادية خاصة أواخر السبعينيات ومطلع الثمانينيات من القرن الماضي وإلى نهايات التسعينيات الماضية.. وهم على هذا المعتقد ... وقرأنا ودرسنا عليهم ذلك في كل أدبيات الصحوة الإسلامية التي خطها أسلافنا رحمهم الله منذ الثلاثينيات وإلى سنوات قريبة جدا إلى نهاية القرن العشرين . وما تزال تملأ المكتبات ! وكان مقتضى كل ذلك ومعتقد الجميع في الصحوة الإسلامية و الجهادية في الديمقراطية هو ما ذكرت. ولمن شاء أن يراجع كتابات وأدبيات إعلام دعوة الإخوان المسلمين وفروعها ، والحركات المنبثقة عنها . وكذلك كافة علماء ودعاة الدعوة السلفية وأهل الحديث و السرورية وحزب والتحرير.. وسواهم من مدارس الصحوة . وكذلك فتاوى المعتبرين من أعلام علماء الإسلام وخاصة في عقر دار الإسلام بلاد (الحرمين) نجد وبلاد الحجاز وبلاد الشام ومصر والعراق بل وعموم بلاد العرب والمسلمين .. فستجدها جميعا مطبقة على هذا المعتقد.. بل أذكر تماما بأن عقيدة الحاكمية لله وأصولها التي درَسْناها شبابا ، ودرَّسْناها كهولا في الصحوة الإسلامية وفي التيار الجهادي على حد سواء.. كانت طافحة بهذه المعاني.. بل إني أذكر أن كلمة (**الديمقراطية**) كانت لا ترد في أدبيات الصحوة الإسلامية وكتب أهل العلم ودعاة الإسلام إلا دالة على الكفر بالله والشرك به ، والإلحاد بربوبيته . بدرجة لا تقل بشاعة عن كلمة (شيوعية) أو(إلحاد) أو(وجودية) أو(علمانية) أو (زندقة) ..

كما أذكر أنه لما أقدمت قيادة الإخوان المسلمين في سوريا (أيام إدارتها للمواجهة مع النظام النصيري في سوريا) على خطوتها التعيسة في إعلان التحالف الوطني مع الأحزاب العلمانية وكتبت

---

[1] جامع بمعنى اجتمع وجالس أو ساكن أو لزم وصاحب .. ، جاء في الحديث **(من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله)** .رواه أبو داوود .انظر شرح الحديث في عون المعبود . ففيه العبرة لهؤلاء .

ميثاقا وطنيا بذلك.. تحاشى الجميع إيراد كلمة (ديمقراطية) من أجل دفع الحرج عن الإخوان المسلمين أمام قواعدهم وأمام المسلمين رغم الإتفاق والنص على فحواها فرارا من تحمل تبعات الوصمة بكفر مدلولها..

وشيئا فشيئا ومنذ أواسط الثمانينيات... بدأت هذه المصطلحات الديمقراطية ومفاهيمها تتسلل على استحياء . لتبرر بعض ممارسات الإسلاميين الذين خطوا خطواتهم الأولى في هذا السبيل الضال ، كحل إجباري فرضته حالة الاستضعاف والقمع من قبل السلطات. ولم ينصرم القرن العشرون سنة 2000 إلا وقد كسر القوم حاجز الاستحياء . وبدؤوا يروجون (لديمقراطية إسلامية) . ووجد مصطلح (ديمقراطيين إسلاميين) طريقه للعلن.. وكان السلفيون وأصحاب مدرسة أهل الحديث قد أنكروا هذا الإنحراف على الإخوان المسلمين وفروعهم في حينها . ثم ما لبثوا أن حسدوهم على ما نالوا من مجالات الممارسات السياسية و الدعوية فلحقوا بهم وأسلموا طريقتهم .. ثم ما لبث الإسلاميون الغير سياسيين من الصوفية والتبليغ وسواهم أن دخلوا هذا (المولد) لتتسيس الصحوة الإسلامية بكاملها تقريبا . وليرقص أكثر علمائنا ودعاتنا ومشايخنا رغم اختلافاتهم التي أنهكت الأمة .. ليرقصوا معا في (حفلة زار) جماعية ..فسبحان من ألف القلوب على البرلمان حيث لم تكد تتآلف على شيء !!

ولم يبق خارج هذا المهرجان الديمقراطي إلا (الجهاديون) وبعض المستقلين من العلماء الذين وقاهم الله ذلك الشر ..

ثم جاءت أحداث سبتمبر .. وسقطت إمارة الإسلام في أفغانستان وابتدأت المعركة العالمية على الإرهاب كما أسموها بقيادة أمريكا وإسرائيل وأوربا الناتو وحلفاءهم المرتدين كما مر معنا .. لتشتعل معارك الإعلام عبر الفضائيات ووسائل الإتصال والإنترنت والصحف والكتب وسواها.. مع الإسلام والمسلمين ليطال الهجوم اليوم جذور المعتقد .. وجذور دعوة الإسلام . وسقط الدعاة والإسلاميون في فخ الإرهاب الفكري المعادي يصيح بهم (أنتم إرهابيون).. فكان رد الفعل المعاكس تحت طائلة القهر والتصفية، قوله: لا،(نحن معتدلون)!! ثم لم يجدوا ستارا للحركة والغطاء ودعوى الاعتدال، إلا زعم الديمقراطية.. راغبين ساعين أو كارهين مرغمين ..

ولكن ما كان لكل هذا أن يغير من حقيقة الأمر شيئا.

فباختصار وصراحة..

إن على علماء الإسلام ودعاة الصحوة أن يحددوا لنا..

هل كنا على ضلالة في معتقدنا بالحاكمية طيلة سبعين عاما ؟!، والذي أقتضى اعتقاد كفر الديمقراطية وحرمة الانتماء لمؤسساتها .. وهل قضى من مات من سلفنا أو استشهد من أبطالنا جهادا وكانوا على ذلك على ضلالة وانحراف؟!

أم أن من انبت عن أصوليته وانسلخ عن جذوره وانقلب على مبادئه كي يرضي اليهود والنصارى ومن والاهم، هو على ضلالة اليوم؟

فإذا كانت الأولى فليبرروا لنا لم ضللونا ؟! لم كذبوا علينا أربعين سنة أو أكثر ؟! وإذا كانت الثانية ، فليقولوا لنا ، لماذا يضللون الناس اليوم ؟ وليجيبونا ..

ما الذي حصل حتى نرتد على أعقابنا ؟ .. ما هي الأدلة الشرعية على ضلال ما اعتقدناه بأدلته الشرعية آنذاك ، ودرسناه ودرَّسناه؟!..

إن هناك كلاما خطيرا يدور اليوم عبر شاشات الفضائيات وشبكات الاتصال الدولية وكافة وسائل الإعلام .. علماء كبار .. دعاة إسلام ..قادة صحوة .. بل قيادات جهادية منكفئة مستسلمة ..تدعوا لمراجعة المناهج والمعتقد ..

هناك اليوم حرب على مناهجنا ومعتقداتنا لا تقل ضرواة عن الحرب الأمنية العسكرية على الإسلام والمسلمين تحت دعوى مكافحة الإرهاب. وحرب الأفكار . ومراجعة المناهج وأدوات التربية..

فإذا كان من انكفأ وانقلب على عقبه يجد لموقفه مبررا ويفلسف للهزيمة والردة على المبادئ ، ويجد له موقعا في قافلة المصفقين للإسلام الأمريكي الذي جاءنا بتصحيح المناهج ! وبدورات تأهيل الأئمة والخطباء في مساجدنا !.. وبحملات المراجعات الفكرية التي تطال كل رموزنا وثوابتنا !.. فلا بد أن يكون هناك مواقع للمواجهة تُثَبِت الثوابت ، وتحمل راية المعتقد.

وبقوة الله وفضله سيجدوننا هناك. على هذه القمة السامقة الراسخة بإذن الله ..

ومن هناك من أعالي قمم الثبات ، حيث اجتمع برد اليقين بحرارة الإيمان ، واتكأ المجاهدون على سيوفهم المشرعة .. نؤكد على ما أسلفت.

إننا ثابتون على ما اعتقدناه من ديننا . وعلى ما وعينا على الدنيا وأدركنا عليه سلفنا الصالح من العلماء والدعاة . وإننا على ما غادَرَنا عليه شهداؤنا الأبرار إلى ربهم فرحين بما آتاهم الله إنشاء الله . وعلى ما كان عليه الصالحون من علمائنا وقادتنا في الرازحوۃن اليوم في السجون والمعتقلات..

إننا ثابتون على ما تنطوي عليه اليوم صدور المؤمنين المستضعفين من أهل الحق.. إننا على مقتضى توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية وما يقتضيان من توحيد الحاكمية..

وبناء على ذلك نجهر بالقول :

- **الديمقراطية كفر وشرك بالله.. و معتقدوها كفرة ملحدون أو مرتدون زنادقة.. كيف لا يكفرون وقد قال تعالى :** ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاّ إِلَـهٌ ﴾ **. فكيف بمن يقولون أنه – سبحانه - عاشر عشرة.. أو شريك مئات البرلمانيين !!**

- **وأما المتأولون من الوالغين فيها من الإسلاميين فهم أنواع وأشكال .. وحكم كل صنف منهم بحسب مستوى قناعته وطبيعة نيته ، وممارساته قولا وعملا، وظروفه المحلية .**

وهذا ما بلغنا عمن بلغونا الأمانة.. وهذا ما نبلغه لمن حولنا ولمن يصلهم هذا البلاغ.

اللهم فاشهد. اللهم فاشهد. اللهم فاشهد.

وأظن أن الأمر واضح وضوح الشمس . ولا أجمل في وصف حال الديمقراطيين من الإسلاميين ووعظهم ، من آيات في غاية الرونق والروعة . تشمل إشارات غاية في الدلالة لمثل هذا الأمر الذي نحن بصدده . وهي الآيات التالية من سورة النساء . ومن سورة محمد عليه أزكى الصلاة وأتم التسليم.. وبها نختم هذه النبذة إنشاء الله وهي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْراً لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلاً * بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَاباً أَلِيماً * الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَيَبْتَغُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةَ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً * وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذاً مِثْلُهُمْ إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعاً * الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاؤُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلا قَلِيلاً * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لا إِلَى هَؤُلاءِ وَلا إِلَى هَؤُلاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلاً * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَاناً مُبِيناً * إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرا* إِلا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء/137-146) .

وقال تعالى: ﴿ فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ * وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ

رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَى لَهُمْ * طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْراً لَهُمْ * فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا * إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ * فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ * أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ * وَلَوْ نَشَاءُ لأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ* وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ * إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ *إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ * فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ).[سورة محمد الآيات (19-25)].

فهل قعد الإسلاميون الديمقراطيون في مجالس يسمعون فيها آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها ؟ اللهم نشهد بقولنا : نعم !

وهل يقتضي التحاكم لرأي الأكثرية في البرلمان ، طاعة الذين كرهوا ما نزل الله في بعض الأمر ؟ اللهم نشهد : نعم ! بل في كل الأمر ، أو أكثر الأمر !

والآيات تحكي كل حِكَمِ المسألة ، ولا يتسع المقام للاستطراد ، رغم أن روعتها تغري بذلك .

ولعلي أعود إليها في بحث مفرد لهذا الموضوع إن يسر الله وأعان .

● تاسعاً : مسألة الخلاف العقدي والمذهبي ضمن أهل السنة

▪ **مسألة عقيدة السلف وعقيدة الخلف:**

عندما انتشر الإسلام و انساحت جيوش المسلمين في الأرض وفتحت بلاد الحضارات السابقة مثل بلاد اليونان والرومان والفرس والترك والصين والهند والسند.. احتك المسلمون بحضارات وديانات وفلسفات أولئك الأقوام وقد كان أكثر ذلك في العصر الأموي وصدر العصر العباسي.. وأدى ذلك إلى نشاط حركة ترجمة تراث تلك الحضارات والإطلاع عليها. وبقدر ما كان هضم فنون تلك الأمم وعلومها الطبيعية والعلمية مفيداً . حيث مزجت أمة الإسلام تلك العلوم والآداب ، وحفظت إنتاج تلك الحضارات ، وصاغته بأسلوب إسلامي ، ونقلته للبشرية حضارة وعلوماً بعد أن طورته وأضافت عليه. فبقدر ما كان ذلك حضارة فذة ومجداً زاخراً ، كان لجانب آخر من التعامل مع تلك الفلسفات والمعتقدات ، أثر سلبي بالغ الخطورة على الحضارة الإسلامية ودين المسلمين ومعتقداتهم . فقد أدى الاختلاط بتلك الفلسفات والمعتقدات لدى بعض العلماء ، ولاسيما ممن كان من أصول تلك الحضارات البائدة ، إلى حصول شيء من الخلط والمزج بين العقيدة الإسلامية الصافية ، وبين فلسفات العقول وترهات الأفهام ، التي خاضت بوسيلة العقل القاصرة المحدودة ، في عالم الغيب الفسيح اللامحدود . فنشأ عن ذلك عند المسلمين ، مذاهب عقدية امتزج فيها الدين بالفلسفة ، والحق بالباطل ، ونشأ عن ذلك عقائد منحرفة مزقت الأمة ، وكدرت صفاء عقيدتها ، وشوشت على أجيالها اللاحقة معتقداتهم الصافية ، إلا عند من رحم الله وحفظ .

وكان أشد ذلك في القرن الثالث الهجري . عندما شغف الخليفة العباسي المأمون بالعلوم والحضارة والكتب والترجمة وأنشأ (بيت الحكمة) ومكتبتها الضخمة . وأرسل يجمع كتب اليونان وفلسفاتهم . وحضارة الرومان وآدابهم . و نشط بعض العلماء في ترجمتها والإطلاع عليها. وولع قسم من الناس بالفلسفة ، ولاسيما فلسفات اليونان وتفسيراتهم الدينية وضلالاتهم الوثنية العقدية. وأقبلوا عليها. ونشأ من ذلك علم سمي بـ (علم الكلام) ، وهو علم ولد نتيجة إعادة كتابة وصياغة علوم المنطق والفلسفة اليونانية من قبل بعض علماء المسلمين . وخاض الناس في أصوليات العقيدة وجوهر التوحيد بأسلوب الفلاسفة وأساليب العقول القاصرة. فنشأت بسبب ذلك مسائل عقدية كلامية عويصة ، لا كانت من منهج السلف ولا الصحابة ، ولا من طريقة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضلّ بذلك أقوام . ونشأت فرق عقدية زادت الشرذمة التي كانت قد حصلت لأسباب سياسية لدى المسلمين ، والتي كانت قد سببت ميلاد فرق الخوارج وفرق الشيعة قبل ذلك.

فنشأت مذاهب جديدة اعتمدت الفلسفة وعلم الكلام كالقدرية الذين نفوا القدر . والجبرية الذين نفوا الاختيار عن البشر. والمعتزلة الذين ألهوا العقل وجعلوه حجة على صحيح النقل ونصوص الشرع... إلى آخر ذلك مما زخرت به الحياة العلمية والدينية والأدبية خلال القرون الثالث والرابع والخامس الهجري . وما تلا ذلك بعدها من عصور الانحطاط وتمزق الكيان السياسي للأمة. وكرد فعل على تلك الفلسفات ، عمد بعض علماء المسلمين المخلصين من أجل الرد على الفرق والمذاهب الضالة ومن سموا (علماء الكلام) ، إلى اقتحام ميدان الفلسفة للرد على شبهات أولئك بأسلوبهم . فدخل علم الفلسفة والمنطق ضمن العلوم الإسلامية منذ ذلك الوقت.. وتناول أولئك العلماء الأفذاذ المخلصون الرد على الشبهات في تلك المواضيع الحساسة التي أثارها المنحرفون ، بأساليب الفلاسفة. وتناول ذلك أخص خصوصيات العقيدة والتوحيد في دين الإسلام ، وهو توحيد الله بربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته . فأخطأوا من حيث أرادوا الصواب . و أساؤوا من حيث أرادوا الإحسان . غفر الله لهم وتقبل سوي سعيهم وتجاوز عن زلاتهم . فقد أدى ذلك إلى أن فقدت كثير كتب العقيدة الإسلامية الصافية الربانية ، المنبثقة عن الوحي الخالص الذي لم تمزجه فلسفات العقول وضعف الأفهام . فقدت ذلك الصفاء ونشأت مدارس عقدية في أوساط أهل السنة والجماعة اعتمدت التأويل والفلسفة في تناول التوحيد وخصائص الربوبية ، وكما لا بد لكل انحراف أن يسير بانفراج و اتساع مع الوقت . تطورت تلك المذاهب العقدية الغريبة الدخيلة الوليدة. لتسيطر في معظم مراحل التاريخ الإسلامي ،على كثير من أساليب العلماء في مجالات التوحيد والعقيدة.

وفي الوقت الذي أفادت فيه علوم المنطق والمحاكمات العقلية في تطوير أبواب الفقه وتراث الاستنباط الفقهي لدي مذاهب أهل السنة ، كان ضررها في علوم التوحيد كبيرا. وكان أوضح ذلك وأهمه في مجال ما عرف بالتأويل – تأويل أسماء الله وصفاته - وتفسيرها والتعبير عنها بالمعاني والكنايات .إما لتبسيط فهمها للعامة وإما بنية دفع شبه الفلاسفة عن أسماء الله و صفاته من التجسيم والتكييف والتشبيه والتحريف. ورغم النية السليمة لدي أولئك العلماء ، إلا أنه ما من شك من أن ضرر ذلك كان أكثر من نفعه . وكان خطؤه وخطره أكثر من صوابه.

وقد سمي هذا المذاهب العقدي وتلك الطريقة الفلسفية في التوحيد بمذهب (الأشاعرة) نسبة إلى أحد أعلام ذلك المذهب (الإمام أبي الحسن الأشعري) رحمه الله ، الذي أوغل في المذهب ثم تراجع عنه وتاب منه كما ثبت عنه يرحمه الله . كما كان دأب أكثر أعلام ذلك المذهب من أمثال الأئمة : الجويني والرازي والشهرستاني وأبو حامد الغزالي رحمهم الله تعالى وغيرهم . ولكن أعمالهم وكتاباتهم بقيت نسأل الله أن يتقبل عدولهم عن خطئها ويغفر لهم ما زلوا فيه .

ومنذ القرن الثالث والرابع الهجري صار مذهب (الأشاعرة) هو مذهب علماء أهل السنة الأفذاذ ومذهب ملوك المسلمين الصالحين. وكان ضده يعني فرق الخوارج و الشيعة . وقد أرسى

هذا المذهب أكثر حكام وملوك المسلمين منذ أيام الدولة العباسية ثم ما تلاها من دول الطوائف وإلى قيام الدولة العثمانية. ثم تابع على ذلك المنهج ملوك وسلاطين الدولة العثمانية ، وبقي هذا المنهج هو السائد في بلاد المسلمين على اختلاف مذاهبهم الفقهية التي سادتها المذاهب الأربعة . مع بقاء قلة من علماء الإسلام الذين حفظوا نقاء مذهب أهل السنة والجماعة ، فحفظت العقيدة بذلك بصفائها ورونقها بلا خلط ولا مزج . وعرف مذهبهم على مر التاريخ بمذهب (السلف) . وأحيانا بمذهب (أهل الحديث) . فيما عرف مذهب الفريق الآخر من أهل السنة والجماعة بمذهب (الأشاعرة) ، الذي أخذ ببعض أصوله وطريقته ، علماء كبار من الفقهاء والمفسرين وأساطين علوم الدين لدى أهل السنة . كما عرف في مذهب السلف أيضا أعلام كبار على مر التاريخ كابن تيميه والشاطبي وابن القيم وابن بطة وأحمد وسفيان وغيرهم رحمهم الله تعالى. ولكنهم كانوا أقلية في جمهور علماء أهل السنة على مر التاريخ .

وقد حفل التاريخ الإسلامي بمعارك عقدية طاحنة ، ومناظرات كثيرة ساخنة . وأخذ ورد بين هذين الفريقين ضمن أهل السنة والجماعة. فكتبت الردود والردود عليها ، وكثر القيل و القال وكثرة السؤال .

ودخلت الأوساط السياسية وأروقة الحكام إلى المساجلات ، فمنتصر لهذا ، و مستقوٍ بذاك. وكانت باب فتن وإحن في تاريخ المسلمين يطول ذكرها.

ومثل كل أجواء الفتن التي تولد التعصب والتحزب . جرّت هذه المشاكل أحياناً بالإضافة إلى مشاكل التعصب المذهبي ، إلى الشرور والقتال والفتن ، التي كثيراً ما تدخل الملوك لوقفها بمنع الحديث بتلك الأمور ليزيدوا الطين بلة.

وقد أورث هذا الإشكال هاتين المدرستين (الأشعرية) وما تفرع عنها. و (السلفية) أو (أهل الحديث) وما تفرع عنها . إلى أن شطبت كل منهما الأخرى من طائفة (أهل السنة والجماعة). واعتبر كل فريق نفسه (أهل السنة والجماعة) وأن عقيدته هي عقيدة (الفرقة الناجية) . وأن الفئة الأخرى هي من (الفرق الاثنين وسبعين) التي في النار . للحديث الصحيح الذي يخبر به رسول الله صلى الله علي وسلم بأن الأمة تفترق على (73 فرقة واحدة ناجية والباقي في النار).

ورغم اتفاق أهل الحديث وشراحه على أن هذا لا يعني الخلود في النار لكل هذه الفرق وكل المنتسبين إليها من أهل القبلة وأمة الإسلام . إلا أن هذين الفريقين حصر كل منهما الانتماء إلى (أهل السنة والجماعة) ، وملكية هذا اللقب بهم وشطبه عن الفريق الآخر.

. وقد هدأت هذه الإشكالات كغيرها في العصور المتأخرة لانشغال الأمة بالاستعمار وبلائه، ثم بحكومات (الاستقلال الاستعماري) ، وما سببته من هجمة المذاهب العلمانية الفكرية والسياسية المعاصرة، من ضعف التدين في الأمة بشكل عام خلال عقود أواسط القرن العشرين . وهكذا نامت

هذه المشكلة فترة وجيزة ، لتستيقظ مرة أخرى مع نشوء مدارس الصحوة الإسلامية المعاصرة . وعادت مع نشوء مدارس (التيار السلفي) المعاصر وحملته على المذهبية والأشعرية. وبقاء معظم أوساط مدارس الصحوة الأخرى بعقائد الأشعرية ، ولاسيما المدارس الإصلاحية ، وجماعات التبليغ والدعوة ، والمتصوفة وسواهم ، وكذلك أكثر العلماء الرسميين وأئمة المساجد وكذلك أكثر علماء المذاهب الأربعة .

ومع اختيار معظم الجهاديين للعقيدة السلفية وفقه الدليل واختيارات المنهج السلفي ، وصلت المشكلة إلينا أخيراً. مما جعلها أحد الفقرات الهامة التي اهتممت بالكتابة فيها وأنا أعرض لملامح عقيدتنا في دعوة المقاومة الإسلامية العالمية . لكونها إحدى الإشكالات العويصة على طريق الجهاد والمقاومة ودفع الصائل . لأنها بصورتها النهائية تشكل باب فرقة وتحزب وتعصب فقهي ثم فكري ثم حركي ، وأسباب احتراب داخلي ، داخل صفوف المسلمين وأوساط المقاومة في وقت تجتاحنا فيه خيول مغول العصر الأمريكان والصهاينة بسلاسل دباباتهم و هدير طائراتهم . وترصد أقمارهم الصناعية همساتنا العقدية وحركاتنا اليومية . وتنصب قذائفهم وحممهم على رؤوسنا من السماء والأرض والبحر. ولولا ذلك لمل تعرضت لهذه القصة .

وقد كان أول اهتمامي بهذه المشكلة ،أيام الجهاد العربي في أفغانستان . حيث حضر في الساحة العديد من العلماء الجهاديين السلفيين . ومن أندادهم من المدرسة الأخرى (الأشعرية). وكان علماء الأفغان و الباكستان و شبه القارة الهندية ووسط آسيا وعموم المسلمين المقلدين لهم في هذه المنطقة من الأشاعرة أيضا .وقد كان هذا سبب هوة كبيرة بين المجاهدين العرب وكل هؤلاء . هوة سببت مشكلة حقيقية في تلك الساحة . وقد التقطت الإستخبارات تلك الفرصة وصارت الـ (بي بي سي) تروج لمشكلة الوهابية في أفغانستان ، وعبثا حاول الشيخ عبد الله وأمثاله إقناع الإخوة بتأجيل مثل هذا الأمر ... وليس هنا محل تفصيل ذلك .

ثم بعد ذلك، وعند انخراطي في تأييد الجهاد في الجزائر (1994-1997) الذي قادته الجماعة الإسلامية المسلحة قبل انحراف قيادتها كما بينت في الجزء الأول . انهمك بعض طلاب العلم السلفيين في تأييد الجماعة المسلحة (السلفية المنهج) ، واتخذوا من منابر إعلامنا المؤيد لقضية الجهاد في الجزائر خطوط حرب ومعارك للسلفيين مع الأشاعرة والمذهبيين ! وكان ذلك مأساة أخرى رأيت آثارها بنفسي .

ثم تكررت المشكلة خلال الشوط الثاني للأفغان العرب أيام طالبان ، وشكلت حجرة عثرة كبرى بين الجهاديين السلفيين من العرب والإمارة الشرعية في أفغانستان وأميرها وقيادتها من الطالبان وعلمائهم وكلهم أشاعرة أحناف مذهبيون ، لا يقلون تعصبا لما ذهبوا إليه من كثير من

إخواننا المتعصبين بدورهم لمذهب السلفية . وكانت تجربة ثالثة عشتها بنفسي لأرى أهمية هذه المعضلة التي تأتي في غير وقتها ، لشدة ما نعيشه من هجمة الأعداء .

و قد أردت دراسة هذه المشكلة هنا في هذا الباب الخاص بمسألة العقيدة عامة ، والعقيدة الجهادية للمقاومة خاصة . من أجل المساهمة في محاولة وقف ضررها على صفنا الجهادي . ولأنها مشكلة عقيدة ودين .

فدرستها بإنصاف وحياد لأبحث لنفسي عن الاعتقاد الصحيح الذي أبتغي به معتقدا يرضي ربي أولاً. ثم لأقدم ما أخلص إليه نصيحة إلى إخواني المجاهدين ومن بلغ من المسلمين .

وقد خلصت إلى رأيي سأختصره هنا في بضع نقاط بعد أن استخرت الله عليه سائلاً إياه الهداية . ولكني أعترف بأني تخوفت كثيراً من إعلان رأي هذا السببين:

أولهما أن الأمر حساس ويمس أخص خصوصيات الدين ، وكان تاريخيا ميدان صدامات وإشكالات.

والثاني أن الوسط الجهادي الذي أنتمي إليه سلفي المذهب في معظمه ، وفيه من هو شرس متعصب في تناوله لكل من يخالف رأيه في هذه المسألة كما في معظم ما سواها..

ولكن شجعني على ذلك أمران أيضاً:

أولهما ضرورة توحيد صف أهل السنة والجماعة في الجهاد والمقاومة . وضرورة أن تضع هذه المشكلة أوزارها بين المجاهدين والمقاومين على الأقل .

و ثانيهما أني وجدت وتعجبت من أن أحد أكابر العلماء المجاهدين قد توصل من قبل إلى ما توصلت إليه بجهدي الضعيف منفردا ، وكتب ذلك بصراحة ووضوح . ولا شك أن له أقراناً من علماء هذا الزمان ممن لم أطلع على آرائهم . ذلك الرجل هو الشيخ عبد الله عزام رحمه الله وتقبله في الشهداء.

وقبل أن أخلص إلى ذكر خلاصة رأي في نقاط موجزة ، أنقل ما كتبه رحمه الله اعترافاً بفضله وسبقه. وأسال الله أنه يلهمني الصواب ويتقبل مني حسن قصدي ، بالرحمة والمغفرة ، إنه سميع قريب كريم مجيب.

و خلاصة رأي الشيخ عبد الله عزام رحمه الله في هذه المسألة يمكن إيجازه في نقطتين:

(1) - **أن الحق و الصواب هو مذهب السلف** . في إجراء آيات الآيات والصفات وأحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه والتفويض . ووصف الرب تبارك وتعالى بما وصف به نفسه دون تأويل أو وصف أو تفسير . بل الفتوى بما في الكتاب والسنة والسكوت عما وراء ذلك . وهذا هو مذهب الصحابة والسلف وقد أوضح الشيخ عبد الله أنه عقيدته .

(2) - **أن أصحاب المذهب الثاني الذي دعي مذهب (الخلف) ، أو (الأشعرية) ، والذي ذهب إلى تأويل الأسماء والصفات. هم من أهل السنة**، ولا يُنفوا عن الانتماء لأهل السنة، وأن مذهبهم فيما ذهبوا إليه من التأويل خطأ . وقد خالفوا فيه (منهج أهل السنة) في هذه الأمور المحددة.

فهم من أهل السنة . و يُخطّؤون في هذه النقاط المحددة .

وقد فصل ذلك وعددا من المسائل العقدية الأخرى ، في كتابه القيم (العقيدة وأثرها في بناء الجيل) في عدة أمكنة. وخلاصة ذلك كما جاء في المجلد الأول الموسوعة الجامعة لتراثه والمسماة (موسوعة الذخائر العظام فيما أثر عن الشيخ عبد الله عزام) كما يلي:

- في الصفحات (11-12-13) . أوضح تحت عنوان (شقاء البشرية اليوم بسبب تحريف العقيدة) الفارق بين التصور العقدي والفلسفة وبين أثر تخوض العلماء في هذا الأمر وعودة أكابرهم عنه.

- في الصفحتين (21-22) و تحت عنوان صفات الله عز وجل. أوضح أقسام المذاهب العقدية . وبيّن رأي المشبهة والمجسمة ورفضه . كما بين رأي المعطلة و الجهمية ورفضه ونقده . ثم بين مذهب السلف واختار صوابه وصحته. ثم بين مذهب الخلف و الأشاعرة . وبين خطأهم في التأويل والتفسير للأسماء والصفات ، وبين أنه خطاء.

- وقرر في ص(23) أنه الأشاعرة وأصحاب مذهب الخلف هم من أهل السنة (إلا في هذه الأمور). ولم يخرجهم بذلك عن أهل السنة. واعتذر لهم . وبين أسباب خطئهم ، ثم استغفر لهم وترحم عليهم وبين تراجع كثير أكابرهم عنه رحمهم الله .

(وبحث الشيخ موجز قيم أنصح بالإطلاع عليه)..

وهذا باختصار خلاصة ما خرجت به من خلال دراستي لعدد من كتب العقائد ، والإطلاع على بعض حجج هذين الفريقين .

وأختصر خلاصة ما اهتديت إليه في مسألة العقيدة ومسألة المذهبية في النقاط التالية :

ففي موضوع العقيدة :

(1) - أن مذهب السلف في الاعتقاد الذي أوضحناه آنفاً هو المذهب الصحيح وبه أدين لله سبحانه وتعالى . وهم أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية إن شاء الله.

(2) - أن مذهب (الأشاعرة) أو (مذهب الخلف) ، قد جانب الصواب باتخاذه من التأويل والتفسير منهجا للأسماء والصفات . وبعدم إمرارها كما أمرها سلف الأمة.

ولكنهم لا يخرجون بذلك عن كونهم من أهل السنة والجماعة . وإنما يخطؤون فيما أخطؤوا به وحسب. تماما كما أخطأ كثير من علماء من ينتسبون إلى (مذهب السلف) من علماء اليوم ،

ومالوا إلى مذهب المرجئة، ولاسيما في مسائل الحاكمية. ولم يدّع أحد خروجهم من أهل السنة ، كما يفعل بعضهم اليوم ، و يدخلون الناس ويخرجونهم من أهل السنة .

(3) - أن من خرج عن معتقدات (أهل السنة والجماعة) من الفرق الكثيرة ..كفرق الشيعة والمرجئة والخوارج ... وغيرهم من أهل لا إله إلا الله . هم (أمة الإسلام) ، و(أهل القبلة) ،لا يكفرون بالعموم . ولا تُنفي عنهم صفة الإسلام ، ولا صفة أهل القبلة إلا وفق موازين وضوابط محددة عند أهل السنة التي بينها علماؤهم من تحقق شروط الكفر وانتفاء موانعه . وهو عمل جهابذة العلماء الذين بلغوا مرتبة القضاء في العقائد والأديان . وليس عمل آحاد المسلمين بله جهالهم و عوامهم . كما أنه ليس عمل من تفرغ للجهاد ودفع الصائل ، اللهم إلا أن يكون من أهل العلم الذين توفرت فيهم شروط الفتوى و القضاء.

(4) - أن الطائفة المنصورة هم أهل الاعتقاد والصحيح ، والعلم المنضبط ، والجهاد والقتال لأعداء الإسلام والمسلمين . وهم صفوة الفرقة الناجية أهل الاعتقاد الصحيح ، التي هي صفوة أهل السنة والجماعة ، التي هي صفوة أهل الإسلام الذين هم عامة أهل القبلة .

وعلى هذا فهي الدائرة المركزية الخاصة . من تلك الدوائر المتسعة الشاملة ، وصولاً لجمع أهل القبلة. وهم كل من أعتقد أن لا إله إلا الله محمداً رسول الله واستقبل قبلتنا .

هذا في مسألة العقائد..

<u>أما في مسألة المذهبية ضمن أهل السنة والجماعة:</u>

فخلاصة ما خلصت إليه كما يلي:

انقسم معظم الناس اليوم حتى في أوساط الصحوة الإسلامية إلى ثلاثة فرقاء:

<u>الفريق الأول:</u>

<u>وهم المتعصبون لفكرة المذهبية</u> : ويرى هؤلاء ، أن عدم التزام المذهب مثلبة في الدين ! ويتدرج التعصب لدى بعض هؤلاء إلى حدود الغلو. حيث لا يحلون لرجل أن يعدل عن رأي من فروع آراء مذهبه إلى رأي آخر في أي مسألة من المسائل..! بل وصل الغلو حدوداً عجيبة أحياناً ، تظن معها أن القوم يتعاملون كما لو كانت المذاهب الأربعة (ضمن أهل السنة والجماعة) أدياناً أربعة بحد ذاتها . فوصل الحد لعدم الصلاة في جماعة واحدة ، ومنع التزاوج بين رجل وامرأة من مذهبين ، ناهيك عن حالات الخصومة والشجار والتقاتل..! وقد سجلت كتب التاريخ أن هذا البلاء ما زال منذ قديم الزمان . وقد بدأت حدة هذا التعصب تخف ، مع بقاءها في بعض بقاع بلاد المسلمين . نسأل الله العافية وقد سمعت عن شيء من هذا في بلادنا ز. ولكني رأيت من ذلك في أفغانستان وباكستان عجباً عجابا ..

الفريق الثاني:

وهم المتعصبون ضد المذهبية : من بعض الذين ينتسبون للتيار السلفي المعاصر، أو من يسمون أنفسهم أحياناً (أهل الحديث) .وهؤلاء يرون عدم المذهبية مطلقاً ويتدرج عندهم التعصب أيضاً ليصل إلى حدود عجيبة من نقد المذاهب . بل وحتى كبار أئمة المذاهب ونكران فضلهم . والتعدي على حرمات بعضهم ، وغيبتهم وانتقاصهم . في حين ينظرون إلى مشايخهم المعاصرين بعين التعظيم ، ويرون فضل بعض المتأخرين من أئمتهم من بعض علماء (السلفية) المعاصرين . أو أهل الحديث ، أعظم من فضل أئمة المذاهب والعلماء عبر تاريخ الإسلام ! في حين قد لا يصل في حقيقة الأمر علم أفضل هؤلاء وتقواهم وسلوكهم ، إلى عشر معشار فضل أقل أولئك الأئمة الأعلام من الأقدمين رحمهم الله تعالى.

وعلى سبيل المثال فقد سمعت عن أحدهم يقول : (إن الإمام الشافعي ليبكي في قبره على ما فاته من دروس ابن باز وابن عثيمين) !! فلك أن تتأمل !!

وقد وصلت العلة في هذه المدرسة أن اتخذوا من بعض الشعارات ، مثل قولهم بـ (فقه الدليل) و(العودة للكتاب والسنة) و (هم رجال ونحن رجال).. إلى حد من الغلو والعوج أصبح يشكل خطراً على الدين ذاته . ويجعل المرء يتحير ويترحم على المتعصبين للمذاهب ، الذين غالوا في عصبيتهم ولكن كان لهم سلف وإمام يعتد به على الأقل ، وبالتالي ميزان يلزمه الحجة . رغم عدم إقرارنا لغلوهم أيضا .

الفريق الثالث:

وهم المعتدلون من الفريقين الأولين. أعني المعتدلين من المذهبيين والسلفيين . وهم يكنون الاحترام لأئمة المذاهب الأربعة وأقرانهم من الأئمة المجتهدين . وأكثر هؤلاء من العلماء وطلاب العلم وغالبتهم يأخذون بمذهب من المذاهب ، مع أخذهم برأي مذهب آخر إن تبين لهم فيه رجحان الدليل . فهم لا يتعصبون لمذهب من جهة . ولا يفتحون الباب لكل من هب ودب ليعتدي على الشريعة بدعوى العمل بدليل الكتاب والسنة. ويعتقدون أن الأصل في العوام التقليد ، وفي طلاب العلم الإتباع ، وفي الراسخين في العلم الاجتهاد والترجيح .

وأعتقد أن هذا هو المنهج الوسط . وأضيف إلى ذلك عدداً من النقاط للإيضاح ، ولبيان وجهة نظري في المسألة والله المستعان وهو يهدى السبيل:

أولا: إن تراث المذاهب الأربعة التي تلقتها الأمة القرون تلو القرون بالرضا والقبول ، تراث هائل وإرث حضاري علمي شرعي متكامل يحق لأمة الإسلام أن تتيه به على غيرها من الأمم فخراً وعزاً. وهذا لا ينكره و ينكر فضل الأئمة الأربعة وكبار تلاميذهم وأئمة مذاهبهم ومقامهم و سعة

علومهم ، إلا مغرض يريد قطع الأمة عن جذورها . أو جاهل يهرف بما لا يعرف يردد أقاويل المغرضين .

ومجرد بعض الإطلاع على مستوى تحصيل أولئك الأئمة من علوم الشريعة الأساسية ، وفقههم وثاقب نظرهم ، وتقواهم في تحري الفتوى . والاجتهاد في تحصيل الحق وما كانوا عليه من الخُلق والديانة والصيانة . والبعد عن الدنيا ، وعن أبواب الحكام . يعرف شيئاً من فضل الله عليهم وامتنانه على الأمة بهم . ومن يطلع على الشروط الصارمة التي كانت موضوعة للفتوى في ذلك الزمان ، مثل بعض ما ورد في كتاب (إعلام الموقعين عن رب العالمين) لابن القيم . الذي أورد فيه شروط كبار أئمة المذاهب للفتوى ، من حفظ كتاب الله برواياته وإتقان علومه من التفسير، وأسباب النزول ، والعلم بمحكمه و متشابهه وناسخه ومنسوخه و غير ذلك من علوم . وكذلك أن يعلم من علوم الحديث مثل ذلك ، فيحفظ مئات آلاف الأحاديث بأسانيدها. ويعلم رواياتها وعللها وفقهها وشروحها ورواتها .. وكذلك أن يلم بالسيرة و المغازي وبتاريخ الأئمة والخلفاء والعلماء . وأن يحيط بآراء الفقهاء ومواطن الخلاف بين المذاهب دراسة ومقارنة ، وأن يعلم لغة العرب ويحفظ من تراثها شعراً ونثراً.. وأن يكون مطلعا و مدركا لعلوم عصره ، وإشكاليات أهل زمانه ومن سبقهم . ثم أن يكون مشهودا بالورع والتقوى ، والحلم والعلم ، والخلق والمروءة ، والريادة والسيادة ، والزهد في الدنيا وطلب الآخرة بعلمه وعمله..

وأن لا يكون من المتهمين بالتردد على أبواب السلاطين ومحاباتهم ، إلى آخر تلك الصفات . فمن يطلع على مثل ذلك يعلم أن الأمة لم تقدم أولئك الأئمة لمنزلة الإتباع ، ولم توقر تلامذتهم و حملة مذهبهم من بعدهم من فراغ وعن عبث.. ويدرك إن أي محاولة للمقارنة بين منزلة أولئك و بعض الأئمة من المتأخرين، مجرد مقارنة سخيفة لا تستند لعلمية ولا واقعية ، مع الاحتفاظ بالاحترام والتقدير لعلم كل صاحب علم ، وجهد كل صاحب جهد.

ثانياً: هناك من الأئمة الكبار المجتهدين الأعلام ، مثل سفيان الثوري ، و الأوزاعي ، وابن مبارك ، والشعبي، وسعيد بن جبير،... وسواهم رحمهم الله . ممن عاشوا في ذلك الزمان خلال القرن الثاني والثالث . من كان لهم تلك المنزلة كمجتهدين أصحاب مذاهب فقهية ومدارس في الاجتهاد . ولكن مذاهبهم لم تحفظ كتابة ، ولم تتطور لمرحلة المدرسة، كما حصل للمذاهب الأربعة . فما وصل إلينا من أقوالهم واجتهاداتهم وأدلتهم على ما ذهبوا إليه ، فإن له نفس المنزلة العلمية لدى من لديه الأهلية من أهل العلم للبحث والاستنباط.

ثالثاً: جاء من بعد أولئك الأئمة الأعلام خلال العصور العلمية الذهبية ، وإلى القرن الثامن الهجري ، جاء علماء أفذاذ بلغوا مراتب الاجتهاد . ولكن غالبيتهم الساحقة اجتهدت على أصول مذهب (من المذاهب الأربعة) ، رغم أنه كان لهم بعض اختياراتهم الفقهية التي خالفوا بها

المذاهب الأخرى أو حتى مذهبهم الخاص . وكل تلك الآراء والفتاوى أيضا تراث علمي ،لا يقل منزلة عن غيره . ويعلم أهل العلم في كل زمان ومكان مكانة هذا التراث . وهم أدرى بالإفادة منه والرجوع إليه والصدور عنه .

رابعاً: إن التزام عامة المسلمين بالمذاهب الأربعة عبر العصور، كان له - إلى جانب ما يسوق البعض من سلبيات حصر الاجتهاد وإغلاق بابه - كان له إيجابية عظيمة يعرف قيمتها من يطلع على حالة (الفلتان الفقهي) ، التي حصلت خلال القرن الأخير نتيجة المطالبة غير المنضبطة، (يفتح باب الاجتهاد) و (نبذ الالتزام بالمذاهب الأربعة) والعودة بالفقه والفتوى (بزعم مدرسة الدليل) إلى (اعتماد الكتاب والسنة مباشرة) والتشدق بشعار (هم رجال ونحن رجال) و القول بأن (المستجدات تقتضي فتح باب الاجتهاد على مصراعيه) .

فقد مثل التزام الأمة بالمذاهب الأربعة عموماً . وبسيادة أحد هذه المذاهب في كل مملكة من الممالك ، أو بقعه من البقاع على مستوى الأقاليم ، أحد عوامل تماسك الأمة وتوحدها في آرائها الدينية . وانعكاس ذلك على التجانس والوحدة في باقي أمورها ، على صعيد الحكم والقضاء وفتاوى الدين والدنيا . حيث تقاسمت المذاهب الأربعة السيطرة على رقعة العالم الإسلامي .

فمشرق المسلمين من وسط الصين إلى تركستان ووسط آسيا إلى شبه القارة الهندية وباكستان وأفغانستان. بالإضافة إلى أكثرية المسلمين في الإتحاد السوفيتي . وكذلك تركيا والعراق والشام وأغلبية أهل السنة في إيران يسودهم مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان رحمه الله. وفي القفقاس غرب البحر الأسود وفي جنوب الشام والأردن وفلسطين ولبنان وإلى مصر وأطراف اليمن وجزيرة العرب ، يسود مذهب الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي رحمه الله تعالى. كما ينتشر المذهب الشافعي في جنوب وشرق آسيا وجزر إندونيسيا .

ويسود مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى ، والذي عرف بمذهب (أهل المدينة) ، وينتشر في شمال أفريقيا من ليبيا إلى تونس والجزائر فالمغرب فموريتانيا. ومنها نزل إلى أواسط أفريقيا وكذلك ينتشر في عموم بلاد السودان .

في حين انتشر مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى في بلاد نجد والحجاز وعموم بلاد الحرمين. وتبعه أكثر أصحاب مذهب أهل الحديث حيث وجدوا .

وقد عاش أتباع المذاهب الثلاثة مع المذهب السائد في كل منطقة بكل يسر وانسجام إجمالا . وكان لهم أئمتهم وعلماؤهم ومساجدهم ومراجعهم. و قد دُرِّست المذاهب الأربعة في مختلف المدارس الكبرى والحواضر العلمية عبر التاريخ في مختلف عواصم الإسلام . وسارت الأمور بطبيعية وإيجابية ، رغم ما تخلل من إشكالات التعصب ، و نزغات الشيطان بالبشر بين حين وآخر، ودخول السياسة على دنيا العلم والعلماء. ونزوع بعض العلماء إلى أبواب السلاطين ليستقوا بهم على

التعصب للمذاهب والأشخاص والآراء. ولكن الأمور بقيت منضبطة وانعكست خيراً على دين المسلمين ودنياهم..

خامساً: إن الدعاوى المعاصرة (لنبذ المذهبية) ولاسيما في القرن الأخير. بعد سقوط الخلافة وزوال مرجعية الأمة السياسية بهذه الطريقة التي تبناها كثير من أوساط أهل الحديث وما يسمي بـ (التيار السلفي) بهذه الطريقة التي حصلت وتحصل اليوم ، قد جلب من الأضرار أضعاف ما جلب من المنافع . ومن ذلك:

- إن فرار هؤلاء المزعوم من تفريق الأمة على مذاهب أربعة ، والسعي إلى توحيدها على مذهب (الحق والدليل) ، ومصدرين هما (الكتاب والسنة) . جاء رغم الحق النظري الذي يستند إليه ، بنتيجة عكسية مرعبة ، والواقع أكبر شاهد...

- فقد تصدر للفتوى بحسب هذه المدرسة علماء كثيرون . وحتى لو تجاوزنا عن المقارنة غير الممكنة بين مستواهم العلمي ومستوى الأئمة الأوائل . بل حتى مع المتأخرين من فطاحل أئمة المذاهب ، وقبلنا أهلية هؤلاء . لوجدنا أن الخرق قد أتسع على الراقع . فهم اقتحموا مجال الاستنباط والاجتهاد من نفس الأدلة التي عالجها أئمة المذاهب . وخرجوا إما بترجيحات بين تلك الآراء أو بآراء جديدة وفتاوى مختلفة. و لأن تعدد الفتاوى ناتج عن تعدد الأفهام والعقول واختلافها.. برز اليوم كثيرون هنا وهناك ، كأئمة لمدرسة فقه الدليل ، فلان أوعلان ، وابن فلان ، وأبو علان .. من هؤلاء المشاهير اليوم في كل قطر ومملكة.. وهكذا تعدد الأئمة أكثر. وصار لكل إمام جديد تلاميذ وأتباع ومتعصبون . ووجدنا أنفسنا أمام متعصبين جدد لعشرات الأئمة ، بدل أن كنا أمام الانقسام على مذاهب أربعة.

- هذا ناهيك عن أن عملية الترجيح بين المذاهب ذاتها افتقرت إلى العلمية . فمن المعلوم أن الحكم يجب أن يكون بمستوى من يحكم بينهم علمياً ، أو أن يرجح عليهم علماً وفهماً حتى يحكم بالعلم والحق لرجحان هذا أو ذاك. ولكن الجميع مسلم بأن هذا غير متوفر للغالبية الساحقة لعلماء هذا الزمان . الذي يقلون عن أولئك علماً وتقيً وفهماً وديناً. فأين الفوائد التي ارتجيت من حل إشكال التمذهب على أربعة بالتمذهب على العشرات والمئات.

- إن فتح باب العودة لدليل الكتاب والسنة لم تقف مصيبته عند ولادة عشرات الأئمة المعاصرين ومدارسهم وأتباعهم المتعصبين لهم فالمصيبة هنا هينة . إذ أنهم في الغالب علماء أو على قدر كبير من العلم والمعرفة وضوابط الفتوى. ولكن منهج التيار السلفي المعاصر فتح للجميع أن يمارس هذه المهمة . والمعروف السائد في معظم أوساط التيار السلفي . أقول (معظم) وليس (كل) ، هو تجرأ الكبير والصغير من طلاب العلم على ذلك وعلى

التصحيح والتضعيف والجرح والتعديل، مما ولد ظاهرة (الجرءاء على النار) ، و على الفتـوى بلا عقل ولا دين..ولا خلق أحياناً. إننا بهذا إمام حالة (فلتان فقهـي) كـما سـميتها و تشرـذم علمي واجتماعي وديني. ولا أظن أن صاحب دين أو عقل يقر هذا المآل. إننا اليوم أمام مئات وقل آلاف وقل عشرات آلاف طلاب العلـم المزعـومين. ولاسـيما في مـدارس الصـحوة الإسـلامية وخاصة العربية (حيـث مـا زال غلـب الأعـاجم يقـرون بـالاحترام لعلمائهـم ومـذاهبهم إلا في أوساط ظاهرة -أهل الحديث- وما أسمي بالسلفية المعاصرة عندهم . فقد نقل العرب إليهم داءهم هذا باجتراء الكبير والصغير على الفتوى. والعجيـب أننـا في القـرن العشرـين والحـادي والعشرين نقول أننا في زمان العلمية والواقعية واحترام الاختصاص. وإرجاع المسائل لأصحابها والعلوم لأربابها. ولكن هذا المذهب الجديـد متعـدد المـدارس والمراجـع بشـكل غـير منضـبط والذي سمى أصحابه أنفسهم في كثير مـن الحـالات (سـلفية) . ومعـاذ اللـه أن تصح نسـبته لسلف هذه الأمة وعلومهم وأخلاقهم وتدينهم وتقواهم وورعهم . إن هذا المـذهب الفقهـي المعاصر أقر وتعارف رواده من طلاب علم وجهلاء على أن يتجرأ كائناً من كان على فتح بطون كتب الشريعة ليستخرج الأحكام . ووالله لدي قصص وشواهد تصـل لحـد الكارثـة مـن خـلال مواكبتي لهذه الصحوة الإسلامية على مر ربع قرن ولاسيما بعـض أتباعنـا الأحـداث مـن أتبـاع السلفية الجهادية . الذين آذوا مدرسـتنا ونفعـوا العـدو بجهلهـم، ولكنـي أعـرض عـن ذكرهـا لتفاهة قصصها وخشية الإطالة. وإن الجاهل ليصيب بجهله أعظم من فجور الفاجر .

ولكني أؤكد على نقطة بالغة الخطورة والأهمية وهي أن هذا البلاء المبين بإطلاق يد الحابل والنابل في دنيا الدين والفتوى بزعم عدم التمذهب وفقه الدليل ، والعودة للكتاب والسنة ، وشعار (هم رجال ونحن رجال)، وغير ذلك مما يردده أغرار هذا التيار ومن غرر بهم ، قد كان له أثراً سيئاً على مختلف وجوه التدين ومرافق حياة الأمة ، ولكنه لما وصل إلى أوساط الصحوة الإسلامية ، والتيار الجهادي الذي أخذ (بالسلفية الجهادية) . وأكمل مناهجه على يد قادة أفذاذ وعلماء مرموقين فيها في البداية. وصل اليوم بالظاهرة لدى بعضهم إلى حد ينذر بالكارثة .

فلئن اجترأ المفتون الأغرار من الصغار هؤلاء على أمور الدين العادية من عبادات ومعاملات ومواريث وسواها ، فقصارى الضرر العائد على الناس هو بعض الأخطاء في العبادة أو ضياع لبعض الحقوق في المعاملات . ولكن ميدان الفتوى في الجهاد هو أخطر الأمور الخطيرة . إنه الحكم في خمسة أمور:

(1) - أديان النـاس وعقائـدهم ، وانـتماءهم للإسـلام أو الكفـر ، أو الـردة أو النفـاق ، أو البدعـة والفسوق..الخ

(2) - الحكم في الدماء ، واستباحة قتل من تجوز أو توجب الشريعة قتله .

(3) - <u>الحكم في الأموال ، وما يحل أخذه وما لا يحل .</u>

(4) - <u>الحكم في الأعراض ، وما يحل منها وما يحرم .</u>

<u>(5) - الحكم في قضايا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وطرق إزالته، قولا وفعلا .</u>

ولك أن تتخيل الكارثة إذن . لما وسد الأمر لغير أهله . وتنتظر الساعة التي ظهرت معظم أشرا طها الصغرى و الوسطى . ومنها ما نحن بصدده ، وما نشهده و نعانيه .

ولا أشك قيد أنملة في أن الجرم الأكبر في هذا ، هو بسبب إعراض العلماء عن الجهاد . وعن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وترك ساحته للمخلصين من الشباب ، الذين يبرز فيهم من هو أهل ومن ليس أهلاً ، للخوض فيما كان يجب أن يكون عمل ومسؤولية عقلاء الأمة وعلمائها و وقادة صحوتها ..

هذا ناهيك عن الدور القبيح الذي يقوم به علماء السلطان والفاسدون من قيادات الصحوة الإسلامية الذين احترفوا الإرتزاق نفاقا للحكام ، بل و للاستعمار الأمريكي الجديد اليوم . مما له أكبر الأثر في الصد عن سبيل الله . و تجرئة الأحداث على سد ثغرة عمل العلماء بلا أهلية . والله المستعان على هذه النوازل .

فبماذا تجيب شاباً تمنعه من الفتوى والجهد في طلب العلم والدليل لأنه غير أهل ، إذا قال لك من يفتيني إذن ؟!.. سؤال صحيح مخز لأولئك (الذين بدلوا نعمة الله كفراً وأحلوا قومهم دار البوار) . فالصالحون من العلماء اليوم هم الساكتون المعتزلون . وأما شرارهم فابحث عنهم في أبواب السلاطين . وموائد حوارات مكافحة الإرهاب والجهاد على فضائيات ومقاهي ندوات الإنترنيت ! وإلى الله المشتكى..

إننا نسير إلى عالم الهرج والفتن التي تضاهي بسوادها ، سواد الليل ظلمة ً ويتبع بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم.. وهذه إحدى مظاهرها.

والشهادة لله .فلقد شهدت بصحبة للتيار الجهادي في هذا المجال أعاجيب ، بلغت في بعض التجارب كتجربة الجهاد في الجزائر أن تكون أهوالاً . مما شهدت بعضه بنفسي في لندن ، أو سمعت به ممن شهده مما حصل في الجزائر.فإلى الله المشتكى .

وها هو عالم ما بعد سبتمبر واحتلال العراق يفتتح بما يشيب له الولدان و يحتار معه الحكيم العاقل.

<u>**سادساً :**</u> نعم لقد استجدت آلاف المسائل المعاصرة في هذه العصور ، مما لم يكن في زمان من قبلنا . وهي تحتاج إلى اجتهاد المجتهدين . ولكن من قال أنه يلزم من ذلك نسف تراث المذاهب . وكيف سيجتهدون إذا لم يبنوا على أصول مدارسها الشامخة. ثم العجب العجاب من هذا التيار السلفي المعاصر المزعوم ، أنه لم يتصد لهذه الثغرة الشاغرة من الاجتهاد في فقه المستجدات

والنوازل . وإنما يعود للاجتهاد في مسائل العبادات وبعض المعاملات التي رصفت فيها رفوف المكتبة الإسلامية بآلاف المجلدات والبحوث. وانظر في تراث وفتاوى أئمة السلفية المعاصرين ، وأين هي من أهم النوازل مسائل السياسة والحكم والأنظمة القائمة ، وفتاوى دفع الصائل . ومسائل الإقتصاد السياسي المعاصر، والمسائل العلمية الجديدة ...الخ . هنالك لا تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا .

وأذكر ذات مرة أن أحد طلاب العلم المجاهدين - رحمه الله - وهو من بلاد الحرمين وأظنه استشهد في (مذبحة قلعة جانغي) في مزار شريف في معارك سقوط إمارة أفغانستان.. انفجر مرة أمامي . وقال لي : لقد جريت طلب العلم في المدينة وسواها مرات ، وحصلت في ذلك علماً . ولكني رأيت أن أكثر علمائنا قد دخل في دروسه الحمَّام وما خرج منها..) .

يقصد الإعادة والتكرار في فقه الطهارة وأحكامها والإعادة والزيادة فيها وحولها) . ولِمن يستنكر ، أن يحصي الدروس العلمية هناك ، و يتابع برامج الفتاوى والدروس الشرعية على الفضائيات ،في بلاد الحرمين ، وفي سواها من البلدان وينظر فيها كتباً و أشرطة وفي مواضيعها..

نعم إننا بحاجة للاجتهاد المعاصر، وبحاجة لفتح باب الاجتهاد. ولكن ممن قِبل منْ ؟ وفي ماذا ؟ وكيف؟.. فليجيبنا أرباب العلم والسماحة والشعائر الدينية في هذا الزمان عن ذلك !

والخلاصة التي خرجت فيها من هذه المسألة ألخصها في نقاط صغيرة موجزة.

فالناس كما ذكر ذلك أهل العلم ، في مسألة أتباع المذاهب أو الاجتهاد ثلاثة أصناف:

مجتهد: استكمل شروط الاجتهاد وأهلية العلم والفهم . فلهذا أنه يجتهد و يستنبط ويفتي بالدليل.. وما أراهم في زماننا هذا رغم من يزعم غير ذلك إلا أندر من النادر.

متبع: لمجتهد قادر على تميز الأدلة. ولهذا أن يسعى بفهمه أنه يتبع ما تبين له فيه دليل منسوب لإمام ذي قدر معروف.

عامي جاهل بقواعد الدين : هو على رأي مفتية مجتهداً إن كان مجتهداً أو متبعاً ينقل له فتوى واجتهاد مجتهد.

فالخير للأمة - بحسب ما أعتقد - في أن تعود لمنهج السلف في المعتقد . وأن تلتزم فقه المذاهب الأربعة ، وفقه علماء هذه الأمة السابقين الذين شهدت لهم الأمة بالرسوخ في العلم والتقى والصلاح . وعملياً.. أنصح الشباب وطلاب العلم بعد نصيحتهم باعتقاد مذهب أهل السنة والجماعة في الاعتقاد . وهو اعتقاد الفرق الناجية ومذهب الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وسواهم من أعلام هذه الأمة.

كما أنصحهم بأن يتفقهوا على مذهب من المذاهب يختارونه . وأنصحهم ولا سيما شباب الصحوة والجهاد بأن يتفقهوا على أحد المذاهب السائدة في مكان إقامتهم ودعوتهم وعملهم

وجهادهم . حتى لا يحول شذوذهم عما ألف الناس من الفقه والأحكام بينهم وبين الناس. فإن اختاروا مذهباً غير المذهب السائد في مكان عيشهم . فلا أقل من الدراسة والتفقه للمذهب السائد أيضاً ليعاملوا الناس بما ألفوه . ويأخذوا بأيديهم بالحسنى و الرحمة والموعظة الحسنة.

فإذا ما قيض التوفيق والنجاح لبعضهم و فتح عليه بالعلم . فليبدأ بالتخصص كطالب علم . فيترقى في دراسة المذاهب الأربعة . ثم يسير صعداً لعل الله ينعم على هذه الأمة بالمجتهدين الأثبات في زمان الفتن هذا. وهذا القصد ؛ طلب العلم . يحتاج السنين الطوال والدأب والظروف المناسبة.

وأعيد اختصار خلاصة رأيي كنصيحة لمن أخذ بها في كلمتين :

أنا مع دعوة الأمة لعقيدة السلف ، وإعذا ر و احترام من أخذ بمنهج الخلف ، والتأدب بأدب الخلاف معهم واعتبارهم من أهل السنة ، وأن أخطاءهم مردودة ولا تخرجهم من أهل السنة .

و انا مع أتباع أحد المذاهب الأربعة . فأنا مع المذهبية المعتدلة التي لا تتعصب للمذهب . وتتبع ما تبين لأهل العلم فيه الدليل الثابت ولو من مذهب آخر من مذاهب أئمة أهل السنة بغية الحق ، ولاسيما للضرورة والمصلحة الظاهرة . لا بغية الترخص والتساهل. والله الموفق.

• عاشراً : مسالة (التكفير) ، أحكام التكفير العامة ، وقضية تكفير المعين:

الحقيقة أني تفكرت مليا قبل أن أضمن هذه المسألة ضمن مسائل المنهج ، وذلك لأنها مسألة شائكة ولا يمكن تغطيتها بإحكام إلا بالتفصيل والإفاضة ، وهو مالا يحتمله الكتاب . ولكن لخطورة ما تفشى في أوساط بعض الجهاديين من إشكالات وشطط في بعض الأحيان في هذه المسألة ، حيث توسع البعض في التكفير . ولخطورة الظاهرة المعاكسة التي تفشت في أوساط الصحوة الإسلامية وأوساط علماء المسلمين وهو الإرجاء المفرط ولاسيما الإرجاء السياسي ، فرارا من التكفير ،.. لهاتين المصيبتين رأيت أن أعرض للمسألة . لأنها مسألة من صميم مسائل العقيدة القالية ، ومن مسائل دائرة الصراع عندما يتعلق الأمر بقطعان كبيرة من البشر تدعي الإسلام ثم تحمل علينا السلاح وتقاتلنا مع الجيوش الكافرة ، وتدعي الإسلام ثم تحارب بكل وسيلة من يريد أن تحيا الأمة وفق مقتضاه ..

ولقد وجدت فيما فصله شارح العقيدة الطحاوية – رحمه الله – إيجازا كافيا واضحا يشتمل على القواعد الأساسية في هذه المسألة الخطيرة . وكتابه رحمه الله منتشر مشهور وهو من الكتب التي كتب الله لها القبول في جمهور الأمة عبر القرون ولاسيما في أيامنا هذه وفي مختلف أوساط الصحوة .

قال الإمام ابن أبي العز الحنفي في شرح العقيدة الطحاوية : [**قوله ونسمى أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ماداموا بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم معترفين وله بكل ما قاله وأخبر مصدقين**].

(شرح) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا واكل ذبيحتنا فهو المسلم له ما لنا وعليه ما علينا) ويشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى ان الإسلام والإيمان واحد . وأن المسلم لا يخرج من الإسلام بارتكاب الذنب ما لم يستحله . والمراد بقوله أهل قبلتنا من يدعي الإسلام ويستقبل الكعبة ، <u>وإن كان من أهل الأهواء أو من أهل المعاصي **ما** لم يكذب بشيء مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم</u> .

وسيأتي الكلام على هذين المعنيين عند قول الشيخ ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله . وعند قوله والإسلام والإيمان واحد وأهله في أصله سواء .

قوله : [**ولا نخوض في الله ولا نماري في دين الله**] .

(ش) يشير الشيخ رحمه الله الى الكف عن كلام المتكلمين الباطل وذم علمهم فإنهم يتكلمون في الإله بغير علم وغير سلطان أتاهم . إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم

من ربهم الهدى . وعن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال لا ينبغي لأحد أن ينطق في ذات الله بشيء بل يصفه بما وصف به نفسه. (...).

قوله : [ولا نجادل في القرآن ونشهد انه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين على سيد المرسلين محمد وهو كلام الله تعالى لا يساويه شيء من كلام المخلوقين ولا نقول بخلقه ولا نخالف جماعة المسلمين] .

(ش) فقوله ولا نجادل في القرآن : يحتمل أنه أراد أنا لا نقول فيه كما قال أهل الزيغ واختلفوا وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق بل نقول إنه كلام رب العالمين نزل به الروح الأمين الى آخر كلامه . (...) .

والله تعالى قد أمرنا أن لا نجادل أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم فكيف بمناظرة أهل القبلة فإن أهل القبلة من حيث الجملة خير من أهل الكتاب فلا يجوز أن يناظر من لم يظلم منهم إلا بالتي هي احسن وليس إذا اخطأ يقال إنه كافر بل أن تقام عليه الحجة التي حكم الرسول بكفر من تركها والله تعالى قد عفا لهذه الأمة عن الخطأ والنسيان ولهذا ذم السلف أهل الأهواء وذكروا أن آخر امرهم السيف .

وسيأتي لهذا المعنى زيادة بيان إن شاء الله تعالى عند قول الشيخ ونرى الجماعة حقا وصوابا والفرقة زيغا وعذابا . (...) .

قوله:[ولا نكفر أحدا من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله]

(شرح :) أراد بأهل القبلة الذين تقدم ذكرهم في قوله ونسمي أهل قبلتنا مسلمين مؤمنين ما داموا بما جاء به النبي معترفين وله بكل ما قال وأخبر مصدقين . يشير الشيخ رحمه الله بهذا الكلام الى الرد على الخوارج القائلين بالتكفير بكل ذنب .

واعلم رحمك الله وإيانا أن باب التكفير وعدم التكفير باب عظمت الفتنة والمحنة فيه وكثر فيه الافتراق وتشتتت فيه الأهواء والآراء وتعارضت فيه دلائلهم . فالناس فيه في جنس تكفير أهل المقالات والعقائد الفاسدة المخالفة للحق الذي بعث الله به رسوله في نفس الأمر أو المخالفة لذلك في اعتقادهم على طرفين ووسط من جنس الاختلاف في تكفير أهل الكبائر العملية . فطائفة تقول لا نكفر من أهل القبلة احدا فتنفي التكفير نفيا عاما . مع العلم بأن في أهل القبلة المنافقين الذين فيهم من هو أكفر من اليهود والنصارى بالكتاب والسنة والإجماع . وفيهم من قد يظهر بعض ذلك حيث يمكنهم وهم يتظاهرون بالشهادتين . وأيضا فلا خلاف بين المسلمين أن الرجل لو أظهر إنكار الواجبات الظاهرة المتواترة والمحرمات الظاهرة المتواترة ونحو ذلك فإنه يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل كافرا مرتدا . والنفاق والردة مظنتها البدع والفجور كما ذكره الخلاّل في كتاب السنة بسنده الى

محمد بن سيرين أنه قال:(إن أسرع الناس ردة أهل الأهواء) وكان يرى هذه الآية نزلت فيهم: (**وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ)**. ولهذا امتنع كثير من الأئمة عن إطلاق القول بأنا لا نكفر احدا بذنب بل يقال : لا نكفرهم بكل ذنب ، كما تفعله الخوارج . وفرق بين النفي العام ونفي العموم . والواجب إنما هو نفي العموم . مناقضة لقول الخوارج الذين يكفرون بكل ذنب . ولهذا والله أعلم قيده الشيخ رحمه الله بقوله : (ما لم يستحله) وفي قوله ما لم يستحله إشارة الى أن مراده من هذا النفي العام لكل ذنب من الذنوب العملية لا العلمية ، وفيه إشكال فإن الشارع لم يكتف من المكلف في العمليات بمجرد العمل دون العلم ولا في العلميات بمجرد العلم دون العمل . وليس العمل مقصورا على عمل الجوارح بل أعمال القلوب أصل لعمل الجوارح وأعمال الجوارح تبع إلا أن يضمن قوله يستحله بمعنى يعتقده أو نحو ذلك .

وقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله... إلى آخر كلامه... رد على المرجئة ؛ فإنهم يقولون لا يضر مع الإيمان ذنب كما لا ينفع مع الكفر طاعة . فهؤلاء في طرف والخوارج في طرف . فإنهم يقولون نكفر المسلم بكل ذنب أو بكل ذنب كبير. وكذلك المعتزلة الذين يقولون يحبط إيمانه كله بالكبيرة فلا يبقى معه شيء من الإيمان. لكن الخوارج يقولون يخرج من الإيمان ويدخل في الكفر. والمعتزلة يقولون يخرج من الايمان ولا يدخل في الكفر، وهذه المنزلة بين المنزلتين . وبقولهم بخروجه من الإيمان أوجبوا له الخلود في النار. وطوائف من أهل الكلام والفقه والحديث لا يقولون ذلك في الأعمال لكن في الاعتقادات البدعية وإن كان صاحبها متأولا . فيقولون يكفر كل من قال هذا القول لا يفرقون بين المجتهد المخطئ وغيره ، أو يقولون يكفر كل مبتدع وهؤلاء يدخل عليهم في هذا الإثبات العام أمور عظيمة . فإن النصوص المتواترة قد دلت على أنه يخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان . ونصوص الوعد التي يحتج بها هؤلاء تعارض نصوص الوعيد التي يحتج بها أولئك .

والكلام في الوعيد مبسوط في موضعه وسيأتي بعضه عند الكلام على قول الشيخ وأهل الكبائر في النار لا يخلدون إذا ماتوا وهم موحدون . والمقصود هنا أن البدع هي من هذا الجنس فإن الرجل يكون مؤمنا باطنا وظاهرا لكن تأول تأويلا اخطأ فيه ، إما مجتهدا وإما مفرطا مذنبا . فلا يقال إن إيمانه حبط لمجرد ذلك ، إلا أن يدل على ذلك دليل شرعي . بل هذا من جنس قول الخوارج والمعتزلة .

ولا نقول لا يكفر ، بل العدل هو الوسط وهو أن الأقوال الباطلة المبتدعة المحرمة المتضمنة نفي ما أثبته الرسول أو إثبات ما نفاه أو الأمر بما نهى عنه أو النهي عما أمر به يقال فيها الحق ويثبت لها الوعيد الذي دلت عليه النصوص ويبين أنها كفر. ويقال من قالها فهو كافر. ونحو ذلك كما يذكر من الوعيد في الظلم في النفس والأموال . وكما قد قال كثير من أهل السنة المشاهير بتكفير

من قال بخلق القرآن ، وأن الله لا يُرى في الآخرة ، ولا يعلم الأشياء قبل وقوعها .. . وعن أبي يوسف رحمة الله أنه قال ناظرت أبا حنيفة رحمه الله مدة حتى اتفق رأيي ورأيه أن من قال بخلق القرآن فهو كافر.

وأما الشخص المعين إذا قيل هل تشهدون انه من أهل الوعيد وانه كافر فهذا لا نشهد عليه إلا بأمر تجوز معه الشهادة . فإنه من أعظم البغي أن يشهد على معين أن الله لا يغفر له ولا يرحمه بل يخلده في النار فإن هذا حكم الكافر بعد الموت .

ولهذا ذكر أبو داود في سننه في كتاب الأدب باب النهي عن البغي وذكر فيه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (سمعت رسول الله يقول كان رجلان في بني إسرائيل متواخين فكان أحدهما يذنب والآخر مجتهد في العبادة فكان لا يزال المجتهد يرى الآخر على الذنب فيقول أقصر فوجده يوما على ذنب فقال له أقصر . فقال خلني وربي أبعثت علي رقيبا ، فقال والله لا يغفر الله لك أو لا يدخلك الله الجنة . فقبض أرواحهما فاجتمعا عند رب العالمين فقال لهذا المجتهد أكنت بي عالما أو كنت على ما في يدي قادرا ، وقال للمذنب اذهب فادخل الجنة برحمتي ، وقال للآخر اذهبوا به الى النار. قال أبو هريرة والذي نفسي بيده لقد تكلم بكلمة أو بقت دنياه وآخرته) وهو حديث حسن .

ولأن الشخص المعين يمكن أن يكون مجتهدا مخطئا مغفورا له . ويمكن أن يكون ممن لم يبلغه ما وراء ذلك من النصوص . ويمكن أن يكون له إيمان عظيم وحسنات أوجبت له رحمة الله ، كما غفر للذي قال إذا مت فاسحقوني ثم اذروني ثم غفر الله له لخشيته وكان يظن أن الله لا يقدر على جمعه وإعادته أو شك في ذلك . لكن هذا التوقف في أمر الآخرة لا يمنعنا أن نعاقبه في الدنيا لمنع بدعته وأن نستتيبه فإن تاب وإلا قتلناه .

ثم إذا كان القول في نفسه كفرا قيل إنه كفر والقائل له يكفر بشروط وانتفاء موانع ولا يكون ذلك إلا إذا صار منافقا زنديقا .

فلا يتصور أن يكفر أحد من أهل القبلة المظهرين الإسلام إلا من يكون منافقا زنديقا . وكتاب الله يبين ذلك فإن الله صنف الخلق فيه ثلاثة أصناف صنف كفار من المشركين ومن أهل الكتاب ، وهم الذين لا يقرون بالشهادتين . وصنف المؤمنون باطنا وظاهرا . وصنف أقروا به ظاهرا لا باطنا . وهذه الأقسام الثلاثة مذكورة في أول سورة البقرة وكل من ثبت انه كافر في نفس الأمر وكان مقرا بالشهادتين فإنه لا يكون إلا زنديقا والزنديق هو المنافق .

وهنا يظهر غلط الطرفين . فإنه من كفر كل من قال القول المبتدع في الباطن ، يلزمه أن يكفر أقواما ليسوا في الباطن منافقين ، بل هم في الباطن يحبون الله ورسوله ويؤمنون بالله ورسوله . وإن كانوا مذنبين كما ثبت في صحيح البخاري عن أسلم مولى عمر رضي الله عنه عن عمر: (أن رجلا كان على عهد النبي كان اسمه عبد الله وكان يلقب حمارا وكان يضحك رسول الله وكان رسول الله قد جلده في الشراب فأتى به يوما فأمر به فجلد فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتى به فقال رسول الله لا تلعنه فوالله ما علمت إنه يحب الله ورسوله) .

وهذا أمر متيقن به في طوائف كثيرة وأئمة في العلم والدين وفيهم بعض مقالات الجهمية أو المرجئة أو القدرية أو الشيعة أو الخوارج ولكن الأئمة في العلم والدين لا يكونون قائمين بجملة تلك البدعة بل بفرع منها. ولهذا انتحل أهل هذه الأهواء لطوائف من السلف المشاهير. **فمن عيوب أهل البدع تكفير بعضهم بعضا ومن ممادح أهل العلم أنهم يخطئون ولا يكفرون .**

ولكن بقي هنا إشكال يرد على كلام الشيخ رحمه الله وهو أن الشارع قد سمى بعض الذنوب كفرا . قال الله تعالى : ﴿ **ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(**سباب المسلم فسوق وقتاله كفر**) متفق عليه. من حديث ابن مسعود رضي الله عنه . وقال : (**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**). و(إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما) متفق عليهما من حديث ابن عمرو رضي الله عنه . وقال : (**أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كان فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا حدث كذب وإذا وعد أخلف وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر**) متفق عليه من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنه . وقال : (**لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن**) والتوبة معروضة بعد . وقال : (**بين المسلم وبين الكفر ترك الصلاة**) رواه مسلم عن جابر رضي الله عنه . وقال: (**من أتى كاهنا فصدقه أو أتى امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد**) . وقال : (**من حلف بغير الله فقد كفر**) رواه الحاكم بهذا اللفظ . وقال : (**ثنتان في أمتي بهم كفر الطعن في الأنساب و النياحة على الميت**) . ونظائر ذلك كثيرة .

والجواب أن أهل السنة متفقون كلهم على أن مرتكب الكبيرة لا يكفر كفرا ينقل عن الملة بالكلية كما قالت الخوارج إذ لو كفر كفرا ينقل عن الملة لكان مرتدا يقتل على كل حال ولا يقبل عفو ولي القصاص ولا تجري الحدود في الزنا والسرقة وشرب الخمر وهذا القول معلوم بطلانه وفساده بالضرورة من دين الإسلام .

ومتفقون على أنه لا يخرج من الإيمان والإسلام ولا يدخل في الكفر ولا يستحق الخلود مع الكافرين ، كما قالت المعتزلة ، فإن قولهم باطل أيضا . إذ قد جعل الله مرتكب الكبيرة من المؤمنين قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى..**) الى أن قال : (**فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف**) . فلم يخرج القاتل من الذين آمنوا وجعله أخا لولي القصاص . والمراد أخوة الدين بلا ريب . وقال تعالى : (**وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما**) الى أن قال : (**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم**) . ونصوص الكتاب والسنة والإجماع تدل على أن الزاني والسارق والقاذف لا يقتل بل يقام عليه الحد فدل على أنه ليس بمرتد ، وقد ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال : (**من كانت عنده لأخيه اليوم مظلمة من عرض أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون درهم ولا دينار إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فطرحت عليه ثم ألقي في النار**) أخرجاه في الصحيحين فثبت أن الظالم يكون له حسنات يستوفي المظلوم منها حقه . وكذلك ثبت في الصحيح عن النبي أنه قال : (**ما تعدون المفلس فيكم قالوا المفلس فينا من لا له درهم ولا دينار قال المفلس من يأتي يوم القيامة وله حسنات أمثال الجبال فيأتي وقد شتم هذا وأخذ مال هذا وسفك دم هذا وقذف هذا وضرب هذا فيقتص هذا من حسناته وهذا من حسناته فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار**) رواه مسلم . وقد قال تعالى : (**إن الحسنات يذهبن السيئات**) . فدل ذلك على أنه في حال الإساءة يعمل حسنات تمحو سيئاته وهذا مبسوط في موضعه . والمعتزلة موافقون للخوارج هنا في حكم الآخرة فإنهم وافقوهم على أن مرتكب الكبيرة مخلد في النار، لكن قالت الخوارج نسميه كافرا وقالت المعتزلة نسميه فاسقا فالخلاف بينهم لفظي فقط . وأهل السنة أيضا متفقون على أنه يستحق الوعيد المرتب على ذلك الذنب كما وردت به النصوص ، لا كما يقوله المرجئة من انه لا يضر مع الإيمان ذنب ولا ينفع مع الكفر طاعة . وإذا اجتمعت نصوص الوعد التي استدلت بها المرجئة ونصوص الوعيد التي استدلت بها الخوارج والمعتزلة تبين لك فساد القولين . ولا فائدة في كلام هؤلاء سوى أنك تستفيد من كلام كل طائفة فساد مذهب الطائفة الأخرى .

ثم بعد هذا الاتفاق تبين أن أهل السنة اختلفوا خلافا لفظيا لا يترتب عليه فساد ، وهو أنه هل يكون الكفر على مراتب كفرا دون كفر كما اختلفوا هل يكون الإيمان على مراتب إيمانا دون إيمان ، وهذا الاختلاف نشا من اختلافهم في مسمى الإيمان هل هو قول وعمل يزيد وينقص أم لا بعد اتفاقهم على أن من سماه الله تعالى ورسوله كافرا نسميه كافرا إذ من الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ، ويسمي رسوله من تقدم ذكره كافرا ولا نطلق عليهما اسم الكفر ، ولكن من قال إن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص قال : هو كفر عملي لا اعتقادي . والكفر

عنده على مراتب كفر دون كفر، كالإيمان عنده . ومن قال إن الإيمان هو التصديق ولا يدخل العمل في مسمى الإيمان ، والكفر هو الجحود ولا يزيدان ولا ينقصان . قال هو كفر مجازي غير حقيقي . إذ الكفر الحقيقي هو الذي ينقل عن الملة وكذلك يقول في تسمية بعض الأعمال بالإيمان كقوله تعالى : (**وما كان الله ليضيع إيمانكم**) .أي صلاتكم الى بيت المقدس أنها سميت إيمانا مجازا لتوقف صحتها عن الإيمان أو لدلالتها على الإيمان إذ هي دالة على كون مؤديها مؤمنا . ولهذا يحكم بإسلام الكافر إذا صلى صلاتنا . فليس بين فقهاء الأمة نزاع في أصحاب الذنوب إذا كانوا مقرين باطنا وظاهرا بما جاء به الرسول وما تواتر عنهم أنهم من أهل الوعيد . ولكن الأقوال المنحرفة قول من يقول بتخليدهم في النار كالخوارج والمعتزلة . ولكن أردأ ما في ذلك التعصب على من يضادهم وإلزامه لمن يخالف قوله بما لا يلزمه والتشنيع عليه .

وإذا كنا مأمورين بالعدل في مجادلة الكافرين وأن يجادلوا بالتي هي أحسن فكيف لا يعدل بعضنا على بعض في مثل هذا الخلاف . قال تعالى : (**يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى**) .

وهنا أمر يجب أن يتفطن له وهو أن الحكم بغير ما أنزل الله قد يكون كفرا ينقل عن الملة وقد يكون معصية كبيرة أو صغيرة ويكون كفرا إما مجازيا وإما كفرا أصغر على القولين المذكورين وذلك بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد أن الحكم بما أنزل الله غير واجب وأنه مخير فيه أو استهان به مع تيقنه أنه حكم الله فهذا كفر أكبر . وإن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله وعلمه في هذه الواقعة وعدل عنه مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة . فهذا عاص ويسمى كافرا كفرا مجازيا او كفرا أصغر وإن جهل حكم الله فيها مع بذل جهده و استفراغ وسعه في معرفة الحكم وأخطأه فهذا مخطيء له أجر على اجتهاده وخطؤه مغفور .

وأراد الشيخ رحمه الله بقوله ولا نقول لا يضر مع الإيمان ذنب لمن عمله مخالفة المرجئة وشبهتهم كانت قد وقعت لبعض الأولين فاتفق الصحابة على قتلهم إن لم يتوبوا من ذلك فإن قدامة بن عبد الله شرب الخمر بعد تحريمها هو وطائفة وتأولوا قوله تعالى: ﴿ **ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات** ﴾ . فلما ذكروا ذلك لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ، اتفق هو وعلي بن أبي طالب وسائر الصحابة على أنهم إن اعترفوا بالتحريم جلدوا ، وإن أصروا على استحلالها قتلوا . وقال عمر لقدامة أخطأت إستك الحفرة أما إنك لو اتقيت وآمنت وعملت الصالحات لم تشرب الخمر وذلك أن هذه الآية نزلت بسبب أن الله سبحانه لما حرم الخمر وكان تحريمها بعد وقعة أحد قال بعض الصحابة فكيف بأصحابنا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر، فأنزل الله هذه الآية يبين فيها أن من طعم الشيء في الحال التي لم يحرم فيها فلا جناح عليه إذا كان من المؤمنين المتقين المصلحين كما كان من أمر استقبال بيت المقدس ثم

إن أولئك الذين فعلوا ذلك يذمون على أنهم أخطوا و آيسوا من التوبة فكتب عمر الى قدامة يقول له : (**حم تنزيل الكتاب من العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب**) . ما أدري أي ذنبيك أعظم استحلالك المحرم أولا أم يأسك من رحمة الله ثانيا . وهذا الذي اتفق عليه الصحابة هو متفق عليه بين أئمة الإسلام] أهـ

انتهى كلامه رحمه الله . و فيه من البيان ما يغني عن الشرح والتوضيح.

وأختم الفقرة بما قاله حجة الإسلام الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله في كتابه (التفرقة بين الإيمان والزندقة) قال : (**الذي ينبغي ؛ الاحتراز عن التكفير ما وجد إلى ذلك سبيلا ، فإن استباحة دماء المصلين المقرين بالتوحيد خطأ ، والخطأ في ترك ألف كافر في الحياة أهون من الخطأ في سفك دم لمسلم واحد**) . والله تعالى أعلم .

أنقل هذا ليستزيد المجاهدون وطلاب العلم منهم في هذا الأمر حيطة لدينهم و ألسنتهم ، في الحكم على أديان الناس ولاسيما عوام المسلمين .لا لتكون حجة للمرجئة وغلاة أذنابهم في زماننا ، قاتلهم الله . ففي رسائل كتابي هذا ما يكفي للدلالة على حضي على جهاد الكفار الغزاة وأذنابهم من المرتدين وجنودهم وأعوانهم **بالسيف والسنان** وعلى تكفير من شرع وحكم بغير ما أنزل الله ، وكذلك تكفير من أعان الكافرين وظاهرهم على المسلمين من الحكام المرتدين أو من فعل ذلك من جنودهم وعساكرهم . ومثلهم أيضا أئمة الكفر من العلمانيين الطاعنين في دين الله . وكذلك حضي على عدم الغفلة عن جهاد علمائهم ووسائل إعلامهم وبرامج حرب الأفكار التي اخترعوها **بالحجة والبيان** .

وأنصح المجاهدين ختاما بأن يتركوا الخوض في هذه المسائل للعلماء وطلاب العلم القادرين على الخوض في خضمها الصعب ، وينصرفوا إلى قتال أعداء الله تطبيقا لما استيقنوه من هذه الفريضة المتعينة على كل مسلم اليوم .

وفي ختام هذا الباب أؤكد على أن العقيدة الإسلامية ، وما يتفرع عنها من العقيدة الجهادية .. أساس كل حركة وسلوك لدى المؤمن المجاهد . وبقدر وضوحها في قلب المؤمن وعقله يكون مستوى سلوكه في هذه الحياة ومواقفه مما يعترضه فيها .

إن آثار وضوح هذه العقيدة ووجودها ورسوخها لا تخفى . ولها بالغ الأثر في إيجاد المؤمن الصالح الخلوق. والمجاهد العقائدي الثابت بفضل الله . كما أن آثار زوالها وتشوهها لا تخفى. ولها بالغ الأثر في تدرج الناس في دركات الفسوق والضلال والضعف والهوان كما نعيشه ونلمسه اليوم بكل وضوح . ومن هنا البداية . ورحم الله من قال : لن يصلح آخر الأمة إلا بما صلح به أولها .

فهرس المجلد الثاني

نهاية المجلد الثاني

